

من صبا حتى نياما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي

تأليف: يحيى آرين بور

ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة
محمد السباعي محمد السباعي
أشرف محمد عبد الوهاب

مراجعة وتقديم: السباعي محمد السباعي

إهداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

من صبا حتى نيبها

مائة وخمسون عاماً من تاريخ الأدب الفارسي

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٣٤٠
- من صبا حتى نيما
- مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي
- يحيى آرين بور
- نخبة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب :

از صبا تا نيما

تاريخ ١٥٠ سال ادب فارسي
يحيى آرين بور

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ - فاكس : ٢٧٣٥٤٥٥٤

EL- Gabalaya st., Opera House, El Gezira, Cairo

e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 2735424 – 2735426 Fax: 27354554

من صبا حتى نياما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي

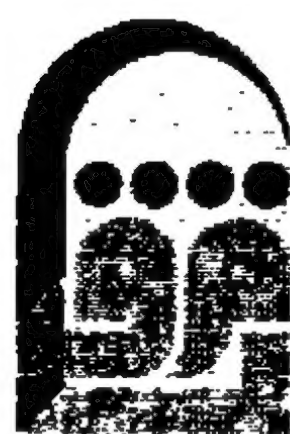
تأليف : يحيى آرين بور

ترجمة : إيمان محمد إبراهيم عرفت

محمد السباعي محمد السباعي

أشرف محمد عبد الوهاب

مراجعة وتقديم: السباعي محمد السباعي



٢٠٠٩

<p style="text-align: center;">بطاقة الفهرسة إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشؤون الفنية</p>	<p style="text-align: right;">بور، يحيى آرین</p> <p style="text-align: right;">من صبا حتى نياما: مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي</p> <p style="text-align: right;">تأليف: يحيى آرین بور، ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة، محمد السباعي محمد السباعي، أشرف محمد عبد الوهاب، مراجعة وتقديم: السباعي محمد السباعي</p> <p style="text-align: right;">ط١، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩</p> <p style="text-align: right;">٧٣٢ص، ٢٤سم</p> <p style="text-align: right;">١ - الأدب الفارسي - تاريخ ونقد</p> <p style="text-align: right;">(أ) عرفة ، إيمان محمد إبراهيم (مترجمة)</p> <p style="text-align: right;">(ب) السباعي ، محمد السباعي محمد (مترجم مشارك)</p> <p style="text-align: right;">(ج) عبد الوهاب، أشرف محمد (مترجم مشارك)</p> <p style="text-align: right;">(د) السباعي، السباعي محمد (مراجع ومقدم)</p> <p style="text-align: right;">(هـ) العنوان</p> <p style="text-align: right;">٨٩١,٥٥٠٩</p>
<p style="text-align: right;">رقم الإيداع: ١٣٩٢٥ / ٢٠٠٩</p> <p style="text-align: right;">الترقيم الدولي : 6- 461- 479- 977- 978 - I.S.B.N</p> <p style="text-align: right;">طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية</p>	

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

9	- تقديم المراجع.....
15	- مقدمة.....
23	القسم الأول : العودة.....
23	لمحة تاريخية
	الباب الأول : الأدب الإيراني فى النصف الأول من القرن الثالث
31	عشر.....
31	الفصل الأول : الشعراء.....
31	مقدمة :.....
53	١- صبا.....
69	٢- نشاط.....
82	٣- سحاب.....
86	٤- مجمر.....
93	٥- وصال.....
105	الفصل الثانى : كتاب النثر.....
105	مقدمة :
115	١- عبد الرزاق بىك.....
118	٢- ميرزا رضى.....
120	٣- فاضل خان.....
126	٤- صاحب ديوان.....
132	٥- قائممقام.....

156	٦- وقائع نگار
161	الباب الثانى : الأدب الإيرانى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر....
161	الفصل الأول : الشعراء.....
161	مقدمة :
161	١- شهاب.....
169	٢- فروغى.....
178	٣- سروش.....
192	٤- قانى.....
222	٥- يغما.....
252	٦- محمود خان ملك الشعراء.....
259	٧- قرّة العين.....
264	٨- الشيبانى.....
289	الفصل الثانى : كتاب النثر.....
289	١- بدايع نگار
296	٢- مجد الملك.....
305	٣- حاجى فرهاد ميرزا.....
318	٤- حسنعلى خان.....
330	٥- نادر ميرزا.....
348	٦- الطسوجى.....
352	التتمة.....
352	مقدمة :

352	١- كتب التاريخ.....
364	٢- كتب التذاكر.....
367	٣- كتب التراجم.....
367	٤- الفلسفة.....
381	٥- الكتب والرسائل الدينية.....
383	قائمة المصادر :
404	تواريخ وأحداث.....
411	القسم الثانى " اليقظة ".....
417	الباب الأول.....
417	النثر الفارسى فى مرحلة اليقظة.....
419	الفصل الأول : الطباعة والمطبعة.....
429	الفصل الثانى : الصحافة والصحافة.....
455	الفصل الثالث : دار الفنون.....
503	الفصل الرابع : مساعى المقيمين خارج الدولة.....
553	الفصل الخامس : الكتابة المسرحية.....
613	الفصل السادس : السيد جمال الدين.....
645	الفصل السابع : المستثمرون الآخرون فى مرحلة اليقظة.....
666	قائمة المراجع والمصادر.....
693	ملحق الصور.....

تقديم

هذه ترجمة "للمجلد الأول من كتاب "ار صبا تا نيما" أى من صبا إلى نيما الذى ألفه الكاتب "يحيى آرين بور، فى مجلدين يتناولان تاريخ الأدب الفارسى خلال مائة وخمسين عاماً. ثم أكمل الكاتب هذا العمل بمجلد ثالث تحت " عنوان از نيما تا روزگارما". أى من نيما حتى عصرنا الحاضر. وهذه المجلدات الثلاثة هى أبرز أعمال المؤلف التى توصلت إليها، فضلاً عن ترجمة كتاب "ناصر خسرو وإسماعيليان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية الذى ألفه المستشرق الروسى "يرتلس" .

أما المؤلف "يحيى آرين بور" فهو كاتب ومحقق إيرانى بارز وشاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" تخلصاً له كما هى العادة عند الشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوردية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكرية باسم خواجه نصير الدين الطوسى. ولا نعلم على وجه اليقين متى ولد وفى أى يوم وفى أى شهر وفى أى عام كما صرح بنفسه فى كتاب يسمى "امروز" وأن اتفقت المصادر والمراجع على أنه ولد فى تبريز فى عام ١٢٨٦هـ وتوفى فى الرابع من شهر أبان ١٣٨٤ هـ . بدأ تعليمه الابتدائى فى مسقط رأسه

مدينة "تبريز" في مدرسة تسمى "تمدن" ودرس في المرحلة المتوسطة والثانوية في المدرسة الثانوية الوحيدة بالمدينة وكان مديرها "إسماعيل أمير خيزي"، وكان من بين رفاقه في تلك المدرسة دكتور رعدى آذر خشى والدكتور على أصغر حريرى ومحمد حسين شهريار وغيرهم.

وكان من أساتذته : أبو القاسم فيوضات تقى رفعت وسيد أحمد كسروى، وكما ذكر ذلك فى حديث أجرته معه مجلة "تماش" حول ميرزا تقى خان رفعت وذوقه الشعرى قال: "إن كل ما لديه من بضاعة فى هذا المجال الأدبى إنما هو بفضل غرس هؤلاء الأساتذة، وأشار إلى فضل تقى رفعت فى المجلد الثانى من كتابه "از صبا تانيم" وكيف أنه أضاء له السبيل للوقوف على العلوم والمعارف الحديثة والأدب العالمى.

ثم صرف النظر عن قرض الشعر نتيجة للقيود الكثيرة التى كانت موجودة آنذاك ونشر بعض القطع والترجمات الشعرية فى مجلتى : "سخن" و "يغما" وحين كان فى الصف السادس الثانوى فى منتصف عام ١٢٩٨هـ الموافق ١٩١٩-١٩٢٠م أصدر ستة أعداد من مجلة "الأدب" فى تبريز وحين تخرج من المدرسة ترك رئاسة تحريرها فأصدر الأعداد الستة الأخرى منها مدير المدرسة المرحوم إسماعيل أمير خيزى ، وخدم بعد ذلك فى وزارة المالية لمدة ثلاثين عاماً. أما كتابه الذى بين يدينا الآن ترجمة للمجلد الأول منه وهو "از صبا تا نيماء.. فهو أشهر ما كتب".

ثانيا : يقول إنه منذ شهر شهر بور ١٣٢٠هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤١م) وما تلاه بدأت معركة بين سدنة القدر انى المحافظين ورواد الشعر

الحديث المحددين، وقرض أشخاص أشعاره وألف آخرون مؤلفات عديدة خرجت عن نطاق المعقول في الاختلاف ووصلت إلى مرحلة الانحراف عن كتابات السابقين وأفكارهم .

"فاشئت به الرغبة في المطالعة والتحقيق في مراحل تطور النظم والنثر الفارسي في العصور المتأخرة واطلعت وقرأت بشغف كشوف ونهم كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التي ألقت حول الأدب الفارسي المعاصر سواء في داخل إيران أو في خارجها، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعاصرين من كل فرقة. وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ش إلى ١٣٤٤ش^(١) / ١٩٦١ إلى ١٩٦٦م حسبما أتيج لي وقت الفراغ وسنحت لي الفرصة، بتدوين مثل هذه التحقيقات وفقاً لذوقي ورؤيتي كما ستلاحظون ذلك.

(هـ . ش : هجري شمسي)

(١) تقويم فارسي مرتبط بدورة الشمس ، وتبدأ السنة الشمسية في ٢١ من مارس حسب التقويم الميلادي وهو الذي يسمى بـ "النيروز" (الفيروز) - بدأ العمل به بناءً على أمر من رضا شاه الكبير شاهنشاه إيران عام ١٣١٤ هـ بتغيير التاريخ الهجري القمري إلى هجري شمسي، أما هـ ق أي هجرة قمري فهو التقويم الهجري المعمول به في العالم الإسلامي - ويبدأ من تاريخ هجرة الرسول (ص) ، وهو مرتبط بدورة القمر حول الأرض - وعلى هذا فإن ١/١/١ هجري قمري = ١/٤/٢٤ هجري شمسي الموافق ١٥/٧/٦٢٢م.

كانت خطة العمل فى تنظيم مذكراتى أن أشير بإيجاز فى البداية لموضوع الأدب الإيرانى فى العصر الصفوى ومرحلة الضعف التى تلت تلك الفترة بعد سقوط تلك الأسرة ثم اتجهت - بمزيد من التفصيل حين تحدثت عن الشعراء والكتاب فى بلاط الأسرة القاجارية - إلى دراسة أعمق للتطورات الأدبية الفارسية منذ عصر المطالبة بالحرية وإرهابات الثورة الدستورية وحركة المشروطية، رابطاً ذلك بذكر الوقائع والأحداث الرئيسية لتاريخ المشروطية.

ويستطرد قائلاً : صرفت النظر فى هذا الكتاب عن شرح أحوال الشعراء وأعمالهم ، الذين اقتصر دورهم على تقليد القدماء أو المعاصرين لهم ولم يكن لهم تأثير فى مسيرة الأدب الفارسى. وتناولت فقط الشعراء الكتاب الذين أثرت أعمالهم - إلى حد ما - فى المحيطين الأدبى والاجتماعى لعصرهم والعصور التالية.

وبعد، فهذا الكتاب لا هو من قبيل كتب تذكرة الشعراء، ولا من قبيل منتخبات الآثار، ولا شىء من قبيل كتب "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية من عصر الإحياء (العودة الأدبية) حتى بداية الشعر الحديث (من صبا إلى نيام) وهى الفترة التى امتدت مائة وخمسين عاماً كما ذكرت آنفاً. وتكفى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظراً لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر دون شك بشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالية. وهذه محاولة غير مسبقة لكنها لا تخلو من النواقص والعيوب. وتحقيقاً للغاية من هذا الكتاب

فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعه الغنى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى وعندما لا أستطيع التأكد من صحة أحوال القول كنت على الأقل امتنع عن تأييده".

وقد اجتهد المؤلف قدر الإمكان أن يخرج عملاً كاملاً مبرراً من العيوب لكن الكمال لله وحده. خاصة وأن الكتاب قد جمعت مادته تدريجياً وفى فترات مختلفة، هذا فى حد ذاته يجعله عرضة للنواقص والعيوب، كما أن هذا التوقف ثم العودة للكتابة تجعل معلومات الكاتب متفاوتة. وقد أشار المؤلف إلى أهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ذاكراً إياها فى متن الكتاب وحواشيه. ولم يلجأ إلى أسلوب منمق فى الكتابة فقد كان هدفه عرض الموضوع بالصورة الصحيحة التى يراها.

ثالثاً : أما فريق الترجمة الذى تحمل عبء ترجمة هذا المجلد والذى يليه فكانوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم رغم صعوبة حملها - وقد تكون هذا الفريق ممن أثق فى قدرتهم على الفهم والترجمة وهم: الدكتورة إيمان محمد عرفة الأستاذ المساعد للغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة القاهرة، والدكتور محمد السباعى محمد السباعى مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب بجامعة حلوان، ثم الأستاذ أشرف محمد عبد الوهاب مترجم اللغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، وقد بذلوا جهداً كبيراً واعترضت سبيلهم بعض الصعاب حاولوا التغلب عليها وقد تم لهم ذلك فى نهاية الأمر.

وكان نصيب كل منهم فى الترجمة على النحو التالى :

١ - أشرف محمد عبد الوهاب من ص ١ إلى ص ٤٤ ، ومن ص ٧٩ إلى ص ١٤٤ .

٢ - محمد السباعى محمد من ص ٤٤ إلى ص ٧٧ ، ومن ص ١٤٥ إلى ص ٢٢٠ .

٣ - إيمان محمد عرفة من ص ٢٢١ إلى ص ٤٢٢ .

هى تجربة ناجحة بالنسبة إليهم، كفيلا أن تكون هذه المجموعة نواة
لجماعة من المترجمين المجيدين. فلهم منى كل الشكر والتقدير..
والله الموفق

السباعى محمد السباعى

٢٠٠٨/٧/١٤

مقدمة الجزء الأول

"إذا تجاوزنا الشعراء والفنانين السابقين بسبب نقص الوثائق والمستندات، نصل إلى فترة الفن والأدب المعاصر والتي نتعرف فيها على أشكال التحول والتجدد بشكل أو بآخر ونقف على حياة رواد هذا التحول، وهنا كان لابد من تطبيق أسس النقد الفنى، والحكم على هؤلاء حكمًا دقيقًا وموضوعيًا.

وأكبر خدمة يمكن تقديمها فى هذا المجال هى تدوين تاريخ الفن والأدب الذى يعد مقدمة لنقد فنى عظيم، وقد نظر كل محبى الفن والأدب بعين الترقب والانتظار إلى هذه البداية المشرقة حتى يشمروا عن سواعدهم ويسدوا هذا النقص"^(١).

لقد اشتدت لدى الرغبة فى المطالعة والتحقيق فى مراحل تطور النظم والنثر الفارسيين فى العصور الأخيرة منذ شهر يور ١٣٢٠هـ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤١م] حيث اشتعل الصراع بين المحافظين والمجددين، وكتب بعض الأشخاص أشعاراً وأعمالاً اختلفت أحياناً - لدرجة "الانحراف" - عن كتابات السابقين وأشعارهم، وبناءً على هذا فقد طالعت بمنتهى الشغف كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات

(١) د. محسن هشترودى "دانش و هنر" طهران، ١٣٤٠ هـ ش [١/١٩٦٢م].

الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التي كانت قد كتبت حول الأدب الفارسي المعاصر سواء في إيران أو خارج الحدود، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعارضين من كل فرقة وطائفة، وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ إلى ١٣٤٤ هـ - ش [١٩٦١ إلى ١٩٦٦] حسبما أتيحت لي الفراغ وأتيحت لي الفرصة، بتدوين كل هذه التحقيقات وفقاً لذوقي وبالشكل الذي ستلاحظونه. وكانت خطة العمل في تنظيم مذكراتي أن أشير بإيجاز في البداية لوضع الأدب الإيراني في العصر الصفوي ومرحلة الضعف بعد انتهاء أمر هذه الأسرة. ثم أشرح بتفصيل أكثر نسيباً وضع شعراء وكتاب بلاط الملوك القاجاريين، وبعد ذلك أبحث في مراحل تطور الأدب الفارسي منذ بداية حركة المطالبة بالحرية إلى ما بعد ذلك مع ذكر أهم الوقائع والأحداث التاريخية.

وفي هذا الكتاب صرفت النظر عن شرح أحوال وأعمال الشعراء الذين لم يفعلوا شيئاً سوى تقليد القدامى أو المعاصرين لهم، ولم يؤثروا كثيراً في مسيرة تكامل الأدب - وللأسف عددهم يفوق بكثير ما يمكن تصوره - وتناولت فقط ذكر أحوال الأشخاص وآثارهم الذين أثرت أعمالهم إلى حد ما في المحيطين الأدبي والاجتماعي لعصرهم والعصور التالية، أو كما يقال إنهم قد أحدثوا تغييراً ملموساً نسبياً ووضعوه على أول الطريق، ولم أحاول قط، كما هي العادة، أن أجمع في هذه الأوراق أحسن الأعمال وأن أتجاهل نقاط ضعف كل كاتب وشاعر، وإنما قصدت بصفة خاصة أن أعرض نماذج عديدة لكل شاعر؛ حتى يتسنى للقراء أن يعرفوا جيداً المنهج والأسلوب الفني لكبار شعراء وكتاب هذه الفترة.

وهذا الكتاب لا هو "تذكرة شعراء" ولا "منتخبات أعمال" ولا شيء من

قبيل "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبي لحقبة تاريخية معينة منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث (من صبا إلى نيام) وهى الحقبة التى امتدت لأكثر من قرن ونصف، وتلقى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظرًا لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر بشكل كبير أيضًا فى الأحداث الأدبية التالية، وتعتبر هذه المحاولة التى قمت بها غير مسبقة تقريبًا وهى بدون شك لا تخلو من النواقص مثل أى عمل غير مسبوق. وتحقيقًا للغاية فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعه الفنى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى، وعندما لا أستطيع التأكد من صحة أحد الأقوال كنت على الأقل امتنع عن تأييده، فقد لمست حجم المسؤولية الملقاة على عاتقى وآمنت بصحة الطريق الذى قد اخترته لنفسى. ومن هنا فإنه لم يظهر منى أبدًا أى اعتراض غير جائز أو تأييد فى غير محله لشخص أو لعمل أو لرأى، ومع هذا فإننى أكرر أن كتابى لا هو كامل ولا خالٍ من العيوب، خاصة وأن موضوعاته قد جمعت تدريجيًا وعلى فترات متباعدة وخلال سنوات ممتدة وكذلك قمت بتغيير أسلوب العمل وطريقته أكثر من مرة بمرور الزمان وبالتالي فقد كانت معلوماتى الخاصة متفاوتة وليست بدرجة واحدة فى جميع المواضع وكانت المصادر والوثائق فى بعض الأقسام كثيرة وفى الأقسام الأخرى قليلة أو بعيدة المنال، وهو ما جعل موضوعات الكتاب وطريقة تنظيمه لا تسير على وتيرة واحدة فى كافة المواضع.

وعلى كل حال فإننى قد مهدت الطريق فى هذا المجال وأتمنى أن يكون هذا الكتاب مقدمة وتمهيدًا لعمل الأشخاص الذين سيرغبون فيما بعد فى اتخاذ خطوات أكثر قوة وثباتًا فى موضوع نقد الأدب الإيرانى المعاصر

وتحليله الذى ما زال بكرًا ولم تمتد إليه يد.

وقد امتنعت تمامًا فى هذه المجموعة عن إيراد كلمات التعظيم والتفخيم مثل السيد وحضرة جناب للأحياء، والمرحوم والمغفور له للأموات. وفى ذكر تواريخ الأحداث باليوم والشهر والسنة مثل الميلاد والوفاة وغيرها والتي اختلفت الأقوال بشدة بشأنها ولم يكن هناك لها دليل قاطع، نقلت القول الذى وجدته أقوى وأصح دون أن أبحث وأدلل على قبول ذلك القول ورفض الأقوال الأخرى.

وقد أشرت، قدر استطاعتي، إلى أهم المصادر والمراجع فى المتن والحواشى، وقدمت توضيحًا كافيًا لكل موضوع وأبرزت أقوال الآخرين كالمعتاد وأضفت أيضًا قائمة بأسماء المصادر وتقويمًا للأحداث تقليدًا للأسلوب الشائع الذى يتبعه محققو العصر، وأتمنى أن تسهم كل هذه الحواشى والملحقات، التى ضاعفت من حجم الكتاب، فى تيسير أمر المطالعة على القراء.

وأنا لم أتبع أسلوبًا خاصًا فى الكتابة ولم أستخدم الدقة المتناهية فى اختيار الكلمات والتركيبات الإنشائية، فقد كان الغرض هو عرض الموضوع وهو ما أخذته فى الاعتبار دائمًا.

وهناك مجموعة من الأساتذة وعلماء الإيرانيات المشهورين أدين لهم بفضل توجيهى إلى المصادر الأجنبية ومساعدتى فى جمع الموضوعات مثل المرحوم البروفسور الدكتور جان ريكا من تشيكوسلوفاكيا، والمرحوم بازيل نيكيتين من فرنسا، والدكتور ف. ماخالسكى من بولندا، ومن الواجب على

تقديم خالص الشكر والمحبة لهم جميعاً، كما تجشم الأستاذ أحمد سميعي عناء مراجعة الكتاب.

وقام الأستاذ محمد جلبين بكل همة ونشاط خلال فترة قصيرة بتجهيز الأدوات والوثائق اللازمة لإعداد صور هذا الكتاب التي كانت نادرة جداً في بعض الأحيان، ولهذا السبب فإنني أقدم له خالص الشكر والامتنان.

وأخيراً فإنني لم أطلب من فضلاء العصر، كما هي العادة، أن يكتبوا تمهيداً أو مقدمة على كتابي لكي يغطوا عيوبه ونقاط ضعفه بغلاف من المدح والتقريظ، فهذا هو عملي بكل عيوبه ومميزاته.

يحيى آرين بور

طهران - مهرماه ١٣٥٠هـ

[سبتمبر - أكتوبر ١٩٧١م]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الكتاب الحالى الذى هو، على حد قول مؤلفه والذى صنف فى مقدمته على الطبعة الاولى، ليس تذكرة شعراء ولا منتخبات أعمال ولا شىء من قبيل تاريخ الأدب بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية تمتد مائة وخمسين عامًا منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث من صبا إلى نيماء، فقد تم تأليفه بطريقة علمية متميزة بعيدًا عن الأغراض الشخصية من حيث البحث فيما يسمى بالتاريخ والنقد الأدبى، وقد أدت هذه القيمة العلمية والبحثية للكتاب إلى طبعه ونشره ونفاذه خمس مرات منذ اسفند ١٣٥٠ هـ ش إلى منتصف عام ١٣٥٧ هـ ش [فبراير ومارس ١٩٧٢م إلى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٨] ودفعت الكثير من الأساتذة وأصحاب رأى فى المسائل التاريخية والأدبية لأن يتحدثوا عنه ويعبروا عن رأيهم بشأنه كبريات دور نشر الدولة. والآن وبالنظر إلى ندرة البحث فى اللغة والأدب الفارسى منذ سنوات بالرغم من حاجة الطلاب والجامعيين والباحثين المتزايدة، فإنه سيعاد طبع الكتاب بدون تغيير أو حذف وكما كتبه المؤلف المحترم بالضبط وطبعه مرارًا، وسيكون فى متناول أيدى القراء الأعزاء كدليل على الاحترام وحرية القلم وحرية التعبير عن المعتقدات العلمية، واستنادًا إلى الآية القرآنية الشريفة "فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"، لكن سيكون من حق الناشر وبصفة خاصة القراء أن ينتقدوا بعض موضوعاته أو أسلوب البحث فيه، أو أن يروا عدم أهمية كافة أبعاد حياة الشخصيات التى قد تم تعريفها فى الكتاب وبالتالي لا يقبلونها، ولهذا

السبب فإن حق النقد الموضوعي لموضوعات الكتاب مكفول للناشر والقراء،
ويأمل الناشر في أن يختار نقدًا علميًا تحقيقيًا واحدًا من بين تلك التي
سينشرها العلماء والباحثون في النشريات العلمية والأدبية بالدولة ويضيفها
إلى مقدمة الكتاب في طبعاته التالية حتى يهيئ المجال بهذه الطريقة لإجراء
بحث وحوار مفيد وبناء حول موضوعات الكتاب.

بمنه وكرمه والله ولي التوفيق والإرشاد

دار نشر : زوار

القسم الأول : العودة

لمحة تاريخية

فترة عصيبة فى تاريخ إيران :

انقرضت الأسرة الصفوية التى كانت قد تأسست عام ٩٠٧هـ بقوة سيف الشاه إسماعيل، بعد حكم دام مائتى وأربعين عامًا.

وقد قام نادر الابن المغمور لأحد أفراد قبيلة افشار تركية الأصل بتطهير الدولة من المتمردين الداخليين والمعتدين الأجانب فى أقل من خمسة عشر عامًا واعتلى عرش السلطنة الإيرانية رسميًا فى عام ١١٤٨هـ ق، وقد قتل هذا الرجل العظيم، الذى كان قد أعطى روحًا جديدة للدولة الإيرانية بفتوحاته الباهرة، على يد كبار القادة الإيرانيين فى عام ١١٦٠ هـ ق بعد أن أصيب بالغرور والجنون والقسوة، وتعرضت دولة إيران مرة ثانية للفوضى والاضطرابات.

وقد حكم كريم خان رئيس الطائفة الزندية - وهى إحدى القبائل الكردية الإيرانية- إيران باسم طفل فى التاسعة من عمره، ويحتمل أن يكون ابن أخت الشاه السلطان حسين الصفوى وذلك بعد معارك ومذابح كثيرة، وقد استطاع إقرار الأمن فى الدولة لمدة قصيرة، وتعتبر فترة حكم خلفاء كريم خان

من أسوأ عصور التاريخ الإيراني ومن الفترات المؤلمة والعصيبة لدرجة أنه من الظلم أن تُسجل في التاريخ^(١). وبعد معارك ومذابح كثيرة تمكن أغا محمد خان القاجاري خلال فترة وجيزة بالقوة والعزيمة والاجتهاد في العمل على إنهاء حالة الاضطرابات والقلق الشديدة التي حدثت في فترة ما بعد انقراض الدولة الصفوية، والتي كانت أهم سماتها تغيير الحكام بصورة سريعة ومتتالية وكانت في الحقيقة فترة تحول مؤقتة بين عصرين عظيمين في التاريخ الإيراني، وقد أدخل أغا محمد خان القاجاري كافة الأراضي الإيرانية تحت لواء حكومة واحدة. وقد قُتل مؤسس الأسرة القاجارية في عام ١٢١١هـ ق بيد أتباعه في معسكر مدينة شوشى القفقازية واعتلى عرش السلطنة الإيرانية ابن أخيه بابا خان الذي سُمى باسم جده فتحعلي شاه.

الهزائم الإيرانية أمام روسيا : انشغل فتحعلي شاه دائماً بالقضايا الداخلية والخارجية خلال فترة ملكه التي استمرت سبعة وثلاثين عاماً وذلك نتيجة لحروب عمه والمذابح التي قام بها والخصومات الشديدة التي كان قد خلقها. وقام الروس الذين أخذوا يتقدمون تدريجياً فيما وراء حدود شمال إيران، بانتزاع گرجستان (جورجيا) من إيران في بداية الأمر ثم تطلعوا بعد ذلك إلى سائر إمارات القفقاز، فما كان من إيران، التي رفضت انضمام جورجيا لروسيا، إلا أن قامت بالاستعداد للحرب، وكانت تأمل في أن تهب إنجلترا لمساعدتها في الحرب ضد روسيا، واشتعلت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢١٩هـ ق.

(١) من رسالة القنصل الفرنسي في البصرة إلى مديري الشركة الهندية المؤرخة في مارس ١٧٨٩م (نقلًا عن تاريخ زنديه، ج ١، تأليف الدكتور هادي هدايتي، طهران ١٣٣٤ش [١٩٥٦-٥م].

لكن سرعان ما شعر الملك القاجارى بعجزه وضعفه أمام خصمه القوى، فتوجه مضطراً إلى نابليون الذى كانت شهرة فتوحاته قد وصلت إلى مسامعه، على أمل الحصول على المساعدة، فقام الإمبراطور الفرنسى الذى كان يطمح فى الوصول إلى الهند عن طريق إيران، بإرسال بعض السفراء إلى إيران وتم التوقيع فى نهاية الأمر على معاهدة بين فرنسا والحكومة الإيرانية، تعهد نابليون بموجبها بأن يبذل كل جهده فى إجبار الروس على مغادرة جورجيا والأراضي الإيرانية وتقديم الأسلحة والمهمات التى تحتاجها إيران، وأن يقوم كبار القادة الفرنسيين بتجهيز وإمداد الجيش الإيرانى بأحدث الأساليب، وتعريف الجنود الإيرانيين بفنون الحرب والقتال^(١).

ونتيجة لهذه المعاهدة أرسل إلى إيران الوفد العسكرى الفرنسى برئاسة الجنرال جاردان^(٢)، لكن بينما كان جاردان ورفاقه ما زالوا فى الطريق تصالح نابليون مع روسيا^(٣)، وأصبحت التعهدات التى كان قد أخذها على نفسه بشأن إيران كأن لم تكن.

ولم يكن صلح نابليون مع روسيا قد قضى تماماً على الآمال الإيرانية فى المساعدة الفرنسية فقد ظلت إيران تنتظر قيام نابليون بتنفيذ المهام التى كان قد تعهد بها، وضمان الحكم الإيرانى فى القفقاز. إلا أن نابليون لم يفعل سوى أنه أمر مبعوثه بالتوسط لعقد الصلح إذا كان البلاط الإيرانى ينشده، وقد قام وفد جاردان العسكرى بإجراء بعض الإصلاحات فى الجيش الإيرانى وتعليم الجنود الإيرانيين فنون الحرب. لكن لم تفلح جهوده فى الصلح بين الحكومتين.

(١) معاهدة فينكنشتاين Finkenstien ٢٥ صفر ١٢٢٢هـ ق.

(٢) وصل وفد جاردان العسكرى طهران فى ١٢ رمضان سنة ١٢٢٢هـ ق.

(٣) اتفاقية تيلسيت Tilsit ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢٢هـ ق.

وفى هذه الأثناء وصل إلى إيران الوفد العسكرى الإنجليزى حاملاً معه الهدايا القيمة وأعلن أنه سينفذ ما عجز عن تنفيذه الفرنسيون، لكن كان هدف الإنجليز الحقيقى هو طرد الفرنسيين من إيران وإشعال نار الحرب مع روسيا، وفى عام ١٢٢٤هـ ق عقدت الحكومة الإنجليزية معاهدة مع إيران كان هدفها منع بسط النفوذ الروسى وحماية الممتلكات الإنجليزية فى الهند^(١)، وقد تعهدت الحكومة الإنجليزية بموجب هذه المعاهدة بأن تقدم لإيران المساعدة العسكرية لمحاربة روسيا، لكن لم يقدم الإنجليز الذين كانوا قد حلوا محل الفرنسيين، أية مساعدة لإيران وبعد تسعة أعوام من الحروب غير المجدية لم يخرج من يد إيران جورجيا فحسب بل ثمانى ولايات أخرى أيضاً، وسُلب منها كذلك حق الملاحة فى المياه الساحلية لبحر الخزر (قزوين)^(٢)، واندلعت الحرب بين إيران وروسيا مرة أخرى، بعد خمسة عشر عاماً بسبب الخلافات الحدودية.

وامتنع الإنجليز مرة ثانية عن تقديم المساعدة وقاموا بالوساطة بين الحكومتين، وقد هُزمت إيران فى هذه الحرب أيضاً وانفصلت عنها إيروان ونخجوان وبقية أراضي ما وراء نهر ارس، كما أنها تحملت أعباء خسائر ونفقات الحرب الثقيلة، وقد ساعدت هذه الحروب والهزائم فى بسط النفوذ الروسى فى إيران وتقويته وتثبيت حق الامتيازات الأجنبية للرعايا الروس ثم الأجانب الآخرين بعد ذلك^(٣).

(١) المعاهدة المجلدة ١٢ مارس ١٨٠٩ م (المحرم ١٢٢٤هـ ق) وبعدها المعاهدة المفصلة ١٤ مارس ١٨١٢ م (صفر ١٢٢٧هـ ق).

(٢) معاهدة گلستان شوال ١٢٢٨هـ ق.

(٣) معاهدة تركمانچاي، شعبان ١٢٤٣هـ ق.

توفي عباس ميرزا نائب السلطنة بخراسان في عام ١٢٤٩هـ ق،
ولحق به أبوه فتحعلي شاه بأصفهان في العام التالي. وكان محمد شاه ابن
عباس ميرزا الذي حكم دولة إيران أربعة عشر عاماً من عام ١٢٥٠هـ ق
إلى عام ١٢٦٤هـ ق، كان رجلاً زاهداً الطبع جمع بين التدين والورع من
ناحية والشدة والقسوة من ناحية أخرى.

ففي بداية أمره وأول أيام سلطنته بمجرد أن استراح من الصراع مع
المطالبين بالتاج والعرش بفضل سعي ميرزا أبي القاسم قائممقام واجتهاده،
تخلص من ذلك الرجل المدير وسلم زمام الأمور إلى معلمه ومرشده حاجي
ميرزا آقاسي الذي "لم يكن كفواً لمنصب الصدر الأعظم في إيران"^(١) وفي
عهد سلطنة هذا الملك القصيرة ظهرت الآثار السلبية لمعاهدتي گلستان
وتركمن چای والعواقب الوخيمة للحروب الإيرانية الروسية المدمرة، واشتد
التنافس بين الأجانب بحثاً عن السلطة والنفوذ في إيران وعمت الفتنة
والفوضى كل أنحاء الدولة بسبب عدم كفاءة حاجي ميرزا وأنانيته فقد كان
هو الحاكم الحقيقي لإيران طيلة فترة سلطنة محمد شاه، وزادت النفقات على
الإيرادات وتجاوز ظلم الحكام وتعديهم وفساد الجهاز الإداري الحد وانفرط
عقد النظام والانضباط من كل جانب.

وقد زحف محمد شاه إلى خراسان عام ١٢٥٣هـ ق راجياً مساندة
الروس وحاصر مدينة هراة لكن فشل هذا الزحف نتيجة عراقيل المسؤولين
البريطانيين، وانسحب الملك الإيراني بعد تسعة شهور من الحصار نتيجة
سياسة الحكومة الإنجليزية العدائية وعاد إلى العاصمة في العام التالي
وانفصلت أفغانستان عن الكيان الإيراني وفقاً لرغبة الإنجليز. وانقضت بقية
فترة سلطنة محمد شاه في إخماد الفتن والثورات التي كانت تشتعل في كل

(١) ميرزا علي خان أمين الدولة، خاطرات سياسي، ص ١١.

ركن من أركان الدولة بيد العملاء الداخلين وتحريض السياسة الخارجية^(١) حتى توفي في خريف عام ١٢٦٤هـ ق متأثراً بمرض النقرس والحمى، وقد سلم التاج والعرش الإيراني لابنه ذى السبعة عشر عاماً.

نقل الحضارة الأوروبية : في مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (سنة ١٧٨٩م) أى بعد وفاة كريم خان الزندى وبداية أمر آغا محمد خان القاجارى بعدة سنوات حدثت الثورة الفرنسية فى أوربا وأعقبها أحداث مذهلة مثل ظهور نابليون وحروبه المتتالية وحركة الشعوب وتقدم فن الحرب وظهور الأسلحة والمعدات الحديثة وأمثال ذلك، وظهرت حكومات كبيرة وقوية فى العالم أسست الحكومات الوطنية فى الدول الأوروبية وعلى الرغم من ذلك لم يهتز الشعب والبلاط الإيرانى لهذه الأحداث والتحويلات، ليس هذا فحسب بل لم تدرك إيران حقيقة تلك الثورات، وظلت دولة إيران باقية على حالها ومنهج حياتها القديم لفترة طويلة^(٢).

لكن مع هذا مهدت الحرب مع روسيا والتتقلات العسكرية والرغبة الشديدة لدى عباس ميرزا الابن الكفو لفتح على شاه فى نقل ونشر الفنون والصناعات الأوروبية الحديثة - الطريق لدخول الحضارة الغربية إلى إيران.

وقد أثرت سياسة الدول الأوروبية التى كانت وليدة مصالحها الاقتصادية، فى الأوضاع الاجتماعية الإيرانية، فضلاً عن أن البعثات السياسية والعسكرية، والخطوات التى تمت لإصلاح الجيش الإيرانى وإقامة

(١) كان منها ثورة آقاخان قائد الإسماعيلية (١٢٥٦هـ ق)، وثورة سيد على محمد الباب (١٢٦٠هـ ق) وفتنة محمد حسن خان ابن الهيارخان آصف الدولة (سنة ١٢٦٣هـ ق).

(٢) خطاب تقى زاده فى نادى "المهرجان" "تاريخ أوائل انقلاب مشروطيت ايران" ١٣٣٧ش.

العلاقات الدائمة مع أوروبا- أدت إلى غرس بذرة الأفكار الجديدة في الأراضي الإيرانية.

وقد بدأت حركة التجديد من أذربايجان التي تعد متاخمة لروسيا وتركيا العثمانية والأقرب إلى أوروبا، وصارت تبريز مركزاً مهماً للأنشطة العسكرية والسياسية الإيرانية، وشيئاً فشيئاً أرسل الطلاب إلى إنجلترا لدراسة العلوم والعمال إلى روسيا لتعلم الصناعات، وتأسست مصانع لتصنيع المدافع والبارود والنسيج، وعلت الهمم لإنشاء المصانع وتأليف الكتب وتأسيس الصحف.

ومن الأشخاص الذين أدركوا ضروريات العصر واحتياجاته أكثر من الآخرين ميرزا عيسى قائممقام، الذي قلده ابنه الكفؤ ميرزا أبو القاسم قائممقام في إصلاح وضع المجتمع، وبعدهما قام ميرزا تقى خان الفراهاني، أمير كبير، بسلسلة من الإصلاحات الأساسية.

إلا أن هذه الإصلاحات والإنجازات كانت بطيئة جداً وتدرجية، وقد واجهت على الروام الصعوبات الكثيرة والعراقيل المختلفة، وفقد جميع من قاموا بهذه الإصلاحات والأفكار الجديدة أرواحهم في هذا السبيل.

الباب الأول

الأدب الإيراني في النصف الأول من القرن الثالث عشر الفصل الأول – الشعراء

مقدمة :

أشعار العصر الصفوي : توفي نور الدين عبد الرحمن الجامي شاعر القرن التاسع القدير في عام ٨٩٨ هـ ق ، وبوفاته انتهى العصر الذهبي للشعر الكلاسيكي الإيراني والذي كان قد بدأ بالرودى.

ولم يظهر في عصر الملوك الصفويين شاعر مبدع عظيم يستطيع أن يحقق شهرة ومكانة كبيرة في تاريخ الأدب الإيراني من حيث صحة البيان وجزالة المضمون. أما السبب في هذا الفقر الشعرى وندرة الشعراء الكبار فيجب البحث عنه في السياسة العامة للملوك الصفويين؛ لأن الأسرة الصفوية على ما يبدو كانت توجه جل اهتمامها لنشر المذهب الشيعى وقلمها كانت تهتم بالشعر والأدب، وإذا كان هناك ثمة شعر منظوم فإنه كان فى مدح الأولياء وذكر كرامات الأئمة الأطهار وحادثة شهداء كربلاء بدلاً من المدح والغزل، وذلك وفقاً، لسياسات تلك الأسرة وبناءً على خصومتها الشديدة للقوة

المعنوية الهائلة التي كانت تتمتع بها الدولة العثمانية الممثلة للمذهب السنّي^(١).

يقول إسكندر بيك التركمانى فى شرح حال الشاه طهماسب الصفوى :
فى بداية الأمر وجه حضرة الخاقان كل اهتمامه لأحوال هذه الطبقة^(٢) ..
وفى آخر أيام حياته كان يبالغ بشدة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،
لذا عدّ هذه الطبقة الرفيعة مستهترة وبلا وازع دينى ولم يعدهم من الصالحين
وزمرة الأتقياء، ولم يعتن كثيراً بأحوالهم ولم يكن يسمح بنظم القطعة ولا
القصيدة، وكان مولانا محتشم الكاشانى قد نظم قصيدة جميلة فى مدح ذلك
الملك وقصيدة أخرى فى مدح عفيفة العصر الأميرة بريخان خانم وأرسلها
من كاشان، فعرضت عن طريق هذه الأميرة فقال حضرة الملك : "أنا لا
أرضى أن يلوث الشعراء لسانهم بمدحى والثناء علىّ، فلينظموا القصائد فى
شأن صاحب الولاية والأئمة المعصومين عليهم السلام، وينتظرون الجائزة
من الأرواح المقدسة للسادات أولاً ثم منا بعد ذلك؛ لأنهم بفكرهم الدقيق
يرتبون المعانى السامية والاستعارات المبتكرة فى عقد البلاغة وينسبونها
للملوك حيث إن المضمون ليس فى موضعه فى الغالب "أحسن الشعر أكذبه"

(١) من أفضل شعراء المراثى يجب ذكر محتشم الكاشانى (متوفى سنة ٩٩٦ هـ — ق)
والذى أوصل هذا الفن إلى درجة الكمال، والترجيعات بند الاثنى عشرة التى نظمها
مشهورة ، وقد استمر هذا الأسلوب فى نظم المراثى لفترات بعده، وقام شعراء
كثيرون حتى وقت قريب من عصرنا هذا بنظم الأشعار الجميلة والمؤثرة جداً فى
رثاء حضرة سيد الشهداء وأصحابه مثل الصباحى وصبا ووصال وسروش وقسانى
وحجة الإسلام نير التبريزى وسائر الشعراء الشيعة.
(٢) المقصود الشعراء.

أما إذا نسبوها للسادات المقدسين فإن شأنهم العالى سيرتقى أكثر مما هو متوقع"، وبصفة عامة فإن مولانا لم يحصل على جائزة الشعر من صاحب العظمة والجلالة^(١).

ولم يكن هذا الأسلوب فى التفكير منحصرًا فى شخص الشاه طهماسب وحده ، ولم يهتم ملوك الأسرة الصفوية الآخرون سوى بنشر العلوم الدينية من علم الكلام والفقه والحديث وذكر مناقب آل بيت الرسالة وحادثة شهداء كربلاء، والذى كان نتيجة طبيعية لسياستهم ووسيلة أيضًا من أجل تقدم هذه السياسة.

الأسلوب الهندى: ونتيجة لذلك فقد خرج الشعر من محيط البلاط وسقط فى يد العامة وابتعد شعراء الغزل والمثنويات عن إيران، واتجهوا إلى بلاط السلاطين العثمانيين وفى الغالب إلى بلاط الملوك الجورجانيين فى الهند^(٢)، وبناءً على تشجيع هؤلاء الملوك رسخ فى الشعر الفارسى "الأسلوب الهندى" الذى كان عبارة عن إيراد المضامين المبتكرة القصيرة و"بيان المعانى الكثيرة فى الكلمات القليلة"^(٣).

(١) عالم آراى عباسى، ج ١، طهران، ١٣١٤.

(٢) الملوك التيموريون فى الهند مثل أكبر شاه وجها نگیر كانوا يجيدون الفارسية وكانت لديهم قريحة شعرية انتقادية، ويقدم أبو الفضل فى "آيين اكبرى" قائمة بأسماء شعراء بلاط أكبر شاه ويذكر واحدًا وخمسين شخصًا كانوا مقربين إلى البلاط ويقول : أولئك الذين لم يحظوا بسعادة المثل بين يدى الملك ومدحوه من مناطق العالم النائبة كانوا كثيرين جدًا (شبلې النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخر داعى، ج ٣ - طهران، ١٣٣٤ ش (٥-١٩٥٦م)).

(٣) المصدر السابق.

إلا أن هذا الأسلوب الشعري الذي كان قد ظهر في الأراضى غير الإيرانية ونشأ ونما في ظروف غير ملائمة، قد ضعف وتدهور يوماً بعد يوم ووصل التدقيق في إيجاد المضامين الجديدة والاستعانة بالاستعارة والمجاز والصور الخيالية والأفكار الدقيقة البعيدة عن الذهن إلى حالة يرثى لها لدرجة أن أقوال وأشعار الشعراء قد خلت من الرقة والذوق^(١).

ويتسابق شعراء هذا الأسلوب في البحث عن المضامين الجديدة وغير المعروفة، وبعضهم يبالغ في هذا الأمر إلى حد الابتذال بحيث أصبح من غير الممكن العثور في أشعارهم على فكرة مبتكرة أو بديعة^(٢).

وعلى حد قول ملك الشعراء بهار :

الأفكار ضعيفة والخيالات غريبة

والشعر غزير المعنى ولكنه ليس جذاباً

ويفتقر إلى الفصاحة

وكان كل شاعر يحمل همّ المضمون

فتزداد معاناته،

ولهذا السبب أصبح الأسلوب الهندي مبتذلاً

(١) وجدت نماذج لهذا الأسلوب في البداية في بعض أشعار حافظ الشيرازى ونزارى الشيرازى والشعراء الآخرين، لكن هذه الأعمال ليست على درجة من الدقة التى تتغلب بها على المعنى.

(٢) يقول صائب التبريزى أكبر شعراء هذا العصر :

يسعى الرفاق للألفاظ الجديدة ويبحث صائب عن المعنى الغريب

وكان السعى خلف المضامين الجديدة يصل بالأمر إلى درجة أن
شوكت البخارى أحد شعراء هذا العصر، والذي نال شهرة كبيرة فى حياته
خاصة بين العثمانيين، يقول فى بيان حاله :

تمهل فى النظر إلى ترابى بعين الطمع أيها الطائر الملكى
لئلا يحترق شمع العظام من ريح أهداك
ويقول شاعر آخر من شعراء هذا العصر :

من كثرة ما تدرب على الكتابة فى المدرسة نحل

جسمه وصار كالورقة المسطرة

ولأن ساق النرجس تشبه القلم المجوف وتستمد عبرها الماء من الأرض،
والشخص الذى يعانى من ألم الأسنان يجب أن يشرب الماء بالماصة فقد أتى
محمد طاهر غنى الكشميرى بمثل هذا المضمون العجيب فى تشبيه عين
المعشوق ومنافسة النرجس لها وتلقيها صفة من يد رياح الصبا :

تكلمت النرجس عن عينك فصفعتها رياح الصبا على قمها

وهى تشكو الآن من ألم الأسنان وتشرب الماء بقلم البوص

وعندما يرى الشاعر نفسه أنهم قد عدوا عين المحبوبة ناعسة وكل من
يذهب إلى الحانة يعود سعيداً ومسروراً، يستنتج الآتى :

عندما خرج مرود الكحل من عين الأحبة قال

سيروا إلى الحانة لكى تزيلوا غبار الخاطر

ويصنع شوكت البخارى الذى مر ذكره من ظل هذب عين النملة الفرشاه
ويعطيها ليد الرسام لكى يرسم بها فم المحبوبة الدقيق :

من ظل هذب عين النملة صنع الرسام الفرشاه
وأخذ يرسم بها فمك الدقيق
ويقىس أيضاً فى موضع آخر شحوب لونه بسرعة حامل الرسالة :
من شدة الضعف لا أقوى على شكر الرسول
فإن لوني يصير شاحباً عند حمل الرسالة
وشاعر آخر من شعراء هذا الأسلوب يسقى سيف المعشوق الخمر فيسقط
قتلاه سكارى فى كل جانب :
لقد سقط قتلك سكارى فى كل جانب
فهل سقوا سيفك خمراً
وننقل عدة نماذج أخرى لأبيات فردية غزيرة المعنى لشعراء هذا العصر :
إن ديار العدم ذات جو صحى بديع
سكانها كلهم قد ناموا بثوب واحد
كليم الكاشانى
عندما كانوا يصفون شراب أنوار التجلى
صارت رواسبه شعاعاً للقمر وخلصته شحمة أذنك
بيدل الدهلوى
إذا ظهر فتق حذائى فإن هذا ليس عيباً
فإنه (أى الحذاء) يضحك على سيرى وتجوالى بلا فائدة
كليم الكاشانى

إن الدجال يعرف ذلك الجحر الذي تنبعث منه رائحة الثعبان
وأنا أعرف رائحة ذؤابتك إذا نقتها في المسك الخالص
شيداي الهندي

من ثورة الفلك يهتز ماء وجهي
ككأس ممثلة تحملها يد مرتعشة
بيدل الدهلوي

إن اللقمة تسقط من الفم عندما لا تقسم مع أحد
فانظر ذات يوم إلى الجير الذي يتساقط من جذور الأسنان
واعظ

عليك أن تحل مشكلتك بنفسك فإن حلالى المشاكل عاجزون
فالظفر لا يستطيع أن يخلع عقلة واحدة من الأصبع
مشرب

وحتى أن الشعراء الكبار والمشهورين في هذا العصر مثل هاتفي
الجامي، وأهلى الشيرازي، وهلالى الاسترآبادي، وزلالى الخوانساري،
قد وصلوا بالتلاعب بالألفاظ والعبارات أيضاً إلى أقصى درجة وأفرطوا في
استخدام الرموز والإشارات الدقيقة.

ويعد مثنوى "سحر حلال" للشاعر أهلى أحد عجائب فن الشعر الإيراني
وطلاسمه ويمكن قراءة هذا المثنوى بوزنين وكل بيت منه له قافيتان. أما
حافظ هذا العصر فهو محمد على صائب التبريزي (توفي سنة ١٠٨٨ هـ - ق)

والذى ترك ديواناً ضخماً من الغزليات والرباعيات، وفى وسط هذه الغزليات التى تعد تقليداً وتكراراً لأشعار أساتذة الغزل السابقين، يمكن فى بعض الأحيان اكتشاف مفردات متميزة ذات إشارات ورموز فنية، وهى فى الواقع نوع من النقش النفيس والبديع فهى جميلة وفاخرة مثل السجادة والخاتم الإيرانى، وقد جرت هذه الأبيات على ألسنة العامة كالأمثال الشعبية^(١).

إلا أن صائب ومجموعة أخرى من الشعراء مثل فيضى الدكنى الذى نظم ديوان أشعار، وترجم أعمالاً أدبية عديدة من الهندية إلى الفارسية (توفى سنة ١٠٠٤ هـ ق) وعرفى الشيرازى والذى نظم أشعاراً كثيرة ومثويات بأسلوب الأساتذة القدامى (توفى سنة ٩٩٩ هـ ق) وكذلك عدة أشخاص آخرين ممن كانوا قد رحلوا من إيران إلى الهند وعاشوا فى بلاط السلاطين المغول فى الهند، لا يمكن اعتبارهم من الشعراء الذين تربوا فى إيران نفسها.

وشعراء هذا العصر كثيرون والأشعار التى بقيت عنهم لا حصر لها وكأن مرض نظم الشعر قد استشرى فى هذا العصر، فكل شخص - سواء فى إيران أو تركيا العثمانية أو الهند - يعرف قدراً من الفارسية وصاحب قدر قليل من الموهبة الشعرية كان يحاول إعداد دفتر أو ديوان شعر باسمه.

يقال إن شاعراً يدعى غواصى اليزدى كان ينظم فى اليوم الواحد خمسمائة بيت من الشعر، وكان عمله فى فترة عمره الطويل والذى امتد تسعين عاماً هو نظم الشعر، وقد ادّعى قبل موته بأربعين سنة ما يلى :

(١) كانت الفطرة الإيرانية الشعرية قد أدركت جيداً أن كثرة أشعار صائب ليست فى صالحه حيث إنهم اختاروا أبياتاً من ديوان غزلياته باسم "گلجین صائب تبریزی" و"منتخبات أشعار صائب" و"صائب سخن می گوید" و"زبده أشعار صائب" وقاموا بطباعتها.

ما هو معدود حتى الآن من شعري ألف وتسعمائة وخمسون كتاباً
وقد نظم هذا الشاعر غزير الإنتاج الشعري كتب روضة الشهداء ،
وقصص الأنبياء ، وتاريخ الطبري ، وكليلة ودمنة ، والذخيرة
الخوارزمشاهية، ولكن لا يوجد حتى بيت واحد من كل أشعاره يستحق
الذكر.

وكما يروى سام ميرزا فقد كان هناك شاعر يدعى سيمای المشهدي،
كان ماهراً جداً في فن "التلقين" الذي راج في العصر الصفوي لدرجة أنه كان
ينظم في كل ساعة ألف بيت سخيف وبلا معنى^(١).

والخلاصة أن سوق الشعر في هذا العصر قد تعرضت لحالة من
الكساد الشديد لدرجة أن زلالى الخوانسارى يصف سير جواده بهذه العبارات :

إن ظله في الصحراء وهو يقفز كالغراب الذي فقد عشه

أما "وشانى" أحد الشعراء الآخرين لهذا العصر فقد حصل من الشاه
عباس الكبير على مقدار وزنه ذهباً مكافأة له على نظم أحد الأبيات في مدح
أمير المؤمنين على مع أن هذا البيت ليس له أية قيمة من الناحية الفنية، وهذا
البيت هو :

لو سحب العدو أو الحبيب الخنجر

فإن هذا بسبب حاجب محبوبه المقوس^(٢)

(١) تربيت، دانشمندان آذربايجان، ص ٨٥. ي

(٢) يمكن مقارنته بأشعار شعراء بلاط السلطان محمود الغزنوى والسلطان سنجر
السلجوقى والذين كانوا يحصلون على الجوائز من ممدوحيهـم.

فترة الأفول :

فى أثناء الفترة شديدة الاضطراب التى أعقبت أفول نجم الدولة الصفوية وحتى اعتلاء فتحعلى شاه عرش السلطنة لم يكن هناك بالقطع أى مجال لنمو وتطور الأدب، ولم ينطق أى شاعر بالشعر فى هذه الفترة لدرجة أنه يجب اعتبار هذا العصر أفقر عصور الأدب الإيرانى.

ولم يهتم نادر شاه بالشعر ولا بالشعراء وكذلك لم يهتم به الشعراء^(١) وليس معلومًا إذا كان كريم خان قد أعطى جائزة شعرية لأحد^(٢)، لكن على الرغم من ذلك كان عصر كريم خان أكثر ملاءمة لمثل هذه الأنشطة الأدبية والفنية، وأن الخان الزندى كان قد أخمد الفتنة والثورة التى كانت قد اشتعلت فى إيران عقب مقتل نادر، حيث كان كل ركن من أركان الدولة قد سقط فى يد أحد المتمردين الأقوياء، وبذلك حقق الهدوء النسبى للشعب.

كان هذا هو حال الشعر الفارسى فى القرن العاشر وحتى القرن الثانى عشر الهجرى.

رواد النهضة الأدبية :

فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر - آخر عهد الأفشاريين وقبل أن يجمع فتحعلى شاه الشعراء، فى بلاطه الرائع بقليل - أدرك الملل ذهن الناس من الأسلوب المتكلف لعصر المغول وانتيموريين وعيوب الأسلوب

(١) مقالات ملك الشعراء بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بين صفحات ٧٤٨-٤٤٣.

(٢) المرجع نفسه.

الهندي من تنسيق العبارات وحشوها بالصنعة البديعية والتكلف في الألفاظ، وبدأت نهضة كبيرة نسبياً في الشعر الفارسي.

مدينة أصفهان : رغم أنها تعرضت للدمار الشديد إبان الفتوحات الأفغانية وتشنتت شمل أهلها، ومع أن كريم خان الزندي، كما قلنا، لم يكن محباً للشعر أو راعياً للشعراء، ولم يكن هو نفسه يقيم في أصفهان، ورغم غياب المقومات السياسية والاجتماعية لظهور مثل هذه النهضة في هذه المدينة - فقد أصبحت مركزاً للنهضة الحديثة، وقام اثنان أو ثلاثة من أصحاب الذوق والقريحة بالإعراض فجأة عن الأسلوب الهندي الشائع وقلدوا طريقة الأساتذة وأسلوبهم هؤلاء الأساتذة عاشوا قبل خمسة أو ستة قرون، وهياؤا المجال لظهور شعراء أفضل منهم.

وكان أشهر رواد هذه النهضة الأدبية سيد محمد شعله الأصفهاني (توفي سنة ١١٦٠ هـ ق) وميرزا محمد نصير الأصفهاني (توفي سنة ١١٩٢ هـ ق) صاحب المثنوى المعروف "بير وجوان" ، وكان أشهرهم وأهمهم مير سيد علي مشتاق أحد السادات الحسينية بأصفهان (توفي سنة ١١٧١ هـ ق) والذي تمتع بذوق وقريحة عالية في نظم الغزل، وقد سعى في تأسيس النهضة الحديثة أكثر من الجميع وقاد الآخرين لمحاكاة وتقليد أسلوب الأساتذة القدامى.

ونظراً لتوجيهاته وتشجيعه فقد تجمعت حوله مجموعة من الشعراء الشبان الذين كان معظمهم من أهل أصفهان. ويجب أن نذكر منهم آقا محمد خياط عاشق الأصفهاني (توفي سنة ١١٨١ هـ ق) ، وآقا محمد تقى صهبای القمي (توفي سنة ١١٩١ هـ ق) ، ولطفعلی بيك آذر بيگدلی شاملو (توفي

سنة ١١٩٥ هـ ق) ، وسيد هاتف الأصفهاني (توفي سنة ١١٩٨ هـ ق)،
وحاجي سليمان صباحي بيدگلي الكاشاني (توفي سنة ١٢٠٦ هـ ق)

وقد كان هؤلاء أول المجددين لأسلوب القدامى وكان مشاهير شعراء
عصر فتحعلي شاه في الغالب تلاميذهم وربائبهم.

وقد ظهر في وسط دائرة نفوذ هذه الطبقة أشخاص آخرون كانوا
يعارضونهم ويعتبرونهم منحرفين وفاسدى الذوق، وكانوا يتعرضون لهم
بالطعن والذم.

ويكتب الصباحي لصديقه ومساعدته رفيق الأصفهاني فى الشكوى من
هذه الجماعة المعارضة وتعظيم الأساتذة القدامى :
لى شكوى من أبناء العصر

وأنت تعرفها فهى للحق أمر واقع فى هذه البلاد
إنهم لم يبحثوا عن الطريق وثبتوا على الطريق فى الإرشاد

لم يقتفوا أثر الحقيقة وجلسوا فى دائرة التحقيق
أوصلوا صرخة الفضيلة إلى عنان السماء وهم لا يعرفون

السهيل من السها والصهيل من النهيق
يطعنون فى "الخصر" وهم ضالون فى وسط الوادى

يضحكون على "توح" وهم غارقون فى وسط البحر
يطلقون لسان الذم والطعن فى العظماء

والذين كانت أشعارهم هى طليعة الشعر وفى منزلة زهرة الشقائق

أكثر من ستمائة رقدوا فى التراب
وتراب قبورهم يغير منه المسك الخالص
لا أحد من أهل الدنيا ينكر بلاغتهم
سواء كان وضعياً أو شريعياً، عبداً أو حراً
وعالم مثلك شاهد على صدق دعواهم يستحق أن
يسمع التصديق على هذا من الروح الأمين
لا ينكر هذه الطبقة إلا بالخير
من يطابق بين اللفظ والمعنى
عندما يعجز الشخص عن فهم أسلوبهم وطريقتهم
فإنه يفكر لنفسه فى مخرج من المضيق
فيلصق بالشاعر القديم تهمة الهذيان
وينسب للشعر القديم التلغيف
لقد كانت طريقتنا هى اقتفاء أثر الأساتذة
والسائر خلف هداة الطريق لا تصل إليه الطعنات

جمعية نشاط : وصل ميرزا عبد الوهاب نشاط رئيس شرطة أصفهان
إلى حكومة تلك المدينة فى عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد التفت حوله
جماعة من الشعراء، وكانت هذه الجماعة بصيرة بالأمور الأدبية، وأساليب
الشعر المختلفة أكثر من الجماعة الأولى، لكن انفرط عقد جمعية أصفهان

وتفرق أعضاؤها بعد أن قام فتحعلي شاه باستدعاء نشاط إلى طهران.

شعر البلاط : باستقرار حكم الأسرة القاجارية استطاعت الدولة الإيرانية أن تتنفس الصعداء، وعلى الرغم من أن أسلوب حكم هذه الأسرة لم يختلف كثيراً عن أسلوب العصر السابق في العنف والحرب والقتل فإنه، على كل حال، قلما تعرض أفراد الشعب لبعضهم بعضاً بالإيذاء بل واستراحوا إلى حد ما، من عمليات السلب والقتل والنهب التي كان يقوم بها المتمردون والخارجون على القانون والذين كانوا قد ظهوروا وأشاعوا الفوضى في كل ركن من أركان الدولة حتى استقرت هذه الأسرة.

وقد أسهم استتباب الأمن نسبياً واستقرار الحكومة الموحدة أيضاً في إحياء العادات والمراسم القديمة من جديد، ولم يجد آغا محمد خان مؤسس الأسرة القاجارية فرصة بالطبع لتشجيع الشعراء بسبب انشغاله بالحروب والانتصارات، إلا أن ابن أخيه وخليفته فتحعلي شاه قام بإعداد بلاط فخم في طهران وقرر أن يعيد حياة بلاطات العصور القديمة بما فيها من عظمة وجلال، وأن يجعل بلاطه مثل بلاط السلطان محمود الغزنوي والسلطان سنجر السلجوقي، وقد كان رجلاً قليلاً لا يعرف شيئاً عن العالم، وكان شغوفاً باللهو والمرح والنساء وراغباً في كثرة الأولاد، وبرغم هذا كله فقد كان لديه قدر من التعليم والثقافة - فهو الرجل الذي عرف تاريخ إيران وكان يقرأ الشاهنامه ولم يكن هو نفسه بلا نصيب من الشعر فقد بقيت عنه غزليات كثيرة بتخلص "الخاقان".

وعلاوة على الشاه نفسه الذي كان يلاطف الشعراء كثيراً ويمنحهم الجوائز القيمة، كان هناك أفراد من عليّة القوم مثل قائممقام الفراهاني كانوا هم أنفسهم كتاباً ومن أهل الفضل والكمال، وكانوا يقومون بتشجيع الشعراء

والكتاب ويعلمون الأمراء القاجاريين الشعر والأدب والخط منذ طفولتهم، ويعتبرون رعاية الشعراء بالنسبة إليهم نوعاً من التميز والشهرة، فقد كانوا يتسابقون في هذا الأمر، ويمنحون الشعراء الجوائز والهدايا الثمينة^(١).

وعلى هذا النحو تجمع مئات الأفراد من شعراء الغزل والقصيدة من كل صوب حول الملك الشاعر والناقد، وكان على رأسهم جميعاً ملك الشعراء بهار وذلك أملاً في التقرب إلى مركز السلطة ونيل الجوائز والهدايا والحصول على لقب "أفضل الشعراء" ونيل لقب ملك الشعراء، وأسسوا مجتمعاً أدبياً باسم "مجمع الخاقان" ونظموا الشعر في مدح اليد الكريمة للممدوح العظيم وولى عهده الشاب الوطني عباس ميرزا نائب السلطنة والأمراء الآخرين والقادة والوزراء ورجال الدولة، وقد ظهر من بين هؤلاء عدد من الشعراء المجيدين ذوي الموهبة والقريحة مثال صبا ونشاط ومجمر.

العودة : وكان هدف هذه الجماعة هو تحرير الشعر الفارسي من الخراب والفقر اللذين حاقا به في العصر الصفوي والفترة المضطربة التي تلتها، إلا أنهم لم يجدوا طريقاً للوصول إلى هدفهم غير العودة إلى الأسلوب القديم في النظم واتباع طريق الأساتذة العظام أمثال الفردوسي والعنصرى والفرخى ومنوچهرى وحافظ وسعدى وهو الطريق نفسه الذى كان قد سلكه من قبلهم الشاعر مشتاق ورفاقه.

وقد كانت العودة لأسلوب القدماء عودة كاملة بلا قيد أو شرط، وعلى حد قول نياما "عودة من أمام العجز إلى ناحية الأساليب القديمة المختلفة"^(٢)

(١) مثلما أعطى لفتحلى خان صبا أربعين ألف مثقال ذهب مكافأة له على نظم "شاهنشاهنامه" وأقرض معتمد الدولة نشاط أربعين ألف تومان من خزانة الدولة.

(٢) نياما، ارزش احساسات، صفحات ٥٠ ، ٥١.

فكان شعراء هذا العصر يحاولون إحياء أشعار السابقين بشكل كامل وبلا أى نقص وحاولوا نظم أعمال تتساوى مع أشعار عظماء العهد القديم، فأخذ ملك الشعراء فتحلى خان صبا ينظم الشعر الملحمى والحربى على نسق الشاهنامه وبنفس الوزن والترتيب، وأخذ سروش ومجمر يقلدان قصائد الفرخى والمعزى الجميلة، وأخذ أشخاص مثل معتمد الدولة نشاط يؤلفون غزليات فى سلاسة وجمال أشعار حافظ، وأخذ كل منهم يعلن عن مهارته وكفاءته فى تخصصه لدرجة أن أشعارهم لم تختلف عن الأعمال التى نظمت قبل خمسة أو ستة قرون من حيث مراعاة المسائل الفنية الدقيقة، وعلى هذا النحو عاد عصر السعديين والخاقانيين إلى الحياة مرة أخرى فى شعر بلاط فتحلى شاه وخلفائه مع فارق يتمثل فى أن الأساتذة القدامى كانوا يهتمون بمعانى ومضامين أشعارهم وأقوالهم أكثر من تقيدهم بالوزن والقافية والبلاغة، فى حين أن شعراء عصر العودة كانوا يحاكون أشعار العصور السابقة أو يقومون بما يعرف بالتتبع أو الاقتفاء دون أن يكون لديهم مثل هذا الفكر والإحساس بفنهم، وأفضل ما يقال عنهم إنهم كانوا صناعاً مهرة أفذاذاً؛ فقد كانوا يصبون مجموعة من الألفاظ والعبارات البراقة اللامعة وفقاً لرغبة وتوصية زبائنهم فى القوالب التى كان نموذجها قد وضع تحت أيديهم من قبل، ثم يسلمونها لصاحب العمل.

وأحياناً كان الممدوح رفيع الشأن يبدأ غزلاً أو قصيدة ثم يأخذ الشعراء نفس هذا المطلع ويتبعوه بالعبارات التى يحبها هو^(١)، أو كانوا هم أنفسهم

(١) مثلاً كان الشاه قد نظم مصراع "الكأس فى يد الساقى سافر الرأس" فى وصف إحدى حسناوات جناح الحريم التى ثملت من الخمر وأمسكت كأساً فى يدها، فأكملة مجمر أرجالياً وقال "سهيل فى شعاع الشمس" [سهيل هو اسم نجم نادر الظهور].

يختارون قصيدة أو غزلاً للأساتذة ويقيمون مسابقة حولها ؛ بمعنى أنهم يحاولون فقط بنفس وزن وقافية هذه القصيدة أو الغزل أن ينظموا أى شيء يمكن أن يتساوى مع العمل الأصلي من حديث المتانة والانسجام^(١). فأخذ ملك الشعراء صبا - ينظم قصيدة فى وصف مجلس شراب الخاقان والأمراء متتبعاً شعر الأنورى:

عندما هبط هذا الطائر العملاق ذو الجناح الذهبى عند الفجر
من السماء وأظلمنى بظله المبارك
طفت أغنى متقائلا إذ إن جناح هذا الطائر
ليس له معنى فى الدنيا إلا التاج ..
ويقوم مجمر بنسخها بعبارات أخرى وفقاً لذوقه.
عندما ظهر هلال صفر فى سقف القبة الخضراء
كان بالفعل كخط ذهبى فوق الكرة الزرقاء
كان يظهر على تلك الدنيا الأزرق هذا كهندي جالس فوق الرماد...

(١) للأسف لم تمح بعد بدعة المحاكاة و"اختبار القريحة" وقد شملت الآن أيضاً شعراء المحافل، والكثير من هذه الأشعار النضرة ذات التشبيهات والاستعارات الجميلة والوزن واللحن الجذاب والتي تتشد فى المجالس والمحافل الأدبية بحماسة ومتعة كبيرة، تعتبر فى الغالب فقيرة جداً من ناحية المضمون لدرجة أنها عند ترجمتها إلى أية لغة أخرى تفقد تماماً لطفها وجاذبيتها التى كانت عليها فى اللغة الفارسية والشخص الذى يعرف رموز وأسرار الفن الشعرى الإيرانى هو فقط الذى يستطيع أن يفهم قصد الشاعر.

ويقوم ملك شعراء البلاط بتتبع شعر الأنورى مرة ثانية :

لتكن السماء أرضك أيها الملك ولتكن يد القدرة فى ساعدك

ليكن النجم الجامح والفلك العنيد هادئين ومروضين تحت سرجك

وعلى الفور يقوم مجمر بنظم نظيره :

ليكن الملك والدين ملازمين لك أيها الملك

ليكن كلاهما جليسيك إلى الأبد

وينظم صبا الأحجية فى وصف "الرمح" :

ما ذلك الثعبان الذى يمر على صدر عدوه

خيزرانى الجسم وحديدى الذيل وفولاذى الرأس

أحيانا ذيله حربة على وسط الثور وأحيانا رأسه منغرز فى كبـد الأسد

ويصنع مجمر أحجية أخرى بعنوان نامـه "الرسالة" بنفس البحر والقافية
والرديف:

ما ذلك البرعم الذى لا يتفتح مع رياح السحر؟

البرعم الذى ما من أحد يسمع الأسرار التى يفشيها لرياح الصبا !

لا منة من رشحة سحابه أو رشحة مطر

فسحابه ومطره من تنهيدة القلب ودموع العين !

ويحاكى نشاط شعراء الغزل القدامى :

هؤلاء الحسان اللاتي هن بلاء قلب أهل النظر

هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح

أو

سلمنا قلوبنا بأيدينا للعشق فإلى أين سيأخذها وماذا سيفعل بها

أو :

إن بشرى الإحسان تصل إلى أذننى فى السر

فأى بشائر تلك التى تعطينى الإلهام من الغيب

أو :

لا ضير إذا لم تكن عندى الثروة ولا زاد الطريق

فأنا ذلك الشحاذ الذى يعقد آماله على الملك

ويتفق معه أيضاً مجمر :

لو أنهم مع كل هذا الحسن والطف بشر

فهم إذن من سلالة أخرى ومن بلاد أخرى

لو كنت أنت صاحب الشهد وصاحب اللدغات

فالآخرون على حق، فأنا معك لا أدرى بنفسى

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى

حبذا خصم الصباح، حبذا الصديق الملازم

ذؤابة الحبيب فى يدى وعينى على القمر

فأنا أحذر من النهار المضىء بالليل المظلم

ويتتبع نشاط طريق الأنورى "

أطلب من الشمس هلال القمر الجديد أيها الملك

فانظر إلى حاجب المحبوبة واطلب الشراب من الساقى

ومن خلفه أيضاً سحب :

اطلب من الخمر إكسير الشباب أيها الملك

واطلب من الساقى السرعة من أجل طول العمر

وقد استمر نظم الشعر بهذا الشكل، وينظم قانى القصيدة، مقلداً شعر

الفرخى الجميل :

صعدت من البحر سحابة عند الصباح فى السماء المظلمة

تنج وتصب وتنثر الجوواهر

وسروش تقليداً لقانى أيضاً :

ظهرت من طرفى السماء سحابتان صائحتان

وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى فعلت الضوضاء من الناحيتين

نظراً لأن العمل الفنى قد قام على أساس المحاكاة والتقليد فإنه لم تعد

هناك أية فرصة للإبداع والابتكار أو أى مجال لأصالة الفكر والإحساس الحر

للشاعر، وقلمًا يلحظ في ثنايا هذه الأشعار التي كانت تنظم بهذا الشكل أوضاع العصر والأحداث الوطنية والاجتماعية، فكانت هناك فواصل وفجوات بين أشعار الشعراء والحياة نفسها، ولم يكن يُشار إلى آلام العصر وصعوباته ومشكلاته أو القلاقل والاضطرابات التي كانت قد عمت أرجاء الدولة والبلاط نتيجة الحروب والفتن والهزائم المتتالية والسياسات الوصولية التي اتبعتها الدول المجاورة أو فقر الشعب وذلّه وعجزه والذي كانت هذه الأشعار قد نظمت بلغته وفي محيطه، أما البلاط الإيراني فقد كان في واد آخر بعيدًا ومنفصلاً، فقد غرق في نوم عميق مع الشاه والأعيان والرؤساء مثل الدولة المسحورة في الأساطير وأصبح غافلاً تماماً عن الاضطرابات والإخفاقات والمظالم وكل ما يحدث في العالم الخارجي بوجه عام، أو كما يقول الشاعر الروسي "كانت طهران تضطجع على سرير الراحة أمام النافورات الجميلة وتتес منتشية بالنرجيلة في جو ملئ بالدخان"^(١)، وفي تلك الحالة من النعاس والسكر أخذ شاعر البلاط يمدح هؤلاء الملوك الغارقين في النعمة والغافلين عن عالم الوجود بالأعمال التي لم يفعلوها وبالصفات التي لم تكن فيهم وذلك ضمن مدائحه الممتلئة بالمبالغة، وقد كان المادح والممدوح كلاهما سعيدين ومسرورين مع أنهما كانا يعلمان مدى ابتذال هذا النوع من الشعر.

وبصفة عامة "فقد كانت حركة العودة انقلاباً قام به الشعراء لإسقاط

(١) من قطعة "المناظرة" تأليف ليرمونتوف التي أنشدها في هذا الوقت (سنة ١٨٤١م) وقارن عبرها بين الشرق والغرب.

السلطة الاحتكارية لنمط الأسلوب الهندي الذى ضاق به الجميع، ومحاولة إيجاد ملوك للطوائف فى الشعر والأدب مع فارق أنه لم تظهر أية شخصية أجمع من الشخصيات السابقة، فكان من السهل ظهور حفنة من المدعين والمزيفين من أمثال : سعدى المزيف وسنائى المزيف ومنوچهرى المزيف وغيرهم^(١).

وكانت مضامين أشعار هؤلاء المزيفين تتحصر بوجه عام فى المدح والثناء ووصف الصيد والشراب وحفلات السرور والطرب مع بعض الغزل والتشبيب أو تصوير الطبيعة والزمان كالربيع والخريف والليل والنهار أو التصوف والعرفان أو الشكوى من الزمان والتأسف على العمر الضائع، مع نوع من الاضطراب والحسرة والخوف والحزن والتشاؤم من كل شىء، وندرة أسباب الراحة، والسعادة التى لم تدرك ولم توصف بعد بشكل جيد أو الدوران حول الأشياء المبهمة التى لم تتخذ شكلاً معيناً أو ثابتاً إلا بعد ظهور الثورة الدستورية والأفكار التحررية وجرت بعد ذلك على لسان الشعراء والكتّاب. وما تقدم يكفى لمعرفة أسلوب ومنهج الشعراء وسمات وخصائص الفن الشعرى لهذا العصر ولا حاجة لنا بذكر أحوال وأشعار المجموعة الكبيرة جداً من شعراء الدرجة الثانية والثالثة المحترفين الذين كانوا يتطفلون على موائد الآخرين ولا يستحقون إمعان النظر، وكذلك الأمراء والقادة وأعيان البلاط والذين أنشدوا الشعر من باب التفتن والاستعراض أو التقرب

(١) مهدي إخوان ثالث (م.اميد) "نيما مردى بودمردمستان " [كان نيما رجلاً اجتماعياً] مجلة انديشه وهنر، العدد التاسع، فروردين ١٣٣٩ش [مارس/ابريل ١٩٦٠م].

إلى الممدوح والحصول على الجاه والمكانة^(١)، ومن بين هذه المجموعة سنقوم، على حسب ذوقنا وأسلوبنا وبقدر ما يتسع هذا الكتاب، بذكر عدد من شعراء الدرجة الأولى فقط ممن تحظى أشعارهم بالأهمية والذاتية إلى حد ما.

١- صبا

يعد فتحعلي خان الكاشاني والمتخلص بصبا أشهر شعراء بلاط فتحعلي شاه وهو ابن آقا محمد (ابن الأمير فاضل بيگ بن الأمير شريف بيگ بن الأمير غياث بيگ) من أسرة كاشانية عريقة، وقد خدم معظم أفراد هذه الأسرة في المناصب الحكومية، وكان جده الأعلى في الأصل دنبليًا^(٢) وقد

(١) ذكر الأمير محمود ميرزا بن فتحعلي شاه مجموعة كبيرة من شعراء عصره في تذكرة (سفينة محمود) على النحو التالي : الملك والأمراء ١٥، كبار القادة ٤، الوزراء والعلماء ٤، شعراء العراق ٢١٨، شعراء فارس ٣٣، شعراء خراسان ٣٤، شعراء مازندران وجيلان ٣٢، شعراء أذربايجان ١٧، والمجموع ٣٥٧ شخصًا والذين إذا أضفنا إليهم بنات الشاه وسيدات جناح الحريم اللاتي كن ينشدن الأشعار في بعض الأحيان، والشعراء المغمورين الذين كانوا يعيشون في أرجاء الدولة، ولم يعرفهم المؤلف أو تجاهلهم، فإن عددهم سيصل إلى ما لا نهاية.

(٢) حكم الأمراء الدنيليون فترات في أذربايجان في حدود خوى ومراغه، وقد كانوا تارة مستقلين وتارة تابعين للملوك الزنديين والقاجاريين، وقد أورد محمد بن يعقوب في المعجم أن الدنيليين قبيلة من أكراد مناطق الموصل خرج منها حمد بن نصر، والفقيه الشافعي وعلى ابن أبي بكر بن سليمان ومحدث الدنيلي، وقد جاء في تاريخ أبو الفدا أنهم كانوا من جنود السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي، ويقول شرفخان: يصل نسب هذه الطائفة إلى أمير من أمراء الشام يدعى عيسى، وقد جاءوا في العصور السابقة من تلك البلاد إلى إيران وتنسب هذه الطائفة ليحيى البرمكي (نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، وملك الشعراء بهار، مقدمة على "گلشن صبا" طبعة كوهي کرمانی، طهران، ١٣١٣ ش [٤-١٩٣٥ م].

رحل من هناك إلى العراق في آخر عهد سلطنة كريم خان الزندى وأقام في مدينة كاشان، وقد ولد فتحعلى خان في كاشان وكبر فيها^(١)، واشتهر في شبابه باسم آقا فتحعلى^(٢)، وكان من تلامذة الحاج سليمان بيك صباحى بيدكلى.

كان فتحعلى خان في البداية من مداحى البطل الزندى لطفعلى خان، وطبقاً لما هو معلوم فقد كان له ديوان في مدح هذا الأمير القوى الشجاع وقد مزقه عقب حادثة قتل أخيه خوفاً على روحه. وظل فترة مطارداً شريداً ومغضوباً عليه من قبل الجماعة الغالبة بسبب هذا الديوان حتى تقرب إلى باباخان (فتحعلى شاه فيما بعد) في الأيام التى لقّب فيها بملك العالم، ووصل إلى حكومة فارس من جانب آغا محمد خان، فقام باباخان والذى كان هو نفسه شاعراً ومتعلماً ورجلاً لطيفاً بدون شك، قام هو الآخر بتربيته ورعايته.

ومن مدائح صبا بشأن لطفعلى خان قصيدة مفصلة أنشدها عقب مقتل أبيه جعفر خان وجلوس صيد مرادخان بدلاً منه، ودعا فيها لطفعلى خان للتحرك من بوشهر والقDOM إلى شیراز من أجل إقصاء الأعداء عن السلطنة. وفيما يلي عدة أبيات من تلك القصيدة التى نظمها بأسلوب ووزن قصيدة الأنورى^(٣).

(١) تاريخ ولادته ليس معلوماً بالضبط وبالاستدلال الذى قدمه ملك الشعراء بهار (فى مقدمته على كتاب گلشن صبا/ ربما يكون قد ولد فى عام ١١٧٩ هـ ق).

(٢) ميرزا حسن زنوزى المتخلص بفانى مؤلف "رياض الجنة" يذكره فى كافة المواضع باسم آقا فتحعلى التبريزى.

(٣) مطلع قصيدة الأنورى هو :

إذا مررت على سمرقند يا رياح السحر فاحملنى إلى الخاقان رسالة أهل خراسان

اتجه يا رسول الشمال إلى ناحية ميناء بوشهر
عند الملك العظيم ذي الخصال الظاهرة كالشمس
الملك المتربع على عرش الملك لطفلى خان الذى
معينه هو اللطف العلى وحببيه الله المتعال
إيك دماً بعد تقبيل نساء حرمه
تضرع ألماً بعد تعطير غبار قدمه
وقل له على لسانى أنا المسكين مشئت البال
قل له على لسانى أنا الحزين مضطرب الحال
يا ملك الملوك يا حاكم العالم يا حامل راية دارا
يا ملك العالم الشاب يا مالك سيف رستم وسهراب

ألا تعلم ماذا حدث وماذا يقع على
رؤوس الخلائق من ظلم الفلك العدواني الطبع؟
الغوريون رفعوا كلهم التاج على رؤوسهم
والمحتالون وضعوا كلهم الخلخال المرصع فى أقدامهم.
أخذوا ثروة كل الرؤساء بالسلب والنهب
وأعطوا الأموال لكل العبيد بكبر

وهم يدقون الآن طبول الحكم باسم

ذلك الذى ظل ليلاً ونهاراً نديم الطبال

.....

فأرحم وتعطف على ذلك الشخص الذى ذاب فى النار

بعد أن تألمت أنت من رياح الشمال

مادام الشمس والقمر يتعاقبان فى السماء أيها الملك

فلا تخش من زوال نور إقبالك

لابد لابن أن يأخذ بثأر أبيه

حبذا لو كان ابناً مثلك أيها الملك المبارك الخصال

آن الأوان لكى تستنصر الحظ

آن الأوان لكى تتعجل القتال

ذلك الخسيس الذى يرخى قدمه الآن على الإيوان

ذلك الظالم الذى يجلس الآن على العرش

لقد كان له صدر يئن كالنأى خوفاً منك

وكان له جسد يرتعش كالرزور هلعاً منك

إن أهالى هذه البلاد كلهم فداؤك

صغيرهم وكبيرهم، نساؤهم ورجالهم...

وقد حضر فتحعلي خان إلى طهران في عام ١٢١١ هـ ق وأنشد في عيد جلوس فتحعلي شاه (١٢١٢ هـ ق) قصيدة جميلة أعجبت الملك^(١)، فعلا شأنه يوماً بعد يوم حتى لُقّب بملك الشعراء وحصل على اسم "الخان" ومنصب حسبة الممالك، وتولى أيضاً حكومة قم وكاشان لعدة سنوات ثم ترك بعد ذلك الحكومة، وظل ملازماً لركاب الملك، وعين فترة أيضاً حاملاً لمفاتيح عتبة قم المقدسة.

وفي آخر عام ١٢٢٣ هـ ق استشرى المرض والجفاف في قم، فحضر صبا إلى طهران بإذن وفرمان الملك وكُلف من طرفه بمأموريتين إحداهما في أذربايجان والأخرى في التركستان، وقد رافق صبا الملك في عام ١٢٢٨ هـ ق عندما قصد أذربايجان للمشاركة في جبهة الحرب الإيرانية - الروسية، لكنه مرض على بعد عدة فراسخ من زنجان وعاد إلى طهران، وحدث في هذا السفر أيضاً أنه تلقى الأمر من الملك في أثناء العودة بنظم كتاب في بحر المتقارب (بنفس وزن شاهنامه الفردوسي) بعنوان "شاهنشاهنامه" وقد أتمه صبا في أربعين ألف بيت^(٢) في مدة ثلاث سنوات^(٣)، وقد حصل على جائزة قدرها أربعون ألف متقال ذهبي^(٤). وفي عام ١٢٣٣ هـ ق

(١) كان مطلع القصيدة كالتالي :

شمسان بهما تجددت الأرض والزمان واحدة حُمِلت إلى القصر وواحدة إلى الفلك

(٢) عدد أبيات الشاهنشاهنامه المطبوعة لا يتجاوز ٣٣٠٠٠ بيت .

(٣) في ثلاثين عاماً هذه الرواية البهلوية أعدها الفردوسي شريكى

فطلب من الملك العظيم أن أنظمها فقامت بإعداد هذا العمل النفيس في ثلاثة أعوام.

(٤) يقال إن الملك قد قال له : لقد وعد السلطان محمود الغزنوى الفردوسي ولم يف

بوعده، ونحن دون أن نعد سننفذ وعد السلطان محمود فيك أنت.

حدثت مجاعة شديدة في خراسان، وكُلف صبا بأمر خراسان كرئيس لهيئة الإغاثة، وقد وصل إلى هناك بعد أن واجه مشقة وصعوبات كثيرة بسبب برودة الشتاء القارسة، وقام بتوزيع الإعانات على المحتاجين ثم عاد إلى طهران.

وبعد هذا السفر ظل صبا في بلاط فتحعلي شاه بصفته الخادم والنديم الخاص و"ملك الشعراء"، إلى أن توفي بطهران سنة ١٢٣٨هـ - ق بعد عمر دام ستين أو تسعة وخمسين عاماً، ويكتب جريبيا يدوف السفير الروسى فى البلاط الإيرانى بتاريخ ١٤ يوليو ١٨١٩م (١٢٣٤هـ - ق) ضمن كتاب رحلاته : "ويعد الشاعر فتحعلي خان البالغ من العمر ستين عاماً رجلاً مؤدباً ومتواضعاً وبشوشاً ويتكلم بهدوء ويحب القص والسرد، وقد وضع الملك فى فمه حفنة من الماس مكافأة له على إحدى القصائد"^(١).

شعر صبا : كان ملك الشعراء صبا متبحراً فى الأدب الفارسى، وكانت لديه إحاطة كاملة باللغة العربية ولقد أنشد أشعاراً كثيرة من الغزل والمثنوى والرباعى والترجيع بند، لكنه تفوق فى نظم القصيدة وهو فى هذا الفن، مع تقليده للأنورى، له أسلوب ومنهج خاص حيث قام قاً أنى وأديب الممالك الفراهانى وكثير من شعراء القرن الثالث عشر بتقليد ذلك الأسلوب بعد ذلك.

ويراعى صبا دقة الصنعة اللفظية والمعنوية بل إنه يستخدم الألفاظ والمصطلحات المهجورة وغير المتجانسة فى قصائده بمهارة كبيرة.

وديوانه من عشرة إلى خمسة عشر ألف بيت، وله بخلاف الشاهنشاهنامه التى سنتحدث عنها على حدة، مثنوى بعنوان خداوند نامه فى

(١) جريباييدوف، كليات، ليننجراد ، ١٩٤٥م.

بيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وحروب وبطولات سيدنا علي أمير المؤمنين، ورسالتان منظومتان بعنوان عبرتنامه تقليدًا لتحفة العراقيين للخاقاني، و"گلشن صبا" في نصيح ولده^(١)، ويعتبر "گلشن صبا" من أفضل أشعار صبا وقد نظمت هذه الأشعار تقليدًا لأسلوب سعدى وهى رصينة وبسيطة وسلسة جدًا.

شاهنشاهنامه : يعتبر مثنوى "شاهنشاهنامه" أعظم مثنوى لصبا، وهو قصة ملحمة بنفس وزن شاهنامه الفردوسى ونمطها ، وهو فى مدح فتحعلى شاه ذكر وقائع سلطنته ومآثر آغا محمد خان وأجدادهما وحروب عباس ميرزا ضد الجنود الروس وفتوحاته، ونصائح وموضوعات أخرى.

وقد أشاد المعاصرون كثيرًا بهذه القصة، حيث أتم الفردوسى الشاهنامه فى ثلاثين عامًا، أما هذا الأستاذ فقد نظم سبعين ألف بيت فى ستة أعوام، لكن "إذا حذف من السبعين ألف بيت مناقب آل البيت، والألفاظ الصعبة المعقدة التى لا يفهمها إلا الخواص وأهل العلم والأدب واللغة قلن يبقى منها سوى سبعة أبيات تعادل بيتًا واحدًا من أبيات الشاهنامه الثلاثين ألف..^(٢)".

ورأى المعاصرين فيه ليس رأيًا فيه مبالغة فحسب، بل إنه رأى ساذج، والشاعر نفسه برغم كل ادعاءاته ومزاعمه ووصفه لنفسه من باب التفاخر بأنه "شريك الفردوسى" و"الشاعر الحديث"، وتحذيره بأنه ينبغى عليهم أن "ينسوا الأشعار القديمة"، إلا أنه كان يعترف دائمًا أو على الأقل فى آخر عمره بالتفوق التام لمكانة الفردوسى.

(١) محمد حسين ملك الشعراء، المتخلص بعنديلين.

(٢) مجلة يا دگار، السنة الخامسة العددان ١ ، ٢ (نقلًا عن حديقة الشعراء).

يكتب مؤلف حديقة الشعراء :

«.... وقبل وفاته بأربعة أيام طلب ذات يوم وأهله وأولاده وأجرى حديثاً عن الشعر، وبعد ذلك قال لأحدهم اقرأ جزءاً من منظومتي "خداوندنامه"، وبعد ذلك قال لآخر : انشد بعض أبيات شاهنشاهنامه فأنشد هو الآخر، ثم قال احضروا شاهنامه الفردوسي أيضاً ولتقرأوا بعضها، فأحضروها وفتحوها وبالصدفة كان هذا البيت هو أول الصفحة :

يصير الجبل الصلب كالبحر السائل إذا سمع اسم افراسياب
وبمجرد سماعه لهذا البيت تغير حاله وأدرك في الحال الفارق الشاسع
بين أشعاره وأشعار الأستاذ..»^(١).

وفي مجال مقارنة "شاهنشاهنامه" بـرائعة الفردوسي الخالدة، يجب القول قبل أي شيء إن هدف شاعر بلاط فتحعلي شاه كان يكمن في نظم ملحمة تاريخية ، إلا أن تقليده الأعمى لأسلوب بيان الفردوسي قد أجبره على أن يتغاضى عن مراعاة الحقائق التاريخية، والقصة كلها ممثلة بالألفاظ القديمة، والتعبيرات والاستعارات كلها مأخوذة من الفردوسي أما شرح الحروب والبطولات فهو انتحال كامل لمعارك أبطال القصص الإيرانية، ويحاكي صبا قالب الفردوسي محاكاة عمياء دون أن يدرك تغير الوضع التاريخي واختلاف العصر، ويعتبر بحث الوقائع الحقيقية، في هذه القصة بلا فائدة، وجميع الأحداث غارقة وضائعة في بحر لا نهاية له من المحسنات البديعية، والفردوسي لا يتحدث إلا بحكم الضرورة أما صبا فإنه مشغول بتزيين الكلام، وبصفة عامة فإن عمله (شاهنشاهنامه) ليس إلا منظومة مدح معقدة

(١) مجلة يادگار، السنة الخامسة، للعددان ١، ٢ (نقلًا عن حديقة الشعراء).

فى شأن فتحتلى شاه وابنه عباس ميرزا، وفى الواقع فإن القصيدة قد أعطت مكانها لمنظومة مدح مفصلة فى قالب المثنوى.

وبالرغم من كل هذه العيوب الذى ذكرناها فإن قصة صبا جديرة بالاهتمام سواء من حيث جمال البيان أو إبراز رأى البلاط الإيراني وموقفه الرسمي بشأن الجار الشمالى: فالشاعر لا يستصغر العدو ولا يحقر من شأنه فى أى موضع من المواضع، وإنما يعرضه دائماً فى صورة العدو القوى القدير، وعندما ينتصر الإيرانيون فى نهاية الأمر على مثل هذا الخصم القوى العنيد فإنهم فى الغالب يتباهون ويفتخرون بفتحهم وانتصارهم.

وقد وُصف الجنود الروس وقائدهم بأبيات من هذا القبيل :

عجباً لقتال الجنود الروس ذوى الشعر الأشعث

عجباً للأتئين الذى يصدر من صوت الطبول

إنهم جميعاً فى فعل الشياطين وطبع السحرة

عروفهم وخوداتهم من النحاس والحديد

يمسكون فى أيديهم ثعباناً ضخماً من الحديد

فمه مفتوح كغار سحيق

كل منهم هائج كالذئب الجائع

مفترسون كالأسود

بقامة طويلة وساعد ضخم
كلهم بوجه كثيف الشعر مثل الأسد
وفي القلب "اشبخدر"^(١) قوى القبضة
كالنمر المفترس والتمساح الملتوى
كعفريت قامته من النحاس والحديد
وخوذته من الحديد ورمحه من الحديد
عجباً عندما يقوم بإشعال البركان
لا يقدر عليه الفيل الهائج
لو يمر من فوق موج البحر
يثير الشرر من قاع البحر
إنه في المعركة التين ذو النفس الحارق
يحرق العالم بنفسه الحارق
أشعل ناراً كثيفة في روما الجميلة
أشعل ناراً شديدة فيما حول روما

(١) على ما يبدو تحريف للكلمة الروسية "اينسبكتور" بمعنى المفتش ويُقصد بها الجنرال بول ديمترييفيتش سيسيانوف (١٧٥٤-١٨٠٦م) الأمير الجورجي الذي كان قائداً للقوات الروسية في القفقاز، وضم ولايات القفقاز لروسيا، وقد قتل خلف أسوار باكو بيد الإيرانيين.

وجعلها كشراب ساخن في كأسه

وكقطعة كباب من فخذ الخنازير

على هذا النحو وجد في الدنيا طعامه

وعلى هذا النحو تربي جسده

إلا أن قائداً كهذا بكل هذه العدة والعتاد يرتعش أمام العسكريين الإيرانيين
الشبان :

بتحريكه وتخطيطه في "كنجه"

المتحسرة وصار وجهه كالسرو الجبلى

خفية ولكن السر قد انكشف

فقد قلبت الرياح عرشه

فلم يحقق أحد النجاح في تلك الحدود

فإنك لن تتجو منه

ولا تجعل الحظ السعيد يعرض عنك

ومقبرة ملوكها كهف مظلم

فإن هؤلاء كالحوانات المفترسة

قد اختاروا مكاناً في الكهوف كالشياطين

أو من المشاهير والشجعان

قطاع طريق كالشياطين الأنجاس

وعندما علم "اشبخدر" ذلك الشيطان المقاتل

ارتعد جسده واحمرت شفاهه

أخذ يعض على شفاهه في كل لحظة عضه

أخذ يقول : إن حظ الإمبراطور قد ولى

لقد قلت مراراً إن إيران ليست الهند أو الروم

لا تذهب إلى تل العقارب بأمل ورغبة

اصمت ولا تذكر اسم إيران

فإن ترابها قد امتزج بدم الأسود

لا تنصت لهذه الشرزمة الذليلة من المأجورين

إنهم خوفاً من سيف ملك إيران

لا تظن أنهم ممن إيران

إنهم كلهم كالشياطين الأنجاس

لا أحد في إيران يعرف أسمائهم
أحدهم ذئب عجوز يدعى بولكونيك^(١)،
شيطان عجوز محنك
عندما رأى قائد الروس خائفاً بشدة
وفي الليل يطير النوم من عينه
قال له : يا قائد الجيش الروسي
ماذا حدث لك أيها البرق المضيء للدنيا
لقد تقدمت من جبال البرز إلى الهند
وفي تلك البلاد أيها الملك المثير للغبار

وأملهم خائب وضائع مثل أسمائهم
وهو قائد الجيش في تلك المجموعة
لديه دراية كبيرة في الزحف العسكري
وقد أصفر لونه كالسرو الجبلي
وأن روحه قد أصيبت بالفرع الشديد
هل ضحك عليك الشيطان ؟
إننى أرى فى عينيك ظلمة النهار؟
وأشعلت نار الانتقام فى بحر السند
لا يوجد بها مهرجا ولا جيبال ولا رايا

* * *

بكل هذه العظمة والفخامة والجلال
وتخشى طفلاً صغيراً^(٢)
لم يحتك بالعالم ولم ير أى عذاب
تربى على اللبن والسكر
نشأ وتربى داخل الإيوان الملكى

بكل هذه القوة الجسمانية والقدرة الحربية
لم يبلغ أكثر من ظل المظلة
جسده الحريرى الرقيق
طعامه من الحلوى الخالصة
لم يهزم إلا من شعر التركيات

(١) كلمة روسية بمعنى قائد الفوج أو العقيد، والتي تصور الشاعر أنها اسم لذلك الشخص.

(٢) المقصود الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة.

لم ينهكه تعب الحمى والذبول

أُتِظِلَّ هكذا بلا طعام ولا نوم ولا عقل

عدة نماذج من أشعار صبا :

قصيدة في وصف الربيع

حينما اتجهت هذه الزنبقة^(١) نحو برج الحمل

ومن الأرض الخضراء المائلة للزرقة تلون الغزلان

انظر الآن إلى قوس رستم فإن له

الطبيعة في جمالها كجناح الطساوس

في يوم كهذا لا يجوز العروض

ولقد فقت من مكان بمائة فرجة

وجلست على جواد سريع قاطع للصحراء

كان سرجه القمر وغطاءه السماء

إن كل مملكة ترى قد بدت أمام عيني

جوها مثل جو التبت في فصل الربيع

وفي مهده صلى الملوك

ويجسد مثخن بالجراح وروح مضطربة !

تلونت شفاه زهرة الشقائق باللون الأحمر الناري

بلون الزمرد وقدمها لون المرجان الأسود

تقوس القوس الشاشي كثير الثنايا

والأرض في فيضها كجناح الديك البري

حمل الهموم والتفكير في الرواق

وعزمت على تقبيل الأرض أمام الملك الحاسم الرأي

والذي سرجه الجميل هو إيوان برج السرطان

وركابه الشمس الجميلة وحزامه المجرة

وسبحان الله فقد تلونت الأرض بلون السماء

وأرضها معرض صور مثل كتاب متى

(١) كناية عن الشمس

مقدمة إحدى القصائد^(١).

فى الليل اتجه هذا الطائر العلقى نو الجناح النارى^(١)
بسط غراب^(٢) جناحيه من ناحية الشرق
جسده الجميل تغطى بالشعر الأسود
وكان خازن هندی قد نشر
وعندما خرج من هذه الغابة أسد صياد
صارت للأرض صرة مملوءة بالمسك الخالص
لأحدث بوضوح إلى أصحابى عن هذا الأمر
مصباحى فيها هو عين العقرب
ورفيقان مخلصان زنجى ورومى
فذاك الزنجى عزب الشفاه كان ثملاً جداً
وذلك الرومى قضى الجسد كانت ساقه كالياسمين

باسط جناحيه نحو الغرب
وأطل بجناحيه الأرض والسماء
وفى كل تجعيدة من شعره يظهر جناح فضى^(٤)
على هذا الجلد الأخضر غير المدبوغ^(٥) الجواهر^(٦)
حاد المخالب وانتقل ناحية الوادى الآخر
من صرة (نافجة) الغزلان بيض الأقدام
فقد كانت ليلة مظلمة وكنت أنا مهموماً
وحجرتى هى فك الثعبان
أحدهما على اليمين والآخر على اليسار
لدرجة أنه كان يمزق حرير شوشتر الذى يغطى جسده
والذى كان يدهن جسده بالكافور والعنبر

(١) تقليدًا لقصيدة الأنورى بهذا المطلع :

- حينما كنت تحت مركز السماء المدورة

(٢) الطائر النارى، كناية عن الشمس

(٣) الغراب، كناية عن الليل.

(٤) جناح فضى، كناية عن النجمة

(٥) الجلد المدبوغ، كفل الجواد، الجلد المدبوغ المغضن، كناية عن السماء.

(٦) الجوهرة، كناية عن النجمة.

حينما شاهدا حبي لهما فى الخفاء
فى البداية تطاول ذلك الزنجى على الرومى
فقال يا كذا وكذا، كم ظل
أنا التزم الصحبة فى مكان واحد
فتألم الرومى وتأثر بقوله
إننى حائر فى كل حى بسبب حيلتك
عندما ترى جسدى كجناح الطاووس
أنا مسافر فى الشرق والغرب
ومن "خدا وندنامه" فى التوحيد :

باسم الله مصـور الأبصار
رب هذا البلاط المزدان بالجواهر
ظهوره محجوب عن الخلاق
كل ذرة فى الشمس تدل على وجوده
انظر إلى البصير الخالق
فلك عين مفتوحة من خلال عقلك
وفى مدح الكلام :

إن حافظ العالم قد خلق العالم من الكلام

تساجر هذان الحبيبان بسبب الغيرة
وأطلق لسانه فكان فى الحدة كالمشرط
وجهى شاحب اللون بسبب الغيرة منك ؟
وأنت دائم الغمز واللمز على كل باب
وقال له أيها الفاسق المحتال
إننى هائم فى كل مكان بسبب خداعك
فإنك تقسيدنى على جناح الحمامة
من أجل نشر مدح الملك المظفر...

خالق العقل، ومصـور الخلق
رافع هذا البلاط العنبرى
ولكن الرؤية لا تخفى على الله
وكل قطرة فى البحر العميق تدل على وجوده
انظر بعمق إلى الرؤوف البصير
على بلاط خالقك العظيم

فقد ظهرت هذه الخليفة بفضل الكلام

والكلام أسمى من أى مخلوق	فالكلام جوهره أحسن من جوهر الخليفة
شهرة الرجل بين الناس بالكلام	لا بالعظام الصلبة ولا بالجسد الرقيق
من زادت قدرته على القول	زاد استحقاقه للشهرة والسمعة
إن المتحدث قلبه لا يهاب الموت	فالكلام مطرقة وخوذة حديدية تحميه من الموت
إن لسان المتحدث ما هو إلا خنجر	تارة يصب الشهد وتارة يبغ السم
كل حلاوته لهؤلاء العقلاء	وكل سمه من أجل الأغبياء
إن الشخص المتكلم لم ولن يموت	فالكلام هو أساس الروح وقوة الجسد
والكلام الطاهر لا يمكث فى التراب	وجسد المتكلم الطاهر ينطق فى التراب
الكلام هو السماء وأنا فيها الشمس	أنا نفس هذا المتكلم الطماع
إننى سأشعل الآن من الكلام ثورة	فلساتى صادق تماماً كالسيف الحاد
أعطينى كاساً من الشجاعة	كى أتمتع برأس كلامها مباشرة
استمع لقائل الكلام الجديد	واتس الأقوال القديمة

ومن گلشن صبا "الكاهن الزردشتى المسن" (١):

سمعت أن كاهناً زرادشتياً مسناً	فى تلك اللحظة التى كان يحتضر فيها
كان جسده الطاهر من أشعة الشمس	كالشمع فى النار وكالسكر فى الماء

(١) يمكن مقارنة هذه الحكاية بنظائرها فى بوستان سعدى ومخزن الأسرار للنظامى و"خانه سقراط" [بيت سقراط] تأليف عباس شهرى أحد الشعراء المعاصرين.

فقال له أحد الأشخاص : أيها الكهل المعمر
لقد احترق جسدك من أشعة الشمس
فلماذا لم توجسرك في حياتك
منزلاً مؤقتاً لدفع الأذى عنك؟
فتوجع وتأوه وقال : في هذه الأيام القلائل
لو كانت الراحة في الظل ما تعب أحد
فالعظماء قد تحرروا من الدنيا
ولم تتعلق بها قلوبهم مثلاً
فلا تتعلق بالدنيا وكأنك واحد من السالكين
ولا تجررى وراء السراب

٢- نشاط

ولد ميرزا عبد الوهاب "نشاط" أحد سادات أصفهان المشهورين بمدينة أصفهان عام ١١٧٥ هـ ق، وحكم جده عبد الوهاب أصفهان، وترك لأولاده أموالاً وثروة كبيرة، وقد حظى نشاط بنشأة طيبة وتعلم اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، وتميز على أقرانه في حسن الخط، وكان ملماً بالشعر والأدب الفارسي والعربي وعلوم عصره من العلوم الدينية والرياضية والفلسفة الإلهية والمنطق.

وعندما ظهر على الساحة صار من أشد المؤيدين لمدرسة "العودة الأدبية"، وفي الوقت الذي كانت فيه مدينة أصفهان مركزاً لهذه الحركة وهذه النهضة الشعرية والأدبية فتح أبواب مضيفته لاستقبال الكتاب والعلماء، وكان مجلسه مجمعاً للشعراء والظرفاء^(١) الذين كانوا يتجمعون هناك مرة واحدة كل أسبوع ويتحدثون بإفاضة، وقد قام هو ورفاقه بإنشاد الشعر بأسلوب القدامى وأحيوا من جديد منهج الأدب الفارسي القديم. وحضر نشاط إلى طهران سنة ١٢١٨ هـ ق حيث كان قد مضى من عمره ثلاثة وأربعون

(١) رضا قلى خان هدايت، مجمع الفصحاء.

عاماً، ووجد طريقه إلى بلاط فتحعلي شاه، وعين في منصب الكتابة والإنشاء ولقب بلقب "معتد الدولة" ثم عين بعد فترة رئيساً لديوان الرسائل وقد قيل في شرح أحواله : مع أنه لم يكن محروماً من أموال الدنيا وكان عنده دخل خاص من أملاكه في أصفهان إلا أنه نظراً لكونه رجلاً كريماً ومضيفاً فقد صرف كل ما معه في فترة قصيرة بل واقترض مبلغاً كبيراً من المال حوالي ثلاثين أو أربعين ألف تومان، ولكي يقوم بعض رجال البلاط بتوبيخ وتقريع الشاعر تحدثوا عنه عند الملك فقالوا : "إن الأكابر يأخذون أموال التجار بلا حساب ويأكلونها ظلماً" إلا أن هذا الكلام كان في صالح ذلك الرجل العظيم، فرق قلب الملك لحاله وأمر بأن يحضر الدائنون إلى البلاط ويأخذوا دين الشاعر من مال الملك راعى الشعراء، فكانوا يحضرون جماعة جماعة من الصباح إلى المساء ويحصلون على الصرر واللفائف^(١) وبعد أن وصل نشاط إلى رئاسة ديوان الرسائل، رافق الملك في كل مكان في السفر والحضر، وكانت معظم الأحكام السلطانية والفرمانات الرسمية ورسائل الملك الخاصة وعقود ووصايا أفراد الأسرة الملكية تكتب وتحرر بخطه وإنشائه، وقد ظل في هذا المنصب حتى آخر عمره.

وقد سافر نشاط إلى باريس ذات مرة ضمن أحد الوفود نيابة عن الملك، والتقى بنابليون الأول، وفي سنة ١٢٣٣هـ ق كلف بإخماد الفتنة والاضطرابات في "غوريان" و"باخرز"، وقد تولى بنفسه قيادة القوات ووقع في الأسر أثناء المعركة، ولكنه أجبر بنياد خان حاكم غوريان وباخرز أثناء أسره على كتابة رسالة إلى شجاع الدولة والى خراسان وطلب منه العفو،

(١) ديباجهء گنجينه، طهران، ١٢٦٦هـ ق.

وعلى هذا النحو هدأت فتنة بنيادخان وعاد نشاط إلى طهران، وفي سنة ١٢٣٧هـ ق كلف مرة أخرى بإخماد فتنة الأفغان وقد أتم هذه المهمة أيضاً بنجاح.

وقد عاش نشاط في طهران منذ عام ١٢٣٧ هـ ق وحتى آخر عمره، ورافق في الغالب أهل الطريقة والسلوك حتى توفي بمرض السل وهو في التاسعة والستين من عمره يوم الاثنين الخامس من ذي الحجة من عام ١٢٤٤ هـ ق (قبل موت ممدوحه بست سنوات) ^(١)، ويكتب قائممقام في أحواله : "تذوق الخمر دون أن يشربها، وثل من الكأس دون أن يلمسها.. خلع ثوب الطهر ذات مرة وألقى دعوى التقوى جانباً، فلم يعد يحب أو يكره أحداً ولم يبق في قلبه الكفر أو التدين... لاشك أن تصرفه كان مستبعداً في نظر الخلائق الذين وقعوا في فخ الأهواء ولم يتخلصوا من قيد الطبائع، وارتاب كل شخص في أمره ونسب إليه عملاً لم يكن له دخل به ولا يتفق مع عاداته..."

ويقول هو نفسه في إحدى الرسائل : " يعتبرني إمام المسلمين كافراً ورئيس الأطباء مجنوناً، وأنا وسط الجميع معروف بالضعف والعجز، وفي الأعمال موصوف بالإهمال والتخاذل، والمدهش جداً إنني بفضل اللطف الإلهي - برغم كل هذا - فأنا مقصد الأحباب ومحسود من الأعداء، فالعزة لله جميعاً. " وفي الرسالة الأخرى يقول : "... لقد تخلصت من أهوائى وقصدت رضا الواحد، وأنا معروف بالموسوية، ولكن ما الموسوى وما العيسوى، وما الأخرى وما الدنيوى؟ لأدين بدين الصدق. أنى توجهت ركائبه أرسلت دينى وإيمانى..."

(١) ذكر منصف القاجارى الشاعر المعاصر لنشاط تاريخ وفاته كالتالى : "ازقلب جهان نشاط رفته أى "رحل نشاط عن قلب العالم".

وقد طبعت مجموعة أعمال نشاط في بادئ الأمر سنة ١٢٦٦ هـ ق في كتاب بعنوان "گنجينه" ثم طبعت بعد ذلك سنة ١٢٨١ هـ ق في طهران بخط جميل بأمر ناصر الدين شاه.

ويشتمل گنجينه على : (١) المقدمات، والخطب، والأوقاف، والعقود. (٢) المدائح، والوثائق، والقصائد، والقطع (٣) رسائل وفرمانات فتحعلي شاه. (٤) الرسائل التي كتبها للملك والأمراء. (٥) الأشعار والقطع الأدبية والحكايات الأخلاقية.

نثر نشاط : تعتبر مقدمة ديوان الخاقان (فتحعلي شاه) ومقدمة شاهنشاهنامه لفتحعلي خان صبا بقلم نشاط، وكما قيل فإن نشاط كان يكتب ويحرر رسائل وفرمانات الملك ومكتوبات البلاط والأسرة المالكة بقلمه في بلاط فتحعلي شاه بحكم طبيعة منصبه، وقد كان خطه وكذلك إنشاؤه في عصره نموذجًا للكتاب وكانت تتناقله الأيدي.

ولم يكن أسلوب نشاط جديدًا بل كان تقليدًا لأسلوب القدامى المتأخرين و"أسلوبًا وسطًا بين وصاف والشيخ سعدى وكان يشبه أسلوب ميرزا مهديخان في حذف الأفعال وإيراد الأفعال الوصفية^(١)".

وفيما يلي عدة نماذج لكتابة المقامة عند نشاط :

- كان قد خطف النوم من عيني ليلة أمس خيال

رأيت فيه أن صرخة بلبل قد وصلت إلى أننى من الروضة

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسى، ج٣، ص ٣٣٢.

- فتسوقت روحى وعجزت يدي

ورحل الصبر عن قلبى وطار العقل من رأسى
وفيما يبدو أن أحد الأصدقاء والذى كان يقظاً في ذلك الوقت بحكم
عمله، قد تعجب لهذا الأمر وقال : وهل البلبل يصرخ وهو على غصن
الزهرة، ماذا حدث لك؟ أصرت غافلاً لهذا الحد؟ فقلت له اصمت فإن الذى
يحمل البلبل على الصياح فى روضة تلك الزهرة هو الواحد : ما من شيء
إلا يسبح بحمده، فعشق الزهرة هو الذى يدفع البلبل للصياح.

- فمن الذى شق جيوب الزهرة ؟

- أو من الذى أصاب البلبل بالقلق؟

ولو دوى صوت الفاخنة حول السروة الشابة، فما السبب إذن فى اضطراب
السرو؟ لو نظرت بعين الحقيقة ولم تسلك طريق الغفلة.

الكل يضطرب من ذكر اسمه يسألون عن الحبيب ويتحدثون عنه

* * *

لى قلب من الشكوى متحرر وشفاه عن الكلام صامتة

إن شفتى قد انعقدت وتوقفت عن قص ما تعلمته

وأنت عندك لغة بلا لسان

ماذا أقول وأنت تعلم كل ما أقول دون حوار وعما أبحث وأنت تلبى كل ما
أبحث عنه دون بحث؛ فالقول عمل اللسان والبحث رغبة الروح، وأنا نفسى
لست هذا ولا ذلك.

إننى حيثما كنت فلا يكون آخر سواك

من الشفاه خبر ومن القلب أثر

أين الشفاه التى تضع قدمًا فى ذلك الكلام

أين الروح التى تجد طريقًا فى ذلك الطلب؟

ولكنهم أطلقوا لسانى حتى أتحدث معك وأعطونى الروح حتى أبحث
عنك، فإذا لم أتحدث ظلت الصنعة عاطلة، وإذا لم أبحث ظلت الخلقة باطلة.

فى كل عضو من أعضائى انفعال آخر منك

أتظن أننى أعرف شيئًا عن نفسى

إذا كان للقلب أحيانًا حزن وكدر، أو للسان حديث وفقًا لذلك أو للقلم حكاية
عن هذين الاثنين أو شكوى فى رسالة فليس لى ذنب فى ذلك، ولا تزر
وازره وزر أخرى.

* * *

أنا فى حيرة لماذا باعنى السيد بدون مقابل

ألم يكن يريد شراء غلام، لماذا !

انظر ماذا حدث لك أيها السيد، كفى لك عارًا أننى عنك راحل، سبحان
الله، لماذا حدث هذا؟ كأنه كان حلمًا وسرابًا.

نمنا واستيقظنا ثانية أو سكرنا وأفقنا ثانية

عمومًا هل كان أصل وأساس السيادة هكذا بالضبط ؟

ربما لا تدري أنت نفسك سر قيّدنا فلا تلف حبالك حول صيدنا

من الآن فصاعداً دعنا نستريح لفترة وفق المراد بعيداً عن مشقة لقاءاتنا المفاجئة ومقالاتنا غير المفيدة حتى نرى ماذا سيفعل الله الذى أوصل حالنا لهذه الدرجة من الحزن والسلام.

شعر نشاط : يعتبر شعر نشاط بسيطاً وسلسلاً بالرغم من وجود بعض العبارات الممتزجة بالعربية واستخدام الصنعة الشعرية والتركيبات الغريبة والمجهولة وتكرار القافية "وهو أستاذ القصيدة والغزل معاً، وقصائده من مدرسة صبا ولكنها أبسط قليلاً"^(١) ، ولم يترك نشاط قصائد كثيرة، فنظم القصيدة المدحية ليس عمله الأساسى، ومع هذا كلما قام بالمدح والثناء بقصد التقرب إلى الملك أفرط فى هذا الأمر ووصل بالتملق والمداهنة إلى أعلى درجة، مثلما وصف رجلاً مثل فتحعلى شاه لا دراية له بالجندية بعبارة "سماء فى وسط الدرع" و"شمس بجوار المغفر" ومدحه فى أحد مثوياته بهذه العبارات :

إذا كانت لفريدون شهرة من الحديد

فأنت من السيف الفولاذى الذى يشق الحديد

إن الأرض حفنة من غبار عتبتك والسماء عدة حجب على بابك

أى ذات تعلو على ذاتك غير ذات الله ؟

إذا كان هذا هو الملك فكيف تكون الألوهية !

حتى وصل إلى :

(١) خطب بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بين صفحات ٤٣٣ و ٧٤٨.

- إن حكيم گنجہ الفصیح
الذى عنده كنز جواهر من المنظومات الخمسة
قد قال فى وقت ما اعتذاراً عن التقصير
إننى إذا كنت قد تأخرت فقد جئت سبعاً موفقاً
أما أنت حتى لو عرضت نفسك على هذا البلاط
وتظاهرت بأنك سبع موفق، فقد كنت ضبعاً فاشلاً
أما أنا فلم أتأخر عن الحضور إلى بلاطك فقط
بل وجئت حاملاً عشرات الذنوب
ولكنى لا أعرف سبعاً ولا ضبعاً
وكل ما أعرفه أننى كلب هذه العتبة
وقد تناول نشاط الغزل فى الغالب من بين أنواع الشعر، وتعد غزلياته
الجزابة التى لها طابع فلسفى وعرفانى "أفضل نموذج على غرار أسلوب
حافظ^(١)"
ومن قصائده^(٢):
أجمل الأشياء وأبهج الكائنات
من كل ما هو ظاهر وكل ما هو باطن

(١) المصدر السابق.

(٢) تقليدًا لقصيدة الأمير معزى، وهذه القصيدة كما رأينا قد قلدها أيضاً مجمر
الأصفهاني.

من الطيور البلب ومن الأوقات السحر
من الفصول الربيع ومن الأجناس الإنسان
من العهود الشباب ومن المشروبات الخمر
من النجوم الشمس ومن الشهور نيسان
من الأحجار الكريمة قلب الحبيب، ومن أحوال العيش التفكير فى الحبيب
من السيوف الحاجب، ومن الخناجر الأهداب
من الزينة التاج، ومن العطور العنبر
من الأعضاء العين ومن الفضائل الإحسان
من الأنبياء محمد، ومن المدن المدينة المنورة
ومن الأشجار طوبى ومن الجنان رضوان
وقصيدة أخرى^(١):

اطلب أيها الملك الهلال الجديد من الشمس
انظر إلى حاجب الحبيب واطلب الخمر من الساقى
استطلع كل ليلة هلال العيد بالنظر إلى حاجب الحبيب
وفى وقت الهلال اطلب كأساً من الخمر المتوهجة

(١) محاكاة لقصيدة الأنورى :

- اطلب الخمر أيها الملك وتناول صبح الفتح والنصر
اطلب الترد والنديم والمطرب والعود والرباب

عندما ينثر الفجر أوراق الورد وتذهب أدراج الرياح
اطلبها تارة بالمصحف وتارة بالكتاب
إذا استمعت بالنهار إلى قول الزاهد
اطلب الكفارة بالليل من لحن الصنج والرباب
لو فكرت في سؤال الحساب
اطلب من الحبيب كأس خمر بلا حساب
حين تأخذ جرعة من ذلك الشراب الناري
اعتبر الخصم قشة على النار ورسمًا على الماء
إلا الأحباء لتكن قلوبهم راضية عنك
فأى قلب يطلب غير رضاك هو طالب للخراب
واطلب السعادة دائمًا من "الصبا" و"السحاب"
روضة مجلسك - لتكن دائمًا مفعمة بـ "النشاط"
ومن غزلياته :
إن الطاعة لا تأتي في الحال فيجب ارتكاب ذنب
يجب الوصول إلى قلب الحبيب بأية حيلة
لقد أصبح إنسان العين موطئًا للشحاذين
وقصر القلب يستحق أن يكون هو العرش الملكي

إن النجوم الفلكية لا تؤثر فينا
أما دوران العيون السوداء فيجب الحذر منه
ولما كانت الشمس مضيئة العالم تختفى عن الأنظار ليلاً
فإنه يجب خلال هذه المرحلة الاعتماد على نور القمر
فلتسعد وتسير في الطريق يا قائد القافلة
ويجب أن تمر بجانب طريق مضلل
لا يجب بالضرورة امتلاك كل هذه الأهداب السوداء المصفوفة
ولكن يجب النظر أيضاً إلى صف العشاق الولهانيين
يجب مراعاة جانب الحبيب بنظرة واحدة
ويجب هدم دولة العدو بجيش واحد
إن استحالت مجاورة الحانة يا "نشاط"
فيجب السجود كل صباح من بعيد

* * *

إذا مللت من قصتنا فهناك حكاية أخرى
وإذا ضاق قلبك بنا ذرعاً فهناك مجنون آخر
لى معشوق فى خلوة الروح لا يخفى عن عين الدنيا
ولا سبيل إليه سوى القلب الغريب

إذا لم يعجبك قلبي فضع القدم على روحى
فإن لى فى ذلك الجانب منزل آخر أكثر خراباً منه
لماذا أنت مهموم، لماذا أنت مكتئب إذا كنت تحترق وتتعذب
فأنت مجموعة شموع وحولك من كل جانب فراشة أخرى
بكأس واحدة نقضتُ العهد، أخاف أيها الساقى
أن أنقض العهد بعد ذلك بكأس أخرى

* * *

طفل من كل بيت يتتبعون المجنون فى هذه المدينة
يا رب ماذا يفعل قلب المجنون فى هذه المدينة
إن القلب لا يرغب فى مرافقتنا، انظروا
فإن المجنون لا يملك البقاء فى هذه المدينة
لو أن الهوس بخصلة شعرك يقطع طريق القلوب
فإن المشكلة أن يبقى القلب عاقلاً فى هذه المدينة
لماذا نحرق الشمع فى كل تجمع وما الفائدة
فقلب الفراشة لا يحترق فوق الشمع فى هذه المدينة
لم يعد أحد يسمع حكايتنا
فإن جنوننا قد أصبح خرافة فى هذه المدينة

إذا ضاق المكان في حيه، فما العمل
نحن غرباء وهناك منزل واحد في هذه المدينة
إن السيد ينوى إعمار المنزل، بالله
إن المجنون لا يملك البقاء في هذه المدينة
لم أر زاهدًا ولا ماجنًا في هذه المدينة
فقد أغلقوا باب المسجد وباب الحانة في هذه المدينة
لا أعرف لماذا يهرب القلب من "تشاط" [السرور]
إن المجنون لا يملك البقاء في هذه المدينة

* * *

هؤلاء الحسان اللاتي هن بلاء قلب أهل النظر
هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح
لا يمكن إعطاء العشاق قلبًا مهمومًا
وإلا فالحسان أخيار وليسوا ظلمة ولا أشرار
طهر القلب من أية شائبة وادخل بعد ذلك
فإن المقيمين في الحانة هم أهل النظر
إن القدم فوق رأس العالم والرأس أسفل قدم الحبيب
حتى لا تقول إن هذه الطائفة بلا قدم وبلا رأس

يجب أن يكون الهم هو شأنك الذى فيه سعادتك
وإلا فإن السعادة والهم هما شأن العالم الفانى
وجهه مدور ومزين ليلاً ونهاراً
والعشاق غافلون عن فتنة دوران القمر
أنا ونسيم السحر حائران هكذا من عبيرك
أم أن كل المتيمين بك هائمون هكذا؟
لماذا يبحث الخلق عن سر وجودهم يا "تشاط"
والماء والكأس ليس فى مقدورهما أن يفهما حقيقتهما

٣ - سحاب :

هو ميرزا سيد محمد "سحاب" ابن سيد أحمد هاتف الأصفهاني (فى الأصل من أهل اردوباد بآذربيجان)، من شعراء عصر فتحعلى شاه ومن مادحيه، وكان سحاب ملماً بالعلوم النظرية الإيرانية القديمة، وكانت لديه معلومات غزيرة فى الطب والنجوم، وقد حظى بمكانة واحترام لائقين عند فتحعلى شاه، ولسحاب أشعار بسيطة وسلسلة وجذابة وديوانه ينتظم حوالى خمسة آلاف بيت، وقد أهدى فتحعلى شاه نسخة منه إلى آوسلى^(١) السفير الإنجليزى فى البلاط الإيرانى.

(١) Sir Core Oueseley

وعلاوة على نظم الشعر فقد كان متبحراً أيضاً في علم الشعر والفنون الأدبية، وقد ألف تذكرة رشحات سحاب باسم فتحلى شاه ولكنه للأسف لم يتمها وتوفي سنة ١٢٢٢هـ ق. وربما كان سحاب يعلم جيداً مدى لغو شعر البلاط وعبثه ؛ بمعنى تنسيق عدة ألفاظ ونسج عدد من المصاريح في مدح الأشخاص، والتي يكون مضمونها في الغالب لشخص آخر، وتوضح هذه الأبيات جيداً مدى اشمئزازه وخجله من الشعر :

كيف يصل الشخص إلى كمال النفس بدون حسن العقيدة

وأى كمال لمن ليس عنده حسن العقيدة

لا يوجد لا شعر ولا نظم على الإطلاق

وأنا أتساءل فى حيرة علام كل هذه الضجة

ألا يسأل أحد عقب تنسيق عدة ألفاظ

ما هذا التخریف أيها البلهاء عديمو الفضل

فى مقابل مصراع أو اثنين يخالفان الحقيقة

تفكرون كل هذا التفكير فى الجاه وتحلمون بالمال ؟

إن الشعر أصله من الخيال ونوعه من المحال

فما كل هذا التفكير المحال من أجل الخيال؟

من عدة ألفاظ فارغة لم يدع التفوق كل من يشعر بالخجل والحياء

مائة نوع من هذا الكمال عند أهل الرأى والعقل

ماذا تساوى أمام حسن طبع شخص عامى محمود الخصال ؟

لأفرض أن النظم هو بحر الدر ومنجم الجواهر
فماذا يساوى أمام كلام الله عالى الصفات؟
وله أيضاً هذه الغزليات :

أريد أن تكون آهتى فى فراقك مشتعلة كالبرق
حتى أضئ بها نهارى المظلم
لا دلال ولا غمز فى فرمائه، وكأنه ملك
لا يستطيع أن يمنع جيشه من الانهيار
شكوته ذنب فى حقنا وهذا الذنب يتحملة القلب المعتذر
فكيف سنطلب نحن عذر المعتذر؟
ما أكثر ما رغب فى التحلى بالحياء
فكان يلقى كل لحظة نظرة على نفسه
لا أمان لأمير القافلة من أذى الطريق
طالما أن الدليل قد ضل طريقه
برغم أن "سحاب" قد أصبح شيخاً مسناً
فإنه يضيع عمره على قمر صغير السن

* * *

لا مكان لعشق الأحبة إلا القلب الخرب
لأنه كنز ومكان الكنز ما هو إلا الخراب

لقد كانت الفردوس جميلة ونعمها وفيره ولكن
لا نعمة كالخمر ولا مكان أفضل من الحانة
لم ير أحد من أهل الدنيا حكيماً واحداً في العالم
فكل من يطلب الدنيا هو بوجه عام ليس حكيماً
ذؤابته المصيدة وخاله الطعم أما صائدي
فلا حاجة له للمصيدة والطعم حتى يصيد القلب
لماذا يكون هذا القلب المفتون مجنوناً دائماً
بذؤابتك مع أنه غير مجنون
لن أبـوح أبداً بسرّك للقلب
فسر عشقك لا ينبغي أن تعرفه أذن أى غريب
تبت عن الخمر أيها الزاهد ومنذ الآن سأنقض
العهد ولكن ما لم تكن فى الكأس خمر
إن قصة ليلي والمجنون يا "سحاب"
بالنسبة لحسنه وعشقى ليست إلا أسطورة

* * *

إن سهمك لا يخترق جسدى ربما كان جناحى أقوى من سهمك
والحريق الذى اشتعل فى القلب بسببك ما زال
يمكن مشاهدته تحت رمادى

وشفاهاك العذبة تعاقبني بأن تضع لي السم في شرابي المنعش
تارة كأسى تكسر التوبة وتارة توبتي تكسر كأسى
قلت له ما هي صورة ماء الحياة؟ فقال إنه تراب عتبتى
وجواهر عيني هي الدموع أما الشعر

فهو جوهر موهبتى الشعرية الفياضة
وإن لكل جوهرة صدفة يا "سحاب"

والعين والقلب هما صدفتي وجوهرتي

٤ - مجمر :

ولد سيد حسين الطباطبائي الأردستاني المتخلص بمجمر ابن سيد علي بقصبة زواره بأصفهان في آخر القرن الثاني عشر الهجري^(١)، وبعد أن حصل على قسط من التعليم في بلده ذهب إلى أصفهان ودرس فيها العلوم الأدبية، وانضم لمجموعة من الشعراء الذين كانوا قد تجمعوا حول نشاط، وظل فترة في أصفهان ثم ذهب إلى طهران بعد ذلك مع معتمد الدولة نشاط وفي هذه الأثناء كان فتحلي شاه قد ذهب إلى آذربايجان لظروف الحرب مع روسيا فذهب مجمر إلى آذربايجان بصحبة نشاط وقدم للملك في معسكر

(١) تاريخ مولده ليس معلوماً بالضبط، وقد قيل إنه عاش ٢٥ أو ٢٦ سنة، وبرواية أخرى ٣٥ سنة، وبناءً على هذا فإنه قد ولد سنة ١١٩٩ / ١٢٠٠ وبأصح الروايات سنة ١١٩٠ هـ ق.

إيروان وهناك عرضت على مسامع الملك قصائده وغزلياته^(١)، وبعد عودة الملك إلى العاصمة (شهر رجب سنة ١٢١٩هـ - ق) تربي مجمر في كنف معتمد الدولة^(٢)، ولقب بلقب "مجتهد الشعراء" سنة ١٢٢٢هـ - ق، وهو العام الذي توفي فيه مير سيد محمد سحاب ابن هاتف، و "كتب ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة بخطه الشريف فرمان لقبه مجتهد الشعراء"^(٣).

وقد ظل مجمر لسنوات نديما لحسنعلي ميرزا بن فتحعلي شاه، وكان يجد من الأب والابن الجوائز والإنعام والملاطفة، و لو كان قد امتد به العمر لوصل بالتأكيد إلى أعلى الدرجات^(٤)، ولكنه للأسف توفي في ريعان شبابه سنة ١٢٢٥هـ - ق^(٥).

(١) منها قصيدة بهذا المطلع :

- عندما ظهر هلال صفر في سقف القبة الخضراء كان بالفعل كخط ذهبي فوق الكرة الزرقاء .

(٢) ولكن بعد ذلك "دفعته وساوس أصحاب السوء وهواجسه النفسية لمخالفة أستاذه ومربيه والوشاية به، علاوة على أنه ميز نفسه على الأستاذ في مرتبة الشعر والفضل... فاستاء منه معتمد الدولة ودعا عليه بالهلاك، فأخبره هؤلاء الحاسدون بحال معتمد الدولة فأدرك أنه أخطأ في حقه فطلب منه السماح ولكنه لم يفلح في ذلك، وكان سهم دعاء الأستاذ قد أصاب الهدف ولهذا فقد مرض وتوفي " (مجلة يادگار، السنة الخامسة ، العدد ١ و ٢، نقلاً عن كتاب حديقة الشعراء.

(٣) مقدمة ديوان مجمر، طهران، ١٣١٢.

(٤) رضا قلي خان هدايته، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية، طهران، ج٥، صفحة ٩٧١.

(٥) أورد محمد طلعت الأصفهاني تاريخ وفاته بهذا الشكل في إحدى القطع :

لقد طلب طلعت من العقل تاريخ رحيله فقال قل "رحل الشاب سيد حسين مجمر"

والأشعار التي نظمها في أثناء إقامته في أصفهان ليست موجودة ، إلا أن بعض أصحاب التذاكر الذين التقوا به في أصفهان قد شهدوا على شهرته وصيته هناك. وقد ترك مجمر قصائد وقطع وتركيب بند وأشعار في الهزل والهجاء ومثنوى بأسلوب تحفة العراقيين للخاقاني وقطع نثرية بأسلوب گلستان الشيخ سعدى، أما ديوانه الذي يشتمل على حوالى ثلاثة آلاف بيت فقد طبع في طهران سنة ١٣١٢.

ويعد مجمر من شعراء القصائد، وقد مدح الملك وابنه وأعيان الدولة في أغلب قصائده التي قد نظمها بأسلوب الأنورى والخاقاني والمعزى.

ومن قصائده :

في أنحاء العالمين، من الظاهر والباطن
أجمل الأشياء التي خلقت بفضل الله
من العقول الأول ومن الأرواح القدس
من الأعضاء العين ومن العروق الشريان
من الرسل جبريل ومن البشائر البعثة
ومن الأصول التوحيد ومن الفضائل الإيمان
من السادة أحمد ومن العبيد يوسف
من الأوصياء حيدر (سيدنا على) ومن الأتقياء سليمان

من الخواص الضاحك ومن الفصول الناطق
من الأجناس الجوهر ومن الأنواع الإنسان
من السجاجيد المروج الخضراء ومن القطرات الندى
من السحب آذر ومن البحار عمان
من القبلات الكعبة ومن الأعمال الطاعة
من الأعياد الأضحى ومن الفدى الأضحية

وقصيدة فى التهنة بعيد الفطر :

الحمد لله أن تحولت مرة أخرى
السجادة إلى الكأس والتسبيح إلى الزنار
فقد رحل هؤلاء الذين فتحوا باب زاوية الشيخ
ورحل أولئك الذين أغلقوا باب منزل الخمار
وعاد صفاء قلب الماجنين شاربى الأقداح
وعاد قفل باب التزوير ومفتاح باب الأسرار
فليس فى مجال الوعظ إلا الواعظ وهو أيضًا
مثل النقطة عديمة الفائدة داخل دائرة الفرجار
كم يستغرق الانتقال من المنزل إلى المسجد بحثًا عن الإيمان؟
عمومًا الأحبة لا يبيعون الهم فى السوق

إن ذرة غبار واحدة من طريق الحبيب بمائة تسبيحة من تسبيحات الزاهد
وحديث واحد من شفاه المحبوب بمائة دفتر من دفاتر الواعظ
وأغنية واحدة من قلب الصنج بمائة آذان للمؤذن
ولحن واحد من أوتار العود بمائة ابتهاج مسجع
لو أن الزاهد لم يقل كلاماً فارغاً فلماذا
لا يلقي قوله بعد ثلاثين يوماً سوى الإنكار !
لقد صمنا ثلاثين يوماً ولم نر سوى تعصب القلب
وضعف الجسد واصفرار الوجه
لو كان للصوم روح وجسد، لكان
كالمرحاض المهجور والسيف الذي اعتلاه الصدأ
لقد أقبل العيد وولى الصوم فأعطنى الخمر فلم أعد
أتحمل الخجل من الخمار أكثر من ذلك
لو أنه لا ينبغي رفع الكأس على الشفاه
فلماذا يظهر القمر فى السماء على هيئة فم الكأس ؟
من الآن فصاعداً أنا ولذة العيش التى لا عيش بدونها
من الآن فصاعداً أنا والعمل الذى لا ينبغي غيره
إن الحفل والمنادمة والغناء كلها من لذة العيش
والخلوة والصحبة والمنادمة كلها من الحبيب

وفى أحجية القلم :

أنا سحابة أنثر الجواهر أنا مثيرة غضب بحر عمان
أرأيت الطائر الذى ينثر العطر؟ فأنا ذلك الطائر أنثر العطر
أنا ثعبان ولكنى لست فى طبع الثعبان يخرج الشهد من طرف سنتى
أنا ناثر السكر كما أننى ناثر العبير أنا شفة المحبوبة ونؤابة الأحبة
كل ما هو سر فى الفلك خرج كله من جيبى
لى فى نثر الدر وصب الجواهر طبع الوزير ويد السلطان
وله أيضاً هذا الغزل :

لو كنت أنت صاحب الشهد والآخرى هم أصحاب اللدغات
فأنا معك إذن لا أدري بنفسى
فى أى عضو من أعضائك تطبع القيلة؟ إن الفقير لا يعرف
ماذا يفعل عندما يجلس على مائدة السلطان
الكل يستحق وصالك وأنا أقلهم
الكل حيران فى جمالك وأنا أكثرهم
تضرب السيف ولا تعلم كم هو حاد على الآخرين
كذا الذئب فى القطيع لا يعرف حالة الشاه
إذن ماذا يريد هؤلاء القوم من الأرواح الجريحة؟
إذن عم تبحث هذه الجماعة فى القلوب المهمومة؟

أسير فى طريق ولكن بآلاف الأمنيات
أضع قدماً ولكن بآلاف الهموم
لقد ذهب "مجر" إلى بلاط الملك، فقل للفلك
مهما فعلت فإنه سيأتى عندى وبعد ذلك سيكون عندك

* * *

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى
حبذا خصم الصباح، حبذا الصديق الملازم !
لا ضير إذا دخل الخراب من السقف والباب
فإن بيت الماكن خراب وبيت الشحاذ بجوارى
أنت لم تمسك النار كى تعلم كيف أعتصر ألماً من شدة الحزن
إن السيد سيبيع لى همه فى مقابل ملك العالم لكن
قل لى كيف سأبيع همى أنا الغلام
كيف لا أشكو وأنت لا تعرف ماذا حدث لنا
ولماذا أصرخ وأنت تعلم ماذا فعلت بنا ؟
إذا كنت أنت لا تقدر على أن تغض عينك أمام الغير
فكيف أستطيع أنا أن أخفى المنة عن العين
لقد دعانى "مجر" الليلة إلى حفله وأنا أعلم

أنه سيعطينى النصائح حتى الصباح ولن أصغى إليها

هـ- وصال :

ميرزا شفيع الشيرازي المعروف بميرزا كوچك والمتخلص بـ "وصال" يعتبره مؤرخو الأدب الإيراني هو الآخر واحداً من أكبر شعراء عهد فتحعلي شاه وابنه محمد شاه. ولد وصال في عهد سلطنة كريم خان الزندي سنة ١١٩٢ أو ١١٩٣ (وبرواية أخرى سنة ١١٩٧ هـ ق) في أسرة شيرازية محترمة لأب يدعى محمد إسماعيل، ودرس العلوم المتداولة في عصره عند علماء العصر ومنهم ميرزا أبو القاسم سكوت أحد الصوفية المشهورين، وتعلم كتابة أنواع الخطوط ووجد طريقه إلى مجالس الأنس في ظل استعداده الأدبي وخطه الحسن وصوته الجميل وتخلص في أول أشعاره بـ "مهجور" ، وحينما ذهب فتحعلي شاه إلى شیراز لتفقد منطقة فارس سمع عن مكانة وصال وفضائله فطلبه للحضور، فقدم له وصال مصحفاً كان قد كتبه بأنواع الخطوط السبعة واستخدم في تذهيبه وتجليده قمة الفن والمهارة وأنشد أيضاً قصيدة منها هذه الأبيات :

يا مملكة جمشيد، بفضل الجناح الذي وصل به ملك العجم

امتلكت تاج خسرو ووصل إليك عرش جمشيد

إن روضة السرور قد تجاوزت خطر الخريف

واستقبل يوم الأمل نسمة الصباح

برغم أنك يا فارس قد سعدتني بظل الملك

فلتسعدى أكثر فقد وصل إليك أيضاً ظل الله ...

ويقال إن الملك قد أثنى على وصال لسعيه واجتهاده من أجل بلوغ الكمال، وأعطاه جائزة قدرها ألفا تومان، وخصص له مبلغاً من المال ومساعدة عينية كل عام.

وكان وصال رجلاً حنوناً وزاهداً وحسن المعشر، وكان له أصدقاء كثيرون من بين أهل التصوف والأدب، وأقام علاقات وطيدة خاصة مع قانلى، والأوقات التى كان فيها قانلى فى شيراز قضائها الاثنان معاً فى الغالب.

وقد أصيب بالعمى فى آخر أيام حياته وتوفى بشيراز سنة ١٢٦٢ هـ ق فى عهد سلطنة محمد شاه القاجارى وهو فى التاسعة والستين من عمره.

وقد قام وصال بترجمة "أطواق الذهب" للزمخشرى إلى الفارسية وألف رسائل أيضاً نظماً ونثراً فى الفلسفة والكلام والموسيقى والعروض وتفسير الأحاديث، وألف كذلك كتاباً بعنوان "صبح وصال" بنفس أسلوب الجلستان، وقد طبع ديوان وصال فى طهران طباعة حجر فى مجلد كبير قد اشتمل على مدائحه ومراثيه ومثنوياته وغزلياته وأعماله الأخرى.

شعر وصال : يعد وصال أستاذاً فى فنون الشعر، وبرغم تقليده للسابقين فقد حافظ على السمات الأساسية لأفضل نماذج الشعر الكلاسيكى، ونظم مثنوى "بزم وصال" فى بحر المتقارب، وأتم بمنتهى المهارة والكفاءة قصة "شيرين وفرهاد" لوحشى والتي كانت ناقصة، لدرجة أنه من الصعب على أى ناقد دقيق النظر اكتشاف وجه الاختلاف بين بداية القصة ونهايتها، كما أن محاكاته البديعة لغزليات سعدى تتميز كلها بدقة النظر.

ويعتبر وصال شاعر مدح وشاعر قصيدة وبه كل صفات أى شاعر
ينتمى للبلاط، وقد مدح فتحعلى شاه ومحمد شاه وشجاع السلطنة وحاكم
فارس وعدداً من أعيان فارس، وديوانه كما يقول هو نفسه "مملوء بمدح
النجباء" ومع هذا كان قد أدرك مثل سابقه سيد محمد سحاب عدم قيمة شعر
البلاط وظل يعانى من الحرفة التى كان قد احترفها :

أما من أحد يقول لى ما هذا الكلام الفارغ

أى قبـح فى القول والفعل والسلوك

أية حرفة هذه التى احترفتها

فعلى عين القلب مشروط وفى قدم العقل شوكة!

هل أصبحت معلماً للأدب، وعلى هذا أصبحت يائساً ؟

هل صرت بليغاً، وعلى هذا صرت حقيراً؟

برغم أن الفن أنقص من قدرك فإنك قد أثريته كثيراً

فهل تليق كل هذه الحقارة بفنان كبير !

أثريت الفن على حسب المقدور

وهو أنقص مقدارك أكثر من المقدور

ماذا وجدت من القوام حتى تقوسه بهذا الشكل

وماذا رأيت من العين حتى تجعلها مظلمة هكذا؟

ديوانك مملوء بمدح النجباء

ولم يكن في كيسك لا درهم ولا دينار

ثمة جماعة قد سلكت هذا الطريق من قبل

فالفائدة كلها في هذه الحرفة والنفع كله في هذا العمل

لم يجلس أكفأ الأشخاص بجوار الملك مثلهم

ولم يدخل أهم الأشخاص البلاط مثل هؤلاء القوم

إنك ترى بعينك كيف كسد سوق الأدب حالياً

فلماذا إذن تهجم على السوق بكل حماس ؟

أما الأفكار والمضامين الجديدة أو الابتكارات اللفظية فلا نجدها في ديوانه، كل ما هناك هو انعكاس لأشعار كبار الشعراء السابقين بمهارة وأستاذية فحسب، وبرغم ذلك فإن قراءة أشعاره تمنح القارئ متعة فنية كبيرة، وكل بيت من أشعاره يعيد إلى الأذهان بيتاً من أشعار الأساتذة القدامى. وقد زادت شهرته الأدبية كثيراً بفضل مراثيه المؤثرة التي قد نظمها بأسلوب محتشم الكاشاني نفسه .

ومن قصائده :

إن الجميع أيها الملك من البر والبحر والسماء والنجوم

يعترفون ويقرون بأن الملك ظالم

ومن بين هؤلاء البحر الذي يشكو من ظلم الملك

فيقول : لقد جف مائي بسببه واستويت الآن على الأرض

لقد أخذ كل مدخراتي ولم يقل هو نفسه
إن هذه ليست أرضاً حصوية وإنما هي جواهر ومرجان
وسكت البحر ورفع الجبل رأسه وقال حقاً !
فإن لي قلب يحترق بشدة من هذا الملك الجواد
إن ما رأيته من الملك لم يره البحر
فكيف يتساوى المرجان بالياقوت الأحمر !
إن الياقوت الأحمر الذي كان محرماً إلا على تاج الملوك
صار أكثر إذلاًة من الجنود عند بلاط الملوك
هل رأيت ذهبى وتلك العزة التى كان عليها
لقد تساوى الآن بتراب الطريق بسبب جوده
إن الجبل وأحجاره الآن أمام سخاء الملك
وكذلك أمام حلمه أقل من التبن
فرفعت السماء رأسها وقالت : وأنا شكوتى أكبر
فإن ثلجه يتزايد بينما سقفه يرتفع
ونجسومى التى لا حصر لها، أمام جيشه
لا تظنها نجوماً فجميعها محبوسة
والشمس التى ظلت عين ومصباح الدنيا
قد أمتلأ قلبها بالنار من مجمره الملك

ما إن قصـد أسـد رأته السماء
صار أسدى كالثعلب الهـزيل من شدة الخوف
ونسرى الجائع أرسل إلى صقر الملك
أكثر من مائة شكوى على جناح الحمامة
إن هذا ليس ملكاً إنه عدو البحر والمنجم
إن هذا ليس ملكاً إنه وباء السماء والنجوم..
ومن غزلياته :

اتفقت عيناك على قتلى
فقامت الفتنة وعندما هدأت عريت كل منهما مع الأخرى
كل حاجب من حاجبك يكفى لقتلى
ماذا أفعل مع هذين القوسين اللذين تحالفا معاً ؟
إن الشيخ محطم الكؤوس قد لقننا التوبة
وآه من هذه التوبة والكأس اللذين حطم كل منهما الآخر !
إن عقلى قد تشتت من أمر الدنيا
فقد انحلت جديته وعقدت أمرى
إن طائر القلب لمّا ح ولكن الفكاك من هذا الفخ محال
فإن ثنيات ضفيرته مجدولة معاً كالأنشودة

حاولت أن أشد سهم عشقه من قلبي
فضربني بسهم آخر وربط القلب واليد معاً
من الممكن جمع أى نقيضين معاً بالحيلة يا "وصال"
إلا الراحة والعشق فإنهما لا يجتمعان

* * *

لقد صورك الله بذلك الشكل الذى كان يريد
فكيف لا أشكر الله أيها القمر على أنه قد صورك؟
كل من هو قصير النظر يظن
أن كل هذه الفتنة من وجهك فاتن القلوب
والوجه الجميل يملكه الجميع فلماذا لم يخطف القلوب ؟
إن فتنتك وسلبك للقلوب من روحك الجميلة
إذن يا من أنت الكعبة المقصودة أرينا خذاً واحداً
فإن من كل ركن يقصدك مائتا مسافر
إن الغمزة الجريئة والنظرة الفاتنة والأهداب السفاحة
كلها من أسلحتك المجهزة لقتلى
لو فقدت روحى أنا العاشق المتيم بسبب لوعة حبك
ماذا يهمك أنت أيتها المعشوقة المحبوبة

نحن معك أطهار وأصفياء القلوب كالمرآة
فانظري من مرآتك حتى يظهر لك ذلك
لا تذكر "الوصال" ولا تمر على باله
فإن الراحة التي نلقاها منك ليست هي التي نلقاها منا

* * *

من ذا الذي رآك ولم يغادره قلبه؟
أو من ذا الذي جاء إلى حيك ولم ترحل عنه نفسه؟
إن يد السعى لن تحقق المطلوب أيها القلب
وإلا فإنني قد حاولت كثيرًا ولم أنجح
لقد جئت إلى هذا الحى من أجل الآخرين
وإلا فإن المنعم لم يطالب الفقير بالدين
لا تترك ذيل ثوب الحبيب بسبب لوم الآخرين
فإن الإنسان لا يرحل عن باب الحبيب بسبب الوشاية
بحثت عن قبة من شفاهاه فأصابني سهم أهدابه
من ذلك الشخص الذى بحث عن العسل ولم يلدغ
إن عقيدة عشاقك هي الذبح قرباناً لك
وأنا قربان الغريم الذى لم يرتد عن هذه العقيدة

ومن مثوى "بزم وصال" [أحفل وصال] :

كانت الليلة العاشرة من الشهر ولم يكن القمر مكتملاً

وكانه رسم كحاجب جميلات الفرنجة

حسناء فائقة، جميلة وجبذابة

أففة الهدوء ووباء الصبر

وردتها مسكية وسنبها بائع الورد

قمر يرعى المساء، وليل يحجب الصباح

في قامة الصنوبر وفي وجه الشمس

خالان مسلوبان، وساحرتان ناعستان

صدرها عين بالورية اللون

وداخل تلك العين قلبها الحجري كالرخام

عندما كان كفها المنقوش على كأس الخمر

ظهرت الشمس في الحال من وراء الهلال

ربما قد أصبح مفتوناً بوجهها فقيد نفسه بضفيرتها...

إن الدنيا ساعة فرح وساعة حزن وكل حزنها وكل فرحها قليل

لقد كان هناك جبل أكبر من جبل قاف

وكان كل شق من شقوقه يستوعب جبل قاف

الأرض من تحته مخفية نظراً لعظمته
وكانها نملة حبيسة في فم بعوضة
والشمس يا قوتة حمراء تخرجت من منجمه
اعترضتها السماء في منتصف الطريق
فأمرتها بالانشطار إلى نصفين
نصف عن اليمين والآخر عن اليسار والصعود فوق الجبل
من سيفه لحق براكبي الجياد ما
لحق بالمناطق الجبلية من البرق
عجباً كل من كان يلقي منه سيف الانتقام
كان يتخلص من المغفر ويتحرك نحو السرج
لقد أضحت الأرض سماءً مملوءة بالنجوم
وأصبح كل نجومها الجوزاء...
ومن مثوى فرهاد وشيرين :
تأهب الماهر لنحت الأعمال الفنية
وبضربات البلطة شق ذلك الجبل
وصنع تمثال تلك الجميلة
فكان شديد الشبه بها والتبس عليه الأمر

فقد سحب الخصلة العنبرية تماماً
كما رآها ذلك القلب الذى تاه فيها
وأغلق الفم ومنع النار
التي كانت تشتعل بسبب كلامه الكاذب والبذئ
وجعل قلب التمثال قاسياً وعديم الرحمة
تماماً مثل قلبها الحجر الصوان
فالشفاه الباسمة تعنى أننا مقربون
والرأس المطأطأة تعنى أننا أوفياء
نظرة حميمة تعنى أننا مواسون
لسان ناعم يعنى أننا مدبرون
إن الحسناء الفاتنة قيده من الرأس إلى القدمين لدرجة أنك
لو كنت أنت مكانه لسلمتها القلب فى يدها
ولما فرغ من نحت ذلك التمثال
وضع رأسه ناحية قدمها بسبب اضطرابه
وصرخ قائلاً حقق لى أملى أيها الصنم
انظر إلى عدم تحملى وامنحنى الراحة
إن العشق المحتال قد قيد يدي لدرجة
أننى أنا نفسى أصبحت وثيًّا وأيضاً عابداً للصنم

الفصل الثانى : كتاب النثر

مقدمة :

نظرة إلى الماضى : فى الفترة المظلمة من تاريخ إيران التى تبدأ من أوائل القرن السابع وانقراض الدولة الخوارزمية على يد المغول عام ٦٢٨هـ حتى أوائل القرن العاشر وظهور الشاه إسماعيل الصفوى عام (٩٠٥)، هذه الفترة التى امتدت لما يقرب من ثلاثمائة عام حكم فيها المغول والتموريون وأخلافهم وبعض الأسر الإيرانية فى أجزاء من إيران، كانت اللغة الفارسية والنثر الفارسى قبل هذه الفترة مكتظين بالكلمات العربية نظراً لسيطرة العرب، وخلال هذه الفترة دخل إلى اللغة الفارسية عدد كبير من الكلمات والاصطلاحات التركية والمغولية والجغتائية فى الأمور العسكرية والقضائية والاجتماعية والأسماء الخاصة والمصطلحات العامة ، كما دخلت اللغة الفارسية عبارات وتعبيرات من اللغة المغولية. آثار هذه الفترة مليئة بالأنين والشكوى وعدم الاهتمام بالدنيا والحياة الدنيوية، ومشحونة بالأفكار الصوفية والروحانيات الغيبية والغامضة وابتعد النثر الفارسى عن السهولة والبساطة وأثقلته الصنعة اللفظية.

ويُعد أديب شرف الدين عبد الله الشيرازى الملقب بوصاف الحضرة مؤلف كتاب (تجزية الأمصار وترجية الأعصار) ^(١) الذى يعرف بكتاب

(١) بُدئ تأليف هذا الكتاب فى عام ٦٩٩هـ، وتم تقديم القسم الأول من هذا الكتاب إلى غازان خان عام ٧٠٢هـ، وبقية الكتاب إلى أولجايتو سلطان محمد خدابنده.

(تاريخ وصاف) هو (المفسد الأكبر للغة الفارسية) ^(١) لم يكن التاريخ في يد هذا الرجل سوى أداة للتكلف والسجع، واعترف بنفسه أنه لم يكن يقصد كتابة التاريخ، بل إظهار الفصاحة والبلاغة، حيث يقول (إن هذا الكتاب عبارة عن مجموعة صنائع وفهرست بدائع وقاعدة للأساليب البلاغية وقانون البراعة، وإن الأخبار والأحوال التي هي صلب علم التاريخ تتضح مضامينها ضمناً).

هذا الرجل وضع قاعدة سيئة وبعد ذلك (للأسف تبعه وقلده عدد كبير) ^(٢) مثل شرف الدين اليزدي مؤلف ظفر نامه، وصاين الدين على تركه، ووحيد القزويني مؤلف تاريخ شاه عباس الثاني الصفوي، وبعد ذلك ميرزا مهد يخان مؤلف كتاب جهانگشای نادری ودرهء نادره.

في فترة حكم الدولة الصفوية والسنوات التي تلت انقراض هذه الأسرة المليئة بالاضطرابات حتى أوائل العهد القاجاري، تعرض الشعر الفارسي للأفول والانحطاط فضلاً عن أننا لا نجد أعمالاً نظرية مهمة في هذه الفترة ^(٣). كان الملوك الصفويون متعصبين للمذهب الشيعي ولم يهتموا سوى بكتب الأحاديث والأخبار والفقه والأصول، كذلك لم يكن هناك مجال للكتاب

(١) إدوارد براون : تاريخ أدبيات إيران از آغاز عهد صفويه تا زمان حاضر ، ترجمة : رشيد ياسمي ص ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) جدير بالذكر أن خوندمير حفيد ميرخوند الذي ولد في إيران وكان يعيش في الهند في بلاط أكبر شاه كتب تكملة لتاريخ جده، كما خلفت الفترة الأخيرة من العصر الصفوي عدة كتب قيمة مثل تاريخ شيخ علي حزين والذي لا يزال باقياً لكن هذا الأثر القيم به تكلف وتصنع وملئ بالأوضاع المؤلمة لهذه الفترة وكان يحكي عن القتل والغدر والخيانة.

والفنانين نتيجة للفوضى التي عمت البلاد بعد انقراض الأسرة الصفوية.

ونثر هذه الفترة، التي أعقبت المرحلة الماضية - نثر مليء بالغموض والتكلف والكنائيات الثقيلة والملتوية والكلمات العربية الغليظة فانحسرت اللغة الفارسية الأصلية، الأمر الذي كان يتطلب جهداً كبيراً لفهم هذا الأسلوب حتى من جانب الكتاب وأصحاب القلم وأدى هذا إلى ظهور كتاب (درء نادره) الذي يعد قمة هذا الأسلوب الصعب.

كاتب هذا الكتاب هو ميرزا مهديخان الاسترآبادي كاتب نادرشاه الذي بالغ في تقليد أسلوب وصاف، بل وزاد على أستاذه في التركيبات اللفظية الغامضة والكلمات العربية الشاذة، وأورد في كتابه آيات قرآنية، وتمادى وأفرط في هذا حتى أضاع الهدف الأصلي من الكتاب من خلال أسلوب المقامة واستعراض الصنعة، حيث إننا إذا حذفنا العبارات الفنية جميعها لن يتبقى لنا سوى عدة صفحات. وديباجة هذا الكتاب هي فقط التي توضح الغرض من تأليف هذا الكتاب، ومع أن كل القراء الأفاضل وأهل الفن اعتادوا كذلك على هذا الأسلوب من الكتابة الغامضة والملتوية إلا أنهم سوف يتعبون ويملّون من قراءة هذه الصفحات^(١).

وهذا الأسلوب في الكتابة الذي انتشر في القرن الحادي عشر والثاني عشر لم يكن مستخدماً فحسب في الكتابة التاريخية والمتون الأدبية بل استخدم كذلك في الرسائل الرسمية والبلاط والأحكام و(القرارات)

(١) للتعرف على النثر المشحون بالكلفة لميرزا مهدي خان أرجع إلى الاسترآبادي، ميرزا مهديخان (كاتب نادر شاه) درء نادره، باهتمام جعفر شهيدى، طهران مؤسسة آثار ملي سنة ١٣٤٢ ش.

والفرمانات، حتى أن الرسائل التي كتبت إلى ملوك أوروبا كانت قد كتبت بهذا الأسلوب.

النثر في عهد الدولة القاجارية

في عهد الدولة القاجارية كانت الغلبة للشعر، أما النثر فكان في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وكما رأينا فإن النهضة في الشعر الفارسي قد ظهرت من أجل العودة إلى أسلوب القدماء، لكن الاهتمام بالكلام المنثور كان قليلاً، وهذه النهضة والثورة في النثر لم تكن فقط قد تأخرت بل كانت أيضاً بطيئة جداً. ونثر هذه الفترة كان غالباً ما يكتب بنفس العبارات ونفس الأسلوب والطريقة التي كتب بها من قبل وليس له أهمية تذكر من الناحية الأدبية. وكتاب النثر في هذا العهد مثل فاضل خان كروسي، وعبد الرزاق بيك دنبلي، وميرزا صادق هماي المروزي كاتب الوقائع في مجلس فتحعلي شاه، وميرزا جعفر رياض الهمداني كاتب السفارة الإنجليزية، وميرزا طاهر شعري كاتب مقدمة كتاب (گنج شایگان)، وميرزا عبد اللطيف مترجم كلیلة ودمنة ومؤلف كتاب (برهان جامع در لغت)، وميرزا حیرت مترجم كتاب (تاریخ سرجان ملكم) أحد فضلاء الهند، وميرزا عيسى قائممقام الفراهاني، وميرزا تقی علی آبادی صاحب الديوان، وميرزا حبيب الله قا آنى، وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط، وميرزا رضى التيريزى وآخرين. كانوا مرتبطين بهذا الأسلوب إلى حد ما دون أن يحاولوا الترويج له. واستمر هذا الوضع حتى أواسط فترة حكم ناصر الدين شاه. على الرغم من وجود محاولات إصلاح النثر الفارسي على يد أناس مثل أبى القاسم قائممقام،

وقد استمر هذا الأسلوب متبعًا من قبل كتاب كثيرين ليس فقط في المكاتبات والرسائل الخاصة بل في المكاتبات الموجهة لملوك الدول، وتم استخدام العبارات الطويلة والسجع الأمر الذي كان يثير الضحك، ونرى ذلك أيضًا في فرمانات الدولة والرسائل الرسمية لهذه الفترة. وكنا نتعجب كيف كان الملوك والوزراء معجبين بهذا النوع من العبارات الجوفاء ويغدقون الأموال على هؤلاء الكتاب ويقربونهم إليهم من أجل هذه العبارات التي ليس لها معنى. ولتوضيح هذا البحث والاطلاع على التطور التدريجي الذي حدث في النثر الفارسي سوف نعرض عدة فقرات من المنشورات والقرارات والرسائل الرسمية التي صدرت بتواريخ مختلفة وسوف نعرضها حسب ترتيبها الزمني مع شرح لأحوال عدد من الكتاب المشهورين في هذه الفترة.

مقدمه قرار نائب السلطنة والذي بموجبه تم تعيين ميرزا محمد رضا صاحب ديوان الرسائل حاكمًا على ولاية آذربايجان وتفويضه على قرية ميلان التابعة لتبريز والتي كانت إقطاعية لوالده ميرزا رضا^(١).

"ذلك الذي رقم بأساليب ديوان (ن) وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ^(٢) حتى طرزوا رسائلنا بطراز (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(٣)، ووقعوا فضائلنا بخاتم (وَعَدَكُمْ اللّٰهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ)^(٤)، فقد أضحت فطرة سجيئتنا وجلبت نيئتنا مقرونة ببذل الكرم، ونشر النعم، وفصل الخطاب، وأفاضه الصواب، وكفالة المهام، ووكالة الآنام، وكل مختصر لمجمل هو تفضيل لمعاني

(١) صاحب كتاب زينة التواريخ والذي سيرد ذكره فيما بعد.

(٢) نون للقسم - سورة القلم آية ١.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٤) سورة الفتح، آية ٢٠.

ذاتنا (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) ^(١) وأضحى لكل صاحب تربية تفضيل من الكسرم الكافى (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ^(٢) ونعم السابقون (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) ^(٣) من سعادته (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ) ^(٤) وحضرتنا التى هى مهبط أنصاف، وصلوا إلى درجة (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) ^(٥) (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) ^(٦) والرضوان بعدل أمرنا الذى هو باقتضاء أصل الرضى ودأب المرضى فى الكتاب (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ^(٧) ثم (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) ^(٨) وسمعوا بشارة عنايتنا التى هى بشير كرامة وأفضال وسمعوا (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) ^(٩) وكذلك (نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) ^(١٠) (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) ^(١١) لأن صاحب المقام العالى ملاذ المجد والنجدة ^(١٢)

(١) سورة الإسراء، آية ١٢.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧١.

(٣) سورة الإسراء، آية ٥٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

(٥) سورة الواقعة، آية ١٠.

(٦) سورة طه، آية ٧٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية ٧.

(٨) سورة الأنبياء، آية ٩٤.

(٩) سورة الأنبياء، آية ٧٣.

(١٠) سورة القمر، آية ٣٥.

(١١) سورة الإسراء، آية ٩.

(١٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز ص ٢٦٦.

فى هذه الرسالة أيضاً التى كتبها عبد الوهاب نشاط بناء على أمر فتحلى شاه إلى نابليون إمبراطور فرنسا نجد أن العبارات الطويلة التى لا محل لها قد همشت الموضوعات السياسية:

"بعد تقديم آيات الشكر والامتنان لله الواحد الأوحد... الملك المكرم، كسرى الأعظم، الخديوى الأكرم، الإمبراطور الأعظم، ملك ممالك فرنسا وإيطاليا، أسعده الله وجعل الدنيا تسير وفق مراده، يا أيها الملك، أيها الموفق، منذ ذلك اليوم الذى انعقدت فيه أواصر الوحدة بين الدولتين، واتحدت غصون التآلف بينهما، وأصبحت بلون واحد وحتى اليوم، وبميامين الحظ السعيد لم ينفتل حبل المودة فى يد الألفة، ولم تحد روضة الإخلاص عن مشرب الماء الصافى وخصوصاً فى هذه الأيام فإن صاحب المقام الرفيع ... من حضرة فلك القدرة،... والحمد لله فإن الدولتين لم تتركاً رسوم المودة والإخلاص لحظة واحدة، ولم تسلك أية خطوة إلا لتوثيق عرى الوحدة. والعاملون بالدولة من هذه الناحية إذا نقشوا نقشاً على ألواح الضمير فهى مرآة صافية لصفحات الخواطر، وإذا تحدثوا حديثاً مهماً فإن ما لهجت به الألسنة لهى ترجمات كافية.. والمخلصون فى هذه الحضرة نور وفأل سائر وعاكف فمرآة الصداقة صافية ومحطمة لآمال الأعداء.. سفراء وعمال الدولة ... دولة الفلك علامة الإقبال كمثال دائر وواقف وفى أداء الحضرتين فلك ثابت ومستقيم وأحياناً فى عين الاستقامة راجع وأحياناً مقيم. والسلام".

ومن أجل إتمام هذا البحث وإطلاع القراء على التقدم والإصلاح النسبى والتدريجى الذى حدث فى النثر الفارسى نعرض فيما يلى الرسالتين اللتين بعث بهما فتحلى شاه إلى إمبراطور روسيا بعد حادثة قتل السفير الروسى فى إيران (جريبایدوف) وكانت الرسالة الأولى فى (ربيع الأول)

والثانية كانت (فى ذى الحجة عام ١٢٤٥هـ) بعد وصول (كنياز دولجوروكى) السفير الروسى الجديد إلى إيران، والرسالتان كتبهما ميرزا أبو القاسم قائممقام الفراهانى:

«بداية الكتاب بسم الله العليم الخالق الحى القدير الذى لا مثيل له، ولا نظير، والمنزه عن السؤال، العالم العادل، وقاهر كل ظالم، وواضع الثواب والعقاب لكل خير وشر، فبحكمته البالغة يعاقب ويعذب المنذنين ويؤجر ويثيب المحسنين، وتحية عطرة على الأرواح الطاهرة للرسل الصادقين والأئمة الأبرار. وبعد، لا يخفى على الرأى كاشف الحقائق على الملك صاحب المقام العالى المنصف العادل، المتوج صاحب العظمة، ملك البحر والبر، الأخ كريم الأصل مبارك الطالع إمبراطور ممالك روسيا وملحقاتها، صاحب الملك العظيم وراية الفتح والنصر، لا أخفى عليكم أن سفير روسيا قد تعرض للأذى فى حاضرة إيران بحكم القضاء والقدر، والاشتباك بين رجاله والعامّة فى المدينة، وحيث إنه صار من الواجب واللازم على المسئولين التابعين لنا تدارك هذه الحادثة، لهذا فى البداية أرسلنا ولدنا العزيز خسرو ميرزا إلى حاضرة الدولة البهية الروسية لتقديم الاعتذار والاحترام. وقد كتبنا ووضحنا بصدق الحقيقة الغائبة لهذه الحادثة وغفلة أمناء هذه الدولة فى آخر الرسالة.

ثانيا : نظراً لما بين الدولتين الكبيرتين من تضامن ووحدة فإننا اعتبرنا القصاص لهذا السفير فى نمة دولتنا وكل من كانت تحوم حوله الشبهات من أهالى دار الخلافة وسكانها فى التورط فى هذه الجريمة البشعة بشكل أو بآخر، أنزلنا عليه ما يستحق من قتل أو إقامة الحد أو النفى، كما عزلنا وعاقبنا رئيس الشرطة فى المدينة وعمدة الحى أيضاً على غفلته عن هذه

الواقعة وعدم الانضباط والسيطرة على المدينة والحي قبل وقوع هذه الحادثة. والأهم من كل هذا، الجزاء الذي لحق بصاحب المقام ميرزا مسيخ على الرغم من مكانته كمجتهد في الدين الإسلامي حيث كان يقتدى به زمرة الخواص والعوام، وبسبب تجمهر أهالي المدينة حوله في أثناء وقوع حادثة مقتل السفير، رأينا أنه من غير اللائق العفو عنه نظراً للوحدة بين الدولتين ولم نقبل شفاعة الشفعاء ووساطة الوسطاء بشأنه؛ ومن ثم لما كان من الضروري إطلاع ذلك الأخ حسن السيرة على هذا التقرير فقد قمنا بتحرير رسالة الصداقة هذه ووكّلنا ابننا المؤيد الموفق، ولي العهد عباس ميرزا، لإطلاعكم على تفاصيل الأحداث. ونرجو من الله دوام الصداقة والمودة بين الدولتين الخالدين، واستمرار روابط الصداقة والوحدة بين الطرفين، وأن نقوى هذه العلاقات بتبادل الرسل والرسائل. والعافية في الختام. تحريراً في شهر ربيع الأول عام ١٢٤٥.

الحمد والشكر لله الذي أراح القلوب الحائرة بإرسال الرسل، وإيلاغ الكتب، والرسائل رحمة بالخلق، وجمع الأمور المشتتة، والتحيات والنفحات على أرواح الرسل الصادقين وأمناء حضرة الخالق، الذين رفعوا الوحشة عن عالم الإنس ونقوا الخواطر من الأخطاء. وبعد فإننا نطلع الملك صاحب الجاه قائد الجيش المظفر الأخ المعظم المكرم حسن السير والطبع، صفوة الخالق، درة عقد المودة والصفاء، إمبراطور الممالك الروسية وملحقاتها الذي يتحلى رأيه الصائب بنصرة الخير وقهر الشر، وبحكمه المحكم المتين سيطر على البر والبحر، وحفظ ملكه الواسع الفسيح من كل جانب، ورفع عرشه العالي الرفيع إلى أعنان السماء، أن الرسالة الملكية تدل على الصداقة والرحمة...».

والآن نعرض أيضاً عبارات من الفرمان الذى صدر فيما بعد فى عهد ناصر الدين شاه بشأن حاجى جابر خان نصرة الملك، والد الشيخ خزعل خان : «عندما تهب نسائم المكارم، وتبدأ روضة أزهار المكارم فى التفتح، فإنها تعطر رؤوس الخلق وتثير خلوة الرجاء، وتغمر روضة آمال العباد بالسحاب الفياض، وتوشح ديباجة إقبال المحبين بالعنايات والإنعامات الملكية، ولاسيما الأشخاص الذين أظهروا علامات الأمانة وحسن الإدارة فى الحضرة السلطانية العليا، وتقربوا بدلائل الصداقة والكفاءة، وبحكم المهمة الملكية الفياضة، حيث إن البحر الزاخر ذا الأمواج المتلاطمة ما هو إلا قطرة من كرمه، والسحاب الوابل ذو الأمواج المتركمة ما هو إلا رشحة من نعمه، فيجب علينا أن نرفع قدر كل واحد بشمول العناية وإظهار المكرمة...».

مع كل الذى قلناه، يتضح من النماذج التى أوردناها سابقاً والشواهد التى سوف أوردها، والتى تشرح أحوال كتاب النثر الأساسيين فى العصر القاجارى أنه منذ أواخر الدولة الزندية ظهرت بعض الإصلاحات النسبية والبسيطة فى أسلوب الكتابة بالرغم من أن النثر الفارسى قد اتجه ببطئ إلى البساطة والسلاسة وقلّت فيه صنعة والتكلف إلى حد ما. جدير بالذكر أن أمور مثل المدح والثناء ووصف الطبيعة والجمال والعشق قد استخدمت فى الشعر فى هذه الفترة، أما النثر فلم يستغل سوى فى كتابة الرسائل وكتابة التاريخ وكتابة التراجم، لكن منذ النصف الثانى من عهد ناصر الدين شاه ومع ظهور أفكار جديدة مع أوائل النماذج الأدبية النثرية الجديدة انتقل جزء من الأمور التى كانت تهتم بها القصائد والغزليات، إلى النثر وشيئاً فشيئاً اهتم الشعر بالعواطف الداخلية وأمور الحياة.

بعد هذه المقدمة القصيرة نعرض تراجم لأحوال عدد من كتاب هذا العصر مع نماذج من كتاباتهم.

١- عبد الرزاق بيك :

عبد الرزاق بيك دنبلي صاحب كتاب تاريخ المآثر السلطانية ومؤلفات أخرى^(١) والذي سيرد ذكره في الجزء الخاص بالمؤلفين، في أثناء إقامته في شیراز كتب كتاب باسم (حدائق الجنان) عن سيرته ، وترجمة لأحوال العلماء والفضلاء المعاصرين له، وقصص عن كريم خان الزندي وأسرته، ثم بعد ذلك قام بعمل تغييرات وإصلاحات في هذا الكتاب نفسه وأسماء (تجربة الأحرار وتسليه الأبرار) تقليدًا لكتاب (تجزية الأمصار وترجية الإعصار) تأليف عبدالله بن فضل الله الشيرازي. هذا الكتاب بناء على قول ملك الشعراء بهار يعد من أعظم كتب القرن الثاني عشر الهجري، وقد كتب بأسلوب يتوسط أسلوب وصاف وأسلوب گلستان الشيخ سعدى، ويتضمن جميع المزايا الفنية القديمة (ونستطيع أن نعهده من جملة الآثار التي تتعلق بالنهضة الأدبية والعودة إلى الأسلوب القديم)^(٢).

(١) حقائق الأنوار، حدائق الأدباء، ، نگارستان دارا، ترجمة عبر تنامه من التركية، جامع خاقاني، روضة الآداب وجنة الألباب (باللغة العربية) ديوان قصائد وغزليات، مثوى نازونياز، مختارنامه وهي منظومة عن غزوات المختار بن أبي عبيدة القفي.
(٢) ملك الشعراء بهار : سبك شناس ج٣، ص ٣٢٠.

نموذج من هذا الكتاب :

" حكى أن، أننى وبعض أهل الوجد قصدنا بيت الله الحرام عن طريق نجد. ومن شدة الشوق للوصول إلى كعبة المشتاقين، كان شوك أم غيلان تحت أقدامنا كأنه الورد والياسمين، وكانت شقائق التمنى تنمو فى رياض الخواطر وشوك وادى البطحاء. قال الرفقاء إن فى قبيلة نجد فتاة هى قبلة أهل الوجد، فهى فى الجمال والكمال كسلمى وليلى، وعندها جيش من الخدم وتأسر القلوب بنظرتها الساحرة التى تشبه المغناطيس.

وأدى ميل دواب ومطايا وجمال الرفاق إلى التأخر عن الوصول إلى كعبة الكمال وكأن لسان حال السالك مبارك الخصال يقول :

أيهما المرشد أين بشاير الكعبة	إننا متنا فى صحرائها
أقدام المرشدين من هوى تلك القمرية فى الطين	وأنا مهموم القلب من فراق الأحباب
الروح تطير بجناحيها إلى الأعلى	والجسد يضرب مخالبه فى الأرض
اتجه الأحباب إلى مقام تلك الفاتنة،	مثل ذى الرمة المفتون والهائم بالخرقاء
تمام الحج أن تقف المطايا	على خرقاء واضعة اللثام ^(١)

وكان من الصعب على فراق الأحباب والبقاء بمفردى وإطاعة لأمر (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)^(٢). فقد اضطررت مجبراً على موافقة الرفاق واتجهت إلى الطريق فى اللحظة نفسها، وقبل الوصول إلى المقام المنشود أراد أحد الرفاق أن يسبق الجميع إلى رؤية تلك الفتاة ذات رائحة الياسمين، والذى

(١) عندما تنام الإبل على أعتاب سراى الخرقاء يكون هذا وقت زيارة بيت الله الحرام (الخرقاء، هى التى ترفع البرقع عن وجهها) وهو اسم معشوقة الشاعر.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٥.

كان هو نفسه السبب في الانحراف عن الطريق، ووخزه شيء ما في إصبعه وهو في الطريق. ومن شدة الألم صرخ صرخة وصلت إلى عنان السماء. فقالوا ربما تكون شوكة فإن وخزة الشوكة تؤلم. قال الرفاق برغم أن تلك الفتاة ذات حسن كامل فلديها معرفة أكيدة بعلاج الأوجاع. ومع أن سمهم أهدابها لا تفيد معه الجراحات، فإن لعاب شفيتها ترياق للمتألمين. وعلاج داء هذا المستغيث تلك الجميلة الممشوقة. ومع أن غمزاتها شافية، لكن أصابعها المخضبة ليست مرهماً للقلوب المهمومة.

خرجت يد كالعاج الأبيض من خلف الستار وكأن الشمس والقمر قد شقا الغيوم
ظاهر يدها ناعمة كبطن السنجاب وطرف إصبعها أسود كذيل السنجاب^(١)

عندما وصلنا إلى خيام بنت الكرام، وقابلها الرفاق، وقالوا لقد رأينا أكثر مما سمعنا. وبعد الضيافة والملاطفة وعندما عرضوا إصبع الرفيق المجروح على ذات الوجه القمري، صاحبت قائلة : أيها الرفاق لقد عضه الثعبان، ونفث سمه القاتل في أعضاء بدنه. وليس له علاج في هذا العالم الآن فقد حان وقت رحيله من الدنيا إلى الدار الموعودة. وفي أثناء حديثها رحل ذلك العاشق الحزين. وفي المكان نفسه دفناه في التراب بقلب حزين وتندى ثراه بدموعنا.

لا تسأل عن السر؛ لأن لأسرار سالكي الحرم

علامات (كرامات) تظهر من حين إلى حين

(١) شعر لكسائي المروزي.

قبلة العشق واحدة، وكل من لديه شك

فى قلبه يكون طفلاً فى طريق سالكى الدرب

* * *

إن الظاهر يعلم السر والعسن	والعين فى كل اتجاه فماذا تملك يا إنسان؟
العين التى لا تريد العمى أفضل لها	والرأس التى لا يفتتن بها القبر أفضل لها
الأذن التى لا تريد سماع الصمم أفضل لها	والقلب يدونه النار أولى به
إنه الوجود المطلق، صاحب كل الوجود	مع وجوده فالكل زائل
لا تتعلق بأى شىء فى هذه الدنيا	ولا تتعلق بأى شىء سوى الله ^(١)

٢- ميرزا رضى :

من كتاب النثر فى بداية عصر الدولة القاجارية ميرزا رضى منشئ الممالك، ابن ميرزا شفيح الأذربايجانى. كان ميرزا رضى من أسرة عريقة صوفية، ولكن هذا الأمر لم يمنع ميرزا رضى ووالده من الوصول إلى مناصب حكومية مرموقة. كان ميرزا شفيح مسئول الأمور المالية لدى نادر شاه و شغل ميرزا رضى هذا المنصب نفسه بعد وفاة والده فى فترة حكم كريم خان الزندى ثم بعد ذلك فى فترة حكم محمد خان قاجار، وكان يكتب الكتب والرسائل والفرمانات بالعربية والفارسية والتركية والجغتائية، وعندما حانت فترة حكم فتحعلى شاه حظى ميرزا رضى بمكانة كبيرة واحترام أكثر،

(١) حدائق الجنان، ص ٢٩-٣٠ (نقلاً عن ملك الشعراء بهار، المجلد الثالث من كتاب سبك شناسى).

وأصبح مشهوراً، وكان يضع خنجراً من الماس ولفافة من الورق^(١). كان ميرزا رضى يقرض الشعر بالتركية وأحياناً بالفارسية والعربية وكان يتخلص بـ (بنده) أى (عبد) باللغة العربية.

ولقد سجل رضا قلى خان هدايت قصيدتين لميرزا رضى باللغة الفارسية فى كتابه مجمع الفصحاء .

توفى ميرزا رضى متأثراً بمرض السل فى طهران عن عمر يناهز الخامسة والستين عام ١٢٢٢ هـ ق، ودفن فى النجف.

ولقد ترجم ميرزا رضى إلى الفارسية وقائع حرب فرنسا والنمسا وروسيا (١٨٠٥م) التى كانت قد ترجمت من الأوربية إلى التركية ليطلع عليها فتحعلى شاه. ومن كتاباته أيضاً رسالة (عشق وروح) و(حسن ودل)، ومن أشهر كتاباته رسالة مفصلة كتبها على لسان فتحعلى شاه إلى نابليون الأول وطبعت كلها فى "زنبيل" لفرهاد ميرزا معتمد الدولة^(٢).

وميرزا رضى له كتاب تاريخى باسم (زينة التواريخ) ألفه بناء على أمر الملك، ومؤلف هذا الكتاب الأصلى هو ميرزا رضى واشترك معه فى

(١) قيل إنه مُنح هذا الخنجر فى أثناء عزف السلام وقت المساء حيث كان خواص الأتباع قد تأهبوا للعرض، ونظر أحد الحاقدين والحاسدين منهم نظرة سخرية لوضع الخنجر والورق فى حزام الخصر معاً، والتفت المرحوم ميرزا وقال للحاضرين إننى أتعجب من أناس رأيتهم ثلاثين عاماً وكانوا من الجهلة وكانوا يضعون القرطاس والورق فى حزام خصرهم ولم يضحك عليهم أحد والآن عندما وضعت خنجر المحبة فى حزام خصرى عن جدارة واستحقاق ضحكوا على . (نادر ميرزا، تاريخ تبريز ، ص ٢٦٥).

(٢) محمد على تربيت، دانشمندان، آذربايجان، ص ٧٠.

كتابته معتمد الدولة نشاط وعبد الرزاق بيك دنبلي المتخلص بالمفتون
وشخص آخر يدعى ميرزا عبد الرحيم اشتها ردى.

٣ - فاضل خان :

ميرزا محمد من طائفة البايندر التركمانية، ولد في الرابع عشر
من شهر ذى الحجة عام ١١٩٨ هـ. ق في جروس (گروس) . أصبح يتيمًا
وهو في سن السادسة عشر من عمره وكبر في ظروف صعبة. بعد
وفاة والده بفترة سافر إلى العراق وإلى أماكن أخرى وتعلم فن
الخط والإنشاء. ثم عاد إلى طهران والتحق بالبلاط عن طريق فتحعلي خان
صبا وأصبح من خاصة الغلمان، وبناء على أوامر الشاه تربي ودرس على
يد فتحعلي خان صبا، وخلال خمس سنوات تعلم الكثير من علوم
زمانه، وعندما لمس الشاه هذه الفضائل لقبه بـ (فاضل خان)
وعينه رئيسًا للمنادين في البلاط. وخلال عدة أعوام كان يعمل ضمن
الكتاب الخصوصيين للشاه ورافقه في سفرياته. ولحسن بيانه كان يحفظ
القصائد التي كان ينظمها فتحعلي خان صبا ملك الشعراء وغيره من
الشعراء في مدح الشاه ويرويها مرة أخرى لهذا السبب كان تخلصه الشعري
(راوى).

وفي يوم الجمعة ٢٤ رجب عام ١٢٤٤ هـ ق الموافق (٣٠ يناير سنة
١٨٢٩م) وقعت حادثة مقتل السفير الروسى في طهران جريبا يدوف، وسافر
فاضل خان إلى روسيا ضمن الوفد الذى ترأسه الأمير خسرو ميرزا أحد

أصغر أبناء عباس ميرزا ولى العهد بعد سبعة أشهر لتقديم اعتذار للبلاط الروسى. (١)

والتقى وفد خسرو ميرزا وهو فى طريقه إلى القوقاز بالشاعر الروسى الشهير بوشكين، فقد كان بوشكين ضمن الجيش المتوجه لقتال العثمانيين بقيادة الجنرال (باسكوفيش).

وقد شرح بوشكين تفاصيل هذا اللقاء فى كتاب رحلات أرزنه الروم (سفرنامه ارزروم) :

"كنت على عجلة بغية الوصول إلى تفليس على وجه السرعة ... وكنا ننتظر الأمير الإيرانى^(٢)، وعلى مقربة من قرية كازبيك (قاضى بيك؟) صادفنا عدة عربات، وأغلق الطريق نظراً لأنه كان ضيقاً. وبينما كانت وسائل النقل تمر إلى جوار بعضها بعضاً قال لنا ضابط الحراسة إنه يقوم بتوديع شاعر البلاط الإيرانى، وبناء على طلبى قدمنى إلى فاضل خان. وبمساعدة المترجم أردت أن أقدم تحية شرقية ساخرة، ولكننى شعرت بخجل شديد عندما رد فاضل خان على مبالغتى غير اللائقة بتواضع شديد وأدب جم، وأعرب عن أمله فى رؤيتى مرة أخرى فى بطرسبورج، وأسفه لقصر اللقاء. فاضطرت لتغيير أسلوبى الساخر المسهب وتحذثت معه بالعبارات الأوروبية السائدة.

(١) كان رفاق خسرو ميرزا : .. ميرزا محمد خان أمير النظام، ميرزا صالح كاتب الديوان، ميرزا بابا كبير الأطباء، ميرزا مسعود المستوفى، ميرزا تقى خان الفراهانى كاتب الديوان لدى قائممقام الذى عرف بعد ذلك بأمير كبير، والصدر الأعظم وهو الوزير الشهير فى عهد ناصر الدين شاه ومن الشخصيات الإيرانية البارزة.

(٢) خسرو ميرزا.

يجب أن تكون تلك الواقعة درساً وعبرة بالنسبة لنا نحن الروس كي ندع السخرية جانباً، فأنا نفسي لن أصدر حكماً على أحد لقبعته الجلدية، أو أظافره المخضبة بالحناء".^(١)

تولى فاضل خان لفترة شئون الوزارة في همدان، لكنه عاد إلى طهران نظراً لاستدائته هناك وضيق الحال، وانضم ثانية إلى كتاب البلاط، وظل في هذا المنصب لفترة من الوقت في عهد محمد شاه، إلى أن أثر الاعتزال "وحصل على راتبه من السلطان" وفي النهاية توفي في طهران عام ١٢٥٣هـ. ق أو ١٢٥٤هـ. ق^(٢) نتيجة مرض عضال أصابه لعدة شهور^(٣).

(١) سفر نامه ارزروم، الفصل الأول.

(٢) ذكر في لغت نامه دهخدا أنه توفي عام ١٢٤٣هـ ق وهذا التاريخ خطأ بالطبع.

(٣) يقول أي . ك كالوبوف، في رسالته التي ألفها بالروسية بعنوان (الشاعر ميرزا شفيق) والتي نشرها عام ١٩٣٨ في باكو، وتحتوي على ملخص بالفرنسية : "كانت تبريز في ذلك الوقت - الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي - مركزاً للمدنية والثقافة الإيرانية، وقد جمع ولي العهد عباس ميرزا حوله الفضلاء والعلماء. وكان من بين الشعراء رجل يسمى ملا فتح الله الذي غير اسمه بعد ذلك وأطلق على نفسه (فاضل خان). وفاضل خان هو نفسه الذي امتدح بوشكين بعد مرور فترة قصيرة امتدح أخلاقه وشيمه في كتابه "أرزنه الروم". نظم فاضل خان قصيدة تناول فيها وضاعة أكثر أمراء إيران وانتقدهم لأنهم كانوا يتفوهون بكلمات التملق والنفاق في مجلس الأمير عباس ميرزا كالعبيد بينما استسلموا للروس عندما أحرزوا تقدماً في الحرب. وكان هذا الهجاء موجهاً بشكل أساسي إلى ميرزا أبي الحسن خان وزير الخارجية في ذلك الوقت الذي كان قد قدم نفسه إلى بلاطات أوروبا باعتباره سياسياً محنك. وقد أثارت قصيدة فاضل خان آراء مختلفة بين الشعراء. فنهضت جماعة

ويعد فاضل خان من أكثر الكتاب بلاغة في بلاط فتحعلي شاه. ويذكر قائممقام في منشأته فاضل خان عدة مرات باحترام ويعده شخصاً "قدره مجهول ومثيله معدوم" ويقول عنه "لم تر عيني مثلكم فاضلاً".

وعلاوة على منشأته التي تعد من النماذج الراقية للفصاحة في ذلك الوقت ألف أيضاً بناء على أمر من فتحعلي شاه تذكرة بعنوان "انجمن خاقان" عن مجلس الخاقان في ذكر أحوال الشعراء والعلماء في بلاط الشاه القاجاري.

رساله فاضل خان إلى آقا خان المحلاتي :

«النبوة في النسب والملكية في الحسب

أين سليمان كي يضع الخاتم في الإصبع

حضرة المخدوم الجواد، وصاحب الهمة ذي العدل والإنصاف، الرؤوف عالي النسب ليظل أبد الدهر كعبة الحاجات ومركزاً للأطراف ومحطاً لرحل الأوتاد ومحيطاً لركاب الشعراء. في الكتابة حكاية، وفي التقرير رواية تقدم العبرة، وتثير الحيرة، فأنا متعب وذلك لأن : في بداية عهد كريم خان الزندي كان العالم كله سوقاً للسكر. فتاة جميلة المنظر، فضية

لتأييد الشاعر وأيدت جماعة أخرى الوزير...." وجاء في موضع آخر من الكتاب نفسه أن المدارس الإسلامية فتحت في عهد الجنرال فارنسوف، في قفليس وكلف الشاعر والعالم فاضل خان القادم مؤخراً من إيران بإدارة مدرستين. وللأسف لم ترد إشارة إلى هذا الموضوع في المصادر الإيرانية، وعلى الباحثين أن يقوموا بإجراء أبحاث ودراسة عن الملا فتح الله فاضل خان والقصيدة التي نظمها وتولييه إدارة مدرستين في قفليس.

للصدر، مغرية، لعوب، فاتنة، قوادة، ساحرة، ماهرة، غادرة، تحنث للوعد،
ترتدى زى للرجال، لها محبان لوطى وزان، مغرية للعالم، فاضحة قدمت من
شيراز إلى همدان، وصارت كالنار فى أكوام حصاد الشيوخ والشباب بمعنى:
حاجبها كالقوس، غمزتها كالسهم، كيدها كالفخ

لم تعطيك فى سبيل الله ؟ .. بغرض الاصطياد

جعلت الزهاد أسرى قديها والعارفين كالذباب على السكر وأسرى
الجدائل. جعلت ألف تاجر فاجرًا، ومنحت ألف تاجر مرادهم، باعت للعطار
والبزار الزعفران وزهرة البطونية، وجمعت الذهب والفضة، وأشعلت
بغمزتها النار فى مخزن كل علاف، ومزقت خيوط التصحيف لدى كل
صحاف. وحصلت بقوة جاذبيتها من القطرة على بحر، ومن كل حبة على
مكيال. الخلاصة خلال خمسين عامًا من البقاء فى البلدة والناحية أخذت من
الحر والمملوك ومن الحاكم والمحكوم، من الإمام والمأموم أكياسًا مليئة
بالمال فى مقابل فرجها، استولت على صرر المال فى مقابل سررتها حتى
أغلقت الدكاكين وأرهقت الساعين إليها... وبعد أن ابيض شعرها، واسود
وجهها واصفرت أسنانها، وجف ثديها، وانقطع طمثها، وولت لعنتها صارت
مفتونة بالخروج على رأس القافلة، فركبت حمارًا وذهبت للزيارة وقدمت
تصحبها السلامة وصارت طيبة طاهرة، وأصبحت سيدة كربلائية تقية، والآن
اشتريت بيتًا إلى جوار المسجد الجامع وشيدت منزلًا من ذلك الذهب الذى
حصلت عليه من عرق جبينها وكد يمينها، وأحيانًا تصنع الحصير للمسجد
وأحيانًا أخرى تقوم بطهى حساء "عباس على"، وجعلت عدد حبات المسبحة
أكثر من عدد الفجار، ولباد سجادة الصلاة أكبر مساحة من أبسطة الفجور
وتؤدى الصلوات الخمس خلف الإمام، أما النساء فهى تؤمهن. وإذا أعطت

قرضاً لغريب ما فهي لا تخفض الفائدة عن عشرة أو خمسة عشر، ولا تعطى له درهماً إلا في مقابل قيمة عشرة دنانير عن كل دينار. وبالصدفة اقترضت أنا العبد المسكين للضرورة لأمر واجب. فأتت سمسارة وكأنها سمسارة محتالة أو مرايية وقالت توجد سيدة عفيفة طاهرة ثرية تقدم قروضاً، وإذا مرت أربعة شهور على موعد السداد فهي لا تتنمر ولا تطلب فائدة. وشعرت بالرضا نظراً لأن "الغريق أعمى" وسررت لذلك. فأرسلت رجلاً في طلب تلك السيدة وبعثت رسالة تفيد أنني أريد مبلغاً من المال. فحضرت على الفور بعد أن ضرب نعلها الأصفر عنان السماء ووضعت النقاب الأسود على وجهها الشاحب الفاجر. تحدثت معها فلاحظت أنها أزالَت عني الحزن بأسلوب لبق وناعم ولطيف. مارست أعمال الاحتيال وأبدت حسرتها وضربت كفاً بكف ولعنت الزمان قائلة : لماذا يحتاج شخص مثلك لمثلي، ولماذا يقترض شاب من عجوز؟! لن أطيل؛ فقد لاطفتي كثيراً بأسلوب طيب حتى أنني صرت متردداً فيما إذا كانت السيدة الكربلائية موجودة ببيتي أم أنها جعلتني عبداً لإحسانها ثم أطلقت سراحي. ثم تطرقنا إلى الرهن، فهذا هو الكتاب وتلك هي المحبرة. حملت عبايتي ومصحفي وقلبت كلاهما وهزت رأسها وتهدت. أي أنني صرت شديد الانفعال وشعرت بالخجل. ولكنها أخذت تخفض قيمة كل شيء إلى النصف، وصارت تبالغ في عيوبه، وتعرب عن اعتذارها على الفور بسبب المزايدة وتستغفر. في النهاية عرضت على العجوز المسكينة كل شيء من رطب ويابس في مقابل مبلغ قيمته مائة تومان. أردت أن أوصيها على الحفاظ على تلك الأشياء فقالت : أنا فداك، سأدعها في حجرة فلان التاجر الذي كان رفيقي في الماضي وصار الآن من الشهود العدول لدى سيادة القاضي، فهناك ستكون بعيدة عن اللصوص والقتران، كما أنها ستكون بذلك قريبة من المبلغ وقريبة من صاحبها.

وصرت أنا المخدوع الساذج المشهور بالذكاء والفضل على سبيل
الخطأ مفتوناً بتلك السيدة الطيبة النجسة الغدرة، وخدعت بتلك الفاسقة
الزاهدة الزانية، وقدمت الرهن وعقدت العقد، وأخذت المال. وذهبت السيدة
وبقيت أنا وقرأت آية الكرسي لتحفظها. ولما بقي على الموعد المحدد أربعة
شهور، فإذا بساكنة همدان تأتي كل يوم كالإعصار وعلى رأسها عباءتي
الجوخ حاملة المصحف الذي كتبه بخطي الياقوتي وتقول لقد احتميت بتلك
العباءة من الأمطار وأحضرت هذا المصحف شفيحاً لترد لي مالي !

فأقول لها : أيتها النشالة المحتالة ، أيتها اللصة المحتالة، لو كان هذا
هو قصدك كان عليك أن ترتدي عباءة المؤذن وتحضري ثلاثين من
المقرئين. فتغمز بعينها وتذهب. وتأتي في اليوم التالي وتجلس وتقول مهددة
إنني احتفظ بالشارة الخاصة بالوزير الفلاني وبسيف الأمير الفلاني فلا هذا
يستطيع ثانية أن يردني، ولا ذاك يستطيع أن يؤخر لي طلباً !
الخلاصة، هي تفعل معي ذلك حتى يغمر الماء البناء، وتطيح الرياح
بالخيمة، ويصير ذو الفقار خان مع أبي الحسن الجندقي وسهراب خان مع
الحاج محمد البسطامي".

شرحت حالي كلى ثقة في كرم مخدومي لأنني لا أطمع في السؤال
ولا أشك في عطائك والسلام».

٤ - صاحب الديوان :

ولد ميرزا تقى العلي آبادي بن ميرزا زكي مستوفي الممالك لدى آغا
محمد خان في علي آباد (شاهي حاليًا). وكان رجلاً فاضلاً محنكاً ومن

الكتاب البلغاء . ولما ضاقت به سبل العيش فى بلده رحل من مازندران إلى طهران، وقدمه فتحلى خان صبا إلى بلاط فتحلى شاه، وعمل فى البداية فى منصب الكاتب الخاص عنده. وعُين بعد ثلاث سنوات رئيسًا للدور الملكية. وكان موضع ثقة الشاه ويقوم بحمل وتسليم رسائل الشاه السرية. وعُين فى منصب الوزارة لشئون زنجان لعدة سنوات، وظل بتلك المدينة لعشر سنوات، ثم عاد بأمر الشاه إلى طهران، وعمل فى منصب أمين الرسائل فى البلاط. وعندما توفى ميرزا خانلر المازندراني منشى الممالك عام ١٢٤٤هـ. ق بوباء الطاعون. عُين ميرزا تقى فى منصب منشى الممالك ولقب بعد فترة بلقب "صاحب الديوان" لكنه عُزل بعد أربع سنوات (١٢٤٨هـ. ق) بتهمة كتابة مرسوم ومنح إقطاعية لرجل ما دون علم الشاه، وتولى بعده ميرزا تقى نوائى المازندراني منصب منشى الممالك.

وبعد تتويج محمد شاه عام ١٢٥٠ هـ. ق كُلف العلى آبادى فى شوال من ذلك العام باستقبال الأمير محمد قلى ميرزا ملك آرا حاكم مازندران الذى استدعى إلى طهران خشية رفع لواء العصيان. وأدى مهمته على أكمل وجه، ثم كُلف بالذهاب إلى شیراز وهناك تعرف على وصال الشيرازى، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى طهران بتصريح من الشاه بسبب مرضه، ولم تمض فترة طويلة حتى أصابته غيبوبة ولازم بيته، فقد شُلت قدمه وأصيب بالعمى إلى أن توفى فى جمادى الآخرة عام ١٢٥٦هـ. ق.

يعد صاحب الديوان من بين كتاب الدرجة الأولى فى بداية الحكومة القاجارية. ويذكره قائممقام بإجلال فى منشأته ويمتدح مهارته فى الإنشاء.

كان الصاحب ينظم الشعر أيضاً ويتخلص بـ "الصاحب" و"صاحب الديوان". وأشعاره مشهورة. وتوجد نسختان من ديوانه في مكتبة مدرسة "سبهسالار" بطهران.

• نموذج من نثر صاحب الديوان :

"فى عهد الخاقان عفى الله عن أمسه وسقى الله رمسه الذى كان زماناً للأمن وأماناً للزمان؛ كُلف أمير أيروان بتسخير بلاد أرمينية والسيطرة على تلك الممالك والبقاء فيها. فأغار عليها بجيش جرار. وتيسر له فتحها وأرسل للسلطان بشرى الفتح. وأغار الجنود فسلبوا الأموال وقيدوا الأسرى وحملوهم للأمير. وكانت بين الأسرى فتاة فى غاية الحسن والجمال، كانت كالصنم عند الكفار وكالخور عند المسلمين، قمر الفتيات وأميرة الخور، كان يخفق لها قلب الطفل الصغير، ويهفو خاطر الشيخ الكبير إليها عشقاً فى الشباب... وعلى الفور صار الأمير أسيراً والأسيرة أميرة. وما ذلك على الله بعبث^(١).... فأخذها له وترك بقية الغنائم للجند. ووفقاً لحكم سلطان العشق عصى أمر الشاه وترك ذلك الملك إلى حاكم تلك الديار وعاد إلى أيروان مع الفتاة. فحكم الشاه لا يصمد أمام حكم الدلال !! فلما أدركت الفتاة بفراساتها أنه أسير حبها قالت له لن نتالنى لأننى أسيرة هوى شاب من شباب قبيلتى، وأفكر فيه فى كل لحظة وفى عهدى معه ووصالى به الذى لا يمكن لسيفك أن يقطعه ولا لتدبيرك أن يمنع. عصفورك ليس الطائر الذى يستحق ذلك التين... وصيدى ليس إلا صقر صائد العنقاء... لا تخالف رأى السلطان ولا

(١) يبدو أن الكلمة محرفة. فنص الآية : "وما ذلك على الله بعزيز" سورة إبراهيم، الآية ٢٠.

تدع مصلحتك. فقال : لا أرغب من الدنيا سوى وجهك... ومع وصالك أعزف عن الجنان .. فإذا أمسكت بطرف جديلتك.. ماذا أفعل ببلاد الأرمن، ولا أريد إيروان... وعاد إلى إيروان وتخير قصرًا عند جانب القلعة التي اشتهرت بأنها من المعقل الرضية. وخصصه له مستقرًا. كان قصرًا مشيدًا أعلى كتلة حجرية ارتفاعها مائة ذراع وأسفلها نهر يفوق دجلة بغداد ونيل مصر وينحدر ناحية نهر ارس، وكانت الطيور البحرية تحذر التحليق أعلاه. ثم عيّن لها الخادومات والجواسيس لخدمتها بغية استدراجها بالحيلة والدهاء وإيقاعها في فخه. ولم تكثر الفتاة بذلك الجلال ولم تأبه بتلك الجماعة. واختارت الإقامة في كشك حتى تخفى الكنز، وفي قلبها ألم مفرط. وكانت أسيرة حبها لدرجة أنها لم تكن تعلم شيئًا عن الدنيا. لم تكن تغادر مكانها رغم حيل وخديعة الخادومات الماكرات. وذات يوم اشتاقت لدخول ذلك القصر ... فذهبت إليه. وبالمصادفة كان ذلك الشاب العاشق قد قطع الصحراء ووصل إلى إيروان بعد فراق دام لفترة طويلة، وسأل عن منزلها . فأخبروه أنها في قصر أعلى القلعة يقع على قمة جبل من الحجارة يجرى إلى جداره نهر لا يستطيع الطائر الخرافي اجتيازه... وأخذت الفتاة تنظر إلى تلك الصحراء كل يوم في انتظار ذلك الشاب وتسمع بكاءها للأسماك والقمر. وقطع الشاب أسير العشق أيضًا صحراء الشوق، وتناسى ما قيل، ووصل إلى إيروان هائمًا. وعلم أن محل إقامتها عند قمة تلك القلعة، فسار في أثر ذلك النهر كالماء الذي لا يستطيع أن يتوقف للحظة، ولم يرفع رأسه عن الحجر أثناء ركضه. ووصل إلى شاطئ ذلك النهر المرعب في مقابل تلك القلعة ذات الطريق المسدود ومثل من ينتظر تلبية الدعاء. عقد ناظريه على السماء وخفق قلبه. فإلى أية ناحية يحلق الصقر، ومن أية ناحية يهب نسيم الوصال.

وفجأة وقع ناظر الفتاة المنتظرة على جمال الشاب. فتدحرجت الفتاة كالحمامة من أعلى القلعة على الحجر وقفز الشاب أيضاً من الشاطئ إلى النهر كالطائر البحرى. وحمل شوق العشق الفتى من موج البلاء إلى الساحل والفتاة من ورطة الفناء إلى الحياة، وتعانقا سالمين. وحمل الجواسيس الخبر للأمير، فعض بأسنانه على إصبعه حائراً. وتراجع عن قصده ومراده من باب الفتوة وحكم المروءة، فأعد قصره الخاص وزينه بزينة فاخرة وسلمه لهما وأكرمهما^(١).

• حكاية :

فى أثناء قتال الروس فقد أحد أمراء الأتراك جواده، واضطرب حال فرسانه، والتف حوله الأعداء. وأصبح فى عداد القتلى نتيجة جروح غائرة بعد الكر والفر بشجاعة. فلما رأوه ميتاً تركوه. ونظراً للأجل الموعود ظل به رمق فى الحياة. نعم... إذا كان الجسد جسداً روسياً فالروح روح فردوسية... تظل محفوظة من سهم الروسى وسيفه. وعلم أحد الجنود الذين يحبونه بمقتله. ورغم مقتل صديقه لم يخش قتل الأعداء له، ونهض كالقمر حين يلقى بضوئه على زهرة الكتان^(٢) أو كالشعلة حين تصيب أكوام الحصاد وفرق ذلك الجمع... وجعل الغدو والرواح عند رأس قتيله مرهماً لجرحه... يعد ذاك القتل بقتل قاتله. أخذ يمسح وجهه بوجه القتل المخضب بالدماء

(١) مخزن الإنشاء، ص ٤١٥. ونهضت أدبى إيران : إبراهيم صفائى ، ص ٣٠.

(٢) القمر وزهرة الكتان طرفاً نقيض؛ فزهرة الكتان لا تتفتح إلا نهاراً. (المترجم).

عازماً على غسل الدماء بالدماء. أشعل نار الدواء بالكبريت الأحمر على
الوجه الساكن... فقال له بأنفاس متقطعة أزح وجهك المشتعل عن جرحى
فيجب على أن أتجنب النار، فقال :

انظر لدموعى فهى تتمد النار

فهذه الدموع تصلح لتلك النار

لو اشتعلت فى وجهى نار الخليل

ولو سال من عيني نهر النيل

ومن بركة قدومه توقف الأخير عن الذهاب إلى العدم، وعاش الأمير
لسنوات طويلة، وصار أسيراً فى قبضة عشق ذلك المقدام.

ليظل ساعد العشق قوياً، فمن قوته

تصلح الكرة الأرضية موضعاً لسجود السلطان

كل من صار عبداً له فهو ملك للكونين

كل من صار قتيلاً له فهو حى خالد

إلا أن أسلوب الكتابة السائد المتسم بتلك الصنعة والكلفة التى تبعث
على الملل لم يستطع الصمود أمام اتصال إيران بالعالم الغربى ونفوذ المدنية
الحديثة.

لذلك فكر بعض الأشخاص فى تخليص الكتابات الفارسية من تلك
الألفاظ والتكلفات والمبهمات والإفراط فى استعراض الصنعة.

وابتعد ميرزا أبو القاسم قائممقام عن الأسلوب القديم إلى حد بعيد، وقدم
نثرًا أكثر بساطة وجمالاً . ونظرًا لمنصبه الحكومى الرفيع اتبع الآخرون
أيضًا أسلوبه وكانت مراسلاته الكثيرة نموذجًا لجمال العبارة. (١)

٥ - قائممقام :

كان ميرزا أبو القاسم الفراهانى ابن سيد الوزراء ميرزا عيسى
المعروف بميرزا الكبير من السادات الحسينية من أهل هزارة فراهان التابعة
لأراك. ولد عام ١١٩٣ هـ.ق، وتربى فى كنف والده العالم وتعلم علوم
زمانه. فى بداية شبابه عمل فى الحكومة وبعد فترة كان ينجز أعمال والده
فى طهران. ثم بعد ذلك توجه إلى تبريز عند والده الذى كان وزيرًا
لأذربايجان ثم عمل لفترة كاتبًا فى ديوان عباس ميرزا ولى العهد ورافقه فى
سفرياته الحربية وبعد أن فضل والده الابتعاد تولى هو الأعمال الرئيسية
لولى العهد، وأتم ما كان قد بدأه والده ميرزا الكبير حيث تنظم الجيوش
الإيرانية بمساعدة مستشارين فرنسيين وإنجليز ، كما اشترك فى معظم
حروب إيران وروسيا. فى عام ١٢٣٧ هـ ق توفى والد ميرزا قائممقام،
ووقع خلاف بين ابنه ميرزا أبى القاسم وميرزا موسى على خلافة والدهم،
ودعم حاجى ميرزا آقاسى ميرزا موسى إلا أن هذا الدعم لم يأت ثماره، وفى

(١) فيقول متفاخرًا فى مقدمة "رسالهء عروضيه" التى كتبها باسم ولى العهد عباس ميرزا
"إن العبد الحقير (إشارة إلى نفسه) ... غاية بضاعته وقمة استطاعته أن كسر القلم
وامتنع عن الكلام، فبفضل الله ويمن التفاته السامى لا يمكن لأى مخلوق أن يسترد
منى تلك الوسائل والقوالب المستخدمة فى الدعاء والثناء".

النهاية وبناء على أمر من فتحعلي شاه خلف ميرزا أبو القاسم والده وحصل على جميع الامتيازات التي كان يتمتع بها والده، وحصل على لقب سيد الوزراء وقائم مقام ووصل إلى وزارة نائب السلطنة ولي العهد، ومنذ هذا التاريخ أصبح هناك خلاف شخصي بين ميرزا قائممقام وميرزا آقاسي.

كان قائممقام رجلاً ذكياً ومغروراً، وكان يخالف ولي العهد في بعض الأعمال، وبعد عام من توليه الوزارة ونتيجة لوشاية المغرضين تم عزله من الوزارة بتهمة الصداقة مع الروس، وظل بلا عمل في تبريز لمدة ثلاث سنوات.

وفي هذه القصيدة الطويلة جداً والتي نظمها في ذلك الوقت كان يشكو فيها تأمر أبناء زمانه وسوء حظه :

أيها الحظ السيئ يا قرين روحى

يا من وصالك أضحى أصل حرمانى

يا ممن تـلازمنى ليل نهار

معك لم أشعر بالسعادة لحظة واحدة

يا من خربت بيد عمرى

يا ممن خربت منزل الصبر

بسببك تحول كوكب سعدى إلى نحسى

و بسببك تحول ربحى إلى خسارة

النجم هو السيف وأنت الجلاد
الزمن هو السجن وأنت السجنان
منذ الأزل وأنت رفيقي
أنت رفيق ليلى إلى الأبد
أنت تملك عمرى ليلاً ونهاراً
وأنت ضيفي على مائدة ظلم الدهر
إن ذلك السافل الذى كان يضيفنى
لم يقدم لى سوى حنظل الصبر واليأس والحرمان
يريق الدم إذا أعطانى شربة ماء
ويطلب الروح إذا أعطانى كسرة خبز
لا يعطينى شراب العسل
إلا إذا قطع شريان حياتى بمشرط الألم والغم
يجلس على مائدتى مع البشر الذين يشبهون الكلاب
هذه الكلاب التى تتجمع حول الجيفة
تارة يضربنى بمخالبه
وتارة يعضضننى بأسنانه

إلى متى يجب أن يأخذنى إلى مائدة الدهر

وأرى ظلم السفلة من أجل كسرتين خبز

ولكن بعد انقضاء ثلاث سنوات من العزلة والاعتكاف فى البيت عاد مرة أخرى إلى العمل فى أذربيجان، وعين فى وزارة نائب السلطنة. وكان ذلك فى عام سنة ١٢٤١هـ، وفى عام ١٢٤٢هـ ق توجه فتحلى شاه إلى أذربايجان وعقد اجتماعًا حضره رجال الدولة والأعيان وعلماء الدين والقادة وزعماء العشائر؛ ليستشيرهم فى أمر الصلح مع الروس واستمرار الحرب. وكانت أغلبية المجلس ترى استمرار الحرب. ولكن قائممقام كان مخالفًا لهذا الرأى. وقارن بين القوتين (الروسية والإيرانية) من حيث القوة الاقتصادية والعسكرية، وأشار إلى ضرورة إقرار السلام مع الروس. وجهة النظر هذه والتي ثبت صحتها للجميع فيما بعد، كانت فى ذلك الوقت دافعًا لمهمة أعضاء المجلس واتهامه من قبل بعضهم بأنه يقيم علاقات خفية مع الروس ومن ثم تمّ عزله من العمل مرة أخرى وإبعاده إلى خراسان.

واستمرت الحرب بين إيران وروسيا وانتهت بهزيمة إيران حتى وصلت القوات الروسية بقيادة (جراف باسكوفيتش)^(١) فى ربيع الثانى عام ١٢٤٣هـ ق الموافق نوفمبر ١٨٢٧م إلى تبريز واستدعى الشاه قائممقام من

(١) جنرال فلدمارشال إيوان فيودورفيتش (١٧٨٢-١٨٥٦) اشترك فى حرب عام ١٨١٢م، وكان قائدًا للقوات الروسية فى حربها ضد إيران فى عام (١٨٢٥م - ١٨٢٨م) وأحمد التمرد الذى حدث فى المجر عام ١٨٣٠-١٨٣١م، وكان نائبًا عن إمبراطور روسيا فى بلاد المجر.

خراسان وطيب خاطره، وطلب منه أن يعد اتفاقية للصلح باسم ولي العهد وإرسالها إلى تبريز.

وبذل ميرزا أبو القاسم جهداً مكثفاً لإقرار الصلح وعقد معاهدة مع الروس تضمن حماية القيصر لأسرة عباس ميرزا وأن يكون الحكم له ولأولاده بالرغم من وجود أخوة له أكبر منه ذوى مكانة، وكتب قائممقام معاهدة (تركمن جاى) بخطه ووقعها بنفسه فى الخامس من شعبان عام ١٢٤٣هـ ق الموافق ٢١ فبراير عام ١٨٢٨م، وحمل قائممقام نسخة من المعاهدة وعاد بها إلى طهران، وعرض هناك التفاصيل الضرورية وحمل الغرامة البالغة ثلاثة ملايين تومان التى كان لابد من تسديدها لروسيا طبقاً لبنود المعاهدة، وعاد قائممقام مرة أخرى لسابق عمله فى أذربايجان وتولى وزارة ولي العهد فى تبريز.

فى أوائل عام ١٢٤٩هـ ق توجه ولي العهد إلى هراة للقضاء على فتنة المتمردين الأفغان ورافقه أيضاً قائممقام. وأصيب عباس ميرزا بمرض السل ولازم الفراش فى مشهد، وكلف ابنه محمد ميرزا بفتح هراة وفى أثناء محاصرة هراة توفى عباس ميرزا، وعقد قائممقام الذى لم يكن يرى صلاحاً من هذه الحرب اتفاقية صلح مع يار محمد خان الأفغانى، ووقعها من محمد ميرزا وتوجه إلى مشهد، وبعد فترة عاد إلى طهران مع محمد ميرزا. وصل محمد ميرزا إلى طهران فى شهر صفر عام ١٢٥٠هـ ق وفى الشهر نفسه أقيم حفل تنصيبه ولياً للعهد خلفاً لوالده وسافر ولي العهد الإيرانى إلى تبريز باعتباره حاكم أذربايجان ورافقه قائممقام بصفته وزيراً له.

لم يمر وقت طويل وتوفى فتحعلى شاه فى شهر جماد الآخر عام ١٢٥٠ هـ ق فى مدينة أصفهان، ووصل الخبر إلى أذربايجان وتوجه محمد شاه إلى العاصمة. وقام ميرزا قائممقام بثل عيني جهانگیر ميرزا وخسرو ميرزا أخوى الشاه اللذين كانا مسجونين فى قلعة آردبيل وبذلك هيا أسباب جلوسه على العرش، وفى شهر رجب وفى مدينة تبريز نودى بمحمد شاه فى الخطبة، وتوجه الشاه وبرفقته قائممقام إلى طهران ووصل إلى طهران فى ١٤ من شهر شعبان وأقيمت من جديد مراسم التتويج وأصبح قائممقام رئيساً للوزراء، وقمع ظل السلطان وفر مانفرما وملك آرا وركن الدولة وسائر أعمام المشاه والمتمردين الآخرين. ورغم هذه الخدمات كلها لم يستمر طويلاً فى الصدارة وذلك نتيجة وشاية الحاسدين ولاسيما مثيرى الفتن من الأجانب مما أدى إلى أن الشاه أساء الظن به، وفى العام الثانى من حكم محمد شاه صدر الأمر بسجن قائممقام فى حديقة نكارستان (مضيف العائلة السلطانية) ثم أعدم بعد عدة أيام (أواخر صفر ١٤٥١ هـ.ق) وعلى هذا النحو انتهت حياة واحد من كبار رجالات إيران وواحد من أشهر كتاب النثر فى ذلك الوقت.

كان كتاب التاريخ فى هذا العصر مثل سـيـهـر وفرهاد ميرزا وجهانگیر ميرزا وغيرهم يذمون قائممقام ويذمون أعماله كثيراً وكانوا ينعته (بالجبان والقبیح) ^(١) و(غير المناسب والمحب للدنيا) ^(٢) وكذلك (المزور وأكل الحرام وسيئ الظن والخائن) ^(٣).

(١) فرهاد ميرزا، منشآت، طبعة بومباي. ص ٣٧.

(٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز، ص ٤٠.

(٣) جهانگیرا ميرزا، تاريخ نو، ص ١٩٨، وصفحات أخرى.

ولم يكن في استطاعة مؤرخي هذه الفترة كتابة غير هذا؛ فقد كانوا من الأمراء أو من الموالين للبلاط، وكان البعض منهم قد لحق به الأذى على يد قائممقام مثل جهانگیرا ميرزا. لكن من خلال عباراتهم نستطيع بسهولة استنباط أن بلاط هذه الفترة - مع وجود مثل هذا السلطان المتدروش والرجال المنافقين والمتملقين - لم يستطع تحمل تشدد وصرامة رجل مثل قائممقام فاعتزازه بنفسه وغروره أحياناً وتمرده^(١) على كل القرارات التي لم يكن يعتبرها في مصلحة البلاد قد أثار عليه الجميع كبيراً وصغيراً.

كان قائممقام رجلاً فوق العادة ذكي وصاحب فكر وعزيمة ثابتة أي كان (رجل سياسة من الطراز الأول، تهمه مصلحة إيران)^(٢) واستطاع باطلاعاته وتجاربه التعرف على الأوضاع والأحوال السياسية لجيران إيران جيداً وقوة نفوذ وسطوة الكاردينال (مازاران برلويي الرابع عشر) على شاه إيران الشاب. وبالرغم من هذا الوضع كان محالاً أن يحصل على امتيازات من شأنها الضرر بمصلحة إيران، وكان الإنجليز متيقنين من أن ميرزا قائممقام هو المحرك الفعلي، وليس من الممكن أن يحدث تصدع في الأمور الداخلية لإيران، أما الكتاب الإنجليز الذين كانوا يجوبون إيران في هذا الوقت مثل

(١) يقولون ذات يوم قرر محمد شاه ٣٠٠ تومان سنوياً لحاجي ميرزا آقاسي وعندما وصل القرار لميرزا قائممقام تعجب وقال بهذا المبلغ الذي يعطيه من كدح الفقراء إلى ميرزا آقاسي المجنون أستطيع أن أعين جنوداً لتأمين الحدود، وأيضاً : "عندما أمر الملك الغازي بإعطاء ما يعادل ٢٠ تومان من الذهب إلى بستانى الحديقة، أرسل قائممقام أحد الأشخاص واسترد هذا الذهب وعلى الفور أرسل رسالة إلى الملك مفادها أن كلينا في خدمة دولة إيران، إلا أنك الخادم الأكبر لدولة إيران ونحن لا نستطيع أن نوثر أنفسنا بأكثر من مائة ألف تومان" - (ناسخ التواريخ، ج ٢).

(٢) فريزر.

(اليوتتان كونولى ودكتور وولف وفريزر) كانوا جميعاً يقدرونه ومع ذلك كانوا يتهمونهم بموالاة الروس وتحريض عباس ميرزا نائب السلطنة على عصيان نصائح الإنجليز وإعلان خريطة الاستيلاء على هراة، ولم يكونوا يخفون سوء ظنهم وعدواتهم الشديدة لهذا الرجل الكبير، ولا يخفون كذلك أنه الشخص الوحيد فى ذلك الوقت الذى كان يستطيع إدارة إيران إدارة جيدة.

ولقد قام الأمير فرهاد ميرزا^(١) بطباعة مجموعة رسائل ومنشآت قائممقام التى شملت عدة رسائل وخطابات صداقة ومعاهدات ومكاتبات ووثائق أوقاف، وذلك فى طهران عام ١٢٨٠ هـ ق وكتب محمود خان ملك الشعراء مقدمة لها^(٢).

نثر قائممقام :

يُعد قائممقام قبل كل شىء رجل سياسة وعمل، وكانت الكتابة أيضاً من ضروريات عمله، فلم تكن من باب التقنن واستعراض فنه. وأغلب كتاباته قد كتبت فى عجلة، ومع هذا فإن كتاباته تتمتع بالذوق وحسن الأسلوب بالفطرة^(٣).

(١) لا ننسى أن هذا الشخص هو نفسه الذى وصفه بالجبن وسوء العمل، ورغم هذا كله مع طبعه لكتاباته قدم تاج عبوديته لبلاط فضله وكماله.

(٢) بعد ذلك طبع مرتين أخرتين فى عام (١٢٨٢-١٢٩٤ هـ ق) فى تبريز وأيضاً ظهرت طبعتان أخريان فى طهران (١٣٣٧ ش)

(٣) أطلق معاصرو قائممقام عليه لقب سيد المترسلين وإمام النثر الفارسى، وبالغوا فى عظم منزلته وعلو مكانة قلمه. يقول مؤلف ناسخ التواريخ. عندما اعتقل فى عهد محمد شاه، قال الملك "خذوا قلمه وقرطاسه من يده وإذا أراد أن يكتب لى مطلبه فلا

نثر قائم مقام لا يوجد به عبارات متكلفة كثيراً ولا متصنعة ولا ذات مضامين ملتوية ولا تشبيهات جافة، ولا سيما في المراسلات الخاصة التي تقترب إلى البساطة وإلى الكلام المتداول بين الناس. ونثر قائم مقام يعتمد على الجمل قصيرة التركيب والتي ليس فيها تكرار، وهذا خلاف آثار أسلافه حيث كانت جملهم وعباراتهم طويلة ومليئة بالتكرار والسجع. ويتميز قائم مقام بقدرة كبيرة على نظم المزدوج مستفيداً من الأسجاع الجميلة لسعدى وجلستانه. وابتعد قدر الإمكان عن ذكر الألقاب والأوصاف المرائية، وكان أقل كثيراً من أقرانه وأسلافه في الاستشهاد بالأشعار الفارسية والعربية وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في كتاباته والتي كانت سمة لدى الكتاب السابقين، وأحياناً كان يستخدم كلمات واصطلاحات جديدة ومتداولة، وكانت صعبة جداً على الكتاب المحافظين، الذين لم يكونوا يهتمون بها.

وفي النهاية فإن رسائله بالنسبة لعادات وتقاليده ذلك العصر جامعة ومركزة، ولا سيما في الأمور التي لم يكن يرغب في التصريح بها، فنجدها موجزة وقصيرة ومناسبة مع المقام التي يقال فيه (لكل مقام مقال).

على أي حال فإن أسلوب قائم مقام كان محاكاة لأسلوب سعدى وكان جميلاً وسلساً ومتناسقاً مثله. و الرسالة التالية كتبت عن لسان عباس ميرزا في أثناء حربه مع الروس إلى ميرزا الكبير قائم مقام (عيسى قائم مقام) كانت من أولها إلى آخرها مليئة بالألغاز والكنايات وكانت موجهة إلى علماء

تتركوه يفعل ذلك. فإن في قلمه سحراً وفي بنانه وبيانه سحراً وخدعة فإنني إذا رأيت خطه فتنت به وأطلق سراحه) - ناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه، (أحداث) سال سنة ١٢٥١هـ ق.

وطلاب تبريز الذين لم يكونوا على وفاق مع ولى العهد حتى أنهم كانوا
مشاركين فى تحريض الروس ورجالات البلاط فى طهران ضده :

«يا إلهى أقول الصدقَ الفتنةُ منك

ولكن من شدة الخوف لا أستطيع الاعتراض

فشفاه وأسنان حسناوات بلاد الخطا

ما كان يجب خلقها بهذا الحسن

فمن جراء شفاهن وأسنانهن

يجب عض اليد والشفاه بالأسنان

ويقول ولى العهد^(١) إن السكر والعدس (نوع شبيه بالعدس) وأقداح من
عصير الفاكهة وشرابكم طوق أعناق علماء الدين^(٢). وإن الجواد العربى لا يأكل
شعيراً كثيراً والجواد القازاقى لو أكل عشرة أمان مرة واحدة لا يثمل بخلاف
الجواد غير الأصليل الذى إذا رأى شعيراً كثيراً وأُتيح له الدخول فى أماكن
الرعى الممنوعة فإن أول عضه وأول ركلة تكون لسايسه الذى يرعاه ويؤديه.

يا شجرة الورد الجديدة إن شوك ظلمك

أصاب أول ما أصاب قدم البستانى

ومنذ ذلك التاريخ الذى رأى فيه شيخ الإسلام فى مدينة تبريز إن
صلاح المسلمين يكمن فى استسلامهم للمغول، فإن علماء تبريز لم يحظوا

(١) عباس ميرزا نائب السلطنة.

(٢) أئمة تبريز.

مطلقاً سواء في عهد جهانشاه ومظفر وسواء في عهد السلاطين الصفويين وحتى في عهد نادر شاه وكريم خان وأيضاً في عهد آل دنبلي وعهد أحمد خان بالاحترام والإعزاز والاعتبار والطاعة، مثلاً حظوا في هذا العهد من دولتنا وعنايتنا الذي رفعوا فيه علم الكبرياء إلى أوج السماء. خيراً تعمل شراً تلقى ! اليوم الذي نقف فيه أمام الجيش المعتدى وتركنا ممتلكاتنا دون حماية خارجية معتمدين على أهل تبريز، فإنهم يثيرون الفتن في عاصمتنا ويغلقون المحلات والسوق ويتجولون في سيد حمزة^(١) وباغ ميشه^(٢) وينشر

(١) سيد حمزة، هو من السادات والذي يصل نسبه السادس عشر إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهذا النسب يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كتب هذا على قصره. ومولده الشريف في بلدة خواف (خاف) وكان السلطان غازان يرغب دائماً أن يكون سيد حمزة في صحبته لما يضيفه من بهجة، وكان يأخذه معه في أكثر سفرياته. توفي سيد حمزة في سنة ٧١٤ هـ ق. وذلك القصر شيده ابنه ميرزا حسين (تاريخ محمد أمين حشرى نقلاً عن نادر ميرزا) وأيضاً سيد حمزة رضى الله عنه كان له منزلة كبيرة لدى محمود غازان، ويقولون كان نديمه، ويقال إن كبار رجال المغول ضاقوا من تقربه للإيلخان محمود غازان. وأحياناً لم يكن يتحدث بخير للسلطان عن القادة المغول. وذات ليلة خرج ممتطياً جواده من الحضرة ووصل إلى تلك المنطقة التي يطلقون عليها (سرخواب) (وهو المكان الذي دفن فيه) وكان هذا المكان معسكراً للجيش وانطلق سهم عربي فأرداه قتيلاً ودفنوه في هذا المكان وقد بنى ميرزا أبو طالب الوزير الأذربايجاني بناية في هذه البقعة إلا أن هذا المبنى قد هدم وتلاشت جدرانه (نادر ميرزا . تاريخ وجغرافياي تبريز).

(٢) باغميشه : ضاحية كبيرة ومنتزه، وهي ممتدة من الشرق إلى ساحل النهر في ممر ضيق، وطقسها ممتاز، ومليئة بالأشجار المثمرة، ومغطاة بالأشجار (نادر ميرزا تاريخ وجغرافياي تبريز).

مرزفيتش^(١) أخبار هذه الفتنة عند ملك الروس ويذيعها صفى خان فى البلاط الملكى وآخرون فى بلاد الروم ويل لأهل تبريز لو كان فتحعلى خان لديه الكفاءة وكان الحكام بشرًا، برغم أن بجانبهم إنسانًا مثل ميرزا مهدى، لما كانت لفتاح غير العليم^(٢) الجرأة والقدرة على فعل مثل هذه الأمور !؟

(١) سيمون إيفانوفيتش مازارفيتش : طبيب كاثوليكي من أهل فينسيا عمل فى الحكومة الروسية منذ عام ١٨٠٧م، وكلف فى الفترة من ١٨١٨م إلى ١٨٢٨م من جانب الحكومة الروسية بحل الخلافات المتعلقة بين روسيا وإيران وكان يعيش مع أخويه الأصغر منه (اسبيردن، يوسف مازارفيتش) فى تبريز . جريبایدوف الشاعر الروسى المعروف وسفير روسيا الذى قتل فى طهران يعده رجلاً محبًا وعاقلاً وذا هممة (الرسالة المؤرخة فى ١٥ ابريل سنة ١٨١٨) أما عباس ميرزا فى مباحثاته مع جريبایدوف فإنه يعده عدوًا وسببًا من أسباب الحرب بين إيران وروسيا (جريبایدوف، تبريز، بتاريخ ٣٠ يونيو سنة ١٨٢٧م من معسكر قرابابا إلى الجنرال باسكوفيتش) وتوفى سيمون إيفانوفيتش عام ١٨٥٢م.

(٢) عندما توفى حاجى ميرزا يوسف، كان عنده ولد يدعى السيد عبد الفتاح. وكان الناس مخلصين كثيرًا لحاجى ميرزا. فالتقوا حول ابنه، ورويًا وذات يوم ادعوا بهتانا أنه من السادات وأن له كرامات... وكان شابًا مغرورًا وأحمق. واطلعت عدة مرات على كتابات ميرزا أبو القاسم التى لا مثيل لها والتى كان قد كتبها إلى والده من طرف نائب السلطنة، وكان قد أطلق عليه لقب (فتاح غير العليم). لو كنت أستطيع اتهامه بجرم يعلم الله لأفعل ذلك (نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز).

فى هذه المرة التى اقترب منها أرسنوف انضم إليه، أهل مرند الذين كانوا قد عانوا اضطراب خاطرهم. من بين بلدة تبريز كان السيد فتاح شابًا غرًا وكان ابنًا لحاجى ميرزا يوسف مجتهد. اعتقد بوساوسه النفسية وتخيلاته الشيطانية، أن طاعة الإمبراطور الروسى ستؤدى إلى خضوع الناس له وأن المحراب والمنبر سوف يزدهر مرة أخرى. وبعد ذلك صعد إلى المنبر ودعا الإمبراطور عامة الناس أيضًا إلى طاعته.

وفجأة ثار الناس وعمت الفوضى وأنزلوا حراس البرج والسور، ومن ناحية أخرى=

قيل إنه إذا لم يشبع السادة جيداً من الحساء والأرز فهذا مقبول، لكن أنت ماذا حدث، ألم تشبع من الزهد الكاذب ونهم الملالي؟ لقد تم كتابة كتاب الجهاد، وثبتت النبوة الخاصة، كفاك لغوًا، وعليك أن تخدم أيضًا المعشوق والخمر ! فلو كنت صرفت عشر ما قلت عن الجهاد مع أهل السلاح بدلاً من أهل الصلاح لما بقي كافر واحد يحتاج لمجاهد.

على كل حال عليك أن تجعل مائدة الجمعة الخميس وقفًا لأعيان المدينة ورؤساء الأحياء، ونجباء القبائل، والرؤساء العقلاء، وأن تطوى مائدة الحيلة والخداع، وتعرف العملة المزيفة.

العملة الصوفية ليست كلها حقيقية وسليمة

فما أكثر الخرق التي تستحق الحرق

لم تظهر أية فائدة حتى الآن من كل ما قرأناه من هذه الأوراق وسردناه على هذا النسق، بل إن هذا يمكن أن يكون من نتائج صلاتنا وصلاتكم يوم الجمعة وتضرعنا ليلة يوم الجمعة. فلتطووا بعد ذلك البساط القديم، وتفرشوا الجديد، وتخالطوا أهل تلك المدينة، ولتتقربوا إليهم، وتوجهوا الدعوة لهم وتحدثوا معهم، ولتختاروا من شبابهم الأكفاء وشيوخهم العقلاء من يصلح

=ارتفعت أصوات المدافع الروسية من منطقة (آجى جاى) التي تبعد فرسخين عن تبريز ورفع ميرفتاح علمًا وطلب من الأهالي أن يخرجوا لاستقبال الروس فى يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الثانى من عام ١٢٤٣هـ أحضروا جماعة من الروس إلى قلعة تبريز، فى تلك الأثناء كان نائب السلطنة قاصداً مدينة تبريز، واستمع إلى هذه القصة وهو على بعد فرسخين من المدينة وأمر قائممقام بالتوجه إلى تبريز فاضطر إلى تنفيذ ذلك واتجه عن طريق سلماس (سيهرناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه).

للخدمة، وأصرف عليهم واحد على ألف مما صرفته على تلك الطائفة، ويستحسن أن تصرفوا هذه الجماعة، ولتكن مثل سائر ممالك المحروسة لا أذى ولا ضرار ولا تدخل ولا سيطرة.

إن حضرة جناب ميرزا مهدي في الحقيقة أحد أمناء دولتنا وكاتمي أسرار حضرتنا ولا دخل له بهذه العصابة. وهو من المخلصين لنا تمامًا. [وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] ^(١). فلو كان يحمل نفس اسمهم، فهو بحمد الله ليس في رسمهم، فهو في العلم أغزر منهم، وفي الخدمة أوفى منهم. إن مؤانستكم أزاحت مجانستهم، وهو مماثل لأمنائنا وكاتمي أسرارنا ومؤانس لعنايتنا ومكارمنا.

برغم أن كليهما من الطباع فإن السعادة أفضل من الحزن

ورغم أنهما من الخشب فإن المنبر أفضل من المشنقة

لو طلبت صحبة أهل الكمال فكن أديبًا مبدعًا في تلك المدينة مثل جناب حاجي فاضلي وحاجي عبد الرزاق بيك ^(٢) كثير العمل، وقليل الطعام، قادرًا على تدبير شئون الحياة بحلوها ومرها. أعوذ بالله أن تكون مثل الشيخ الملا قصير القامة الذي إذا قيل له هل امتلأت؟ قال هل من مزيد. مثل حصان الأحمال كثير الأكل وقليل العدو، آفته التبن والشعير، ليذهبوا فداءً لأكابر الروم، وباباوات أوربا، فلم يكن عندهم ذلك العلم وتلك الفضيلة التي يردوا بها على البابا ولا هذه الغيرة والحمية بحيث يغلغون باب المسجد وطريق المئذنة مثل أكابر الروم، ويسوقون الناس لمواجهتنا، ويدعونهم إلى حفظ

(١) سورة فاطر ، آية ١٢ .

(٢) المقصود عبد الرزاق بيك دنبلی مؤلف المآثر السلطانية .

ملكهم ودينهم، ما شاء الله عندما يفتحون قبضة الشجاعة يشهرون السيف الذى يجب إشهاره اليوم فى وجه الجيش العثمانى يشهرونه فى وجه ميرزا أمين الأصفهانى، ويعتادون على الصيد المنزلى وادعاء الجنون وعلى كل حال، الآن وهم أصحاب الرمح والسيف وبكل هذه الشجاعة والقوة عليهم أن يتحملوا مشقة المجيء وأن يقاتلوا العاصى.

لقد صدر القرار المبارك فى هذا الشأن إجلالاً وتعظيماً لكم، ولكم القدرة وحرية التصرف فى أى موضع، والسلام على من اتبع الهدى».

وهناك رسالة كتبها لزوجته (جون مكدونالد)^(١) وأخت السير (جون مالكوم)^(٢) المعروف وهى أسهل رساله لدينا لقائمه مقام، وقد حاول الكاتب فيما يبدو أن يكتب الرسالة بأسلوب سهل بسيط قدر المستطاع حتى يستطيع القارئ الذى لديه القليل من المعرفة باللغة الفارسية أن يفهمها جيداً، وليس لهذه الرسالة تاريخ، لكن يبدو أنها كتبت بعد عام ١٨٢٦م وقبل عام ١٨٣٠م: "صاحبة الجاه والعظمة وصاحبة العصمة والعفة، الأخت الرحيمة المباركة السيدة الفاضلة، أسأل الله من فضله ورحمته أن تكون السعادة والتوفيق مصاحبة لك أينما كنت، لقد أصابنى الملل والضيق منذ رحيلك لأنك الصديق الحقيقى لى والسفير العظيم للحكومة الإنجليزية الخالدة، قد بقيت وحيداً أخاف أن أصاب بشدة من آلام الوحدة والابتعاد عنكم وتضيق بى هذه

(١) Macdonald مكدونالد : السفير الإنجليزى فى إيران والذى كان يعيش فى تبريز توفى فى عام ١٨٣٠م.

(٢) Sir John Malcolm السير جون مالكوم رجل سياسة ومؤرخ إنجليزى (١٧٦٩-١٨٣٣م) ألف كتاب تاريخ إيران عام ١٨١٥م، وترجمه إلى الفارسية ميرزا حيرت مدرس اللغة الفارسية فى الهند.

المملكة، والحق إننا لسنا راضين أبدًا عن رحيلك. وسكتنا خوفًا أن يغلب عليك حب الوطن وتتضايقين من إلحاحي عليك بالبقاء. الآن وقد وصلت بحمد الله إلى إنجلترا واسكتلندا موطنك الأصلي ومسكنك المألوف، وتلافيت ما مر بك هنا بقضاء أوقات سعيدة ، فقد كان من الواجب أولاً، أن أعرب عن أسفى وحزنى للفراغ الذى تركتيه فى هذه المملكة (إيران)، ثانيًا، أكتب لك مهنئًا ومباركًا على وصولك إلى ديارك ووطنك . ثالثًا، أن أسأل على أحوالك المباركة، ثم أخبرك بثلاثة أمور برغم الاختلاف والفارق الكبير بين تلك الممالك وبلدنا هذا (إيران) وأن كل من يرى بلادكم لا يرغب ولا يميل أبدًا للعيش فى مثل هذه الأماكن، إلا أنه من الممكن على سبيل الصداقة والأخوة والرحمة أن يرضى بسوء العيش هنا. ومعلوم لك أن أهل هذه المملكة (إيران) أنسوا بوجود صاحبة الجاه السفيرة المعظمة، وتعامل معها الملك الأعظم والنواب وولى العهد، ومن الصعب جدًا أن يجدوا إنسانًا طيب القلب مثلك وفى هذه الحالة سيكون من الصعب بقاء السيد المشار إليه (ماكدونالد) فى هذه المملكة (إيران) بدون وجود تلك الأخت الرحيمة؛ لأنه ليس له أهل أو راع غيرك ولا يستطيع أن يصرف نظره عنك.

أتوقع كأخت لى أن ترسلنى ردًا سريعًا على هذه الرسالة، وأن تكتبى لى فيها عن أحوالك لى نطمئن جميعًا على سلامتك. وعليك أن تفكرى جيدًا فى هذا الموضوع المهم الذى كتبته إليك وأن تبلغينى بقرارك ورأيك ، ونرجو أن تتخذى قرارًا يصير مدعاة لسرورنا وسعادتنا جميعًا. لتكن الأيام الباقية المباركة كما ترغبين. والسلام قائممقام الدولة العلية الإيرانية أبو القاسم الحسينى^(١)».

(١) أصل هذه الرسالة فى المتحف البريطانى فى لندن، إسماعيل دولتشاهى، رسالة غير منشورة لقائممقام، مجلة راهنماى كتاب السنة الخامسة العدد الثانى.

من الرسائل الخاصة لقائم مقام:

«كانت قد وصلت المكاتبات المفصلة بصحبة ذو الفقار بيك، بينما كنت أجيب عن عريضة مختصرة. حتى إذا ما وصلت إلى منتصف الصفحة، عندئذ جمع القلم عن الكتابة، ووقع العنان من يدي (لم أستطع السيطرة عليه) فرأيت دون إرادة مني أن أقتبس من العلم الفياض لوقائع نكار، "غراب، والغراب يتمنى أن يمشى مشية طائر الكبك فدفعته إلى الأمام"... مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. (١) ماذا يعنى الصدق؟ أين الحقيقة؟ لماذا الحديث دون مواربة؟ نشرب الخمر في الخفاء حتى لا يكفروننا. الرجل الذى يتحدث هنا صراحة أكثر ندرة من المرأة التى تسير محجبة منقبة في بلاد الفرنجة... إننى لم أستطع معك صبراً. (٢) لقد جعلت ورقتك مثل أبناء الزمان الذى انقطعت أنفاسهم، إن شاء الله لن يخيب الله رجاءك. ليس كل شخص يستطيع أن يتفوه بفحش الكلام، وإنى باقتضاء الجبن والحذر أميل إلى الكناية والرمز حتى احترز من السعاية والغمز. يا نجى الألفاف، نجنا مما نحذر وما نخاف».

كتب من خراسان إلى ميرزا بزرگ:

"كل شخص بيده كأس

يشرب من الكأس السلطاني خمراً

(١) سورة إبراهيم، آية ٤.

(٢) المقصود (إنك لن تستطيع معي صبراً) سورة الكهف، آية ٦٧.

لو كان السيد يقول الصدق، فإن ميرزا على خان الذى يحكم مدينة
جام^(١) يجب عليه أن يحمل رأسًا من اللفت حتى لا يموت من الجوع، فما
بالك بحالنا نحن الضيوف فى هذا المكان.

أول أمس فإن مائة مَن من القمح فى سرخس لم تجد مشتريًا، اليوم
فى جام فإن مَنًا واحدًا من الشعير لم يجد أيضًا اثنين من المشتريين لينحصر
قوت الإنسان والحيوان فى الثلج والبرد؟.....».

كتب من خراسان إلى وقايع نكار:

"يا نسيـم الصبـا لتتـلطـف علينا بالحديث

فإن الغزال الأرعن الذى منحنتا إياه شارد صوب الجبل والصحراء
إنكم قد مهدتم لنا السبيل إلى خراسان والآن تقولون أن أموال العام
المنصرم لم تصل بعد. ولتتلفوا علينا بمحبتكم مرة أخرى فى مقابل الخمسة
آلاف، أين نحن من هذا؟ الطائر المسكين أى خبر عنده عن الروضة!
مرحباً أيها العشق الذى فتنا به

أيها الطبيب لكل أمراضنا

أيها الدواء لنخوتنا وناموسنا

يا من أنت لنا كأفلاطون وجالينوس

(١) جام مدينة فى خراسان.

أحداث الزمان كلها عجيبة وهي مصدر للحيرة والدهشة التي لا حدود لها. فلقد حكم وأفتى ميرزا جعفر ووقع في الحضرة العلية على أن كل شخص متعب ومتألم لن يبقى في الموكب المنصور حتى لا يستشرى الداء. والحراس الخبراء والعالمون ببلاط الحريم مكلفون ومعنيون بالإبلاغ عن أى شخص يصاب. سبحان الله! لماذا هم غافلون تمامًا عن حال قلبي، فهو نفسه مصدر الداء والطاعون، فلتقر بعجزك يا أرسطو ويا أفلاطون!".

رسالة إلى محمود خان دنبلی فی الدفاع عن محمد ميرزا:

"المخدوم المحمود حفظه الله الودود، قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود،^(١) يريدون أن يطفئوا نور الله.^(٢)

لقد أتممت الحديث مع الأصدقاء

يا إلهي فلترفع الحجاب عن هذا المعنى

الأمير الأعظم، روى فداه، إذا لم يكن يملك ذهبًا وفضة فإننا لا نخشى عليه، فإن يده وقدمه ووجهه طلق ومبسوطة بحمد الله.

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

ألم يكن لحاتم الطائي سوى كيس خال وهمة عالية ولا شيء آخر؟ يا ولي العهد المرحوم المغفور، ألبسه الله حلل النور، ألم يكن له سوى الاجتهاد وبذلك الجهد الجهد في سبيل دين الله والإخلاص والصدق في أمور الدولة؟ أو لم يورث غير هذين الشيئين فلسًا واحدًا للورثة؟ ومع هذا الوصف من

(١) سورة البروج، آية ٤، ٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٢.

ضيق العيش وضيق ذات اليد في كل عام لا محالة، ألم يكن يتصدق ويهب مليوناً أو نصف مليون؟ ألم يكن يسدد واحداً من هذه الملايين الثمانية (إشارة إلى الملايين الثمانية الغرامة التي وقعت على إيران لروسيا والتي أعطى منها عباس ميرزا ذاته مليوناً) رغم الظروف القاسية.

آه من هذا القوم الذي لا حمية ولا دين له، والذي لا يكف عن التثرة، والذي لا يملك ذاكرة. إنهم أعمياء في الحق مبصرون في الباطل، جهلة في العلم علماء في الشر. كما قال الشاعر:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

لو أبصرت بعين الإنصاف إلى ما وصل إليه غرور الأغنياء الذين يدعون الكثرة والتقدم والذين يطعنون في المفلسين وال دراويش يعلم الله أنه غرم لا غنم فليس لدينا مال وليس لدينا فضة فلا نخاف وليس لدينا ذهب يسبب البلاء. دائماً هم في هول وأسى وغالباً في قسم وأكاذيب.

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ» (١)

كانهم لا يؤمنون بيوم الحساب فهم يحكمون بالغش والتزوير.

أحياناً يصلون نار جهنم بسبب الخمس والزكاة، ، وأحياناً يغرقون في الماء مخافة الهدايا والضرائب، وأحياناً ينامون في التراب من فكر الحوادث والآفات، ولا شك أن عاقبة ذلك في الدار الدنيا ستذهب هباءً.

(١) سورة الهمزة، آية ١، ٢.

رقعة أخرى:

"منذ ذلك الوقت الذى انقطع فيه الحضور وانكسرت فيه قنينة الصبر على حجر الفرقة والبعد، الآن مضى أكثر من عامين ولم يأت من هذا الطرف بريد وسلام، ولا من هذا الجانب رسول أو رسالة. فطائر الرسائل عقد جناحه وأغلقت صومعة الوصال بابها.

أنت قلت إنك ستأتى فقلت لن تفى

بالعهد والميثاق والمحبة والصدقة

الحمد لله اطمأنت، لا سفر ولا حضور، لا مشقة ولا أرق
لا اضطدام ولا اضطراب.

مقدر أن يعطى للوردة رائحتها وأن ينفخ الروح فى الطين

ومن حكمته أنه أعطى كل شىء ما يناسبه

يعطيكم السعادة ويمنحني التعب، نصيبك باقى وحاضر، ونصيبى غائب، عيوننا على الباب وفى صدركم عين ضاحكة. هناك فرق بين من يكون حبيبه فى القلب وبين من تكون عيناه على الباب فى انتظاره. ما أسعد من تكون معيشته وحياته من حلال، وأن تكون فرحته من القرب والوصال، ليس مثلنا كسرى القلوب وأسرى السراب نحن صيام بالنهار ومتضرعون بالليل، شكراً لله أن ليس لنا حظ نادر ولا نصيب الإسكندر، جمالك ليس من الماء والطين غير أن نسيان ذكرى الأحبة كان ميموناً للحبيب.

أيها السحاب أتذكر الطائر الحزين
ذات صباح فى وسط الروضة
أمن الجائز أن أكون فى قيد المعاناة
وأن تكون أنت حيناً على الخضرة وحيناً على الشجرة
أقاموا هذه الليلة احتفالاً للمخلصين وأعدوا كل سبل اللهو والمرح،
الكأس قلبى والنواح طربى، والشراب دمعى، والشواء كبدى! فإذا كان لك
رغبة فى مثل هذا الاحتفال، وإن كنت عازماً على مشاهدة نزهة العشاق،
فلتمر بصومعتى دون تكلف، ولتتظر بعين العون بشهداء حبك ولتكن عوناً
للمحتاجين بسم الله إذا كنت صديقاً لنا".

شعر قائممقام:

قائمقام شأنه شأن غالبية رجال وعظماء إيران كانوا يقرضون
الشعر من آن إلى آخر، وكان يتخلص بـ (ثنائى) ولكنه لم يكن شاعراً،
ونحن لم نعرفه كشاعر. وأشعاره أغلبها قصائد ومدائح وبعض القطع
والمثويات، ويبلغ مجموعها حوالى ثلاثة آلاف بيت تقريباً، وقد جمعت
وطبعت على يد وحيد دستكردى. وله أيضاً مثوى باسم جلايرنامه كتبه باسم
غلامه كتعبير عن حسن طويته وقد مدح فيه محمد ميرزا الذى عرف فيما
بعد باسم محمد شاه، وهذا المثوى هو نفسه الذى ألف جلال الممالك إيرج
ميرزا كتابه المعروف عارف نامه^(١) تقليداً له.

(١) جلايرنامه قائممقام هى قنوتى فى هذا الحديث (عارفنامه).

وتتضح أهمية أشعار قائممقام في أن أشعاره بخلاف معاصريه التي لم تتضمن أية إشارة لأحداث عصرهم، فأشار في بعض أشعاره إلى الأحداث والوقائع الجارية. ومن بينها قصيدة نظمها بعد هزيمة المجاهدين الإيرانيين في أذربايجان وكانت سبباً في هزيمة وانكسار ولى العهد، وفيها ينوح ويشكو من جهل مواطنيه، فيقول:

أه من هؤلاء القوم الذين لا حمية لهم ولا دين
كُرد الرى وأترك خمسة ولور قزوين
سواء كان العدو والحقود عاجزاً ومسكيناً
وكان العاجز والمسكين عدواً حقوداً
يتقاطرون على الخيار والقرع عندما يلتفت رستم
ويسرعون خلف الخيل كالذئاب
وعبر في هذه القصيدة كذلك عن ضيقه من هزيمة إيران وانتصار
الروس عليها قال:

إنه الزمن حيناً يهب العزة وحيناً المذلة
إنه فلك لا عب له ألعيب كثيرة على هذه الشاكلة
إذا ترفق فإنه يكون غالباً بلا سبب ومباغثاً
إذا تشدد فإنه يكون غالباً غير موائم وغير مستقيم
فإنه مثل المنافقين يلصق بنفسه تهمة الإسلام أحياناً
وحياناً يتخذ جانب الكفار مثل الرهبان والقساوسة

ينظر أحياناً إلى العقيد وإلى النقيب وإلى صاحب المنصب
وأحياناً إلى العقيد والعميد وإلى القائد
يريد أحياناً جيشاً على مراد الذئب آكل الجيفة
وأحياناً يطلب دولة يحكمها سياسى محنك
أحياناً يقود جيشاً سفاكاً للدماء من بطرسبورج إلى تبريز
وأحياناً يرسل جيشاً جراراً من خراسان إلى تقليس

وقد قرض الشعر التالى معاتباً للهيّار خان آصف الدولة ومذكراً
بفراره من ميدان المعركة إبان الحرب الإيرانية الروسية الثانية:

أهرب حين يكون الوقت وقت الهروب
وول وجهك صوب الروح فإن الروح عزيزة جداً
يا خائن عيش وملح الملك وولى العهد
هل مقابل نعمة الملك وولى العهد الهرب؟
يندفع للصالح ويفر من الحرب
فليس هو رجل حرب، بل امرأة عاهرة وضعيفة
يقول إنى غلام فى المملكة
إنه والله ليس غلاماً، بل جارية
عاد بمائة مذلة وعار، والآن
عاد ثانية للنهب والطمع

حاشا أن يقل الحديد والفولاذ

بقطعة من الخشب ليست قوية ولا حادة

٦ - وقائع نكار:

كان ميرزا محمد صادق المروزي، الملقب بوقائع نكار من أهل شاهجهان ومن نجبائها، جاء إلى مشهد بصحبة الحاج محمد حسين خان بن بيرامعلي خان قاجار المروزي الملقب بفخر الدولة، وفي هذه المدينة بدأ في تحصيل العلوم. وبعد مقتل بيرامعلي خان عز الدين لوى قاجار على يد بكجان الأوزبكي واضطراب الأمور في خراسان اتجه من سواحل عمان إلى زيارة النجف الأشرف، ثم أقام في كاشان بعد عودته، واتصل بواحد من أهالي قم. وبدأ قرض الشعر وهو في ضيافة حاجي سليمان خان صباحي الكاشاني (متوفى عام ١٢٠٦ هـ.ق) ثم توجه بعد ذلك إلى طهران وسلك طريقه إلى بلاط فتحعلي شاه حيث عمل كاتباً في البداية في بلاطه ثم شغل في عام ١٢١٥ هـ.ق منصب كاتب الوقائع، وكلف بكتابة تاريخ الدولة القاجارية وألفه في مجلدين، أتم المجلد الأول في عام ١٢٢٥ هـ.ق وأسماه تاريخ جهان آرا أي [تاريخ زينة الدنيا] وعرضه على الملك القاجاري حيث منحه لقب رئيس دفتر السلطنة، وبعد ذلك التاريخ تقلد مناصب عدة وكلف بمأموريات مختلفة من قبل كل من الشاه وعباس ميرزا نائب السلطنة في خراسان وأذربايجان حتى وفاته في عام ١٢٥٠ هـ.ق.

كتب المروزي كتابين آخرين باسم قواعد الملوك وشيم عباسي كما أمر بجمع أشعار شعراء البلاط التي قرضوها في وصف ومدح الملك منذ

جلوسه حتى السنة السابعة من حكم فتحعلي شاه، وأطلق الشاه نفسه على هذه المجموعة التي أتمها في سنة ١٢٢٣ هـ.ق اسم (زينة المدايح)، وجرت مكاتبات بين المروزي وقائم مقام "تتميز بقدر من التجديد الإنشائي ولكنها لا تسمو لأسلوب قائممقام" ^(١) فكان قائممقام يمتدح إنشاءه وكتب في كتابه إليه [إنه مثال في بدائع الأفكار... إلى درجة لم يصل إليها أي مخلوق] ^(٢) ويقول مرة أخرى عن قول نائب السلطنة:

"إن ألفاظ وعبارات وقايع نكار مثل الماء الزلال الصافي الذي لا يحجب ما وراءه، والمضامين والمعاني واضحة وحاضرة دون حجاب أو غطاء مثل الماء والشمس، ليس مثل أشرار المدينة ونوائب الدهر المصابين بمرض الجدري الذين يشبهون المسجونين والمخدرين، يتحدثون عن العفاف ويأملون الزفاف.... ويخفون رؤوساً صلعاء، ووجوهاً قذرة ملوثة، ويتحدثون عن جدائل هفافة مثل السوسن والسنبل الذي تميله ريح الصبا والشمال". ^(٣)

وكما قلنا فإن وقايع نكار قد قرض الشعر أيضاً واتخذ لنفسه تخلصاً بـ (هما) وله قصائد على غرار أسلوب القدماء في مدح الخاقان، وعباس

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسي، ج ٣، الطبعة الثانية، طهران ١٣٣٧ ش.

(٢) منشآت قائممقام، طهران ١٣٣٧ ش، ص ٢١.

(٣) أرسل فتحعلي شاه وقايع نكار مع مازارفيتش إلى تفليس للتباحث مع باير ملوف حول گوگجای وقبان. ووصل تفليس في ربيع الثاني ١٢٤١ هـ.ق (نوفمبر ١٨٢٥م) وحين توفي إكسندر الأول قيصر روسيا فإن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة، وعاد وقايع نكار إلى طهران في رمضان ١٢٤١ هـ.ق (مارس ١٨٢٦م).

ميرزا نائب السلطنة، وميرزا محمد تقي صاحب الديوان، وكبار رجالات الدولة الآخرين، أشار في بعضها إلى أحداث وقعت آنذاك مثل فتح ترشيز وأمير آباد وخبوشان على يد عباس ميرزا وغير ذلك.

وكمثال على ذلك نذكر بعض أبيات من قصيدة نظمها في أثناء سفره وتوقفه في تفلis مقتفياً فيها أسلوب الخاقاني ومخاطباً فيها عباس ميرزا نائب السلطنة يشجعه فيها على فتح القفقاز:

لقد حبسنى الفلك فى تفلis

فيا حسرة على هذا الظلم وأسفاه على هذا العدوان

لقد أخرجونى من التربة الطاهرة

التى نعم بها الأطهار مثل الروح فى الجسد

لقد أحضر الزمان، الشريد

وجعله أنيساً للروس ومؤنساً بالمسيحي

إلا سيف ولى العهد الحارق للأعداء

ألا تدبير الشاه المحنك الشاب

يمنحنى الخلاص من هذا المسكن الشؤم

ويحررنى من هذا السكن القذر

أيها الإله العادل امنح الخلاص

من هذا السيف اللامع كالبرق

امح غبار الكفر عن طريق الدين
واكشف غطاء الشرك عن وجه الشرع
هاجت وماجت نزعات العدو بحدود إيران
فلتضرم ناره في قدر الهيام
وسكن بماء السيف غليانه
حتى يعلم أن هذا الهوس ساذج ولا أساس له

الباب الثاني

الأدب الإيراني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر

الفصل الأول - الشعراء

مقدمة:

واصل شعر البلاط الذي كان قد وصل إلى حد الكمال في عهد سلطنة فتحعلي شاه، تقدمه وازدهاره في عهد خلفائه، كذلك واستكمل المسيرة شعراء لا حصر لهم بنفس الأسلوب حتى منتصف عهد سلطنة ناصر الدين شاه، وكان أشهرهم شهاب الأصفهاني وفروغی البسطامي وقا آني الشيرازي ويغمای الجندقي وسروش السدهي الأصفهاني وشياني الكاشاني ومحمود خان ملك الشعراء، ومنذ منتصف القرن الثالث عشر فقط ظهر تحول بسيط في بنية الشعر الفارسي^(١).

١ - شهاب:

يعد ميرزا نصر الله "شهاب" الأصفهاني من كبار شعراء هذا العصر، وقد حضر إلى طهران سنة ١٢٥٤ هـ.ق، وحظى بعناية الوزير الإيراني حاجي ميرزا آقاسي ولقب بتاج الشعراء، وظل يتردد على طهران

(١) من شعراء الدرجة الثانية في عهد محمد شاه، وناصر الدين شاه ميرزا مهدي فروغ، وفرخي الأصفهاني، وميرزا رضا قلي سلطاني، وكلهر الكرمانشاهي، وهمای الشيرازي، وميرزا محمد تقي مسيهر، وعبد العلي احتشام الملك، الذي يعتبر من أسرة السلطنة، وعدد من أبناء وصال.

من حين لآخر ليعرض مدائحه وقصائده على الوزير ثم يعود إلى موطنه، وبعد أن اعتلى ناصر الدين شاه عرش السلطنة وصل شهاب إلى حضرة الملك وقدم التهنئة، وكلف بنظم عدة مجالس في مراثي ومأتم حضرة سيد الشهداء، وقد نظم شهاب أشعاراً كثيرة من القصيدة والقطعة والمثنوى.

وبرغم أنه قد جاء في حديقة الشعراء أن طغرل ابن شقيق شهاب قد تخلص من أشعاره وأخذ ينشد قصائده باسمه محرراً إياها^(١)، إلا أنني لا أصدق هذا الادعاء لأن ديوان شهاب موجود^(٢). وقد توفي شهاب سنة ١٢٩١ هـ.ق.

فى وصف الربيع:

إن نسيم فروردين^(٣) قد استضاء كضياء عظمة ملك العالم
وأشرقت أيام شاربي الخمر
فهيا يا ربيعى يا ضاحك الوجه فقد أقبل النوروز
هيا انعش أرواح الأصدقاء بتلك الخمر الصافية المعتقة
وحملت الشمس الحلة الذهبية فى بيت الشرف
وتوارت الشجرة تحت الخلعة الزمردية
وصعد ملك الورد فوق العرش بتاجه الأصفر الكهرمانى
فهيا أعطنى الكأس الفضية فقد اصطف الصفصاف والياسمين

(١) مجلة يادگار، السنة الخامسة، العددان ١ و ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

(٢) فى مكتبة مدرسة سيهالار بطهران تحت رقم ٢٥٧.

(٣) فروردين شهر هجرى شمسى يقابل مارس وأبريل (المترجم).

لقد تحطم قلب الشتاء من جيش شهر آذار^(١)
فكسرى أيتها الشمس الذؤابتين المتويتين
فمن نسيم الرياح صارت الروضة كلها تفوح بعبير مسك الصين
ومن قطرات السحاب صارت الصحراء كلها لؤلؤ عدن
إن النسيم قد عقد السنبيل وجعله مثل ذؤابتك
وظهرت الخضرة بجوار النهر مثل حاجبك اللطيف
واكتست الروضة بألوان الزهور وتعطرت برائحة الياسمين
فأعطنى أيتها الشمس الملونة بلون الورد خمراً برائحة الياسمين
والسحاب مثل رسامى الصين يرسم فى الصحراء الشاسعة
لوحة جميلة وبديعة فى كل لحظة
أشرب الخمر الوردية فإنه من نسيم الربيع
الأرض مخضرة والصحارى بهيجة وسعيدة
إن العيد السعيد قد دق طبول البهجة والإقبال
وقطرة المطر النوروزية قد أنعشت العالم
ونسيم الفصل الجديد قد زين عرائس الروضة
فجدد عهدى أيتها الفتى بالخمير

(١) الشهر السادس من الشهور السريانية، أول شهور الربيع.

لقد ابتهج الوادى فأسرع الخطى بالكأس الكبيرة
وانظر إلى تلك الزهور المتنوعة المتحررة من القيود
إن حلقات الريحان ملتوية ومعقدة مثل الذؤابة السوداء
وزهرة النسرين متدرجة فوق أختها كشمة أذنك
فأصبح الوادى متعدد الخطوط والألوان كجناح الديوك البرية
وصارت الروضة كثيرة النقوش والنقط كجناح الطاووس
إن الدم ينزف من الشراب على لحن ناي البلبل
يا من حاجبك كجناح البيغاء وخصلتك كجناح الغراب
ويهب النسيم فى الروضة كنفخة جبريل
فتصير البرعمة حلى كابنة عمران
ويشرب اللبن مع عيسى من ثدى واحد
السوسن الأبيض الذى يتكلم فى المهد
ويصير الشيخ فى عنفوان الشباب بفضل
نغمة طائر القمري التى هى أحسن من نغمة العود والرباب
والبلبل يزن القافية مع "شهاب" فى الروضة
وينشد الشعر فى ذكرى مجلس فخر الزمان..

نوروزيه (العيدية) :

أقبل عيد النوروز بكوكب السعد
بكوكب السعد أقبل عيد النوروز
وتسلاوت دورة الليل والنهار
وانتقلت الشمس إلى بيت الشرف، وأنت أيها القمر مضى الليل
أن الألوان لكى تترك خلوة الليل وتتحرك إلى الروضة
فإن المروج الخضراء تشبه خطك الممزوج بالمسك
والسرو المائلة على شط النهر تشبه قوامك
وشقائق النعمان مثل وجهك الجميل مزين القلوب
والسنبيل مثل ذؤابتك التى تفوح برائحة الياسمين
فتمايل وتبختر فإن الروضة قد ابتهجت بالورد والرياحان
والبرعم ضحكك كما تضحكين أيتها الشمس
وبكى سحاب الربيع كما تبكى عيناي
والصبا قد نثر المسك التتارى مثل طرترك
إنه العيد فهيا أشعل العود القمارى^(٥)

(٥) نسبة إلى "قمار" وهى مدينة فى الهند (المترجم).

وصب فى الكأس خمراً كالنار الحارقة
يامن عشقك تسبب لى فى فضيحة
لقد تغيرت الأيام ودار الزمان دورته
وصارت الصحراء جميلة ومزينة كجنة إرم
فتبخر واشرب الكأس واسترح فى الروضة
من أول فروردين حتى آخر نيسان
إن صفوف النباتات المترامية فى الوادى
كانها جيوش ملك إيران المدرعة
فانهضى أيتها الختية التركية حاملة القوس المدرع
وجهزى ركابى بعشبة دم سيناوش
حتى أقود جواد الطرب مثل رستم دستان
وقام آذر بغارة ليلية على جيش كانون
فغرقت الأرض بالدماء من غارته الليلية
وأقبل العيد مثل علم كاوه (*) المبارك
وصعد البابل على عرش الورد مثل فريدون (**)
وهرب الغراب الأسود من الروضة مثل الضحاك

(*) كاوه اسم الحداد المشهور الذى رفع لواء الثورة على الضحاك الظالم (المترجم).

(**) فريدون ملك من العهد الأسطورى حارب الضحاك وانتصر عليه (المترجم).

والشمس بوجهها المضئ فى منزل بهرام (***)
قد جاست وأقبلت الصبا ومعها فن سنمار
وأفسدت الروضة منظر قصر خورنق الجميل
فتعال إلى الخمر الصافية المعتقة التى تشبه العقيق اليمنى
يا من أحرق وجهك قلب شقائق النعمان
وطائر الحق هذا معلق بقدم واحدة
من أول الليل وحتى الصباح وهو يصيح كمنصور الحلاج أنا الحق
أعطني يا ذات الشفاه الياقوتية الخمر الصافية المعتقة
من الخـطـط الأزرق^(١) بقلب خالص
مادامت الكأس الذهبية الكبيرة فى يد النرجس الفتان
لقد أقبل العيد بالمجد السليمانى جميلاً وطيباً ومبتهجاً
وصارت الدنيا مثل الجنة الموعودة
ووضع نسيم الصبا فى طريقه العود على النار
وكان داود كان يغنى المزامير

(***) المقصود ببهرام كوكب المريخ (المترجم).

(١) الخط الرابع من خطوط جام جم وجام باده السعة (فرهنگ معین) جام جم: هى كأس خرافية كانت لجمشيد أو لسليمان أو للإسكندر كلما نظر فيها مالکها رأى ما يجرى فى العالم (المترجم).

وتحول الطير جميل الألحان كله إلى مطربين
ورفع شهر فروردين راية الإقبال
ووضع فى إصبعه خاتم العظمة والإجلال
وعاد دى وبهم من واصطفا إلى الخلف
واشتعلت نار زرادشت من زهرة نسيم الصبا
وأخذ البابل يغنى فى الروضة من كتاب "الزند"
وانظر إلى عقد الجواهر هذا الذى صنعه الندى للجو
وتلك الكأس العقيقة التى فى يد الشقائق
فيا صاحب الخط الأخضر والوجه الوردى والطرة الصفصافية
لقد آن الأوان لأن تكون الخمر فى الرأس والكأس فى اليد
فامرح وارقص وتمايل كالسرو
لقد صار الوادى جميلاً مثل وجهك أيتها الحسناء
فمن الأفضل أن تكونى فى الروضة كالغزال حديث المشى
فتبخرى كالقطا واستشقى الورد والسنبيل
كى ينظم طائر الروضة القافية
فالمداح فى بلاط الملك هو "شهاب"...

٢- فروغى:

ولد ميرزا عباس بن أقاموسى البسطامى (الشخص الذى قطع آغا محمد خان القاجارى إحدى أذنيه بتهمة الوشاية والنميمة) بالعتبات فى عام ١٢١٣ هـ.ق، ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره عندما مات والده، وظل فقيراً وبلا عائل فحضر مع أمه إلى إيران وسافر إلى مازندران عند عمه دوستعلى خان وأقام فى سارى.

ولم يكن ميرزا عباس متعلماً فكافح بشدة حتى تعلم القراءة والكتابة ، وقضى معظم أوقاته فى قراءة دواوين كبار شعراء الغزل مثل سعدى وحافظ حتى نظم هو الآخر غزليات بنفسه نتيجة اطلاعه وخبرته، وتخلص باسم "مسكين"، أما دوستعلى خان الذى كان خازن الملك عندما قصد العودة من مازندران أخذ معه أيضاً ابن أخيه إلى طهران وعرفه على فتحعلى شاه، وعرض مسكين غزلاً كان قد نظمها فى مدح الملك فلقى الإعجاب، وقد قصد مشهد بناءً على فرمان الملك للخدمة عند شجاع السلطنة والى خراسان، فأكرم شجاع السلطنة مقدمه وأعطاه منصب الكتابة، وبعد فترة قام مسكين بتغيير تخلصه إلى "فروغى" على اسم الأمير فروغ الدولة أحد أبناء شجاع السلطنة.

وبمجرد أن دخل قاآنى فى خدمة شجاع السلطنة بخراسان تعرف عليه فروغى وبعد الإقامة عدة سنوات فى مشهد انتقل الاثنان معاً إلى كرمان بصحبة شجاع السلطنة حتى عام ١٢٤٩ هـ.ق، ثم قدم شجاع السلطنة إلى طهران فحضر معه أيضاً فروغى.

وقد عاش فروغى فى طهران حتى آخر سلطنة فتحعلى شاه وفترة بعد ذلك فى عهد محمد شاه، وحضر عدة مرات مجلس محمد شاه فرأى منه

الملاطفة والتدليل وذهب بعد فترة إلى العتبات.

وبعد عودته من العراق تغير حاله بسبب استغراقه في أحوال ومؤلفات الصوفية مثل بايزيد البسطامي ومنصور الحلاج، وابتعد عن الناس وقضى حياته في الزهد والاعتزال.

فوصلت حكاية عزله وشروء فروغى وغزلياته الصوفية إلى مسامع ناصر الدين شاه فطلبه ولطفه وصار مغرمًا به لدرجة أنه كلما كان ينظم غزلًا كان ينشده عليه ويكمله فروغى.

وفيما يلي إحدى غزليات ناصر الدين شاه التي أتمها فروغى:

إن الحبيب لا ينبغي أن يشكو من حبيبه

والرجل لا يجب أن يكون ملولاً

لماذا يكون عاشق المعشوق بعشرة قلوب؟

إن عاشق المعشوق من الأحسن أن يكون بقلب واحد

إن رؤية وجهك الحسن لا تطيب مع الشكوى

فرؤية وجهك تطيب بدون الشكوى

فأضاف إليها فروغى:

إن السيد قد اشتراني ليلة أمس بلا مقابل وأخاف

أن يندم ويتراجع عن هذه الصفقة

وسالك طريق العشق يجب أن يسعى وراء هدفه

ولو فى قدمه مائة ألف بثرة جدرى

إن الذى قام بتصفير طرة لىلى

أراد أن يكون المجنون هو أسير الضفيرة

لا تسرع الخطى يا دليل الطريق خشية

أن يكون هناك عاشق متعب وسط القافلة

لقد أضفت غزلاً بديعاً لأبيات الملك الثلاثة

حتى يتصدر غزلى أية مراسلة

ماذا أضيف يا فروغى إلى غزل الملك الموزون

بحيث يصبح غزلى جدير بالجائزة؟^(١)

وظل فروغى يعيش هكذا متصوفاً وبعيداً عن الناس وكان يذهب عند الملك مرة واحدة كل شهر ويعرض عليه غزلياته الجديدة حتى توفى فى الخامس والعشرين من المحرم سنة ١٢٧٤ هـ.ق. بعد مرض شديد ألمَّ به وهو فى الستين من عمره.

وقد كان فروغى، كما قيل، رجلاً زاهداً وورعاً، ويقال إن الناس قد شكوا فى صحة عقيدته، حيث قال ميرزا إبراهيم النيسابورى المتخلص بمشترى وأحد الذين عارضوه وهجوه، فى قطعة أنشدها فى وصف الصيد بعد وفاة فروغى:

(١) وردت فى ديوان فروغى عدة غزليات أخرى مطلعها لناصر الدين شاه والباقى لفروغى.

يتحدث الناس كثيراً فى أمر عقيدته

وأنا لا أعلم إن كان مات على الكفر أم على الإسلام

وفى مجال تمجيده قال جلال الدين ميرزا والذى كان هو نفسه أيضاً
من أهل الشعر:

"أول مرة تشرف فيها بالمثل بين يدى سلطان العصر ناصر الدين
شاه، خلد الله ملكه، لقى اللوم والعتاب لأنه ادعى الربوبية، فخلص نفسه بل
ونال الإنعام والإحسان بهذه المقولة الطريفة : لقد هرولت سبعين عاماً حتى
وصلت الآن إلى ظل الله (أى الملك) فمتى سأصل إلى الله، فكيف لى أن
أدعى أنا نفسى الربوبية؟"^(١)

يقال إن فروغى كان له عشرون ألف بيت من الشعر، وقد ادعى جلال
الدين ميرزا أنه اختار خمسة آلاف بيت له وطبعها مرفقة بديوان قا آنى
ولكن لم يطبع فى آخر ديوان قا آنى أكثر من ثلاثة آلاف بيت لفروغى.^(٢)

وقد برع بالدرجة الأولى فى نظم الغزل، وهو يقلد سعدى فى غزلياته،
وليس فى شعره إبداع كثير، ومضامينه الشعرية هى نفسها التى قد تكررت
مراراً فى الغزل الفارسى سواء قبله أو بعده، إلا أن السلاسة وأسلوب البيان
والآلام والأحزان الصوفية التى فى أشعاره قد منحته مكانة فى الشعر
وتسببت فى شهرته، وقد راجت بعض غزلياته واشتهرت جداً بسبب جمال
اللحن وفصاحة البيان برغم أن مضمونها ليس جديداً.

(١) رهى معيرى، مقدمة على غزليات فروغى البسطامى، طهران، ١٣٣٦ ش
(٧- ١٩٥٨ م)، نقلاً عن جامع ديوان فروغى.

(٢) الطبعة الجديدة لغزليات فروغى البسطامى، بسعى منصور مشفق، طهران ١٣٣٦
وتشمل ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت.

وفيما يلي بعض غزلياته:

إذن فإن لهذه التهيئة المحرقة آثار
ولهذه الليلة المظلمة أسرار مضيئة
لا تغفلين عن حال القلب المحترق بنار العشق
فإن له شرارات في موقد الصدر
إن الشكوى تصدر من كل جذور شعري كالنأى
بأمل أن يكون في فمك السكر
أنت تتظرين في المرأة - ولا تدري
أن المرأة هي التي تتظر إلى وجهك
من يستحق سهم ذلك الحاحب الذي يشبه القوس التركي؟
إنه ذلك الذي له دروع على صدره الممزق
أنت المحبب لدى قلوب أصحاب النظر
وإلا فإن أم الدهر لها أبناء في كل ركن وزاوية
لقد أظلم نهار "قروغى" في طريق عشق القمر
فالأقمار مختبئة في ثنية الطرة
إن القلب قد غرق في التفكير في تلك الخصلة المعقودة
فاستبشر العقلاء أن المجنون قد سقط في الأغلال

* * *

ألا أيها السيد إلى متى تمنعني من عشق الخمر؟
ماذا يفعل العبد الذي سقط في يد القدر !
أمسكت بطرف ثوبه من أجل الشكوى
عندما سكت اللسان عن الكلام وامتنع عن النطق
وقلت لأكتب شرحاً عن مسألة العشق
فسقطت الرسالة من يدي وكذا عجز القلم عن الكتابة
إن المحبوب قد جاء لكي يرحم قلبي الخرب
ولكن في وقت لا تقيّد قلبي الرحمة
لا ذكر لإشراقة الشمس زينة العالم وكأن
الحجاب قد سقط عن ذلك الحسن المستولى على العالم
إن الحورية قد توارت عن عيون الناس خجلاً منك
والقمر سقط من فوق سطح الفلك حقداً عليك
لقد انفصل القلب عن جديلتك وانضم للحاجب
وسقط أمير قيد عشقك بالسيف
إنك كثيرًا ما تجاهلت أنين القلب،
إذن فإن القلب قد توقف عن الأنين وكذا الأنين عجز عن التأثير

فقال إننى سأقتل تلك الجريئة فى أسرع وقت يا "فروغى" ولم يقتلها
فكيف أتصرف وقد تأخر مثل هذا الأمر ؟!

* * *

المحبيب وفقاً للمرام والكأس فى اليد والقنينة على الكتف
سأخرج ثملاً من باب الشيخ بائع الخمر
أتريد أن تصل مراد القلب، اطبع قبلة على شفاهه الياقوتية
أتريد ألا تذوق طعم الهم اشرب كأس الخمر
نحن وحى العشق وروح مبخنة بالجراح
نحن وحفل الشوق وفم مملوء بالصياح
أتعلم ممن يشكو البلبل المجذوب؟
إنه يشكو من ذلك الذى أسكت فم البرعم
كيف أسمع نصيحة الشخص الذى بشفتيه
هاتين سلب منى الأذنين المستمعتين
لو أن عندك عين الجود من منبع الدفء هذه (الشمس)
فاعتصر ألماً أيها القلب وتوقدى أيتها العين الدامعة
إننى عاشق لجمالك بمائة ألف عين
وعابد لخطابك بمائة ألف أذن

لا يصل أحد إلى مراده من ذلك الفم بدون جهد
فاجتهد أنت بالخلاص يا "قروغى" بقدر الإمكان

* * *

متى رحلت عن القلب حتى أتمناك متى غبت عن العين حتى أبحث عنك
إنك لم تغب لكى أطلب حضورك إنك لم تختف حتى أجذك
لقد ظهرت بمائة ألف منظر لكى أشاهدك بمائة ألف عين
انظر أعلاك فى مرآة عيني حتى أطلعك على العالم العلوى
لينك تمر متبخرًا فى الحرم والدير حتى أجعلك قبلة المسلم والمسيحى
أريد أن أنزع النقاب ذات ليلة من على وجهك

وأجعلك شمس الكعبة وقمر الكنيسة
لو تقع فى يدى هاتان الجديلتان اللتان على هيئة الصليب

أضع فى قدمك آلاف السلاسل
لو أعطيت شجرتى طوبى والسدر يوم القيامة
جعلتهما معاً فداءً لقامتك المشوكة

يصير أمرى جميلاً فى بلاط العشق
إذا ما نظرت إلى وجهك الجميل
لقد أصبحت فضيحتى فى كل مكان فى العالم بسبب فتنة العشق

وأخاف أن أفضحكك لا قدر الله

* * *

عانقنى ليلة أمس ذلك القمر النخشبى^(٥)
ليت الصباح ما طلع فى هذه الليلة
واحتضنتنى حسناء قمرية الوجهه من شدة الحب
كالقمر فى وسط برج العقرب
إن العشق قد أخذنى إلى ذلك المكان
حيث لا دوران للفلك ولا ضياء للكواكب
كلما زاد هوى الكعبة المقصودة
طاب سعى الراكب وحركة المركبة
مادام كرم الساقى موجدًا والخمر باقية
فاقض وطرك فى كل لحظة وامسك الكأس الممتلئة
لا تتحدث عن التقرب إلى حضرة الحبيب
لأن العبيد المقربين صامتون
إن قلب خسرو قد تحطم وكذا رأس فرهاد
من دلال شیرین حادة الطبع حلو الشفاه
إن الذى عنده خبر عن أمر العشق

(٥) نسبة إلى نخشب وهى مدينة فى التركستان (المترجم).

لا شأن له بأية ملّة أو دين

إن الشعر المجعد المعنبر قد جعل نهاري مظلماً

والعنبر الأشهب قد جدد جروحي وآلامي

إنني لم أقصد أبداً قراءة الأوراد

فالحبيب لم يصبح عوفاً بقول يا رب

الحسنات يطلبن الذهب يا فروغى

فقد جرب حاجب الملك هذا الدعاء

٣- سروش:

ولد ميرزا محمد على بن قنبر على السدهى الأصفهاني سنة ١٢٢٨ هـ.ق، وقد عشق الشعر منذ طفولته وتعلق به تعلقاً شديداً، وأتم دراسته في أصفهان، وقرر أن يختبر قريحته في ساحة الأدب، فاقتحم المجال بإنشاد القصائد في مدح الحكام والأعيان المحليين مثل سائر شعراء عصره، لكنه لم ينجح في هذا الأمر ولم يلق عناية الممدوحين فقرر السفر وتجربة موهبته الأدبية في مكان آخر.

وكان عمره تسعة وعشرين عاماً عندما غادر أصفهان، وعاش فترة في قم وكاشان وقد ذهب في آخر الأمر إلى تبريز بعد ثلاث سنوات وأقام هناك، وقد حالفه التوفيق في هذه المدينة حيث هبّ لمساعدته الأميران القاجاريان قهرمان ميرزا ومحسن ميرزا حتى وصل إلى ولي العهد، وأعجب ولي العهد بالقصائد الرنانة المشحونة بالمبالغة والتي كان يقدمها في الأعياد فأكرمه

بمنحه الجوائز والعطايا، وعاش عدة سنوات في مدينة تبريز في رغد وهناء، وعندما توفي محمد شاه سنة ١٢٦٤ هـ.ق حضر سروش إلى طهران في رفقة ركاب ناصر الدين شاه. وأصبح من خدام البلاط الخصوصيين ونال من الملك جوائز عديدة، وصار من أهل الجاه والمال، وبعد وفاة قا آنى أصبح هو شاعر البلاط الأول، وحصل من الملك على اسم "الخان" ولقب "شمس الشعراء" وعاش، سنوات بصفته شاعر البلاط الرسمي حتى توفي بطهران سنة ١٢٨٥ هـ.ق وهو في السابعة والخمسين من عمره.

أما مؤلفات سروش فهي عبارة عن قصائد ومنظومات الفتح ومثنويات (ارديبهشت نامه، ساقى نامه، الهى نامه) وكتاب بعنوان شمس المناقب^(١) يحتوى على قصائد في مدح الرسول الكريم وآل البيت وستين قطعة في الرثاء وكذلك مثنوى بعنوان "روضة الأنوار" في ذكر واقعة كربلاء وديوان بعنوان "زينة المدايح" ولكن لم يجمع ديوانه الكامل ولم يطبع، حتى طُبع ونشر مؤخرًا سنة ٣٩ - ١٣٤٠ في مجلدين بالحواشى ومعجم الألفاظ مع مقدمة لجلال الدين همائى بسعى واهتمام الدكتور محمد جعفر محجوب.

شعر سروش: يعد سروش من أتباع المدرسة القديمة، وقصائده تقليد ماهر ومتقن لقصائد الأنورى والأمير المعزى والفرخى السيستانى، فهو يحاول أن يستخدم فى أشعاره مضامين وتشبيهات أكثر أصالة وجرأة، وهذه الرغبة تقوده فى الغالب إلى التكلف المفرط وأحياناً إلى الابتذال، لكنه بوجه عام قادر على بيان فكره وتوضيحه بمهارة واقتدار، والأبيات الأول من قصائده جميلة وقيمة جداً وهى فى منتهى الشاعرية والأستاذية برغم وجود

(١) بخط ميرزا آقا كمره آى وبسعى إبراهيم مشترى الطوسى، طهران، ١٣٠٠.

التصنع والتكلف بكثرة، والأبيات التالية التي قد أخذت من قصيدة له في تتبع
قصيدة الفرخي^(١)، تعتبر أفضل نماذج فنه الشعري:

ظهرت من طرفي السماء سحابتان صائحتان
وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى وحدثت الضوضاء من الناحيتين

ولمّا اشتبكنا معاً علا صوت المعركة من الجانبين
وهجمت كل منهما على الأخرى وكأنها معركة حربية

ألا أيتها السحابة المسرعة الصائحة بلا سبب
لماذا تصيحين وليس هناك عداوة فهل أنت مجذوبة؟!

إن الشمس ذات الوجه المضيئ تغيب وتتوارى بسبب غبارك المظلم
كالفارس الحائر المشتت بسبب غبار المعركة

وقد أشار سروش في أشعاره إلى وقائع العصر، و منها قصيدته
المشهورة جدًا في مدح ناصر الدين شاه وقتل خان خيوه (خوارزمشاه):

إن تاج خوارزمشاه الذي يعانق السماء السابعة
قد انتقل برأس صاحبه إلى ملكنا صاحب الإيوان المبارك

كان قد زحف من أجل السعى والاجتهاد بجيش
عدد جنوده أكثر من أوراق الشجر وحصى الصحراء

(١) مطلع قصيدة الفرخي هو:

صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق

مشتتة كحال العشاق وهائمة كطبع المتيمين

فهاجمه جيش خسرو فوق التل
وكان السيف المسلول كالبرق اللامع
فاقتدى نفسه بالتاج والحزام والثوب
لكى ينجو من السيف الهندي
فقتلوه وهزموا جيشه
وانتصر جيش الشاهنشاه الإيراني المظفر
فلا تجد شجرة سرخس واحدة في كل أنحاء سرخس
غير ملطخة بدمائهم كشقائق النعمان
وفي أثناء تركيب جهاز التلغراف الإيراني، قام أيضاً بتوضيح انطباعه
عن ذلك الاختراع العظيم على النحو التالي:
الشكر لله أن يسر الأمر على العشاق
بفضل ذلك الاختراع المبارك الذي انتشر في العالم
فقد أصبح العاشق على اتصال بالمعشوق في السؤال والجواب
بلا رسول أو رسالة ولو كانت المسافة ألف فرسخ
إن الأمور قد تيسرت في عهد الملك
فالتثناء على عهد الملك السعيد
وهذه الخدمة المباركة قد قدمها اعتضاد السلطنة
فحصل على وسام الشرف من ملك ملوك الدنيا

أما هذه القصيدة فقد أنشدها أيضاً في حفل أقيم في متنزه الجلستان في
يوم الخميس السابع من ربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـ.ق بمناسبة انتصار
الجيش الإيراني على الأفغان وفتح هراة.

إن هراة هي المدينة التي فتحها الملك والنجمة
هي الرفيق فهات الخمر أيتها النجمة الغيورة بهذه البشرى
فالزمان يدور دورته ويحمل كل عام
بشـرى فتح عظيم للملك
فبشـره هذا العام بفتح هراة
مثلما بشـره العام الماضي برأس خوارزمشاه
كل أسبوع رسول النصر وكل شهر بشـرى الفتح
وكان عصر الملك هو باب الفتح
بالأمس جاءت رسالة فتح هراة عند الملك
وفي الغد سيصل إليه خبر فتح قندهار
لقد كان الاستيلاء على مدينة هراة ماهو إلا أسطورة
فحطم الملك السعيد هذه الأسطورة
وفيما يلي نموذجان آخران لقصائد سروش:
ما إن رفعت عروس فصل الربيع الحجاب عن وجهها
حتى قام النسيم بتزيينها وتجميلها وكأنه ما شطتها
والندى على السنبل وكأن شعر حوريات الجنة

قد تحلى باللؤلؤ والجواهر على باب جنة رضوان
والبستاني في الروضة كأنه أذاب المسك طوال الليل
ومسح بيده الغارقة في المسك على غصن الزعتر
ومن كثرة النقوش المتنوعة في الحديقة والبستان
شطب السحاب الآذاري(*) على حرفة آزر(**)
وخرجت شقائق النعمان من الحجاب الأخضر
وغطت شتلة الورد الأحمر وجهها بالنقاب الفيروزي
ورسم الصبا صورة الحسنات الجميلات
فصنع الوجه من ورق الشقائق والعين من النرجس
ما أسعد ذلك العاشق الذي شرب كأس الخمر مع المعشوق
وفي الصباح فرش متاعه تحت أغصان الورد
والبلبل يغنى في الحديقة مجاناً
فلا يجب على المغنى أن يرفع بعد الآن يد التمتع والدلال
إنه ينبغي الآن عزف البربط، يجب الآن الجهر بالعشق
يجب الآن حمل الكأس في البستان مع الحسان
يجب الآن سماع المطرب واستنشاق عبير الربيع

(*) الآذاري نسبة إلى شهر آذار (مارس) (المترجم).

(**) آزر أبو سيدنا إبراهيم (المترجم).

وشرب الخمر فى ذكرى حكم الملك السعيد....

* * *

عندما غرّد الطائر فى وقت الصباح
أحضرت لى شمس الحسان كأس الخمر
وقالت لى انهض فقد حان وقت الصباح
وأخاف أن يصيبك الخمار الآن بوجع الرأس
وهى تعلم أن خمارى لا يجلس من أجل قدح واحد
فنهضت وأحضرت بسرعة قدحاً آخر
وزيّنت مجلسى اليوم من جديد كما زينته بالأمس
وأحضرت النُقل والنبيد والمطرب والمغنى
تارة لحن البربط وتارة الأغنية، مرة القبلة ومرة الرشفة
وجعلت من حولى جيشاً من السعادة والسرور
ولمّا قضيت النهار فى متعة حتى وقت الليل
قامت مرة أخرى بإعداد بساط أكثر جدة
ودخل الخادم من الباب وأحضر الشمع والشراب
وأحضرت الخادمة من بعده البخور مع المجرّة
وعندما مضى جزءان من الليل قامت من أجل النوم
بإعداد فراش من الحرير الخالص

وفكت قلادتها الثمينة وبعد ذلك
وضعت يدي حول عنقها كالقلادة
ودخلت إلى المخدع وهي مزينة وسعيدة
بعد أن خلعت ثوبها من جسدها كالوردة
ونمنا سكارى كل منا فى حضن الآخر
إلى حد أن الجسدين قد حقا علينا
أنا لا أمل ساعة من البقاء إلى جوارها
فكيف أمل من رفقة فاتنة مثلها
لقد هجرتنى محبوبتى وخرجت من منزلى
لقد اشتاقت للقاء الأمير مربى الغلمان
الأمير المحسن الذى ببركة قدوم الملك
سلّم بهرام لمروض أشقر...
وهذا غزل أيضاً لسروش:
لا تضفري شعرك واتركيه مسترسلاً
ارفعى النؤابة العنبرية فإنها هكذا طويلة
لا تغطى الوجه الرقيق كله بالخصلة الغارقة فى المسك
اتركى فرقاً بين الليل والنهار
قفى فى طريق الصبا واطلقى النؤابة

لَتَكُنْ النافجة على استحياء منك بعد أن تُفَتِّحْ

إن نسيم الصبا هذه لا تقوس قامة سرو البستان

لأن الكل أمام قامتك يكون في صلاة

لقد اعترف الصنوبر لعاشق قوامك

بأنه بك يكون مرفوع الرأس بين الحديقة والبستان

أنا واحتمال البعد عن وجهك حاشا لله

إن النفس الذى يدخل ويخرج بدونك هو النفس المجازى

أنت لا تحتاجين للحسن ولكن "سروش" المسكين

يحتاج إليك ليلاً ونهاراً من بين الحسان

ترجمة أشعار ألف ليلة وليلة:

من أبرز وأقيم أعمال سروش تضمين حكايات ألف ليلة وليلة الجذابة
والتي قام بترجمتها ميرزا عبد اللطيف الطسوجي، وتزيينها بالشعر الفارسي،
وتوضيح ذلك أن الأمير الفاضل بهمن ميرزا حاكم أذربايجان والابن الرابع
لعباس ميرزا نائب السلطنة والأخ الشقيق لمحمد شاه القاجارى قد طلب من
اثني من فضلاء عصره ترجمة ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية
نثراً أو شعراً، وكان أحدهما هو الملا عبد اللطيف الطسوجي والد مظفر
الملك، والذي نقل نص ألف ليلة وليلة النثرى إلى النثر الفارسي البليغ
الفصيح، وكان الثانى هو سروش والذي كلف بترجمة الأشعار العربية

الموجودة في ألف ليلة وليلة، وقد أتم هذه المهمة على أكمل وجه بمعنى أنه اختار بدلاً من أشعار الكتاب العربية أفضل وأشهر نماذج الشعر الفارسي لكبار الأستاذة وفي الغالب من غزليات سعدى وحافظ وفقاً لسياق الكلام، وأدرجها ضمن الحكايات بمهارة خاصة، وبما أن ألف ليلة وليلة تتضمن أشعاراً تشير إلى واقعة خاصة ومن المستحيل إيجاد ما يعادلها من الأشعار الفارسية، فقد نظم سروش بنفسه أشعاراً بالفارسية ووضعها مكان هذه الأشعار، وعلى هذا النحو أصبحت هذه الترجمة الفارسية الموجودة لألف ليلة وليلة كنزاً نفيساً ومملوءاً بأفضل وأفصح وأجمل الأشعار الفارسية، وتعد الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة المكتوبة بالفارسية أفصح وأبلغ بكثير من أصل الأشعار العربية لهذا الكتاب والتي تعد في الغالب سخيصة وعامية^(١).

وفيما يلي على سبيل المثال بعض الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة والتي قد كتبها سروش بنفسه:

في حكاية علي نور الدين والجارية أنيس الجليس والتي يتقابل فيها الخليفة هارون الرشيد وهو بثوب الصيادين مع نور الدين:

„ قال علي ابن الخاقان للخليفة الذي كان يرتدي زي الصيادين: أرى أنك قد طربت من هذه الجارية ومن عزفها على العود، فقال الخليفة: نعم، فقال علي نور الدين: لو أعجبتك أهدتها إليك، وشيمة أصحاب الكرم ألا يندموا على عطاياهم، فوقف علي ابن الخاقان وأعطى الجارية للخليفة الذي كان في هيئة صياد، وقال له : اقبل مني الهدية، فنظرت إليه أنيس الجليس وقالت: يا سيدي:

(١) وفيات المعاصرين من مذكرات الأستاذ العلامة محمد القزويني، مجلة يادگار، السنة الخامسة، العدد ٢٠١.

إن البعد عن حضنك لا يقدر عليه المتمرسون

والفراق أيضاً صعب على المبتئين

فقال على عندما سمع هذا:

ليكن الموت جليسى فى هجرك

ولتكن عينى قصيرة النظر فلا ترى إلى كمى

لو تنفست وفقاً لهوى القلب نفساً واحداً بدونك

فليكن يا رب نفسى الأخير!

وعندما سمع الخليفة حديثهما شق عليه شدة افتراقهما فالتفت لعلى نور

الدين، وقال: هل ارتكبت خيانة أم فى نمتك غرامة، ولهذا السبب هربت، فقال

على نور الدين: هل أتحدث شعراً أم نثراً أيها الصياد؟ فقال الخليفة: النثر هو

الكلام العادى والشعر هو لضم اللؤلؤ، فأنشد نور الدين هذه الأبيات:

كان لى صديق حنون بمدينة البصرة

كان بالنسبة لى الروح فى الجسد والبصر فى العين

اشترى من أجل إسعادى جارية

جميلة الوجه ومنيرة المجلس ومطربة

من لون وجهها امتلأ بيتى بأوراق الورد

ومن عبير شعرها امتلأت حجرتى بالعنبر

ومات والدى وأنفقت فى سبيلها
كل ما كان قد تركه لى من الذهب والفضة
فقلت لى جاريتى: اذهب وبعنى
لأنها وجدت أن يدى قد أصبحت فارغة من الذهب
فأمسكت بيد الحسناء وذهبت إلى السوق
لكى أبيع روحى، فهى لمن يدفع الثمن
فظهر لها ألف مشـتـرٍ
فقد كانت ذات وجه كوجه كوكب الزهرة المضيئة
وفى تلك الأثناء نهض شيخ وضيع الأصل
وعدّ الفضة وأخذ تلك الحسناء بيضاء الجسد
فلما رأيت محبوبتى وقد ذهبت مع غيرى
كانهم أشعلوا النار فى جسدى
فتشبّثُ بها بكاتبا يدى من شدة الغيرة
حيث إن العشق والغيرة قد امتزجا معاً
وطرحتُ الشيخ وضيع الأصل على الأرض
وأخذت منه تلك الحسناء حورية الجسد
ولما ذهبت إلى البيت وأنا أفكر فى العدو
حضر غلام والدى وله اسم حسن وهو سنجر

ماذا قال؟ قال إن ذلك الشيخ الحـاقد
 قد ذهب الآن إلى الأمير وشكى له منك
 وأمير المدينة أمر أيضاً بحبسك
 فاحزم أمتعتك وارجل من هنا فلا موضع للبقاء
 فخرجنا من البصرة عند صلاة العشاء
 أنا وجاريتي في مواجهة مئات الأخطار
 وهذه الجارية الفاتنة الجذابة
 التي أحافظ عليها مثل روحى
 قد أهديتها لك الآن أيها الصياد
 فأية هدية أغلى من الروح!
 وفي حكاية الحلاق يمدح الأستاذ حلاقه بهذا الشكل ضمن الجزء الذى
 قد ورد فى الليلة التاسعة العشرين:
 جميع الصنائع مثل العقود
 فيعلو على كل ذى حكمة
 وهذا المزين در السلوك
 وتحت يديه رؤوس الملوك
 وترجمه سروش على النحو التالى:
 هذه هى صنعة الملوك التى فى يدي
 إننى أسحب الموس على مفرق العظماء
 حتى لا تظن أننى أخجل منها
 وتحت يدي رؤوس الملوك

وفى حكاية الليالى من الليلة ٣٣٧ إلى الليلة ٣٣٩ تحدث لهارون الرشيد واقعة مع إحدى الجوارى فيتم إحضار الشاعر أبى نواس، الذى كان رهينة فى إحدى الخمارات عند الخليفة فيأمر بأن ينظم الشاعر شعراً تكون فيه عبارة "يا أمين الله ما هذا الخبر؟" فينشد أبو نواس ما يلى:

طال ليلى بالعواذى وسهر	فانضنى جسمى وأكثر الفكر
قمت أمشى فى محلى تارة	ثم طوراً فى مقاصير الحجر
فرأت عيناى شخصاً أسود	وهو بيضا قد تغطت بالشعر
يالها من بدر تم زاهر	كقضيبي البان يغشاه الخفر
فشربت الكأس منها جرعة	ثم أقبلت وقبلت الأثر
فاستقامت وهى فى غشيتها	تنثنى كالغصن فى وقت المطر
ثم قامت وهى لى قائلة	"يا أمين الله ما هذا الخبر؟"
قلت: ضيف طارق فى حكيم	يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور: سيدي،	أكرم الضيف بسمعى وبصرى

وقد ترجم سروش هذه القطعة بنفس الوزن والقافية كالتالى:

فى ليلة أمس مر جزء كبير من الليل	والفكر قد سلب النوم من عيني
فمت أتجول حول ليلت وأماضطرب الحال	ومررت على باب كل حجرة
فسرت وفى أثناء سيرى	وقع نظرى على شخص أسود
وقد كانت حورية بيضاء الجسم	ولكن شعرها الطويل قد غطاها كلها
طلعتها غطت على قمر السماء	وقامتها غطت على سرو كاشمر
فشربت جرعة من كأسها	فأخذ عشقها عقلى

فتقدمت بعد ذلك رويدًا رويدًا
فقلت لى وهى تتمايل وتتثنى
فقلت لها ضيف جاء فى وقت السحر
فقلت: مرحبًا بك، أخدمُ الضيف

وقبلت تلك الشفايف التى مثل السكر
يا أمين الله ما هذا الخبر؟
حتى يأوى هنا لهذه الليلة
بالقلب والروح والبصر^(١)

٤- قا آنى:

مثلما كان وصال من أفضل شعراء بلاط فتحعلى شاه، فقد ظهر
شاعر قصيدة آخر فى عهد محمد شاه وخليفته ناصر الدين شاه، ولقى شهرة كبيرة
فى حياته القصيرة التى استمرت سبعة وأربعين عامًا وهو قا آنى.

وقد ولد ميرزا حبيب الله الشيرازى المتخلص بقا آنى بشيراز
فى التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٢٢٣ هـ.ق، وكان أبوه ميرزا
محمد على گلشن فى الأصل من طائفة زنجنه، وقد ولد بشيراز ونشأ فيها
أيضًا، وكان گلشن ينظم الشعر هو الآخر وكان معروفًا بنظم القوافى.^(٢)

وقد ذهب قا آنى إلى المدرسة وهو فى سن السابعة، وكان عمره أحد
عشر عامًا عندما فقد والده^(٣) وابتلّى بالفقر والحاجة، حيث يقول الشاعر فى

(١) لرؤية نماذج أخرى يمكن الرجوع إلى نص ترجمة ألف ليلة وليلة، والمقالة الشقيقة
التي كتبها الدكتور محمد جعفر محبوب (مجلة سخن الدورة ١١ العدد الأول).

(٢) نقلت أشعار لگلشن فى تذاكر العصر القاجارى مثل دليگلشاو فارسنامه ومجمع الفصحاء.

(٣) كنت فى الحادية عشرة من عمرى عندما دخلت شوكة فى قدم أبى گلشن، وبينما
كانت الشوكة لا تزال فى قدمه فاضت روحه (پريشان) - رحل والدى گلشن إلى جنة
رضوان وأنا فى الحادية عشرة من عمرى (ى. أ. برتلس "ترجمة حال قا آنى بقلمه"
تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧، ص ١٣).

ترجمة أحواله والتي كتبها بنفسه: "لم أملك من نعيم الدنيا سوى الحصيرة ورغيف الخبز، وقد دفعني فقرى واحتياجي لأن أعول نفسي بنفسى وأن أسلك أى طريق.

فرايت أمامى طريق الأسلاف العظام، فذهبت بدون تحريض أو تشجيع من أحد إلى مدرسة بابل^(١) وهى إحدى مدارس شیراز وأخذت حجرة وانشغلت بالدرس والتدريب، ونظراً لأننى كنت أملك موهبة شعرية فقد مدحت حاكم فارس^(٢) بقصيدة أو قصيدتين فأمر لى براتب قليل يسد رمقى فقنعت به، وبذلت قصارى جهدى فى دراسة العلوم وعكفت على هذا الأمر لدرجة أننى تقدمت على أقرانى خلال عامين وهو ما أدهش الجميع، ومع أن منظرى كان قبيحاً فإننى صرت جميلاً فى نظر الجميع".^(٣)

وقد أمضى قاً آنى عدة سنوات أيضاً فى دراسة الرياضيات والعلوم الإسلامية بأصفهان، وعاد بعد ذلك إلى شیراز وقام بتدريس العروض وشرح ديوان الخاقانى والأنورى حتى حضر الأمير حسنعلى ميرزا شجاع السلطنة بن فتحعلى شاه إلى شیراز عام ١٢٣٩ هـ. ق فبادر برعايته وقدم له أنواع العطف والملاطفة.

وفى آخر هذا العام عُين الأمير حسنعلى ميرزا حاكماً لخراسان من طرف أبيه واصطحب معه قاً آنى فانشغل الشاعر فى مشهد بدراسة

(١) باهليه هو أحد أحياء شیراز والذى يسمى بابل، والمدرسة التى تقع فى هذا الحى وتسمى باسمه هى مدفن لعدد من أولياء الله ومنهم منذر بن منذر بن قيس.

(٢) حسينعلى ميرزا الحاكم.

(٣) ترجمة حال قاً آنى بقلمه، تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧.

الرياضيات والحساب تحت رعاية وحماية ذلك الأمير وحول تخلصه بناءً على رغبته من "حبيب" الذي اشتهر به حتى ذلك الوقت إلى "قا آنى" ^(١).

وفى خراسان أصبح قا آنى أكثر ميلاً للشعر، وعندما ظهرت انفراجة فى أزمته أو على حد قوله "كان الحظ قد حالفه وانتفخ كيسه وكثرت أمواله وتحول ذهبه وفضته من القطمير إلى القنطار ودراهمه ودنانيره من الآحاد إلى الألوف" ^(٢)، أنفق مبالغ كبيرة فى جمع دواوين الأساتذة القدامى، فجمع الكثير من الكتب الأدبية وغير الأدبية وانشغل بالتعليم والتعلم.

وعلى هذا النحو عاش الشاعر فترة فى خدمة ومنادمة حسنعلی میرزا حاكم خراسان إلى أن فوضت حكومة کرمان ويزد لهذا الأمير عام ١٢٤٢ هـ.ق، فسافر إلى مقر حكمه بالجيش الخراسانى نفسه الذى كان ملازماً له، وعلى ما يبدو فقد سافر معه أيضاً قا آنى إلى يزد وکرمان، ولكننا لا نعلم بالضبط متى خرج من هناك وفى أى عام "سافر إلى رشت وجيلان ومازندران وأذربايجان ودرس كافة العلوم التى راجت هناك" ^(٣).

ويبدو أن قا آنى قام بهذه الأسفار سنة ١٢٤٦ هـ.ق حيث تحرك شجاع السلطنة من کرمان وهجم على يزد بدون إذن الحكومة فأرسله الأمير عباس میرزا إلى طهران تحت الحراسة المشددة بناءً على فرمان الملك، وبالتالي فقد قآنى راعيه وعائلته ولذلك قام بهذه الأسفار، وقُدّم إلى بلاط

(١) على اسم اوكتای قا آن ابن الأمير حسنعلی میرزا.

(٢) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

(٣) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

فتحلى شاه فى هذه الأثناء أيضاً وحصل على الجائزة والراتب ولقب بلقب مجتهد الشعراء.

وبالرغم من ذلك نرى قا آنى مرة ثانية فى مدينة مشهد سنة ١٢٤٨ حيث قام الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة بقمع تركمان سالور وفتح قلعة سرخس، وفى شتاء ذلك العام "من شدة المجاعة كان كل متدين يترك الدين بحثاً عن الدينار وسعيًا وراء الزاد الحلال والركن المناسب للحال" (١).

وقد حضر قا آنى إلى طهران سنة ١٢٥١ هـ.ق عندما جلس محمد شاه على العرش، وانضم لحلقة شعراء البلاط وحصل من الملك على لقب "حسن العجم" (٢) وفى سنة ١٢٥٤ هـ.ق عندما تحرك محمد شاه فتح غوريان وقندهار كان قا آنى ملازمًا للركاب، لكن عندما وصل موكب الملك إلى بسطام مرض وعاد إلى طهران بإذن الملك، وعقب عودة الملك من حرب أفغانستان نظم قصيدة مفصلة تحدث فيها عن شجاعة الإيرانيين وانتصارهم وحسن سلوك محمد شاه مع الأسرى الأفغان وعراقيل السيد مكنيل السفير الإنجليزي واحتلال السواحل الإيرانية الجنوبية من قبل السفن الحربية الإنجليزية والتهديد بإعلان الحرب (٣).

وفى سنة ١٢٥٦ هـ.ق تزوج قا آنى فى طهران وهو فى سن الرابعة والثلاثين ولكن "رقيقته تحولت إلى أفعى" فألقاها الشاعر من نظره

(١) پریشان، بتصحيح إسماعيل شرف، شیراز، ص ٧٥.

(٢) على اسم حسان بن ثابت شاعر العرب ومداح الرسول (ص.ع).

(٣) بهذا المطلع:

لماذا تبالغ فى الحديث عن الملوك القدامى تحدث مرة عن شوكة ملك العالم

واختار "زوجة أخرى" ولكن الزوجة الجديدة لم تحبه أيضاً ولم تخلص له، وفي آخر الأمر حوّلت هاتان "الزوجتان الوضيعتان" حياة هذا الشاعر الهائم الباحث عن السعادة إلى جحيم^(١).

وقد عاد إلى شیراز فيما يبدو سنة ١٢٥٩ هـ. ق بقصد الإقامة الدائمة، والتقى من جديد بالأصدقاء القدامى بعد سنوات الغربة الطويلة وعاد بعد فترة إلى طهران، ثم عاد إلى شیراز مرة ثانية، وفي هذه الأسفار قام أهل بلده بإكرام مقدمه في أول الأمر فشر بالراحة التامة خاصة في عهد حكم صاحب الاختيار^(٢)(٣).

ولكن رويداً رويداً قامت جماعة من أدباء شیراز بإيذائه، وانتقل صاحب الاختيار أيضاً من فارس إلى منطقة أخرى، وقام خليفته معتمد الدولة (منوتشهر) خان الكرجي، والذي لم يكن له حظ من الشعر والأدب، بالمماطلة في دفع راتبه حتى ضاق بهذه الحياة عديمة الفائدة، فقدم إلى طهران مضطرب الحال عام ١٢٦٢ هـ. ق (عام وفاة ميرزا شفيع وصال)^(٤)، وتعرّف بعد فترة على الأمير العالم والمحب للأدب عليقلی میرزا اعتضاد السلطنة وزير العلوم، وحظى بهباته وعطاياه، وعن طريقه تعرّف على مهد

(١) شرح قا آنى هذه الحادثة فى الرسالة التى كتبها للملك، وطلب منه المساعدة المالية.
(٢) كما يقول:

الخمر منعشة وجذابة حبذا فى وقت الربيع
حبذا فى الروضة وحبذا تحت شجرة الصفصاف
حبذا فى الصباح وحبذا إذا كانت من يد المحبوبة
حبذا فى شیراز فى عهد صاحب الاختيار.....

(٥) صاحب اختيار: هو لقب اشتهر فى عهد الملوك القاجاريين (المترجم).

(٣) أنشد قصيدة فى الشكوى من حياته فى ذلك الوقت، والتى يقول مطلعها:

لو وضعوا على رأسى التاج لذهب منذ الآن
فى بلاط الأمير لن ترانى شخصاً آخر

علياً أم ناصر الدين شاه، ووجد طريقه بعد ذلك إلى الملك نفسه والذي كان قد جلس على العرش حديثاً وكان يعرفه منذ أن كان ولياً للعهد، فصار الشاعر الرسمي للبلاط، ومنذ ذلك الحين أقام في طهران بصفة دائمة وأحضر أيضاً أسرته إلى هناك وقام بتربية ولده ميرزا محمد حسن.

وفي سنة ١٢٧٠ هـ.ق أصيب الشاعر بمرض الاضطراب العقلي والذهيان، وتوفي يوم الأربعاء في الخامس من شعبان من العام نفسه.

طبع ديوان قا آنى مرات في طهران وتبريز والهند، ففي أول الأمر طبع منتخب لأشعاره في الهند أثناء حياته، وبعدها صارت أشعاره تطبع بصورة أشمل مرة واحدة كل عدة سنوات في المناطق الإيرانية والهندية المختلفة، وأضيفت إليها الأشعار التي كانت قد تبعثت هنا وهناك في أيدي الناس، وأول طبعة صحيحة ومنقحة لديوان قا آنى صدرت في طهران سنة ١٢٧٤ هـ.ق بعد وفاته بأربعة أعوام، وكان المسئول عن الطبعة جلال الدولة أحد الأمراء القاجاريين والذي كان هو نفسه يتمتع بالموهبة الشعرية، وكان يجيد نظم الغزل ويتخلص باسم "جلال" وعلى حد قوله كانت تربطه بقا آنى "رابطة علمية وأدبية أقوى من القرابة وصلة النسب"، وهذا الأمير "جمع بنات أفكار الشاعر التي كانت متفرقة ومشتتة كبنات النعش ورتبها كنجم الثريا... وقام في حدود علمه بتزيين تصحيقات وتحريفات الكتاب... وترجم الألفاظ التي كانت بعيدة عن أذهان العامة، في هامش الكتاب للتيسير"^(١)، وطبعها بخط ميرزا محمد رضا كلهر، أحد أكبر أساتذة الخط في ذلك الوقت"^(٢).

(١) ديوان قا آنى ، طبعة كلهر، خاتمة الكتاب.

(٢) وبعد ذلك في سنة ١٣٠٢ طبع ميرزا محمود الخوانساري نسخة أخرى منه وضم

وتعد هذه النسخة هي أتم نسخة لديوان قا آنى وبها حوالى من ٢١ إلى ٢٢ ألف بيت وهناك بالطبع كم كبير من أشعاره لم يجمع^(١).

شعر قا آنى:

يقول ملك الشعراء بهار حول قا آنى وشعره: "منذ أن أصبح من أتباع مدرسة صبا، واستسلم للسماة السائدة فى ذلك العصر فى هذا المجال، بدأ فى تتبع أسلوب القدامى وقد أغلب الأساتذة السابقين وفى النهاية اختار أسلوباً خاصاً اشتهر منذ ذلك الحين بأسلوب قا آنى، وقد أسس لنفسه بوجه عام مدرسة حيث أخذ يقلده فى الشعر حتى فترة متأخرة شعراء طهران والولايات الإيرانية^(٢)، ولكن الحقيقة أن قا آنى لم يكن أبداً صاحب أسلوب خاص أو مدرسة مستقلة فى الشعر غير أنه يتميز عن معاصريه بسلاسة وعذوبة البيان وهو ما يعد أمراً طبيعياً فى هذا الفن، وعلى حد قول مؤلف "شعر

لبدايتها "پريشان" لقا آنى وحدائق السحر لرشيد الدين الوطواط، والطبعات المتكررة التى تمت بعد ذلك تعتمد أيضاً على هاتين النسختين ولكن لا تقاس إحداها بهاتين النسختين (خاصة نسخة كلهر المخطوطة) من حيث فخامة الطبعة وصحة النص، وآخر طبعة لديوان قا آنى صدرت فى طهران فى آبان ١٣٣٦ ش [أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٥٧م] بتصحيح ومقدمة الدكتور محمد جعفر محبوب وهى مزودة بالفهارس التى أضيفت لآخر الكتاب.

- (١) يقول ميرزا طاهر كاتب المقدمة فى شرح أحوال قا آنى "من بين أكثر من مائة ألف بيت من قصائد الحكيم وغزلياته ورباعياته ومقطعاته يوجد الثلثان والباقى مفقود" وإن صح هذا الكلام يكون قد فقد ما يقرب من أربعين ألف بيت آخر من أشعاره.
- (٢) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة ١٤، العدد الأول.

العجم" شعره ليس شعراً جديداً بل إنه ربما أعاد للأذهان حلماً منسياً عمره سبعمائة عام^(١).

وقد تحدث كتاب التراجم فيما يتعلق بقا أنى عن حضور ذهنه وسلاسة طبعه وعرضوا شواهد على أنه كان ينشد معظم أشعاره بالبديهة والارتجال، أو وهو ثمل وسعيد، أو على الأقل وهو غير مهياً، وبدون أن يوصلها ويصلحها ويدقق فيها التدقيق الكافي وينقيها من العيوب، ودون أن يعرضها كذلك على نقاد الشعر^(٢)، وكانت ثمرة هذه الارتجاليات تلك القصائد الفخمة الرنانة التي اتضح أن معظمها "كلام فارغ"^(٣).

وهذه القصائد الفخمة الرنانة التي نظمت في مدح محمد شاه وابنه ناصر الدين شاه وأكابر ذلك العصر وتشكل ديوانه الضخم لا تستحق من الناحية الأدبية بحثاً طويلاً ولكن لأبياتها الأولى طابع فنى خاص، فالمناظر

(١) شبلى النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخر الداعى: المجلد الثالث، طهران، ١٣٣٤ ش[٥- ١٩٥٦م].

(٢) يروى دولت آبادى على لسان ميرزا إبراهيم ساغر الأصفهاني (توفى سنة ١٣٠٢ هـ:ق) أنهم كانوا ذاهبين بصحبة قا أنى صباح عيد النوروز إلى منزل سلطان العلماء وإمام جمعة أصفهان، وقا أنى "عندما خرج من المنزل قال ربما يكون من المناسب أن ننشد أيضاً شعراً، والآن ليس معى شىء جاهز فهل تحفظ أنت قصيدة، فقلت نعم للأنورى، فقال: قل قوافيها واحدة واحدة، فأخذت أقول القافية، وكان هو يفكر قليلاً ويقول: قل، فكنت أقول القافية الأخرى، حتى وصلنا إلى المسجد الجامع القريب من منزل الممدوح فجلس أمام باب المسجد وكتب كل القصيدة وأخذها معه وأنشدها فى المجلس العام..." (دولت آبادى، قا أنى الشيرازى، مجلة آينده، السنة الأولى، العدد السابع).

(٣) المعجم فى معايير أشعار العجم.

البدیعة والغریبة الّتی قد اقتبست من الحیاة مباشرة یقوم فی الغالب بتصویرها وتلوینها بقلم بارع، وتبدأ کلها تقریباً بالتغزلات الجمیلة والمناظر الخلابة والملونة فی وصف الربیع والخریف واللیل والنهار والخمر والحسناء والسفر ومشقته أو حضور السفير ووصول الرسالة، وهی ترتبط دائماً بمدح الممدوح.

والتغزل والتشبیب أی وصف المحبوب ومناظر الطبیعة المختلفة هی مضامین قد أوردها مئات الشعراء الفرس فی صدر قصائدهم ومدائحهم قبل قأ أنى وبعده وأفاضوا فی الحدیث عن کل باب من أبوابها، إلا أن هذا التغزل والوصف فی شعر قأ أنى یدو فی الغالب بدیعاً ولطیفاً ومبتکراً إلى حد ما، ویمتثل لتنسیقه للكلام بصفة خاصة تنسیق ساحر وجذاب للغاية لدرجة أن القارئ فی أثناء قراءة قصائده ینسى کل أسلافه، وكأن قأ أنى هو أول من استخدم هذا الأسلوب الجمیل والملون وهذه التعبیرات الجرئة الحادة.

ولغة قأ أنى غنية وبلیغة، ولدیة سيطرة غیر عادیة على الألفاظ، ویختار الكلمات الجزلة المفخمة، ویبدی قدرة ومهارة فائقة فی وضع کل كلمة فی موضعها، ولا یصل أی شاعر فارسی إلى مرتبته فی انتقاء الكلمات واستخدامها.

لكن بالرغم من هذه القدرة على البیان والمهارة فی الوصف والتشبیه وتصویر المناظر فإن أغلب قصائده فقيرة ولا قيمة لها من حیث المضمون.

"وقأ أنى عنده أشعار كثيرة فیها الغث والسمین، فعنده الأشعار الجیدة وعنده أيضاً الأشعار الرکیكة جداً"^(١) بل ویوجد فی شعره أيضاً أخطاء فی العروض والنحو والتشبیهات الفاترة والتافهة، وأحياناً تصل ثرثرة الشاعر

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

لدرجة أنه حتى دبيب الكلمات وفخامتها لا يستطيع أيضاً أن يخفى هذا العيب والنقص، "وبصفة عامة يطغى اللفظ في شعر قا آنى على المعنى، والخيالات السطحية على الخيالات العميقة، والصور العالية"^(١)، فكان "الفارس الأوحـد في ميدان الألفاظ"^(٢).

وقا آنى ليس شاعر قصيدة دائماً، حيث إن فنه الأساسى يتمثل فى إعداد المسمطات السلسة والجميلة، فهو يصب فى قالب مسمطات منوتشهرى المضامين الجذابة التى تعد فى الغالب جديدة ولم تسمعها الأذن، ويمكن لهذه المسمطات مع التغزلات التى قد أدرجها فى مقدمة قصائده أن تخلد اسمه إلى حد ما.^(٣)

إلا أن غزليات قا آنى التى اقتدى فى نظمها بغزليات سعدى أكثر من أى شئ آخر بل وضمنها بعض مصاريع الشيخ لا تصل إلى مرتبة أشعاره الأخرى، ويُقال إن قا آنى نفسه كان يعلم هذه النقطة وقد ألقى غزلياته فى النار فى ليلة شتوية باردة، ففي الليلة التى أنشد فيها المطرب غزلية لسعدى شعر قا آنى الذى كان ثملاً من الخمر الصافية، بالتدنى والحقارة أمام كلام سعدى البليغ.

ومجموعة الغزليات هذه التى قد بقيت عنه، وطُبعت فى آخر ديوان قصائده، لا تعطيه أية ميزة. وقا آنى يعرف جيداً قيمة الذهب والفضة

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

(٢) مجلة آينده، السنة الأولى، العدد السابع.

(٣) م. ا. به آدين، انتقاد بر ديوان حكيم قا آنى شيرازى [نقد لديوان الحكيم قا آنى الشيرازى]، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ ش [ديسمبر ١٩٥٧/يناير ١٩٥٨م].

ويفهما كالتالى فى إحدى القصائد:

إننى لا أعلم أيتها الفضة بإقبال وبركة من ولدت؟

فإن من عطفك يعادى الولد أمه

بدون ذكرك لا يتجه الزاهد إلى المحراب

بدون عطفك لا يضع الواعظ قدمه على المنبر

الجرئ الذى لا ينظر إلى تاج الملوك من الكبر

يسجد أمامك ويضع رأسه على التراب

والحصول على هذا الذهب والفضة يستغرق فى التفكير:

من الأفضل أن أسافر فى طلب الفضة حتى يزين أمرى بالفضة مثل الذهب

ويقوم أيضاً من أجل هذا الذهب والفضة بتسخير قريحته وموهبته الفذة العالية فى خدمة مدح هذا وذاك.

فهو يمدح أى شخص شريفاً أو ضيعاً طمعاً فى الجائزة والإحسان، ولا يبحث فى ممدوحيه عن الفضيلة وعلو الهمة، ولا قيمة عنده ولا وزن للشعب الإيرانى وآلامه، فالأحداث والوقائع التاريخية المهمة جداً مثل الزحف العسكرى عديم الفائدة الذى قام به محمد شاه نحو هراة، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه على يد ثلاثة من البابين وهى الوقائع التى كان من الممكن لإحداها أن تغير مصير الدولة، هى بالنسبة له مثلها مثل حفل ختان عباس ميرزا ابن محمد شاه، فرصة له ووسيلة للتقرب إلى البلاط والبحث عن المصلحة والمنفعة الشخصية.

وقد كان هذا كما يقولون أحد وجهي العملة، أما الوجه الآخر فإننا نرى في أشعار قا أنى أحياناً الهجاء اللاذع السام والذي قد نظم بنفس القدرة والمهارة التي استخدمت في المدائح، وللأسف فقد نظمت هذه الهجائيات البلاطية في صورة هجوم واعتراض على الأشخاص ولهجتها مخجلة وفاضحة جداً لدرجة أنها تصل بفنه الشعري إلى حد الابتذال، ففي القصيدة المعروفة والمنتية أبياتها بالرديف "بر" والتي شن فيها الشاعر الحرب على السوزنى، والأشعار التي تشرح قصة زوجة رجل يدعى إسماعيل، والأبيات التي نظمت حول نظام العلماء، تصل أشعار قا أنى إلى قمة الهزل والهجاء، وتقذف لغة الشاعر الجريئة كل ما لا يجب قوله أو سماعه.

وقا أنى لا يتورع أساساً عن استعمال الألفاظ الغليظة وأحياناً الركيكة جداً سواء في التشبيب والتغزل أو في الهزل والهجاء، فهو يعرض على الملأ الأحداث التي تتنافى مع العفة والأخلاق، ومجالس شرب الخمر والعريضة والزنا، كما أن الموضوعات الجنسية تظهر في شعره غالباً في صورة تتنافى مع الفطرة والطبيعة، وقا أنى لا تحكمه حدود في التفاخر وكذلك في المدح والذم، فهو في مدح أقبح وأرذل رجال البلاط بل وخدامهم؛ إذ يستخدم الصفات التي لم يتصفوا بها أبداً، بالرغم من كل هذا الغلو في التملق فإنه لا يثبت أيضاً على وفائه لممدوحيه وأولياء نعمته؛ بمعنى أنه ينسى سوابق نعمتهم عليه بعد أن يعزلوا من منصب الرئاسة والسلطة، ويصف الشخص الذي كان قد وصفه مثلاً بأنه "قلب العالم" و "روح العالم" و "الإنسان الكامل" و "سيد الدارين" و "ظل الله" و "حامل فيض الخالق إلى المخلوق"^(١)، يصفه

(١) كل هذه الصفات قد أوردها بشأن حاجي ميرزا آقاسى وعندما عزل من الحكومة وحل محله ميرزا تقى خان أمير كبير وصفه بالظالم الشقى ووصف أمير كبير بالعاقل النقى، وأيضاً عندما أصبح أميراً، كبيراً مغضوباً عليه وعزل وتولى الوزارة

بمنتهى القسوة بأنه "الظالم الشقي" (٥).

وكان قا آنى يجيد اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، ويعد أول شاعر فارسي يعرف اللغة الفرنسية، يقول كاتب أحواله حول معرفته باللغة الفرنسية: "أجاد هذه اللغة بصورة كبيرة في فترة قصيرة لدرجة أنه في أثناء التحدث بها لولا أن زال اللبس والاشتباه بتميز الشكل والثياب لما عرف أحد إن كان المتحدث پارسي أم باريسي" (١).

"لاشك أن قا آنى كان يجيد اللغة الفرنسية لأنه بعد أن غضب عليه المرحوم ميرزا تقى خان أمير كبير وقطع عنه الراتب الذي كان يحصل عليه في مقابل الشعر، توسط له اعتضاد السلطنة عند الأمير، وطلب منه أن يعيد صرف الراتب له مرة أخرى، فقال الأمير: أى فن آخر عند قا آنى غير الشعر، ولما أخبره بأنه يعرف قدرًا من الفرنسية سلمه الأمير كتابًا فى الزراعة لترجمته من الفرنسية، فأخذ ذلك الشاعر يترجم من هذا الكتاب جزءًا كل أسبوع من الفرنسية إلى الفارسية ويرسله للأمير عن طريق اعتضاد السلطنة وينال فى مقابل ذلك أجرًا فى حدود خمسة تومانات فى ذلك الوقت" (٢). ويروى على لسان محمد على فروغى أن بعض هذه الأجزاء

ميرزا آقا خان نورى ابتهج ووصفه بأنه "العدو المحلى" و "الشيطان سيئ الجيلة" ووصف الوزير الجديد بأنه "آصف ابن برخيا".

(٥) آصف ابن برخيا هو اسم وزير سليمان ويضرب به المثل فى حسن الوزارة (المترجم).

(١) ميرزا طاهر كاتب الديباجة، گنج شايگان، طهران ١٢٧٢.

(٢) عدة موضوعات حول قا آنى، مجلة يادگار، السنة الثالثة، العدد الثالث، آبان ١٣٢٥ ش [أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦م].

المترجمة قد ظلت حتى هذه الأيام الأخيرة عند حاجي ميرزا عبد الغفار نجم الدولة.

لكن كانت هناك مبالغة في مسألة معرفته باللغة الفرنسية، فقا أنى لم يسافر إلى أوروبا ولم يدرس هذه اللغة الدراسة المنهجية ولم يتتبعها التتبع الكافى، وذلك القدر الذى كان يعرفه من اللغة الفرنسية قد تعلمه، كما يقول هو نفسه^(١)، بعد عام ١٢٥١ هـ. ق فى جهاز الأمراء القاجاريين الذين كان عندهم معلمون لتعلم اللغات الأجنبية، وكانوا يخالطون القساوسة والأطباء والمعلمين الأجانب، أو تعلمه مثلاً عند ريشارخان معلم الفرنسية لأولاد محمد شاه.

وخلال فترة الثلاث سنوات التى قضاها قا أنى فى شیراز من عام ١٢٥٩ إلى عام ١٢٦٢ هـ. ولم ينشغل فيها بأى شىء، يقول بنفسه أيضاً^(٢)، "انشغلت ثلاثة أو أربعة شهور بتعلم اللغة الإنجليزية"، وقد أحرز تقدماً إلى حد ما فى هذه اللغة.

وربما كان قا أنى يستطيع بإجادته البسيطة للغة الفرنسية وتقريباً الإنجليزية أن يغير طريقة تفكيره، وأن يصبح بفضل ذلك العقل الزاخر والقدرة على البيان مصدر خدمات جليلة للشعب الإيراني، ولكنه للأسف لم يستخدم هذه الوسيلة، وعلى عكس أسلافه قلما يستخدم قا أنى فى شعره المعانى والمضامين الفلسفية والصوفية العميقة، فهو يتعامل فى الغالب مع

(١) ترجمة حال قا أنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

(٢) ترجمة حال قا أنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

الطبيعة والحياة نفسها، فمثلاً يعرض في قطعة هزلية قصيرة حواراً بين شيخ وطفل. والطريف في هذه القطعة أن كليهما ألثغ. وأمثلة هذه الإبداعات عند الشعراء الإيرانيين القدامى ليست كثيرة، ويجب اعتبار قا آنى مجدداً إلى حد ما في هذا الأسلوب، ولكن مثل هذا النوع من أشعاره نادر جداً^(١).

وقد أشير أيضاً في أشعار قا آنى إلى الوقائع والأحداث التاريخية لذلك العصر أكثر من الشعراء الآخرين المعاصرين له، مثل زحف محمد شاه العسكرى إلى هراة، وعزل ميرزا تقى خان الصدر الأعظم وقتله، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه الفاشلة على يد أتباع "الباب"، واحتفالات السوق، وإقامة الزينات، وقتل البابيين قتلاً جماعياً، وغيرها من الوقائع، وعلى الرغم من ذلك يجب القول بأن قا آنى يعيش من كافة الوجوه وبصورة كاملة فى نفس هذا العالم القديم وبالأفكار القديمة و "أقوال قا آنى، باستثناء حديثه عن الساق والأرداف والخمر والأمرد، وما يمكن أن تحدثه من تأثير خاص، كلام ميت عن عصر وعالم منصرمين"^(٢).

پريشان "المضطرب":

أفسدت الركافة وكشف المستور فى بيان الموضوعات، مؤلفه النثرى كتاب پريشان والذى هو تقليد بدائى لكتاب جلستان سعدى، وقللت كثيراً من قيمته وأهميته.

(١) ي.ا. برتس، تاريخ مختصر أدبيات، لنینغراد، ١٩٢٨، ص ٩٤.

(٢) م.ا. به آذين، نقد ديوان الحكيم قا آنى الشيرازى، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ش [ديسمبر ١٩٥٧ / يناير ١٩٥٨م].

أما كتاب پريشان والذى قد تم تأليفه بناءً على رغبة "أحد الأكابر" وباسم محمد شاه القاجارى وتم الانتهاء منه فى العشرين من رجب سنة ١٢٥٢ هـ.ق^(١)، فهو عبارة عن ١٢١ حكاية كبيرة وصغيرة متنوعة وعلى حد قول المؤلف نفسه "خليط من الجد والهزل ومزيج من النظم والنثر"، وهو ينتهى بفصل فى نصيحة أبناء الملوك، واللهجة العامة للكتاب هى لهجة تعليمية، وكان هدف الكاتب أن يخرج بنتائج أخلاقية من كل هذه الحكايات إلا أن الموضوعات التى جاءت فى هذا الكتاب لا تخرج من تحت محك التجربة النقدية الصحيحة ولا تؤخذ منها النتيجة الأخلاقية، ليس هذا فحسب بل إن كثيراً من حكايات هذه المجموعة تعتبر حكايات فاضحة جداً وعديمة الحياء - مثل حكاية الأديب الذى كان فريداً فى علم المساحة، والمرأة السحاقية، والشيخ المحتضر، وزواج الزاهد، واللوطى والشرطى، وذلك الذى نام فى مجلس اليقظين، والكردى والسبزوارى، والأطفال لاعبو المقلع، وابن رئيس شرطة شيراز، وكتاب فرج المرأة، والمجوسى الذى أسلم، ورفيق المرأة الأجنبية وغير ذلك، وحتى الحكايات الأخرى التى كتبت بشكل مؤدب إلى حد ما تعتبر موضوعات ساقطة ومبتذلة قيلت وكتبت قبله مرات بعبارات أفصح وأبلغ.

وفيما يلى بعض القطع من كتاب پريشان:

« دخل من الباب ذات يوم أحد العظماء والذى يعد من أصل سيف الشهامة وجوهر منجم الكرامة

(١) عشرون يوماً مضت من شهر رجب وألف ومائتان واثنان وخمسون عاماً - كان عمرى أقل من اثنين أو ثلاثة وثلاثين عاماً ولكنى كنت متعباً جداً (پريشان، خاتمة الكتاب).

ذلك الذى ما دام اسمه لا يندرج فى الحديث من شدة العظمة

فلا بد من إخفائه داخل حجاب الروح

أو ما دام اسمه الشهير هو الكنز وهو كنز الكنوز

فمن الواجب إخفاء الكنز عن الخلق

ونظرًا لسوابق الألفة والملاطفة بيننا فقد فتح درج الفم وبدأ فى نشر
الجواهر فقال: لماذا جلست هكذا أيها الحبيب فى زاوية الرواق فى هذا الشتاء
وأغلقت طريق الذهاب والإياب أمام الأصدقاء، ماذا دهاك فأنت بلبل حديقة
العلم وقمرى روضة البصيرة، فتحجبت وقلت: إن البلب لا يتكلم ما لم يطلع
الورد، والقمرى لا يئن ما لم ينمو السرو، فتبسم وأشار إلى وجهه وقامته، أى
ها أنا ذا وجهى متورد وقامتى ممشوقة كالسرو، أليس لك نظر، لا وقت
للحجج والأعذار.

الآن وقد تبختر سرو الروضة وخرج الورد من الطين فأطلق

الصرخة كالقمرى وغرد كالبلبل

غرد وأنشد فإن الزر زور يهمس فى أذن كأس الصهباء

بالكلام ويخبرها بأنين الغلغل

ولما رأيت هذه العذوبة فى القول نهضت واحتضنته من حلاوة الروح وقلت:

من هذه العذوبة فى القول إنن لا عجب

أن تطرب الأرض وترقص السماء

عندما يحمل الكمال علامة قبولك

يصبح كذات العقل مبرأ من العيب والنقص

وبينما كنا نتاجى قليلاً ونتجاذب أطراف الحديث فى كل شىء، إذا به يذكر، جلستان سعدى عليه الرحمة والذى كل ورقة من أوراقه تعادل ألف دفتر مكتوب بالنثر.

إنه الجلستان الذى كل ورقة من أوراق زهرته

الآلاف من رياض الخلد عبيد له

أرواح أهل المعنى إلى القيامة

حياة برائحتها واهبة الروح

فأمسك بكمى وهو يقول هل من الممكن للسيد أن يهتم ويكتب كتاباً نظماً ونثراً على هذا النمط، فاضطربت وقلت له استغفر مما قلت أيها الحبيب؛ لأن ما عندى ليس بالدرجة التى تجعلنى أتحدى شخصاً كهذا وأحدث بأسلوبه، فليس كل متكلم فصيحاً وليس كل معالج هو المسيح، وما علاقة سحبان بباقل والجاهل بالعاقل، ليس كل نجم برجيس ولا كل مظلوم جرجيس، ليس كل راعى الكليم ولا كل معمارى إبراهيم، ليس كل أسود عنبر ولا كل غلام قنبر، ليس كل مر عقاراً ولا كل سيف ذو الفقار...

وباختصار عندما اضطربت وقلت له ذلك اشتعلت ناره

كل من تحلى بحسن العقيدة لا يصمت عن الاعتذار عن المنكر

وقد كان من الطبيعى ألا يسمع خسرو عيب شيرين

فتحملت مضطراً، وقلت:

قطعاً العصفور ليس كالصقر الملكى ولكن لا مفر للعصفور من الطيران

إن اختلاف البعر والمسك واضح بينهما ولكن لا غنى عن البعر
ولكن بحكمة "المأمور معذور" صنعت خليطاً من الجد والهزل ومزيجاً
من الشعر والنثر، وسميت تلك المجموعة پریشان (المضطرب) بالنظر إلى
حالي لأن كل من اضطرب حاله اضطرب مقاله».

حكاية: إننى أتذكر ذلك العام الذى وقع فيه زلزال شديد هز أرجاء
شيراز لدرجة أن قصور الأثرياء قد أصبحت أكثر دماراً من حظ الفضلاء،
ووجوه المجاورين أكثر غيرة من شعر المسافرين، وصار كل سقف عتبة
وكل عتبة سماء.

أظلمت الدنيا واشتد الغبار فأحاط بها كهالة من الدخان
وصار الجو زمهريراً وانطلقت من كل جانب

تتهيدة باردة من الكبد المحترق

ومن تصاريف القدر أنهم بعد أسبوع، حيث تشققت أرض العمارات،
عثروا على مكيال شراب تحت الطين سليماً كعهد العشاق وإيمان الصادقين.

لك الله وحده الذى يحفظ المكيال تحت التراب سليماً كعهد أهل العشق
حتى لو ذهبت إلى فك الأسد أيها القلب ما دمت صادقاً

فإن قسمك لسالكي الطريقة هو الذى سيحفظك

وقد سمعت فى ذلك الأسبوع أيضاً أن أحد الظرفاء أخذ هذا المكيال إلى
منزل المحتسب وقال له أيها الظالم إن مكيال الشراب الذى يحفظه الله سليم
تحت التراب، لا يصح كسره...

حكاية: سئل أحد الزاهدين: أتعلم فيم راحة الدنيا، قال فى شيئين، أولهما الزاد الذى يجنب حلقى العناء، والثانى هو الزاوية التى تغينى عن سؤال الناس، فقل له: ولو خيرت بين الاثنين فأيهما تختار، قال اختار الزاوية وأترك الزاد؛ لأن تحمل مشقة الجوع خير لى من منة الناس.

عدة نماذج من أنواع شعر قا آنى:

مقدمة قصيدة فى وصف السحاب^(١):

صعدت من البحر سحابة عند الصباح فى السماء المظلمة

تنتج وتصب وتتخل وتتثر الجواهر

جاحظة كعين الشيطان، سوداء كوجه الزنوج

كأنها كلها عمامة هندية على الرأس تجلب الهوس

مظلمة كالليل الغاسق ومهمومة كقلب العاشق

دامعة كعين وامق وملونة كوجه عذرا^(٢)

(١) قام الشاعر فى هذه القصيدة التى اعتبرت إحدى روائعه، بتتبع قصيدة الفرخى المعروفة ومطلعها (صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق، مشتتة كراى العشاق وهائمة كطبع المتيمين)، وعندما نمر على صحة البيان وسلاسته غير العادية وفخامة الألفاظ ووقعها، ونوازن بين هاتين القصيدتين من حيث المعنى والمضمون والماهية الفنية نجد أن شعر قا آنى يحتل مرتبة أدنى بكثير من شعر الأستاذ السيستانى.

(٢) وامق وعذرا اثنان من العشاق (المترجم).

جسدها مدهون بالقار وقلبها ممزوج باللبن
ظاهرها مملوء بالكحل المطحون وباطنها مملوء بالدر اللامع
بقلب كالروضة وجسد نحيف، تارة باكية وتارة ضاحكة
من تأثير نشوى الخمر أثناء مجلس طرب الماجنين
تسير فى الجو كهالة من الدخان، وكشيطان ثمل ومضطرب
تتراكم مثل قطعات الدر الخاص
من قبح جريمتها اختفت الشمس المشعة
فهى كملك مصر فى السجن وكقمر السماء فى الظلماء
أو كالوجه المضى المتاورى فى ظلمة بئر بيچين^(٥)
أو كبهمن شريف الأصل وهو فى قم الأفاعى
إن بثور الحمى قد ظهرت على شفاه البرعم ووجه الشقائق
ناحية الروضة والصحراء من شدة المطر وكثرة الندى
من فيضها تتفتح الوردة وتتعطر طرة السنبيل
ويغرد البلبل على غصن الوردة الحمراء
إن وجنة الوردة مجروحة وحاجب الريحان مزين
من كثرة الدر المنثور فى الحديقة من الندى الأبيض
بسببها صارت الأرض المملوءة بالشوك جنة الربيع فجأة

(٥) قصة بيچين ومنيچيه من قصص شاهنامه الفردوسى (المترجم).

وبسببها غارت نقوش ورسومات الأرض من الشقائق الحمراء
تصرخ من السماء في كل لحظة فتغطي جسم الأرض
بكسوة الحرير من السنبيل، وبخلعة الديباج من الندى
نثرت الندى على الروضة، والشقائق على جبل دماوند
يئن من أعماق قلبه كما
قصيدة في الشكوى من أهل فارس:
إلى متى يا حصاني الجامح يا جوادي السريع
تظل ملازمًا للإصطبل، اخرج وتبخر
لماذا تأكل تبن السفلة أيها الحصان الجامح
لماذا تحمل أحمال الحمر أيها الجواد السريع
إن ماءك لم يكن أبدًا من منهل السفلة
وتبنك لم يكن أبدًا من أصطبل اللئام
في عشرة شهور أدمنت الطاس والكأس
وأكلت ونمت في الطوالة على الدوام
أعطيك التبن والشعير كل ليلة بامتنان
وأغسل عنقك وذيلك كل يوم
يا من كثيرًا ما قمت بسقايتك وتمريضك
إنني لم أضع السرج على ظهرك بقسوة ولم أشد وثاق لجامك

أحضر لك الماء تارة من البئر وتارة من النهر
وأشترى لك التبن تارة بالنقد وتارة بالدين
لم أرفع السوط يوماً على مؤخرتك
ولم أشد الحبل حول عنقك
أعطيتك التبن في ميعاده والماء والعلف في وقته
لم أغفل عنك لحظة واحدة في الصباح والمساء
ولو أشرح حقوقى عليك واحداً واحداً
سيتسبب عرق خجلك من المسام في الحال
جوادى العربى الأصيل، أين الحمية
اشتير مرة واحدة بالحمية مثل العرب
أين ذهبت حميتك العربية التى كنت تشتهر بها قبل ذلك؟
ارفع رأسك من الاصطبل كالسيف من الغمد
انهض يا من أنت أسود الوجه أكثر من رخس جواد رستم
واقفاً بحافرك إنسان عين الأعداء
أيها الجواد، لو حولت حقوقى إلى عقوق
أخاف أن ينتقم منك الزمان
إنه زمن المساعدة أيها الجواد ووقت الإعانة
فاخرج وتبخر لحظة واحدة وحرام أن تتسبب فى ألى

فإنه من قدم الجواد تهتز الأرض

ومن حدوته القوية يتقرب الرخام

أطلق الصرخة حتى يموت الثعبان في الشق

ارفع الصهيل حتى يصاب الأسد بالهلع في الغابة

انثر الغبار بذيلك في عين أسد السماء^(*)

وبحافرك مزق جسد ثور الأرض واجعله عظاماً

صل أيها الجواد السلام الحار من فارس إلى ملك الري

سأجعل ركابك ذهبياً وسرجك فضياً

سأصنع ركابك من حلقة النجوم

وأحضر لجامك من مجموعة المجرة

سأجعل مسمارك النجمة وحدوثك الهلال

سأصنع سرجك من الذهب وجلالك من الفضة

سأنسج عقالك من لحية البلهاء

وكذا سأصنع حزامك من شارب العوام

أنت تأتي تحت فخذى كالجبل تحت السحاب

وأنا أجلس عليك كجلوس سام على سمند^(*)

(*) المقصود الشمس.

(*) سام: أحد الأبطال الإيرانيين القدامى/ سيمند - حصان مائل للصفرة (المترجم).

سأرحل عن فارس من أجل كسب الجاه
سأحرّم على نفسى الراحة لحين حصول المرام
سألف وجه النجمة فى سن السهم
وكذا سأربط عنق الزمان فى سهم القوس
إن الإقبال والحظ والعز والجاه يتزاحمون
من حولى بكل قوة من الجهات الأربع
يحتار من حركتى فى الجو طائر العقاب
وتغير من رحمتى فى الأرض الهوام
أسخر من الدهر كما يسخر الماجن من الفقيه
أهجم على الموت كما يهجم الصقر على الحمام
ألعن فارس لأنها بسبب سكانها
لم تحصل على النعمة ولم تصل إلى المرام....

قصيدة فى وصف الصبح وطلوع الشمس^(١)

نصبت الشمس الخيمة المنسوجة بخيوط الذهب فى السماء الزرقاء
وتدلّت من السماء الزرقاء حبال ذهبية كثيرة
وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود

(١) يُقال إن هذه القصيدة التى نظمت بمناسبة عيد ميلاد على أمير المؤمنين، وكانت آخر أشعاره.

وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود
كالصقر الملكي الفضى فى عقب الغراب الأسود
لا عيب إذا صار شعر الليل المعنبر بلون الكافور
فإن صبح النهار يأتى شيخاً من بعد ليل الشباب
وكان بنات الهوى القمريات قد خرجن من الماخور
أو كسيف ذهبى خرج من الغمد الأسود
أو لا، كأنه من أجل صيد فراخ البلشون
خرج من عش الفلك عقاب ذهبى
أو أن الفلك أخفى فى صندوق الياقوت الأصفر باستخدام السحر
آلاف الأحجار من اللؤلؤ الشفاف
أو لا، كأنه عنكبوت ذهبى نسج مائتى خيط من خيوطه الدائرية
الذهبية على مائة ذبابة فضية فى القبة الزرقاء
أو تمساح أصفر الجسم والذى بسبب حركته
اضطربت آلاف الأسماك الفضية
أو كزورق ذهبى بسبب اصطدامه تختفى
فقاعات فضية كثيرة فى بحر زئبقى
فأعطنا أيها القمر فضى اللقاء الشراب فى السفينة
فى صبح كهذا، فى ذكرى سفينة الحب الذهبية

غزل:

لى محبوب ماجن ومهزار، جرى وساحر، طيب وحسن الطبع
طرته عبير، جسده حرير، وجهه الربيع وطلعته الجنة
كأن مصور الروح لى يرسم وجهه وشفاهه بصورة صحيحة من البداية
غسل قطعة الياقوت بماء الحياة ثم أذابها فى محلول السكر
لقد سلب منى ذلك الفتى فى قمار العشق العقل والدين والجسد والروح والرأس
والحكمة والصبر والتحمل، والمال والفضة والذهب، وعلى حد قول أهل
اللواط حصل ما حصل

قبل أن تظهر الذقن على وجهه كان ذلك الفتى حاد الطبع جداً
والآن وقد نبت الشعر من وجهه، إذن ما هو مصيرى من ذلك الشعر؟
عندما ظهرت ذقنه تجمد خاطره حيث أصبح صفاء حسنه مضاعفاً.
لقد سلب وجهه عبير الحديقة والورود، والبرعم يحترق ويتألم من شفاهه
لقد كان شعر رأسى أسود بلون القار، فصار عند فراقه أبيض بلون اللبن
أصابنى المشيب فى عز شبابى ومضى الدهر وولى الزمان
أطلب من الله، من العالم بأسره، قدر مساحة قفص فى الأرض ولحظة عمر واحدة
حتى أشرب فيه وفقاً لهوى القلب بدون خصم شرير ومحبوب قبيح
وأستمتع بجو الربيع ونشوى الخمر الحمراء تارة على شط النهر وتارة فوق النل
لحظة تحت السرو ولحظة أمام الورد ولحظة فى ساحة الحديقة ولحظة حول

الزرع

عندما أدرك الإنسان الفرق بين المظهر والجوهر لا يرى غير الحبيب أينما نظر

وحيثما ذهب فإن الملك ملكه سواء فى الحرم أو فى الكنيسة

● مسقط:

مرة ثانية ظهرت فوق الجبل
فانهار سيل من الأحجار
ومرة ثانية صاحت
الفاختة وأبو المريح
البيغاء والطاووس والبط
.....
راية سحاب الربيع
من فوق المرتفعات الجبلية
الطيور من كل جانب
الصلصل والقطا والبابل
الحسون والقبيرة والزرزور

وكان البنفسج
فهو يفوق جميع الزهور كثرة
ومن عيره صار النهر
كان الله قد كتب
يا أيتها الوردة يا ذات العبير المسكى
.....
رسول اربيها شت
ويلتف حول الحديقة
روضة من الجنة
بالطيب على وجهه
احملى البشرى من الربيع الجديد

مرة ثانية امتلأت عين النرجس
مرة ثانية امتلأت طرة السنبل
مرة ثانية صار الماء المتجمد
وهب نسيم الربيع
.....
بالنعاس فى الحديقة
بالضياء فى المرج
الفضى مثل الزئبق
فأصيب بالهلع والفرع

منتصف الليل الغافل ففر من البستان

.....

رويدًا رويدًا، يزحف
فيمص دقن هذه
ويشد ضفيرة هذه
تارة يتختر في الروضة
تارة على فرع الشجرة
النسيم أسفل الزهور
ويتنوق وجنة تلك
ويعض عنق تلك
وتارة يهب على الياسمين
وتارة على حافة النهر

.....

- ودخلت الشقائق الحديقة بوجه مشتعل
- وقد صنع خيَّاط الحياة من أجلها عباءة حمراء
- ارتدت العباءة الحمراء فأحرقت مكانًا أو اثنين أو ثلاثة
- أو كأنها تعلمت العشق من العشاق
- فأصبح لها قلب غارق في الدم وكبد محترق...

.....

- والنرجس الصغير وضع على رأسه ثانية ذلك الطست الفضي
- وفوق الطست الفضي وضع طاسًا من الذهب
- وفي وسط الطاس الذهبي رفع الجناح الذهبي
- وعلى جناحه الذهبي وضع الندى حبات اللؤلؤ
- لكي يصبح ذلك الذهب الصلب نديًا من جواهره

.....

- وعندما ظهرت الحُمرة فى جسد الصفصاف الأحمر
- أصيب الأرغوان بالهلع عليه وخفق قلبه
- والنامية مثل الطبيب وضعت يدها عليه لقياس النبض
- ثم ضغطت بقوة على ساعده فخرج الدم من عرق يده
- وترك ساعده تذكّاراً من الدم فى عدة أماكن

.....

- وزهرة الفل كجارية صينية فى وسط الحديقة
- بيضاء وجميلة وبديعة مثل أختها الياسمين
- نجمتان صغيرتان اقترنتا
- أو عقد الثريا الذى انفصل عن الشمس
- وظهر فى منتصف الليل وكأنه عقد الياسمين الذى ينثر على العروسين

.....

- والدائرة الحمراء التى تحيط بالوردة لماذا صارت ذات أسنان؟
- ولماذا تغطى جسدها الملائكى هذا بالثوب الحريرى؟
- ولماذا حريرها عديم النظير و أملس هكذا؟
- ولماذا جسدها من عند المنتصف ذهب مُكَلَّس؟
- ولماذا قامت بتكليس كل هذا الذهب الخالص؟

.....

- والبلايل زوج زوج يتحركون إلى أعلى وإلى أسفل
- وطيور الصلصل فوج فوج يستمتعون معًا
- وأعطى الخلق ظهورهم للههم وتعلقوا في النعم
- وأشهبوا في وجه الألم سيف الإيذاء والقهر
- وشربوا معًا كأس الخمر برفقة الدف والرياب والعود

.....

- والببل على غصن الورد يغنى ويغرد
- وأغنيته تجلو الصدا من صفحة القلب
- ويمدح بمنتهى الجمال حسناء الروضة
- فهذا ليس خطأي فإنه يمدح مثلى
- وعلى زهرة تاج الكرم ثمرة غصن الشرف

٥- يغما:

يتميز شعر هذا الشاعر المعاصر لقا آنى وفروغى بمذاق آخر ولد ميرزا رحيم يغما ابن حاجى إبراهيم قلى عام ١١٩٦ هـ.ق فى ولاية إيرانية فقيرة جدًا وقليلة السكان بقرية "خور بيابانك" التابعة لمنطقة جندق، وقد قضى فترة طفولته فى شقاء وعناء شديدين، فقد عمل وهو فى السادسة

أو السابعة من عمره، حيث كان يرعى الجمال خارج القرية حتى يدبر نفقات معيشة أسرته. يُقال إن يغما خرج ذات يوم بقطيعه إلى الصحراء فمر عليه الأمير إسماعيل خان كبير عرب العامرية والذي كان من كبار الملاك وحاكم تلك المنطقة، فنادى على يغما وسأله بعض الأسئلة فأجابه يغما، فأعجب الأمير بأدبه وجوابه الحاضر، فأخذه عنده وتبنّاه، وقرر أن يربيّه ويرعاه وخلال عدة سنوات تعلم يغما القراءة والكتابة والمراسم وأنواع المهارات المطلوبة من الفروسية والرماية، وأصبح واحداً من رسل أبيه بالتبني، وسرعان ما لاحظ الأمير استعداد هذا الشاب وتفوقه غير العادي في الكتابة فجعله كاتبه الخاص، وفي هذه الأثناء بدأ يغما في نظم الأشعار لأول مرة بتخلصه "مجنون".

وفي عام ١٢١٦ هـ.ق توترت العلاقة بين إسماعيل خان والحكومة فأرسلت الحكومة الجيش لمهاجمته، وهُزم إسماعيل خان في الحرب وفر إلى خراسان وسقطت أملاكه في يد الفاتحين، وقد عُين لإدارة أمور جندق رجل يدعى جعفر سلطان من طرف القائد ذي الفقار خان حاكم سمنان ودامغان، فرأى جعفر سلطان أنه من الضروري وجود شاب متعلم وكفء مثل يغما في جيشه، فحث الكاتب الشاب على الانخراط في الجندية والعسكرية، ولكن لم يقبل يغما هذا الظلم الفاحش وعُين كاتباً للقائد نفسه وبتأييد منه، وقد ظل عنده في هذا المنصب ست سنوات وعلا شأنه ولكن أصبحت هذه المكانة سبباً في نكبته وتعاسته، فقد حقد عليه زملاؤه في العمل ووشوا به عند القائد الذي كان رجلاً حاد الطبع وبذئء اللسان حتى غضب عليه القائد وضربه بالعصا وألقاه في سجن مظلم، وأرسل بعض رجاله إلى جندق لمصادرة أملاكه وقمع

أقاربه. (١)

وبعد خروج الشاعر من السجن قام بتغيير اسمه إلى "أبى الحسن" وتخلصه إلى "يغما"، ولبس الخرقة الصوفية، وظل سنوات "شريدًا وهائمًا في ربوع إيران. بسبب ظلم القائد وأخذ كل فترة يظهر في مكان آخر ثم يختفى وهو شديد التعب والاضطراب" (٢).

وفي هذه الأثناء سافر أيضًا إلى بغداد وكربلاء حتى ظهرت في آخر الأمر براءته وافتضح أمر الحاقه (٣)، أما القائد "فقد ترك الطبع الشيطاني وعاد تدريجيًا إلى الطبع الإنساني" (٤)، وعزف مع الشاعر "لحن الصلح والتعارف وسر الحب والتآلف أكثر مما يليق، ولم يعد يصغى لأحد مهما قال" (٥)، وعاد يغما إلى مسقط رأسه، ولمّا كانت الإقامة في جندق تذكر الأيام الماضية والظلم الذي كان قد وقع عليه وعلى أسرته، إذ كان أمرًا شاقًا عليه، ولا عجب في أنه توجه إلى طهران عبر طريق يزد بعد ستة شهور (٦)، وتقابل

(١) كان الظلم الذي وقع على يغما من ذى الفقار خان فوق طاقة البشر بل وأدى إلى حيرة الناس ودهشتهم، على الرغم من أنهم كانوا يعيشون في عصر كله ظلم وتجاوزات، مثلما يقول قاضل خان في رسالته لآقا خان المحلاتي "إنها يقصد المرأة الدائنة - تفعل معي كما يفعل الماء بالأساس المطموس والرياح بالخيمة المندرسة وذو الفقار خان بأبى الحسن الجندقي وسهراب خان بحاجي محمد البسطامي".

(٢) كليات يغما، ص ٦٢.

(٣) كليات يغما، ص ٦٢.

(٤) كليات يغما، ص ٦٢.

(٥) كليات يغما، ص ٦٢.

(٦) بعد ١٤ سنة حيث قدم القائد ذو الفقار خان من سمنان إلى طهران أنن للشاعر بالدخول بدون وساطة أحابيه ومساعدة أصدقائه، وقابله بشفاة مفتوحة ووجه طليق=

بالصدفة مع الحاج ميرزا آقاسى الوزير الإيرانى القدير، ذلك الوزير الذى كان شديد التعلق بالتصوف على الرغم من كل مشاغله الدنيوية وكان يعد نفسه من الصوفية أصفاء العقيدة.

وسرعان ما أصبح مريدًا له، وعلا نجم إقبال يغما من جديد، وما لبث أن صار من نوى المكانة والاحترام والشهرة والجاه بفضل سلطة ونفوذ ذلك الوزير (١٢٥٠-١٢٦٤ هـ.ق)، لكنه لم يستفد من هذه السلطة ذلك أو النفوذ، والحسنة الوحيدة التى فاز بها من تلميذه رفيع الشأن كانت هى وزارة حكومة كاشان.

وفى أثناء إقامته فى كاشان حدثت واقعة فضائية، وقد نظم يغما هذه الواقعة فى منظومة بعنوان "خلاصة الاقتضاح" وأثبت موهبته فى الهجاء، فحاولت الأسرة التى كانت قد تعرضت للإهانة والتحقير الانتقام من الشاعر بكافة الطرق والوسائل فسلكت طريق الرشوة والافتراء، واتهمه إمام جمعة كاشان بشرب الخمر وإهمال أحكام الشريعة ووصفه فى صلاة الجماعة بالفاسق والمرتد، ومن ناحية أخرى فقد هبت جماعة لمناصرته حيث بذل الحاج ملا أحمد نراقى العالم الدينى المشهور والمسئول الأول عن الفتوى، جهدًا كبيرًا فى هذا السبيل، ولكى يدفع يغما التهمة عن نفسه تظاهر بالتوبة ولبس خرقة الزهد.

وهاتان الغزليتان هما نتاج هذه الفترة:

- إذا لم أصب الخمر فى الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟ إذا لم أرطب

=وأجلسه بجانبه و "مدرّب الصقور الذى لم يكن يمشى منذ بدء الخليقة إلى آخر الحياة إلا بالسب والشتّم ولم يكن يتحدث عنه إلا بالذم واللعن" سأل الله تعالى الراحة والعفو للشاعر (كليات يغما، ص ٦٢).

رأسى بالكأس، فماذا كنت فاعلاً؟

- الجو بديع والخمر فى الكأس وأنا سأمت التفكير العقلانى، فإذا لم يكن
عندى عمل آخر، فماذا كنت فاعلاً؟

إلى أن قال:

- نجوت من شيخ المدينة بحيلة الإسلام فإذا لم أسالم هذا الكافر، فماذا كنت
فاعلاً؟.....

- أى خمر تجرعتها من زجاجة الدهر تلك التى لم تدمى ولم تنهمر من
أهدابى على وجهى

- إلى متى أتحمل الذل من أمير الحانة لم تعد لى القدرة على التحمل، فلست
مخلوقاً من الحديد أو النحاس!؟

- الآن لا يفتح شيخ الحانة الباب فى وجهى لا يهم، فلم يغلق أحد باب
المسجد فى وجهى

- أزيل بتراب الخانقاه غبار الكفر من الجسم وأمحو بماء الصومعة غبار
الشرك من الوجه

- إن إمام المدينة الذى بحكم الشريعة لم يكن يسمح لى بدخول الحى قبل هذا
بسبب الفضيحة

- يجلس الآن بجانبى من شدة الحب ويصب الخمر ويزيل غبار الحانة من
على وجهى بكم الخرقة

لكن لم يأت كل هذا بفائدة، ولم يعد يغما يستطيع البقاء فى كاشان
فاضطر لترك بيته وأهله مرة ثانية، وقام بالسفر والتجوال وعاش فترة فى

هراة وعاد في آخر الأمر إلى وطنه وهو في الثمانين من عمره، وفي يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثاني من عام ١٢٧٦ هـ ق توفى بقرية خور، ودفن في القرية نفسها بالقرب من قبر سيد داود.

لم يهتم يغما بجمع وترتيب كتاباته وأشعاره، فلم يكن يؤمن بهذا الأمر حتى تعرّف عليه شخص يدعى الحاج محمد إسماعيل^(١)، وارتبط معه بصداقة حيث قام هذا الشخص بجمع مؤلفات يغما التي على حد قوله "كانت كعقد منفرد وكيس نقود كثير الثقوب، وأعاد ترتيبها وتنسيقها بعد سعي وجهد كبير"، وبعد موته أخذ ابنه الكبير ميرزا عبد الباقي الطبيب كل هذا وطبعه طباعة حجر في مجلد كبير بالقطع الرحلى في طهران عام ١٢٨٣ هـ بسعي واهتمام اعتضاد السلطنة وزير العلوم والصناعة^(٢).

والحاج محمد إسماعيل هذا الذي "كان من عامة أهالي دار الخلافة وكان سليم الفطرة وحسن الطبع ولكنه كان بلا نصيب أو حظ من فنون البحث والعلم"^(٣) كانت لديه رغبة شديدة في جمع أعمال يغما المتفرقة، وكلما رأى أو سمع في أي مكان أو من أي شخص شعراً أو نثراً يعتقد بذوقه واجتهاده أنه ليغما، كان يجمعه وينسخه في أحد الدفاتر، وقد ظل سنوات يخفي تلك المجموعة عن الناس.

يقول سلطان محمد ميرزا سيف الدولة المتخلص بسلطان، الابن الرابع والأربعين لفتحعلي شاه والذي كان أميراً فاضلاً وعالمًا وله مؤلفات شعرية

(١) جد الدكتور خليل خان أعلم الدولة النقي.

(٢) الطبعة الثانية، بمباي، ١٣٠٢ هجرية، والطبعة الثالثة، طهران، أوفست، ١٣٣٩ ش

[٦٠ - ١٩٦١م].

(٣) مقدمة ديوان "سلطان"، نسخة "آستان قدس رضوي".

ونثرية بالعربية والفارسية، وظل يجالس ويصاحب يغما في طهران لمدة عشرين عامًا عقب جلوس محمد شاه على العرش،^(١) يقول في المقدمة التي كتبها لديوانه سنة ١٢٩٢ هـ.ق: "سمعت مرارًا بأننى يغما و هو يقول إن هذا الصديق العامى - أى الحاج محمد إسماعيل - سيلقى بى إلى عالم الفضائح وسوء السمعة، فإنه يأخذ بعض أشعار وكتابات الناس ويضعها باسمى فى الدفتر والديوان وكلما أجزمت وأقسمت له أنها ليست لى، وقلت له أخرجها من الدفتر ولا تفضحنى وتسىء إلى سمعتى لا يصدقنى ويصمم أكثر على تسجيلها"

ويقول يغما نفسه فى الرسالة التى كتبها لأحد أقاربه (الملا محمد حسن الأصفهاني) وطُبعت بالصدفة ضمن كتاباته "...إننى إذا قمت فى أى وقت وفى أية سنة وفى أى شهر بإعداد رسالة بناءً على طلب شخص ما أو وفقًا لرغبتى وتكون هذه الرسالة تلاً من الدُر اللامع.. يأخذها هذا وذاك بهوس ويمزقونها من الأمام والخلف، وفى الأيام التالية تصير قطعًا صغيرة وتقع فى أيدى الأطفال الأشقياء فيصنعون منها الطائرة الورقية أو تتحول إلى

(١) يقول سلطان فى مثنوى سيف الرسائل:
 الأستاذ الجليل الذى لا يفكر إلا فى العلم
 يغما الذى هو شمس البشر
 فقير، غنى شحاذ، سلطان
 فمه وشفاهه عن اللغو مغلقان
 من أول العشرين إلى ما بعد الأربعين
 فى السنة والشهر واليوم والأسبوع كنا معًا
 ليعلم أبناء العالم من الأعداء والأصدقاء

الغريب عن عوالمه الكثيرة
 وبه تستقيم كل أمور البشر
 فى كسوة الفقر، نفس الإيمان
 وروحه وقلبه من الخلاف متحرران
 مستريح من الغير وفارغ من النفس
 رفاق السعادة والحزن
 أن كل ما أعلمه هو عنه

ورقة قديمة يقوم بائعو الأدوية بلف الدواء فيها.. إن صديقي القديم، الحاج محمد إسماعيل الطهراني، قام من باب الحب والإخلاص وليس من باب الأحقاد وهتك الأسرار بعد أن مضى على عمرى أربع سنوات بعد السبعين، قام بإعداد دفتر ووضع فيه كل أعماله الثمينة وغير الثمينة، وأعمال الآخرين أيضاً الغث منها والتمين وصنع من كل هذا كتاباً ضخماً ووضع اسمي على كل ما رآه في أى مكان وكل ما سمعه من أى شخص دون أن يلقي نظرة واحدة أو يتحقق من صدق وكذب هذا العمل وذلك بعد أن يحصل عليه بالمال أو بالتضرع أو بالقسوة، ثم يضيفه إلى أعمال الأربع سنوات، ولقد قمت مراراً في السر والعلن بترتيب الأوراق وأرسلت الاحتياجات من الذهب والفضة عسى أن أسترده صحيفة الفضائح هذه وأخلص نفسي من النار المحرقة في الحياة والممات ومن سباب ولعنات كل شريف ووضيع، ولكنني لم أجد إلا آذاناً صماء وعقول جامدة...". (١)

وبعد وفاة يغما، وبينما كان الحاج هذا لا يزال على قيد الحياة "كلما أرادت فئة من الناس أن تأخذ نسخة من ذلك الشعر والنثر لتقوم بإصلاحه وتصحيحه وطبعه، رفض ذلك" (٢)، والعجيب أنه بعد وفاته قام ابنه ميرزا عبد الباقي والذي "كان صاحب فضل وعلم ومن أدباء دار الخلافة المعروفة وعلمائها الأساسيين" (٣) بطبع هذه المجموعة التي كانت "ميراثاً مغلوطاً وبأقوال الغير مغلوطة" (٤) باسم يغما كما قلنا.

(١) كليات ، ص ٨٨.

(٢) مقدمة ديوان سلطان.

(٣) مقدمة ديوان سلطان.

(٤) مقدمة ديوان سلطان.

وبعد أن طبع الديوان ونشر تبين أن تسعة وسبعين بيتاً غزلياً كان للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان تحت عنوان "الغزليات الجديدة" وقطعتين أو ثلاثة للملا محمد حسن بهرام السمناني، وبعض منظومات ورسائل ميرزا إسماعيل هنر ابن يغما، والقطعة التي كتبها الأمير سيف الدولة وهنر معاً قد سجلت كلها في ذلك الديوان باسم يغما. ^(١)

نثر يغما:

مؤلفات يغما النثرية عبارة عن هذه المجموعة من رسائله العديدة التي كتبها لأبنائه الكثيرين (ميرزا إسماعيل هنر وميرزا محمد علي خطر وميرزا أحمد صفائي وميرزا إبراهيم دستان) وبعض الأمراء والعلماء وعدد من أهله وأصدقائه، وهذه الرسائل التي احتلت ثلث ديوانه، على الرغم من أنها مزيفة ومكررة، وللأسف غير مؤرخة فضلاً عن أنها - كما نكر - ممزوجة بكتابات الآخرين، فإنها مصدر مهم ونفيس للقراءة والبحث في أحوال المؤلف، ويذكر يغما في هذه الرسائل شخصيات كثيرة منها شخصيات معروفة، فهو يذكر بالخير الأميرين سيف الدولة وبهاء الدولة والحاج محمد إسماعيل صديقه القديم وجامع ديوانه، ويسمى قا آني "صاحب الكلام والعالم القديم" ^(٢) وفاضل خان جروسي "السيد الرحيم" ^(٣) ويصف نفسه بأنه بالنسبة له "المملوك المخلص" ^(٤).

(١) يمكن الرجوع إلى مقالة أحمد گلچين معاني (مجلة يغما، السنة السابعة عشر، العدد العاشر).

(٢) كليات ص ١١١.

(٣) كليات، ص ١١٥.

(٤) كليات، ص ١١٥.

لم يكن يغما يحب اللغة العربية وقد كتب الكثير من رسائله بالفارسية "الخالصة"، بحيث إنه استخدم الألفاظ الفارسية المهجورة بدلاً من الكلمات العربية الشائعة، وقد يكون السبب في هذا الأمر أنه لم يتعمق في الدراسة ولم يكن يعرف قواعد اللغة والأدب العربيين بالشكل الكافي، مثلما يقول هو نفسه في رسالة لأحد الأصدقاء "وللأسف فإنني لا أعرف العربية، وفضيلة الجهلاء بيع الوقاحة"^(١)، إلا أن عدم تبحره في اللغة العربية وآدابها قد دفعه لتعلم اللغة الوطنية الفارسية على الوجه الأكمل، وبالتالي فإنه لم يكتف بالتحقيق والتتبع في دواوين أساتذة الشعر فحسب بل إنه قرأ المعجم الكبير "برهان قاطع" بدقة وتريث شديدين، بل وكتب عليه أيضاً تئمة فيما يبدو:

وقد اعتقد يغما، نتيجة هذه القراءات أن الإيرانيين بإمكانهم الاستغناء عن الألفاظ العربية، ومع هذا فإنه لا يمكن القول إن يغما قد نقي لغته النثرية تماماً من الألفاظ العربية، بل إنه بخلاف الرسائل "البسيطة" أو الكتابات "الفارسية الخالصة" التي تجنب فيها استعمال الكلمات العربية بصورة متعمدة، عنده رسائل أخرى أيضاً كتبها باللغة الأدبية الدارجة في عصره بل والممزوجة في بعض الأحيان بالألفاظ العربية الغليظة، أما دعوته لتنقية اللغة فهي محصورة في أنه قلل من استعمال الألفاظ العربية بقدر الإمكان.

وعلى ما يبدو فإنه قد ظهرت في عهد يغما نهضة في مجال الكتابة الفارسية، فقد كتب في رسالة لابنه ميرزا أحمد صفائي "وهذا الأسلوب كما يرى العلماء والفضلاء أسلوب حديث ومبتكر، وضع أساسه عدد كبير من

(١) كليات، ص ٩٣.

كُتَاب قُزَوِينَ وَالرِّيِّ وَفَصَحَاء أَصْفَهَانَ وَالْجِي^(*)، وَقَدْ ثَبَتُوا بِشِدَّةٍ عَلَى هَذَا
الْأَسْلُوبِ وَبِهِ كَتَبُوا الْقَصَصَ الْعَمِيقَةَ وَرَفَعُوا الْقُصُورَ الْعَرِيقَةَ، لَيْتَكَ أَيْضًا
تَسْلُكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ وَتَحْمِلَ عَلَى ظَهْرِكَ ذَلِكَ الْحَمْلَ وَالْهَمَّ عَلَى سَبِيلِ التَّجَرُّبَةِ
وَتَجْعَلَ الْقَلَمَ فِي إصْبَعِكَ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ فِي رِسَالَتِكَ الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ قَدْ
تَقْتَفَى أَثَرَ مَجْمُوعَةِ الزَّمَلَاءِ وَالْفَصَحَاءِ مِنْ كُتَابِ الْفَارَسِيَّةِ^(١).

وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَرشُدُ الْكُتَّابَ الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ عَلَى هَذَا "الْأَسْلُوبِ
الْجَدِيدِ حَدِيثَ الظُّهُورِ"، عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي: "احْذَرِ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابَةِ وَكُنْ مُنْتَبِهًا
الْفِكْرَ وَالْعَقْلَ وَافْتَحْ أُذُنَيْكَ وَعَيْنَيْكَ بِشِدَّةٍ، حَتَّى لَا يَنْفَصِلَ مَا يَجِبُ اتِّصَالُهُ، وَلَا
يَتَّصِلَ مَا يَنْبَغِي انفصالُهُ، فَإِنْ عَيْنُ الْقَرَّاءِ مَفْتُوحَةٌ بِشِدَّةٍ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ
الْجَدِيدِ، وَهِيَ تَعْرِفُ الْمَبْتَدِئِينَ قَلِيلَى الْعَمَلِ وَتَرَى الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ وَالْغَائِبَةَ عَنْ
الْعَيْنِ الْجَامِدَةَ وَالْقَلْبَ الْمَتَحَجِّرَ، وَإِذَا لَمْ تَقْتَصِرْ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابَةِ الْمُرُورَ عَلَى
هَذَا الْأَسْلُوبِ فَإِنْ بَدَايَةَ وَنَهَايَةَ الْفُقَرَاتِ ذَاتِ الْحَجْمِ وَالْعَدَدِ الْمُنَاسِبِينَ سَوْفَ
تَتَدَاخَلُ حَتْمًا، وَسَيَصْعَبُ عَلَى الْقَارِئِ وَالسَّامِعِ كِلَيْهِمَا الْإِسْتِمْتَاعُ بِجَمَالِ جَوْهَرِ
الْكَلَامِ وَفَصَاحَتِهِ، وَبِذَلِكَ سَتَفْتَحُ أَبْوَابَ النِّقْدِ وَالتَّطَاوُلِ عَلَى مَصَارِيْعِهَا مِنْ كُلِّ
صَوْبٍ وَحَدَبٍ وَتَطْلُقَ الْأَلْسُنُ فِي ذَمِّ الْكَاتِبِ، وَعِنْدَئِذٍ سَيَنْقُدُ النَّصَّ كُلُّ مَنْ لَا
يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْأَدَبِ، أَمَّا إِذَا انْتَبَهْتَ وَأَعْمَلْتَ الْعَقْلَ وَاسْتَمَعْتَ لِنَصِيحَتِي
الْمَخْلُصَةِ.. احْتَرَمْ رَأْيَ هَذَا الْمُبَارَكِ الْمَذْهَبِ وَاحْتَرَسْ مِنْ صَدِيقِكَ الْجَاهِلِ
وَعَدُوكَ الْمَتَرَبِّصِ بِكَ...".^(٢)

(*) جِي اسْمُ أَصْفَهَانَ قَدِيمًا وَاسْمُ قَرْيَةٍ فِيهَا (الْمُتَرَجِّم).

(١) كَلِّيَّاتُ، ص ٥٦.

(٢) كَلِّيَّاتُ، ص ٤٩.

شعر يغما:

يعد يغما شاعراً غزير الشعر، أما الأشعار التي قد بقيت عنه فهي عبارة عن مجموعتين من الغزليات القديمة والجديدة^(١)، وخمس منظومات هزلية قصيرة وكم كبير من المراثي والقطع والترجيعات والرباعيات.

ويمكن تقسيم هذه الأشعار من حيث المضمون إلى ثلاث مجموعات:

١- الغزليات التقليدية البليغة المقبولة نسبياً والتي نظمت بأسلوب القدامى، وهي تثبت مدى قدرة الشاعر وموهبته العالية في فن الشعر.

٢- الهزليات التي تعد أكثر أعماله أهمية على الإطلاق وترجع إليها شهرته في الحقيقة، وهي: "سردارية" التي نظمها لتسليّة القائد ذي الفقار خان، وهي غزليات وضعت بجوار بعضها البعض بدون رابطة خاصة وتبدأ كلها بالسباب والشتائم المبتذلة القبيحة وتنتهي بمدح القائد، "قصاوية" و"أحمدا" واللذان لا تختلفان عن "سردارية" في الشكل والمضمون، ومثنوى "خلاصة الافتضاح" الذي مر ذكره، ومثنوى "صكوك الدليل" والذي نظمته في هجاء قارئ الروضة سيد قنبر وسماه "رستم السادة" والكثير من القطع والترجيعات والرباعيات في الهجاء والهزل.

(١) كما أشير فإن هذه الغزليات التسعة والسبعين التي دخلت ديوان يغما بعنوان الغزليات الجديدة كانت للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان، وقد كتب ميرزا عبد الباقي في هامش ٨٦ من الكتاب أن يغما تخلص في بعض أشعاره باسم سلطان، لكن العجيب هنا أنه قد غيّر تخلص سلطان إلى يغما في كل الأشعار ما عدا في غزل أو اثنين كانت كلمة سلطان جزءاً من الغزل ولا يمكن تغييرها.

وأشعار يغما الهزلية لا تختلف عن غزلياته فى الصنعة الشعرية، وأهم خصائصها الفضائح الصارخة والشتائم العلنية والتي توجد فى كل سطر من سطورها، وهزليات يغما لا تستحق الشرح والترجمة إلى اللغات الأخرى وهذه الأشعار مملوءة من أولها إلى آخرها بالفحش والألفاظ السوقية القبيحة والخارجة عن حدود الأدب، واللازمة التي استخدمها الشاعر فى كلامه هي كلمة الديوث والتي نعت بها نفسه أيضاً، ويعد هذا ألطف وصف سوقى استخدمه فى غزلياته، حيث يرى يغما أن العالم كله بأرضه وسمائه، بسرره وعلمه، بشرقه وغربه هو "سوق الديانة"، وفى نظره أن كل ما يرى من بعيد أو قريب باستثناء "الأرواح المكرمة" عبارة عن ديانة أوجدها أنجاس، ويتعجب يغما حتى من "يوم الحشر والبعث" قائلاً: أى بلاط أو ديوان يقيمه الله لهذا "الديوث الأحمق"!

ولكن لا يجب أن ننسى أن هذا الاشمئزاز والنفور وهذه البذاءة والفحش هي نتاج فساد وتلوث البيئة التي كان يعيش فيها الشاعر، صحيح أن يغما يفكر فى الانتقام الشخصى فى أغلب المواضع وينضم من هذه الناحية إلى شعراء هجاء المدرسة القديمة ولكن لم يعلن أى شاعر هجاء حتى عهد يغما عيوب ومفاسد عصره بهذه القسوة مثله.

وقد كان شعراء اللهو والمجون الإيرانيين كحافظ وأمثاله، كان حزنهم دائماً فى القلب وشكواهم على الشفاء من الأشخاص الذين يظهرون فى المحراب وعلى المنبر، أما سب يغما للمرائين والمتظاهرين بالتدين فله لون وشكل آخر، فتطاوله بوقاحة على الشيخ والصوفى والواعظ وكذلك مسئولى عصره ليس سباً بسيطاً بل هو هجوم على الحالة المتدهورة واضمحلال البلاد وعلى جميع الأشخاص الذين كانوا سبباً فى هذا الأمر أو ساهموا فيه،

ويهتم يغما بالأحداث والوقائع التي تسببت في معاناته واضطرابه ولكنه غير مستعد لمحاربة عوامل الفساد واقتلاع جذورها، فيغما الذي يعد نتاج بيئته وربيب العادات القديمة ليس لديه الأفق الواسع الذي يجعله يدرك حقيقة الأمور، وكل ما في الأمر أنه غاضب من الجميع ونافر من كل الناس فتدوى صرخته في كل جنبات الدولة وتصل إلى أذن سائر الإيرانيين الصالحين الداعيين إلى الإصلاح.

٣- الأشعار التي تمتلئ باليأس والتشاؤم التي تعد امتداداً أو رد فعل طبيعي لحالة الغليان والفوران التي كانت عليها أحاسيسه وانفعالاته النفسية.

فالعصر الذي كان يعيش فيه يغما كان مازال بعيداً عن التحولات المستقبلية، ولم تكن الظروف تسمح بأن يجرب منه الأصلي الذي كان عبارة عن الهزل والهجاء والنقد في الأمور الاجتماعية، ومن ثم فإنه يعود إلى اليأس والتشاؤم المطلق ويميل إلى الأفكار الصوفية التي كان ينفر منها كلها ويتوب ويرجع عن الفحش والبذاءة أو على حد قوله عن ذلك "الكلام الفارغ".

وهذا الجزء من أشعاره ليس فيه ذلك الغضب والغليان السابق، والإهانة والاحتقار ليست بتلك الشدة والحدة التي كانت عليها، ولكن بصفة عامة يلاحظ أيضاً في كل هذه الأشعار الألم والتعب والاضطراب، ووسط هذا الحزن والإحباط المميت ينشد الشاعر أبياتاً من هذا القبيل:

- سافرت أنا يغما والحظ والسعادة والغم معاً من العدم إلى مملكة الوجود

-ولمّا وصلنا نحن المسافرين الجدد إلي منتصف الطريق

نام الحظ وسلكت السعادة طريقها وبقيت أنا والغم

وكان الحياة في نظره قد فقدت تمامًا قيمتها وأهميتها، ولم يعد عنده أى أمل، ولم يعد بمقدوره التعايش مع المحيط الخارجى.

وقد نظم جزءًا من هذه الأشعار بلهجة وأسلوب عرفانى، وتقرب أغلب أشعار هذا الجزء من أفضل نماذج الشعر الكلاسيكى.

٤- مراثى يغما: والتي قد نظم جزءًا منها للألحان الإيقاعية، والشاعر نفسه يسميها "نواح الضرب على الصدور أو الضرب بالأحجار" وهى ذات مكانة خاصة فى ديوانه، ويستعمل فيها شكلًا جديدًا نسبيًا والذي يسمى فى الأدب الفارسى "المستزاد" حيث إنه أوجد نوعًا جديدًا من المراثى يشبه الأناشيد الوطنية، فالأناشيد الثورية بعد عام ١٣٢٤ هـ.ق والكم الكبير من الأشعار الفكاهية التى نراها فى صحف عصر الحكومة الدستورية هى بالشكل نفسه الذى أوجده يغما.

وكما رأينا فإن قأ أنى ينتسب للعصر الماضى سواء من حيث الشكل والقالب أو من ناحية مضمون الأشعار، أما يغما فربما يمكن انتسابه للعصر الحديث، وهو لم يحدث تغييرًا مهمًا أو أمرًا جديدًا فى شكل وقالب الشعر ويعتمد فى كافة المواضع على منهج وأسلوب الأساتذة القدامى، وبالرغم من ذلك فإن أعماله قد ظهر فيها انحراف كامل عن طريق القدامى من حيث المضمون، ويعد يغما بالنسبة لعصره رجلاً مستتيرًا فهو لا يختلق فى محيطه مثل قأ أنى وليس مجرد متفرج مستسلم ومنقاد للأحداث، وإنما يعترض على الحياة الموجودة بمنتهى العنف والشدة ويواجه كل ما يراه قبيحًا ونجسًا وسيئًا بوابل من الشتائم والبداءات، ويعد يغما رائد شعراء السخرية السياسية، وكما ظهر بسرعة فقد اختفى أيضًا بسرعة، ولو كان قد جاء بعد قرن من هذا العصر ربما احتل الزعامة والريادة بين كتّاب عهد الثورة الإيرانية.

والآن نقدم نماذج من رسائله ثم من أنواع أشعاره بعد ذلك.

من الرسالة التي كتبها لابنه اسماعيل المتخلص بهنر:

..... إن هؤلاء الأبناء هم تذكّار لأولئك الآباء الذين قتلوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبى، وسفكوا دماء خلفائهم الذين هم بحر العفو وسفينة النجاة، اعلم أنك إذا لم تنتثر بذرة الشمام اللطيفة كل عام وتزرعها فى أرض جديدة وبكر فإنها ستفقد وجودها تدريجياً ويُدْفَن جواهرها فى الحضيض، ولأن الأجناس الخمسة التى كانت ثمرة زواج سبعة آباء وإنجاب أربع أمهات^(١) لم تتغير بذرتها منذ آلاف آلاف السنين، ولا يأتى الماء إلا من ظهر الرجل وقُبِل المرأة، فإن الأمل والطمع فى تحسن هذه البذرة هو مثل غرس زهرة الشقائق فى أرض بور مالحة، ولو فتحت عقل ولب هذه الأبقار المروضة والحرر نوى الآذان والحوافر والذين يطلق عليهم من باب قلب الأمور "البشر" لن تجد غير مجموعات الشياطين المخادعين للناس وقطعان من الكلاب آكلة لحوم البشر.

لا توجد إنسانية على ظهر الأرض فلا بد من خلق عالم جديد وإنسانية جديدة

إن جوهر الإنسانية هو النظر، والعلم وهو العدل والإدراك والطبع والأخلاق، وهو الأسلوب والطريقة، وكظم الغيظ، وهو التسامح والسكينة والهدوء، وهو العفو والعطاء مع المرؤوسين، وهو مواساة المكلومين والتحرر من كل الناس وعدم التعلق إلا بالله وحده وأمثال ذلك، ومهما اجتهدت وبحثت فلن تجد أكثر من واحد فى المائة، هذا إن وجدته وسمعته،

(١) أراد أن يأتى بالأعداد أربعة وخمسة وسبعة جنباً إلى جنب والتي تتعلق بـ "العنصر" و "الحس" و "الجسم".

فأنت لن تجد سوى حفنة من محترفي الغدر ونقض العهد من أصحاب الوجوه البشرية والطباع الشيطانية... أصحاب الخيال الضعيف والبأس الشديد، هم في الظاهر أغنياء وفي الباطن متسولون، أكثرهم بخلاء وجشعون وفي النهاية سموا أنفسهم بشرًا بالرغم من أنهم في شكل وأخلاق الذئاب وطباع القطط واحتيال ابن آوى ومكر الثعلب، ويلبسون قناع الصداقة وهم أعداء.

ذلك يجذب قميص هذا وهذا يشد سروال ذلك

وكأن حدود العالم قد أصبحت مدينة الكلاب؛ أليس كذلك؟

حضرة القائد، إن اليد التي قد رأيتها والأيدى التي تعرفها هي مفتاح هذا السر وعازف هذه الآلة، وأنت لا تحتاج إلى تقرير جديد أو مكتوب حديث؛ لأن الأمور هكذا وأهل الزمان اعتادوا على ذلك، فلا تشغل بالك بما هم عليه واخرج من هذه الدائرة التي تستأصل جذور الاسم والسمعة وتحطم أصول العظمة والثقافة، واتخذ وجهة وقاعدة أخرى، واشكر الله على أنهم لم يغيروك ولم يجعلوا منك إنساناً آخر فارغاً بحيلتهم ومكرهم، وانس أي قببح تراه وعندما تسمع أي سوء التزم الصمت واصبر.

ولا تجادل، وابذل العطاء ولا تطلب شيئاً، وكن إنساناً، وانظر إلى الوحوش، واصنع معروفًا، وتحملّ السوء، وافرش الموائد، وانتصر، وتحمل الغارة الليلية، ولا تصنع للسباب، وقل قولاً طيباً، وانظر إلى الذئب، وفكر في العفو.

عش بحيث تكتب لك النجاة إذا ما مت

ولا تعش بحيث يستريحون منك إذا مت...^(١)

(١) كليات، ص ١٧.

ومن الرسالة التي كتبها لابنه ميرزا محمد على خطر:

".... أحمد، بالرغم من أننا لا نتدخل وأفواهنا مغلقة تمامًا فإن هذه السفينة لن ترسو على الرصيف، وهذه الجذور القديمة لن تخرج ورقًا ولن تثمر فاكهة، وينبغي على رخش (حصان رستم) أن ينتشل جثمان رستم، وأتمنى أن يقفز الآن ويتحرر من قيد التسيب والإهمال، ويقطع حبل الخمول والنفور، وأن يعمل بطريقة الحكماء، وينظم الحياة برجولة، وأقسم بروح السيد بأن كل هذا مزاح، فلا بد من بذل الجهد والعرق، ولا بد من طهي الخبز ولا بد أن تأكل من صنع يدك وتطعم الآخرين أيضًا، فكل قرش أسود يحرسه أسد أحمر، وكل حبة قمح مدفونة تحت ثل من التراب، يموت والأعداء يأكلونها أفضل من أن يعيش ويمد يده للصديق حتى يعطيه.

حكاية : كان أحد العلماء الصالحين يعظ الناس بأن كل من ينفق قرشًا واحدًا في سبيل الله سيرد إليه عشرة في الدنيا ومائة في الآخرة، وكان هناك فقير بسيط في شدة الاحتياج، ولكي يحصل على أي شيء انضم لقافلة المتسولين وجلس عدة أيام يطلب من الناس وينتظر أن يجزلوا له العطاء، لكن لم يفتح أمامه أي باب ولم تفتح أية نافذة لإعطائه شيء، فأجبره الجوع الشديد على الخروج من الحارة والإسراع إلى السوق فأخذ يركض يمينًا ويسارًا ويطير إلى أعلى وإلى أسفل فرأى ثريًا كان حزامه الذهبي قد وقع منه في بئر ممتلئ بالمياه الراكدة وهو يصرخ ويقول على قارعة الطريق: أي شخص سيأتينى بحزامي سوف أكافئه بسخاء، فقفز هذا المسكين في البئر وغاص في المياه وكانت المياه راکدة وعفنة فتأذى منها بشدة، لكنه أمسك بالحزام في النهاية وخرج من البئر متسخًا ومتعبًا، وذهب بالحزام إلى صاحبه في القصر، ورأى صاحب الحزام الذي وعد بمكافأة، فقال له لقد تعبت كثيرًا

وملائتني القاذورات والأوساخ لأحضر لك ما تريده ولكن هذا العمل سوف يقتلني!

أربعون عامًا قضيناها في بئر قاذورات الحياة وتحملنا صعوبات كثيرة حتى يمن الله سبحانه وتعالى علينا بلقمة عيش أو كسرة خبز، وقد زاد رزقه ونعمته فتركنا لكم وعاء (إرثًا) دون أن نضع منه شيئاً في أفواهنا وتركناه على المائدة بالحب ودون أن ننتظر الشكر فامتألت البطون وهدأت غيلان النفوس حتى ظهرت بوارد الجحود والكران وبدلاً من أن تحمدوا وتشكروا وتعصوا على هذا الوعاء بالنواجز مزقتم بعضكم البعض كالقطط المفترسة والكلاب النجسة، فأين الكرامة والعفة وأين الاستعلاء والاستغناء، إنكم لو عوقبتم على هذا الفعل، لا أعلم بأية طريقة ونظام ستسير الدنيا، وكيف ستمضي حياة جفنة جاحدة مجنونة!

وأوصل سلامي لقرة العين ملاباشي وقل له : إنني أنا وأباك قد ضيّعنا كل ما نملك وسبقناك أنت وأحمد بأميال في هذا الأمر ولم نجد سوى التشرّد والذلة وهمّ القلب والحقارة والجوع والعطش والخجل من العدو والحبيب والجلوس أمام بيوت الناس، ومد اليد بخجل إلى موائد الغرباء ومثل هذه الأشياء، ونتمنى أن تتجنب أنت نفسك هذا الأمر وتجنب أحمد أيضاً، وإذا عاند ورفض الارتداد عن هذا الأمر فابتعد عنه واتركه وحيداً، وإذا فكرت في غير هذا فسوف اعتبر أن التقصير من ناحيتك ولن انظر إليك ما حييت إلا بعين الاستياء والضيق، ولن استقبلك حتى لو أصبحت شيخ الطريقة أو السالك العالم.....". (١)

(١) كليات، ص ١٨، الحاشية.

ومن رسالة يشكو فيها من جرأة ووقاحة تلميذه:

".... بالرغم من كل هذه المساعي من جانب الأب وانفطار الأم ورغبتى بالتأكد، فإنه طالما أن الله لم يقدر الأمر فمهما وضعنا القلم على لسانه وأكلناه الكتاب في فمه لا نرى أثر العلم في كيانه ولا حسن البصيرة في روحه وقلبه، فأفق تعليمه وتحصيله ضيق ولسان القدرة عنده ثقيل وقدم الاستطاعة عرجاء، والحمد لله أن حليلة الإمارة وزينتها هما الفراسة والعلم الذى هو رأس مال الأصل العريق، فلا تكن مضيعاً للجواهر ولو تحليت يوماً بالعلم فلن تكون أقل حظاً من الجاهل^(١)".

وقد كتب لأحد الأصدقاء:

"...إن مكسب كلا الاثنين في هذه الصفقة وجوهر المتعة والسعادة في هذا البحر، ابذر الحبة واحصد المحصول، ابذر حفنة واحصد بيدراً، إن البخل هو أساس الخراب فلا تمشى في هذا الطريق ولا تلق بنفسك في ورطة كبيرة من أجل منفعة قليلة، إن الإنسان هو ربيب اللبن الصافى وهو فى الأمور ينقاد لأهوائه الفاسدة، وأنت إذا لجأت إلى الظفر الصلب لحل هذه العقدة فسوف يتخذ القضاء والقدر هما أيضاً طريقاً آخر وسيضيع من جيب هذين الأخوين ستمائة تومان....^(٢)

...كن راضياً بما قسم الله لك، واحفظ سرك عن الغريب والقريب والطيب والشرير، وما تسمعه من هذا أو ذاك كأنك لم تسمعه، وعف لسانك عن ذم العدو و الحبيب، وحاول دائماً أن تصلح أقوالك، وأفعالك، واشكر ربك

(١) المصدر نفسه، ص ١١٢، الحاشية.

(٢) كليات، ص ١١٣.

واحمدہ علی نعمتہ ورزقہ، وبعد أن تكون عبدًا لله وتقبل أوامره اجعله فوق كل شيء، واحفظ لسانك في كل زمان ومكان، وإذا سمعت من أحد ذمًا فلا تحزن، وفي أثناء الكلام اصمت قبل أن يُقال لك كفى، ولا تتكلم مع الصادقين إلا بالصدق، واسكت عن الكلام الفارغ، وجالس دائمًا من هم أفضل منك، وتكلم مع الجميع من باب العلم والفراسة، ولا تنس الله عز وجل في أي مسلك تسلكه، واسع بكل قوة وجهد في سبيل إرضائه لأن من يعزه الله ويحبه لا يذله الله أبدًا، أما من يذله الله فلن يستطيع أي مخلوق أن يعزه أبدًا، وسر هكذا دائمًا بشكل جميل^(١).

وفيما يلي قطعتان غزليتان من الشعر ليغما:

عابد الشمس

- انظر حتى لا تسكب الخمر عندما تعطني إياها
- في يدى فداء عينك أيها الساقى، انتبه فأنا ثمل
- إننى سأعقد مصالحة كاملة مع أتقياء خمر الكوثر
- بشرط ألا يأخذوا من يدى هذه الكاس
- إننى لكى تظلل كأسى سليمة دون أن تتكسر
- نقضت التوبة ألف مرة بقصد الخير والتصدق
- وكما أسجد أمام جمالك بلا خجل
- انتقل إلى العالم المضئ الذى أكون فيه عابدًا للشمس

(١) كليات، ص ١٣٠، الحاشية.

- إن أنشوطه خصلة إحدى الحسنات قد قيدت عنقى
بشعرة وجذبت بها بشدة فحطمت مئات القيود
- لا الشيخ يمنحني التوبة ولا الخمار يعطيني الخمر
من كثرة ما تبت ومن كثرة ما نقضت التوبة
- وفي النهاية بسبب البكاء في السعى خلف خصلته
جلست في وسط بحر من الدماء الجارية
- وعندما قسست يوم القيامة بقامته
جلس وقال إن القيامة بقدر القامة التي أنا عليها
- إن جنسة وجهك قد حرمت على "يغما"
عندما تعلق قلبي بحبة خالك الخادعة

شيخ المدينة

- إذا لم أصب الخمر في الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟
إذا لم أرطب رأسي بالكأس، فماذا كنت فاعلاً؟
- الجو بديع والخمر في الكأس وأنا مللت التفكير العقلائي
فإذا لم يكن عندي عمل آخر، فماذا كنت فاعلاً؟
- شاهدت المنظر ما عدا الخمر برغم أن رائحة السرور قد انبعثت منها
وإذا لم أقنع به ذا الجو، فماذا كنت فاعلاً؟

- لماذا يقولون إنك حشرت نفسك فى الخرقة الصوفية الضيقة
 - إننى كنت أكتسى بالزهد، إذا لم أفعل هذا فماذا كنت فاعلاً؟
 - يلوموننى: لماذا ابتعدت عن أهـدابهـ
 - إذا لم أفر من أمام جيش كامل فماذا كنت فاعلاً؟
 - عندما أعطونى الخـاتم السلطانى لمملكة الجنون
 - إذا لم أترك التـاج وأرحل فماذا كنت فاعلاً؟
 - إذا لم أعـاقب الدنيا بالدمـوع فبم كنت سأعاقبها؟
 - إذا لم أحتـال على النـجم بالتهـيدة فماذا كنت فاعلاً؟
 - نجوت من شـيخ المـدينة بحيلة الإسلام
 - فإذا لم أسـالم هذا الكافر، فماذا كنت فاعلاً؟
 - لقد فتح "يغما" من دير الراهب (المجوسى) ما كان يجب فتحه من الحرم
 - إن لم أكن أنظر إلى هذا الباب بعين الأمل، فماذا كنت فاعلاً؟
- هزليات يغما:

وفى المثنوى الهزلى "صكوك الدليل" يقوم الشاعر بعد أن يحمده الله وينعت الرسول ويمدح حضرة الأمير ويعرب عن أمله فى الانضمام إلى خدام هؤلاء العظام فى ساحة النشور والوصول معهم إلى الفردوس الأعلى، يقوم فى البداية بوصف الجنة التى قد رسمها العوام فى أذهانهم بهذه العبارات:

- ما الجنة؟ ليست يا صاحب العمل الصالح هي تلك الجنة
- التي تجرى فيها أنهار اللبن والعسل
- ونهر من الماء الطهور
- ممتلئ من أولسائه إلى آخره بالحور العين
- ومنافق شريـر في كل ركن
- قد احتضن حسناء جميـلة القوام
- وغوغاء الصالحين الحمقى من كل جانب كتراحم الذباب على العسل
- لقد طوى الفقراء سجاجيد الصلاة فاشرب من الخمر المتنوعة
- وهذه الحفنة من اللصوص في كل محفل تمتلئ بطونهم بألوان نعم الفردوس
- واحد غارق حتى أذنيه في العسل كحمار حمّال غارق في الوحل
- وواحد منشغل بالغناء وواحد بالسماع واحد يشرب وواحد يضاجع
- وواحد يرفع ثوبه مثل اللصوص
- ويبحث عن ثمار الفاكهة فوق أغصان الشجر
- وواحد يسقط ثملاً على حافة الكوثر فقد خارت قواه وفقد توازنه....
- وبعد ذلك يصف الجنة التي يعرفها ويتمناها لنفسه على النحو التالي:
- إن تلك الجنة التي تخلو من هؤلاء القوم
- ليس فيها إلا نور طلعة الحبيب
- أرضها منزهة عن دنس الغريم وجوها معطر بخلق الحبيب

- لا يظهر فى محفلها إلا الشمع ولا يطرق أحد بابها إلا الحاجب
- لو تتبخر فيها طول العمر لا ترى فيها أثرًا للغريب
- أقل حاجب على بابها هو الأدب وأدنى خادم فى خيمتها هو العقل
- الكل مصطفى ومنتبه إلى الخف لأن سلطان القلب قد استقر فى الصدارة
- الخمر الصافية تملأ الكأس من كأس التوحيد والسقاة دائماً سكارى التوحيد
- الكل ثمل من خمر المحبوبة الياقوتية الكل فان فى نفسه ومتحد مع الحبيب
- فارزقنى يا إلهى الثمر فى ذلك المحفل وامنحنى الطريق إلى خلوة الحبيب...

وهذه القطعة تعيد أيضاً إلى الأذهان بعض أشعار ايرج:

- رأيت فى المنام شهيد كربلاء والدموع تفيض من عينيه
- فقلت له: من شدة حزننا عليك يا من أنت إلى يوم الحشر
- كل عين من شدة البكاء عليك تفجر عيناً من الماء
- فإننا نقطر عليك الكواكب فلماذا عينك أنت تزرى النجوم؟
- هل ابن زياد يقاقلك مرة ثانية؟ أم أن شمر الشرير يحاربك؟
- فقال: لا ، أنا لا أشكو من الأعداء فقد قامت القيامة ضدى بسبب الأحاب
- خاصة الحمير الذى فى التكايا فإنه يحدث جلبه وضوضاء فى كل صباح ومساء
- ويقفز من منبر إلى منبر بغرض فضح آل المصطفى

- إننى أبكى وأشكو من وراء آل البيت كشخص يحاول الهرب من الغارة
- تارة فى الكوفة وتارة فى الشام تارة بالمدينة وتارة بالحجاز
- حيناً يقول زين العابدين غلام وحيناً يقول فاطمة جارية
- فى كراهيته لنا كأنك تظن أنها معركة الروس والإنجليز
- صوته الجمهورى من حنجرتة الشؤم حاد وقاطع كخنجر شمر....
- فقلت : أنا فداؤك، أى أحمق ارتكب فى حقك كل هذا الظلم؟
- وهذه البغي من أى ظهر؟ هذه المرأة المفتضحة من أى مخنث؟
- من أى وطن مولودها؟ ما هو شغلها وما هو اسمها؟
- فأخرج تنهيدة حزينة وقال آه، هو الملا حس الحمصانى

أبى احترق

- سمعت أن حريقاً هائلاً قد شب فى بيت لص
- حتى أن قلبى احترق بنار الحسرة
- ذهبتُ لاستفسر منه عن الواقعة فبكى بحرقة قائلاً لقد احترق بيتى من أوله إلى آخره
- وقال: آه لقد كان فيه السجاد والنحاس والأوانى والذهب والفضة
- فاحترق مع كل متاعى الآخر من الغالى والرخيص
- وقد تطاير الشرر منه وانتقل الحريق إلى مهجعى
- فاحترق مندبلى وردائى وخرقتى ونطاق خصرى

- وهذا كله أمره هين لأنه من تلك الشعلة الطائشة
احترق فخذى وقدم زوجتى ويد ابنى
- ما عدا عيني ورأسى اللذين خرجا سالمين
وقد احترقت كل أنواع الأطعمة المخزونة من انجاف والطرى
- ثم انتقلت تلك الشعلة من المنزل إلى الطوالة
واحترق لجام وجوال وغطاء وسرج حمارى
- فقلت له: طالما أن الأمر كذلك، لا تشق على نفسك بالإسهاب
فك زر الياقة وقل احترق أبى!

.....

- الحاج والسيد والأستاذ ثلاثة أصناف عجيبة
فقد كان كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة يحدث ضجة فى كل مملكة
- حرس الله حدود سمنان ببركة أنك أنت السيد وأنت الحاج وأنت أيضاً الأستاذ
ومن مراثيه:

(١) يجف الساحل من نهر فرات ابنى أكبر

صغبرى أكبر

ازرف السيول يا منبع عيني المبللة

صغبرى أكبر

إن كسوة عمرك حتى هذه القبلة الفيروزية (السماء)

قد ازدادت احمراراً من الدماء
إن الدنيا قد صنعت نقابي الأسود لتلقى العزاء
صغيري أكبر

لا يمكن نسيان حرقتي عليك إلى الأبد
أيها الابن شريف الأصل
يا ليت أمي لم تلدني من الأزل
صغيري أكبر

(٢) إذا لم أصرخ من الدنيا الظالمة فماذا أفعل
ماذا أفعل إذا لم أصرخ
إذا لم أشك من دوران الكواكب فماذا أفعل
ماذا أفعل إذا لم أشك

إذا لم أحمل همَّ عباس المبتلى فماذا أحمل
ماذا أفعل إذا لم أحمل همّه
إذا لم أبك على مصيبة أكبر فماذا أفعل
ماذا أفعل إذا لم أبك

إذا لم أتحمل عذاب يؤس القاسم فماذا أتحمل
ماذا أتحمل إذا لم أتحمل هذا
إذا لم أتذكر حرمان أصغر فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أتذكر هذا

(٣) إن البشر لم يقيموا العزاء كما ينبغي لهذه المصيبة فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

ليس الأركان الأربعة ولا الجهات الستة وإنما الفلك هو دار العزاء

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

إن صرخة الجن والملائكة في مأتم فخر الأمم

منذ القدم إلى آخر ليل العدم

من الثرى إلى الثريا ومن الثريا إلى الثرى

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

(٤) إنه أسبوع العداوة وشهر الشر وسنة الفساد وقرن الاحتيال

فالدماء تستباح والأموال تهدر

إنه ليل الغم ونهار الظلم ومساء الألم وصباح المأتم

فالدماء تستباح والأموال تهدر

الفتنة يقظة والأمان نائم والخصم متأهب للعداوة

والغزاة متربصون

إن القانون بلا شرطى والمائدة منهوبة والحكم مسلوب

فالدماء تستباح والأموال تهدر

لو أن ابن الزهراء لا يوافق هوى ابن مروان

فانظر وتعجب من دوران الزمان
انظر إلى هذا وذاك فهذا دليل وذاك عزيز
فانظر وتعجب من دوران الزمان
عند آل مروان السيف فى الكف وفى آل يس التضحية بالروح
وإذا أمعنت النظر فى هذا وذاك
ستجد إنكار الحق وإثبات الباطل فانظر إلى الكفر وانظر إلى الإيمان
فانظر وتعجب من دوران الزمان^(١)

إن قلب زينب صار داميًا فى صدرها من شدة الخوف عليك
آه على قلب زينب

ماذا كسبت زينب سوى الدموع الحارقة
آه على قلب زينب

وقد نظم هذا النواح أيضًا بالعامية الدارجة الجميلة والمؤثرة جدًا:
- إن قلبى قد ملَّ الحياة بشدة ليتنى أموت بأسرع ما يمكن فقد تأخر الوقت
- فقلب المرأة بيت الألم والمأتم وجسد الرجل دليل على السيف والسهم

(١) كما سنرى فيما بعد فقد استخدم شعراء عصر الحكومة الدستورية شكل مراثى يغما
كثيرًا لتوصيل أفكارهم، والقطعة الأخيرة بصفة خاصة تشبه كثيرًا أشعار أشرف
مدير "نسيم شمال" والتي هى بهذا المطلع:
- انظر أيها الملك الشاب على الأسود المحاربين، تأمل عالمًا آخر....

- الابن مخضب بالدماء والابنة فى مآتم الأخ مقتول والأخت أسيرة
- فى سقف فم الأمهات قطعة من الكبد الدامى وفى حلق الأطفال اللبن المخلوط بالدم
- الأسرى بدلاً من الدموع والصراخ الشرر فى عيونهم والنار فى قلوبهم
- وتندوى صرخة هؤلاء الذين جفت حلوقهم من الأرض المظلمة إلى السماء العالية

.....

- كيف أصبر وعندى هذا المآتم؟! كيف يداوى المرهم مثل هذا الجرح؟!
- هؤلاء الذين سفكوا دمك يا رب لا ترفع من قدرهم!

.....

- الدنيا عدو والأرض صلبة والسماء بعيدة ليمت عدوك يا غريب كربلاء!

٦- محمود خان ملك الشعراء:

محمود خان ابن محمد حسين خان عندليب وحفيد فتحعلى خان ملك الشعراء صبا، أصله من كاشان ولكن انتقل أجداده فى عهد الزندين من أذربايجان إلى العراق، وقد ولد محمود خان بطهران عام ١٢٢٨ هـ. ق ودرس علوم عصره عند عمه العالم محمد قاسم خان فروغ، وفى آخر سلطنة محمد شاه القاجارى نظم قصيدة فى مدح حاجى ميرزا آقاسى وعُرف عنده وعُين مساعداً لوى اللهقلى خان الإيلخانى حاكم برودجرد ولرستان والذى كان ابن بنت فتحعلى شاه وابن زوجة حاجى ميرزا آقاسى. وكان اللهقلى خان رجلاً مغروراً وفاسقاً وحاد الطبع لكن كانت له يد

معطاءة، وكان يشتري الخيل والأسلحة في بروجرد ويجمع حوله رؤساء اللوار، ولم يكن يهتم كثيراً بقرارات الحكومة المركزية.

فلم يتفق معه محمود خان في هذه المهمة ومنع الناس من دفع الضرائب وقدم للوزير تقارير غير معلوم إن كانت صحيحة أم كاذبة عن طريق ميرزا محمد تقي سيهر الذي ارتبط معه بصلة القرابة وادّعى أنه يفكر في المطالبة بالملك، فكتبت الأميرة عزت نسا خانم أم الإيلخاني لابنها أن يتوخى الحذر في عمله، فقرر الإيلخاني إيذاء محمود خان، فهرب محمود من بروجرد في منتصف الليل ووصل إلى طهران بعد فترة من التحصن في قم^(١).

وما لبث أن توفي محمد شاه وهبت جماعة للاعتراض على حاجي ميرزا آقاسي وظل محمود خان لفترة بعيداً عن العمل، وفي عهد ناصر الدين شاه وجد محمود خان طريقه مرة ثانية إلى البلاط وحصل على لقب ملك الشعراء والذي حصل عليه أيضاً أبوه وجده، ولقى اهتمام واحترام ملك إيران

(١) حضر الإيلخاني إلى طهران أيضاً، لكن أمر الملك بمنعه من دخول العاصمة فتحرك أحد خدام الخلوة من طهران في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٦٢ هـ.ق وأعادته إلى قم عندما كان قد وصل إلى حوض السلطان وبعد عدة أيام نفى من هناك إلى أرض العراق، وظل الإيلخاني يعيش في العتبات سبعة وعشرين عاماً حتى عاد إلى إيران بفضل وساطة حاجي ميرزا حسين خان مشير الدولة سنة ١٢٨٨ هـ.ق حيث كانت السلطة في إيران في يد ناصر الدين شاه، وظل حتى عام ١٢٩٨ هـ.ق يحكم قزوین وهمدان والولايات الخمسة وفي عام ١٢٩٥ هـ.ق وعندما كان ناصر الدين شاه مسافراً إلى أوروبا لأول مرة لازم ركابه حتى توفي في السادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ هـ.ق.

الشباب وميرزا آقا خان نوري رئيس الوزراء والوزراء والأمراء، وقد وجد فراغاً في هذه المرحلة من العمر فانشغل بالقراءة والتدريب على الرسم والنحت والحفر على الخشب وكتابة أنواع الخطوط، وقد برع في كل هذه الفنون، وتوجد لوحاته الآن بمتحف قصر جلستان الملكي بتوقيع "حارس العتبة محمود".

وقد توفي محمود خان بطهران سنة ١٣١١ هـ.ق (قبل مقتل ناصر الدين شاه بعامين).

وديوانه الذي طبع بطهران سنة ١٣٣٩ ش (١٩٦٠ - ١٩٦١م) ونشر كملحق بمجلة أرمغان في سنتها الثالثة والعشرين، ويرى الناشر أنه "الديوان الكامل والجامع" للشاعر، ويضم ٥٨ قصيدة وعدة أشعار متفرقة غير مكتملة، و ١٤ مرثية تحاكي مراثي محتشم الكاشاني الاثنى عشر، وتبلغ جميعها ٢٦٠٠ بيت والتي ربما قد انتقاها الشاعر نفسه في آخر عمره وهذا الكم القليل من الشعر الذي قد بقي عنه سلس ومقبول.

ويعد محمود خان شاعر قصيدة، ومعظم قصائده في مدح ناصر الدين شاه وأعيان بلاطه، وهو يقلد أساتذة الشعر الفارسي كالعنصرى والفرخى ومنوتشهرى ومع ذلك فإن له أسلوباً خاصاً يميزه عن كثير من شعراء العصر القاجارى.

يقول في وصف الطبيعة في شهر أردبهبشت [إبريل ومايو]:

- حين يغرد القمرى وقت السحر

تعالى معى لحظة إلى الحديقة أيتها الحبيبة

- فإننى سأذهب فجر الغد صوب الحديقة حيث سيفتح الورد الأحمر فمه
ضاحكا

- ويتلون أحد جوانب المرج باللون الأزرق من البنفسج حديث الظهور
والجانب الآخر باللون الأبيض من الياسمين المتفتح

- ويئن الرعد ومن ذلك الأنين تنمو النباتات ويبكى السحاب ومن ذلك البكاء
تضحك الروضة

- ولو أنك مررتى فى أثناء الطريق على الشقائق البرية سترين شمعا مضيئا
فوق الشمعدان الأخضر

- وحافة كل نهر قد امتلأت بالشقائق والبردقوش فهيا أيتها المحبوبة انصبى
الخيمة على حافة النهر

- وتشبثى بتلابيب السعادة، وفى أوان الورد شدى ثوبك من يد هموم الدنيا
وأحزانها

- صبى الخمر فى الكأس إن لم يكن لك شغل آخر وإن كان لك شغل آخر
فدعيه أيضا جانبا

- إن الغم هو ثمرة فاكهة مُرّة فلا تأكلينها أبداً واقتلعى تلك الشجرة التى
تجلب الغم من جذورها

- واحذرى من الليل الحامل لأنه لا أحد يعلم ماذا سيولد من هذا الحمل...

- أقبل الربيع الجديد بالبهجة والجمال ووجه مشرق من شدة النضارة
والشباب

-فوق رأسه مظلة ملونة بألوان قوس قزح وتحت قدمه سجادة من المروج
الخضراء

- والحسان كلهن قد ربطن الأحزمة فى خدمته والمكان كله من أوله إلى
آخره جميل وطيب الرائحة

- إن ثوب الوادى هو الآن الحرير الشوشترى وحلة الجبل هى الآن النسيج
الصنعائى

- مثل أمراء الجيش قارعى الطبول من فوق قمة الجبل تقوم السحب
بإعداد وتنظيم الجيش كل يوم

- والطيور تنتقل فى كل لحظة من حديقة إلى أخرى ربما هم مطربون فى
كل مكان وزمان

.....

- إن أشجار الصفصاف ترقص وطيور الفاخنة تغنى

- وأشجار التوت فى وقت نسيم السحر تنثر الثمار على رؤوسنا

- وبنفس طريقة رياح الشمال تجرى السحب فى كل ناحية كالفيل الهائج

- وأشجار السرو سعيدة ومسرورة تستعيد شبابها من بعد السبعين

- وقيل إن رؤوس شجرة القرع فى الحديقة تنقل على جسدها وكاهلها

- وزهور النرجس تغمز بعينها فى العلى وزهور السنبل تتمايل إغراء فى
السر

- عسى أن تستمتع بالورد البلابل حلوة اللسان

- ونقوش ورسومات البستان تجعل الحديقة أجمل من رسومات ماني
- فإنها بلؤلؤها وفيروزها وياقوتها وجواهرها تنير غيرة العرش الملكى
-
- ظهرت السحب فوق الجبل وهى تصرخ فتدحرجت المياه كاللؤلؤ من فوق البرز
- وأقبل نسيم الصبا ومر فى البستان فاستمدت خصلة السنبل الثنيات من ذلك النسيم
- والسحب الندية فوق البستان فى الليلة الماضية رشت ماء الورد فوق الزهور فى وقت السحر..
- والفقاقيع فوق الغدير من سقوط المطر كالآف الكؤوس البللورية المقلوبة
- وحسان الفجر ذهبن صوب البستان مسرعات من أجل رؤية وجه الورد
- إنه لوقت ممتع فلا يمكن للعاشق الهائم أن يُقيد الآن فى المنزل بالأحبال
- من هذه الفصول والأبواب التى يتضمنها كتاب الزمان اختر فصل الطرب من الأبواب
- من أيام العمر لا يحتسب إلا يوم البهجة وقد أخذنا الحساب من الدنيا
- لا تغتم لهذه الثورات التى تحدث فى العالم فإن المملكة فى أمان من هذه الثورات...
-

- إن البساتين قد امتلأت كلها بالورد والسنبل فتعالى أيتها الحسناء إلى الحديقة ودعى كل شئونك
- فقد أقبلت قافلة الروم والصين على باب المدينة وألقت الأحمال على الجبل والوادي من كافة الجوانب
- وهبت الرياح من مدينة التتار ففكت الأحزمة وفي داخل الأحمال أطنان من المسك
- وظهر من حدود الصين إلى الروم قوس أزرق وأحمر وبنفسجي فوق المناطق الجبلية
- ورفع السحاب السيف وهجمت الرياح وجعلوا قمة البرز ساحة نزال
- وألقت رياح الصبا حجاباً على رأس كل تل
- وجهه من الزبرجد وظهره من الزمرد
- وأحد جوانب الحديقة أصفر من زهرة الخيري والحلبة
- والجانب الآخر أحمر اللون من وجه زهرة الرمان
- لم يمر على ربيع قط بهذا الشكل الجديد فقد رأيت الربيع مراراً طيلة عمري
- فقد قصت رياح الصبا على قوام الوردة مقطعاً من الحرير ليس له مثيل في كل الأسواق
- وهب نسيم فروردين العليل وقت السحر وملاً المزامير في حلق الطيور
- وطائر الفاخنة يتعلم القافية من الأستاذ وفي الصباح يقوم باستذكار الدرس

- والورد الأحمر يشعرك بأن حسان فرخار^(٥) في كل مكان في الحديقة
أما رائحة السنبل فكأن جميلات التتار في كل جانب من الروضة
- والسحاب يلقي على البساتين سجادة من الإستبرق
فيا ليت ملك الملوك يتوجه إلى البساتين

٧- قرّة العين:

ولدت زرين تاج "ذات التاج الذهبي" أو فاطمة المكنية بأم سلمة والملقبة
بالزكية والطاهرة وقرّة العين ابنة الحاج الملا محمد صالح البرغاني
القزويني أحد علماء الحديث المعروفين بقزوين عام ١٢٣٣ هـ.ق، ودرست
مقدمات العلوم مع أختها مرضية على يد أبيها ثم قامت بعد ذلك بدراسة الفقه
والأصول والكلام والأدب العربي، وقد قرأت الطاهرة مؤلفات الشيخ
الإحسائي وسيد الرشتي، واعتنقت العقيدة الشيعية وقد اتصلت بسيد الرشتي
وراسلته وكان سيد يسميها في رسائله قرّة العين.

أما قراءة الطاهرة في الآثار والمعتقدات الشيعية، فقد غيّرت مجرى
حياتها تمامًا لدرجة أنها سلّمت ابنيتها وابنتها الذين أنجبتهما من ابن عمها،
سلمتهم لزوجها وذهبت إلى كربلاء بقصد رؤية سيد الرشتي، لكن عندما
وصلت إلى هناك كان سيد الرشتي قد توفي، وأقامت قرّة العين التي كان
عمرها آنذاك تسعة وعشرين عامًا في منزله وقامت بتعليم وإفادة الطلاب من
وراء الحجاب، وبعد أن ظهر الباب في شیراز راسلته قرّة العين عن

(٥) فرخار: اسم مدينة مشهورة بحسن نسائها (المترجم).

طريق الملا حسين بشرويه (باب الباب) ودخلت في عداد الأصحاب الأوائل للباب ونالت منه لقب الطاهرة وجهرت بالدعوة.

وبعد عودة أصحاب الباب إلى كربلاء ظلت قرّة العين مشغولة هكذا في مساعدتهم وفي البحث والاستدلال والتدريس حتى هجمت جماعة على منزل سيد الرشتي الذي كانت تقيم فيه فاضطرت للسفر إلى بغداد، وعندما قامت بالدعوة والتبليغ هناك أيضاً تم احتجازها في أول الأمر في منزل الشيخ محمود الآلوسي مفتي بغداد بناءً على أوامر والي بغداد، وأرسلت إلى إيران بعد ذلك مع الرفاق في مطلع عام ١٢٦٣ هـ.ق بأمر السلطان العثماني، وقد قامت بالدعوة في كل أرجاء قزوین وظلت لفترة هناك حتى جاءت إلى طهران بعد مقتل عمها ووالد زوجها الحاج الملا محمد تقی علی يد أتباع الباب (١٢٦٤ هـ.ق)، ورحلت مع الأصحاب الآخرين إلى صحراء "بدشت" على بعد سبعة كيلو مترات من "شاهرود" وظهرت في الاجتماع الذي كان قد أُقيم هناك أمام الحاضرين بدون حجاب وتحديث لأتباع الباب وأحدثت ضجة وذهبت من هناك إلى طهران، وعادت فيما يبدو إلى قزوین حتى أحضرت من قزوین إلى طهران عقب مقتل الباب وحُبست في حديقة محمود خان رئيس مدينة طهران في طابق علوي ليس له سلاّم، وظلت هناك حتى قُتلت في الحديقة الملكية (المقر الحالي للبنك الوطني) بأمر الملك ووزيره ميرزا آقا خان نوري بعد فترة قصيرة من حادثة إطلاق النار على ناصر الدين شاه^(١)، أي في أول أيام ذي القعدة سنة ١٢٦٨ هـ.ق حيث لم تكن قد تجاوزت السادسة والثلاثين من عمرها.

(١) يوم الأحد ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ.ق.

وكانت قرّة العين امرأة صاحبة قلم وشاعرة وخطيبة وكانت ملمة بالأدب والفقه وأصول الكلام والتفسير.

يقول الآلوسی مفتی بغداد الذی مر ذكره فی ترجمة أحوالها: "لقد رأيت فی هذه المرأة فضلاً وكمالاً لم أراه فی كثير من الرجال فقد كانت صاحبة عقل ورزانة وعفة وحياء شديد".

ويمدحها كذلك ميرزا مهد يخان زعيم الدولة فی كتاب "مفتاح الأبواب" عندما يصل إلى اسم قرّة العين.

ولقد كانت قرّة العين أول امرأة فی إيران تظهر أمام الرجال بلا حجاب وتقوم بالبحث والمجادلة مع العلماء والرجال خلافاً لتقاليد وأعراف العصر.

وقد فُقدت فيما يبدو أعمال قرّة العين الشعرية والنثرية، وما بقي من كتاباتها متفرقات مثل المناجاة والرسائل، وهي إما بخطها أو بنسخ الآخرين، وطُبِعَ بعضه فی كتاب "ظهور الحق" وكتب فی الغالب بالعربية وكتب جزء منه بالعبارات الرمزية والمصطلحات الخاصة، وهناك أيضاً أشعار تنسب لها وأسلوبها شبيه بأسلوب الباب، وهذه الأشعار تمتلئ بالعبارات والمصطلحات الدينية والمتأثرة بشدة بأعمال المتقدمين مثل مولانا جلال الدين والجامي.

وهذه الغزليات قد بقيت عنها:

– جذبات شوقك أجمت بسلاسل الغم والبلاء

كل العشاق مكسورى القلب الذين يقدمون الروح فی سبيل كلمة نعم

– لو أن ذلك المحبوب يحاول قتلى ظمماً

لقد استقام بسيفه ولقد رضيت بما رضى

- ليس في كل الختن نافجة في رائحة خصلته المعطرة بالطيب
- ليس في كل الختا كافر مثل عينه الفاتنة
- يا من أنت غافل عن الخمر والحسنة وتحاول قتل العابد والزاهد
- ماذا أفعل أنا وهناك كافر وجاحد في صفاء قلوب الأصفياء
- أنت والمُلك والجاه السكندري، أنا والمذهب والمسلك الصوفي
- إن كان ذلك طيباً فأنت تستحق وإن كان هذا سيئاً فأنا أستحق^(١)

.....

- إنني مولع بالبلاء في عشقك أيتها الحسناء كيف تتغيرين وأنا معتاد على الغم في عشقك
- وضعتي الحجاب على الوجه وثيتي الخصلة وتحررتي من كل الخلق وأنا معزول عن الجميع
- أنت اللبن، أنت السكر، أنت الفرع، أنت الثمر أنت الشمس، أنت القمر، وأنا الذرة، أنا الهباء
- أنت النخل، أنت الرطب، أنت المحبوبة حلوة الشفاه

(١) الغزل الآخر المنسوب للطاهرة بهذا المطلع:

- لمعات وجهك أشرقت بشعاع طلعتك اعتلا لماذا لا تسأل ألسنت بربكم؟ أسأل لنقول بلى بلى بالتأكد ليس لها وإنما للملا محمد باقر صحبت لاري المتوفي سنة ١٢٥١ هـ. شاعر هذا القرن صاحب الموهبة العالية الذي طبع ديوانه بعنوان "تاج الدواوين" في بمباي سنة ١٣١٢ هـ. ق أول الأمر ثم مرتين بعد ذلك في شیراز وطهران.

أنت السيد المؤدب، وأنا العبد عديم الحياء

- أنت الكعبة، أنت الصنم أنت الدير، أنت الحرم أنت المعشوق المبجل وأنا
العاشق المسكين

- إن الحسناء الجريئة الفاتنة قالت لى تعال نحوى وتحرر من الكبر ومن
الرياء فأنا رمز الكبرياء

- أنا أيتها الطاهرة تراب قدمك، أنا ثمل خمر لقاءك منتظر عطائك،
ومعترف بخطئى

.....

- لو يقع نظرى عليك ويكون الوجه فى الوجه سأشرح همى بسببك نقطة
نقطة وشعرة شعرة

- إننى من أجل رؤية وجهك طرت كنسيم الصبا من زقاق إلى زقاق ومن
باب إلى باب ومن بيت إلى بيت ومن حى إلى حى

- على جانبى فمك الصغير وجنتاك العنبريتان برعم على برعم ووردة
على وردة وزنبقة على زنبقة ورائحة على رائحة

- إن دم قلبى بسبب فراقك يجرى من عيناى دجلة بدجلة ويم ويم بعين بعين
ونهر بنهر

- إن القلب الحزين قد نسج حبك على قماش الروح فتلة فتلة وخيطاً خيطاً
وسدى سدى ولحمة لحمة

- إن "الطاهرة" قد تجولت فى قلبها ولم تبحث إلا عنك

صفحة صفحة، وطية طية، و غلاف غلاف، وطبة طبة

٨ - الشيباني:

"يعد أبو نصر فتح الله خان الشيباني من العقلاء الواقعيين، ويمكن القول بأنه يمثل مذهب التشاؤم، وتنتج حالته النفسية هذه من جو التشاؤم الذي يسود البيئة الأوروبية، ففي أشعاره نلاحظ لهجة الاحتجاج والاعتزال نوعاً ما والتي تتفد إلى القلب، وسبب هذه اللهجة هو الحظ العاثر والحياة التعيسة للشاعر نفسه"^(١).

وقد ولد الشيباني لأسرة كاشانية، معروفة عام ١٢٤١ هـ.ق وكان جده الأمير محمد حسين خان حاكم نظنز وكاشان وجوشقان وقم في عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد حارب التركمان أكثر من مرة وانتصر عليهم وظل يعيش في الحكومة القاجارية معززاً مكرماً، وقد انضمت أيضاً إلى منطقة نفوذه حكومة أصفهان بعد أن قبض على محمد حسين خان كبير عرب العامرية والذي كان قد تمرد على الحكومة، في صحراء شهاب ونواح جندق وأحضره عند الملك.

وكان أبناء محمد حسين خان هم أيضاً من ذوى المكانة والشأن الرفيع، وقد وصلوا إلى أعلى المناصب الحكومية في عهد فتحعلي شاه.

(١) هرمان اته، تاريخ أدبيات فارسي، ترجمة: دكتور رضا زاده شفق، طهران، ١٣٣٧ ش [١٩٥٩م].

وكان محمد كاظم خان أبو فتح الله خان وزيراً للمالية في سلطنة محمد شاه، وفي حكومة شعاع السلطنة عين نائباً له في كاشان وهمدان.

كما التحق فتح الله خان نفسه في فترة شبابه بخدمة محمد شاه ومنادمة ناصر الدين ميرزا ولي العهد، وقد مدح في قصائده الأب والابن والأمراء الآخرين، فمثلاً قال في قصيدة كان قد نظمها في مدح ولي العهد في ذلك الوقت:

- إن الربيع والعيد قد ظهر وتفتحا كلاهما معاً أحدهما زاحف بالجيش والآخر رافع العلم

إلى أن قال:

- أيها السيد إنني سأحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول، كلاماً كثيراً كله غامض وغير مفهوم؟

- إنك ستصبح في الدنيا ملكاً عظيماً وسيصير الملوك والعظماء خدماً وعبداً لك

- إن الملك الذي سيفوق جميع الملوك قدراً سيكون هو أنت من بين البشر

وعندما جلس ناصر الدين شاه على عرش المملكة الإيرانية قام الحاقدون والحاسدون بإخراج الشيباني من حضرة السلطنة وفي السنة الثالثة من عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٧ هـ.ق) حيث كان الشيباني في همدان أراد أن يعرض حاله ويقص حكايته عسى أن تشفع له سوابق خدمته، فنظم قصيدة جميلة بالوزن نفسه وقال فيها:

- إن ذقنك قد رسمت على الياسمين بالمسك فظهر وجهك واسودَّ نهاري في وقت واحد

- وبسبب هذا السواد الذى ظهر من وجنتك قسى علينا الزمان وظلمنا أنا وأنت

- فسبب لك الخجل وسط حسان المدينة وأصابنى بالحزن والندم وسط عشاق الزمان

إلى أن قال:

- إننى أمدحك أيها السيد، والعقل يغنى فى أذننى بصوت النأى

- قائلاً: كرر الآن ما قلته قبل ثلاث سنوات من باب الفأل الحسن فى مدح ملك العجم

- ألا تعلم ماذا قلت؟ عندما أنشدت قائلاً "إن الربيع والعيد قد ظهرا وتفتحا كلاهما معاً"

- وقلت: "سأتحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول كلاماً كثيراً كله غامض وغير مفهوم؟"

- إنك ستصبح فى الدنيا ملكاً عظيماً وسيصير الملوك والعظماء خدماً وعبداً لك"

- انظر الآن فإن كل توقعات عبدك شاء الله أن تُقضى وتتحقق

- فإنه سيجلسك فى المكان الذى كان قد توقعه عبدك

ثم يجلسك فى مكان أعلى أيضاً أيها الملك

- فإن الأمر الذى يتوقعه عبدك أيها السيد يتحقق سريعاً لدرجة أنه يتحقق منذ الوهلة الأولى

- ولكنه لم يتوقع لنفسه أى مكروه فلماذا تقذفه الدنيا فى دوامة الحزن والحسرة؟

ولكنهم لم يسمحوا فيما يبدو بوصول أشعاره هذه وشكاويه الأخرى إلى مسامع الملك، فاضطر الشيباني لتحمل مشقة وعناء السفر، فأخذ يعدو فى مرتفعات ومنخفضات العالم، وواجه الصعوبات والويلات، وتعرض للعنف والقسوة والكلام البذىء، وزار البقاع المقدسة بقدم العجز، ونال الفيض والبركة من شرف صحبة كبار الشيوخ والزهاد والأولياء حتى وصل فى آخر الأمر إلى خراسان.

وقد شرح الشاعر هذه الأسفار والتنقلات فى القصيدة التى قام عقب عودته من بلخ بتقديمها لناصر الدين شاه عن طريق الأمير حسام السلطنة على النحو التالى:

- عندما تخلى عنى الحظ وابتعدت عن عرش السلطان

طفت لفترة أسعى إلى كل بلد وأنا حائر

- توقفت عامًا أو اثنين فى همدان ثم ذهبت ناحية نهر دجلة، ومن عين رودبار

- قضيت فى النجف ثمانية أربعينات للحسين وأضاف إليها الزمان سبعة بدموع العين ونار القلب

- ومن؛ هناك قذف بى القضاء والقدر إلى كرمان وأراد

أن يجعلنى كالودودة ويغزل نفسه حولى

- وظل بي المقام في حضرة ماهان^(٥) لمدة شهر حتى تعرضت لضغوط كثيرة من عالم الطريقة

- فانتقلت من هناك إلى هيرمند ومنها أيضًا قادتني الدنيا إلى ناحية أصفهان

- ومن أصفهان إلى كاشان وفي بيوتها الصغيرة كان الورد أمام العين والشوك الجارح في القلب

- حتى ساقطت الدنيا فرسي مرة ثانية إلى فارس القلب مطحون من الحزن وروحي عليلة وقلبي جريح

- ثم نقلتني من فارس إلى خراسان وصبت في صحتي كأسًا مملوءة بالخمير الأحمر الزنبقي^(١)....

وفي عام ١٢٧٢ هـ. ق حيث كان الأمير سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة عم ناصر الدين شاه قد زحف بالجيش للاستيلاء على هراة، كان الشيباني في معسكر "تربت جام" عند پاشا خان مظفر الدولة بالخرقة

(٥) ماهان: اسم قصبة في مدينة كرمان (المترجم).

(١) بقية قصيدة الشيباني كالتالي:

فحضر حسام السلطنة من الرى إلى طوس
وزحف فرأتى أنا العبد بتياب رثة في "جام"
فاستقبلني من باب كرمه وعظمته وأنا
ففتح غوريان وكتبت أنا رسائل الفتح
وحاصر هراة من بعد ذلك
فذلك وقت استمالة قلوب الرجال لخدمته
فذاك وقت اقتحام هراة
حتى انتزعن الزمان بقسوة من هناك

بالجيش صوب هراة مثلما ذهب إلى طوس
في التربة المباركة الخاصة بالشيخ الجليل
أزداد عجزًا وفقرًا في كل ساعة
وكانت كلها كالدر النفيس
وأظهرت أنا الولاء الشديد في أثناء ذلك الحصار
وذلك وقت حشد القادة على القتال
والعودة إلى حضرته في فرح وسرور
وكذلك بي إلى بلخ ويا لها من قسوة

والكشكول، وقد كتب رسائل الفتح بعد محاصرة غوريان والاستيلاء عليها (رجب ١٢٧٢ هـ.ق) وعندما رأى حسام السلطنة كفاءته في العمل وأعجب بكتاباته جعله كاتب رسائله السرية، وقد أرسله أيضاً عدة مرات إلى مدينة هراة عند عيسى خان فأجرى الشيباني مع عيسى خان المحادثات والمفاوضات، وأعطاه الآمال حتى رقق قلبه وشجعه على الحضور عند حسام السلطنة، واستطاع أيضاً بمخالطته لأهالي هراة الناطقين بالفارسية ومراودته لهم أن يشجعهم على الخدمة والطاعة حتى فتحت مدينة هراة خلال شهرى صفر وربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـ.ق، وفي أثناء إقامة المعسكر الإيراني في هراة تحرك سلطان أحمد خان بن محمد أعظم خان وابن شقيق الأمير دوستمحمد خان والى أفغانستان كلها، من كابل وحضر عند حسام السلطنة، ووجد عن طريق ابنه شاهنواز خان الأنس والألفة عند أبى نصر الشيباني، وقد أحسن الشيباني إلى الأب والابن وبشرهما من باب الفراسة بحكومة هراة، فتحرك سلطان أحمد خان مع ابنه من هراة وقدم إلى طهران مستصوباً رأى أبى نصر فلقى عطف وعناية ملك إيران، وبينما كان معسكر حسام السلطنة مازال في هراة عاد هو إلى هراة ومعه منشور الولاية وبعد استقراره سافر الشيباني إلى ناحية بلخ وطخارستان بقصد زيارة المزار الشريف لحضرة شاهمردان^(٥) (سيدنا على) ومشاهدة الولايات الشرقية، لكن بعد عودته وجه له هذا الأب وابن الإهانات بعكس ما تقتضيه المروءة والشهامة ودون مراعاة الصداقة القديمة وذلك بتحريض من رئيس الوزراء الإيراني ميرزا آقا خان نورى، وبعثوا بعض الرسائل المزورة إلى مسئولى الحكومة الإيرانية وألصقوا به التهم الزور ومنها أنهم أرسلوا الشعر الذى كان قد نظمه الشيباني

(٥) شاهمردان (ملك الرجال): لقب أطلقه الشيعة الناطقون بالفارسية على سيدنا على (المترجم).

تعبيراً عن ضيقه في أثناء توقفه في بلخ باميان إلى طهران عند رئيس الوزراء وبه بعض التحريف من باب الوشاية وإفساد العلاقة .

وكان هذا الشعر كالتالي:

- اعزف على الناس أيها المطرب حتى نشرب الخمر على أنين الناي
ونثمل، ثم نكتشف كلا العالمين
- لو أغلق علينا سادة الري طريق الري سنفتح طريق تهيدة القلب
ونضرم النار في الري
- متى كان لنا هوى في عرش الري؟ فإننا في هذا الزمان نشرب الخمر في
بلخ بامي^(١) في ذكرى الملك
- إن ملك الري يحمل لنا في قلبه كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الري
يحمل لنا العداء، وسوف نشعل فيه النار
- سنشعل النار في الري وفي رئيس وزرائها ولكن لا ينبغي إخبار أحد متى
سنفعل ذلك!
- سنشعل النار في ذلك البيدر إن شاء الله ويعلم الله أيضاً أننا سنشعلها في
مرداد^(٢) أو في دي^(٣)

(١) المقصود بلخ باميان.

(٢) مرداد: يوليو وأغسطس (المترجم).

(٣) صح هذا التوقع وقصر الملك يد ميرزا آقا خان نوري عن العمل، وظل يعيش فترة في قم وكاشان ويزد وأصفهان ولم يأخذ من كل هذا الذهب والمال إلا الوزر والوبال، وقد قال الشيباني في هذا الأمر:

وعلى كل حال فقد اتهموه بصداقته للإنجليز في أثناء سفره إلى هراة، مع أن الإنجليز كانوا يعتبرون وجوده منذ بداية دخوله أرض أفغانستان في خدمة حسام السلطنة، سبباً في تقدم العمل وفتوحات الجيوش الإيرانية بل وظنوا أنه جاسوس الحكومة الإيرانية، بعد أن ذهب إلى بلخ، ففهم الشيباني نفسه أن هذا "كان بسبب تأمر رئيس الوزراء الإيراني وفساد رأيه حيث إنه وشى بأبي نصر وألصق به التهم الزور بالرغم من صداقته القديمة لأجداد أبي نصر وأسلافه، وكذلك بسبب خلافه مع فرخ خان الغفاري أمين الدولة - الذي سافر إلى أوروبا ليعمل سفيراً، وقد نجح هناك مخبياً ظنه، وأدى أعمالاً عظيمة في بلاط ملوك أوروبا، وكانت هذه الكفاءة والخدمات ترفع من قدره عند الشاهنشاه الإيراني وتزيد من حقد رئيس الوزراء - بسبب هذا الخلاف أخذ يبحث كيفية إلصاق أية تهمة به، وبما أنه كان يعد أبا نصر قريبه المقرب ووجد أن أبا نصر قد حقق في مهمة أفغانستان تلك المهمة الخطيرة والحساسة، شهرة عظيمة وتقدماً كبيراً، فقد أراد رئيس الوزراء أن يقنع الشاهنشاه بأن أبا نصر يعيش في تلك الممالك بناءً على رغبته وإرشاد أمين

-
- أتذكر متى عزفنا هذا اللحن الحزين في بلخ بامی؟ عندما شربنا الخمر الكأس تلو الآخر في ذكرى الملك
 - إذا كان طريق الري قد أغلق أمامنا فإننا بحمد الله فتحنا طريق تنهيدة القلب وأضررنا النار في الري
 - كنت قد قلت إن ملك الري يحمل لنا كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الري يحمل لنا العداء، فأشعلنا فيه النار
 - ولقد وعدنا بتنفيذ ذلك في مرداد أو في دی وإذا أمعنت النظر تجد أن الوعد المردادی قد تحقق وأنا أشعلنا النار في شهر دی...
 - (●) دی: ديسمبر ويناير (المترجم).

الدولة وأنه يتذرع بهذا السفر والتجوال لكى يراود مسئولى الحكومة الإنجليزية ويراسلهم، فأصدر فرماناً وأرسله إلى مشهد:

نظراً لأن فتح الله خان قد ربط نفسه بالحكومة الإنجليزية فاقبضوا عليه وأرسلوه إلى طهران، فقال الإنجليز الذين سمعوا بذلك: لو أن لديكم مشكلة معه بحجة تبعيته وصداقته لنا، فمن نواقض المعاهدة أن تقوموا بإيذائه وإهانته، وبما أنه قد تبين للجميع بعد فترة أنه لم تكن لنا علاقة به ولم تكن له أية مراسلة معنا، وأنه من رعاياكم أنتم، فاتهموه بأية تهمة أخرى وافعلوا ما تريدون...^(١)

وعلى كل حال بعد أن أخلى المعسكر الإيراني هراة وتحرك حسام السلطنة قائد قوات الجيش نحو خراسان تحرك الشيبانى الذى امتلأ قلبه بالمرارة من سلوك وحركات ومراسلات رئيس الوزراء الإيراني، ولم يكن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة نحو إيران، تحرك، كما قلنا، نحو بلخ، ويقول الشاعر فى هذا الشأن:

- لقد أرسل لى صديقى ليلة أمس فى وقت السحر قائلاً إن موكب أمير العجم قد استعد للسفر

- فهل ستذهب مع الجيش عند الملك أم ستبقى هنا مع جميلتك قمرية الوجه؟

- فأجبتة إننى لن أبقى هنا وسأذهب ولكن ليس خلف الأمير ولا فى إثر الجيش

(١) درج درر ، طهران، ١٣٠٠ ص ٧٠.

- فإن جيش الملك سيتجه إلى طوس أو العراق وأنا أنوى أن أتجه إلى المملكة الأخرى

- لماذا يجب الذهاب إلى المكان الذي يتساوى فيه الطائر الملكى والبوم ، ومن ثم الشعور بالحزن واللوعة دائماً؟!

ويتضح من أشعار الشيباني هذه ومن مذكراته الأخرى أنه لم يكن يفكر إطلاقاً فى العودة إلى إيران، فيكتب هو نفسه: "بسبب عداوة مسئولى الحكومة وخصومتهم لى وضيقى وشكوتى من زملائى وأصحابى الذين كانوا فى حضرة السلطنة والذين لم يذكرونى أبداً بعد طردى وإخراجى، ولم يراعوا حق الصداقة والأخوة، فإننى منذ بداية وصولى إلى هراة كرهت إيران والشعب الإيرانى وكرهت بشدة العودة إلى تلك المملكة حتى أننى كلما فكرت وجدت الاتجاهات الثلاثة المتجهة إلى إيران مغلقة ومسدودة بجدار حديدى ونارى، والاتجاه المؤدى إلى أرض المشرق مفتوحاً، ولذلك فقد سافرت إلى بلخ وعند العودة عشت فى هراة ظناً منى بأنه يمكن اختيار زاوية العزلة والوحدة فى تلك المملكة فى ثوب الفقر والزهد..."^(١) ومع ذلك فإن وساطة الإنجليز أو حب الوالدين قد جذبه نحو إيران فقدم من هراة إلى خراسان ومنها إلى طهران، لكن نظراً لأن مسئولى الحكومة قد ظلوا على حقدهم وعداوتهم له ورفضهم لبقائه فى طهران فإنه لم يمكث هناك طويلاً، وذهب إلى كاشان عند والديه وخلال أربعة وعشرين عاماً أنفق فى صحراء بادرود نطنز بعض المبالغ وتحمل المشقة والعناء، وفى تلك الصحراء التى "كانت مسكن الغيلان ومكمن الأرانب ومأوى الثعالب" أعد جنة باسم "عشق آباد"

(١) درج درر ، ص ١٧١ وعدة مواضع أخرى.

وبنى فيها المدرسة والميدان والعمارة، وهناك اختار العزلة والوحدة^(١).

وذات مرة قام الأمير المحب للشعر سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة والذي كان يعرف صفات الشيباني وفضائله أكثر من كل عظماء العصر ورأى منه مواهب وخدمات فى فتح غوريان وهراة ولاحظ فيه التواضع الشديد عندما دخل مزارعه ومنازله فى أثناء أسفاره إلى فارس وأصفهان، قام هذا الأمير فى عام ١٢٩٩هـ.ق عندما كان مسافراً إلى ولاية خراسان وسيستان بدعوته إلى موكبه وسلمه زمام أمور مدينة مشهد؛ فقام بضبط شئون تلك المنطقة التى كانت مضطربة وغارقة فى الفتن نتيجة المجاعة والغلاء السارى وسوء تصرف الولاة، ومع ذلك فإنه استقال من ذلك المنصب بعد فترة وعاد إلى عزلته، وقد ذكر هذه المهمة كالتالى فى إحدى القصائد:

- كيف يمكن لشخص اقترب عمره من الستين أن يسعد بالشغل والعمل؟
- لقد أعطانى الملك وأنا فى الخامسة والأربعين العمل فى طوس وكان كمصباح العظمة والإجلال
- والله يعلم وذلك الشخص النائم فى طوس أن قلبى ذاق ألواناً من الضيق والتعب من ذلك العمل
- وكأن شيئاً كان يهمس فى أذنى ويقول لى دائماً انظر ماذا رأى طوس من

(١) كان أبو نصر يتباهى بأملأه المعمورة هذه وينظم الأشعار فى وصفها، فمثلاً قال:
سافرت وتجولت فى كل مكان ولم أر مكاناً مثل جنتى عشق آباد
كانت صحراء ومنطقة مملوءة بالأشواك ولكنى زرعت فى كل شوكه منها زهرة بمائة لون

طوس وزال من زابلستان!

- حاول بسرعة أن تعود إلى البيت فإن ركن الفقر أحسن من الكنز وأفضل من مال الرمال

إلا أن هذه العزلة والراحة لم تدم طويلاً فقد ثارت عليه جماعة من أشرار بنى خالد بتحريض المفسدين وهدموا عشق آباد ودمروها؛ فحضر الشيباني إلى طهران للشكوى والتظلم ووصل إلى رئيس الوزراء ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان والأعيان الإيرانيين الآخرين مثل ميرزا علي خان أمين الدولة وميرزا يوسف خان مستوفي الممالك وحكيم الملك ومظفر الدين ميرزا ولي العهد، وقام بتأليف الكتب بأسمائهم وذكر أسمائهم جميعاً بالمدح والإشادة، وكان الكل فيما يبدو يتفق معه ويشاطره الأحرار، فمرت عرائضه وقصائده على نظر الملك وسمح له هو نفسه بالحضور والمقابلة وقد لقي العناية والعطف وصدر فرمان التحقيق في تظلمه ورفع الظلم عنه ومع ذلك فإنه لم يخرج "من هذه المساعي والتضرعات إلا بحزن القلب واضطراب خاطر وهتك الحرمة وانكسار العزة"، فقد راحت العدالة الاجتماعية في سبات عميق، و"القوم الذين اقتصرت عليهم إدارة شئون الملك، وكانت يدهم مطلقة في حل وعقد الأمور، كانوا مشغولين بأنفسهم وكارهين لحديث أهل العلم وناافرين من مصاحبة أهل الفضل"^(١).

ولم تستطع الشكوى والصرخة التي ظلت تنطلق من حلق الشيباني، أن توقظ المسؤولين الإيرانيين

- لم يتحقق فتح ولا ظفر من "الفتح والظفر" لم أضع في جيبى جوهراً من

(١) درج درر، ص ١٧٥.

"كنز الجواهر

- ليس لى رغبة ولا هوى فى "كأمرانية" لم أحصل على شىء فى الرى من
"درج اللآلى"

وهاتان القصيدتان هما أيضاً تذكّار لهذه الفترة:

- إن الدنيا قد سحقتنى بطاحونة الألم والتعب كنت عزيزاً فأذلتنى سريعاً
- لم أر فائدة من المدينة ولا من الصاحب ولا من البيت لم أجد نفعاً من
بلاط الملك

- لم يعطنى العلم أى جيش أو راية لم يكسنى الشعر بالسرائيل^(١) أو
الشعار^(٢)

- وسقطت فى هذه الصحراء وقلت إننى سأستريح من الهم ولا شأن لى
بالناس

- خاصة أنه لم يكن هناك على الأقل أى قيل وقال فالسمااء هى سقف بيتى
والجبل هو الجدار

- وفى اعتقادى أنه لولا أن شملنى ملك العالم بعدله وحفظنى من شرور
الدنيا

- لكنك أرى الآن أحقر لنائم الدنيا وهو يوخزنى فى جنبى بالشوكة الجارحة

.....

(١) سرائيل جمع سربال وهو القميص أو الثوب.

(٢) شعار: الثوب الداخلى.

- لماذا يعاديني الزمان هكذا؟ إن الحزن يسقط من السماء كالمطر والمحن تنمو من الأرض

- مَنْ أنا نفسي، وماذا أملك حتى يعاديني هذا الفلك اللص ويجلس ويتربص بي ليلاً ونهاراً؟

- إن قلبي كان أسير الحزن بعيداً عن العاصمة وهنا في العاصمة القلب أسير الحزن أيضاً

- لا الملك يسألني ولا أمراؤه ولا رؤساء الحكومة ولا حماة الدين

- لماذا هذا الشيخ الذي انسلخ تماماً من الدنيا لماذا مزقت الكلاب فروته بهذا الشكل؟!؟

- ذلك الذي انصرف عن الناس لماذا لا يتركه الناس في حاله؟!؟

- وهذه الأمور لا يذكرها أحد للملك وإلا فإن الملك

هو الدهاك^(١) مثير فتنة فريدون ابن آتيين....

وعاد الشيباني إلى مقره وتنازل عن ملكية عشق آباد التي كان قد أنفق في بنائها عشرين ألف تومان من الذهب وعشرين سنة من عمره وسلمها للمدّعين (كلاب بنى خالد على حد قوله) وفوّض أمره إلى الله القادر المنتقم.

وكان من نتيجة كل هذه الشدة والمرارة في الحياة أن يأس الشاعر تماماً من العدالة الإنسانية، وداس على الدنيا بمالها ونعيمها، وعاش ما تبقى من حياته منبوذاً ومهجوراً وساخطاً.

(١) الدهاك هو نفسه الضحاك.

وفى آخر أيامه بنى فى طهران منزلاً و خانقاه فى الجانب الغربى
للمدينة قرب بوابة قزوین وخصص هناك مكاناً لمدفنه، وقد قرأ على أجد
أصدقائه هاتين الرباعيتين فى اليوم الذى كان ينشئ فيه ذلك البناء والقبر:

وضعت هذا القبر أمام عيني لکی أتعظ منه وآخذ العبرة من الراحلين

- فمن كل هذا القصر والنعيم والمال فى الدنيا هذا فقط لى والباقي للآخرين

- يا من أنت ممشوق القوام ومتورد الوجه وسوف تأتى وتضع قدمك على
هذا القبر

- احذر من الذى ينام تحت قدمك فله شأن مع قدمك وشفتك كلاهما

وما لبث أن توفى ليلة الاثنين، العشرين من رجب سنة ١٣٠٨ هـ. ق بعد
عمر دام سبعة وستين عاماً، ودفن فى هذا القبر نفسه.

ومن مؤلفات الشيبانى سيرته الذاتية بعنوان مقالات أبو نصر الشيبانى
ومجموعة كبيرة من الأشعار من القصائد والغزليات والقطع والرباعيات
والتي قد جُمعت فى مجموعات بعنوان "درج درر"، "فتح وظفر"^(١)، "گنج
گهر"،^(٢) "مسعود نامه"،^(٣) "تنگ شکر"، "زبدة الآثار"، "شرف الملوك"،
"كامرانية"،^(٤) "يوسفیه"،^(٥) "خطاب فرخ"، "قواكه السحر"، "جواهر مخزون"،
لآلى مکنون، نصائح منظومة، وقد طبعت منتخبات منها فى اسطنبول عام

(١) فى مدح مظفر الدين ميرزا ولى العهد.

(٢) كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٣) كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٤) فى مدح كامران ميرزا نائب السلطنة.

(٥) فى مدح ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

٨- ١٣٠٩ بأمر ميرزا رضا معين الوزارة القنصل الإيراني بتقليس (الأمير أرفع الدولة بعد ذلك) مع مقدمة لإسماعيل نصيري القراچه داغى، وعلى حد قول القراچه داغى فقد قام بجمع هذه المنتخبات الشيباني نفسه بناءً على طلب ميرزا رضا خان وأرسلها إلى تقليس فى آخر سنة ١٣٠٧ هـ.ق^(١).

ويعد الشيباني من شعراء القرن الثالث عشر الفصحاء والبلغاء، ويتميز بموهبة عالية وفذة، وهو ينظم الشعر كأحد شعراء الأسلوب الخراساني المجيدين، والقصائد الكثيرة التى نظمها الشيباني فى مراحل عمره المختلفة فى مدح الملك والأمراء ورجال الدولة، لا تتميز فى نوعها على أعمال الشعراء الآخرين إلا فى الصحة والمتانة والإحكام الشديد، أما الأشعار التى نظمها بلهجة النصح والوعظ أو فى موضع التباهى والافتخار والتى تدل على شدة يأسه وتشاؤمه من أوضاع الدولة وفساد حياة البلاط وحقارتها فإنها غير مسبوقة فى أدب ذلك العصر، ويلاحظ فيها التأثير المباشر للعلاقة مع أوروبا ويلاحظ فى هذه الأشعار التشاؤم والواقعية المفرطة التى راجت فى الأدب الأوروبى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أن التشاؤم ليس بصناعة مستوردة من الخارج بل كان عمر الخيام يدعو له فى القرن الثانى عشر، فإن أشعار الشيباني ليس لها ذلك الطابع الخيالى الذى يتميز به الخيام وأتباعه^(٢).

(١) الأمير أرفع الدولة دانش كان يعرف الشيباني ويراسله وعلى حد قوله ألقاه الشيباني فى طريق الشعر، وقد نظم الشيباني قصيدة فى وصف تقليس ومدح أرفع الدولة يقول مطلعها:

إن علم الدنيا يخرج من تبريز وحسنها يخرج من بلاد الكرج حبذا المدينة التى فيها الحسن والعلم توأمان

. Levy, Persian Literature, London, 1923, p. 99 (٢)

وننقل هذه الأبيات من غزله:

- الروضة مضطربة والسرو والصنوبر مضطربان

الملك مضطرب والعرش والتاج مضطربان

- لعنة الله على العناد الذى قد أصبحت شئون بلاط الملك مضطربة

بسيبه

- يا حسرة على الملك الذى اضطرب من الداخل والخارج

الدخل مبعثر والخراج مضطرب

- إن الملك لا يرى أى حلم آمن لأن فراشه مبعثر واللحاف غير

مرتب

- والراعى لا يرى أية فائدة من شحم وصوف أى قطيع اضطرب إنتاجه

- لابد وحتماً من طبيب ماهر للملكة التى اضطربت حالتها الصحية

وقد كانت نبوءة الشيبانى فى محلها وبالفعل ما لبث أن سقط "التاج والعرش القاجارى المضطرب" ولم يكن أحد حتى عهد الشيبانى يصغى لمثل هذا الكلام فى إيران والظاهر أنه لم يكن من الممكن أن يطبع إلا خارج الدولة.

والشيبانى، مثل يغما أيضاً، لم يكن يرى طريقاً لخلاص بلاده الخربة المضطربة من ظلم واستبداد الحكام الطغاة، ولهذا السبب فإن أغلب أشعاره كئيبة ومؤلمة وتمتلئ كلها بالنفور والسخط والتشاؤم.

وهذه القصيدة التى على نفس نمط قصيدة "انظر إلى صراخ هذا الغرب وحسرتة" لمنوتشهرى، تعد أفضل نماذج مثل هذا النوع من أشعار الشيبانى:

- آه من هذه الدنيا وطبعها القبيح فإن كل أرضها وأعمدتها من المحن والمصائب

- لا أحد يرى فائدة من كعبتها ولا يجد منفعة من كنيستها

- لا تأمل الاستقامة من هذه الدنيا فإنها قد جُبلت على الاعوجاج

- لقد أشعلت النار في مزرعة عمرها فلم ينعم أحد بزرعها حتى الآن

- فهلا لا تحزن أبدًا عندما يمضى كل حزنها وفرحها وحسنها وقبحها

- لا تحمل همًا في قلبك من نارها ولا تفرح أبدًا بجنتها

- البس كل ما أحضرته عندك من الحرير والصوف فإنه من صنع يدها

- وإذا كان هناك ثمة حزن في قلبك فاذهب ودعه مراعاة لخاطر ملكها حسن الطبع

وواضح أن البيت الأخير لا يتفق مع الأبيات السابقة وفيما يبدو أنه قد أضيف إليها حتى يمكن عرض القصيدة على الملك.

وكما رأينا فقد سلك يغمًا في آخر الأمر من شدة اليأس طريق التصوف والعرفان، لكن الشيباني لم يذهب هو الآخر إلى هذا الطريق، فزهد الشيباني ولبسه للخرقة وشروده من نوع آخر، فمع كل هذا التدين لا تسليه الحياة الأخروية، ولا يرى فائدة أو منفعة من الكعبة والكنيسة، فهو ليس منقبضًا من النار ولا سعيدًا بالجنة وكأن سقف وأعمدة قصر الأفكار السابقة قد انهارت ولم يوضع أساس جديد بعد فوق أنقاضها.

وتعرض أشعار الشيباني أعظم كوارث الروح البشرية المكتتبة المتألّمة، وندرك جيداً من قراءتها كيف كان وضع الفضلاء والأحرار الإيرانيين على أعتاب التحولات الاجتماعية الجديدة.

والشيباني ويغما كلاهما متمردان ومعترضان، ولكن قطع كل منهما طريقه الخاص ورفع صرخة احتجاجه بلهجة خاصة، والملفت للنظر أن صرخة الرفض والاستتكار هذه في مثل هذا المحيط المظلم المخيف، في الجراءة والصراحة، ليست أقل من لهجة الاحتجاج التي انطلقت مثلاً من حلق ملك الشعراء بهار في عصر اليقظة والحرية.

وفيما يلي نماذج من أنواع شعر الشيباني:

الخريف:

- من أزال هذه النقوش والرسومات من الأراضي الجبلية حتى صارت هذه الاراضي الجبلية الآن كالفضة غير المنقوشة

.....

- لقد هجمت رياح مهر^(١) وشتت غارة

على تلك الأحبية والأقنعة الزرقاء والحمراء

- وصارت كل جوانب البستان بلا لون أو رائحة

وتظهرت كل مزارع شقائق النعمان من الشقائق

(١) مهر: يقابل سبتمبر وأكتوبر (المترجم).

- وطيور القطا الجبلية خوفاً من الثلج والرياح اختبأت فى الكهوف
والمغارات المظلمة

- انظر إلى رياح الخريف كيف أزالت من البستان

تلك النقوش الجميلة والرسومات البديعة

- من الصعب ألا يشعل القلب النار فى العالم فى تلك اللحظة

التي تسقط فيها ورود الحديقة وأزهار الربيع المتفتحة هذه

- وتذهب فى مهب رياح الخريف هى وتلك الأساور الذهبية وتلك
الأقراط!

- انظر إلى ذلك الريحان كيف ارتعد خوفاً من الرياح كطيرة الحسناوات
المسكية

- وتهيات طيور الحديقة للرحيل سرباً سرباً

حتى هجمت رياح مهر كالفرسان من كل جانب

- ولم يقطع الطريق إلى الحديقة سوى الغراب

حتى امتلأت جميع الممرات بالثلوج

.....

- اليوم يجب إشعال البخور فى البرهمى فإن الأبخرة

قد خرجت من السحاب من كل جانب

العدل:

- إن عادل السماء الذى أنعم على الإنسان بنعمة العدل
- قد منحه العدل لكى يتحرر أهل الأرض من الظلم
- فإذا لم ينشر عادل الأرض العدل بين الناس
- فإن عادل السماء سوف يسلب منه نعمة العدل
- فإنه قد أعطاك العدل لكى تنتشره أنت فإن لم تنتشره فإنه سينزعه منك
- استمع اليوم لصرخة المظلوم حتى لا تضطر للصراخ فى الغد
- انشر العدل واعدل فإن العادل الأول قد بعث هذه الكوكبة من الأنبياء بالعدل
- كل ما بناه الأنبياء فى الدنيا أساسه وأعمدته من ماء وطين العدل
- وإذا كانت البلاد قد عمرت فإنها قد عمرت
- بالعدل لأنه كيف تُعمر الدنيا بدون ماء العدل؟
- وإن كان لابد أن تتعظ من الظلم والعدل
- فانهض وتوجه إلى بابل والمدائن وبغداد
- وانظر إلى قصور الملوك الراحلين العظيمة
- منها ما كان من القرميد الخام ومنها ما كان من الفولاذ
- فما كان بناؤه بالعدل ظل قائماً وما بُنى بالظلم سقط وتهدم كله!....

.....

- لو أنهم لم يأذنوا لى بدخول بلاط الملك لو لم يكن لى مشترى فى هذا الملك

- لو أن هؤلاء الذين هم عند الملك أعزاء كالورد

يريدوننى جميعاً أكثر إذلالاً من الشوكة

- لو أن الله يريد ألا يكون لى عمل سوى البكاء ليلاً ونهاراً فى حضرته

- فأنا والتسليم والرضا حتى أرى ماذا ستفعل يد القدر؟

هل ستأخذنى إلى البلاط أم إلى المشنقة؟

.....

- لقد سأمت هذه الحياة ما أحلى الموت وراحة الخلود!

- إن العاقل هو من رافق الحُمر فى الإصطبل

قل للروح اشتر الموت ما استطعت

- هل يليق أن تقف فترة على كل باب كالكلب الحارس

فلربما تأخذ ذات يوم عظمة؟

- يجب عليك أن تتبع الرجال الأسود ولا تلهث خلف الحراسة كالكلاب

- اعتد على خبز الشعير وخط الحدود فإن

مثل هذه الحراسة لا تساوى حبة شعير واحدة

.....

- ماذا ستقول لى، أنتقول إن اللسان ليس معبراً؟
- أو أن القلب والكبد والساعد ليسوا أقوىاء؟
- أنتقول إنه لا فن ولا فضل ولا علم ولا حماسة
- لا قلم ولا سيف، ولا موهبة مزينة للعالم؟
- لقد صار معلوماً من دجلة إلى شاطئ ميرمند
- أن حظ الرجل الفنان ليس عالياً
- إننى راحل الآن إلى العراق ولن أقول إلا أن حدود كرمان
- بحر وليست وادياً أو صحراء
- "إننى ذهبت إلى البحر وغطست فيه فلم أجد اللؤلؤ
- وهذا ذنب حظى وليس ذنب البحر!"

.....

- إننى كثيراً ما وضعت يدي على السيف وسحبته ولم يناقسنى أحد فى القتال
- وفى لهو الصيد أبحث عن صيد الأسد الذكر
- كما يبحث الأسد الذكر عن صيد الغزال
- لو يشقوا جنبى فى المعركة سيخرج من جنبى مائة رجل مقاتل
- لكن لا فائدة من وراء شجاعتي فأنا والإقبال فى طريقين مختلفين

- لا غنى عن الإقبال والحظ، فما فائدة الفضل والموهبة
- إما يكون الحظ أو أكون كلى عيوب
- أكثر من مائة أسد فى درعى ولكن
- ما دام الحظ غائباً فأنا فى نظر الناس مفتضح
-
- إن الملك هو عين مياه عذبة وسائغة
- فوق قمة جبل عتيد وضخم مثل الوند
- والطريق إلى هذا الجبل وعر ومحفوف بالمخاطر
- وينام حول العين عدد من الأسود
- والرجل العاقل لا يذهب بقدمه إلى مثل هذا الجبل وتلك العين
- ولا يحوم حولهما قدر المستطاع
- إننى أرى غابة جميلة وفى كل ركن من أركانها
- الأسود نائمة والثعالب فى كر وفر
- وأسد عجوز يحرك ذيله من حين لآخر
- ولكن لا أحد يهتم بحركته هذه
- ما أصعب اليوم الذى يظهر فيه طائر فى أى مكان فى هذه الغابة
- فإن هذه الثعالب المفترسة تختطفه وتمزقه وتلتهمه!.....

الفصل الثانى : كِتَاب النثر

١ - بدايع نكّار

هو ميرزا محمد ابراهيم نواب الطهرانى ابن آقا محمد مهدى نواب والذى أدرك عصرى محمد شاه وناصر الدين شاه، وكان من الأعيان والكتاب الحكوميين، وقد قضى فترة ككاتب بمكتب وزارة الخارجية، وتوفى بطهران فى منتصف ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ.ق ويعتبر نواب من مؤرخى وكتاب العصر القاجارى المشهورين ومؤلف حادثة كربلاء المعروفة بـ "فيض الدموع" وكتاب فى التاريخ بعنوان "عقد اللآلى".

ومن أفضل كتاباته ترجمة رسالة أمير المؤمنين سيدنا على لمالك الأشر النخعى التى طُبعت فى طهران بمقدمة جميلة فى أول كتاب مخزن الإنشاء بخط ميرزا رضا كلهر أستاذ الخط الكبير لذلك العصر.

وقد ترك نواب رسالة أخرى بعنوان "عبرة للناظرين وعبرة للحاضرين"^(١) والتى كُتبت بمنتهى المهارة والجمال، وقد صور فيها بشكل جيد وقائع عام الجفاف ١٢٨٨ هـ.ق ونتائجها التى انتهت باعتلاء ميرزا حسين خان مشير الدولة السيهسالار كرسى الوزارة، وانتقد بشدة أعمال وأفعال هذا الشخص.

(١) النسخة الأصلية بخط ميرزا كلهر متعلقة بحسين نواب.

ونعرض فيما يلي جزءاً من مقدمة ترجمة رسالة سيدنا علي وفقرات من الرسالة الأخيرة التي توضح هي الأخرى وضع الشعب المؤسف وطريقة عمل وتفكير الشاه ورجال المملكة في ذلك العصر، وتبين أسلوب إنشاء الكاتب وطريقة تفكيره:

مع أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لم تطل فترة خلافته على الرغم من كل هذه الرفعة ومكارم الأخلاق، وسرعان ما اضطرب العالم من حوله وبدأت السماء في معاندته، وخاصمه كل أصحابه وأتباعه الذين كانوا يظنون أنفسهم جنود الله سبحانه، ونال في النهاية درجة الشهادة الرفيعة على يد هؤلاء الأنجاس الظلمة والجاحدين الغدارين، وفاز بقاء الحق سبحانه وتعالى ومشاهدة الأبرار، إلا أن الأنكباء يعلمون أن الدنيا مهما طالت فإنها زائلة، ولن يخلد فيها أحد ولا بد أن يتجرع الجميع كأس المنية، ولكن من كانت سمعته طيبة في الدنيا ويذكر اسمه بالخير وترسل إليه التحيات ويجد الثناء من الناس من الممكن أن يكون دائم الوجود بلا شك ويمكن تسميته بصاحب الذكرى الخالدة، واليوم وبعد مرور ما يزيد على ألف ومائة وبضع وثلاثين عاماً مازال عظماء كل ملة وعقلاء كل أمة يمدحون هذا العظيم وينعتونه بالشريف ويضربون به المثل في الحشمة والوقار، فالبعض يسميه الإمام والبعض الآخر يعتبره الإله، وهذه المكانة يمكن أن تكون نتيجة ذاته المقدسة وثوبه الطاهر وخلقه الكريم وطبعه الرحيم وصفاته الربانية.

فقرات من رسالة عبرة للناظرين: (١)

وهكذا لم يمض يوم أو يومان حتى أمروا بعزله وإقالته، فذهب إلى بيته الخاص برضا واشتياق ووُزعت مهام بلاط السلطنة على عدد من أولياء النعمة وأصحاب الدولة فألقت هذه الجماعة تدبير معاش الخلق وتهيئة راحة القوم وراء ظهورهم في مثل هذا الغلاء الهائل والبلاء النازل وتفرغوا للاشتباك فيما بينهم وأطلق كل منهم على الآخر لسان الطعن والتوبيخ ونظر كل منهم لمكانة وجاه الآخر بعين الطمع... ولهذا السبب انفرط عقد العمل والنظام وبشؤم خلافاتهم أيضاً لم تسقط السماء مطر الفضل على الأرض، وسرعان ما تطايرت شرارة البلاء وعلت نيران القحط والغلاء وصدرت صرخة الاستغاثة من الرجال والنساء، ووصلت صيحة "الخبز، الخبز" إلى عنان السماء واضطرب عامة الناس وحدثت فتنة عظيمة.

وفي النهاية ونتيجة التقدير الإلهي سبحانه والفراسة الملكية التي لم تكن سوى إكسير الرؤية وكأس الإبداع، ومشورة أرباب الدولة الملهمين الذين يتعلقون في حبال الوهم سُلمت الوزارة لقاعدة الشرك وأصل النفاق وبديهة الشر وطليلة الضلال سليل الخزي وأبو الفضائح والقبائح مشير الدولة ميرزا حسين خان القزويني، خذله الله تعالى، ووضع زمام مهام الملك في يده.

ففتح خزانة الدولة في الحال وسلب منها مبالغ كبيرة، وقد تعاون معه الناس الأغنياء والسادة الأثرياء طوعاً أو كرهاً، وتقبل الأمر فقراء الحى ومشردو الأطراف... وكان الصدر الأجل نفسه يقف مرتين في الأسبوع بنفسه وحيداً فريداً في ميدان فسيح وساحة واسعة، وكان عجائز وأرامل القوم

(١) نقلاً عن سياستگران دوره قاجار تأليف خان ملك ساسانی.

يصطفون أمام منصته وهم طليقو الوجه وشعث الشعر وينتظرون مقدمه غير المبارك، فكانوا يتزاحمون فيما بينهم ويتصارعون ويفتك كل منهم بالآخر، وكان البعض تطأهم الأقدام أحياناً ويلقون مصرعهم ... وقد أمر ببناء البيوت والمنازل للمشردين والمساكين، وأنشأ لجنة خاصة لكى تتعهد بأحوال هؤلاء المساكين من اليهود والمجوس والروم والروس وسماها "لجنة الإغاثة"، وفرض على أثرياء البلاد ورجال البلاط أكثر من خمسين ألف دينار فضة وذهب وطعام وثياب لسد نفقات هؤلاء واحتياجاتهم من الثياب، وقد بالغ كثيراً فى المطالبة بخفض الأسعار وزيادة الغلال وتوفير الحبوب. وكتب تقارير حول هذا المعنى وأرسلت النشرات إلى أطراف الممالك ودار الحديث فيها عن الظلم والشائعات، كما قام بشرح إفاضاته ومبراته الباطلة.... وفى تصورى أن هذا كله ما كان يجب أن يحدث فى ظل عنفوان الحكم والسعادة بمنصب الوزارة، ففى وقت كهذا عمّ الفقر الشديد كل أنحاء البلاد وأضحى أثرياء الدولة فى الحضيض، فإن وضع مائدة العطاء وفتح يد السخاء وتوجيه الدعوة العامة لعالم الفقر وإيفاد المخبيرين السريين إلى أطراف العالم وإلى الأقطار والأمصار وإرسال النشرات والإعلانات، سيؤدى حتماً إلى تزامم وفود الأطراف وتجمع طوائف الخلق وتعطل أعمال وأشغال الولايات وفساد حال الصناعات والزراعات...

وهكذا لمّا علم فقراء الأطراف وأهل البادية والقرويون بالجود الشائع والبر المستفيض وسمعوا قليلاً عن رخص الغلال وكثرة الحبوب فى هذه الحدود، تركوا بيوتهم وأمتعته وتوجهوا إلى بيت الخلافة، وما أكثر النفوس الدنيئة التى ظهرت فى ثوب الفقراء على الرغم من ثرائها وعدم حاجتها وانضمت إلى هؤلاء، وقد زاد من سوء الأوضاع دخول فصل الشتاء فقد

كان شتاءً قارصاً وبرداً شديداً تجمدت فيه العظام واحتبست فيه الأنفاس وسقطت الثلوج الكثيفة والأمطار الغزيرة وطُمست معالم الطرق وأغلقت طرق ذهاب وإياب القوافل وقد هلك غالبية المساكين والشحاذين في الطرق الأصلية والفرعية نتيجة شدة البرد وقوة الرياح..... وأكل الناس بعضهم البعض فكانوا يتغذون على لحوم الأموات وجيفة الحيوانات، ووصل الأمر لدرجة أن حوالى مائة نفس محترمة قد هلكت فى دار الخلافة ودفنت تحت التراب وظلت مدفونة فى الخرابات دون أن يغسلها أو يقوم بتجهيزها وتكفينها أحد....

وقد ظلت هذه الواقعة العظمى والكارثة الكبرى تلقى بظلالها على كل شعب إيران لفترة طويلة حتى أقبلت طليعة فصل الربيع عام ١٢٨٩ هـ وبهب نسيم النيروزى ورفع السحاب الآذارى الحجاب وبسطت يد فروردين البساط الزمردى (الأخضر) على الأرض، وتفتح وجه الطبيعة، ومسح نسيم الربيع المسك التتارى والعود القمارى على حافة الأنهار والجداول واستقام السرو الممشوق وانحنى له الصفصاف الولهان احتراماً له، وعرضت الزهور المتنوعة الجمال الأخاذ وغردت الطيور أعذب الألحان فوق الفروع والأغصان على نغمات الناي والبربط والعود، فقد أقبل عصر أعز وربيع مجلل، والحمد والشكر لله فقد ولّى عهد تلك المحنة وتجمعت الخواطر المشتتة وعادت القلوب المنخلعة إلى مكانها مرة ثانية!...

لكن حتى الآن لم تُذكر النقطة المطلوبة ولم يتضح الشاهد من الموضوع. نعم إنهم لم يعطوا لأحد حرية الاختيار، ولم يغلبوا أحداً على مراده وإذا نظرت إلى ما يسير وفقاً لمراده فى الظاهر فإنك لن تجد أحداً فى الحقيقة...

ولمّا هدا قليلاً هذا الغلاء المهلك والوباء المميت، ظهرت فى جميع القرى والبلدان بل فى كل الممالك الإيرانية الأعراض المختلفة والأمراض المتنوعة بحكم "لكل قحط وباء"... ولم يكن هناك منزل إلا وفيه بكاء ونواح، ولا بيت إلا وخرجت منه حكاية غريبة.. ولمّا خمدت قليلاً زلازل الجفاف ونوازل المحن وهدأت حدة ذلك الوباء الشنيع والبلاء المريع، اعتبر كل هذا الفيض والفضل والكرم الذى تفضل به الحق جل وعلا بسعة رحمته ومزيد كرامته على عباده المذنبين المفسدين، اعتبرها بفضل نماء عهد وزارته وبركة عصر صدارته، ورأى جواد الفلك الحرون طوع أمره، فعقد الاجتماعات وتصاحب على عدد من خواص الحضرة وبطائن السلطنة ووجهاء العسكر وخدعهم بالأقاويل الكاذبة والعهود الزائفة، وبادر أيضاً بقطع أرزاق العسكر ورواتب الخدم وأموال الطوائف ومنع رواتب وأجور موظفى الدولة وخادمى الحضرة بشكل أو بآخر، ولم يقنع بهذا، فكل من مات - وما أكثرهم - لم يُصرف له كفن أو معاش وألغى أجره وراتبه، وقال: "كل من مات معه راتبه؟! ولم يفكر قط فى أن هذا الشخص من الممكن أن يكون تاركاً خلفه مجموعة من العجائز والأرامل، أو يكون له أطفال صغار وأولاد عاجزون يحتاجون إلى راتبه لسد احتياجات العيش، ومادام هذا الشخص قد مات وأهله مساكين وعاجزون فإن حاجتهم وحل مشكلتهم بالتأكد فى ذمة الحكومة، وكان يجب على زعيم الدولة وعظيم المملكة أن يوفر لأولاد وأحفاد خادمى الدولة وعاملى الحضرة مزيد العناية وجزيل الرعاية ويفوض من يهتم بشئونهم ويتابع أحوالهم....

ومن هنا انصرفت قلوب عامة الناس عن هذا الملك ولم يعد رجال الحكومة يتقون فى سلطانه وسقطت حشمة تاج وعرش هذا الملك من الأنظار

ونفر الجميع من مسألة الخدمة والدعوى لتأييد السلطنة، وخافوا على حياتهم ومماتهم، إذن فماذا ينتظر من هذا الرأي الباطل وماذا يُرجى من سوء العشرة!....

... وكان يقيم حفلاً يستمر أربع ليالٍ في كل شهر ويُسمى ذلك الحفل "السواريه"، وكان يُدعى إلى ذلك الحفل طبقات الشعب من المسلم والمُشرك، وكان حفلاً أبهة، فالوسائد مبسوطة والمناضد مرصوفة، وكان يتعين على الحاضرين في هذا التجمع أن يتصرفوا على الطريقة الأوروبية في الدخول والخروج والقيام والقعود، وكان يجب الجلوس بدون غطاء رأس، وكان لابد من الحذاء البوت، وكل الحاضرين في هذا الحفل أحرار تماماً في طريقة الجلوس أو النوم أو النهوض وهم آمنون من اعتداء أى شخص آخر وأحرار في شرب الخمر ولعب القمار، وقد سمعتُ أن ملك العالم كان قد ذم القمار ولا أظنه صادقاً إذ لو كان صادقاً لكان من الأولى أن يذم شرب الخمر بل إن مثل هذا الحفل يستحق الذم أكثر من الخمر والقمار....

وهو ما زال في عنفوان عصره وبداية أيام قدرته وسلطته، والله وحده يعلم ماذا سيصيب الخلق في عهده من مظاهر الخلل وماذا سيعانى الدين والدولة من عوامل الزلل!

وبعد، فقد تم في هذه الرسالة توضيح بعض صلاحياته القبيحة وتدابيره العقيمة.. ويعلم الله أنه مازال هناك الكثير من مساوئ ومفاسد هذا الشؤم القذر والذى باسم الحسين وبطبع يزيد وأنه لم يُذكر عنه إلا قليل من كثير وحفنة من جوال.

٢ - مجد الملك:

هو الحاج ميرزا محمد خان سينكى الملقب بمجد الملك ابن أخت ميرزا آقا اعتماد الدولة نوري رئيس وزراء إيران، ووالد ميرزا علي خان أمين الدولة، كان في بداية سلطنة ناصر الدين شاه مساعد والدته محمد شاه وقد سافر معها إلى الحج ثم ترقى بعد ذلك في الوظائف الحكومية المختلفة وتولى الوزارة.

وعمل في عام ١٢٦٨ هـ.ق سفيراً لحاجي طرخان ثم النائب الأول لوزارة الخارجية عام ١٢٦٩ هـ.ق ولقب بسكرتير الشؤون الخارجية، وفي عام ١٢٧٥ هـ.ق أوفد إلى الأراضي العثمانية لتسوية الاتفاقيات التي أبرمت بين الحكومتين الإيرانية والعثمانية وقام ضمناً بتنظيم شئون الرعايا الإيرانيين في العراق، وفي عام ١٢٧٩ هـ.ق عُين وزيراً للأشغال والأوقاف وتم استدعائه إلى طهران في عام ١٢٨٢ هـ.ق، وفي عام ١٢٧٤ هـ.ق عندما توجه ناصر الدين شاه إلى خراسان كان ضمن مرافقيه، وفي عام ١٢٨٦ هـ.ق عُين مديراً للعتبة الرضوية المقدسة ولقب بمجد الملك ثم فوضت إليه شئون التجارة بالممالك المحروسة في عام ١٢٨٨ هـ.ق، واختير في العام نفسه كأحد وزراء دار الشورى، وفي عام ١٢٩٠ هـ.ق عُين مرة أخرى وزيراً للأشغال والأوقاف وظل في هذا المنصب حتى توفي (١١ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ هـ.ق)^(١).

ويعد سينكى من كتّاب وخطاطي العصر القاجاري، ومن أعماله كتاب "كشف الغرايب" أو كما هو مشهور "الرسالة المجدية".

(١) ولد فيما يبدو سنة ١٢٢٤ هـ.ق لأنه عند موته كان في الرابعة والسبعين.

وقد كُتبت هذه الرسالة على حد قول المؤلف نفسه^(١) سنة ١٢٨٧ هـ.ق وتوجد منها نسخ عديدة فى أيدي الناس^(٢)، ونثرها سلس وعذب وهى مهمة جدًا من الناحية التاريخية لتعريف العصر الذى كُتبت فيه، وقد ذكرت فى هذا الكتاب إشارات عديدة للوزراء ورجال البلاط فى ذلك الوقت.

• وفيما يلى ملخص للرسالة المجدية:

لقد أوقع عدد من الصيادين المتوحشين صائدى الملوك قلب الملك^(٣) فى شباك إرادتهم ورأيهم وتحكموا فيه لدرجة أنهم لم يسمحوا له بأن يتفرغ دقيقة واحدة لقطع الصحراء والجبال وقتل الحيوانات المسبحة، فهم يتوقعون أن شؤم هذا العمل الذى سيؤدى حتمًا إلى قطع النسل وتقصير العمر وسوء الحظ، سيظهر أثره جيدًا. شعر:

- إن قاطع الشجر قصير العمر ونصب شبكة الصيد يؤدى إلى الفقر

ولو بالفرض وصل إلى تراب القدم المبارك خبران فى وقت واحد بالصدفة أحدهما إعداد أدوات وأسلحة الصيد والآخر الحصول على امتياز كبير فإنه بناءً على استشارة هؤلاء الصيادين، العناية تكون للخبر الأول ولا تكون للثانى.

(١) ص ٦٦ من طبعة طهران، شهر يور ١٣٢١ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤٢م].

(٢) نسخة لشته نشاء جيلان، بخط درويش يوسف، بتاريخ الخميس ١٥ محرم ١٣٢٠، ونسخة بخط على بن عبد الرسول بتاريخ السبت ٢٧ رجب ١٣١٧، وهذا الكتاب طبعه الأستاذ سعيد نفيسى سنة ١٣٢١ ش [٢-١٩٤٣].

(٣) المقصود ناصر الدين شاه.

وعيوب الأعمال التى تتعارض مع مصلحة الملك وذوق الجمهور،
تغيب عن عين الملك بكتمان وإغماض هؤلاء الأشخاص، والأحداث ذات
الأضرار البديهية تحدث نتيجة الإطراء عليها من باب ارتكاب الخطأ
والاستسهال.

لقد جعلوا الملك ينفر من مركز السلطنة ومقر حل وعقد أمور الدولة
لدرجة الشوق والحماس عند تحرك الموكب المبارك والبطء والتكاسل عند
العودة، ربما أن هؤلاء الصيادين هم ولصوص الأموال الإيرانية الذين
يرغبون فى إفلاس الدولة، لديهم رغبة داخلية أو عهد فيما بينهم بأنهم كلما
وجدوا أن استراحة الملك فى مركز السلطنة قد طالت يحركوه بأستازية إلى
"دوشان تپه" شاء أم لم يشأ لصيد الغزلان كى تبدو أمور السلطنة والملك
كالأرنب للنائم الذى تفككت حظيرته...

ويجلس الحاكم العام^(١) على الكرسي بالقبة الليلية والفرو ويصرخ من
بعيد:

أيها الشعب، ماذا تريدون منى؟ فإنكم لن تروا منى شيئاً سوى الأخذ
السهل، والكبر الأجوف والاستغناء المزيف والاستعلاء الزائف، فإن لى مال
من المرحوم والدى عند الشعب وسأجمعه تحت مسمى القرض الحسن^(٢)
وأتحمل العناء، وفى هذه الأثناء يترقب الطريق ويرهف السمع عليه يريح
خاطره الأنانى بسماع خبر مرض أحد أكابر الحكومة ممن لا ولد لهم ولا

(١) الصدر الأعظم رئيس الوزراء ميرزا يوسف مستوفى الممالك الأشتياني.

(٢) كان أبو السيد يدعى حسن (ميرزا حسن، مستوفى ممالك عصر فتحعلى شاه).

وريت فيحصل على مبلغ من المال من أجر ورواتب ذلك المرحوم الذى لم يتأكد خبر موته بعد.

وحول كرسية وقفت جماعة من المتملقين معسولى الكلام والباطجية حارقى العالم المعروفين بالوصولية مثل حاجى سعد الدولة^(١) وأمثاله: وينسبون فوائد فقه طهماسب ميرزا مؤيد الدولة^(٢)، وفتح فرهاد ميرزا، وفسق فيروز ميرزا والذين يعدون أعلام الحكومة الأفذاذ، لحسن كفاءة أكفأ الكفاءة، وهناك جماعة أيضاً من الكتبة المدربين قد جمعت حواسها وسنت أقلامها للحصول على رسوم لتحرير الأوامر بمنح المناصب وزيادة الرواتب ومنح النياشين والخلع فى مقابل خراب أذربايجان وكل كردستان وتشيت الجيش الإيرانى، وتأخذ الرسوم وتحصل على أموالها فى كل قضية سواء كانت هذه القضية تنفع الدولة أو تضرها، ويغضب الملك على الرغم من كل هذا الصبر والتحمل ويظل حائراً إذ كان هناك شخص ما قدّم خدمات ماذا يجب العمل معه وأية عطية حكومية يجب منحها له؟ وعلى الرغم من هذا الغضب والتحير يضطر للسير خلف رأى الحاكم العام وأتباعه.

وكما سمعنا فإن اهتمام الملك موجه إلى رعاية الشعب والإقلاع عن الرذائل ونشر مبادئ البشرية والإنسانية والإعراض عن الأسباب التى تؤدى إلى البطالة وتضييع الوقت فيما ليس له منفعة إيجابية، فمثلاً يأمر بتقليل مراسم تهنئة الشعب للملك التى كانت على حد قول العوام من مظاهر عظمة

(١) اسم حاجى سعد الدولة كان هو قنبر على خان، وقنبرك بمعنى الجلوس فى حلقة (فرهنگ معين).

(٢) طهماسب ميرزا كتب كتاباً فى الفقه عُرف بالفقه المؤيدى.

سلطنة العجم، ويلغى مراسم الوقوف الطويلة هذه التى تسبب الحيرة وتؤدى إلى البطالة الصارخة.

أما هذا الشخص فبالرغم من سابقة الزهد والتواضع والتجول والتجرد واعتزال الدنيا فإنه يصر على إقامة مراسم هذه التهنئة العامة والسلام والقيام بلا قعود بصفة مستمرة فى حضرته وفى وقت أطول من وقت تهنئة الملك، وظهور هذه الأحوال ليس له تفسير إلا اعتراضه على ذوق ورغبة الملك مثلما ظهر هذا الاعتراض منه أيضاً فى إلغاء الألقاب.....

أما طبقات الشعب الإيرانى فإنها فى هذه الظروف السيئة التى تتبعث فيها رائحة الفقر والعجز من الرئاسة العامة، قد سقطت فى دوامة التفكير واتبعت كل طبقة عقيدة معينة...

وعجز كفاة الدين وهداة الحق واليقين، ونواب الأئمة والعلماء الأعلام الذين كان قيامهم على طريق الأنبياء وقوامهم لحماية الملة الغراء، عجزوا عن أداء الواجبات وإضاءة السراج وعرض المنهاج وأوجدوا وظيفة جديدة لعهدهم وفقاً لظروف العصر، وهم يعلمون كذلك أنهم إذا قالوا خيراً لرفع الظلم والبدع الجديدة التى ستطول أضرارها الأمة والحكومة الإيرانية، وستجبر الناس على اختيار التوصيات والأوصياء على أموالهم وأولادهم، فإن القادر ذا الجلال سيعجز عن مساعدتهم. والأعداء التى ستبدو فى أعمالهم العلمية لن تقبل أى منها من قبل أهل التحقيق، وربما نستطيع أن نقول إن عوامل الكراهية والحسد ونار هاتين الصفتين المحرقة مازالت مشتعلة ومتوهجة بين أفراد هذه الطائفة وأنه قد حدث تفسخ فى معنى "إنما المؤمنون إخوة" بحيث يصل الإخوة فى الدين إلى هذه الدرجة من التنافر والشقاق.....

أما الأحكام الوطنية والحكومية فقد فقدت قيمتها وما من حكم يكون في يد أحد إلا وناسخه يكون في يد المدعى (مصراع) وهذه المسألة تسرى على كؤوس الخمر الصباحية الثلاثة.

وهذا الخلاف هو نفسه سبب انقسام العلماء، فجعلهم في ثلاث مراتب: المرتبة الأولى، منعتهم مقتضيات العلم والحلم والوقار أو حفظ الضياع والعقار من كافة الأمور، فألسنتهم داخل حلوهم وذو الفقار على^(١) في الغمد (مصراع) أسد الشريعة فحسب ولا يهجم على أحد! وإذا لجأ مظلوم إلى مرجعيتهم وأراد حلاً فورياً لمشكلته، بما أنهم يرون ثمرات وجودهم في غاية الخطأ فإنهم يواسون المتظلم بالطبع بقدوم حضرة صاحب الأمر عليه السلام، وفوائد المرتبة الأولى هي بالفعل الخدع التي يستخدمها السيد الجماراني^(٢) والملا الجهرمي في المعاملات الشرعية للشعب (شعر):

- وكم من يد قبّلتها عن ضرورة
وكان منائي قطعها لو أمكن^(٣)

والمرتبة الثانية كانت تمنعها بعض دواعي الاحتياط فقد خافوا من إضعاف لجام العوام خشية أن تحدث فتنة يعجزوا عن إخمادها، ولكنهم لا يمتنعون عن تشجيع العوام بسبب شذائد الظلم والبدع وأسباب شكوى وسخط جميع الناس، أما المرتبة الثالثة فقد قطعوا المنحنى التصاعدي بالقوة الجسمانية لا بروح العلم (شعر):

- وعند الشيخ كُتب من أبيه
مسطرة ولكن ما قرأها

(١) إشارة إلى حاجي ملا علي كنى.

(٢) إشارة إلى السيد محمد باقر .

(٣) (پرتو أصفهاني).

وكل واحد سيطر على منبر ومحراب ويقوم بالمرافعة الشرعية دون إجازة في العلم، والكتاب والمحررون يجرون في ركابهم ويكتبون كل ما يحكمون به وهم مستعدون لتنفيذ كل ما يريده المريدون، ومن كل مكان يعلو صوت كالسيل الذي يسقط من السحاب، فيسرعوا مع جيش الأصحاب ويطلقون صيحة واديناها واملتاه، والأحكام التي تصدر من المرتبة الثالثة تكون أكثر نفاذاً من أحكام المرتبتين الأولى والثانية لأنهم في تنفيذ الحكم متضامنون دائماً، أما أوباش البلد ورجال المدينة فإنهم ينوحون ويضربون الصدور حول هذا الطبل والعلم وهذه الملحمة وما ينتظره الأوباش والبلطجية من علماء هذه المرتبة لا ينتظرونه من علماء المرتبتين الأولى والثانية.

أما مذهب الشيعة الذي يعد من مستحدثات التشيع فقد أصبح في هذه الأوقات علة مزمنة استشرت في جسد إيران كلة حكومة وشعباً فمرضت قوى الأمة واعتلت صحة الدولة.

وانشغل زعماء الشعب ورؤساء الحكومة عن علاج هذه الآفة لكثرة مشاغلهم، الأمر الذي أدى إلى تحول ولاية عهد الدولة الإيرانية إلى شيخي مقتدر في ظل التشجيع الداخلي والخارجي من جانب أقاربه لأمه والذين صاروا ذوا بأس وسيدفعه التعصب لهذا المذهب إلى فعل يخرج عن طاقة الحكومة والشعب، والحقيقة أنه من العار الشديد للحكومة أن تعين ولي عهد يرفضه الشعب.

إن ما جرى في إيران في الوقت الحالي من عادات قد جعل طبائع وقلوب شعوب الأمم والدول الأجنبية تنفر من الأمة الإسلامية، فقد اعتقدوا أن الظلم والتعدي والزجر والتعذيب وإزهاق الأرواح وقمع الجماعة بذنب الفرد وإسقاط الناس من المكانة العالية إلى الحضيض وفضح العام والخاص وسلب

كافة الحقوق الشعبية والحكومية بالرشوة والهبّة من أجل المصالح الشخصية، اعتقدوا أنها من مبادئ الأمة الإسلامية وعرفوا هذه الدولة حكومة وشعباً بأنها دولة سفاح ومتوحشة.

والحكم الإيراني لا هو يشبه الشريعة الإسلامية ولا هو قريب من قانون ونظام الأمم والدول الأخرى.

ويجب أن نقول إنه حكم مختلط ومكون من عادات الفرس والآثراك والتتار والمغول والأفغان والروم وأنه عالم منفصل تحيط به الفوضى الشديدة، فكل عدة قرون يسيطر على إيران أحد ملوك هؤلاء الأقوام وترسخ في إيران العادات المذمومة والمكروهة لكل قوم، وفي هذا العصر تطبق كل هذه العادات بشكل كامل، ولو يقول مطبقو هذه العادات: إن ظروفنا الحالية لا تقتضى إجراء هذه العادات التى تعد بالتأكيد أحسن القوانين ويمكن تداولها فى جميع العصور.

أما النعمات الإيرانية التى عادت من بطرسبورج ومن سائر الدول الأجنبية وتحملت الدولة الآلاف من أجل تعليمهم وتربيتهم فإن معلوماتهم قد انحصرت فى شيئين من العلوم الدبلوماسية وسائر العلوم التى كانوا مكلفين بدراستها وتعلمها وهما الاستخفاف بالشعب وتخطئة الحكومة، ففى بداية وصولهم لم يثبتوا على اتجاه معين إذ أنهم قد جاءوا من أوروبا فقاموا بالترفع عن عوامل السلب والطمع والبخل والحسد لدرجة أن كل الشعب وحتى الملك على الرغم من حسن الطبع والفراسة ظنوا خطأ أن الجو فى أوروبا يخرج العجائب من الماء وربما العيش هناك فى حد ذاته يعلم الكثير ويقلب الماهية.

وتارة تعبر هذه البراعم حديثة الظهور عن دهشتها من حظها بخطب
التأسف والتحسر وتتساءل لماذا عادت بهذه السرعة من الولايات المنظمة
إلى الممالك غير المنظمة؟ وتارة تتعجب من أحوال الملك وتتساءل إلى متى
سيظل غافلاً عن تهيئة عوامل التتوير؟ ويستمر هذا التأسف والتعجب ما لم
يعهد إليهم بأى أمر من أمور الملك، وبمجرد أن صاروا من المسؤولين
يتصورون وهم فى غاية الثقة من أن قبح أعمالهم سيتوارى لفترة ببركة
التجول فى بلاد أوروبا وأنه لا أحد ينوى كشف تزويرهم بهذه السرعة،
يقومون بنشر الفساد والانحلال الأخلاقى، ويبالغون بشدة فى إهمال حقوق
الناس وإشاعة مظاهر الانحلال الدينى، والتخلى عن الغيرة والمروءة وابتكار
الأمور الضارة، ويتحلون بالطمع الشديد، ويقومون بتملق وممازحة الرؤساء
والكبراء، ومسايرة طلباتهم، والتصديق على أفعالهم وأقوالهم، لدرجة أن
الملك يندم على تكليفهم ويظل حائراً بأى قانون يتعامل معهم.

- السمكة تشبه الثعبان وليس هناك

سمكة ولا ثعبان ماذا تفعل أيها المنافق، كن ثعباناً أو حتى سمكة!
ومن أسباب نفور الملك وعدم راحته وهو يفكر فى تهيئة عوامل التربية
والرعاية ظهور هؤلاء الشبان المشغوزين، فأقوالهم جميعاً قد بدت فى نظر
الشاهنشاه بلا معنى، وليس مستبعد أن يقرر زيارة تلك البلاد بنفسه فى وقت
ما عله يختار من حصيلته الفكرية المباركة ما يحقق الفائدة العامة للمملكة.

ومن بين الأسلحة المطلطة على رقاب الشعب الإيرانى والتي سُلِّمت
لأيدي زبانية الظلم والتعدى ولا بد لهم من إشهارها، سيفان تربيا على السم

وطعامهما الأرواح: الأول هو اتهام أغنياء الولايات بإشاعة الفتنة والفساد والتصير فيما يتعلق بالضررائب، والثاني هو اتهام الشعب باتباع الباب.

أما المرحوم اعتماد السلطنة والذي كان جاسوس الأجل ومكنسة الأمل فإنه في سبيل استكمال صفة الرذيلة هذه قد تحمّل العناء وشرب الماء الممزوج بالدم وسفك الدماء وهدم البيوت، وفي الغارة التي شنّها على كافة البلاد في بداية الأمر بالغ بشدة في قطع الأعمار وإهانة العلماء وشق الصدور ونبش القبور وشد الوثاق وضرب الأعناق لدرجة أن الأرض وكأنها قد تحولت إلى بحر من الدماء والتراب قد تحول إلى منجم عقيق، ومادام هذا العمل قد تم تنفيذه على يديه على أكمل وجه فإن أبناء جنسه أي زبانية الظلم يرون إلى يومنا هذا بقاء حكمهم في تنفيذ هذه العادات والقيام بإعدام خلق الله.

٣- حاجي فرهاد ميرزا:

هو حاجي فرهاد ميرزا معتمد الدولة عم ناصر الدين شاه والابن الخامس عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة، ولد في جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ هـ.ق، وسافر في شبابه إلى أذربايجان مع والده ودرس العلوم في تبريز، ولمّا سافر محمد شاه إلى طهران في عام ١٢٥٠ هـ.ق بقصد الجلوس على العرش طلبه من تبريز ودعاه إلى البلاط واختاره لإدارة أمور خوزستان ولرستان فقام فرهاد ميرزا بتأمين تلك المنطقة وأدخل المتمردين في طاعته، وقد ظل عامين في لرستان حتى قصد محمد شاه جرجان في عام ١٢٥٢ هـ.ق حيث حضر إلى طهران حسب الأوامر ولازم الركاب مع فرقته من

الجنود وخمسمائة فارس وقَدَّم في ذلك السفر خدمات جليلة وعند عودته من ذلك السفر حيث سافر الشاه إلى خراسان في عام ١٢٥٤ هـ — قاصداً الاستيلاء على هراة، قام بتعيينه نائباً للسلطنة في العاصمة ولَمَّا أخفق الشاه في فتح هراة وعاد إلى طهران، قرأ خطبته المهمة التي توضح القضايا السياسية لذلك العصر، قرأها باسمه في مسجد الشاه مخاطباً إياه بـ "نور العين المكرم الشهير"، كذلك في عام ١٢٥٥ هـ.ق حيث توجه الشاه إلى أصفهان تولى فرهادميرزا إدارة شئون المملكة باعتباره نائب السلطنة.

وفي عام ١٢٥٧ هـ.ق عندما حكم فارس الأمير فريدون ميرزا التلميذ المحبوب لحاجي ميرزا آقاسي، ثار عليه شعب فارس وطرده، فأراد حاجي ميرزا آقاسي تعيين أقل الأمراء خبرة والياً على فارس وتكليفه بتأديب شعب فارس حتى تختل الأوضاع نتيجة عدم كفاءته ويخضع الشعب مرة ثانية لحكم فريدون ميرزا، وبما أن تاريخ فرهاد ميرزا لم يكن يسمح له بأن يتولى مرة واحدة حكم فارس فقد أصدر قراره الحكيم باسم ناصر الدين ميرزا ولي العهد وعين الأمير فرهاد ميرزا نائباً له، أما هو فقد أدى هذه المهمة الخطيرة على أكمل وجه بعكس ما كان متوقعاً ولكنهم أوغروا صدر الشاه عليه في عام ١٢٥٩ هـ.ق، فقالوا إنه "ألقي حقوق الحكومة الإيرانية من على ظهره وتعرّف في السر على حكومة أخرى وتحالف معها"^(١) لاشك أنهم خلعوه من منصبه كنائب لحاكم فارس وأرسلوا إلى حكم فارس بدلاً منه ميرزا نبي خان أمين الديوان أما هو فقد اضطر "إلى اللجوء للحكومة الإنجليزية، والابتعاد سنوات عن البلاط والعيش في طالقان بقزوين بناءً على

(١) ناسخ التواريخ، جلد قاجاريه، طهران، ١٣٣٧ ش، ص ١٥٠.

حكم الملك" ^(١) حتى بعد بضع سنوات من النفي، "وقف على قدمه من تلك الكبوة وابتعد عن الحكومة" ^(٢) وعُين حاكمًا على لرستان وقد قيل إن كل هذا كان بوشاية ميرزا آقا خان الصدر الأعظم وأن فرهاد ميرزا قد أنكر هذه الاتهامات في الرسالة التي كتبها لإمام جمعة طهران.

وعندما قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أذربايجان كان فرهاد ميرزا ملازمًا للركاب وعند العودة عين مرة ثانية حاكمًا لخوزستان ولرستان، وفي عام ١٢٧٨ هـ.ق عندما توفي جوانشير معتمد الدولة [الأسد الشاب] أُعطى هذا اللقب لفرهاد ميرزا وعين في عام ١٢٨٤ هـ.ق حاكمًا لكردستان وهمدان، وهناك قدّم خدمة عظيمة كانت تتمثل في فتح أورامان واستئصال شأفة متمرديها حسن سلطان وأخيه.

وقد حكم فرهاد ميرزا كردستان لمدة ست سنوات حتى عام ١٢٩٠ هـ.ق حيث قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أوروبا وكان ميرزا حسين خان مشير الدولة ملازمًا لركابه، فقد تم استدعائه إلى طهران، وطبقًا لفرمان ١٤ صفر فوضت نيابة السلطنة لكامران ميرزا وإدارة الأمور بالصلاحيات الكاملة لفرهاد ميرزا، وقد سافر إلى كردستان مرة ثانية عقب عودة الشاه من أوروبا ولكنه عزل من الحكم هذه المرة بتهمة إقامة علاقات سرية مع مظفر الدين ميرزا وتم استدعائه إلى طهران، وبعد عام (١٢٩٢ هـ.ق) سافر إلى مكة، وبعد وصوله إلى طهران وإزالة الخلافات وسوء الظن عين مرة أخرى حاكمًا على فارس في عام ١٢٩٣ هـ.ق وأقر فيها الأمن والنظام، وفي عام

(١) نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص ٧٥.

(٢) نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص ٧٥.

١٢٩٨ هـ.ق تم استدعائه إلى طهران وشارك في مجلس الوزراء وعاش في راحة ورفاهية حتى آخر عمره، وفي النهاية ابتعد نهائياً عن العمل وخدمة الحكومة حتى توفي بطهران سنة ١٣٠٥ هـ.ق.^(١)

وأعمال فرهاد ميرزا الأدبية هي "منشآت"^(٢) وكم من الأشعار وكتاب "هداية السبيل" وهو كتاب رحلات يحكى رحلة حجه، و"زنبيل" الذى يُعد مجموعة شعرية ونثرية مثل كشكول الشيخ بهائى و "قمقام ذخار وصمصام بّتار" فى مقتل سيدنا الحسين وكتب عديدة أخرى والتي لم تطبع بعد.

وقد قام فرهاد ميرزا أيضاً بالأعمال شبه العلمية والتي منها "جام جم" فى الجغرافيا.

والذى يعد ترجمة لجغرافية "وليم بينوك"^(٣)، ومعجم إنجليزى/فارسى مكون من ألفى كلمة، وترجمة خلاصة الحساب للشيخ بهائى من العربية إلى الفارسية تحت اسم كنز الحساب، وكان الأمير فرهاد ميرزا رجلاً صاحب سيف وقلم وكان له حظ من العلوم المختلفة، ويقول بشأنه نادر ميرزا مؤلف "تاريخ وجغرافياى تبريز": "يا ليت كان للأسرة القاجارية العظيمة

(١) محمود خان ملك الشعراء أنشد قائلاً فى القصيدة التى كان قد نظمها فى رثائه:

انتقلت إلى دار الخلد لما مضت من هجرة الرسول ثلاثمائة وخمسة أعوام من بعد الألف

(٢) طبع فى بومباى فى البداية باهتمام وحواشى ميرزا آقا فرصت الدولة الشيرازى سنة ١٣١٨ هـ.ق، وبعد ذلك طبع فى طهران عام ١٣٢٧ هـ.ق مع منشآت ميرزا مهديخان الاستر آبادى وأمير نظام گروسى..

(٣) William Pinnock: طبع هذا الكتاب فى عام ١٢٧٢ هـ.ق فى طهران وقد استفاد منه ميرزا محمد على مدرس الرشتى الجهاردهى (متوفى سنة ١٣٠٤ هـ.ق) فى تطبيق أحكام الفقه مع علم الفلك الحديث.

ألف شخص مثل هذا الأمير العالم الفاضل فقد كان جوهرة ثمينة للأسرة
وكان قوة لهذا الدين المجيد^(١).

وفرهاد ميرزا ليست عنده قريحة وموهبة شعرية غير عادية، وأعماله
فى مجال الشعر والنظم وإعداد بعض المدائح، محكمة وسلسة بالقدر الكافى
ولكنها جافة ومملوءة بالصنعة وخالية من الذوق.

والمهم من وجهة نظرنا أن شخصاً مثل فرهاد ميرزا يحظى بمكانة
رفيعة بين الأمراء وداخل جهاز الدولة لا يحتاج لتأمين نفقات معيشته من
كسب يده، فقد أدرك جيداً ضرورة تعميم ونشر العلوم الأوروبية فى إيران،
ولهذا السبب ترتبط مؤلفاته بأعمال معلمى دار الفنون الذين سنتحدث عنهم
فيما بعد وبعبارة أخرى يمكن اعتبار فرهاد ميرزا حلقة الوصل بين كتاب
البلاط وناشرى الثقافة الحديثة الرسميين فى إيران.

وقد كتب هذه الرسالة من طالقان إلى فريدون ميرزا الحاكم بعد الفتنة
البابية فى ربيع الأول سنة ١٢٧٠ هـ. ق واشتكى من الإهانة التى وجهت
له، يقول:

.... بحكم حسن النية وصفاء الطوية كنت أعتقد أن حضرة السيد
لا قدر الله سيغيث المستجير ويعطيه زلال الرحمة خاصة أخيه المتألم عند
فوران شراب الفتن وخفقان سراب المحن، ويسقى تائهى بادية الضلالة
الخمير الحلال ويكون للمحروم الركن الأشد وللمظلوم الناب الأحد، ولكن ما
تصورناه كان عين الخطأ لأننى كنت أظن أنه حينما يحدث لهذا المخلص أى
خطب كبير وأمر خطير فى أى زمان وأوان سيهب حضرة السيد لنجدتى

(١) النسخة المطبوعة، ص ٧٦.

ونصرتى ويتمسك بالآية الشريفة^(١) "ولا أملك إلا نفسى وأخى" ولكنه خلافاً للاعتقاد وخلفاً للاعتماد تلا قوله "يوم يفر المرء من أخيه" وقرأ "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو"^(٢) ولم يكن من المقبول أن أرى فى هذه المرحلة الطعن من العدو والحبيب واللعن من الرجل والمرأة.

جُعلت فداء لك، إن الشكوى من طبع النساء والتضحية من شيم الرجال، وبما أننى لا أضحي فأنا أقوم إذن ببث شكوتى، لو تقول: لمبلغك الواشى أغش وأكذب، لا والله فلا المبلغ كان واشياً ولا المستمع ناشئاً؛ لأن التقرير يشهد على الضمير والفعل يدل على الفكر، فالظاهر هو عنوان الباطن ولو لم يكن هناك تقصير لا قدر الله فى الرعاية والاهتمام كنت على الأقل اكتفيت بالعطف والرحمة، فقد تجنبنتى بشدة خاصة أيام الإقامة فى شمران حتى أن أحداً لا يهرب من المجدوم بهذا الشكل ولا يتجنب الطاعون بهذه الدرجة، إن المخلص الذى لم يكن يغفل يوماً واحداً عن أحوال حضرة السيد ويهنته على السلامة فى الحال لماذا لا يتذكره حضرة السيد فى هذه المسألة، والآن أيضاً وأنا فى ذلك الوقت ذو قلب غليل وطفل عليل قد نسينى حضرة السيد تماماً، وأصل المروءة لم يكن هذا وقانون الشهامة ليس هكذا:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وطبقاً لما تبين فيما بعد فإنه فى ذلك الوقت الذى قامت فيه هذه الضجة وشاعت تلك الأقاويل والأباطيل بين الناس لدرجة أن السيد كبير الخدم لدى الحاكم أخذ يذكرها على الملأ، كان من الواجب على حضرة السيد فى تلك

(١) سورة المائدة، الآية ٢٥.

(٢) سورة عبس، الآية ٣٤، ٣٥.

الأثناء أن يتظلم أمام حضرة الملك ظل الله روحنا فداه، ولو أن مصلحة الخان المرحوم ^(١) لم تكن تقتضى ذلك كان على الأقل يعاتب رئيسه الساذج ويسأله ما شأنك بذكر هذه الأخبار وبث هذه الأسرار! أو كان ذكر فى حضرة ذى الجلال نظام الدولة وقوام الشوكة الصدر الأعظم الأفخم أن سليمان سيئ الأصل ^(٢) يتربص بخسرو (الملك) شريف الأصل، فما دخلى أنا أو حضرة الأستاذ ^(٣) يفسر ذلك بأن للخسوف والكسوف أثر فى العالم وأن لهذين الذيلين وتلك الذؤابة مثل هذه الخطورة فى الدنيا، فما هو دخلى أنا المسكين المستكين! أى مجال للجريمة والاثهام والتقصير والخيانة! أم أن الاستماع يؤدى إلى النفى من البلد والابتعاد عن الأهل والولد، ألم يستمع حضرة السيد إلى الشيخ الجنى ^(٤) الذى يدعى معرفة الغيب؟ أو ألم يشرح الشيخ الجنى ويوضح لعدد كبير من أعيان الدولة وأركان الحضرة؟ ولو كان حكم المنجم والعُراف صحيحاً، فلماذا أخطأ الأنورى فى قران الكواكب السبعة؟ إذا من الواضح أن زمام المقادير فى يد مالك الملك وأن التدبير عاجز مع تقديره تعز من تشاء وتذل من تشاء، وكل شىء عنده بمقدار، ومن ثم فلا قيمة لأحكام النجوم ولا قدر لعلم الحروف! والكل يجمع على أنه كان من اللائق لحضرة السيد أن يقوم برفع التهمة ويكرس وقته لإغاثة الملهوف فيصير ممدوح الترك والتاجيك [غير الأتراك وخاصة الإيرانيين] ومحمود

(١) ميرزا أحمد خان والذى كان مساعداً للحاكم.

(٢) حاجى سليمان خان افشار بن يحيى خان الذى آمن بالبابيين وبعد أن أطلق النار على ناصر الدين شاه حشوا جسمه بالشمع وطاقوا به فى المدينة.

(٣) إشارة إلى حاجى محمد ولى ميرزا.

(٤) الشيخ محمد الجنى.

البعيد والقريب ولا أحد يعترض عليه في هذه الإغاثة ولا تتجه الظنون نحو المحاباة في هذه الإعانة، فلا كأس كان سيضيع من خراسان ولا مال كان سيؤخذ بالقوة والإهانة من إقطاع رستاق ونظنز؛ فقد كان باب الضرر مغلقاً وطريق الخطر مسدوداً، والله يشهد إننى حائر من حظى السيئ وطالعى المدبر، فثمرة الإرادة ليست هذه وأثر العناية ليس هكذا، ويشهد الأجنبى والمحلى والزنجى والرومى أننى طيلة أربع سنوات لم أتوقف لحظة واحدة عن الإخلاص لحضرة السيد والسعى فى الخير من أجله ليلاً ونهاراً سرّاً وجهراً ولو يرجع بالذاكرة إلى الوراء وينصف سيصدق كلامى هذا، قيل: الأخ أفضل أم الرفيق؟ فأجيب: الأخ أفضل عندما يكون هو الرفيق، والمخلص خلافاً للأدب يعد نفسه الرفيق ولكنه يعد نفسه صديقاً للصديق أياً كان، وبعد أن ظهر مثل هذا الجفاء من حضرة السيد وضاعت الأسرار سلب الإيمان كله وصارت التدابير هباءً والأفكار ضاعت هدرًا، ومضى ما مضى وفات ما فات، وذهبنا إلى العدم نحن الذين كنا أشراراً:

لتقرعنَّ على السن من ندم إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقى

إن جفاء حضرة السيد قد أثر بشدة لدرجة أن السيد العزيز قد علم فى خراسان أنه قد نسينى تماماً ولم يكلف خاطره بأن يكتب رسالة ترفع عنى الكرب وتزيل عنى الحزن والهم من هذه الآلام المتواترة والهموم المتكاثرة، أو أنه كتبها ولكن لم تقتض مصلحة الملك فى طهران أن يبعث الرسالة. لقد انعدمت المروءة وضاع الوفاء، ماذا حدث بالضبط؟ ليحفظ الله الوجود السعيد لحضرة جلالة الملك روحنا فداه، لقد امتزجت طينة السلاطين القاجاريين بالماء الشريف فتجاوزوا زلة العبيد وعثرة الخدم.

ويعفو عن الذنب العظيم تكرماً ويصفح عن قول الخنا متكبراً

وأنا الحمد لله تعالى لا صدرت منى خيانة فى حق الدولة ولا جريمة
فى حق الشعب ولم أخسر لا فلس فى قمار ولا عرس فى خمار. يقول
المنوتشهرى:

لقد حسدنى الحساد وأنا وحيد هكذا

فأنصف المظلومين يا عز أمير المؤمنين

يقول حاسدى لماذا تكون أنت فى بلاط الملك

يا له من بغض على، يا له من تزوير حقيقى!

وقال مولى المتقين سلام الله عليه: أستغفرُ الله عنى كل الذنوب والآثام.
وعلى الرغم من كل هذه الأحوال فإن عين الأمل مفتوحة وتنتظر البشرى-
وكل ما يقع علىّ أنا به راض وشاكر لئن شكرتم لأزيدنكم- لو أن الملك
رفيع الشأن، روحنا فداه، قد أعطى بالفرض "طالقان" لأحد الطلقاء، وهو فى
حالة السخط فماذا سيفعل فى حالة الرضا؟

هذه نارك، فكيف كان نورك؟

هذا مأتلك، فكيف كان فرحك؟

- وإنَّ أمير المؤمنين وفعله لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

فيعطوا للمحبين جرعة السم وضربة القهر.

- كان من الأحسن لو ظهر محك التجريب

كى يفتضح كل من كان يضم الغش

الشكر لله فإننا جميعاً قد كبرنا فى روضة إقبال هذه الدولة وامتدت
فروعنا وصارت لنا ثمار، ولو أنهم يقدمون الخدمة من أجل الثمر فهم

محمودون ومشكورون، ولو يقتلعوه من جذوره فهم مغفورون ومعدورون،
لقد تيقنت الآن أن البلاء للولاء لأن عالم السرائر عالم وخبير.

لم أحسد أبدًا على منصب ومال

وقمت بحفظ الناموس ورعاية القاموس (صاحب السر)

واحترمت نفسي في السر والعلن، وذلك أيضًا لم تسمح به السماء

- ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن^(١)

كان في خاطر أن أعرض عدة أبيات من شعر المقنع الكندي مصداقًا
لحالي، وهي في الحقيقة تعبر بشكل جيد:

وإن الذي بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى لمختلف جدًا

فإن ياكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدى بنيت لهم مجداً

وإن ضيعوا عيبي حفظت عيوبهم وإن هم ههوا أعنى هويت لهم رشداً

وإن زجروا طيراً بنحس تمر بى زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً

وعموماً فإن الجو البارد والقلب المهموم في الليل الطويل بلا أنيس أو جليس
يدفع الإنسان لكتابة هذه الترهات، أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها، إن شاء الله
وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وإن كنت قد تجرأت فإنك ستعذرني.

ومتاع هذه الولاية في هذا الوقت البارد هو البرد ثم البرد ليلاً ونهاراً
وكل ما في طهران هو كلام وهنا الثلج، ويوجد أيضاً طائر القطا ولكننى
رجل عمل ولست صياداً فلا الصقر فى يدى ولا البندقية على كتفى، مرة

(١) شعر المتنبى.

ثانية الكتاب، والكتاب مرة ثانية حتى نرى ماذا سيكون حاصل هذه المنمقات الأدبية والخز عبلات العربية!...

وكتب في رسالة لمعاون الملك عندما أوفد إلى أذربايجان كسفير في رمضان ١٢٨٢ هـ. ق من أجل مراجعة حسابات ميرزا عبد الله خان نائب الوزارة، وأعمال ساعد الملك ميرزا قهرمان المستشار العسكري:

مقرب الخاقان معاون الملك، هكذا سافرت سريعاً وبهدوء دون أن تودعنا، فقد علا شأنك لدرجة أنك نسيت حتى إرسال بطاقة، والحق معك فالذى يكلف بمهمة كهذه ويُسّر بنعمة كهذه لن يتذكر أحداً بالتأكيد.

الإقبال هو أن يحقق القلب منيته دون دماء

وإلا ما كانت كل هذه الجنان بالسعى والعمل

وأنت تجلس الآن في صدر الإيوان كالبدن المنير وتقرأ أحياناً إذا جاء نصر الله^(١) وتتلو رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعد إنك أنت الوهاب^(٢)، من الذى يتشاجر معك؟ كل من استعمل القوة مع الساعد الفولاذى أتعب ساعده الفضى^(٣)، ولو كان قهرمان [بطل] الماء والطين^(٤)، وفى الحقيقة كما أن الإياب من أذربايجان مهم فإن الذهاب كان ضرورياً بالقدر نفسه خاصة على حصان صاحب البريد، فشاع فى المدينة أن البلاء

(١) إشارة لميرزا نصر الله.

(٢) سورة ص، الآية ٣٤ كلمة الوهاب إشارة لميرزا عبد الوهاب خان وزير خارجية أذربايجان.

(٣) إشارة لساعد الملك.

(٤) إشارة لميرزا قهرمان.

الآخر قد حل مثل القضاء الإلهي ونزل في ذلك المحيط اللامتناهي وأخذ كل شخص يفكر ويخطط كيف يقوم في تلك الحضرة بتقديم الخدمة وتسليم النعمة والهروب من المسؤولية وطلب الألفة وإعداد الضيافة ليلاً والملاطفة نهاراً، والبعض ممن بعد طريقهم يدعونك للطعام، ويسعدونك بالكيس الثمين، وقد سقط قوَّاد الجيش في الدهشة وحكام الدولة في الخوف وتساءلوا من السبب في هذا الأمر ومتى ستنتهى هذه الزيارة! والعملات الذهبية والصرر العديدة تأتي من أطراف المملكة وأكناف الولاية وتُحمل إلى الحضرة وتُسلم بلا منة سرّاً وجهراً بلا دليل أو برهان، ولم يعد في صحن المنزل مكان للشاي والسكر، ولا أعلم هل سيكون لنا نصيب في واحدة من تلك السجاجيد ذات الأشكال الغريبة، والجمال الأصيلة أم أنها ستكون كلها جزءاً من الصناديق والحقائب المغلقة؟! مصنونة من أكف اللامسينا، ومهما يكن فإنك ستعود إن شاء الله مقضى المرام ومكفى المهام، ولو كانت هديتنا حتى العشب فإنها مقبولة منك، إنه وقت السحور، والباقي كثير على شرب الترياك ومدفع الإمساك، فقد تذكرتك وأنهيت هذه الصفحة بالقلم المكسور فاليوم أنت في عرش القلب فالقدرة لك. اللهم إني أسألك ببهائك كله. إنه بعد عودتك إن شاء الله تلقى تحقيقاتك في شئون الملك وتوصياتك الشخصية رضا الملك! وكما يقول المنوتشهرى:

ارع، فليكن العرش العنبرى هو مرعاك! وامرح

فليكن العرش الحديدي هو مفاصلك!

أزعجتك كثيراً ولكنك تعلم أن ميدان الكلام كان فسيحاً والقلم كان صريحاً، وعليك أن تشكر التعب والنوم فقد سلبا مني الإرادة فاكتفيت بهذا القدر.

ومن (سفر نامه مکه) "كتاب السفر إلى مكة"

كتب هذه السطور بعد اشتراكه في حفل السمر الذي أُقيم على شرفه في السفارة الإيرانية بإسطنبول:

....وبعد أمور الاحتفال، بدأ الحفل ورقصت السيدات والرجال وأدوا خمسة أنواع من الرقصات، وهؤلاء الرجال قد أتعبوا تلك السيدات فكل من كان يمد يده كانت السيدة المسكينة تضطر للقيام والرقص معه، وقد اقتربت من سيدة وقالت بالفرنسية لميرزا جواد خان النائب الأول للسفير: إذا لم تكن فيها إساءة للأدب أريد أن أمد يدي وأرقص مع الأمير، فقلت لميرزا جواد، قل لها إنه حجر شديد النتوء وغير أملس ولن يتحرك من مكانه وإن أمسكت يدك الرقيقة هذا الحجر فسوف تتألمين، فضحك بشدة وقالت عذراً وذهبت، وسألت ميرزا جواد خان فقال إنها مستشارة سفارة النمسا وهى امرأة زكية جداً، وفى الحقيقة فهو عالم غريب، فأهل أوروبا لا يستقبحون أن تتزين المرأة بأنواع الحلوى فى رقبتها وعلى صدرها وتمسك بيد الرجال الأجانب ويمسك كل منهما بخصر الآخر ويقومان بالرقص وتبادل المشاعر فى محفل يضم آلاف البشر، صدق الله العلى العظيم" كل حزب بما لديهم فرحون"^(١)، وسوف تنتشر هذه العادات قريباً بين العثمانيين بل وفى أقرب وقت، وستصل أيضاً إلى أهل إيران ولكن متأخرة قليلاً، وقد قلنا لمحة حول هذا الأمر وكفى، وكان بين النساء اللائى كن يرقصن امرأة يهودية وابنتها وكانت الابنة تلبس سلسلة فضة فى خصرها وكانت تجيد الرقص أكثر من نساء أوروبا، فقال لى ناظم أفندى الذى عمل سنوات فى طهران نائباً للسفير

(١) سورة الروم، الآية ٣٢، والمؤمنون، الآية ٥٣.

إنها يهودية هذه التي ترقص، فقلت: مع كل هذا التشدد في الدين اليهودي ويسمحوا بهذه الأمور المخالفة للشرعية من كشف الرؤوس والصدور فقال لقد أصبحوا هم أيضاً الآن متحضرين وستصبح كل البلاد متحضرة قريباً، لن يبقى من عمرنا شيء ولكن سيعلم القادمون أن ما قد قيل هو الحق، وسوف تسير النساء في إيران بل في كل آسيا في الأزقة والأسواق بوجه مكشوف.

ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ودرس رسمه، وستصبح الصلاة والصوم والحج عمل السفهاء والمجانين.

- الزمن يضحك والسماء تبكي على طاعتنا وعلى صلاتنا وعلى صيامنا

وسيحفظون فقط بالعقد والنكاح من باب الشهرة والتظاهر بالصلاح والأطفال الذين فرغوا لتوهم من الرضاعة سيتجهون لتعلم اللغة الفرنسية وستلغى قراءة القرآن بحيث لو أراد أحد أن يتعلم القرآن فعليه أن يذهب إلى الحجاز و المدينة، ومثل هذا الأمر يظهر فيما يبدو من الآثار السماوية والأسباب الأرضية حتى نرى ماذا سيظهر من حجاب الغيب وكيف ستكون مشيئة مالك الملك الحقيقي!... سنة ١٢٩٢ الموافقة لسنة ١٨٧٥م.

٤- حسنعلی خان:

استخدم حسنعلی خان أيضاً في كتاباته أسلوب قائم مقام ومال أكثر منه إلى الأسلوب البسيط في الكتابة، وحسنعلی خان أمير نظام من قبيلة كبودوند، ولد سنة ١٢٣٦ هـ. ق في قصبة بيجار إحدى ملحقات جروس، وقد كان أجداده كابر عن كابر رؤساء القبيلة وحكام ولاية جروس أو أصحاب

مناصب أساسية أخرى. (١)

وقد واصل تعليمه حتى سن الثامنة عشرة وتعلم الفارسية والعربية والتاريخ والأدب بصورة جيدة ووصل إلى مكانة رفيعة في الإنشاء وحسن الخط. وقطع في الفترة من سنة ١٢٥٣ إلى سنة ١٢٧٥ هـ. ق. مراحل الوظائف الحكومية المختلفة، فقد عمل قائدًا لجيش جروس وكذلك رئيس حرس الديوان وقلعة تبريز وتولى حراسة أمن كرمانشاهان وخراسان وحراسة البيوت والعمارات السلطانية بطهران وشارك في دفع فتنة محمد حسن خان سالار في خراسان والقضاء على الثورة البابية في زنجان ومعركة قلعة هراة.

وفي سنة ١٢٧٥ هـ. ق. عُيِّن في منصب الوزير الإيراني المفوض في البلاطين الفرنسي والإنجليزي وسافر إلى أوروبا مع أعضاء السفارة واثنين وأربعين من أولاد الأعيان والذين سافروا إلى باريس ولندن للدراسة، وأقام في باريس سبع سنوات، وقد تعلم في هذه المدة اللغة الفرنسية وسافر إلى حكومات لندن وتورينو وبرلين وبروكسل وقام بتوصيل رسائل وهدايا ناصر الدين شاه، وحصل على معلومات عن النظام الإداري والسياسي ومظاهر الحضارة في هذه الدول.

(١) حكم أبوه محمد صادق خان جروس لمدة تسعة عشر عامًا، وكان جده نجفقلی خان حاکما لآردبیل وأمیراً لأمرآء تبریز فی عهد فتحعلی شاه، وكان أحد قواد جيش عباس میرزا نائب السلطنة فی الحرب الإيرانية الروسية الأولى (١٢٢٤ هـ. ق.)، وحکم جده الثالث محمد أمين خان کرمان فی عهد کریم خان زندی، وكان جده الرابع حسنعلی خان حاجب بلاط نادر أما جده الخامس لطفعلی خان فقد كان حاکماً لقم وخلقستان فی عهد الشاه حسین الصفوی.

وفى أواخر عام ١٢٨٢ هـ.ق حضر إلى طهران، وبعد عام واحد عاد مرة ثانية إلى باريس وهو فى المنصب نفسه، لكن ساءت صحته هذه المرة وأحضر إلى طهران فى أواخر عام ١٢٨٣ هـ.ق وصار واحداً من وزراء دار الشورى.

وفى محرم سنة ١٢٨٨ هـ.ق عين سفيراً لإيران فى اسطنبول ثم عاد إلى طهران بعد عام واحد وبضعة أشهر فى أواخر سنة ١٢٨٩ هـ.ق وحصل على رتبة أمير التومان [التومان فرقة مكونة من عشرة آلاف جندي] ووزير الطرق.

وقد لازم حسنعلی خان الركاب فى زيارة ناصر الدين شاه الأولى لأوروبا (سنة ١٢٩٠ هـ.ق) وبعد عودته وفى عام ١٢٩٧ هـ.ق كلف بمهمة ساوجبلاغ مكرى (مهاباد الحالية) من أجل دفع فتنة الشيخ عبيد الله وحكم لفترة فى ساوجبلاغ وصاين قلعة واروميه وخوى وجروس وظل يدير هذه الولايات الخمس بلقب الحاكم العسكرى.

وبعد ذلك عُين مساعداً لولى العهد ورئيساً للجيش الأذربايجانى وتشرف بلقب أمير نظام وسافر إلى تبريز وظل سبع سنوات فى هذا المنصب، وفى عام ١٣٠٩ هـ.ق حدثت أزمة احتكار التبغ والدخان واحتج الشعب على الحكومة فى تبريز أيضاً مثل كافة المدن الإيرانية، فأصدر الشاه أوامره لأمير نظام تلغرافيا بأن يطلق النار على الثوار، ولما امتنع هو عن هذا الأمر اتهم بالتحالف مع الثوار واستدعى إلى طهران وظل عاطلاً فى طهران لمدة شهرين حتى عُهد إليه بحكومة كردستان وكرمانشاهان، وبعد ذلك انضمت إلى منطقة حكمه أيضاً همدان وملاير ونهاوند وتويسركان.

وبعد قتل ناصر الدين شاه أغلق عليه ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان طريق الترقى وجعله بعيداً على هذا النحو عن العاصمة في حكومة الولايات الغربية نفسها، لكن بعد عزل أمين السلطان قام ميرزا علي خان أمين الدولة الذي كان قد تم استدعائه من منصب مساعد حاكم أذربايجان وغين وزيراً، قام بإرسال أمير نظام مرة أخرى عند محمد علي ميرزا ليكون مساعد حاكم أذربايجان بدلاً منه، لكن لم تدم هذه المهمة أكثر من عامين لأن ولى العهد وحاشيته قاموا بإثارة أوباش تبريز ضده، فاستقال من منصبه هذا فى ذى القعدة سنة ١٣١٦ هـ. ق نظراً لسوء الأوضاع وكبر السن، وحضر إلى طهران عبر طريق القفقاز والتركستان، وفى أوائل عام ١٣١٧ هـ. ق عُيّن حاكماً على كرمان وحدث فى هذا السفر أن توفى فى الخامس من رمضان من العام نفسه.

ويعد أمير نظام واحداً من رجال العصر القاجارى الكبار الأكفاء والذى قدّم خدمات جليلة طيلة ٦٤ عاماً بمنتهى العفة والصدق والإخلاص والكفاءة وخلال فترة خدمته الطويلة، لم يخش من قول الحقيقة، وحتى الشاه وولى العهد أيضاً كانا يعملان له حساب.

بعد سنوات من موت أمير كبير، يكتب ناصر الدين شاه- الرجل الذى كان هو نفسه من حكم بقتله- لابنه مظفر الدين ميرزا ولى العهد يوصيه على حسنعلى خان "أعلم قدر الخادم الصالح فإننى بعد الأمير أردت نحت إنسان من الخشب فلم أستطع".

ويقول كورزن بشأنه: "إن حسنعلى خان أمير نظام الجروسى الذى شغل لفترة منصب الوزير الإيرانى المفوض فى فرنسا وأقام فترة أيضاً فى لندن يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وتغلب على أفكاره الأفكار التقدمية

والغربية، وهو شخص قوى الإرادة وذو عزيمة، وفي فترة عمله كمساعد لحاكم أذربايجان قضى تماماً على الفوضى الموجودة فى تلك الولاية، والخلاصة إنه أفضل الحكام المديرين الإيرانيين...^(١).

أما فيفريه طبيب ناصر الدين شاه والذي كان برفقته عند عودته من رحلته الثالثة إلى أوروبا ورأى حسنعلی خان فى تبريز فى صفر ١٣٠٧ هـ، فإنه يكتب فى تعريفه: "أمير نظام رجل مسن فى منتهى الذكاء والخبرة والعقل والكفاءة، ولهذا السبب يحظى بمكانة متميزة عند ولى العهد وكان سابقاً السفير الإيراني المفوض فى باريس وعندما أبلغته بحالته وارتفاع درجة حرارته وأوضحت له عدم مناسبة مكان المعسكر وتحدثت معه عن الأمور العجيبة التى كنت قد رأيتها فى باريس إلى هنا، قال لى: لا يجب أن تتعجب من هذه الأمور البسيطة، إن شاء الله عندما تبقى فى هذه المملكة مدة أطول سترى عجائب أكثر"^(٢).

وكان أمير نظام رجلاً عالماً ومحباً للعلم وأحد الكتّاب الفصحاء والبلغاء وأصحاب الذوق وقد كان فنه العظيم فى بساطة الكتابة، وكتاباته تخلو من الخطأ والركاكة والصعوبة وتتميز بالجزالة والسلاسة التى توصلها إلى حد السهل الممتنع^(٣).

(١) كرزى، إيران وموضوع إيران، ج ١، ص ٤٣١.

(٢) الدكتور فيفريه، سه سال در دربار ايران [ثلاث سنوات فى البلاط الإيراني] ترجمة: عباس إقبال، ص ٦٨.

(٣) فى ١٢ شوال سنة ١٣٠٧ هـ.ق يكتب للملا عباس نامى "لم يكن ضرورياً إظهار الفصاحة ومعرفة العربية وعرض الموضوع بالسجع والقافية، ولو كان تم الأداء بدون تعقيد وبعبارات متداولة لكان يكفى هذا".

ومن بين أعمال أمير نظام التي ستظل تذكر باسمه طبع كتاب كليلية ودمنة، فقد صحح هذا الكتاب بناءً على إشارته الحاج وكيل اعتضاد الممالك ثم طبعه أمير نظام على نفقته بخط ميرزا باقر فخر الكتاب، كذلك قام ميرزا على آقا ثقة الإسلام بناءً على تشجيعه بترجمة رسالة بث الشكوى تأليف محمد بن عبد الجبار العتبي، وقد طبعها بعد وفاته ابنه سالار الملك في عام ١٣١٨ هـ.ق.

وفيما يلي نماذج من أسلوب إنشاء أمير نظام:

من رسالة الوعظ اليعقوبية التي كتبها باسم يحيى خان: ^(١)

أرى أنه من الصواب أن أكتب لك عدة كلمات للذكرى على سبيل الوعظ حتى إذا ما أراد الله ووصلت إلى مقام الرشد والتميز تعمل بنصيحة أبيك فتتمتع بعمر ك وحياتك، وأول نصيحة لك مني إياك أن تقترب من الجماعة البعيدة عن الله وإياك أن تجالس الأراذل واللئام؛ فإن صحبة هذه الجماعة عاقبتها سيئة وستؤدي إلى فساد الدين والدنيا في فترة قصيرة ينبغي أن يكون جليساك كي يزيدك عقلاً وديناً، إذن احرص على ألا تقطع طريق العلم إلا مع الأشراف ووجه همك دائماً للأعمال العظيمة والعميقة، وقى القلب على ذلك حتى تتطبع على ذلك ولا تميل إلى الدناءة والضعف.

(١) هذا الولد ذو الكفاءة والنجابة الذي كان مع جيش جروس في كرمان توفي هناك سنة ١٢٨٧ هـ.ق متأثراً بالطاعون، ويكتب أمير نظام في رسالة لمدير عام العتبة الرضوية بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى: "لقد كان مقدراً أن ابناً تعبت وتألّمت سنوات في تعليمه وتربيته يُصاب بطاعون كرمان وأبلى أنا المسكين في هذه السن المتأخرة بمثل هذه المصيبة التي تهدم أساس هذه الأسرة تماماً وتطوى بساط المخلص فجأة".

اطلق يد الكرم قدر استطاعتك فإن الفقير الكريم أفضل من الغنى
البخل، وإياك وحذار من البخل والإمساك فإنه يجلب التعاسة والتشتت فى
الدارين، ويجب ألا تضع عطاءك وإحسانك بإظهار المنّة، كن حلو اللسان
وحسن المقال، وحافظ دائماً على آداب الكلام فحاول أن توجز وتختصر كي
لا يمل المستمع من الإسهاب والتطويل وتشتت أنت أيضاً بالثرثرة
والتخريف، وتجنب استعمال الألفاظ الصعبة والعبارات المهجورة كي لا
تصبح موضع سخرية الناس، ومع أن الهزل والفكاهة من خصائص الجاهل
إلا أن الغالب أن الناس يعتبرون الكلام البسيط مكروهاً، إذن يجب أن تكون
متبحراً فى الكلام حتى تتحدث فى أى محفل بما يتناسب المقام ويتفق مع
الطباع، ويجب عليك أن تبذل الجهد الكافى فى دراسة العلوم الأدبية وإذا لم
يكن لك نصيب من العلوم فأياك أن تبادر بتقليد استعمال الألفاظ والأمثال
العربية فإن استعمال الألفاظ الصعبة من لسان الجهلاء لا يتم بصورة
صحيحة وبما أنه لا يتم بصورة صحيحة فإنه سيؤدى إلى السخرية
والاستهزاء اجتهد فى حسن الخط فإن الزينة الظاهرة تجد انطباعاً جيداً لا
تتأخر فى الإقدام على العمل بعد ملاحظة جوانب الصلاح والفساد، ولا تؤجل
عمل اليوم إلى الغد لو ظهر عدو حيثما تعلم أنه يطلب الصلح لا تبادر
بمحاربته ومخاصمته، احرص على فض مجلس الحرب ولو تعلم أنك ستهدم
العش، وإذا اضطررت للحرب فلا تؤخر الفعل لحظة واحدة، وعندما تعلم
يقيناً أن العدو لم يطأطئ رأس الصلح والصدقة فلا تطرق أنت أيضاً باب
الصلح ولا تتأخر فى القضاء عليه؛ فإن التأخير سيجعل العدو يتغلب عليك
ويعرفه بخططك وتدابيرك، مثلما هو حال القلعة المتمردة: لو تأخر الاستيلاء
عليها بلا داع سيكون من الصعب فتحها وسيصاب الجيش بالإحباط والملل

وتزول الرهبة والخوف من قلب العدو، بالرغم من أنه من الخطأ بوجه عام العمل بدون واسطة وإرشاد وتوجيه العقل إلا أنه لا يجب الانصياع للعقل طوال الوقت في أثناء الحرب؛ لأن قوة العقل تدل الإنسان في الغالب إلى طريق السلامة، ولما تتغلب قوة العقل تسوق الإنسان إلى الضعف والجبين وعندما تكون ضعيفاً وجباناً ستعجز بالطبع عن دفع العدو وتلقى الهزيمة حتماً وتوصم نفسك بعار الفرار، والموت أفضل عند الرجال من الحياة بوصمة العار...

ومن كتابات أمير نظام الأخرى:

جعلت فداء لك، إن شاء الله سيكون وصول صاحب المقام الرفيع مباركاً علينا وسيرفع عنا التعب والهم، إن كل ما أنثره امتناناً لقدوم صاحب المقام الرفيع يعد قليلاً فما الحال إذن مع هذا الشال المتواضع لقدوم صاحب حادثة عجيبة في طريق سكة حديد الشاه عبد العظيم ومادام وضع شعبنا وأهالي مملكتنا هكذا، فلا يجب انتظار حدوث تحسن وتقدم في الأمور، ففي ظل هذه الأوضاع وانتشار هذه الأخبار في أية شركة ستمد سككنا الحديدية إلى المناطق الأخرى، وأي مسئول أجنبي سيشارك معنا في إنشاء الطريق المرصوف من آواجيق^(١) إلى قزوین. ٢٦ ربيع الأول ١٣٠٨ .

أخونا العزيز، لقد اعتاد الأمير المرحوم هادی خان على أنه كلما أراد أن يصف شيئاً بأنه جيد كان يقول "إنه عمل روجرز"^(٢)، وكلمما أراد أن ينسب العلم والفضل لشخص من باب السخرية والاستهزاء كان يقول عليه

(١) اسم قرية على الحدود الإيرانية التركية في مركز ماكو (أذربايجان الغربية).

(٢) Rogers.

"إنه فاضل خان"^(١)، والآن أنا لا أعلم ماذا حدث فأخونا فى كشف هذا الموضوع وحل هذه المشكلة قد ترك فاضل خان الحاضر والموجود بدار السلطنة وسألنى أنا!

لقد ظل القلب سنوات يطلب منا الكأس الجمشيدية

ويلتمس من الغريب ما كان عنده هو نفسه

لا شك أنه فى هذا الموضوع وفى كل ما يتعلق بمثل هذه الأمور عليك الرجوع إلى مولانا ممدوح أكابر الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق. إن أحوالى سيئة منذ عدة أيام وقد كتبت هذا الموجز وأنا فى شدة الصداق فلا تترك الجواب بلا جواب ٢٧ ربيع الآخر ١٣٠١ .

وقد كتب لميرزا عباس خان قوام الدولة:

جعلت فداء لك، مرة ثانية رفعت قلمك وهاجمتني أنا المسكين هجومًا شديدًا.

سيدى ومولاي وزير الداخلية ووكيل شئون مملكة أذربايجان أو كما يقول المرحوم مؤيد الدولة عندما كان يناجى أمير العسكر:

- أيها الملك، أيها القمر، أيها المحبوب، أيها المعشوق، أيها الربيع

إننى فى غاية الحيرة ولا أعلم ما اسمك!

فى ذلك الوقت الذى كنت فيه يا ميرزا عباس إنساناً بسيطاً كنت أنا

(١) المقصود محمد فاضل خان الجروسى.

مخلصاً ومؤمناً بحضرة السيد وكنت أراهن على وصوله إلى الوزارة
والرئاسة، والآن وحضرة سيادة قوام الدولة وزير الداخلية ووكيل أذربايجان
وكاتم أسرار السلطنة وكذا وكذا فإنك لو ادّعت الإلوهية سنقول لك آمنا
وصدّقنا! فأى أحمق الذى لا يعرف رفعة شأنكم أو العياذ بالله ينظر
للملازمين العالين بعين التحقير، فذلك الشخص الذى كان متحيراً ولم يعرف
أياً منّا أنا وحضرة ناصر الملك وصاحب المقام الرفيع أعلى فى المرتبة كان
شخصاً ساذجاً وغافلاً، فأين أنا وناصر الملك من صاحب المقام الرفيع؟ ما
للتراب ورب الأرباب! أنت الصقر حاد المخالب ونحن طائر الصعوبة
الضعيف! والله مكانتك أنت الأعلى ولم يكن هناك داعٍ أيضاً لإرسال
اللائحة؛ لأنك أنت كبير مدربي صقور الصيد بلا نقاش، إن حظك العالى قد
أصاب قليل الحيلة بالاضطراب والتشتت وإلا كان قد هجم من خراسان وجاء
من أجل الوزارة، فهم يكتبون أشياء مضحكة على حركاته وسكناته ويجب
الضحك، وعلى حد قول المرحوم هاديخان نحن الهدف الأساسى لأية حادثة،
وإذا كان الخاتم لا يلقى قبول صاحب المقام الرفيع فمن الممكن تغييره ولم
يكن ضرورياً أن يجذبنا تحت الركاب بتلك القوة، فرقة حضرة السيد التى
كانت لائحة عملى أنا نفسى قد عرضتها على حضرة الجناب العالى وقد فرح
بها وضحك خاصة مما كتبه للسيد الفلانى، وكتب مرسوماً يشملكم بالرافة
والذى سوف يسلمه لكم حاجى محمد خان، وحول الاكتشافات الجديدة
والبحث عن المناجم وإنشاء الطرق التى أهملت رغم أننا أشرنا إلى أهميتها؛
لو كنت قد تقاعصت عنها ما كانت مملكتك أذربايجان بهذا الاستقرار وما
كانت مدينة تبريز التى كانت وكراً للمتمردين والأشرار بهذا الأمن أو كما

يقول العوام لم يكن الماء يتحرك من النهر، ويعد البحث عن المناجم وإنشاء الطرق والاكتشافات الجديدة من هذه الأشياء أيضاً التي قد قلّتها وكتبتها ألف مرة وتم تبادل الاتفاقيات ولكن دون جدوى، إذن ماذا أقول وماذا أكتب! فالاكتشافات الجديدة ستؤدي إلى زيادة النفقات في حين أنني لكى أعرض النفقات اللازمة يجب أن أضع فى اعتبارى ألف ملحوظة وأن ترتعش يدي، إذن فمن الأفضل ألا تتوقع منى إطلاق العنان وأن تكتفى بأن أمسك بمقدمة السرج لأن الذهاب والوصول إلى المنزل بهدوء وببطء أفضل من الهجوم والانكباب على الوجه وما كنت قد قلّته إننى آكل كل أذربايجان ولا أرمى لقمة منها فى فم صاحب المقام الرفيع، فأنا أعلم أنه يجب إغلاق فم صاحب المقام الرفيع، لكن بحق الولاية المطلقة لعلى عليه السلام فإننى قد احترق فمى ولم أشرب الحساء، ولو بالفرض لم يحدث هذا وأنا آكل أذربايجان بالفعل فإن صاحب المقام الرفيع يبتلع كل إيران، فيتركنى آكل كل أذربايجان فأنا أيضاً تلميذ مدرسته، فماذا يريد منى إذا؟

أيها السيد المعظم، كنت قبل هذا قد رأيت فى الحديث النبوى أن الفقر هو الموت الأكبر، ولم أكن أعرف معناه حتى الآن حيث اتضحت لى العبارة وعُرفت الرواية فى هذين العامين اللذين أمضيتهما فى طهران، ففى هذين العامين كنت فى حضرة هذا الموت وعانيت من سكراته، لكن لم يحن الأجل بعد، والحركة لم تتحول إلى سكون، ومهما سعيت ومهما بُذلت المساعى وتمزقت الأحذية فلم ولن تكون هناك أية فائدة، وكم من قطع وكتابات تمت بصورة جيدة ولكن لم تسقط نقطة زيت فى المصباح ولا جرعة خمر فى الكأس، فالعمل فى طهران بالرشوة والدلال وأنا لا أملك المال للرشوة، ولا

الجمال للدلال، ووالله المتعال أنا قد استسلمت للموت ولكن الموت يجافيني ولا يأتي عندي.

من حظ المتشائم أنه يجب عليه أيضاً أن يتحمل دلال الأجل! وإيجار المنزل وراتب الخادم المجنون من الالتزامات العاجلة، فهي لا ترضى بالقضاء ولا تؤجل اليوم للغد، فلا محيص من هذا وذاك، لقد أصبح ماء الوجه كماء النهر وأضحت الوجوه أكثر صلابة من الحجر وبهذا النظام يجب تحمل الجوع والصبر على الضيق والشدة، إن أفضل صديق لي هو من يكتب على حجر تربتي هذا الرباعي عندما استريح إن شاء الله من الناس والعذاب:

- يا من أنت ميت نتيجة العذاب والبؤس

لقد مت من الهجر في عز الوصال³

- وذهب إلى التراب عطشان مع كل هذا الماء

ومت من الفقر وأنت أمام الكنز

كنت قد اشتكيت من بلدك إيران وانتقدتها بأسلوب الكناية، والحق مع حضرة الجناب العالي، فأنا نفسي أيضاً عندما كنت أرى هذه المملكة الخربة في المنام في أثناء توقي في اسطنبول، كنت أستيقظ وأنا في شدة الفزع والاضطراب وكنت أشكر الله كثيراً على أنه كان حلماً، لكني بعد أن جئت إلى إيران تحملت الجوع بحيث كنت أرى رغيف الخبز الحاف مائدة سماوية، وتحملت الأرق لدرجة أن الحجر الصلد كان يبدو في نظري خزاً وديباجاً، ورأيت الظلم من المسؤولين حتى أنني اعتبرت تلقى مائة عصا بدون وجه

حق ودفع غرامة قدرها مائة تومان بسبب الذنب، اعتبرته الحكم الداوودي، ورأيت من العلماء أشياء منها أن فتوى قتل المظلوم هو حكم القرآن ونص الحديث، وسمعت من الواعظين والذاكرين الأكاذيب فأمنت بالعنقاء والإكسير، ولاحظت من التجار الخلاف والنزاع الشديد لدرجة أنني لجأت إلى مصادقة الشاة والذئب... وحياتك الغالية، عندما تدخل هذه المملكة صاحبة الأربعة آلاف أو الخمسة آلاف سنة ستنهياً العوامل بحيث تصبح غافلاً عن نفسك وتنسى مظاهر المدنية وكأنه ليس هناك تقدم لا في العالم ولا في الدولتين المتقدمتين فرنسا وإنجلترا، وستعيش مذهباً وحائراً في الأزقة الخربة وكأنك أمام سور شانزلزيه الصينى البالغ ذراعاً بباريس... اكتفى بهذا القدر فلا يكن عندك أى خوف وما عليك إلا أن تجمع احتياجاتك وتسلك طريق الصحراء الإيرانية، والصعوبة كلها فى ثلاثة أو أربعة شهور فقط وستصبح بعد ذلك واحداً من المسؤولين أو واحداً من العلماء والواعظين والتجار والذاكرين.. يوم الأحد ٢٩ ربيع الأول ١٣١٢.

٥- نادر ميرزا:

كان من المفترض أن نتحدث عن تاريخ تبريز ومؤلفه العالم أبو محمد نادر ميرزا فى الجزء الخاص بالتاريخ والمؤرخين، لكن نظراً لأن هذا الكتاب يقدم معلومات مهمة عن تاريخ وجغرافية مدينة تبريز وكل ما يتعلق بهذه المدينة، علاوة على أنه يحتل مكانة أدبية كبيرة فى الأدب الفارسى القاجارى، لذلك رأينا أنه من المناسب أن نتناول ترجمته وكذلك أعماله فى هذا الجزء.

ونادر ميرزا القاجارى هو أحد علماء ومؤلفى العصر الناصرى، ولد سنة ١٢٤٢ هـ.ق "يوم الجمعة آخر شهر الصيام بعد طلوع الشمس مضيئة العالم بساعة واحدة بمدينة استر آباد^(١)، بالقصر الملكى الذى كان قد بناه الخاقان الشهيد محمد شاه^(٢) وكان أول مولود لوالديه".

وأبوه بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار، وجده محمد قلى ميرزا ملك آرا [مزين الملك] هو ثانى أولاد فتحعلى شاه القاجارى والذى حكم فى عهد أبيه مازندران واسترآباد وصحراء التركمان وكل ما كان على ساحل بحر الخزر (قزوین).

وقد أمضى نادر ميرزا فترة طفولته فى استر آباد وكان فى السابعة من عمره عندما توفى فتحعلى شاه فى أصفهان^(٣)، وقد انتقل بديع الزمان ميرزا إلى سارى عند أبيه الأمير ملك آرا وذهب من هناك إلى طهران.

وفى هذه الأثناء اعترض بعض الأمراء القاجاريين الذين سيطروا على حكم الولايات على سلطنة محمد ميرزا، وكان من بينهم على ميرزا ظل السلطان والذى سمى نفسه عليشاه وضرب العملة باسمه وحكم أربعين يوماً بلقب الملك حتى وصل محمد شاه من تبريز إلى قزوین وحارب جنوده وهُزم ظل السلطان وتم اعتقاله وحبسه هو وأغلب أمراء وأبناء فتحعلى شاه وتعرض بعضهم للسمل. وقد حُبس بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار،

(١) استر آباد، جرجان الحالية.

(٢) آغا محمد خان القاجارى.

(٣) ١٩ جمادى الآخرة ١٢٥٠ هـ.ق.

والد صاحب الترجمة، هو الآخر مع الأمير المتمرّد وسبعة آخرين^(١) من الأمراء في قلعة رويين (قلعة أردبيل التي كانت تُسمى فيما بعد بقلعة نارين) وقد استمر هذا الحبس حتى عام ١٢٥٤ هـ. ق أي حوالي أربعة أعوام.

وفي هذه الأثناء حضر نادر ميرزا إلى طهران مع أمه وأخ وأخت له وانشغل بالدراسة إلى أن ذهب إلى تبريز في عام ١٢٥٧ هـ. ق مع ابني محمد شاه بعد حصوله على إذن محمد شاه لزيارة زوجته التي كانوا قد أحضروها مع أعمامها من أردبيل إلى تبريز وجعلوها محددة الإقامة، وكان نادر ميرزا آنذاك في الخامسة عشرة من عمره، فظل في تبريز وتعلم على يد الملا مهر علي^(٢) أحد أدباء وعلماء تبريز وأقا

(١) كان هؤلاء السبعة أشخاص هم:

- حسين علي ميرزا شجاع السلطنة الأخ الشقيق لحسين علي ميرزا حاكم فارس.
- محمد تقى ميرزا حسام السلطنة جد نادر ميرزا من الأم.
- علي قلى ميرزا ركن الدولة.
- أماموردي ميرزا كشيكي باشى، شقيق ركن الدولة.
- شيخ علي ميرزا، حاكم ملاير وتوسيركان.
- محمود ميرزا، حاكم نهاوند.
- محمد حسين ميرزا حشمت الدولة، وقد ظل هؤلاء التسعة في قلعة أردبيل حتى هرب ظل السلطان وركن الدولة وكشيكي باشى ولجئوا إلى روسيا وأحضروا الستة الآخرين إلى تبريز ووضعوهم تحت الحراسة.

(٢) الملا مهر علي زنوزى المتخلص بفدوى، ولد فيما يبدو في خوى سنة ١١٨٢ هـ. ق وكان يعيش حياة فقيرة في تبريز في بداية أمر الملوك القاجاريين وفترة ولاية عهد عباس ميرزا نائب السلطنة، وكان ينظم الشعر باللغة الفارسية والعربية والتركية، وأشعاره العربية التي كانت معروفة جدًا وتترد على الألسنة لم تكن لطيفة وشعره

ميرزا أحمد مجتهد^(١) وولديه ميرزا لطفعلی إمام الجمعة وميرزا جعفر،
والملا محمود الطسوجی^(٢)، تعلم الفارسية والعربية وآداب هاتين اللغتين.

ويكتب صاحب الترجمة بقلمه في تاريخ تبريز: "... وكانت الحالة العلمية تتمثل في تتمثل في أن كتب الأدب في ذلك العصر كانت نادرة وغالية لأن فن الطباعة الذي لا مثيل له لم يكن قد انتشر بعد في إيران فهذا العمل كانت تقوم به مطبعة أو اثنتين، وكانت تقتصر على نشر القرآن الكريم وزاد المعاد وكتب الأخبار، وأنا كنت قد سمعت اسم القاموس والصحاح وقد حصلنا على نسخة متهاكة من كتاب كنز اللغة، وإذا ظلت عندي يوماً يأخذها صاحبها شهراً، على الرغم من ذلك فقد كان شوقي لتعلم الأدب من الشدة بحيث عندما كان ميرزا أحمد يركب مع أولاده ويتحركون معاً من المسكن كنت أألزم ركابهم لعلی أنتفع بشعر أو مسألة، وكان إمام الجمعة رحمة الله

الفارسی متوسط، أما أشعاره التركية فهي بمثابة الشعر الحقيقي له ، وكان يمزج في بعضها أجمل المعاني بأدق الحقائق الفلسفية، وهي تعد من أرق النماذج الأدبية في هذا العصر، وفرهاد ميرزا يذكره باسم "زنده بوشی" [الدرویش] أما نادر ميرزا والذي لحق به في فترة الشيخوخة وتتلذذ على يديه فقد كان يسميه "أديب الإنشاء القديم" وقد توفي الملا مهر على سنة ١٢٦٢ هـ.ق في تبريز وكان عند وفاته في الثمانين من عمره.

(١) ميرزا أحمد المجتهد المشهور في تبريز وهو الجد الأعلى للأسرة المجتهدية الذي قد وردت ترجمة أحواله هو وأولاده بالتفصيل في كتاب شهداء الفضيلة وتاريخ نادر ميرزا وقد حدثت وفاته في تبريز سنة ١٢٦٥ هـ.ق .

(٢) المعروف بالملا باشی وهو من أساتذة اللغة والشعر وقد عمل معلماً لمظفر الدين ميرزا ولي العهد ، وتوفي سنة ١٢٩٥ هـ.ق.

عليه قد أعجب بذهني ونوقي، وقد قال يوماً لوالدي قائد الجند إن هذا الشاب لديه موهبة عظيمة ومن الظلم والحرام أن يتعلم هكذا بدون قاعدة، ينبغي أن يقوم أستاذ مربى بتربيته وتعليمه العلوم الأدبية بقوانينها، فقال قائد الجند: كل من يجد القبول من الطلاب خصصوا له راتبًا وأرسلوه، فقام ذلك العظيم بذكر اسم شاب من أهل طسوج كان يدعى محمود، فحضر وخصصت له خمسة تومانات من أجل معيشته ولم يكن هذا الراتب يُعطى لأي معلم في ذلك الوقت....".

وعلى هذا النحو استعد لتعلم الأدب عند هذا الشخص الذي "لم يكن في ذلك العصر معلم عاقل وعالم مثله، وكان يتمتع بذهن صاف وخاطر وقاد" وبعد أن فرغ من الدراسة سافر مع أمه وأخته إلى العراق من أجل زيارة البقاع المقدسة وحضر من هناك إلى طهران وبعد تمديد فرمان والده بخصوص الراتب عاد إلى أذربايجان سنة ١٢٦٤ أو ١٢٦٥ هـ.ق^(١). وتعهد بالشئون الحكومية وهو في سن الخامسة والعشرين وصار من مقربي البلاط في خدمة مظفر الدين ميرزا ولي العهد، وتولى لعدة سنوات الحكم والإشراف على تحصيل الأموال الحكومية إلى أن جاء عام ١٢٩٨ هـ.ق الذي تولى

(١) أقوال صاحب الترجمة في هذا الموضوع متضاربة والظاهر أنه كان هو نفسه مترددًا في ذكر التاريخ الصحيح لهذا السفر والعودة إلى طهران: في أول دولة الشاهنشاه عدنا إلى أذربايجان وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ (تاريخ تبريز، ص ٣٠٣) - في سنة ١٢٦٥ حيث قمت بزيارة أئمة العراق العربي عليهم السلام، وصلت إلى همدان (المصدر نفسه، ٣٧) - في سنة ألف ومائتين وستين وبضع سنوات ثم انتقلت من زيارة مشهد أمير المؤمنين والحسين سيد الشهداء وسائر الأئمة عليهم الصلاة والسلام إلى بلاط الخلافة بناءً على فرمان قائد الجند أبي (المصدر نفسه، ١٨٧).

فيه محمد رحيم خان نسقجي باشي [رئيس الجلادين] حكومة آذربايجان والقيادة العسكرية حيث تم اعتقال نادر ميرزا الذي كان مسئولاً عن مخزن الغلة وتحصيل الأموال الحكومية، وقد صودرت أمواله وأملاكه .

وقد ذكر صاحب الترجمة هذه الحادثة المريرة في عدة مواضع في كتاب تاريخ تبريز وكتب شرحها أيضاً بالتفصيل بخطه في ظهر مخطوطة تهذيب إصلاح المنطق^(١) ونظراً لأن هذا الشرح يوضح بقية حياته وكذلك يُعد نموذجاً لأسلوب إنشائه فإننا سنعرض جزءاً منه:

...أنا نادر بن بديع الزمان ميرزا الملقب بصاحب الاختيار، يصل نسبي إلى فتحعلي شاه الجد الأول، وإلى نادر شاه الافشاري الجد الثالث وإلى السلطان حسين الصفوي الجد الخامس^(٢)، وقد ظل أبي ثلاثين سنة كاملة حاكماً على إستر آباد وصحراء القبجاق وأمير أمراء جميع أفراد الحشم التركمان، وقد شاء المولى عز وجل أن استوطن في تبريز بعد وفاة جدي فتحعلي شاه، وبعد أن تجاوز عمري الخامسة والعشرين عملت بالوظائف الديوانية وحتى الآن ونحن في الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هـ.ق.

(١) كتاب "إصلاح المنطق" تأليف ابن سكيك (أبو يوسف يعقوب بن إسحق الخوزي الأهوازي)، نديم المتوكل الخليفة العباسي ومعلم أبنائه والمتوفى عام ٢٤٤ هـ.ق والذي قد شرحه الخطيب التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني المتوفى عام ٥٠٢ هـ.ق) وسماه "تهذيب إصلاح المنطق".

(٢) وفي موضع آخر: وأبي قائد الجند له أم تدعى شاهزنان بنت شاهرخشاه بن رضا قلي ميرزا بن نادر شاه الملك الإيراني الشهير القاهر وأمها فاطمة بنت الملك الشهيد السلطان حسين الصفوي الموسوي، وأنا أتباهي بهذا النسب إذ إن نسبي يصل إلى رسول الله (تاريخ تبريز، ص ٢٩٨).

سنة ١٨٨٢ م وعمرى بلغ السابعة والخمسين عملت طيلة السنوات حاكماً إما بالمشاركة أو بالتبعية وعهد إلى بأكثر الوظائف الديوانية الصعبة، حتى بداية سنة ثيلان ثيل ١٢٩٨ هـ.ق [سنة الحية، السنة السادسة من التقويم التركى الشرقى] حيث إنه لسبب يطول شرحه تولى محمد رحيم خان نسقجي باشى الذى كان قد ترقى بضع سنوات إلى مدارج الاعتبار فى حضرة الملك الحاكم وحصل بدون استحقاق على لقب علاء الدولة ووزارة البلاط ومنصب رئيس الحرس ورتبة رئيس الغلمان وغيرها من المناصب، تولى حكومة أذربايجان وقيادة العسكر، وكنت قد عملت حاكماً على تبريز ورئيساً للمخازن، على الرغم من أننى قد علمت لدى وصولى أن هذا اللفظ الغليظ لن يكون هو الشخص الذى يمكن التوافق معه، وكنت أعرف أنه لم يكن مؤمناً بالإسلام ولم يكن يصلى أو يصوم قط، وكانت قسوة قلبه ذائعة الصيت فى الآفاق، ولكن نظراً لأننى كنت قد تورطت وانزلت قدمى فى العمل فإننى لم أستطع الاستقالة... كل ما حدث لى، كان هو اللعنة علىّ والتي ماثلت حادثة كربلاء، مع الفارق^(١)، وكل ما كنت قد جمعت فى هذه السبعة وعشرين عاماً من الأموال النقدية والمتاع والأثاث والكتب والأسلحة تعرض للسلب والنهب ولم يكن قد بقى شىء لكفى لولا أن أخذ بيدي ثمرة رسول الله صلى الله عليه

(١) ويقول فى موضع: واتجهت إلى الوظيفة الحكومية، منذ سن الخامسة والعشرين وقد مارست كل الوظائف الصغيرة والكبيرة وكان الله عز وجل قد شاء ألا أفعل السيئة قط، فقد أخذت الخراج وساهمت فى بناء المملكة وظلت الرعية سعيدة وراضية وكل هذا ضاع هباءً سنة ١٢٩٩ وعندما قيدونى مثل السفاحين لم يسأل أحد ما ذنب هذا الشيخ، (تاريخ تبريز، ص ٧٦).

وسلم الحاج ميرزا كاظم وكيل آذربايجان..^(١) ومن بين أملاكى التى نهبها مائتا كتاب من الكتب القيمة لم تكن توجد نسخ لها ولأن هذه النسخة^(٢) كانت سيئة الخط ومن الصعب فهمها فقد بقيت..

واليوم عصر الثلاثاء الثامن من صفر سنة ١٣٠٢ هـ تم بحمد الله مطالعة هذه الأوراق وبفضل الله تعالى وعون أئمة الهدى سلام الله عليهم نظر الأمير السعيد وارث التاج والعرش مظفر الدين ميرزا ولى عهد الدولة الإيرانية إلى أنا الغلام المسن بعين الرأفة والرحمة فعلا شأنى أول الأمر بمنصب ولقب كبير الندماء، ثم تشرفت بعد ذلك بالخطابة فى المراسم العامة، وبعد ذلك وفى السابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٠١ هـ صرت حاكم المدينة ومراقب السوق وزاد راتبى مائتى تومان أطال الله العظيم عمر هذا الظل لظل الله وزاده حشمة وجلالا.

حرره نادر. ونادر ميرزا الذى "كان من بين نخبة العصر انتقل إلى رحمة الله فى دار السلطنة تبريز بعد ظهر يوم الأربعاء العاشر من صفر المظفر سنة ١٣٠٣ هـ"^(٣).

(١) الحاج ميرزا كاظم وكيل اعتضاد الممالك (١٢٤٦-١٣٤١ هـ.ق) ابن ميرزا عبد الوهاب وكيل الطباطبائى أحد علماء وصلحاء تبريز وكان له على الدوام دور بارز فى الأمور الهامة، وكان ابنه الكبير إجلال الممالك من رؤساء الحركة الدستورية التحررية وشارك فى عضوية المجلس عدة دورات.

(٢) مخطوطة كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" والتى كانت مع نادر ميرزا، وطبقا للمعلومات التى يقدمها الحاج حسين آقا النخجوانى فإنها الآن فى مكتبة أخيه الحاج محمد النخجوانى.

(٣) هامش كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" ربما بخط الحاج ميرزا كاظم وكيل الرعايا اعتضاد الممالك.

- تاريخ تبريز:

"تاريخ وجغرافية دار السلطنة تبريز" كتاب قام بتأليفه صاحب الترجمة في آخر أيام حياته بناءً على رغبة حاجي ميرزا كاظم اعتضاد الممالك وردًا للجميل لفضله ومروءته التي كان قد رآها منه في كبوته عام ١٢٩٩ هـ.ق، وفي هذا الكتاب الذي كتب بمنتهى الدقة والتأنى والتعقل الشديد تم الحديث بالتفصيل عن بناء تبريز والموقع والمكان وعدد السكان وطبيعة الطقس والأحياء والقنوات والمساجد والجوامع والمقابر والمزارات والأبنية والآثار التاريخية لهذه المدينة والأحداث التي شهدتها حتى عام ١٣٠٢ هـ.ق (آخر سنة في أحداث الكتاب) من الحروب والسيول والزلازل وغيرها والأشخاص الذين حكموها من الطائفة الدنبلية وأمراء قراقوينلو وآق قويونلو والملوك القاجاريين، والأسر الكبيرة ومشاهيرها من القضاة والعلماء والمشايخ والأمراء والأعيان والكتبة والمحاسبين والشعراء الذين خرجوا من هذه المدينة والعادات والآداب ومراسم احتفالاتهم وعزائهم وأنواع الأشجار والفواكه والأطعمة، كما ذكرت في هذا الكتاب أيضًا فقرات عديدة من فرمانات ومنشورات الملوك السابقين والتي تحتوى بعضها على جوانب تاريخية، وفي نهاية الكتاب يعرض المؤلف موجزًا عن أصله وجنسه وترجمة حاله وتقرير شامل جدًا عن فتنة الشيخ عبيد الله الكردي (١٢٩٧ هـ.ق) وأسبابها وقصة حفر قناة السويس (١٢٨٦ هـ.ق) على يد دليسيبس^(١) الفرنسي وربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر.

(١) فيكنت فردينان دليسيبس، السياسي الفرنسي (١٨٠٥ - ١٨٩٤م) الذي تولى مهمة حفر قناة السويس وربط البحر الأحمر بالمتوسط سنة ١٨٦٩ م.

وقد راعى الكاتب "ألا يتحدث بشكل مبالغ فيه وألا ينقل من الروايات مثل سائر الكتاب إلا إذا كان الراوى من الثقة المحايدين وألا يدرج أيضاً شيئاً لا يصدقه العقل." وعلى هذا النحو فإن موضوعات الكتاب كلها محققة وموثقة بالأدلة والبراهين القيمة وأغلبها موضوعات شاهدها المؤلف بعينه أو سمعها من الثقة وأى موضع فيه شبهة خطأ أوشك فى صحة الأمر امتنع فيه عن التوضيح الكافى وعرض وجهة النظر^(١).

ومع أن الكاتب العالم لم يكن ينوى أن يتناول كتابه بالفارسية الخالصة، بل وأدرج فى مواضع كثيرة ألفاظاً وعبارات عربية عديدة بما يتناسب مع المقام إلا أن الكلمات جاءت سلسلة ومترابطة وجميلة وبوجه عام مطابقة لقواعد وأصول الكتابة الفارسية الصحيحة.

وقد كانت هناك نسخة مغلوبة وناقصة من هذا الكتاب فى يد ميرزا هدايت الله لسان الملك سبهر فكتب عليها مقدمة تفيد بأنه قد تلقى الأمر من مظفر الدين شاه بأن يتم بقية الكتاب منذ عام ١٣٠٢ هـ.ق فصاعداً، وحتى عصره "بدون المبالغات الشعرية والصعوبات الإنشائية واستعمال الألفاظ المتنافرة واستخدام الكلمات المنكرة وإنشاد الأمثال والأشعار والاستشهاد

(١) المصادر التاريخية المشهورة التى قد أشار إليها المؤلف أو أورد موضوعاً بشأنها هى: نزهة القلوب حمد الله المستوفى، تحفة النظار ابن بطوطة، ناسخ التواريخ مجلد القاجاريين، روضة الصفا ناصرى، أشكده آذر، سفر نامه ناصر خسرو، سياحتنامه شاردن، تذكره حشرى (سامى الأسامى)، عمدة المطالب فى الأنساب آل أبو طالب، تاريخ عالى آراى عباسى تاريخ جهانگیرى، تاريخ جهان نما (تركى)، تاريخ مصطفى سلانيكى (تركى)، تاج التواريخ، شرفنامه البديسى فى تاريخ الأكراد وغيرهم.

بالآيات والأخبار"، ولكن الحقيقة أنه لم يتدخل قط فى تحرير الكتاب أو إتمامه^(١) واكتفى فقط بإضافة هذه المقدمة المتكلفة والمزينة نفسها والتي لا يمكن مقارنتها أبداً بأسلوب تحرير الكتاب، وذكر معانى بعض الألفاظ الصعبة فى الهوامش، وقد طبع هذا الكتاب ابنه لسان السلطنة بعنوان "تاريخ وجغرافى دار السلطنة تبريز" أو "جغرافىاى مظفرى" فى طهران بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٢٣ هـ.ق.^(٢)

وقد كتب نادر ميرزا أيضاً كتاباً بالفارسية فى أنواع الأطعمة والأغذية الإيرانية وطريقة طهى وتجهيز كل منها والمأكولات التى يفضلها الشعب الإيراني، وقد زين العبارات بالآيات والأمثال والأخبار والأشعار^(٣)، ومن

(١) والعجيب أن لسان السلطنة طابع وناشر الكتاب قد نسب كتابته لأبيه، مثلما يقول فى خاتمة الكتاب: "كتاب جغرافية دار السلطنة تبريز والمشهور باسم جغرافىاى مظفرى تأليف المرحوم الأمير نادر ميرزا وكتابة المرحوم آقا ميرزا هدايت الله لسان الملك، ملك المؤرخين والذى يقوم بطباعته لسان السلطنة ملك المؤرخين..

(٢) وبعد سنوات علم أولاد المؤلف بأمر طبعه فجمعوا كل النسخ المطبوعة والتي كانت عند أسرة سيهر وصادروها ولكن توجد النسخة الأصلية للكتاب بخط المؤلف عند أسرته وأنا قد رأيتها قبل سنوات وقرأتها أكثر من مرة وفى سنة ١٣١٢ ش، وعندما كان حسين سميعى أديب السلطنة محافظ أذربايجان وكان يتولى رئاسة جمعية تبريز الأدبية، أخذ هذه النسخة من محمد آراسته الأمير المحتشم ابن نادر ميرزا وطلب أيضاً النسخة التى كانت فى المكتبة الحكومية، وقرر أن يطابق النسخ ويصححها بمساعدة أعضاء الجمعية وطبعها بالحواشى والتعليقات وبعض الصور للأماكن والمساجد ورجال ورؤساء الأسر المعروفة التى مر ذكرها فى الكتاب، وللأسف لم تنجح هذه الخطوة بسبب تغيير مهمته.

(٣) كان هذا الكتاب حتى فترة سابقة فى أسرة صاحب الترجمة عند الأمير محمد ميرزا آراسته وأنا قد رأيته وقرأته.

مؤلفاته الأخرى مجموعة نفيسة في أمثال العرب^(١) وكتاب في علم النجوم ورسالة في تشريح أعضاء جسم الإنسان^(٢) باللغة العربية ، والتي لا توجد نسخة منها.

وفيما يلي بعض الأجزاء من تاريخ تبريز:

من مقدمة الكتاب:

أيها الصديق، لقد لاطفتي وكلفتني بالعمل في الوقت الذي أدركتني الشيخوخة وعجزت يدي وعيني عن العمل وأبيض شعري ويأست من الحياة، إن جرعتنا الأولى قد تذوقناها من الشراب المر لكن تحققت الآن ثمرة أصدق الوعود، ومع هذا فإن الطاعة فريضة على الموالى ولاسيما طاعة ذلك الرجل العظيم الفاضل حفيد عبد مناف، على الرغم من أن العمل الكتابي لم يكن هو حرفة أجدادي ولم تكن أسرتنا تعرف الإنشاء مطلقاً ولم يكن يتحدثون إلا عن السيف الهندي والسيوف اليمنية والجبال والوديان والحقول والصحارى الممهدة، ولكن عندما أمرتني أنت أيها الشهم بهذا، عادت إلى مكانها الطبيعي تلك البسطة التي كان الله تعالى قد منحني إياها في العلم والجسم في مرحلة الشباب لأن ذلك المولى جده في الحقيقة هو أمير المؤمنين على عليه السلام وهو لا يرضى ألا يبلغ حفيده أمله، وسوف تهل النفحات والإمدادات في كل لحظة وأنا سوف أنهى هذا الكتاب بعون الله تعالى كما كنت تريد، ولن أجد أية مشقة في هذا الأمر الذي تلقيته منك وفي هذا الكلام

(١) ذكر محمد على تربيت اسم هذا الكتاب "توادر نادري" في "دانشمندا آذربايجان" أي علماء آذربايجان .

(٢) كانت نستختها عند محمد على تربيت مؤلف "علماء آذربايجان" ولا تزال.

الذى أكتبه ولن أوفيك حقك ولو جزءًا من تلك الشهامة والمروءة التى أظهرتها معى فى كبوتى عام ١٢٩٩ لأن روحى كانت قد ضاعت هدرًا ولكن بفضل الله تعالى عفوت أنت عنى، والآن عقدت العزم ولجأت إلى الله خالق الكلام وطلبت منه أن يحل عقدة لسانى، ونسيت تلك المشقة التى رأيتها فى الحياة وتذكرت هذه الأبيات العربية الثلاثة لابن الألوسى، وأدرجتها هنا:

ومكابر الزفرات موصدة	يلتد خوف القتل بالشلل
صرف همومك تنتدب هممًا	بالرمى موقوفًا على ثعل
والليلة الميلاد مفرحة	تنسى الحوامل أشهر الحبل

.....وأسفاه فقد رحل ديننا الآن ولم يبق منه سوى الاسم فقط وحتى الاسم سيمحى هو الآخر خلال فترة وجيزة، فأعداء هذه الشريعة قاموا فى أول الأمر بالضحك على جهلائنا فقالوا لهم فيم تفيد اللغة العربية وأية حاجة لهذه اللغة فى العالم، إذن لا ينبغى تضييع العمر الغالى فى تعلم العربية، وبعد ذلك خدعوا جهلاءنا بأن قالوا لهم إن هذا القرآن نفسه ما هو إلا ديوان جمعه محمد من التوراة والإنجيل، وسمعه من الرهبان والأخبار بعد أن سافر إلى الشام، إذن من أين جاء تحريم الخمر وكيف يقال إنها نجسة وهى مفرحة للروح، وأين الجنة، وما هى جهنم؟! إن الرجل العاقل هو الذى لا يبيع النعمة العاجلة بالوعود الآجلة، وهؤلاء كانوا هم أنفسهم الشياطين الذين ضللوا الناس، وكل الكتب التى كانت بين أيدينا وفى بلادنا توجد الآن فى المدن الأوروبية، ولم يكن هناك من ينصح جهلاءنا ويظهر حقيقة هذا الدين ويقول للمدعى - إننا سندع الكلام والأحاديث جانبًا فتأكد من كلامك فهذا قانون قد وضعه محمد بن عبد الله، فأى قانون أفضل من هذا؟ لقد أمر بالعفة

والتدين والصدق ومدح الجود والشجاعة والقناعة والمواساة وأوصى بصلة
الرحم والمروءة والحياء والحلم، فقل لى أى منها صفة قبيحة؟ إن الإسلام
بهذه الصفات قد تغلب على سلطنة العجم التى دامت أربعة آلاف سنة،
وزلزل أرض أفريقيا وأسبانيا وحتى أرض فرنسا تحت سنايك خيول فرسانه،
ولكن أمتنا نائمة ولن تستيقظ أبداً لأن الأعداء قد خططوا لتدمير هذه الشريعة
وخرج الأمر من اليد، فأفراد أمتنا الآن قد نسوا الدين الأحمدى فجاء
ووضعوا دينين: الدين العلوى والدين العمرى (الشريعة والقانون الوضعى)
وأصابوا هذه الأمة العظيمة بالشتت والاضطراب، فأين ذلك الرجل الذى ينبه
جميع المسلمين ويقول لهم لا شأن لكم بعلى وعمر، وأيا كان من يستحق
الخلافة منهما فيجب علينا اتباع محمد صاحب هذه الشريعة ورفع رايته
وتعلم كلمة الإسلام. وهذا الكلام لا ينتهى وإلى الله المشتكى...

حكاية: كنت فى تبريز سنة ١٢٦٥ هـ، وذات يوم ركبنا أنا ووكلاء
الأمير محمد رحيم ميرزا^(١) وذهبنا إلى الناحية الأخرى لنهر آجى من أجل
النزهة وكان معنا الصقر والنسر، فقد قالوا إن فى تلك الناحية طيور الحبارى
وصغار الغزلان، وحدث أننا ابتعدنا نحن الصيادون، ولم يكد يمضى جزء
من الليل حتى وصلنا إلى جسر النهر فظهرت أضواء كثيرة من فوق الجسر
من ناحية المدينة وعلت أصوات الضوضاء، فقلنا ربما شب حريق وذلك
الضوء بسببه وهذه الضوضاء لأنهم تجمعوا لإطفاء الحريق، فانطلقنا
بسرعة، فوصل عدد من حرس الأمير، وهأنأنا بأن حضرة صاحب الأمر،
عليه السلام، قد أتى بمعجزة وأنهم قد أقاموا الزينات والاحتفالات فى المدينة

(١) محمد رحيم ميرزا ضياء الدولة، الابن التاسع عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة والجد
الأكبر لمؤلف هذا الكتاب.

والسوق، فسألنا وماذا كانت هذه المعجزة؟ فقالوا إن جزاراً كان يسحب بقرة لكي يذبحها فأبدت البقرة قوة شديدة وقطعت الحبل وزحفت إلى المسجد والمقام، فتحرك الجزار إلى هناك وحمل حبلاً قويا ووضعها حول رقبة البقرة وسحبها إلى الخارج وأخذ يجرها بصعوبة شديدة، وفجأة سقط ومات... فتحركنا على وجه السرعة، ولما اقتربنا من ميدان صاحب آباد سمعنا صوت طبل وبوق النوبة، ووصلنا إلى السوق فوجدنا الدكاكين كلها مزينة ومقراً للصلوات وأهل السوق يهتفون بعضهم البعض على أن تبريز صارت المدينة صاحبة الأمر وأعفيت من الضرائب ومن حكم الحكام، فقد أصبح الحكم من بعد الآن لصاحب المقام، فتوجهنا إلى تلك الناحية فوجدنا المسجد والمقام والمكان كله في غاية الزينة، والجماليات فوق الأسطح أخذن في دق الطبول، فسجدنا هناك وانتقلنا إلى الحضرة وكان قد جلس الحاكم حشمت الدولة^(١)، كيف كان يستطيع أن يتنفس!، وفي اليوم التالي أيضاً أخذوا يضربون النوبة حتى العشاء وتجمع الناس من كل صوب وحذب فلم يكن هناك موضع لقدم، وكان قد أخذ تلك البقرة السيد مير فتاح^(٢) وألقى عليها غطاء من النسيج الكشميري، وأخذ الأهالي يتدفقون ويقبلون قدم ذلك الحيوان ويخطفون قبعته من أجل التبرك، وأخذ الوجهاء والأكابر يندرون المصابيح والستائر لتلك البقرة، لدرجة أن السفير الإنجليزي أرسل نجفة بللورية فقام بتعليقها^(٣) هناك

(١) حمزة ميرزا حشمت الدولة الابن الحادى والعشرين لعباس ميرزا.

(٢) ميرفتاح، ابن ميرزا يوسف المجتهد التبريزي، وهو الشاب الشرير والأنانى نفسه الذى أحضر الجنود الروس إلى تبريز بقيادة الجنرال جورجى يوسفيتش أريستوف (١٧٦٠ - ١٧٦٣م) وقد ذكره قائممقام فى منشأته بعنوان "الفتاح غير العليم".

(٣) قام ميرزا تقى خان أمير كبير باحتجاز كبار ملاكى تبريز ومن بينهم شيخ الإسلام وطلب من القنصل الإنجليزي أن يعتذر لإيران وألا يتدخل بعد ذلك فى ما لا يعنيه،

الخدم والفراشون وأخذ أهالى الأقاليم يتدفقون فوجاً فوجاً مع الدليل من أجل الزيارة، وكل يوم يتحدثون عن معجزة جديدة مثل إيصار الكفيف الفلانى ونطق الأخرس العلانى وشفاء قدم الأعرج الفلانى، وأخذ بعض الأعيان فى نشر هذا الأمر بشدة ولم يكن أحد يستطيع إنكار هذا الأمر لمدة شهر، وكان العامة من الناس كان كل منهم يفعل ويقول ما يشاء، ولم تكن قد بقيت شعرة واحدة على جسم البقرة فقد انتزعوا شعرها كله، وقد رأيت شخصاً من أولاد أعيان تبريز وكان عنده ضعف فى البصر فظل لمدة شهر جالساً فى إحدى غرف المسجد عليه يشفى، حتى ماتت البقرة قضاءً وقدرًا، فأبعدوها قليلاً عن الديوان وأحدث الناس جلبة وظلوا يتوافدون لفترة طويلة وكان السيد قد أرسل جماعة ذات يوم إلى تلك البقعة فوجدوا الأهالى تعساء تماماً. وكان هذا فى سنة ١٢٦٥هـ.

كان لدى [التبريزيين] فى العصر السابق طرائف تستحق المشاهدة كانت إحداها لعبة الذئب، والميدان الذى كانوا يقومون فيه بهذا الأمر ، لا يزال موجوداً الآن فى مكانه ويسمونه "قورت ميدانى"^(١).

فقد كانوا يأخذون الذئاب الذكور وهى فى سن صغيرة ويربونها، وكانوا يقيمون صراع الذئاب فى كل حى عدة أيام فى السنة، فقد كانوا يحضرون ذئباً مفترساً من كل حى وكان أنصار الذئبين المتحاربين يحضرون مسلحين، وكانت الذئاب تهجم على بعضها البعض وكل منهم

لم تات معجزة بعد ذلك من بقعة صاحب الأمر (فريدون آدميت، فكر آزادى، طهران، ١٣٤٠ ش، ص ٥١).

(١) بمعنى ميدان الذئاب والذى كان يقع فى حى سرخاب.

يضغط على الآخر بفمه المكمم ويحتضنه ويعصر عظامه وكانت الضوضاء تملأ من كلا الجانبين، فتلك الجماعة تقول إن ذئبنا يصارع جيدًا والجماعة الأخرى تمدح ذئبها فيتطور الأمر ويتحول الكلام إلى معركة حامية وأحيانًا كان يسقط مائة شخص ما بين قتيل وجريح وقد وصف الملك العظيم الشاه عباس هذا الأمر بأنه عادة قبيحة.

حكاية:

سمعت أن شيخاً عمره مائة عام قالوا له إن ذئب الحى الفلانى قد مزق أمعاء ابنك الشاب، وأن ابنك قد مات، فقال: أخبرونى هل صار ذئبنا بصورة جيدة أم ذلك الذئب الآخر؟ فقالوا: إن ذئب حينا قد صار جيدًا، فقال: إن موت الابن هين!

.....ومن تهورهم [التبريزيين] أنهم يبدأون الخروج والتجول فى سن الخامسة عشرة، يعلقون فى وسطهم خنجرًا داغستانياً يُسمى "قمه" ويشدون الحزام على وسطهم بقوة ويربطون آخر زرّين من الأزرار البارزة بالسترة، ويلبسون فى أقدامهم الحذاء الذى يشبه الخف الأصفهاني أو الحذاء اليمنى، وهؤلاء هم صبي البقال وصبي العلاف وصبي بائع الفواكه المجففة والذين يذهبون وقت السحر ويبحثون عن الخضروات والعنب والفحم والزبيب أو الزيت واللبن والحطب وعندما يصلون إلى ذلك المكان يتحدثون مع بعضهم البعض بأسلوب فظ فى أمر ملكية الأحمال ويسحبون القمة وكل منهم يريد أن يشتهر بهذه الطريقة، يُقال إن فلان شاب ماهر وعلامة ذلك أنه يترك بعض الشعر على شحمة أذنه ويرتدى قبعة مدببة الطرف ثم يعطوا شأنه ويلتف حوله اثنان أو ثلاثة من العاطلين المتسكعين فيضطروا لأن يسرق ويخطف أمتعة الناس فقد كان لابد وحتماً أن يأكلهم الدهن والحلوى ويأخذهم

إلى مطعم الأرز ويُجلسهم على المقهى، وكثيراً ما يعجب أولاد التجار بفتوته ويعطونه من مال آبائهم وهو أيضاً يعد نفسه رستم واسفنديار، ولهذه الطائفة شهرة ومكانة فى هذه المدينة، وقد كانت من العصر القديم....

عندما يهل شهر الله تُفتح أبواب المساجد ويظهر فى كل منها إمام وواعظ ويمسك الناس بالمسابع ويذهبون إلى المساجد حتى اليوم الرابع والعشرين: بعد ذلك لا شىء إطلاقاً حتى يصل العام التالى، وفى شهر رمضان تظهر فى السوق القُدور الضخمة بلا غطاء والتي تسمى "تيان" أى القزان وفيها يطهون الرشيدية المصنوعة من دقيق القمح ويُسمى لقمة العزيز وهم يحبونها جداً ويُرسل إلى العروس ما يليق من هذه الرشيدية، وكل الناس يشترون منها، ولما يحين وقت الظهيرة يعلقون على دكان الرشيدية المناديل الجميلة الملونة التى أعطاها لهم المشترون، وكل رجل لا يحضر الرشيدية مرة أو مرتين فى هذا الشهر لا يؤدى حقوق الزوجية، وعندما يحضر الرجل هذه الرشيدية إلى البيت تفرح المرأة وتقابله بوجه طلق وتنثر عليها قليلاً من الماء وتهرسها حتى تلين ثم تضيف إليها عصير العنب وترش عليها قليلاً من الزنجبيل المدقوق وتخلطها بعين الجمل المطحون وتصبح عجينة من الحلوى فيأكلونها بنهم وشراهة ويعدونها أفضل ملاذات الدنيا، وهم يضعونها فى قصور العظماء بمحلول السكر واللوز والحبهان والزنجبيل، والمشترون وأصحاب الذوق من النساء يحتفظون بالرشيدية ويأكلونها بعد رمضان وهذه هى صفة ست البيت الماهرة، وعندما ينتهى رمضان تغلق محلات الرشيدية ولا تفتح إلا فى العام التالى ويتحسر الناس قائلين: متى يصل رمضان حتى نأكل الرشيدية.

٦ - الطسوجى:

أثر الأسلوب البسيط فى الكتابة الذى كان قد بدأ من البلاط وعلى يد كُتَّاب وربائب البلاط، أثر تدريجياً فى المؤلفين والكُتَّاب الآخرين. ومن الأعمال الأدبية المهمة جداً التى تمت فى آخر سلطنة محمد شاه وبداية حكم ناصر الدين شاه، ترجمة ألف ليلة وليلة العربية إلى الفارسية.

ومترجم هذا الكتاب هو ميرزا عبد اللطيف أحد أهالى طسوج بأذربايجان وكان يسكن فى تبريز، وقد خرج من إحدى الأسر المشهورة بالعلوم الدينية وتعلم الفارسية والعربية والعلوم الدينية، ودخل فى زمرة علماء الدين وأهل المنبر وتعهد بتعليم وتربية الأمير ناصر الدين ميرزا ولى العهد بناءً على أوامر محمد شاه، وحصل على لقب الملا باشى [رئيس معلمى البلاط] مع أنه كان هناك ملا باشى آخر فى تبريز فى ذلك الوقت، ولما سافر للحج وعاد اشتهر بالحاج ملا باشى. وبعد فترة وفى عام ١٢٦٤ هـ.ق توفى محمد شاه وحضر ولى العهد إلى طهران مع ميرزا تقى خان أمير كبير، وقد كان الحاج ملا باشى وولده الحاج ميرزا محسن خان مظفر الملك فى الركاب خلال هذا السفر ولماً وصل موكب الشام إلى قزوین حصل الحاج ملا باشى من أمير كبير على إذن زيارة العتبات المقدسة بحجة الشيخوخة وأودع ولده عند الشاه وسافر هو إلى العتبات وظل معتكفاً سنوات فى النجف وتوفى هناك وقد كانت وفاته بالتأكد قبل عام ١٢٩٧ هـ.ق^(١).

(١) محمد جعفر محجوب، ترجمة ألف ليلة وليلة الفارسية (مجلة سخن الدورة ١١، العدد ١).

- ترجمة ألف ليلة وليلة:

نقل الطسوجي كتاب ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية في عام ١٢٥٩ هـ.ق بناءً على أوامر الأمير بهمنى ميرزا بن عباس ميرزا نائب السلطنة وقام ميرزا سروش شمس الشعراء الأصفهاني بإعداد أشعار فارسية بدلاً من أشعارها العربية^(١)، وقد طُبِعَ هذا الكتاب أول مرة طباعة حجرية في تبريز عام ١٢٦١ هـ.ق بخط ميرزا علي الخطاط^(٢).

وقد تمت الترجمة فيما يبدو وفقاً للنسخة المطبوعة في مطبعة بولاق^(٣) و "هي تعد من الآثار الفارسية البديعة من حيث فصاحة الكلام وحسن التعبير وسلاسة الألفاظ"^(٤)

- مقدمة المترجم على ترجمة ألف ليلة وليلة:

..... من عادة الحكماء أن يتحدثوا تارة في شكل الأسطورة وتارة على لسان الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، والهدف من هذا كله هو السوْعظ والحكمة، ولكنهم يستخدمون هذه الحيلة، كي يستميلوا كافة الطبائع إلى أقوالهم فيقرأها الناس على سبيل الحكاية ويتعلمونها بسهولة ثم يتفكروا فيها. بعد ذلك تكون عندهم بمثابة خزانة الحكمة النفيسة وكنوز المعرفة الغالية. ... وقد تم سرد ألف ليلة وليلة على هذا المنوال أيضاً وذكرت عدة عجائب عن أحوال السابقين و عدة غرائب كحكايات على لسان الحيوانات، وأدرجت أشعار بديعة

(١) يمكن الرجوع إلى شرح أحوال شمس الشعراء سروش الأصفهاني في الكتاب نفسه.

(٢) وبعد ذلك طُبِعَ عدة مرات طباعة حجرية ورصاص في طهران وتبريز وبومباي.

(٣) ألف ليلة وليلة، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٥١ هـ.ق (١٨٦٣م).

(٤) خطاب على أصغر حكمت بتاريخ ٢٨ بهمن ١٣٠٨ في الجمعية الأدبية الإيرانية:

وقد طُبِعَ هذا الخطاب مع تعديلات الخطيب نفسه في مقدمة ألف ليلة وليلة (طهران،

١٣١٥ ش، مطبعة كلاه خاور، المجلد الأول).

وطرائف جميلة حيث إن نواذرها تفيد الندماء وأشعارها تزيد الأدباء بلاغة ولهذا السبب يرغب الخاص والعام في قراءتها وسماعها، لكن نظراً لأن فهم اللغة العربية يقتصر على أهل الفضل والأدب ولم يكن قد قام أحد بترجمة هذا الكتاب البليغ إلى الفارسية حتى عهد دولة وسلطنة محمد شاه الغازی بحيث يتمكن الجميع من الاستفادة منه، لذلك قام شقيق الملك ذو الشأن الرفيع وحاكم كل ممالك أذربايجان بهمن ميرزا أحسن أولاد ولي العهد المرحوم عباس ميرزا ابن السلطان فتحعلي شاه.

- الذى يشترك فى الأصل من الناحيتين مع ملك الدنيا

هو أصل المجد ومدلل أهل الفضل

- الأمير العادل عضد الدولة والدين محمود الخصال وممدوح السيرة

قام باستدعاء العبد الضعيف، عبد اللطيف التبريزى إلى بلاط ملاذ الخلائق وأمرنى بنقل هذه النسخة البديعة من العربية إلى الفارسية التى تعد أحلى اللغات، وطلب من أفصح الشعراء وأبلغ الفصحاء وملك الكلام ميرزا سروش بأن يكتب بدلاً من الأشعار العربية أشعاراً فارسية من كتب الشعراء بما يتناسب مع المقام وطلب منه كذلك أن ينشد بنفسه أى شعر متعلق بقصة أو مرتبط بحكاية ، فربطنا نحن العبيد حزام الطاعة وثمرنا ساعد الخدمة راجين أن تتم هذه الخدمة بعون الله وتوفيقه وتلقى قبول بلاط الأمير صاحب العظمة والجاه.

صفحة من ألف ليلة وليلة ترجمة الطسوجى:

روى أنه لم يكن هناك من بين الخلفاء العباسيين خليفة أكثر علماً من المأمون حيث إنه كان متبحراً فى جميع العلوم وكان يعقد مجلس مناظرة العلماء يومين كل أسبوع، وكان الفقهاء والمتكلمون كان كل منهم يجلس على حسب درجته، وكان المأمون قد جلس ذات يوم مع الفقهاء والمتكلمين، فدخل

المجلس رجل غريب يرتدى ثيابًا بيضاء بالية وقديمة وجلس أدنى من جميع الحاضرين، وبدأ الفقهاء فى الكلام وقاموا بحل القضايا والمسائل وكان من عادتهم أنهم كانوا يعرضون المسألة على كل أهل المجلس واحدًا واحدًا وكان كل منهم يذكر طرفة أو نكتة على حسب ذوقه واختياره، وفى ذلك اليوم طرحوا مسألة وعرضوها على كل الحاضرين حتى جاء الدور على ذلك الرجل الغريب، فبدأ ذلك الرجل فى الكلام وكان رده أفضل من رد الفقهاء فصدق الخليفة كلامه وأعجب به وأمر بأن يجلس فى مكان أعلى من ذلك المكان الذى كان قد جلس فيه، إلى أن جلس بالقرب من الخليفة ولما انتهت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وقد خصه الخليفة بالملاطفة والاهتمام ووعدته بالإنعام والإحسان، وبعد ذلك أعدوا مجلس الشراب وطلب الخليفة الندماء، ودار كأس الخمر ووصل إلى ذلك الرجل، فهب من مكانه فى الحال وقال: هل يأذن لى الخليفة فى أن أتكلم، قال الخليفة: قل ما تريد فقال ذلك الرجل: لقد تبين للخليفة أننى كنت اليوم أدنى الناس فى المجلس فرفعتنى خليفة الزمان وقربنى منه بسبب قدر من العلم ظهر منى وأجلسنى فى الدرجة الأعلى والآن يريد أن يفصل بينى وبين هذا القدر الضئيل من العلم حتى أهبط من العزة إلى الذلة ومن الكثرة إلى القلة، حاشا أن يحسدنى خليفة العالم على هذا القدر الضئيل من العلم ولكن الرجل عندما يشرب الخمر يزول عقله ويقترب الجهل منه ويذهب الأدب عنه ويسقط من نظر الناس، وأنا أرجو من الخليفة سديد الرأى ألا يأخذ منى هذه الجوهرة الثمينة.

وعندما سمع الخليفة المأمون هذا الكلام مدحه وأجلسه فى مرتبته العالية هذه وزاد فى توقيره وتعظيمه ومنحه مائة ألف درهم وخلعة فاخرة، وظل يجلسه بجانبه دائماً فى مجلس المناظرة.

التتمة

مقدمة

إذا تجاوزنا الحركة الأدبية في القرن الثالث عشر الهجرى من بداية تشكيل الأسرة القاجارية حتى نهاية عهد ناصر الدين شاه، وما أظهرته من تطور تدريجى ونسبى فى هذه المرحلة من تاريخ الأدب فى إيران فإننا سنتناول أحوال وآثار عظماء النظم والنثر الفارسى. الآن قبل شرح الظواهر الحديثة التى ظهرت منذ أوائل عهد ناصر الدين شاه، مع نفوذ الحضارة والثقافة الغربية فى الأدب الإيرانى التى تتصل بالتاريخ الأدبى لفترة الثورة الدستورية، نعرض باختصار بعض المؤلفات التاريخية والدينية والفلسفية وكتب التذاكر والتراجم التى كتبت فى القرن الثالث عشر الهجرى. ومن هذا القبيل رسائل ومؤلفات مع أنها ليست أدبية صرفة إلا أنها توضح جانباً من التاريخ الأدبى للقرن الماضى، لا نستطيع إغفاله.

١ - كتب التاريخ:

نرى من بين الكتب التاريخية التى كتبت حتى عهد الدولة الصفوية، مؤلفات مثل (تاريخ البيهقى وزين الأخبار الجرديزى وعالم آراى عباس) والتى قصد مؤلفوها كتابة تاريخ وليس إظهار فضل وكمال. أما كتب التاريخ بعد عهد الدولة الصفوية مثل كتاب (دورهء نادره) تأليف ميرزا مهدى خان الاستر آبادى، كاتب نادر شاه، ومع أنه يمكن استخراج معلومات مفيدة من تلك الكتب التاريخية، إلا أنها بصورة عامة مملوءة بأساليب معقدة غير

واضحة وبتعبيرات مبهمة، كما أنها تحفل بمفردات مهجورة وعبارات استعلائية مما قللت إلى حد كبير من أهميتها التاريخية. والعيب الآخر أن كتب التاريخ تلك ينحصر تأريخها على تاريخ السلاطين وأولادهم والأمراء وأنها ليست تأريخاً لتاريخ الأمة والشعب الإيراني، بل إنها حسبما قال براون تقويم قاس لسفك الدماء والجبايات والاعتداءات التي يمكن بصعوبة الوقوف على موضوع عام قيم منها"^(١).

مآثر سلطاني: (المآثر السلطانية)

يبدو أنه أول كتاب ألف في تاريخ الأسرة القاجارية وهو كتاب جيد من تأليف عبد الرزاق بيك الدنبلي.

عبد الرزاق بيك المتخلص بمفتون من علماء أذربايجان وأدبائها، وهو ابن نجفقلبي بيك^(٢) بيكلربيكى. حاكم تبريز، ولد في عام ١١٧٦ هـ.ق. في مدينة خوى، وحين كان في العاشرة من عمره أسر وأخذ رهينة بدلاً من أخيه الأكبر، فضلعلبي بيك^(٣) وأصبح رهينة في شیراز عند كريم خان الزندى وحمل إلى شیراز ووضع تحت المراقبة لمدة أربعة عشر عاماً حتى قام على مرادخان بالثورة على صادق خان شقيق كريم خان واستولى على شیراز وأرسل الرهائن الذين كانوا في أذربايجان إلى أصفهان. وفي الرابع عشر

(١) براون: تاريخ أدبيات إيران از آغار عهد صفويه تا زمان حاضر: ترجمة رشيد ياسمى ص ٣١٥.

(٢) جرح في قمه في زلزال عام ١١٩٣ هـ.ق الذي ضرب تبريز وتوفي في عام ١١٩٩ هـ.ق.

(٣) من تلاميذ رشيد درويش عبد المجيد طلقاني وواحد من أساتذة خط الشكسته توفي في زلزال تبريز.

من ربيع الأول ١١٩٩ هـ. ق توفي على مرادخان ووصل آقا محمد خان القاجارى إلى أصفهان، وأرسل سجناء آذربايجان ، وقد كان عبد الرزاق بيك واحداً ممن أرسلوا إلى آذربايجان. وهناك استكمل عبد الرزاق بيك اطلاعاته وتأليفاته حتى حصل فى أثناء حكم عباس ميرزا نائب السلطنة على منصب المستوفى والعمل فى الحسابات الديوانية وقام بالحج عام ١٢٤١ هـ. ق، وفى عام ١٢٤٣ هـ. ق توفي فى مدينة تبريز عن عمر سبعة وستين عاماً.

تاريخ مآثر سلطاني (المآثر السلطانية) (١):

كتاب تاريخ المآثر السلطانية يشتمل على وقائع فترة حكم فتحعلى شاه من تاريخ توليه الحكم حتى عام ١٢٤١ ق. و هذا الكتاب مع أنه كتب بعبارات غامضة إلا أنه مفيد فى التعرف على بدايات الأسرة القاجارية. وكان الكاتب قد أراد وبناء على قوله "أن يدون بدايات أحوال الخاقان الذى لا شبيه له بعد هذا التاريخ فى مجلد آخر ويرسله للطباعة حتى يستفيد منه القراء". لكنه لم يوفق فى تنفيذ ما نوى.

تاريخ نو (التاريخ الحديث):

بعد ذلك استكمل جهانكير ميرزا، الابن الثالث لعباس ميرزا كتاب تاريخ عبد الرزاق دنبلى وأخرج كتاب باسم تاريخ نو والذى يشتمل على الأحداث اعتباراً من عام ١٢٤٠ هـ إلى أوائل عام ١٢٦٧ هـ.

كان جهانكير ميرزا رجلاً قوياً وفصيحاً وشجاعاً وفى بداية شبابه كان حاكماً لخوى وسلماس وقائداً لجنود هذه المنطقة من قبل والده. وكان

(١) هذا الكتاب طبع تحت إشراف ملا محمد باقر التبريزى وطبع بمطابع الرصاص وذلك فى شهر رجب عام ١٢٤١ هـ. ق.

حاكمًا لأرومية واشترك في الحرب ضد المتمردين الأكراد والمعتدين العثمانيين وأيضًا في المرحلة الثانية من الحرب الإيرانية الروسية وفي نهاية الحرب الإيرانية الروسية كلف بتأمين حدود أردبيل وطالش وسواحل بحر الخزر وقلعة أردبيل. بعد وفاة فتحعلي شاه وقيام حركة محمد ميرزا من خراسان إلى تبريز واستقطابها لبعض الناس كان أكبرهم ميرزا أبو القاسم قائممقام، تم القبض على جهانكير ميرزا وأخوانه الثلاثة (خسرو ميرزا، أحمد ميرزا، مصطفى قلى ميرزا) في ربيع الأول عام ١٢٥٠ هـ.ق في جبل (باغمیشه) في تبريز بناء على أوامر الشاه الجديد، وتم سجنهم في قلعة أردبيل وفي المكان نفسه في ليلة الخامس عشر من رجب عام ١٢٥٠ هـ.ق تم سمل عيني جهانكير ميرزا وأخيه خسرو ميرزا.

وبعد عام ونصف، كان قائممقام قد قتل، أشفق محمد شاه على هذين الأخين الكفيفين وسمح لهما أن يعيشا أحرارًا في (تويسر كان). وعاش جهانكير ميرزا خلال عهد محمد شاه في (تويسر كان وملاير) وهناك وبالرغم من أنه كان كفيفًا انشغل بتحصيل العلوم وفي هذا الوقت كتب كتاب تاريخ نو. بعد وفاة محمد شاه، استقدم خليفته ناصر الدين شاه عميه إلى طهران وأكرمهما وكان هذا في شوال عام ١٢٦٠ هـ.ق وبعد ذلك، ذهب إلى تبريز بنية الحج، وعندما وصل إلى (خوى) مرض واضطر إلى العودة إلى تبريز وتوفي هناك في عام ١٢٦٩ هـ.ق.

تاريخ نو أو تاريخ جهانكيرى حسب قول نادر ميرزا، يعد كما قلنا تكملة لتاريخ قاجاريه تأليف عبد الرزاق بيك دنبلى، وتاريخ نو يشتمل على أحداث ٢٦ عامًا وبضعة شهور من حكم الدول القاجارية أى العشر سنوات الأخيرة من فترة حكم فتحعلي شاه، الأربعة عشر عامًا لحكم محمد شاه

وسنتين إلا قليل من فترة حكم ناصر الدين شاه.

هذا الكتاب أملاه جهانكير ميرزا وليس فيه تميز من حيث الإنشاء وأسلوب الكتابة، بل إن جملة مقطوعة وتعبيراته مهترئة وعامية وأملاه خطأ في الغالب. لكن من حيث الموضوعات التي تتعلق بالستة والعشرين عامًا والقليل من فترة حكم الأسرة القاجارية فلا غبار عليه، وحتى من هذا الجانب أى فى ذكر الموضوعات رأى التبسيط والتفصيل وأيضاً عباراته سلسلة وخالية من التكلف، مما يميزه عن المآثر السلطانية. ونستطيع أن نرى موضوعات فى غاية الأهمية فى هذا الكتاب فيما يتعلق بالحرب الثانية لإيران وروسيا وأحوال حاجى ميرزا آقاسى ومحمد خان أمير نظام وأمراء القاجارين وبداية حال ميرزا تقى خان أمير كبير وظهور الباب وغير ذلك وهى غير متاحة فى أى مصدر آخر^(١).

وقد وقعت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بتاريخ تحريرها الأسمى (أى عام ١٢٦٧هـ.ق) فى يد نادر ميرزا، مؤلف كتاب تاريخ تبريز، وتوجد تعليقات بخطه وإمضائه فى حواشى هذه النسخة هى التى هى قدمها ميرزا جعفر سلطان القرائى إلى عباس إقبال وبمقارنتها مع النسختين الأخيرين قام إقبال بطباعة الكتاب.

تاريخ جهان آرا:

ألف هذا الكتاب ميرزا صادق وقايع نكار المروزى عن أحداث

(١) مقدمة عباس إقبال أشتيانى لكتاب تاريخ نو، طهران شهر مهر عام ١٣٢٧ش.

عشرين عاماً من حكم فتحعلي شاه في مجلدين، المجلد الأول يشتمل على أحداث عشر سنوات من ١٢١٢ ق إلى ١٢٢١ ق والمجلد الثاني يشتمل على أحداث الأعوام من ١٢٢١ ق إلى ١٢٣٣ هـ.ق، وقد وصل المجلد الأول من هذا الكتاب إلى الشاه القاجارى فى عام ١٢٢٥ هـ.ق.

ناسخ التواريخ:

من كتب التاريخ التى كتبت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر مجلدات ناسخ التواريخ التى ألفها ميرزا تقى سپهر.

ميرزا محمد تقى لسان الملك الأول، والمتخلص بسپهر هو ابن ميرزا محمد على من أعيان كاشان. ولد فى كاشان عام ١٢١٦ هـ.ق ودرس أيضاً فى هذه المدينة.

يقولون إن سپهر نظم قصيدة فى مدح ملك الشعراء صبا وعندما أدرك ملك الشعراء صبا موهبته أعجب به وزوجه أخته وأرسله مع ابنه إلى كاشان. وظل ميرزا محمد تقى فى كاشان حتى وفاة ملك الشعراء وبعد وفاته أتى إلى طهران مع ابنه محمد حسين خان عندليب. وبعده مدة حدث خلاف بين ميرزا محمد تقى ومحمد حسين خان عندليب وعاد ميرزا محمد تقى إلى كاشان، والتحق ببلاط الأمير محمود ميرزا حاكم نهاوند وتوابعها ونظم ديوان مديح باسم "محمودة القصايد" وقدمه له فى بداية فصل الربيع عام ١٢٤١ هـ.ق (منتصف شعبان).

فى هذا العام نفسه أصبح محمود ميرزا حاكماً للريستان، وذهب سپهر أيضاً معه إلى خرم آباد وظل هناك إلى عام ١٢٤٢ هـ.ق بعد ذلك بعاد محمود ميرزا حاكماً لنهاوند وذهب سپهر أيضاً معه إلى نهاوند

وكان سيهر حتى عام ١٢٤٥ ق في بلاط محمود ميرزا. لكن في هذا العام نفسه سافر فتحعلي شاه إلى خوزستان ونرى سيهر في معية محمد تقى ميرزا حسام السلطنة شقيق محمود ميرزا الذى وصل إلى شوستر في معية فتحعلي شاه. في عام ١٢٤٥ ق حدث خلاف بين الأخوين (محمود ميرزا ومحمد تقى ميرزا) والذي أدى إلى الحرب بينها وضم الشاه لرستان إلى كرمانشاهان وعهد بحكمها إلى محمد حسين ميرزا حشمت الدولة وظل محمد تقى ميرزا في حكومة لرستان وأبقى محمود ميرزا في خرم آباد تحت الرقابة. وبوسيلة ما خرج سيهر من خرم آباد ووصل إلى طهران ويبدو أنه منذ ذلك الحين ترك خدمة محمود ميرزا وأقام في طهران.

وفى عام ١٢٤٨ ق كلف فتحعلي شاه يوسف خان سيهدار بحل الخلاف الذى وقع بين حسام السلطنة وحشمت الدولة ورافقه في هذه المهمة سيهر.

فى عام ١٢٥٠ ق ذهب سيهر إلى فارس في معية فتحعلي شاه، وحين توفي الشاه في أصفهان عاد سيهر إلى كاشان وبقي في كاشان طوال فترة النزاع الذى وقع بين مؤيدى السلطنة والمعارضين.

فى عهد محمد شاه، تم استدعاء سيهر إلى طهران وأسند إليه منصب الاستيفاء. وبعد تولى ناصر الدين شاه، أصبح حاكماً لكاشان وظل هناك حتى عام ١٢٦٧ هـ. ق وحين عاد ناصر الدين شاه من رحلته إلى أصفهان والعراق أتى إلى طهران في معية الشاه. وفى بلاط ناصر الدين شاه أضيفت إليه مهمة الإعلان عن قرارات الشاه وفرماناته وفى عام ١٢٧٢ ق. حصل على لقب لسان الملك، وبعدها أصبح عضواً في مصلحت خانة (أى

مجلس البلدية). وفي عام ١٢٩١هـ.ق تولى اعتضاد السلطنة رئاسة إدارة (عقد مجالس التنظيمات في ولايات المملكة المحروسة) وأصبح سيّهر المستوفى الأول وحصل على لقب (الخان المفتخر) إلى أن توفي في ربيع الآخر عام ١٢٩٧ هـ.ق في طهران.

وناسخ التواريخ كتاب في التاريخ العام في تسعة مجلدات ألفها ميرزا محمد تقى سيّهر لسان الملك الأول

بدأ سيّهر تأليف الكتاب عام ١٢٥٨هـ.ق بناء على أمر محمد شاه وتشجيع من حاجى ميرزا آقاسى وانتهى من كتابه الكتاب الأول في مجلدين في خمس سنوات ١٢٦٣هـ. و في عهد ناصر الدين شاه بدأ في تأليف تاريخ القاجاريين وأتمه في عام ١٢٧٤هـ ونال إعجاب الشاه، وبعد أن انتهى من ذلك بدأ في تأليف الكتاب الثانى من ناسخ التواريخ وألف منه ستة مجلدات. وعلى هذا النحو فإن كتاب ناسخ التواريخ لميرزا محمد تقى سيّهر مع تاريخ القاجاريين يقع في تسعة مجلدات^(١).

(١) الكتاب الأول، المجلد الأول، من هبوط آدم حتى ميلاد المسيح، المجلد الثانى، من ميلاد المسيح حتى الهجرة النبوية، الكتاب الثانى. المجلد الأول من الهجرة حتى وفاة الرسول في السنة الحادية عشر للهجرة، المجلد الثانى تاريخ الخلفاء الراشدين حتى عام ٣٥ للهجرة. المجلد الثالث شرح حال على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين (أمير المؤمنين) المجلد الرابع ذكر أحوال السيدة فاطمة الزهراء، المجلد الخامس أحوال الإمام الحسن المجلد السادس، أحوال الإمام الحسين وبقية مجلدات ناسخ التواريخ ألفها عباس قلى خان سيّهر الثانى المشير الأفخم ثانى أبناء ميرزا محمد

ولقد عانى سبهر كثيراً في كتابه مجلدات ناسخ التواريخ وقال الكونت جوبينو - (في أوروبا يجب تشكيل هيئة من عدة أشخاص لإتمام مثل هذا العمل)^(١).

تاريخ قاجاريه (تاريخ القاجاريين):

مع أن تاريخ القاجاريين أو تاريخ ناصري يذكر ضمن مجلدات كتاب ناسخ التواريخ إلا أنه في الحقيقة تاريخ مستقل في ثلاث مجلدات: المجلد الأول يشتمل على تاريخ تأسيس الأسرة القاجارية وشرح سلطنة آقا محمد خان وفتحعلي شاه والمجلد الثاني شرح سلطنة محمد شاه، والمجلد الثالث شرح العشر سنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه^(٢).

وكانت مصادر المؤلف في تأليف تاريخ القاجاريين عبارة عن ما سمعه وما شهدته وخواطره الشخصية وبعض الوثائق والكتابات الرسمية، وفي الواقع يعد هذا العمل تدويناً للأحداث أكثر منه كتاباً في التاريخ. ولأنه كتب بناء على أمر من الشاه والصدر الأعظم فإنه لا يخلو من المبالغات والأفكار التي تحظى برضا المسؤولين والمنافقين وكثير من الملاحظات الشخصية وكان المؤلف مضطراً في كثير من المواضع أن يغض الطرف

تقى سبهر .

- (١) كتبت كوينو؛ ثلاث سنوات في آسيا، ج ٢ ترجمة ذبيح الله منصوري، طهران.
- (٢) طبع تاريخ القاجاريين ثلاث مرات في أعوام ١٢٧٤، ١٣٠٤، ١٣١٥ هـ. ق وأخيراً في عام ١٣٢٧ ش تم طبعه وتصحيحه مع إضافة فهرس وحواشي تحت رعاية جهانكير قائممقامي.

عن شرح بعض الأحداث حتى أنه كان يحرف بعض الوقائع^(١). مع كل هذا فإن المؤلف كان قد أظهر في مؤلفه الوثائق والمكاتبات التي جمعت في البلاط من بداية الأسرة القاجارية، لذا يعد الكتاب من أهم مجلدات ناسخ التواريخ بل وأشمل كتب التاريخ عن الأسرة القاجارية. أما من حيث الإنشاء فإن تاريخ القاجاريين ومجلدات ناسخ التواريخ بها تركيبات وكلمات فارسية وعربية وأحياناً استخدم المؤلف كلمات مهجورة وغير مستصاغة وبشكل عام ليس للكتاب قيمة أدبية كبيرة.

روضة الصفا ناصري (روضة الصفا الناصرية) :

ومن بين كتب التواريخ التي كتبت في هذه الفترة كتاب روضة الصفا ناصري، تأليف رضا قلي خان هدايت المعروف بـ (الله باشي)، ومجمل الموضوع أن محمد بن جاوند شاه بلخي المعروف (ميرخواند)^(٢) مؤلف تاريخ روضة الصفا، كان قد ألف كتابه في ستة مجلدات ووصل إلى تاريخ انقراض التيموريين حوالي عام ثمانمائة وسبعين ونيف ثم أضاف رضا قلي خان إلى الستة مجلدات مجلد آخر وهو تاريخ حبيب السير تأليف محمد غياث الدين خواندمير^(٣) حفيد ميرخواند لابنته والذي شرح فيه تاريخ

(١) يقول كسروي في مقدمة تاريخ مشروطه: "إن هذا الرجل لم يكن صادقاً في النصيحة وأنه اتخذ التاريخ أداة للإطراء والنفاق... إن كل شخص يقرأ هذا الكتاب يدرك أن الكاتب كتب أشياء كثيرة كاذبة وفيها قدر كبير من النفاق والتجاوزات".

(٢) توفي عام ٩٠٣ هـ.ق.

(٣) توفي عام ٩٤١ هـ.ق.

السلطان حسين بايقرا وملوك القره قويونلو والـ آق قويونلو (عام ٩١٢هـ وبعد ذلك) وأسماء المجلد السابع. بعد ذلك كتب هو نفسه ثلاثة مجلدات والمجلد الثامن تناول تاريخ الصفويين إلى نهاية عهد نادر شاه والمجلد التاسع والعاشر خصصا لتاريخ الدولة القاجارية وفيه رصد لأحداث سلطنة الأسرة القاجارية حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه عام ١٢٧٤ق وأسمى مجموع هذا الكتاب باسم روضة الصفا ناصري وهذا الكتاب نفسه هو الذي انتقده ميرزا فتحعلي آخوند زاده.

كتب تاريخ أخرى:

لقد تحدثنا عن تاريخ تبريز، تأليف نادر ميرزا الذي يتميز بطابع أدبي مهم وخاص. تحدثنا عنه بشكل منفصل بالتفصيل، أما (منتظم ناصري) في التاريخ العام بمجلداته الثلاثة وسائر المؤلفات المنسوبة إلى محمد حسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة)، وزير المطبوعات في عهد ناصر الدين شاه وسوف نتحدث عنها ضمن ترجمة أحواله.

في نهاية هذه المقال سنتحدث عن كتابين في التاريخ كتابًا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر سلطنة ناصر الدين شاه وبداية فترة حكم مظفر الدين شاه):

صدر التواريخ: كتاب يشرح أحوال أحد عشر رجلاً من وزراء سلاطين الأسرة القاجارية، والذي ألفه محمد حسين فروغى وغلام حسين أديب بناء على توجيه من محمد حسن خان اعتماد السلطنة في عام ١٣٠٩هـ من أجل ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان. لم يطبع هذا

الكتاب حتى الآن وتوجد نسخة من هذا الكتاب فى مكتبة كلية الآداب بطهران، وتم نسخ نسخة بناء على أوامر الدكتور قاسم غنى من المخطوطة الخاصة بميرزا محمد خان ذكاء الملك وكانت تحت تصرف الأستاذ عباس إقبال الأشتياني.

أفضل التواريخ:

تأليف غلام حسين أفضل الملك المستوفى والذي يرجع نسبه إلى كريم خان الزندى^(١). ويتناول أحداث عهد مظفر الدين شاه جمع المؤلف وقائع كل عام من سلطنة مظفر الدين شاه وأخبار المملكة فى كتاب بناء على أمر مكتوب من مظفر الدين شاه. المجلد الأول من هذا الكتاب يشرح أحداث العام الأول من سلطنة مظفر الدين شاه، أى عام ١٣١٣هـ والذي أسماه (جلوس مظفرى)، والمجلد الثانى متعلق بعام ١٣١٤هـ وأسماه أفضل التواريخ، والمجلد الثالث خاص بأحداث عام ١٣١٥هـ، وهذا المجلد يبدأ بمراسم عزاء محرم عام ١٣١٥هـ، وموجود فى مكتبة أعزاز الثقفى، ابن الدكتور خليل خان أعلم الدولة، ويوجد هذا الكتاب فى مكتبة مجلس الشورى الإيرانى وفقاً لما صرح به جهانكير قائممقام.

وبصرف النظر عن ذكر كتب تاريخ كثيرة أخرى والتي توضح كل واحدة منها زاوية من أحداث هذه الفترة قلت أو كثرت سيحل اليوم الذى يظهر فيه رجال يستطيعون أن يسجلوا تاريخاً كاملاً وجامعاً لهذه الفترة المليئة بالحوادث من تاريخ إيران وسيتوفر ذلك بقراءة جميع تلك الكتب والمؤلفات التى ألفها السائحون والسياسيون الأجانب ويجمعون المقالات

(١) هو ابن مهدى، ابن على، ابن إبراهيم أنور، ابن كريم خان الزندى.

والمذكرات المتفرقة والموجودة فى النسخ المطبوعة أو الخطية لها والموجودة فى المكتبات والبيوت.

٢ - كتب التذاكر:

لا بد أن يكون قد ذكر من قبل أن كتب التذاكر الفارسية لا تحتوى كثيراً على معلومات عن الحياة الخاصة والأدبية للشعراء والكتاب وأن شخصية صاحب الترجمة ضاعت وسط عبارات مبهمه ومجاملات زائدة. ومع هذا كله فإن هذه الكتابات ذاتها إذا قرئت بالتوازي مع أعمال أقلام الشعراء والكتاب أنفسهم فمن الجائز أن تلقى ضوءاً على خصوصيات الحياة الشخصية والفنية لهم.

ويبدو أن أول تذكرة ألّفت فى بداية العصر القاجارى كانت "زينة المدايح" التى ألّفها محمد صادق هما المروزى التى دوت فى عام ١٢٢٣ق وتضم القصائد التى نظمت فى مدح فتعلى شاه خلال السبع سنوات الأوائل من حكمه.

والتذكرة الأخرى التى ظهرت فى تلك الفترة هى التذكرة التى ألّفها فاضل خان كروسى والمتخلص بـ (راوى) والمعروفة باسم (انجمن خاقان). أى (محفل الخاقان) ويرجع ذلك إلى أن فتح عليشاه كان قد أسس جمعية باسم "انجمن خاقان" وقد تكونت من فضلاء ذلك العصر وأدبائه ، كما تقرر أن تؤلف تذكرة كذلك تشرح أحوال علماء وشعراء البلاط. وقد بدأ تأليف هذا الكتاب أحمد بيك الكرجى المتخلص بـ (اختر) تلبية وتنفيذاً لأمر الشاه إلا أن عمره قد انقضى قبل أن يتم العمل^(١)، وأكمل العمل من بعده أخوه الأكبر محمد

(١) النسخة الوحيدة من هذا الكتاب والمؤرخة بتاريخ ١٢٢٧هـ.ق محفوظة فى مكتبة برلين.

باقر بيك الكرجي المتخلص بـ (نشاطي) إلا أنه قد توفي دون أن يتم العمل أيضاً بعد أن عمل فيه فترة، وأتم فاضل خان وكان عضواً بالجمعية هذا العمل في أربعة أعوام انتهت بعام ١٢٣٤هـ وكتب نسخ عديدة بخطه الجميل وأرسلوا نسخة إلى كل مدينة "ولكن هذا العمل لم ينل الشهرة المرجوة وبقيت غالبية تلك النسخ في هذا العصر مكتوبة بخط كتاب الديوان والخطاطين".^(١) ثم ألفت بعد ذلك كتب كثيرة أخرى في القرن الثالث عشر كانت تحوى كل واحدة منها على ترجمة لأحوال وأشعار بعض شعراء ذلك العصر وسنكتفى بذكر أسماء بعضها : تذكرة گلشن محمود^(٢) وسفينه محمود^(٣) نقل مجالس^(٤) تذكرة دل گشا^(٥) نگارستان دارا^(٦) تذكرة السلاطين^(٧) گنج شایگان^(٨) تذكرة محمد شاهي^(٩)

-
- (١) رضا قلي خان هدايت، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية ج ٤، طهران ١٣٣٩ش.
(٢) تأليف الأمير محمود ميرزا في شرح حال ومنتخب أشعار ٤٨ من أبناء فتحعلي شاه، ١٢٣٦هـ.ق.
(٣) المؤلف نفسه ويدور حول شعراء زمان فتحعلي شاه ١٢٤٠هـ.ق.
(٤) المؤلف نفسه ويدور حول الشعاعرات في ذلك العصر ١٢٤١هـ.ق.
(٥) تأليف ميرزا علي أكبر الشيرازي، المتخلص بـ (بسم) في ترجمة شعراء زمان فتحعلي شاه ١٢٣٧هـ.ق.
(٦) تأليف عبد الرزاق بيك مفتون في تراجم شعراء عصر فتحعلي شاه ١٢٤١هـ.ق.
(٧) تأليف سلطان محمد ميرزا سيف الدولة، ابن فتحعلي شاه، في شرح شعراء ذلك العصر مع أشعار لفتحعلي شاه ١٢٤٥هـ.ق.
(٨) تأليف ميرزا طاهر شعري (متوفى في عام ١٢٧٥هـ.ق) ابن الشيخ زين العابدين الأصفهاني وهو من أحفاد الشيخ زاهد الجيلاني والمجلد الأول لهذا الكتاب الذي كتبه المؤلف باسم ميرزا آقاخان الصدر الأعظم واعتضاد السلطنة، طبع في طهران عام ١٢٧٢هـ.ق.
(٩) تأليف بهمن ميرزا ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ١٢٤٩هـ.ق.

مدايح معتمد الدولة^(١)، مصطفى خراب^(٢)، تذكره قدسيه^(٣)، تذكره مجديه^(٤)، وتذكره انجمن ناصري^(٥).

مجمع الفصحاء ورياض العارفين:

من هذه التذاكر التي ذكرناها يجب أن تذكر مؤلفات أمير الشعراء رضا قلى خان هدايت. مجمع الفصحاء أفضل وأشمل التذاكر العامة فلقد جمع المؤلف في هذه التذكرة أكثر من سبعمائة شاعر من شعراء إيران مع منتخبات لأشعارهم، وقد استفاد في جمع مادة هذه التذكرة من التذاكر الأخرى. وقد طبع هذا الكتاب عام ١٢٩٥هـ في مجلدين في طهران^(٦) وأكمل هدايت هذا المؤلف المفيد بكتاب آخر باسم رياض العارفين، في شرح أحوال المتصوفة والصالحين مع منتخب من أشعارهم وطبع في طهران عام ١٣٠٥هـ، وأضاف أيضاً رضا قلى خان هدايت إلى الكتاب الثانى من ذيل روضة الصفا (المجلد التاسع) الذى أوصله إلى آخر عهد فتحعلى شاه، عدة صفحات خاصة بذكر أحوال أعيان الدولة والشعراء والعلماء وسائر رجال

(١) تأليف آقا محمد مذهب الأصفهاني المتخلص بـ (بهار) ويشتمل على ترجمة أحوال مائة ونيف شاعر من الشعراء الذين مدحوا منوتشهر خان معتمد الدولة (متوفى عام ١٢٦٣هـ.ق) والذي نظم قصائد وقطع وكان من رجال عهد فتحعلى شاه.

(٢) تأليف أحمد هولاکو في ترجمة شعراء معاصري فتحعلى شاه في إيران وخارج إيران، ١٢٥٣هـ.ق.

(٣) تأليف مدايح نكار إبراهيم بن ميرزا مهدي خان بدون تاريخ.

(٤) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣٠٣هـ.ق.

(٥) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣١٠هـ.ق.

(٦) تم تجديد طبع مجمع الفصحاء مرة ثانية خلال عامي ١٣٣٦، ١٣٤٠ ش في ستة مجلدات في طهران.

هذه الفترة العظام ويحوى أيضاً أموراً تتعلق بحياتهم والتي لم ترد في مجمع الفصحاء ورياض العارفين.

٣- كتب التراجم:

غير التذاكر التي ذكرناها ولا سيما التراجم التي تناولت أحوال الشعراء والكتاب، ألفت أيضاً في العصر القاجاري كتب عديدة تناولت بالشرح أحوال وآثار الرجال المعروفين من شعراء وكتاب وعلماء وفلاسفة وخطاطين ووزراء والتي هي في الواقع نوع من أنواع التذاكر أو قاموس للأعلام الإسلامية والإيرانية.

روضات الجنات:

روضات الجنات كتاب مفيد في أحوال العلماء والسادات، ويشتمل على تراجم لـ ٧٤٢ شخصاً من فضلاء وعلماء الإسلام والشعراء القدامى والجدد، ألفه ميرزا محمد باقر بن حاجي ميرزين العابدين الموسوي الخوانساري (١٢٢٦-١٣١٣هـ) وهو أحد أكبر علماء الإمامية وصاحب مؤلفات عدة. وقد ألف هذا الكتاب في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (١٢٨٦هـ) وطبع في طهران عام ١٣٠٦ هـ. كتب روضات الجنات باللغة العربية وهو أحد أفضل كتب التراجم.

قصص العلماء:

كتاب آخر من كتب التراجم هو كتاب قصص العلماء تأليف محمد بن سليمان تنكابني من فقهاء الأصوليين (١٢٣٥-١٣٠٢هـ) والذي ألف في ١٢٩٠ هـ، ويحتوي ذكر حوالى ١٥٣ عالماً من علماء الشيعة من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر الهجري وطبع هذه الكتاب مرات عديدة في طهران ولكن هذا الكتاب لا يرقى إلى كتاب روضات الجنات.

نجوم السماء:

كتاب آخر من الكتب التي كتبت في هذا المجال هو كتاب نجوم السماء تأليف محمد علي آزاد الكشميري الكنهوي بن محمد صادق والذي ألف في نفس عام تأليف روضات الجنات أي في عام ١٢٨٦هـ، ويشتمل على شرح أحوال علماء وفقهاء الشيعة في القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر الهجري (العصر الصفوي حتى أواسط العصر القاجاري) طبع المجلد الأول من هذا الكتاب في عام ١٣٠٣ هـ في لکنهو.

تذكرة الخطاطين:

هذا الكتاب تأليف ميرزا سنجلاخ في (متوفى عام ١٢٩٤هـ) والذي طُبع ونُشر في مجلدين كبيرين بخط جميل وطباعة فاخرة بين عامي (١٢٩١-١٢٩٦هـ) في تبريز. وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب أحوال الخطاطين ونماذج من كتاباتهم.

گنج دانش (كنز العلم) :

ألف هذا الكتاب محمد تقی خان بن محمد هادی خان المتخلص بـ حكيم عام ١٣٠٥هـ وهو تذكرة كاملة لأسماء الأماكن والبلاد الإيرانية والأحداث التاريخية والرجال المشهورين وبعض المعلومات المفيدة، ويقع في ٥٧٤ صفحة. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن المؤلف ذكر أسماء المراجع والمصادر التي رجع إليها واستفاد منها.

بستان السباحة:

مؤلف هذا الكتاب هو الحاج زين العابدين الشيرواني المعروف بـ (مستعلی شاه) والمتخلص بـ (تمکین) وهو ابن ملا إسکندر من عرفا

ودراويش فرقة نعمة الله، وكان الحاج زين العابدين مرشد جماعة من مشاهير هذه الفرقة. وبناء على قوله فإنه قد ولد في منتصف شعبان عام ١١٩٤ هـ في شماخي من مدن القوقاز، ابتداء من سن السابعة عشر ساح في إيران ومصر والشام والحجاز والدولة العثمانية والهند وأفغانستان وكشمير وبدخشان وتركستان وما وراء النهر وغير ذلك وعاش طوائف مختلفة ونقل في هذا الكتاب مشاهداته وما سمعه وأحداثاً تاريخية متفرقة وروايات وضمن الكتاب أيضاً يدرج شرحاً لأحوال بعض العلماء والعرفاء والفلاسفة والشعراء^(١).

وبستان السياحة معجم مرتب ترتيباً هجائياً في التاريخ والجغرافيا والهندسة والفلك وتذكرة الأولياء والعرفاء وشرح أحوال الشعراء والأدباء والفقه وعلم الأصول واللغة والآيات والأخبار والرمل والإكسير وتفسير الأحلام. ويوجد في هذا الكتاب كثير من الأخطاء والالتباسات والأكاذيب والحقائق كل هذا متداخل مع بعضه، لكن الشخص الذي يتمتع بالفطنة يستطيع أن يحصل منه على معلومات مفيدة. بعد ذلك سافر مؤلف هذا الكتاب إلى بلاد الترك وبلاد التاجيك، وعندما كبر في السن بدأ في الانزواء وأتم هذا العمل باسم محمد شاه قاجار في عام ١٢٤٧ هـ، وبعد ذلك عكف سيد عبد الله مستوفى لمدة عامين في مقارنة النسخ المتعددة، ومن جملة هذه النسخ النسخة التي كتبت في عهد محمد شاه لاطلاعه الشخصي، فصحبها ونقحها وطبعها في طهران عام ١٣١٠ هـ. ق. وللحاج زين العابدين كتابان

(١) بعد ذلك أقام في شیراز، وفي عام ١٢٥٣ توفي وهو في طريقه إلى مكة.

آخران أيضاً باسم رياض السياحة وحدائق السياحة. كتاب رياض السياحة ألفه المؤلف باسم محمد رضا ميرزا بن فتحعلي شاه، وقد طبع في أصفهان عام ١٣٣٩هـ بمساعي واهتمام سيد سعيد طباطبائي النائيني. ولكن يقال إن حدائق السياحة لم يطبع حتى الآن.

نامه دانشوران (رسالة العلماء) :

نامه دانشوران معجم أو قاموس كبير ومفصل للأعلام في شرح أحوال وصفات وآثار مشاهير الإسلام، من سياسيين وعلماء وشعراء وكتاب وفلاسفة وعلماء الإلهيات وغير ذلك، وقد شكلت لجنة من العلماء لإتمام هذا العمل.

بدأت هذه اللجنة عملها في عام ١٢٩٤هـ طبقاً لأمر الشاه في ذلك الوقت تحت إشراف الأمير العالم عليقلي ميرزا اعتضاد السلطنة وزير العلوم^(١) وفي البداية تم اختيار أربع علماء لتأليف هذا المعجم.

(١) عليقلي ميرزا (١٢٣٤ - ١٢٩٨هـ.ق) ابن فتحعلي شاه، هو واحد من الأمراء القاجاريين أصحاب الفضل والذوق وصاحب دور كبير في نشر الكتب والصحف وإدارة دار الفنون وإنشاء خطوط التلغراف وتشجيع العلماء وإرسال الطلاب إلى أوروبا.

بعد وفاة محمد شاه كان ناصر الدين ميرزا ولياً للعهد في تبريز وكلف عليقلي ميرزا ناظرًا لمهد علي والده ولي العهد ناصر الدين ميرزا وظل في هذا الموقع طوال فترة صدارة أمير كبير وكذلك الجزء الأكبر من صدارة اعتماد الدولة نوري، وخلال هذه الفترة كان مشغولاً بالقراءة ومخالطة أهل الفضل والكمال وجمع مكتبة قيمة بعد ذلك حصل عليها ميرزا حسين خان سبهسالار وجعلها وفقاً لمدرسة سبهسالار. عين اعتضاد السلطنة في عام ١٢٧٤هـ.ق رئيساً لمدرسة دار الفنون ثم كلف

ورد فى مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب ما يلى:

توقيع ملك الملوك ملاذ العالم.... ناصر الدين شاه... على عهده...
اعتضاد السلطنة وزير العلوم عليقلی ميرزا سليل ملك الملوك
المبرور..... فتحلى شاه القاجارى..... صدر قرار بأن يؤلف كتاب
جامع ودفتر كامل فى ترجمة أحوال أساتذة العلوم ومشايخ الفنون من علماء
الإسلام ومختلف الديانات ويشرح أخبارهم، وأن يذكر اسم كل واحد من
فحول الفقهاء وأكابر الحكماء وحذاق الأطباء وأقطاب العارفين والمؤلفين فى
كل فن والمتبحرين فى كل صناعة تحت عنوان خاص، وأن يشرح نماذج
لمؤلفات كل واحد منهم قدر المستطاع من الأصول المعتبرة والمدارك
المعتمدة والتي تحوى خلاصة للحالات والنوادر والوقائع ولطائف الحكايات
ومنتخبات الأشعار وشيوخ الأخبار ومشاهير التلاميذ.... ما أن اتضح للأمير
العالم (عليقلی ميرزا اعتضاد السلطنة) مضمون ذلك الخطاب الملكى - الذى
يُعد عين العقل وباصرة العلم - ... نهض امتثالاً للأمر المقدس أسرع من
دوران الفلك، وأمر فى البداية بإبلاغ مضمون الأمر الرفيع إلى الولاة وحكام
الأقطار وصدرت الأوامر إلى المكلفين فى كل مركز وجمع معلومات مفصلة
عن أحوال العلماء فى ذلك المركز من شيوخ وأكابر الأسر... حتى تُزين

بمشاغل أخرى شيئاً فشيئاً، ففي عام ١٢٨٣هـ ق كان وزيراً للعلوم والصناعة
والتجارة ورئيساً لدار التلغراف والمناجم وتولى رئاسة صحيفة (روزنامه دولتى)
و (روزنامه علمى) والمطابع والمصانع وحاكماً لملاير وتويسركان.
ومن مؤلفاته: "فلك السعادة فى رد أقوال المنجمين وسعد ونحس كواكب"، وترجمة
كتاب الآثار الباقية لأبى الريحان البيرونى، وإكسير التواريخ فى تاريخ القاجارية.
وكان ينظم الشعر أحياناً وكان تخلصه فخرى.

كافة الأخبار والآثار فى هذا الدفتر الشامل بصحة التوثيق عن طريق روايات ونصوص المعمرين وصحة التصديق من خلال فحوى الرسائل وكافة الثقة.... ومن أجل إعداد مقدمات هذا الكتاب الكريم أمر ... باستدعاء جمع غفير من الأفاضل والأعيان على أن يوضع فضل كل واحد منهم وعلمه على المحك... والأمير العالم... من جملة هؤلاء.... تم اختيار أربعة علماء من ذوى المكانة الفنية والمقامات العالية..... وتم تكليفهم بتأليف هذا المعجم المبارك..... على عاتق الأساتذة الأربعة الكرام.

هؤلاء الأربعة الذين تم اختيارهم من قبل عليقلی ميرزا قبلوا كمؤلفين لنامہ دانشوران من قبل دار التأليف، وهؤلاء الأربعة هم:

١- شمس العلماء الشيخ محمد مهدى عبد رب أبادى وهو الذى تحمل العبء الأكبر فى هذا العمل فهو الذى كان يرتب ويكتب مواد الكتاب التى يجمعها المؤلفون^(١).

الشيخ محمد مهدى شمس العلماء، ابن ملا غلا معلى المعروف بـ حاج آخوند المقيم فى قرية عبد رب آباد من قرى دشتى بقزوین كان كاتبًا ذا اقتدار وصاحب اطلاع واف فى الأدب والحديث وأحوال الرجال. درس الصرف والنحو والمعانى والبيان والفقه والأصول فى قزوین، وبعد ذلك أكمل دراسته فى مدرسة دوستعلی خان نظام الدولة. ومن مؤلفاته كتاب فى شرح أحوال أئمة أهل السنة الأربعة بناء على أمر من ناصر الدين شاه. ويعتقد ميرزا محمد خان قزوینی أنه هو الذى ألف كتاب المآثر والآثار

(١) يقول هو نفسه فى مقدمة المجلد الثالث: (فى مقام الجمع والترتيب والتدوين والتبويب، أن هذا الفقير وحده كان الشخص الذى يقوم بهذا).

والثلاث مجلدات من كتاب مطلع الشمس التي نسبت إلى محمد حسن خان اعتماد السلطنة وشمس العلماء علاوة على الفضل والكمال نظم الشعر بالفارسية والعربية وكان تخلصه (رباني).

ويعتقد ميرزا محمد خان القزويني أنه توفي في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣١هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً^(١).

٢- مجد الدين أبو الفضل الساوجي، ابن الحاج ميرزا فضل الله، من طائفة شاملوا، كان طبيباً وأديباً، وله اطلاعات وافية في شرح أحوال الرجال والتراجم، وكما ورد في مقدمة الكتاب كان بمثابة أستاذ لشمس العلماء.

وكان الحاج ميرزا أبو الفضل مطلعاً على الفلسفة الإلهية والعلوم الطبيعية ولد الحاج ميرزا أبو الفضل في عام ١٢٥٠ هـ وتوفي في عام ١٣١٢ هـ في أثناء طباعة المجلد الثاني من الكتاب، واشترك فقط في تأليف المجلد الأول والمجلد الثاني من كتاب نامه دانشوران.

٣- ملا عبد الوهاب القزويني المعروف بـ ملا آقا، ابن الحاج عبد العلي عمده قرية كليزور إحدى القرى التابعة لبشاريات قزوین، ووالد الأستاذ العلامة محمد القزويني، درس في طهران في مدرسة دوستعليخان معير الممالك، وتبحر في العلوم الأدبية وترجمة أحوال العلماء ورجال الإسلام، وهو الذي كتب معظم تراجم أحوال علماء اللغة والصرف والنحو والفقه الذين وردوا في كتاب نامه دانشوران. توفي ملا آقا في محرم عام ١٣٠٦ هـ.

(١) وفيات معاصرين، من مذكرات محمد قزويني (مجلة یادگار السنة الخامسة، العدد الثالث).

٤- ميرزا حسن خان الطالقاني الذي اشترك في تأليف المجلد الأول والذي تحمل تصحيح طباعة المجلد الأول. بعد ذلك اعتنق البابية واستبعد من دار التأليف. ولا توجد في أيدينا معلومات كافية عن حياته^(١).

والخطاب الذي وجهه الأمير عليقلي ميرزا في بداية العمل لمؤلفي الكتاب (فيما يتعلق بتوضيح رموز التصنيف ونكات التأليف) خطاب جيد ومفيد:

في البداية عليكم بذل الجهد المضني في تتبع وتفحص جميع آثار وأخبار حالات الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء والمفسرين والعرفاء والمقرئين والشعراء والعروضيين وغيرهم... من بداية الهجرة حتى بداية الدولة القاجارية فمع وجود هذا المجموع المحيط لن يحتاج الإنسان إلى كتب أخرى من كتب الرجال والتراجم.

والشيء الآخر أن شرط الاستمرار في العمل هو ترك العصبية المذهبية وحمية الطريقة. وعلى هذا يسير على نسق واحد تسجيل العقائد وتفصيل الأقوال وشرح المدائح وتدوين المناقب مهما كانت مخالفة أو

(١) بعد ذلك حدثت تغيرات في لجنة مؤلفي (نامه دانشوران) ومن جملة ذلك أن شخصاً باسم غيات الدين كاشاني تعاون مع شمس العلماء في تأليف هذا الكتاب وكان شريكاً له في التأليف اعتباراً من المجلد الثالث حتى المجلد السابع. واعتباراً من عام ١٣٠٦ هـ.ق كان يعمل في دار التأليف حاجي ميرزا أبو الفضل الساوجي، والشيخ مهدي شمس العلماء وميرزا محمد صادق حفيد قائممقام (والذي كان يتخلص بأديب الممالك) والشيخ محمد خان القزويني ابن ملا آقا والذي كان يبلغ من العمر عشر سنوات .

مؤتلفة. وعلى هذا لا يفسر الكلام الوارد فى المصادر حسب الأغراض الرديئة والأهواء الباطلة، واحترس من أن تذكر صناديد الصحابة والتابعين وكبار رجال الدولة والدين وحنفاء الخلفاء الراشدين بكلمات بذئية وألقاب مهينة، واحترس من أن تحاول الزج بمعتقداتك فى تصحيح عقيدة منتحلى الفرق وعقيدتهم ومتهمى الطوائف وإبطال عقيدتهم.

والشئ الآخر أيضاً عليكم أن تبذلوا كل طاقتكم للحفاظ على سلامة العبارات وسلامة الكلمات حتى يستفيد من ثمرة هذه الشجرة الطيبة العارف والعام العالم والدانى فتلك الباكورة المباركة لهذا القرن الأبدى، حتى يأخذوا العبر ويجمعوا الفوائد. ولا تظنوا أن الحديث سيخلو من البلاغة عند مراعاة ما سبق أو أنه سيفتقر إلى الفصاحة؛ لأن حسن الكلام فى الحقيقة هو الذى يفهمه الخاصة والعامة ويقبلون عليه. كان عبد الله المأمون يكرر قوله لوزيره الحسن بن سهل متسائلاً: ما البلاغة؟ فقال: ما فهمته العامة ورضيته الخاصة. حقاً، يجب أن يكون ثوب المعانى الجزلة مصاناً من الألفاظ المبتذلة وأن يتجنب استخدام تعبيرات السفلة من الناس التى تخلو من نفائس الكلم والألفاظ. ومن مأثوراته يقول : خير الكلام ما لا يكون عامياً سوقياً ولا عربياً وحشياً.

والأمر الآخر عليكم فيما يتعلق بأصحاب التراجم أن تستخدموا الترتيب المعجمى للحروف، وعليكم عند ذكر الأسماء والألقاب والكنى الربط بين كل اسم ومدينة وأعلامها، فعن طريق هذين الشرطين يمكن الحصول على ترجمة بأسهل الطرق وأيسر الوجوه. وإذا جرت أعلى أسنة الأقلام عند الحديث عن أحوال شخص ما مصطلحات مصنعة وكلمات مستغلقة وأسماء

بلاد وأعلام متشابهة وعقائد للأمم؛ إذا حدث هذا عليكم بالاجتهاد فى توضيحها وشرحها.

إذا كان لا مفر من معرفة القصة لفهم لفظ قد ورد تلميحاً أو شطرة تضمنتها القصص والحكايات، فعليكم للوقوف عليها على سبيل الاستطراد حتى يهدأ خاطر القارئ ولا يحتاج الرجوع إلى تذاكر أخرى.....

وإذا كان صاحب العنوان ذا طبع موزون وترنم بأشعار مطبوعة فاستشهدوا بنماذج لنتائج أفكاره حتى لا يبقى منه خافياً، لكن طبقاً لقاعدة تعميم الفيض وإشعاعه النفع عليكم كتابة ترجمة لكل شعر ترجمة لائقة وذلك بغرض حصول المقصود وتحقيق المراد من كل أمر وحتى لا تظل معانى الأبيات غير مأنوسة أو مطبوعة....

ويجب مراعاة ترتيب السنوات فى أثناء نظم وقائع كل شخص وأخباره على قدر الاستطاعة، وعليكم ألا تستهلوا مثل كثير من أرباب الطبقات وأصحاب التذاكر حديثكم بذكر تاريخ الوفاة فى البداية ثم وقت الميلاد فى النهاية فالعقد المنتظم أجمل من العقد المنفرط.

وبعد الاجتهاد فى الحصول على تاريخ وقوع كل نادرة من القرائن والأمارات والآثار والعلامات وأن تفصلوا ذكر الأحداث مرتبة، وبعد الانتهاء من تنفيذ جميع الشروط والقيود التى سبق الإشارة إليها، فإن خلاصة عملكم سوف تقرأ على لسان مدير المجلس حتى إذا كانت الأقلام قد تعثرت فى موضع ما أو حدث سهو فى ربط أو ضبط أمر ما سأقوم بنفسى بإصلاحه.

ومع أنه... وحتى الآن قد مضى ألف ومائتى وأربعة وتسعين عاماً من هجرة الرسول فقد صنفت الكثير من التصانيف وألفت العديد من

الرسائل، لكنى أرجو فى ظل الإفاضات والتأييدات الربانية وسعادة الطالع الميمون لجلالة صاحب القرآن السعيد أرجو أن يتم هذا الكتاب وأن يكون التصنيف كاملاً والتأليف حافلاً بحسن اختيار ويمن انتخاب صاحب الرأى الصائب، ويصدر تحت عنوان "نامة دانشوران ناصرى" وأن يأتى هذا الكتاب ناسخاً لدفاتر الآخرين وخاتم رسائل السابقين....

كانت مؤسسة نامء دانشوران من عام ١٢٩٤هـ وتحت رئاسة الأمير عليقلی ميرزا حتى وفاته عام ١٢٩٨هـ وكانت فى هذه الفترة مشغولة بجمع وترتيب مواد المجلدين الأولين، وتم نشر المجلد الأول بعد ذلك تولى محمد حسن خان اعتماد السلطنة مسئولية الإشراف على مؤسسة نشر هذا الكتاب.

طبع من هذا الكتاب سبع مجلدات: نشر المجلد الأول عام ١٢٩٦هـ، المجلد الثانى نشر فى ربيع أول عام ١٣١٢هـ؛ أما المجلدات الخمس الأخرى فنشرت فى الأعوام ١٣١٨هـ، ١٣١٩هـ، ١٣٢١هـ، ١٣٢٢هـ، ١٣٢٣هـ والكتاب المذكور يعد واحداً من المصادر المهمة فى التحقيق فى معارف العالم الإسلامى وذلك^(١) لأن مؤلفين هذا الكتاب فى تنظيمهم لشرح أحوال الرجال قد أطلعوا تقريباً على جميع المصادر المعتبرة.

٤ - الفلسفة:

نظرة إلى الماضى:

ظهرت فى القرن الحادى عشر الهجرى فى الأدب الفارسى سلسلة

(١) المجلدات الخطية لهذا الكتاب محفوظة فى مكتبة محافظة قدس رضوى. وأخيراً تم طبع طبعة جديدة فى عام ١٣٣٨ش بتقديم سيد رضا صدر.

من التأليفات الفلسفية، كانت تكملة لمطالعات فلاسفة القرن السابع والثامن الهجرى. فالشيخ بهاء الدين عاملى (متوفى فى عام ١٠٣١هـ) قام فى مجموعة قصصه وحكاياته التعليمية والتي تعرف باسم الكشكول، والتي كتبت بالعربية وتضمنت بعض الأشعار الفارسية، وأيضاً فى مثنويات نان وحلوا (الخبز والحلوى) وشير وشكر (اللبن والسكر) وهذان المثنويان كتباً باللغة الفارسية وتطرقا حفظهما إلى عقائد فلسفية من خلال الإشارات والكنائيات مع حفظهما للأصول والسنن القديمة.

أما صدر الدين محمد إبراهيم الشيرازى، المشهور بـ آخوند ملاصدر المتوفى فى عام ١٠٥٠هـ والذي يعد واحداً من المفكرين الإيرانيين العظماء، فقد عرض عقائده بصورة أكثر وضوحاً، وله مؤلف مفصل ومهم ومشهور جداً باسم الأسفار الأربعة كتبه باللغة العربية وطبع طباعة حجرية فى ١٢٨٢هـ، ويعد من الأعمال الفلسفية حيث عرض فيه عقائده بشكل صريح.

وقد اتبع اثنان من تلاميذ صدر الدين محمد إبراهيم شيرازى - ملا محسن فيض الكاشانى وعبد الرزاق اللاهيجى آراءه وسعياً للتوفيق بين كلام أستاذهم وأصول العقائد الشيعية. كتب كتاب اللاهيجى والمعروف باسم جوهر مراد (جوهر المراد) باللغة الفارسية ولاقى قبول العامة فى إيران.

فى القرن الثانى عشر الهجرى توقفت الفلسفة عن التقدم ولم يظهر فيلسوفاً إيرانياً بعد صدر الدين الشيرازى وتلاميذه، إلى أن أسس الحاج ملا هادى السبزوارى فى القرن الثالث عشر الهجرى حوزة لبحث وتدريس الفلسفة فى سبزووار.

ولد حاج ملا هادى السبزواري، المتخلص بـ (أسرار) في سبزووار في عام ١٢١٢هـ وبناء على سيرته الذاتية والتي كتبها بنفسه^(١) بدأ في تعلم الصرف والنحو في سن سبع أو ثمان سنوات. والده الحاج ميرزا مهدي الطبيب من أثرياء سبزووار توفي في شیراز بعد عودته من الحج، وعاش في سبزووار حتى العاشرة من عمره، بعد ذلك أخذه ابن عمته الحاج ملا حسين السبزواري معه إلى مشهد التي كان يدرس بها وعلمه اللغة العربية والفقه وعلم الأصول وعلم الكلام والمنطق وقليل من الرياضيات. بعد أن قضى عشر سنوات على نفس هذا المنوال مع ملا حسين، توجه إلى أصفهان عندما اشتد بداخله الشوق إلى الفلسفة وظل قرابة ثمان سنوات في تحصيل الفلسفة لدى آخوند ملا إسماعيل الأصفهاني ولدى آخوند ملا علي النوري بعد وفاة الملا إسماعيل الأصفهاني. بعد ذلك توجه إلى خراسان وعمل على تدريس الفلسفة وقليل من الفقه والتفسير لمدة خمس سنوات في مشهد، وسافر إلى الحج في أواخر فترة حكم فتحعلي شاه واستمرت هذه الرحلة من اثنين إلى ثلاث سنوات. في رجوعه من مكة نزل من السفينة في بندر عباس وتوجه مع قافلة إلى كرمان وظل هناك ما يقرب من عام حتى عاد إلى سبزووار وظل حتى نهاية عمره مشغولاً بالتدريس والتحقيق والتأليف بانضباط شديد. توفي الملا هادى السبزواري في العشر الأواخر من شهر ذي الحجة عام ١٢٨٩هـ في مدينة سبزووار وهو في الثامنة والسبعين من عمره. ويعد الحاج ملا هادى الفيلسوف الأوحده في أواخر القرن الثالث عشر وأعظم مدرس فلسفة إسلامية بعد آخوند ملا صدرا (وكان في عهد ناصر الدين شاه

(١) دكتور قاسم غني، "شرح حال المرحوم الحاج ملاهادي سبزواري بقلمه" مجلة يادكار السنة الأولى العدد الثالث.

مثل ملا صدرا في عهد الشاه عباس الكبير^(١).

لم يكن للفيلسوف السبزواري مدرسة مستقلة في الفلسفة وكانت معظم دراساته حول أقوال ملا صدرا. لم يكن السبزواري مقلداً للفلاسفة القدامى بالرغم من أن علاقته مع الفلاسفة القدامى لم تنقطع ومؤلفاته مستندة على مصادر وتحقيقات القدامى، لكن النتائج الذي استخلصها من هذه التحقيقات أصيلة إلى درجة كبيرة وتستحق أن تدرس دراسة مستقلة. وتخرج دراسة مؤلفات السبزواري عن إطار تاريخ الأئمة، ولكن علينا أن نوضح أن ظهور مثل هذه المؤلفات يشير بوضوح إلى أن الاهتمام بالتقاليد والعلوم القديمة لم تنقطع كلية بالرغم من ظهور الأفكار الحديثة والأوضاع المتدهورة بالدولة.

ومنظومة السبزواري والتي تعد واحدة من أهم مؤلفاته وتضم مختصراً لموضوع متكامل من المنطق والفلسفة، تخلو من الأهمية من حيث البلاغة وسلاسة النظم العربي.

ومن مؤلفات السبزواري المهمة (أسرار الحكم) والذي كتب باللغة الفارسية وطبع جزئين من هذا الكتاب في مجلد واحد مرات عدة^(٢). وهو كتاب فلسفي كبير يتحدث عن المبدأ والمعاد وعن أسرار التوحيد والعبادات.

ولقد استشهد في الشرح الذي كتبه لمثنوي جلال الدين الرومي (المولوي) وكذلك في المؤلفات الأخرى التي كتبها بالعربية والفارسية بآيات من القرآن الكريم وفسرها من وجهة نظر فلسفية وذلك ليوضح المعاني الدقيقة للفلسفة من خلال الكتاب السماوي.

(١) المآثر والآثار، طهران الباب العاشر ص ١٤٧.

(٢) أفضل هذه الطباعات الطبعة التي صدرت في عهد ناصر الدين شاه.

من فلاسفة هذه الفترة نستطيع أن نذكر عدداً منهم: آقا محمد رضا قمشه آي و آقا علي زنوزي وميرزا أبو الحسن جلوه وميرزا حسن الكرمانشاهي.

٥ - الكتب والرسائل الدينية:

كما قلنا لم يستطع النثر الفارسي في بداية العصر القاجاري الابتعاد عن الغموض والإطناب والصنعة بشكل كامل، وأن كتاب تلك الفترة اتبعوا أسلوب التكلف المتبع والمتداول قل أو كثر. ولكن فيما يتعلق بالكتب الدينية والفقهية نشير إلى نقطة أخرى تتمثل في أن العلماء وفقهاء الشيعة القدامى كتبوا جميع مؤلفاتهم في الفقه والأصول والحديث والأخبار باللغة العربية باعتبار أنها اللغة الرسمية ولغة الدين الإسلامي (وفي منزلة اللغة اللاتينية في كتابات المسيحيين الكاثوليك)^(١). وفي العصر الصفوي أيضاً كتب المجتهدين والعلماء الشيعيين الكبار أمثال ملا محمد باقر المجلسي (متوفى ١١١١ هـ.ق) وملا محسن فيضي (متوفى ١٠٩٠ هـ.ق) والشيخ أحمد الإحسائي (متوفى ١٢٤٣ هـ.ق) وآخرين مؤلفاتهم باللغة العربية. لكن منذ أواخر العصر الصفوي كتب بعض علماء الشيعة مثل المجلسي والجماعة التي يشرف عليها عقائد وأحاديث وأخبار الشيعة باللغة الفارسية. ومنذ بداية العصر القاجاري كتبت الرسائل الدينية في أصول وعقائد التشيع في إيران باللغة الفارسية والتي كانت قبل ذلك تكتب باللغة العربية في خارج إيران (في المراكز المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف). وبحث هذه الرسائل

(١) إدوارد براون، تاريخ ادبيات إيران از آغاز صفويه تا زمان حاضرة ترجمة رشيد ياسمي ص ٢٥٤.

يخرج عن نطاق هذا الكتاب، لكن يجب القول أن علماء الشيعة في هذه الفترة أوجدوا في كتبهم ورسائلهم أسلوباً جديداً مختلف تماماً عن أسلوب الإنشاء المتبع قبل ذلك. هذه الكتابات بشكل تام بسيطة وصحيحة وخالية من الصنائع البديعية وقريبة جداً إلى فهم العامة ومع أن أسلوب إنشائها بصفة عامة ترجم ترجمة حرفية من الأصل العربي. مع كل هذا يمكن القول أن وجود هذا النوع من الرسائل كان الخطوة الأولى في سبيل إيجاد أسلوب جديد في بداية عصر فتحلى شاه ووضع الأدب الفارسي في متناول فهم العامة من الناس بعد أن كان قاصراً على إدراك وفهم جمع من الفضلاء والعلماء.

كما وجد في هذا العصر فضلاً عن الآثار المتداولة والخاصة بأصول الدين الإسلامي ومعتقدات أهل التشيع التي كتبت في الغالب على هيئة سؤال وجواب، وجد فرع أدبي آخر في الرد على معتقدات أهل السنة والصوفية والشيخية والبابية وبعد ذلك في الرد على النصارى أحياناً.

قائمة المصادر

۱- المصادر التاريخية:

- آوانسیا، آر: الحاق ما وراء قفقاز به روسیه وروابط بین المللی در آغاز قرن نوزدهم، ایروان، ۱۹۵۸م (روسی).
- جهانگیر میرزا: تاریخ نو، به سعی واهتمام عباس اقبال، طهران ۱۳۲۷ش.
- سایکس، زنرال سربرسی: تاریخ ایران، ترجمة سید محمد تقی فخرداعی گیلانی، طهران، ۱۳۳۵ش.
- لسان الملك، محمد تقی سپهر: تاریخ قاجاریه (از مجلدات ناسخ التواریخ)، طهران، ۱۳۳۷ش.
- ملکم، سرجان: تاریخ ایران از پیشدادیان تا قاجاریه، بمبئی، ۱۳۲۳.
- نفیسی، سعید: تاریخ اجتماعی و سیاسی ایران در دوره معاصر، ج ۱، طهران، ۱۳۳۵ش.
- واتسن، رابرت گرنت: تاریخ ایران (دوره قاجاریه)، ترجمة: وحید مازندرانی، طهران، ۱۳۴۵ش.
- هدایتی، دکتر هادی: تاریخ زندیه، ج ۱، طهران، ۱۳۳۴ش.

Brydges, Harford Jones, the Dynasty of the Kajars, London, 1833.

۲- المصادر الأدبية:

- اته هرمان: تاريخ ادبيات فارسي، ترجمه دكتور رضا زاده شفق، طهران، ۱۳۳۷ ش.
- افشار، ايرج: نثر فارسي معاصر، طهران ۳۳۵ ش.
- براون، أدوارد: تاريخ أدبيات ايران از آغاز صفويه تا زمان حاضر، ترجمه رشيد ياسمي، طهران، ۱۳۳۹ ش.
- برتلس، ي.أ: تاريخ مختصر ادبيات ايران، لنينگراد، ۱۹۲۸ م (روسي).
- بهار، محمد تقى ملك الشعراء: (۱) سبك شناسى، ج ۳، طهران، ۱۳۳۷ ش.
- (۲) سخنرانيهاى.... درباره بازگشت ادبى، مجلة ارمغان سال ۱۳، بين صفحات ۴۴۳ - ۷۴۸
- (۳) شعر در ايران، طهران ۱۳۳۷ ش.
- تربيت، محمد على: دانشمندان اذربايجان، طهران، ۱۳۱۴ ش.
- ريكا، يان: تاريخ ادبيات ايران وتاجيك: پراگ، ۱۹۵۶ م. (به زبان چك).
- شفق، رضا زاده: تاريخ ادبيات.
- صفا، ذبيح الله: (۱) مختصرى از تاريخ تحول نظم ونثر پارسي، طهران، ۱۳۳۷ ش.
- (۲) گنج سخن، ج ۳، طهران، ۱۳۴۰ ش.

- صفائی ملایری، ایراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، طهران، بی تاریخ.

- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، طهران، ۱۲۸۶ و ۱۳۰۳ هـ.ق.

- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، طهران، ۱۳۳۱ ش.

- میرزا مهدی خان: کتاب انشای....، تبریز، ۱۲۷۷ هـ.ق.

- نادر میرزا: تاریخ و جغرافی تبریز، نسخه چاپی، ۱۳۲۳ هـ.ق.

- نعمانی، شبلی: شعر العجم، ترجمه فخر داعی، ج ۳، طهران ۱۳۳۴ ش.

- نفیسی، سعید: شاهکاریهای نثر فارسی معاصر، طهران، ۱۳۳۰ ش.

- و صاف، شهاب الدین عبد الله شیرازی: تاریخ... به اهتمام محمد مهدی ارباب اصفهانی: بمبئی ۱۲۶۹ هـ.ق.

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، طهران، ۱۳۳۶ - ۱۳۴۰ ش.

صبای کاشانی

- اقبال، عباس: صبای کاشانی و فردوسی، مجله یادگار، سال ۵، شماره های ۱-۲

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: (۱) مقدمه برگلشن صبا تألیف فتحعلی خان ملك الشعراء صبای کاشانی، چاپ دوم، طهران، ۱۳۱۳ ش.

(۲) لامیه فتحعلی خان صبا، مجلهء ارمغان، سال ۱۱، صفحات ۶۵۵ - ۶۵۹.

- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه، ذیل صبا.
- صبا، فتحعلی خان کاشانی: شهنشاه نامه، به اهتمام میرزا محمد ملک الکتاب شیرازی، بمبئی ۱۸۶۷م.
- صفائی ملایری، ابراهیم: (۱) فتحعلی خان صبا، مجله ارمغان، سال ۲۷، صفحات ۱۹۳ - ۲۰۰.
- (۲) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۸ - ۱۶.
- قویم، علی: محمود خان ملک الشعراء، مجلهء دانش، السنة ۱، شماره های ۱۰ - ۱۱، صفحات ۵۵۳ - ۵۶۴.
- محبوب، دکتر محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صدف، شماره ۵، صفحات ۳۸۳ - ۳۹۲.
- نخجوانی، حسین: زندگانی و شخصیت ملک الشعراء فتحعلی خان صبا، نشریهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۳، شماره های ۳ - ۴، صفحات ۶۶ - ۷۶.
- نوائی، عبد الحسین: عاقبت لطفعلی خان زند، مجله یادگار، سال ۳، شماره ۳.

نشاط اصفهانی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: (۱) سخنرانیها در بارهء بازگشت ادبی،
مجلهء ارمغان، سال ۱۳.

(۲) سبك شناسی، ج ۳، صفحات ۳۳۱ -

۳۳۲.

- صفائی، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۱۷ -
۲۶.

- قائممقام، میرزا ابو القاسم: (۱) ترجمهء حال میرزا عبد الوهاب نشاط،

منشآت، ۱۳۳۷ ش، صفحات ۳۰۱ -

۳۰۲.

(۲) مخزن الانشاء، صفحات ۱۸۶ - ۱۹۵.

- نشاط، عبد الوهاب: (۱) گنجینهء نشاط، ۱۲۶۶ هـ.ق.

(۲) گنجینه دیوان نشاط اصفهانی، به کوشش حسین

نخعی، طهران، ۱۳۰۷ ش.

سحاب

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج ۲، ص ۱۷۰.

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج ۴ صفحات ۴۵۲ - ۴۶۰.

مجمر

مجمر، سید حسین:

(۱) دیوان، طهران، ۱۳۱۲ هـ.ق.

(۲) دیوان با مقدمه محمد محیط طباطبائی، طهران ۱۳۴۵
ش.

مجموعه و نشاط (نقل از حقیقه الشعراء)، مجله یادگار،
سال ۵.

شماره ۱-۲ ص ۱۴۲.

- محیط طباطبائی، محمد: مجموعه، مجله آرمغان، سال ۱۲، صفحات
۴۷۴ - ۴۸۵ - ۵۴۶ - ۵۵۴ - ۶۳۰ - ۶۳۸ - ۶۷۸ - ۶۸۸ - و سال
۱۳، صفحات ۱۶۲-۱۶۶.

وصال

- افقه، علی: يك نمونه از خط مرحوم وصال شیرازی، مجله یادگار، سال
۱، شمار ۳.

- صفائی ملایری، ابراهیم: (۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار،
صفحات ۳۳-۴۳.

- (۲) وصال شیرازی، مجله آرمغان، سال ۲۸، صفحات ۹۷-۱۰۸.

- ماهیار نوایی، یحیی: خاندان وصال شیرازی، نشریه دانشکده ادبیات
تبریز، سال ۷، صفحات ۱۹۰-۲۳۹-۲۸۸-۳۵۶-۳۵۹-۳۹۱.

وصال، میرزا شفیع (۱) کلیات، طهران بی تاریخ.

(۲) فرهاد و شیرین (با فرهاد و شیرین وحشی در یکجا)، طهران.

(۳) بزم وصال، هند، ؟

(۴) مراثنی (درهامش انوار الشهاده) بمبئی، ۱۲۸۵ هـ.ق.

عبد الرزاق دنبلی

- بهار، محمد تقی ملک الشعراء: سبک شناسی، ج ۳.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ۱۳۱۴ ش، صفحات ۳۵۳ - ۳۵۷.
- سلطان القرائی، جعفر: تجربه الاحرار وتسلیة الابرار، نشریه کتابخانه ملی تبریز، شماره ۱، ۱۳۳۸ ش.
- نخجوانی، حسین: عبد الرزاق بیگ دنبلی متخلص به مفتون، نشریه دانشکده ادبیات تبریز، سال ۲، شماره ۱ ص ۱.

میرزا رضی

- برتلس، ی.ا.: تاریخ مختصر ادبیات ایران، ص ۸۲.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ۱۳۱۴ ش صفحات ۷۰ - ۷۱.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج ۱، کلمه بنده تبریزی، ص ۱۸۲.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای تبریز، نسخه چاپی، صفحات ۲۶۴-۲۶۵.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، ج ۴، ص ۱۷۷.

فاضل خان

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج ۳، صفحات ۳۳۲-۳۳۷.
- هخدا، علی اكبر: لفتنامه، كلمه راوی، شماره مسلسل ۹۹.
- صفائی ملایری، ابراهیم: (۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۵۷-۶۲.
- (۲) فاضل گروسی، مجلهء ارمغان، سال ۲۶، صفحات ۲۷۳ - ۲۷۸.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج ۲، ص ۷۰.
- مفتون، عبد الرزاق بیگ دنبلی: نگارستان دارا، بخش خاتمه.
- نفیسی، سعید: بوشکین و فاضل خان گروسی، مجلهء یغما، سال ۱۱، صفحات ۴۹۲-۴۹۸.
- هدایت، رضا قلی خان: (۱) مجمع الفصحاء ج ۴، ذیل راوی گروسی، صفحات ۳۱۹ - ۳۲۰.
- (۲) روضة الصفاء ج ۹، قسمت آخر.

صاحب دیوان

- صفائی ملایری، ابراهیم: (۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۲۷ - ۳۲.
- (۲) صاحب دیوان علی آبادی، مجلهء ارمغان، سال ۲۷، صفحات ۲-۶.
- کلهر، محمد رضا، مخزن الإنشاء صفحات ۴۰۰-۴۳۵.

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج ۲، ص ۴۲۴

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحا، ج ۵، ص ۶۳۷

قائم مقام

- بهار، محمد تقی ملک الشعراء: سبک شناسی، چاپ دوم ج ۳،
صفحات ۳۴۸-۳۶۳

- جهانگیر میرزا: تاریخ نو، صفحات ۱۹۷-۲۴۰.

- دولت آبادی، یحیی: شرح حال میرزا أبو القاسم قائم مقام، طهران،
۱۳۱۰ ش.

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار،
صفحات ۴۴-۵۶

- فرهاد میرزا: منشآت، بمبئی، ۱۳۱۸، ص ۲۲.

- قائم مقام، میرزا ابو القاسم: ۱) منشآت، طهران ۱۲۸۰ هـ.ق، تبریز،
۱۲۸۲ هـ.ق، ۱۲۹۴ هـ.ق

۲) منشآت به اهتمام جهانگیر قائم مقامی، طهران، ۱۳۳۷ ش.

۳) دیوان به تصحیح وحید دستگردی، طهران، ۹-۱۳۰۸ ش.

۴) جلايرنامه به تصحیح وحید دستگردی (ضمیمهء دیوان)، طهران
۹-۱۳۰۸ ش.

- قائم مقامی، عبد الوهاب: مطالبی که باید در شرح احوال و دیوان قائم مقام
اضافه شود، مجله ارمغان، سال ۲۶، صفحات ۵۲۷-۵۲۸-۵۷۴ و سال
۲۷ صفحات ۳۵-۴۰-۸۹-۹۶-۱۹۲.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء مجلهء دانش، سال ۱، شماره های ۱۰-۱۱.

- نادر میرزا: تاریخ و جغرافیا تبریز، صفحات ۳۹ - ۴۰.

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج ۳، طهران، ۱۳۲۸ ش.

وقایع نگار

- اقبال، عباس: تاریخ جهان آراء، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۱-۲، صفحات ۱۱۵-۱۱۶

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج ۳، طهران، ۱۳۳۷ ش.

- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، ص ۲۰۹.

- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج ۴، طهران ۱۳۳۱ ش.

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج ۶، طهران، ۱۳۴۰ ش.

شهاب

- شهاب اصفهانی و برادرزاده اش طغرل (نقل از حدیقة الشعراء)، مجلهء یادگار سال ۵، شماره های ۱-۲، صفحات ۱۴۴-۱۴۵

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج ۲، ص ۳۵۶

- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، ج ۴، صفحات ۴۷۶-

فروغی

- صفائی ملایری، ایراهیم: (۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار
صفحات ۸۴-۹۳
- (۲) فروغی بسطامی، مجلهء ارمغان، سال ۲۷، صفحات ۴۳۳-۴۴۰
- فروغی بسطامی، میرزا عباس: غزلیات، به اهتمام منصور مشفق،
طهران ۱۳۳۶
- فروغی بسطامی و تاریخ وفاتش (نقل از حدیقة الشعراء) مجله یادگار،
سال ۵ شماره های ۱-۲ صفحات ۱۴۵-۱۴۶

سروش

- حکمت، علی اصغر: (۱) من هزار افسان إلى هزار دستان، مجلة
الدراسات الأدبیه، دانشگاه لبنان، سال ۱، شماره ۴، زمستان ۱۳۳۸ ش
- (۲) مقدمهء بر هزار ویک شب، تهران ۱۳۱۵ ه.ق.
- سروش، میرزا محمد علی: هزار بیت سروش، تبریز ۱۲۸۶ ه.ق
- صفائی ملایری، ایراهیم: (۱) نهضت ادبی ایران در عصر قاجار
صفحات ۹۴-۱۰۲
- (۲) تحقیق دربارهء سروش اصفهانی، مجلهء ارمغان، سال ۲۷،
صفحات ۱۵۷-۱۱۲.
- قزوینی، محمد: از یادداشتهای.....، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های
۱-۲ صفحات ۱۰۲-۱۰۳.

- محبوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانه فارسی - ترجمه فارسی الف لیلة وليلة، مجله سخن، دوره ۱۱ شماره ۱، صفحات ۳۴-۳۵.
- میکده، عبد الحسین: سروش اصفهانی، مجله ایرانشهر، سال ۳، صفحات ۵۸۹-۶۰۴
- همائی، جلال الدین: شرح حال جامع سروش، مجله یغما، سال ۱، شماره های ۳، ۴، ۵.

قا آنی

- آدمیت، فریدون: امیر کبیر و ایران، چاپ دوم، طهران، ۱۳۳۴ صفحات ۱۷۱ - ۱۷۲.
- اشراق خاوری، عبد الحمید: حکیم عظیم قا آنی شیرازی، مجله ارمغان، سال ۸، صفحات ۵۷۶-۵۸۷
- اقبال، عباس: قا آنی و اردشیر میرزا، مجله یغما سال ۳، صفحات ۴۵۲-۴۵۳
- برتلس، ی.ا. (۱) ترجمه حال قا آنی به قلم خود او، گزارش فرهنگستان علوم اتحاد جماهیر شوروی، ۱۹۲۷ م (روسی).
- (۲) تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ م (روسی).
- بلگرامی، محمد حسن: حکیم قای آنی، مجله ارمغان سال ۹، صفحات ۴۳-۵۰ و ۱۴۳-۱۴۵-۱۹۹-۲۰۴
- به آذین، م.ا.: انتقاد بردیوان حکیم قا آنی شیرازی، مجله صدف، شماره ۴، صفحات ۳۰۹-۳۱۵.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: خطابه....، مجلهء ارمغان، سال ۱۴ شماره ۱.
- بهروزی، علینقی: (۱) سدهء قا آنی (شامل شرح حال مفصل حکیم قا آنی شیرازی)، شیراز ۱۳۳۲ش.
- (۲) مطالبی چند در باب قا آنی، مجله یا دگار، سال ۳، شماره ۳، صفحات ۷۴-۷۸
- دشتی، علی: (۱) در میان پیغمبرها جرجیس، مجله آینده، سال ۱، شماره ۹، صفحات ۵۱۳-۵۲۳
- (۲) سایه، طهران، ۱۳۲۸ش. صفحات ۸۲-۸۴
- دولت آبادی، یحیی: قا آنی شیرازی، مجله آینده سال ۱، شماره ۷، صفحات ۴۰۹-۴۱۴
- دیباچه نگار، میرزا طاهر شعری: گنج شایگان، طهران، ۱۲۷۲.
- سهیلی خوانساری، احمد: حسان العجم حکیم قا آنی، مجله یغما، سال ۲، صفحات ۲۴۹ - ۲۵۳ - ۳۱۸ - ۳۲۱ - ۴۳۴ - ۴۳۷ - ۴۶۳ - ۴۶۸
- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار صفحات ۶۳-۸۳
- قا آنی، حبیب الله: (۱) دیوان باتصحیح ومقدمهء محمد جعفر محبوب، طهران، ۱۳۳۶ش
- (۲) پریشان باتصحیح اسمعیل شرف، شیراز، ۱۳۳۸ش.

- محبوب، محمد جعفر: ترجمهء حالی از حکیم قا آنی به قلم خود او، مجلهء یغما، سال ۱۴، شماره ۲، صفحات ۷۹-۸۲.
- وحید دستگردی: حکیم قا آنی شیرازی، مجلهء ارمغان، سال ۸، صفحات ۲۸۵-۲۸۷.
- یاشار، علی بیگ: يك ساعت بادیوان قا آنی، با مقدمهء دکتر حمید نطقی، تبریز، بی تاریخ.
- یغمائی، اقبال: گوشه ای از زندگانی قا آنی، مجلهء ارمغان، سال ۲۵، صفحات ۲۶۶-۲۷۱.

یغما

- یغما وملا احمد نراقی (نقل از حدیقه الشعرا)، مجله یادگار، سال ۵، شماره های ۱-۲، صفحات ۱۴۱-۱۴۲.
- گلچین معانی، احمد: سلطان قاجار ویغما جندقی، مجلهء یغما، سال ۱۷، شماره ۱۵.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج ۴، صفحات ۳۳۹-۳۴۰.
- یغما، ابو الحسن: (۱) کلیات، چاپ سوم، طهران، ۱۳۳۹ ش.
- (۲) غزلیات و سرداریه بامقدمهء دکتر ناظر زادهء کرمانی و به اهتمام محمد حسین طبری، طهران، ۱۳۳۷ ش.
- یغمائی، حبیب: (۱) شرح حال ابو الحسن یغمای جندقی بامنتخب اشعار او، طهران ۱۳۰۴.

۲) شرح حال یغما، مجلهء ارمغان، سال ۵، صفحات ۴۰۴-۴۱۸-۴۸۱-
۶۴۲-۶۳۶-۵۰۱

محمودخان ملك الشعراء

- شرح حال محمود خان ملك الشعراء، مجلهء مهر، سال ۱، صفحات
۸۴۰-۸۳۸

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات
۱۰۳-۱۱۲.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء: مجلهء دانش، سال ۱، شماره های
۱۰-۱۱، صفحات ۵۵۳-۵۶۴

- محبوب، محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صدف، شماره ۵، صفحات
۳۸۳-۳۹۲.

- ملك الشعراء، محمود خان: دیوان (ضمیمهء سال ۲۳ مجلهء ارمغان)،
طهران ۱۳۲۹ش.

- وحید زاده، نسیم: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء ارمغان، سال ۲۶،
صفحات ۴۱۸-۴۲۱

شیبانی

- اته، هرمان: تاریخ ادبیات فارسی، ترجمهء دکتر رضا زاده شفق، ص ۲۰۳.

- شیبانی، فتح الله: ۱) منتخب از مجموعهء بیانات شیبانی، اسلامبول، ۹-
۱۳۰۸ هـ.ق.

- (۲) درج درر، طهران، ۱۳۰۰ هـ.ق.
- (۳) پیغام خرد، طهران، ۱۳۰۰ هـ.ق.
- غنی، قاسم: فتح الله خان شیبانی، مجلهء آینده، سال ۳، صفحات ۳۰-۳۷.
- قزوینی، محمد: از یادداشت‌های...، مجله یادگار، سال ۵، شماره ۳، صفحات ۶۶-۶۸
- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء دانش، سال ۱، شماره های ۱۰-۱۱، صفحات ۵۵۳-۵۶۳
- نظام وفا: ابو النصر فتح الله خان شیبانی، مجلهء وفا، صفحات ۲۴۰-۲۴۲-۲۸۱-۲۸۵

بدایع نگار

- بدایع نگار، میرزا محمد ابراهیم نواب: ترجمهء عهدنامهء مالك اشتر، مخزن الانشاء.
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج ۳، صفحات ۳۶۴-۳۶۵
- خان ملك ساسانی، محمد: سیاستگران دورهء قاجار، صفحات ۱۰۳-۱۲۳.
- قزوینی، محمد: از یادداشت‌ها...، مجلهء یادگار، سال ۳، شماره ۴، ص ۸.
- نواب، حسین، بدایع نگار: مجلهء یغما، سال ۱۸، شماره ۸، آبان ۱۳۴۴ ش.

مجد الملك

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: مرآت البلدان ناصری، جلدهای ۲ و ۳.
- بهار، محمد تقی ملک الشعراء: سبک شناسی، ج ۳، ص ۳۶۵
- فرهاد معتمد، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران و عثمانی، ج ۲، طهران ۱۳۲۶ ش، ص ۱۵۹.
- مجد الملك، حاج میرزا محمد خان: رسالهء مجدیة بامقدمه ومقابلہ وتصحيح سعيد نفیسی، طهران، ۱۳۲۱ ش.

فرهاد میرزا

- فرهی، یوسف: راجع به مرحوم فرهاد میرزا، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره ۶
- فرهاد میرزا: ۱) منشآت، به اهتمام و حواشی فرصت شیرازی، بمبئی ۱۳۱۸ و طهران ۱۳۲۱ هـ.ق.
- ۲) زنبیل، طهران، ۱۳۱۸ هـ.ق.
- ۳) جام جم، طهران، ۱۲۷۲ هـ.ق.
- ۴) نصاب انگلیسی به فارسی، طهران، ۱۲۶۹
- ۵) کنز الحساب (ترجمهء خلاصة الحساب شیخ بهاء الدین عاملی) طهران، ۱۲۵۶ و ۱۲۷۹
- ۶) ق مقام زخار و صمصام بتار، طهران، ۱۳۰۵ هـ.ق.

- (۷) هدایة السبیل (سفر نامه حج) طهران، ۱۲۹۴ هـ.ق.
- (۸) تعلیقات و حواشی و فیات الأعیان قاضی ابن خلکان تهران، ۱۲۸۴ هـ.ق.
- (۹) تعلیقات و توضیحات لغوی تذکرة الخواص سبط ابن جوزی، تهران، ۱۲۸۵ هـ.ق.
- فرهاد معتمد، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران و عثمانی، ج ۲، طهران ۱۳۲۶ ش.
- مدایح نگار، ابراهیم: تذکرهء قدسیه، طهران، بی تاریخ.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج ۴، ص ۳۸.
- معیر الممالک دوستعلی خان: فرهاد میرزا معتمد الدولة (رجال عصر ناصری)، مجلهء یغما، سال ۹، صفحات ۵۶۱ - ۵۶۶.
- نادر میرزا: تاریخ و جغرافیای تبریز، صفحات ۷۵ - ۷۷.

امیر نظام

- اقبال، عباس: حسنعلی خان امیر نظام گروسی، از مجلهء یادگار، سال ۳، شماره های ۶ - ۷، صفحات ۸ - ۳۳.
- امین الصنائع، میرزا احمد: مقدمه بر منشآت امیر نظام، ۹ رجب ۱۳۳۱ هـ.ق.
- معیر الممالک، دوستعلی: حسنعلی خان امیر نظام (رجال عصر ناصری)، مجلهء یغما، سال ۸، صفحات ۳۶۹ - ۳۷۳.

نادر میرزا

- آراسته، محمد: نسب مرحوم نادر میرزا، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره ۶، صفحات ۳۷-۳۸.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران ۱۳۱۴ ش، صفحات ۳۶۷-۳۶۸.
- قوسی، محمد علی: نادر میرزا و تاریخ تبریز، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره ۵، صفحات ۱۵-۲۶.
- نادر میرزا: تاریخ و جغرافیای دار السلطنهء تبریز، طهران، ۱۳۲۳ ه.ق.
- نخجوانی، حسین: نادر میرزا قاجار، مجلهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۱۱، صفحات ۴۰۹-۴۲۰.

ملا مهر علی

- قاضی طباطبائی، حسن، ملا مهر علی تبریزی، نشریهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۱، شماره ۵، صفحات ۲۶-۳۱.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج ۳، کلمهء فدوی، ص ۲۰۰.
- نادر میرزا: تاریخ و جغرافیای تبریز، نسخه چاپی، ص ۳۰۱.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ ۲، ج ۵، نیل مهری خوئی، ص ۹۵۱.

طسوجی

- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ۱۳۱۴ ش.
- حکمت، علی اصغر: (۱) من هزار افسان إلى هزار داستان، مجلة الدراسات الادبية دانشگاه لبنان، سال ۱، شماره ۴، زمستان، ۱۳۳۸ ش.
- (۲) مقدمه بر هزار يك شب، ج ۱، طهران ۱۳۱۵ ش.
- طسوجی، عبد اللطیف: مقدمهء بر ترجمهء الف ليله، تبریز، ۱۲۶۱ هـ.ق.
- قزوینی، محمد: از یادداشت‌های..... مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۸-۹ صفحات ۶۸-۷۱.
- محبوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانهء فارسی الف لیلة وليله، مجلهء سخن، دوره ۱۱، شماره ۱، صفحات ۳۴-۵۳.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج ۳، ص ۳۱.

لسان الملك سپهر

- برتو بیضائی، حسین: لسان الملك، سپهر، مجلهء مردم شناسی، العدد ۳، صفحات ۹۹-۱۰۵.
- قائممقامی، جهانگیر: مقدمهء بر ناسخ التواریخ، جلد قاجاریه طهران ۱۳۳۷ ش.
- قزوینی، محمد: وفيات معاصرين - سپهر، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۱-۲، ص ۹۶.

نامهء دانشوران

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: المآثر والآثار، طهران ۱۳۰۶.
- اقبال، عباس: علامه مرحوم محمد قزوینی، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره ۱۰، صفحات ۴۴ - ۵۴.
- شمس العلماء، شیخ محمد مهدی: مقدمه بر ج ۳، نامهء دانشوران.
- صدر، سید رضا: مقدمه برج ۱ نامهء دانشوران.
- قزوینی، محمد: از یادداشتهای، شمس العلماء، عبد الرب آبادی، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره ۳، صفحات ۵۷ - ۶۰.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، طهران، ج ۲، صفحات ۱۵۲ و ۳۴۷.

اعتضاد السلطنة

- مظاهری، حسن: اعتضاد السلطنة اولین وزیر فرهنگ ایران، مجلهء آموزش و پرورش، سال ۲۲، شماره ۱، صفحات ۴۶ - ۴۸.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین - اعتضاد السلطنة، مجلهء یادگار، سال ۳، شماره ۳.
- یغمائی، اقبال: علیقلی میرزا اعتضاد السلطنة، مجلهء آموزش و پرورش، سال ۲۴، شماره ۳، صفحات ۳۵ - ۶۰.

حاج ملا هادی سبزواری

- غنی، دکتر قاسم: شرح حال مرحوم حاج ملاهادی سبزواری به قلم خودایشان، مجلهء یادگار، سال ۱، شماره ۳، صفحات ۴۳ - ۴۸.

- مدرسی چہاردهی، مرتضی: زندگانی و فلسفہ حاج ملا ہادی سبزواری، طهران ۱۳۳۴ ش.
- ہدایت، رضا قلی خان: ریاض العارفین، چاپ دوم، صفحات ۴۱۸-۴۱۹.

تواریخ و أحداث

- أواسط رجب ۱۲۲۰: وصول الجنرال رومیو، یاور نابلیون إلى طهران (بعد وصوله بعدة أيام مات فجأة أو قتل).
- ۱۷ ربيع الأول ۱۲۲۱: وصول جوبر مبعوث نابلیون إلى طهران.
- ۲۶ ربيع الثاني ۱۲۲۱: سفر جوبر ومیرزا محمد رضا القزوينی مبعوث فتحعلی شاه إلى فرنسا.
- ۲۶ ربيع الثاني ۱۲۲۱: وصول الشيخ أحمد الإحسائی إلى ایران.
- ۲۵ صفر ۱۲۲۲: استقبال نابلیون لمیرزا محمد رضا مبعوث الشاه.
- (۴ مايو ۱۸۰۷) فی معسكر فينكنشتاین. وعقد معاهدة بين ایران وفرنسا.
- أواخر ربيع الآخر عقد معاهدة تيلسيت بين فرنسا وروسيا.
- ۱۲۲۲ (۹ يوليو ۱۸۰۷)
- ۸ رمضان ۱۲۲۲: عودة ووصول میرزا محمد رضا بصحبة الجنرال جاردان والوفد الفرنسي إلى طهران.
- ۱۲۲۲ وفاة میرزا رضی التبریزی منشی الممالك. وفاة سيد محمد سحاب الأصفهانی

- ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٣: عودة جاردان ومرافقيه إلى فرنسا
- ٢٨ ذي الحجة ١٢٢٣: وصول السير هارفورد جونز، المبعوث الإنجليزي ومرافقيه إلى طهران.
- ٢٥ محرم ١٢٢٤ / ١٢ مارس ١٨٠٩: عقد معاهدة بين إيران وإنجلترا بحضور السير هارفورد جونز.
- العشرة الأوائل من ربيع الآخر ١٢٢٤: حركة ميرزا أبي الحسن خان الشيرازي مبعوث إيران إلى لندن برفقة جيمز موريه.
- ١٢٢٥: وفاة سيد حسين مجمر الأصفهاني.
- ١٩ شوال ١٢٢٦: وصول ميرزا أبو الحسن خان متزامناً مع وصول السير جوراوزلي سفير إنجلترا إلى طهران
- ١٢٢٦: عودة السير هارفورد جونز إلى إنجلترا. إرسال طالبين إيرانيين إلى إنجلترا (ميرزا محمد كاظم وحاجي بابا افشار).
- ٢٩ صفر ١٢٢٧ / ١٤ مارس ١٨١٢: عقد اتفاقية مفصلة بين إيران وإنجلترا بتمثيل السير جوراوزلي.
- ٥ ذي الحجة ١٢٢٧ هزيمة عباس ميرزا من روسيا في حرب اعلاندوز.
- ٢٩ شوال ١٢٢٨ / ١٢ أكتوبر ١٨١٣: عقد معاهدة جلستان ونهاية الحرب الأولى بين إيران وروسيا.
- ١٢٢٩ عودة السير جوراوزلي المبعوث الإنجليزي إلى لندن، وتوجه ميرزا أبو الحسن خان المبعوث الإيراني إلى روسيا.

- ١٢ ذى الحجة ١٢٢٩ / ٢٥ نوفمبر ١٨١٤: إمضاء الاتفاقية النهائية بين إيران وإنجلترا وقعها هنرى اليس وجيمز موريه وميرزا شفيع المازندراني الصدر الأعظم لإيران.
- ١٠ جمادى الآخر ١٢٣٠: إرسال خمسة طلاب إيرانيين كدفعة ثانية إلى إنجلترا (كان من هذه الدفعة ميرزا جعفر الذي لقب فيما بعد بلقب مشير الدولة وميرزا صالح ناشر أول صحيفة إيرانية)
- أواخر عام ١٢٣٢: مقتل ميرزا شاه خليل الله، إمام طائفة الإسماعيلية في يزد بتحريض من ملا حسين اليزدي وتولى ابنه آقا خان (حسنعلی شاه) مكانه.
- ١٢٣٣: طبع (رسالة الجهادية) تأليف ميرزا قائممقام الكبير، في تبريز (هذه الرسالة تشمل فتاوى المالكي فيما يتعلق بالجهاد ضد الروس).
- منتصف رجب ١٢٣٣ توجه ميرزا أبو الحسن خان الشيرازي، مبعوث إيران إلى لندن.
- ١٢٣٣: تأسيس أول مطبعة حروف في تبريز.
- ١٩ رمضان ١٢٣٤: وفاة ميرزا شفيع المازندراني، الصدر الأعظم وتولى حاجي محمد حسين خان الأصفهاني نظام الدولة للصدارة
- صفر ١٢٣٥: عودة الطلاب الإيرانيين الخمسة من إنجلترا
- ذي الحجة ١٢٣٦: بداية الحرب بين إيران والدولة العثمانية.
- ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٧: وفاة ميرزا قائممقام الكبير ووصل ابنه ميرزا أبو القاسم لمنصب الوزارة لدى عباس ميرزا نائب السلطنة.

- ١٩ ذي القعدة ١٢٣٨: عقد اتفاقية بين إيران والدولة العثمانية في أرزنه الروم (هذه المعاهدة تم تعديلها وتوقيعها في أواخر ربيع الآخر).
- ١٢٣٨: وفاة ملك الشعراء فتحعلي خان صبا.
- ١٣ صفر ١٢٤٠: تأسيس أول مطبعة حجر في تبريز.
- العشر الأواخر من شوال ١٢٤١: وصول السيد محمد المجتهد من العتبات إلى طهران وفتاويه بالجهاد مع الروس.
- ١٧ ذي القعدة ١٢٤١: فتاوى مجموعة من رجال الدين بالجهاد مع الروس.
- ٢٢ ذي الحجة ١٢٤١ / ٢٨ يولييه ١٨٢٦: بداية الدور الثاني للحرب بين إيران وروسيا.
- ١٤ صفر ١٢٤٢: فتح كنجه على يد الروس وهزيمة إيران.
- ١٠ ربيع الأول ١٢٤٣: استسلام حامية قلعة سردار آباد.
- ٢١ ربيع الأول ١٢٤٣: فتح إيروان على يد الروس.
- ٢٥ ربيع الأول ١٢٤٣: عبور الجنرال أريستوف من نهر آرس.
- ٣ ربيع الآخر ١٢٤٣: وصول الجنرال أريستوف إلى تبريز.
- ٥ شعبان ١٢٤٣ / ١٥ فبراير ١٨٢٨: عقد اتفاقية تركمن جاى وانتهاء الدور الثاني من الحرب بين إيران وروسيا.
- ١٢٤٣: وفاة عبد الرزاق بيك دنبلى مؤلف تاريخ المآثر السلطانية.

- ٥ رجب ١٢٤٤: وصول جريبایدوف السفير فوق العادة الروسى إلى طهران.
- ٢٤ رجب ١٢٤٤: مقتل جريبایدوف السفير الروسى فى طهران.
- شوال ١٢٤٤: توجه خسرو ميرزا إلى روسيا لتقديم اعتذار عن مقتل السفير الروسى.
- ٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وفاة ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط.
- ٢٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وصول كنياز دالجوروكى السفير الروسى إلى تبريز.
- محرم ١٢٤٥: وصول كنياز دالجوروكى إلى طهران.
- ٣ رمضان ١٤٥: عودة خسرو ميرزا من روسيا.
- شوال ١٢٤٥: رجوع كنيازد الجوروكى إلى روسيا.
- أوائل عام ١٢٤٩: توجه عباس ميرزا نائب السلطنة إلى هراة لدفع الأفغان المتمردين.
- ذي القعدة ١٢٤٩: وصول عدد من أصحاب المناصب الإنجليز لتعليم جنود أذربايجان.
- ١٠ جمادى الآخر ١٢٤٩: وفاة عباس ميرزا نائب السلطنة فى خراسان.
- ١٢ صفر ١٢٥٠: تعيين محمد ميرزا بن عباس ميرزا ولياً للعهد.
- ١٦ صفر ١٢٥٠: ذهاب ولى العهد محمد ميرزا إلى آذربيجان.
- ١٩ جمادى الآخر ١٢٥٠: وفاة فتحعلى شاه خلال رحلته إلى أصفهان.
- ٧ رجب ١٢٥٠: جلوس محمد شاه فى تبريز.

- ١٤ شعبان ١٢٥٠: وصول محمد شاه إلى طهران وتتويجه.
- ١٢٥٠: وفاة ميرزا محمد صادق المرزوى (وقايح نكار).
- متمم صفر ١٢٥١: قتل ميرزا أبى القاسم قائممقام بناء على أوامر محمد شاه وتولى حاجى ميرزا آقاسى مكتبدار الإيروانى منصب الصدرة.
- ٢٥ محرم ١٢٥٣: صدور أول جريدة فى إيران.
- ١٩ ربيع الآخر ١٢٥٣: قيادة محمد شاه للجيش إلى هراة.
- ١٤ شعبان ١٢٥٣: فتح قلعة الغوريين.
- ٢٢ شعبان ١٢٥٣: وصول محمد شاه إلى خارج هراة ومحاصرة المدينة.
- أواخر عام ١٢٥٣: توجه مكنيل سفير إنجلترا من هراة إلى مشهد محتجاً ثم ذهابه إلى طهران.
- ربيع الآخر ١٢٥٤: وصول السفن الحربية الإنجليزية إلى الخليج العربى.
- ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٤: عودة جيش محمد شاه إلى مشهد بعد محاصرة هراة لمدة عشرة أشهر.
- ٢٣ جمادى الآخر ١٢٥٤: توجه حسين خان أجود انباشى سفير إيران فوق العادة إلى أوروبا، للاحتجاج على سلوك مكنيل وتدخل الإنجليز فى الأمور الداخلية لإيران.
- ١٢٥٤: وفاة ميرزا محمد فاضل خان كروسى.
- شوال ١٢٥٥: عودة أجود انباشى من سفره إلى أوروبا ووصوله إلى تبريز.
- جمادى الآخر ١٢٥٦: وفاة رئيس الديوان ميرزا تقى العلى آبادى.
- العشرة الأوائل من رجب ١٢٥٦: هروب آقاخان من محلات إلى كرمان وعصيانه.

- فصل الربيع عام ١٢٥٧: هزيمة آقا خان في الحرب وهروبه إلى قندهار وتوجهه من هناك إلى بومباي.
- أوائل شعبان ١٢٥٧ / ٢٨ أكتوبر ١٨٤١: عقد معاهدة تجارية بين إيران وإنجلترا ؛ بين جان مكنيل وحاج ميرزا أبي الحسن خان الشيرازي.
- ١١ ذي الحجة ١٢٥٩: تحرك جيش نجيب باشا والي بغداد إلى كربلاء والقتل العام للشيعة هناك.
- أواخر عام ١٢٥٩: ارسال ميرزا تقى خان أمير نظام إلى أرزنه الروم للتباحث مع المسؤولين العثمانيين.
- ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠: ظهور دعوة السيد على محمد الباب.
- ٢٦ ذيقعدة ١٢٦٢: السماح للسفن الروسية بالوصول إلى (ميناء) انزلى.
- ١٢٦٢: وفاة ميرزا شفيق وصال الشيرازي.
- ١٦ جمادى الآخر ١٢٦٣: عقد الاتفاقية الحدودية الثانية بين إيران والدولة العثمانية في أرزنه الروم على يد ميرزا تقى خان أمير نظام.
- ١٢٦٣: بداية فتنة محد حسن خان سالار، ابن آصف الدولة في خراسان.
- ٥ شوال ١٢٦٤: وفاة محمد شاه.
- ٢٢ ذي القعدة ١٢٦٤: تتويج ناصر الدين شاه وتنصيب ميرزا تقى خان أمير نظام في منصب الصدر الأعظم.
- ١٥ ربيع الآخر ١٢٦٥: تمرد كثيرون على ميرزا تقى خان أمير كبير.
- ٢٨ ربيع الآخر ١٢٦٥: قتل السيد على محمد الباب في تبريز.
- ١٢ رمضان ١٢٦٥: وفاة حاجي ميرزا آقاسى، الصدر الأعظم السابق لإيران في كربلاء.

القسم الثانى

اليقظة لحة تاريخية

عصر من الغفلة:

تولى ناصر الدين شاه رابع ملوك الأسرة القاجارية السلطة عام ١٢٦٤ هـ.ق. وحكم إيران باقتدار حتى عام ١٣١٣ هـ.ق أى لمدة خمسين عاما إلا بضعة شهور. وبعد توليه السلطة بفترة وجيزة، حدث عام ١٢٦٥ هـ- ق (١٨٤٨م) تحول هائل على الساحة العالمية، ونشبت ثورات عظمت فى كافة الدول الأوروبية تقريبا. وفى نفس العام أيضا نشر كارل ماركس بيان الحزب الشيوعى، ولكن إيران ظلت غافلة عن تلك الثورات والتغيرات العالمية.

لم تكن فتنة البابية التى بدأت فى نهاية عهد محمد شاه تخلو من الأهمية على الجانبين السياسى والاجتماعى، وعلى الرغم من أنها شكلت عبئا للدولة على مدى السنوات الأربع الأولى من عهد ناصر الدين شاه فقد قُفعت فى النهاية على يد ميرزا تقى خان أمير كبير أكثر رجالات إيران جدارة فى العصر الحديث. وصار من المتفق عليه أن الأمن والأمان قد ساد خلال بقية عهد الشاه ولكنه فى الحقيقة مضى فى خدر وأوهام وغفلة كالعصور الوسطى فى أوروبا (عدا السنوات الست الأخيرة التى تشكل أهمية لما وقع خلالها من أحداث سياسية حادة). ولم يكن الحديث فى تلك الفترة يدور حول السياسة بل فى الغالب حول الشعر والتصوف والأديان.

تنافس روسيا وبريطانيا فى إيران: بعد الهزيمة التى لحقت بإيران من روسيا عانت دولة إيران من ضغوط ندين قويين. ونتيجة لمعاهدة "تركمين جاي" والضرر الذى كان قد لحق بالملوك القاجاريين من جراء الروس، ظلوا يجاملون إلى فترة طويلة جاراتهم الواقعة إلى الشمال، ولكن يبدو أنهم كانوا يحاولون

الموازنة قدر الإمكان بين الجارتين. ولكن هذه الموازنة فشلت فيما بعد وخاصة منذ تولى ميرزا حسين خان سيدهسالار ومارست كل من روسيا وبريطانيا تلك الحيلة السياسية التي اصطلح على تسميتها "النفوذ السلمى" وذلك من أجل تحقيق أهدافهما التي تمثلت في تدعيم نفوذهما في آسيا وبالتالي إضعاف إيران وعمل الإنجليز على تشجيع الفساد في إيران وتعيين الأشخاص الضعفاء غير الأكفاء في المناصب الحيوية من أجل حماية مصالحهم والحيلولة دون تزايد النفوذ الروسى في إيران، وجعلوا البلاط والحكومة الإيرانية طوع هوامهم تارة عن طريق تقديم الأموال والوعود بالمناصب؛ وتارة أخرى عن طريق التهديد والترهيب.

الحصول على الامتيازات:

أفسد الروس والإنجليز البنية الاقتصادية في إيران لدرجة أن الحكومة اضطرت لمد يد الحاجة إليهم. وبسبب احتياج الدولة المدينة كانت الدولتان تقدمان هذه المساعدات البسيطة في مقابل فرض شروط صعبة ومجحفة، بعبارة أكثر وضوحا كانتا تحصلان من إيران على "امتيازات" دون أن تصرحا بهذه الكلمة.

وكانت هذه القروض المتتالية والمستمرة تجبر الحكومة الإيرانية على الاستسلام للشروط والمطالب الأخرى لهما خشية المطالبة برد الديون.

وعلى هذا النحو حصل الإنجليز قبيل الثورة الدستورية بعدة سنوات على امتياز التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر، وامتياز السكة الحديد من بحر قزوين إلى الخليج الفارسي و"خدمات عامة مفيدة" أى إنشاء خطوط الترام والتعدين واستغلال الغابات والأنهار وغيره لصالح البارون جوليوس دورويتر^(١) وامتياز الملاحة في القطاع الجنوبي من نهر كارون لصالح لينتش،

(١) تم إلغاء هذا الامتياز نتيجة الخلاف بين الروس ورجال الدين.

وامتياز بنك إيران الملكي لصالح رويتر، وامتياز احتكار الدخان لصالح تالبوت^(١) وأخيرا امتياز البترول لصالح ويليام نكسي دراسي^(٢).

وقام الروس بدورهم بتعبيد الطرق المهمة في الولايات الشمالية من إيران، واستغلوا رحلة ناصر الدين شاه الثانية إلى روسيا وحصلوا على موافقة الحكومة الإيرانية على تشكيل فرقة القوزاق في إيران، ثم حصلوا بعد ذلك أيضا على امتياز بنك القروض والرهونات.

وسيطر الإنجليز والروس على كافة الشؤون الاقتصادية والقطاعات الحيوية في إيران تقريبا؛ الإنجليز عن طريق البنك البريطاني ذي الاسم البراق "بنك إيران الملكي"؛ والروس عن طريق بنك القروض.

إن ناصر الدين شاه الذي كان يظن في البداية أنه ملك الملوك بالفعل، تورط في الأمر شيئا فشيئا^(٣) وأخذ يرقب تدهور الأوضاع، وربما لم يكن يرغب حقيقة أن يحكم على نهج أبيه نظرا لما حظى به من معرفة ضئيلة بأوضاع أوروبا؛ ولكنه لم يكن يستطيع برغم الصلاحيات الواسعة التي تمتع بها أن يتراجع بسهولة^(٤). وفي ذلك الوقت كانت قد كبلته المشاكل الداخلية مثل عدم وجود رجال أكفاء محنكين ومخلصين وذوى خبرة وتسلط رجال الدين المتشددين بشكل كبير والأهم من ذلك تنافس الندين القويين لدرجة أنه شعر باليأس تجاه أية خطوة

(١) ألغى هذا الامتياز أيضا نتيجة اعتراض العلماء والشعب.

(٢) ألغى هذا الامتياز في خرداد عام ١٣١٢ ش ومُنح عوضا عنه الامتياز المؤرخ في ٢٩ أبريل ١٩٣٣ للشركة البريطانية الإيرانية للبترول المحدودة، وألغى أيضا الامتياز الأخير بموجب قانون تأميم البترول في ٢٤ اسفند ١٣٢٩ ش.

(٣) الكونت جوبينواز، رسالتان مؤرختان في يونية ويولية عام ١٨٦٣ (مجلة يغما، العام ١٣ العدد ١٥).

(٤) المرجع السابق

مفيدة في السنوات الأخيرة من عهده ولم يكن يفعل شيئاً عدا السفر والصيد والاستسلام للمتّع^(١).

ناصر الدين شاه: على كل حال قتل ناصر الدين شاه "الملك العجيب والمتهوس" الذي كان يتحدث دائماً عن العدالة والإصلاحات على الرغم من أن فترة حكمه كانت مليئة بالظلم والجور والكثير من المظالم، وذلك في ساحة مسجد الشاه عبد العظيم إثر طلاقات نارية أطلقها عليه رجل فطن وجسور يسمى ميرزا رضا الكرمانى من المفتونين بداعية الوحدة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغانى، وكان ذلك في عصر يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٣، قبيل أربعة أيام من الاحتفال السنوى بمرور خمسين عاماً على توليه السلطة، بعد نصف قرن من الحكم المطلق ومنح امتيازات كثيرة للأجانب. وأقر ميرزا رضا في الاستجواب أن سبب هذا التصرف هو خراب الدولة وظلم الحكام وشيوع الفساد ووجود مجلس للوزراء من الخائنين. وأعرب عن قلقه إزاء منح امتيازات كثيرة للأجانب و"أن مملكة المسلمين سوف تقع في أيدي الأجانب" وقال كان ملكاً أفرزت أعماله الخراب وفساد الدولة وكان رجال حكومته من الأراذل والأوباش، و"يجب قطع مثل تلك الشجرة حتى لا تثمر هذا النوع من الثمار ثانية".

إرهاصات الثورة الدستورية:

خلال عصر ناصر الدين شاه والذي دام خمسين عاماً ومنذ بداياته الأولى ظهرت عوامل وأسباب أثرت في مجموعها وكذلك كل منها بشكل أحادي في

(١) كتب في رسالة إلى ملكم وزير إيران المفوض في لندن مبيناً موقفه على النحو التالي: لقد تورطت الحكومة الإيرانية في التنافس الدائر بين حكومتى بريطانيا وروسيا. وكلما أردنا إنجاز عمل في جنوب إيران بغرض المنفعة والمصلحة وتعمير مملكتنا؛ نقول الحكومة الروسية إنكم تفعلونه لمصلحة بريطانيا... وإذا أردنا أن ننجز مثل هذه الأعمال في شمال وغرب وشرق إيران يقول الإنجليز إنكم تبادرون بإنجاز هذه الأعمال لصالح روسيا. لقد صارت مهمتنا صعبة وسوف تصبح أكثر صعوبة يوماً بعد يوم. إذن فلسوف يأتي الروس والبريطانيون فجأة ويقولون إن دولة إيران ليست دولة مستقلة..".

ظهور الأفكار المنادية بالحرية. ولو تجاوزنا الإنجازات الأولى لولى العهد عباس ميرزا ووزيره المثقف ميرزا أبى القاسم قائمقام فى سبيل الأخذ بالفنون والصناعات الحديثة والترويج لها، فيجب علينا أن نعتبر إصلاحات ميرزا تقى خان أمير كبير وخاصة تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ. ق بإشارة منه وتحت إشرافه واستقدام المعلمين الأجانب لتدريس العلوم الأوروبية الحديثة لأبناء إيران؛ الخطوة الأولى فى هذا الطريق، ومما أثر بعد ذلك على اليقظة الفكرية لدى الإيرانيين تأثيراً قاطعاً رحلتا السيد جمال الدين الأفغانى إلى إيران فى عامى ١٣٠٤ - ١٣٠٧ هـ. ق ودعوته الواسعة لمناهضة الاستبداد وضرورة إجراء الإصلاحات، ومساعى أتباعه وأصدقائه المتحمسين. وجدير بالذكر أيضاً أن المستيرين والمطالبين بالحرية من الإيرانيين الذين أدركوا منذ فترة طويلة فقر إيران المادى والمعنوى وحملوا هموم الأوضاع السائدة فيها كانوا يكتبون من خارج إيران، وعملوا على إنارة عقول الناس وتوعيتهم من خلال الصحف والكتب. ويعد ميرزا ملكم خان ناظم الدولة الأصفهاني من الشخصيات التى أثرت فى إيقاظ الشعب الإيراني ونثر بذور الثورة وكان عضواً بوزارة الشؤون الخارجية الإيرانية. ونتيجة لما اشتهر بالمحفل الماسونى (أو ما شابه ذلك) الذى أسسه فى طهران وصحيفته المعروفة بـ (القانون) التى كانت تطبع فى لندن وكذلك رسائله الكثيرة النافعة حدث انقلاب فى نمط تفكير الإيرانيين.

وكانت هناك عدة عوامل أحدثت كل منها فى وقته وبالتدريج صدعا فى هيكل النظام الاجتماعى الفاسد فى إيران وهى ترجمة مقالات ومسرحيات ميرزا فتحعلى آخوند زاده ورسائل وأشعار ميرزا آقاخان الكرماني وكتب ميرزا عبدالرحيم طابوف التى كانت توضح الأسس العلمية والمبادئ الاجتماعية بأسلوب ميسر، والرواية الاجتماعية لزين العابدين المراغى المقيم بإسطنبول، والصحف الفارسية التى كانت تطبع فى مصر والهند وإسطنبول، وتردد تجار آذربيجان على

تركيا والقوقاز، وعلى وجه الخصوص الحرب بين روسيا واليابان في فبراير عام ١٩٠٤م وهزيمة روسيا غير المتوقعة من اليابان التي أدت إلى عقد اتفاقية سلام في الخامس من سبتمبر من العام اللاحق في بورتسموث بأمريكا، والصدمة التي أحدثها هذا الأمر في أذهان الإيرانيين، وبعد ذلك الحركات الثورية المتوالية في روسيا القيصرية والتي أفرزت قيام الثورة الروسية الأولى عام ١٩٠٥م أي قبيل الثورة الدستورية في إيران بوقت وجيز، وانعكاس أخبار تلك الثورة عن طريق جريدة ملا نصر الدين النائب الديمقراطي الشاب عن القوقاز الذي كان يحمل إلى مسامع الإيرانيين تلك الأحداث تفصيلا، وظهور الصحف والمجلات النافعة والمؤثرة الأخرى في القوقاز ورواجها بين أهالي آذربيجان. وأصابت هذه العوامل الطبقة الحاكمة في إيران بالقلق من نمط الإدارة القديمة التي كانت تعرض الدولة عاجلا أو آجلا للبيع لرؤوس الأموال الأجنبية أو الاحتلال المرتقب من قبل روسيا وبريطانيا، وهيات هذه العوامل أيضا الشعب لقبول التغير الجذري في شكل الإدارة واختيار أسلوب جديد للحياة، وعلى هذا النحو نشأت تدريجيا الرغبة في تغيير الأوضاع الاجتماعية والمدنية القديمة والبالية التي كانت بذورها قد نثرت منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر من الهجرة، ونمت تدريجيا وعلى مهل وأفرزت الثورة الدستورية.

الباب الأول

النثر الفارسي في مرحلة اليقظة

المقدمة

إن التحول الذي أحدثه قائمقام وأتباعه في النثر الفارسي كان قد أسس أيضا على خصائص الأسلوب القديم بالرغم من اتجاهه نحو البساطة. وبعد قائمقام ورفاقه استخدم عدد من الكتاب أسلوبا خاصا في مؤلفاتهم لم يختلف اختلافا جوهريا عن أسلوب أسلافهم ومنهم هدايت صاحب مجمع الفصحاء وسبهر مؤلف ناسخ التواريخ واعتماد السلطنة صاحب العديد من الكتب وأديب الممالك الفراهاني ومحمد حسين فروغى ذكاء الملك. ولكن مع انتشار اللغات الأوروبية وغزو العلوم الحديثة لم يكن يستمر هذا الأسلوب ولم يقلدهم أحد.

كان ناصر الدين شاه نفسه ملما إماما ضئيلا باللغة الفرنسية، وعلى معرفة طيبة بالتاريخ والجغرافيا، وكان قد اطلع على أوضاع الغرب والحضارة الغربية إلى حد ما أثناء رحلاته. وتمتع بقريحة شعرية فكان أحيانا ينظم الشعر أو يأتي بمطلع قصيدة ويدع إتمامها لشعراء البلاط. وكان يكتب نثرا لطيفا سلسا، وتخلو كتاباته من الأخطاء إلى حد بعيد. وتتميز كتب رحلاته إلى المزارات المقدسة لآل البيت وخراسان ومازندران وغرب أوروبا - سواء كتبت بقلم الشاه نفسه، أو بناءً على أوامره وبأقلام الآخرين - باستخدام نثر بسيط وسلس يخلو من الكلفة، يوضح ذوق الكاتب وموهبته في الإنشاء وتتميق الكلام.

وكان فرهاد ميرزا نجل ولي العهد وشقيقه اعتضاد السلطنة رجلين متعلمين فاضلين ماهرين في الكتابة، وخاصة اعتضاد السلطنة الذي عمل لفترة طويلة وزيرا للمطبوعات وأسهم مساهمة فعالة في اليقظة الفكرية وتقدم العلوم ونشر الثقافة الحديثة.

وفى تلك الفترة عاد إلى إيران من كانوا قد سافروا إلى أوروبا حاملين معهم هدايا قوامها الأفكار الغربية الحديثة، ومع تقدم فن الطباعة راجت الكتب التاريخية والعلمية والأدبية بالفارسية والعربية. وظهرت الصحافة منذ بداية عهد ناصر الدين شاه فى نطاق البلاط أولاً ثم بين عامة الناس.

وأسست مدرسة دار الفنون نتيجة لمساعى أمير كبير، وقام المعلمون الأوروبيون بمساعدة تلاميذهم من الإيرانيين بترجمة الكتب العلمية والفنية والعسكرية إلى الفارسية من أجل سد حاجة الطلاب. وترجمت ونُشرت خارج نطاق دار الفنون الكتب التاريخية والكثير من القصص على أيدى مترجمى العصر الناصرى، واضطر المترجمون لمحاكاة بساطة المتون الأصلية، وأثمرت المحاولات التى كانت قد بدأت منذ فترة سابقة من أجل تخليص اللغة من الألفاظ الفجة والتركيبات المستهجنة مع رواج المقالات فى الصحف الصادرة داخل إيران وخارجها وورود كتب ومقالات الكتاب الإيرانيين المقيمين بالخارج. وفى مقابل سيل التجديد تراجعت الكتابة البلاغية القديمة المكتظة بالصنعة والكلفة بما فيها من سجع ومراعاة النظير والاستشهاد بالأحاديث ومأثورات فطاحل العرب والفرس وتركت مكانها للكتابة البسيطة السلسة الموجزة المفهومة.

الفصل الأول: الطباعة والمطبعة

لو لم تكن إيران قد استخدمت الطباعة والمطبعة عندما أدركت الحاجة إليهما في ظل الاتصال بالغرب لما ظهرت أيضا الصحف والصحافة بالمعنى المعاصر لهما.

يقول القس أنج دوسن جوزيف^(١) وهو من أهالي تولوز بفرنسا ومن مبشرى طائفة نصارى الكرملين وقد أقام لفترة في إيران وأعد معجما من الفرنسية للفرسية^(٢) وطبع عام ١٠٩٦ هـ.ق في فرنسا يقول في شرح الألفاظ "باصمه خانه، كارخانه بصمجي، مطبع"^(٣):-

"إن آباءنا القدامى (قساوسة نصارى الكرملين) كانوا قد أقاموا في دار عبادتهم بأصفهان مطبعة بالحروف العربية والفرسية ولازالوا يملكونها. ولدى الأرمن في جلفا أيضا مطبعة أرمنية".

بناء على هذا حملت طائفة الكرملين أول مطبعة معها إلى إيران بعد عام ١٠١٦ هـ.ق عندما قدمت هذه الطائفة إلى أصفهان، وقد طبعت في البداية بعض الأدعية والأذكار المسيحية باللغتين العربية والفرسية.

امتلك الأرمن مطبعة أرمنية زمن قديم كما أفاد سن جوزيف، وإلى حد علمنا افتتح خليفة خاجادور القيصري^(٤) عام ١٠٥٠ هـ.ق (١٦٤١م) مطبعة في أصفهان للمرة الأولى، وكان الورق والأحبار والحروف الخاصة بتلك المطبعة تصنع في جلفا أيضا ويوجد حتى الآن في متحف كنيسة "وانك" عدد من الحروف وألواح الضغط والكتب التي طبعت في تلك المطبعة وبهذه الحروف^(٥).

(١) Ange de Saint Joseph

(٢) Gazophylaciun Linguae Persarum

(٣) بصمه" و"باصمه" في التركية بمعنى طباعة "وباصمه خانه" بمعنى مطبعة وكان يطلق حتى تلك الفترة في إيران على المطبعجي أو القائم على الطباعة كلمة "باصمه چي" (باسمه چي) و"چاپچی". ويبدو أيضا أن كلمة (چاپ) مأخوذة من كلمة "چهاپ" الهندية والسنسكريتية.

(٤) خاجادور جساراتسي

(٥) قدم بتوجالستيان هذه المعلومات إلى صحيفة "اطلاعات".

ويقول أيضا "هوتوم شيندلر" في رسالته إلى مدير صحيفة (كاوه) بخصوص هذه المطبعة: ".... لقد طبعت العديد من الكتب بالحروف الأرمنية، وهي موجودة منذ عام ١٠٥٠ هـ. ق بالمكتبة، ويوجد الآن عدد من الحروف القديمة في مذبح الكنيسة بجلفا"^(١).

وورد في دائرة المعارف البريطانية ذكر ورقة كبيرة باللغة الأرمنية طبعت في جلفا بأصفهان وذلك تحت مادة "الأدب الأرمني" وقد طبعت عام ١٠٥٠ هـ. ق وموضوعها ديني^(٢).

ولكن الإيرانيين الناطقين بالفارسية أنفسهم لم يمتلكوا مطبعة لسنوات طويلة، واستفادوا من مزاياها في وقت متأخر جدا. وفي كتابه للرحلات يقول الرحالة الفرنسي شاردن (١٦٤٣-١٧١٣م) الذي زار إيران في عهد الشاه سليمان الصفوي: "إن الإيرانيين لديهم شوق مفرط لدخول الطباعة إلى بلادهم وقد أدركوا تماما فوائدها وأهميتها، ورغم ذلك لم يؤسس أحد مطبعة. وفي عام ١٠٨٧ هـ. ق كان يرغب شقيق وزير البلاط وهو عالم جليل ومقرب إلى مجلس الشاه أن يعقد معى اتفاقية لإحضار حرفيين إلى إيران ليعلموا الإيرانيين هذه الحرفة البديعة. وعرض المشار إليه الكتب العربية والفارسية المطبوعة التي كنت قد حملتها له على صاحب الجلالة، وتمت الموافقة على هذا الاقتراح ولكن عندما طرح موضوع دفع التكاليف ضاع هباء كل ما تم الاتفاق عليه"^(٣).

مضى ما يقرب من قرن ونصف على زمن شاردن ولم يتخذ الإيرانيون خطوة لإنشاء مطبعة إلى أن تعلم عدد من الإيرانيين تلك الحرفة في أوروبا لأول مرة في عهد فتحعلي شاه القاجاري بفضل ولي العهد عباس ميرزا، وأحضروا إلى إيران ماكينة طباعة بالحروف (بالرصاص)^(٤) وبعدها مطبعة للطبع بالحجر^(٥).

(١) من رسالة هوتوم شيندلر General Sir A. Houtum Schindler التي أرسلها عام ١٣٣٢ هـ. ق من لندن لتقى زاده، صحيفه "كاوه" العام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٢) صحيفة "كاوه"، العام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٣) سياحتنامه شاردون، ترجمة محمد عباسي، ج٤، طهران، ١٣٣٦ ش.

(٤) Typography

(٥) Lithography

وهناك خلاف حول أول من افتتح مطبعة في إيران، ولكن من المسلم به من مجموع المعلومات المتاحة في هذا الشأن أن آلة الطباعة بالحروف أُحضرت إلى إيران أولاً واستخدمت في مدينة تبريز.

ويقول هوتوم شيندلر في رسالته إلى تقي زاده: "لقد أحضر شخص يدعى السيد زين العابدين التبريزي عام ١٢٣٣ آلة صغيرة للطباعة بالحروف إلى تبريز بفضل رعاية ولي العهد عباس ميرزا الذي كان حاكماً لآذربيجان في ذلك الوقت، وأنشأ مطبعة صغيرة وبعد فترة طبع فيها كتاب "فتحنامه". وكان هذا الكتاب أول كتاب يطبع في إيران بالحروف العربية. ومؤلف الكتاب المذكور ميرزا أبو القاسم قائمقام، ويروي الكتاب حكايات عن الحرب التي دارت عام ١٢٢٧ هـ. ق بين روسيا وإيران التي انتهت بعقد معاهدة جلستان المؤرخة بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨١٣م الموافق ١٦ ذي القعدة ١٢٢٨^(١).

وفي بداية عام ١٢٣٥ هـ. ق عاد "ميرزا صالح الشيرازي"^(٢) إلى تبريز حاملاً أدوات الطباعة ومكبساً صغيراً باهظ الثمن حيث كان قد درس حرفة الطباعة وصناعة أحبارها وترخيص الحروف في بريطانيا إلى جوار دراسته

(١) صحيفة كاوه، العام الثاني (الإصدار الحديث) العدد الخامس.

(٢) كان ميرزا صالح بن الحاج باقرخان الكازروني الشيرازي واحداً من خمسة أشخاص أرسلهم ميرزا قائم مقام الأول إلى لندن عام ١٢٣٠ هـ. ق بناءً على أمر من عباس ميرزا لدراسة العلوم والحرف، وتعلم هذا الرجل شديد الفطنة اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية خلال المدة التي قضاها في لندن والتي ناهزت ثلاث سنوات وتسعة شهور وتسعة أيام. ودرس التاريخ والعلوم الطبيعية ومارس بعض الحرف مثل صناعة الزجاج والأحبار وترخيص حروف المطبعة. وانضم هناك للمحفل الماسوني، وعند عودته إلى إيران عين مترجماً ومستشاراً لولي العهد عباس ميرزا في تبريز ثم عين وزيراً لشئون طهران، وارتحل لتأدية العديد من المهام، ومن تلك شارك في عضوية وفد المبعوثين إلى البلاط الروسي (١٢٤٥ هـ. ق) تحت رئاسة خسرو ميرزا وبرفقة شاب يسمى ميرزا تقي خان الفراهاني (الذي عُرف فيما بعد بأمير كبير الصدر الأعظم الإيراني الشهير)، كما أنشأ أولى الصحف الفارسية الصادرة في إيران.

للغات والعلوم^(١)، ويبدو أن هذه الماكينة التي تستخدم الحروف في الطباعة، والتي كان قد أحضرها معه إلى إيران قد استخدمت في تبريز، ولكننا لا نملك معلومات مؤكدة عن مصير هذه الماكينة والأعمال التي طبعتها".

ويعتقد الأستاذ مجتبي مینوی أن ماكينة الطباعة التي أحضرها ميرزا صالح الشيرازي معه من إنجلترا كانت أول مطبعة استخدمت في إيران لطباعة الكتب الفارسية. ويقال إن مدير هذه المطبعة التي تستخدم حروف الرصاص كان شابا يسمى ميرزا جعفر، لهذا ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين المهندس ميرزا جعفر رفيقه في الرحلة لإدارة المطبعة، خاصة وأن ميرزا صالح كان قد أصبح من الأعيان ورجال الدولة ولم يكن لديه متسع لمتابعة المطبعة^(٢).

وفي عام ١٩٠٢ م طبع في باريس كتاب فرنسي اسمه "المطبعة خارج أوروبا"^(٣) لكاتب مجهول متخصص في علم المكتبات^(٤) ونقل هذا الكتاب عن لسان الدكتور كوتون^(٥) أن شابا يسمى ميرزا جعفر تولى عام ١٨٢٢م إدارة أول مطبعة تستخدم حروف الرصاص في مدينة تبريز وكان الجلستان أول كتاب يطبع فيها^(٦)، ولم يذكر ميرزا جعفر مطلقا بصفته أول من أسس مطبعة تستخدم حروف الرصاص في تبريز. ومع ذلك كله ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين على المطبعة رفيق رحلته إلى لندن ميرزا جعفر التبريزي^(٧) الذي كان قد

(١) سفر نامہ میرزا صالح (نقلا عن مجلة يادگار، العام الأول، العدد الثالث).

(٢) مجتبی مینوی: کاروان معرفت، مجلة یغما، العدد السادس، العدد الثامن.

(٣) Imprimerie hors de l'Europe

(٤) Un bibliographe

(٥) Dr. Cotton

(٦) صحيفة كاوه، العام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٧) كان هذا الرجل قد سافر إلى إنجلترا عام ١٢٣٠هـ.ق ضمن بعثة من خمسة دارسين وتعلم هناك الهندسة والرياضيات والمدفعية، ثم ذهب إلى تركيا سفيراً لإيران ولقب بمشير الدولة، وبعد أن عزل ناصر الدين شاه ميرزا آقا خان نوري في محرم ١٢٧٥هـ.ق من منصب الصدارة وأسس مجلس الشورى محاكاة للدول الأوروبية، عينه لرئاسة هذا المجلس، وهو نفس الشخص الذي وجه إليه ملكم عام ١٢٧٦هـ.ق رسالته المعروفة بـ "كتابچہ غیبی"

درس الهندسة في بريطانيا وعلى ذلك نسب إليه تأسيس هذه المطبعة في تبريز، ولكن على كل الأحوال، فإن مجموع المعلومات المتوفرة لدينا كما سبق الذكر تشير إلى أن ميرزا زين العابدين قد استقدم من روسيا أول مطبعة للرصاص إلى تبريز، وأن هذه المطبعة قد عملت عام ١٢٣٢ هـ.ق أو عام ١٢٣٣ هـ.ق كما أكد شيندلر؛ أي قبل عامين أو ثلاثة من عودة ميرزا صالح إلى تبريز.

ومن أوائل الكتب التي طبعت طباعة بالحروف في تبريز، مآثر سلطاني لعبد الرازق بيك دنبلي عن تاريخ سلطنة فتحعلي شاه والذي تم إهداؤه لولى العهد. طبع هذا الكتاب بهمة وإشراف ملا محمد باقر التبريزي في أواخر شهر رجب ١٢٤١ هـ.ق، وبعد فترة طبعت رسالة صغيرة تسمى "رساله آبله كوبي درفوايد تلقيح ولزوم تعميم آن" أي "رسالة التطعيم ضد الجدري وفوائد استخدامه وضرورة تعميمه"^(١).

ولا نعلم على وجه الدقة تاريخ افتتاح أول مطبعة للحروف في طهران. ويضيف شيندلر سالف الذكر في رسالته لتقى زاده: ".... استدعى فتحعلي شاه عام ١٢٤٠ هـ ق ميرزا زين العابدين لدار الخلافة (طهران)، وقدم ميرزا المذكور في البداية إلى منزل ملك الشعراء الثاني، ولكن لما لم يكن ملك الشعراء على علم بهذا الأمر، دعا منوچهر خان معتمد الدولة ميرزا زين العابدين وأسكنه في تكية منوچهر خان، وبعد ذلك بفترة قصيرة طبع ميرزا زين العابدين القرآن الكريم طباعة حروف بخط المرحوم ميرزا التبريزي، وهو ما عرف بـ "قرآن معتمدى". وتتلذذ عدد من الطلاب على يد ميرزا زين العابدين، ومنهم المرحوم مير باقر الذى طبع فيما بعد نسخة من ناسخ التواريخ للمؤلف لسان الملك وذلك في طبعة حجر. وقد وردت الإشارة إلى ميرزا زين العابدين المذكور في كتاب "مآثر

= يادفتر تنظيمات" والتي تحتوى على خطة للإصلاحات. وتوفى عام ١٢٧٩ هـ.ق.
(١) تأليف الدكتور كارمك، ملحق "أنوار الناصرية يا مرآة الحكمة الناصرية"، تبريز، ١٢٤٥ هـ.ق.

سلطاني" الذي طبع طباعة حروف تبريز في رجب ١٢٤١ هـ.ق وذلك ضمن وصف طباعة الكتاب؛ وجاء في هذه الإشارة أن زين العابدين قد طبع في دار الخلافة طهران مجلدات من كتب الحديث تحت إشراف منوچهر خان وأن التجار يحملونها إلى الولايات لبيعها^(١).

إن هذه التوضيحات لا تزيح الغموض عن تاريخ تأسيس أول مطبعة للحروف في طهران، وعندى شك في أن يكون "قرآن معتمد" قد طبع طباعة حروف، لأن هذا النوع من الطباعة لا يحتاج إلى خط وخطاط، وأعتقد أن نسخة القرآن التي أشار إليها شيندلر قد طبعت طبعة حجر^(٢). ويتضح أنه في نفس الوقت الذي كانت تدار فيه مطبعة الحروف الأولى في تبريز كانت تعمل مطبعة أخرى في طهران في حدود عام ١٢٤٠ هـ.ق، دون أن تنقل مطبعة تبريز إلى طهران، لأن العديد من الكتب قد طبعت في هاتين المطبعتين عام ١٢٤٠ هـ.ق والأعوام اللاحقة^(٣).

على كل الأحوال أغلقت مطبعة الحروف في تبريز على ما يبدو عام ١٢٥٠ هـ.ق بعد فترة قصيرة من وفاة عباس ميرزا الذي توفي عام ١٢٤٩ هـ.ق، كما أغلقت أيضا مطبعة الحروف بطهران بعد عشر سنوات تقريبا عام ١٢٦١ أو ١٢٦٢ هـ.ق، واقتصرت المطابع في إيران على طباعة الحجر لفترة تزيد على ستين عاما. ودخلت طباعة الحجر إلى إيران بعد طباعة الحروف بثمانى سنوات، وكان لعباس ميرزا أيضا الأسبقية في هذا المجال. أرسل هذا الأمير المحب للعلوم ميرزا جعفر التبريزي عام ١٢٤٠ هـ.ق إلى موسكو لدراسة حرفة الطباعة. وقد حاكت

(١) صحيفة كاوه، العام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس

(٢) للأسف لم يرد ذكر النسخ المطبوعة من القرآن في فهرس الكتب المطبوعة لخان بابا مشار (طهران ١٣٣٧ ش) وليس عندى وسيلة لمزيد من البحث حول هذا الموضوع.

(٣) صحيفة كاوه، العام الثاني (الإصدار الحديث) العدد الخامس ومن بين الكتب التي طبعت طباعة حروف في طهران يمكن ذكر كتاب "محرقة القلوب" ١٢٣٩ هـ.ق، و"عين الحياة وحياة القلوب" (في ثلاثة أجزاء) ١٢٤٠ هـ.ق

العاصمة مدينة تبريز في هذا المجال أيضا، وأوفد ميرزا صالح الشيرازي وزير شئون طهران ميرزا أسد الله - وكان من أهالي فارس - إلى بطرسبورج^(١)، وأتم المبعوثان المهمة بنجاح، ولكن لا يُعرف السبب وراء إدارة كل منهما مطبعة تستخدم طباعة الحجر في طهران.

وطُبع أول كتاب طباعة حجر عام ١٢٤٨ هـ.ق تحت إشراف ميرزا أسد الله، وكان القرآن الكريم، وبعد ذلك طُبع كتاب تفسير زاد المعاد في غرة ذي الحجة عام ١٢٥١ هـ.ق. وكتب كل منهما بخط الخطاط ميرزا حسين^(٢).

(١) ورد بالصفحة الأخيرة من "زاد المعاد" طبعة تبريز ١٢٥١ هـ.ق: "أنا محمد صالح بن الحاج باقر خان الشيرازي العبد ببلاط ملاذ العالم، كنت قد ذهبت في مأمورية لروسيا (لا أعلم إن كان يقصد سفره عام ١٢٤٥ هـ.ق ضمن البعثة التي رأسها خسرو ميرزا أم يقصد رحلة أخرى) وتعلمت حرفة الطباعة الحديثة في تلك الديار وحملت معداتها وتجهيزاتها إلى دار السلطنة تبريز ووضعتها في دار الطباعة، وعُين على إدارتها عالي المقام آقا علي بن المرحوم الحاج محمد حسين الشهير بأمين الشرع التبريزي... وبعد طباعة القرآن المجيد تيمنا، تمت طباعة كتاب زاد المعاد الذي يلي كلام رب العباد وذلك في غرة شهر ذي الحجة الحرام عام ١٢٥١ هـ.ق"

(٢) ذكرت الكتب التالية من بين ما طبع طباعة حجر في تبريز: زيارة عاشوراء في حجم كبير، ١٢٥٥ هـ.ق؛ كليات سعدى بقلم الخطاط ميرزا تقى ١٢٥٧ هـ.ق؛ كليات حافظ ١٢٥٨ هـ.ق، صد كلمة حضرت علي و ترجمتها للفرسية نظما ١٢٥٩ هـ.ق؛ تاريخ جهانگشاي نادري ١٢٦٠ هـ.ق؛ تقويم رقومي لميرزا تقى أهدى ١٢٦١ هـ.ق؛ ألف ليلة وليلة بالفرسية ترجمة عبد اللطيف الطسوجي بقلم الخطاط ميرزا علي ١٢٦١ هـ.ق؛ قواعد پارسى لميرزا عبد الكريم الأيرواني ١٢٦٢ هـ.ق؛ جنات الخلود ١٢٦٢ هـ.ق؛ منشآت ميرزا مهديخان بخط ميرزا مهدي التبريزي ١٢٦٣ هـ.ق؛ مثنوى مولانا رومي ١٢٦٤ هـ.ق؛ كليات سعدى ١٢٦٤ هـ.ق، جهان نما ترجمة فلوغون روفائيل بخط جرعة الشاعر ١٢٦٧ هـ.ق، كتاب الأدعية والتعقيبات المترجم للفرسية بريشة الخطاطة فاطمة خانم والترجمة الفارسية بخط مصطفى مرندی المتخلص بـ (ساغر) ١٢٦٩ هـ.ق؛ شاهنامه فردوسي ١٢٧٥ هـ.ق؛ ديوان ناصر خسرو ومختارات من غزليات مولوى الشهير بشمس تبريزي ١٢٨٥ هـ.ق؛ أجمل التواريخ لرضا قلي خان هدايت ١٢٨٣ هـ.ق؛ امتحان الفضلاء يا تذكرة الخطاطين لميرزا سنغلاخ المشهدي في ثلاثة مجلدات ١٢٩٥ هـ.ق، كلية ودمنة لأبي المعالي نصر الله المنشى ١٣٠٠ هـ.ق (محمد علي تربيت، مبدأ تاريخ ايرانشناسي در اروپ، مجلة ارمغان، العام الثاني عشر، العدد السابع).

وبعد خمس سنوات نُقلت هذه المطبعة إلى طهران بأمر من الشاه وكان ديوان عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط أول ما طبع بها، وكانت طباعته سيئة للغاية^(١). وفي المجمل فإن تاريخ دار الطباعة والمطبوعات في طهران متأخر عن تاريخها في تبريز (سواء طباعة الحروف أو الحجر). ويبدو أن ديوان غزليات حافظ هو أول كتاب يطبع في طهران طباعة حجر، وقد طُبِع بتاريخ الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق^(٢).

وعملت طباعة الحجر على وجه السرعة في إيران، فبعد تبريز وطهران أقيمت مطابع في أصفهان وشيراز^(٣) وسائر المدن أيضا^(٤). والعجيب أن طباعة

(١) محمد علي تربيت، تاريخ مطبوعات إيران الترجمة الإنجليزية لبراون؛ ملك الشعراء بهار، سبلك شناسي، ج ٣.

(٢) يقول محمد علي تربيت في مقالة "مبدأ تاريخ ايرانشناسي در اروپا" (مجلة ارمغان، العام الثاني عشر، العدد السابع) "لم ير المؤلف كتابا يفوق كليات حافظ الذي طبع في الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق في قطع صغير وطبعة فاخرة للغاية". ثم يذكر بعد ذلك مطبوعات طهران التي صدرت في طبعة حجر وهي كالتالي: المعجم في آثار ملوك العجم ١٢٥٩ هـ.ق؛ دبستان المذاهب ١٢٦٠ هـ.ق، تاريخ پادشاهان عجم ١٢٦٢ هـ.ق؛ خلاصة الحساب لميرزا جعفر خان مشير الدولة ١٢٦٢ هـ.ق؛ تاريخ پطر كبير وشارل دوازدهم واسكندر في مجلد واحد ١٢٦٣ هـ.ق، أبواب الجنان ١٢٦٣ هـ.ق، كشكول بهائي ١٢٦٦ هـ.ق، وصاياي نابليون ١٢٦٧ هـ.ق، جام جم معتمد الدولة ١٢٧٣ هـ.ق، كتاب السامي في الأسامي ١٢٧٣ هـ.ق، ديوان بنائي ١٢٧٤ هـ.ق، مخزن الأدوية ١٢٧٧ هـ.ق، قاموس فيروز آبادي مع ترجمة فارسية في الحواشي ١٢٧٧ هـ.ق، روضة الأنوار عباسي ١٢٨٤ هـ.ق، قابوسنامه ١٢٨٥ هـ.ق، بحر الجواهر ١٢٨٨ هـ.ق، جاودان خرد ١٢٩٤ هـ.ق وبعد كتاب "جاودان خرد" تم ترجمة وتأليف سلسلة من الكتب تحت رعاية محمد حسن خان اعتماد السلطنة بلغ عددها حوالي ثلاثين كتابا وذلك خلال الفترة من ١٢٩٠ حتى ١٣٢٤ هـ.ق كملحق للتقويم السنوي وهي تاريخ إيران، مرآت البلدان، منتظم ناصري، مطلع الشمس، خيرات حسان، المآثر والآثار، درر التيجان، التدوين في جبال الشروين، تاريخ ساسانيان ونامهء دانشوران وغير ذلك.

(٣) لم تطبع مطبعة شيراز سوى نسخة من القرآن، وصدر عن مطبعة أصفهان الرسالة الحسينية المنسوبة للشيخ أبي الفتوح الرازي صاحب التفسير الشهير، وقام بترجمتها الشيخ إبراهيم جرجين الاسترآبادي، وطبعت في العام الأول لتأسيس المطبعة.

(٤) كانت أرومية أول مدينة بعد شيراز وأصفهان تأسس فيها مطبعة حيث كان المبشرون المسيحيون الأمريكيون يمتلكون مطبعة للحروف باللغات العربية والسريانية والأمريكية.=

الحروف التي كانت قد دخلت إيران أولاً كما ذكرنا؛ ظلت معطلة لفترة طويلة إلى أن اشترى ناصر الدين شاه عام ١٢٩٠ هـ ق - أثناء رحلته الأخيرة إلى أوروبا - ماكينة للطباعة بالحروف ومطبعة بالرصاص بمبلغ خمسمائة ليرة تركية من إسطنبول. وأحضرها إلى طهران مع متخصص في ترصيص الحروف، ولكن أهمل استخدام هذه المطبعة، وفي النهاية أصلحها البارون نورمان^(١) الذي كان قد حصل على تصريح بنشر صحيفة La patrie الفرنسية، وقام بتشغيلها وأحضر إلى إيران حروف رصاص لاتينية.

وكان لدى ولي العهد محمد علي ميرزا مطبعة صغيرة تعمل تحت إرادته، وطُبع فيها ترجمة كتاب نهج البلاغة للفارسية وشرح له بقلم مولى محمد صالح بن محمد باقر الروغني القزويني (١٠٥٢-١١٠٦ هـ ق) التي نسبت على سبيل الخطأ إلى الملا محمد صالح البرغاني القزويني (المتوفى في حدود عام ١٢٧٠ هـ ق) في تبريز. (الغدير، ج ٤، طبعة بيروت، ص ١٩٠؛ ريحانة الأدب، ج ٢، ص ١٠١). وتمت تلك الطبعة تحت إشراف ميرزا علي خان أديب خلوت آشتياني (السرمدي) عام ١٣٢١ هـ ق. وهذه المطبعة هي نفسها التي اشتراها الحاج ميرزا آقا بلوري أثناء توجه محمد علي ميرزا إلى طهران، وطُبعت فيها صحيفة "آذربايجان" وأغلب مؤلفات المناضلين في سبيل الحرية.

=ويقول الدكتور بركين (Dr.J.Perkin) وهو من أوائل المبشرين الأمريكيين في أرومية - في كتابه المسمى "ثمانى سنوات في إيران" عاد من أمريكا السيد بريت (Breath) المتخصص في الطباعة في الثاني عشر من رمضان ١٢٥٦ هـ ق، وأحضر معه مطبعته التي كانت صغيرة ويمكن نقلها. وبدأت المطبعة عملها في السادس والعشرين من رمضان، وطبعنا بعض الأدعية باللغة السريانية وكان أهالي المدينة المسلمون مسرورين أيضاً من إحضار المطبعة. وتقدم إلينا كبير الفلكيين في أرومية وطلب منا أن نطبع تقويمه عن عام ١٢٥٧ هـ ق. وفي الخامس من شوال بدأنا في طباعة الزبور باللغة السريانية القديمة". ويبدو أن المطابع أنشئت في سائر المدن الإيرانية بعد أرومية على الترتيب التالي: بوشهر، مشهد، انزلي، رشت، اردبيل، همدان، خوى، يزد، قزوین، کرمانشاه، کرمان، جروس وكاشان (رسالة محمد علي تربيت ترجمة براون الإنجليزية).

Baron Louis de Norman (١)

الفصل الثانى – الصحيفة والصحافة

إن كلمة "روزنامه" فى اللغة الفارسية ذات أصل قديم، وتشاهد هذه الكلمة أو المعرب منها على نحو "روزنامه" فى الكتب التى ترجع للقرون الأولى من الإسلام^(١) ومن ذلك قيل إن صاحب بن عباد الكاتب الشهير ووزير آل بويه (المتوفى عام ٣٨٥هـ.ق) كان عنده "روزنامه" وكان يدون فيها الوقائع اليومية، وبناء على هذا كانت تستخدم كلمة "روزنامه" قديما بمعنى سجل المذكرات والأحداث اليومية^(٢).

وكان هذا المصطلح يستخدم فى القرون الأخيرة أيضا بنفس المعنى الأول تقريبا، وكانت التقارير التى يقدمها محررو الوقائع فى كل ركن من الدولة للحكومة تسمى "روزنامه"^(٣).

أما الصحيفة بمعناها المتداول والرائج حاليا كانت تسمى فى البداية "كاغذ أخبار" أى "صحيفة الأخبار" ولعلها مأخوذة عن الإنجليزية، وترجمة حرفية لـ (Newspaper) وقامت الحكومة بإصدار الصحف الأولى، وكانت عبارة عن أوراق صغيرة تنشر الأخبار والأحداث المختلفة المتعلقة بالبلاط والحكومة، وكانت توزع هذه الأوراق فى نطاق المقربين للبلاط، وكان لمحبرى تلك الأوراق مناصب حكومية ورسمية.

(١) صحف العاصمة

أول صحيفة فارسية: إن أقدم وثيقة لدينا متعلقة بأول الصحف الفارسية عبارة عن نشرة إخبارية من قبل الحكومة "حررت بغرض إطلاع سكان الممالك

(١) الثعالبي؛ يتيمة الدهر، طبعة دمشق، ص ١٠، ١١.

ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٤٤٠.

(٢) Journal, Mémoires

(٣) على سبيل المثال نقرأ فى صحيفة وقائع اتفاقيه: "ووفقا لما كتب فى صحيفة أصفهان فإن شئون دار الأسلحة..." أو "وفقا لما كتب فى صحيفة خراسان فإن الأمير أفضل خان...".

الإيرانية المحروسة" وتبدأ بتلك العبارة: "لا يخفى على الرأى الراجح لسكان الممالك المحروسة أن الهمة الملكية لولى الدولة العلية مكرسة لتتوير سكان الممالك المحروسة، وبالنظر إلى أن الاطلاع على الشئون العالمية أعظم وسيلة للاستتارة، لهذا ستحرر صحيفة الأخبار التى تضم أخبار الشرق والغرب فى دار الطباعة بناءً على قرار ملك الملوك وسوف ترسل إلى أطراف البلاد وأكنافها^(١)..."

وقد ذكر تاريخ هذه النشرة الإخبارية بـ "العشر الأواخر من رمضان المبارك عام ١٢٥٢هـ"، وفى الواقع تعد هذه النشرة عدداً خاصاً أو العدد الأول للصحيفة التى صدرت بعد ذلك التاريخ بثلاثة شهور تقريباً. وللأسف فقدت أعداد الصحيفة نفسها فى الغالب، وقد علمنا بإصدارها بأساليب غير مباشرة.

فكتبت مجلة الجمعية الآسيوية اللندنية فى عددها الخامس المؤرخ بالتانى من فبراير ١٨٣٩م الموافق ١٨ ذى القعدة ١٢٥٤ (بعد أربع سنوات من تنصيب محمد شاه) تحت عنوان "نموذج لصحيفة فارسية" عن نشرة إخبارية "تصدر لعدة سنوات تحت رئاسة ميرزا صالح" ونقلت عن العدد المؤرخ بمحرم ١٢٥٣ هـ.ق العبارات التالية^(٢): "دار الخلافة طهران: عاد صاحب السمو المقرب إلى الخاقان "خداداد خان" من رحلته التى أوفد خلالها إلى إسطنبول. وأحضر رسالة لصاحب الجلالة ملك الملوك من طرف صاحب الجلالة السلطان محمود. ونظراً لأن وفادة المذكور إلى إسطنبول حظيت باستحسان زينة عالم السلطنة، فبعد أن بلغ الرسالة وعرض تفاصيل مهمته، أعرب صاحب خاطر المبارك عن رضائه عنه، وارتقت مكانة صاحب السمو المذكور إلى أعلى الدرجات، وأنعم عليه بالوزارة...^(٣)"

(١) أرسل الحاج محمد نخجوانى - وهو من تجار آذربيجان العلماء والمستيرين - هذه الوثيقة لمجلة يادگار، وقد نشرت بنصها المطول فى العدد السابع من العام الاول من المجلة المذكورة.

(٢) Journal of Royal Society, vol. 5th 2nd Feberm 1839, pp. 355-372.

(٣) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الثالث.

كما كتب الفرنسي آدمون دوتامبل في كتابه المسمى "القاجاريون، حياة ناصر الدين شاه": "صدرت لأول مرة في طهران صحيفة حكومية في عهد محمد شاه عام ١٨٣٧م وكانت صحيفة شهرية، وصدر العدد الأول منها في شهر مايو" وكانت تطبع هذه الصحيفة طباعة حجر في قطع كبير وورق يسمى خان باليغ ولكن طباعتها لم تكن فاخرة إلى حد كبير. ولم يكن للصحيفة المذكورة اسم محدد، وكان يُطبع في نهاية الصفحة الأولى منها شعار الحكومة الإيرانية. وهذه الصحيفة نفسها هي التي تحولت إلى صحيفة وقائع اتفاقية أو صحيفة طهران الرسمية بعد إجراء بعض التعديلات الجوهرية عليها.^(١)

وهذا العدد هو الذي أشارت إليه المجلة الآسيوية اللندنية ونقلت عنه بعض الموضوعات، وعلى هذا تجدر الإشارة إلى أن أول صحيفة صدرت في إيران بعد عامين ونصف من وفاة فتحعلي شاه وتنصيب محمد شاه أي في يوم الاثنين من محرم عام ١٢٥٤هـ ق (الموافق الفاتح من شهر مايو ١٨٣٧م)^(٢).

وكان ميرزا صالح الشيرازي كما ذكرنا يصدر هذه الصحيفة في ورقتين من قطع كبير مطبوعتين على وجه واحد طباعة حجر، وكانت تطبع أخبار مدينة طهران والأقاليم وتركيا والعرب بعد ذكر عبارة "طبع في دار الخلافة طهران". وقد اطلع على مشيرى على عددين آخرين من هذه الصحيفة محفوظين في مكتبة المتحف

(١) Les Kadjars; vie de naser ed-din Shah, Par Edmond Duteuple, Paris, 1873.

(٢) كتب تقى زاده في مقال "روزنامه نگاری در ایران در قرن سیزدهم" الذي نشره في صحيفة كاوه مستنبطا من العبارة التي وردت في المجلة الآسيوية والتي تقول "تولى ميرزا صالح إدارة هذه الصحيفة لعدة سنوات"، إن هذه الصحيفة الفارسية قد أسست قبيل عام ١٢٥٣ هـ. ق بعدة سنوات، وعلى هذا تكون قد أخذت في الظهور في أواخر عهد فتحعلي شاه. ولكن الواضح أن المقصود بعبارة "عدة سنوات" عدة سنوات قبيل كتابة المقال المنشور في المجلة الآسيوية أي قبيل ١٨٣٩م وليس عدة سنوات قبيل ١٢٥٣ هـ. ق (لمزيد من المعلومات برجاء الرجوع إلى مقال تقى زاده في صحيفة "كاوه" العدد الثالث من العام الأول، الإصدار الحديث، والعدد السادس من العام الثاني الإصدار الحديث، وكتاب "أمير كبير إيران" لفريدون آدميت، الجزء الثاني، ومجلة "يادگار"، العدد ٣، ٧ العام الأول.

البريطاني تحت رقم (13) O.P.3، وذكر وصفهما خلال المقال الذي نشره في مجلة "سخن" جاء فيه: "كانت هذه الصحيفة تُطبع طبعة حجر في ورقتين من حجم ٤٠ سم طولا و ٢٤ سم عرضا دون اسم أو عنوان وكانت رؤوس الموضوعات تُكتب بخط النسخ والمتن بخط نستعليق، وخصصت الصفحة الأولى لـ "أخبار الممالك الشرقية" والصفحة الثانية لـ "أخبار الممالك الغربية". ويتوسط أعلى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس في حجم ٥ x ٥ سم وكتب تحته على مسافة ٢ سم إلى اليمين بخط النسخ "أخبار شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥٣" وكتب إلى اليسار بخط النسخ أيضا "طُبعت في دار الخلافة طهران". وجاء العدد الثاني على نفس النسق أيضا وهو مخصص لأخبار شهر جمادى الأول من عام ١٢٥٣.

وعلى هذا النحو يتضح أن هذه الصحيفة كانت تصدر مرة واحدة في الشهر، ويتبين من مفاد المتن أن هذه الصحيفة قد صدرت أيضا في شهر صفر من نفس العام. وقد أرسل هذان العددان من الصحيفة إلى إنجلترا بواسطة رجل يسمى تشارلز سونديت، ويبدو أن السبب الوحيد لوجود هذين العديدين في مكتبة المتحف البريطاني هو الخبر الذي ورد بعدد منهما بخصوص تتويج الملكة فيكتوريا. ومن المحتمل أن يكون المرسل أحد الموفدين السياسيين للحكومة البريطانية في بلاط إيران، وأن يكون قد أرسل هذين العديدين في نفس التاريخ لحكومته. (١)

"روزنامه وقایع اتفاقیة":

توقفت الصحيفة المذكورة التي لم تحمل اسما بعد فترة، وليس لدينا معلومات بعد ذلك عن الصحف، إلى أن أسست صحيفة تسمى "روزنامه وقایع اتفاقیة" في طهران في العام الثالث من عصر ناصر الدين شاه بأمر من ميرزا تقی خان أمير كبير وتحت إشرافه. وصدر العدد الأول منها يوم الجمعة الخامس من ربيع الثاني عام ١٢٦٧ هـ.ق، وكانت صحيفة أسبوعية تُطبع طباعة حجر في أربع أو ثمانى

(١) على مشيرى: اولین روزنامه ایرانى، مجله سخن، الإصدار ١٤، العدد ٧، ص ٦٠٩.

صفحات وكانت تنشر بها مقالات علمية مفيدة فضلا عن أخبار إيران والدول الأجنبية والإعلانات وأسعار السلع "فعلى سبيل المثال دارت موضوعات الصحيفة فى العام الأول حول: شرح برلمانات الدول الأوروبية، أوضاع أوروبا السياسية، أحوال الزعيم الإيطالى مازينى^(١) ومبادئ الثوار ودعاة الحرية الإيطاليين وصراعهم مع النمسا، مشروع قناة السويس ومراحله عبر التاريخ، أوضاع الهند الاجتماعية، مد السكك الحديدية، أبحاث فى الفلك ورصد الهالة المحيطة بكوكب زحل، الأسباب الجغرافية للزلازل، اكتشافات قطبية، تاريخ الحضارة الأمريكية وأخبار أخرى متفرقة.

وكان مديرها الحاج ميرزا جبار ناظم المهام المعروف بـ "تذكره چى" مؤسس مصنع الزجاج ابن الحاج صفر على خوى^(٢) ووالد ميرزا جواد خان سعد الدولة، الذى عمل لفترة أيضا قنصلا لإيران فى بغداد، وتولى شئون الترجمة والإشراف على الصحيفة البريطانى برجيس صاحب^(٣) وتحريرها ميرزا عبد الله، صدر العدد الأول من هذه الصحيفة باسم "روزنامه أخبار دار الخلافة طهران" ورُسِم فى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس وكتبت عبارة "يا أسد الله الغالب"

(١) Giuseppe Mazzini: (١٨٠٥ - ١٨٧٢م) وطنى إيطالى شهير ومؤسس جمعية (إيطاليا الفتاة) التى أعلنت فى روما عام ١٨٤٨م الحكومة الجمهورية.

(٢) ابن الحاج صفر على وكان من أثرياء آذربيجان ومن الأبنية التى شيدها خان الحاج صفر على فى تبريز.

(٣) Eduard Burgess: استقدم هذا الرجل لإيران ولى العهد عباس ميرزا وأخذ يدير لفترة من الوقت المطبعة التى كان عباس ميرزا قد أحضرها إلى تبريز. ثم ذهب إلى طهران بعد موت عباس ميرزا وفتح على شاه وفتح هناك محلا لبيع السلع الأجنبية وظل يعمل فى التجارة طوال عهد محمد شاه. وفى بداية عهد ناصر الدين شاه عُيِّن مترجما بوزارة الخارجية من قبل ميرزا تقى خان أمير كبير الذى كان قد تعرف عليه غالبا فى تبريز، ومنحه الأمير لقب "مترجم الديوان". وقبيل تأسيس "روزنامه وقایع اتفاقیة" كان يترجم للشاه وأعضاء الحكومة مقتطفات مفيدة من بعض الصحف الأجنبية وخاصة الصحف الإنجليزية إلى أن أنشئت "روزنامه وقایع اتفاقیة" فانضم برجيس لزمرة العاملين بها، وظل يعمل بها بعد عزل أمير كبير وقتله إلى أن توفى فى تبريز ما بين عامى ١٢٧٠ - ١٢٧٧ هـ.ق، لم يكن برجيس يجيد الفارسية وكانت ترجمته للأخبار الأجنبية حرفية وأحيانا بلا معنى تماما.

وحولهما رسمت شجرتان، ولكن الصحيفة عُرفت منذ العدد الثاني بـ "روزنامه وقایع اتفاقیة".

وكانت تُنشر في "روزنامه وقایع اتفاقیة" أخبار دار الخلافة أولاً مثل خروج الشاه للصيد وزيارته للمؤسسات ورجال البلاط ومنح الألقاب والمناصب وإصدار فرمانات والأحداث المتعلقة بطهران يلي ذلك الأحداث المتعلقة بالمدن الأخرى وملخص عن أخبار الدول الأجنبية، وكانت تُنشر في الصفحة الأخيرة الإعلانات الحكومية في عمود أو اثنين.

"روزنامه دولت علیه ایران":

ظلت "روزنامه وقایع اتفاقیة" بنفس الاسم لمدة عشر سنوات، وفي عام ١٢٧٧ هـ. ق عندما تولى الأمير عليقلی میرزا اعتضاد السلطنة وزارة العلوم والمطبوعات عين میرزا أبي الحسن خان صنيع الدولة^(١) مديراً للمطبعة الحكومية والصحيفة، وتغير اسمها إلى "روزنامه دولت علیه ایران" منذ العدد ٤٧٢ (الخامس من صفر ١٢٧٧ هـ. ق) وزودت بالصور، وتعد هذه الصحيفة أولى الصحف المصورة التي تصدر في إيران.

وظلت الصحيفة المذكورة تصدر حتى العدد ٦٦٨ (السابع من شوال ١٢٨٧ هـ. ق) بشكل غير منتظم ثم توقفت بعد ذلك. وبعد صدور "روزنامه دولت علیه ایران" صدرت صحيفة أخرى في طهران باسم "روزنامه علمیة دولت علیه

(١) ولد میرزا أبو الحسن غفاری نقاشباشی الكاشانی بن میرزا محمد وعم كمال الملك عام ١٢٢٩ هـ. ق، عُين جده میرزا أبو الحسن مستوفياً للضرائب في عهد نادر شاه وكريم خان الزندي، كما كان يعمل مصوراً. وسافر صنيع الدولة إلى إيطاليا بتشجيع من حسنعلی خان نظام الملك مشير الممالك بعد تعلمه فن التصوير في إيران وذلك في أواسط عهد محمد شاه في حدود عام ١٢٥٦ هـ. ق وظل يعمل بالتصوير في متحفی فلورانس وروما لعدة سنوات، وعاد إلى إيران في أواخر عهد محمد شاه. وفي بداية عام ١٢٧٧ هـ. ق أوكلت إليه إدارة "روزنامه وقایع اتفاقیة" المصورة. وفي عام ١٢٧٨ هـ. ق لُقِبَ بـ "صنيع الدولة" وأسس أول مدرسة للتصوير. يبدو أنه توفي عام ١٢٨٣ هـ. ق.

إيران" أعقبها صحيفة "روزنامه ملت سنیه ایران". وكانت هاتان الصحيفتان تصدران شهريا في طبعة حجر عن دار الفنون وتحت إشراف الأمير اعتضاد السلطنة.

روزنامه علمیه دولت علیه ایران:

أسست "روزنامه علمیه دولت علیه ایران" أو "روزنامه علمیه" اختصارا عام ١٢٨٠ هـ. ق بثلاث لغات الفارسية والعربية والفرنسية، وصدر منها ٥٣ عددا خلال سبع سنوات منذ يوم الإثنين غرة شعبان ١٢٨٠ هـ. ق حتى يوم السبت غرة شوال ١٢٨٧ هـ. ق.

ويوجد في صدر الصحيفة صورة واجهة بناية شمس العمارة الواقعة في طهران وأعلىها ساعة كبيرة وعلى جانبيها صورتان لشعار الشمس والأسد، ورسم أسفل البناية ثلاثة حراس ورابع عند بوابة البناية، كما نُقش حوض من المياه مقابل البناية ومدفعان ينعكسان على مياه الحوض.

وكانت الصفحات الأولى من الصحيفة بالفارسية تليها صفحات تضم ترجمة لنفس الموضوعات باللغة العربية ثم ترجمة بالفرنسية.

وكان ميرزا محمد حسين فروغی يعد موضوعات الصحيفة والتي غلب عليها الموضوعات العلمية والاكتشافات الأوروبية الحديثة. توقفت هذه الصحيفة لمدة عام بعد العدد السابع عشر (غرة ذى الحجة ١٢٨١ هـ. ق)، وصدر العدد الثامن عشر في غرة محرم ١٢٨٣ هـ. ق ثم توقف ثانية بعد العدد الثاني والأربعين (غرة جمادى الآخرة ١٢٨٥ هـ. ق) وصدر العدد الثالث والأربعون في غرة محرم ١٢٨٦ هـ. ق، ويعد العدد الثالث والخمسون آخر أعداد الصحيفة، ثم أُغلقت هذه الصحيفة وكذلك "روزنامه ملتی" وكلف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بإدارة الصحف.

"روزنامه ملت سنیه ایران":

فی عام ۱۲۸۳ هـ.ق أسست "روزنامه ملت سنیه ایران" أو "روزنامه ملتی" التي سُميت بهذا الاسم للتمييز بينها وبين الصحيفة الحكومية. ظهر العدد الأول منها في الخامس عشر من محرم من ذلك العام ثم توقفت. وبعد شهرين عادت للظهور، وصدر العدد الأول (وهو في الواقع العدد الثاني) يوم الجمعة ۱۴ ربيع الأول من ذلك العام، وسميت الصحيفة بـ "روزنامه ملتی" منذ العدد الثالث. وقد صدر من هذه الصحيفة في المجلد ۳۴ عدداً، والعدد الأخير منها مؤرخ بيوم الجمعة ۲۰ جمادى الآخر ۱۲۸۷ هـ.ق.

ويقع أعلى الصفحتين الأولى والثانية صورة لمسجد الشاه الكائن بطهران كشعار لكون الصحيفة صحيفة قومية. وعلى الرغم من أن الشاه كان قد أصدر قراراً بإطلاق حرية الكتابة في "روزنامه ملتی"؛ ليستفيد منها الخاصة والعامة^(۱)، فلم يذكر اسم من أسماء أصحاب المقالات، ويبدو أن المقالات الرئيسية قد حررت بقلم الأمير اعتضاد السلطنة نفسه، أو حكيم الساماني^(۲) محرر الصحيفة، وتدور أغلبها حول سيرة الشعراء القدامى والجدد وأعمالهم.

وهذه الصحيفة هي الصحيفة نفسها التي ألف عنها ميرزا فتحعلي آخوند زاده رسالة نقدية لاذعة بخصوص عددها الأول والذي تناول سيرة شمس الشعراء سروش الأصفهاني وأشعاره.

وأرسلت رسالة آخوند زاده النقدية المسماة "قريتيكا"^(۳) (أي النقد) وباللغة ثمانية وأربعين صفحة والمؤرخة بالثامن عشر من رمضان ۱۲۸۳ هـ. ق إلى محرر الصحيفة حكيم الساماني وجاء في استهلالها "موجهة إلى محرر "روزنامه ملت سنیه ایران"، إعداد الكولونيل ميرزا فتحعلي آخوندزاده في عام ۱۲۸۳"^(۴).

(۱) وردت العبارة أسفل صدر العدد الأول من الصحيفة.

(۲) محمد حسن بن قاضي الشيرازي المتوفى عام ۱۲۸۵ هـ.ق.

(۳) Critique.

(۴) توجد في مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ۲۷۷۶ نسخة من هذه الرسالة بالأبجدية التي ابتكرها آخوندزاده والمقدمة لوزارة الثقافة وأبحاث مفصلة حول الأبجدية العربية=

ويذكر الكاتب بعد ذلك حول شكل المسجد الذي جعل شعارا للصحيفة:

"يبدو لي أن شكل المسجد الذي رُسم في صحيفتك كشعار للأمة الإيرانية غير مناسب، فلو أن مرادك من لفظ "الأمة" المعنى المتعارف عليه أي لو أنك تقصد الشعب الإيراني فالمسجد ليس حكرا على الشعب الإيراني، فجميع الفرق الإسلامية لديهم مساجد، وشعار الأمة الإيرانية قبل الإسلام هو آثار ملوك الفرس القدماء مثل تخت جمشيد وقلعة اصطخر وأمثال ذلك، ومن أشهر شعاراتهم بعد الإسلام آثار ملوك الصفوية الذين نشروا المذهب الاثنى عشرى في إيران وجمعوا الطوائف الإيرانية المختلفة في أمة واحدة وحققوا لإيران الاستقلال في السلطة. إذن يجب عليك أن تجد شعارا للأمة الإيرانية يشير من ناحية إلى ملوك الفرس القدماء ومن ناحية أخرى إلى ملوك الصفوية مثل قلنسوة القزلباشية المصنوعة من المخمل الأحمر والمكونة من اثنتى عشرة طية".

ومن مآخذ آخوند زاده الأخرى على موضوعات الصحيفة تخصيص أكثر من صفحتين منها لسرد نسب وسيرة شاعر يتخلص بسروش ولقب بعد ذلك بشمس الشعراء، فهذا لا يفيد الأمة الإيرانية.

كما أعرب الكاتب عن رأيه في الشعر والنثر المنشور بالصحيفة. وناشد محرر الصحيفة في نهاية المقال أن ينشر هذا النقد في عدة أعداد من الصحيفة لتقديم العبرة للآخرين وكى ينتشر داخل المملكة، ولكن المسؤولين عن الصحيفة لم يلتفتوا لطلبه، خاصة وأن النسخة التى أرسلت لاعتضاد السلطنة كانت مكتوبة بالأبجدية التى ابتكرها آخوند زاده، وكان المثقفون الإيرانيون فى ذلك الوقت يعتبرون تلك المحاولات فاشلة. (١)

=صورة من القرار السلطانى العثمانى الخاص بتعديل الأبجدية والتى جمعها المؤلف فى أربع مجلدات.

(١) بل إن مرتضى قليخان بن نظام الدولة وحفيد صدر الأصفهاني ردد فى رسالة (التنظيم) على انتقادات آخوندزاده وتوجد نسخة منها أيضا فى مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ٢٧٨٠.

وطلب المؤلف من أحد الخطاطين أن يكتب نسخة أيضا من تلك الرسالة بالأبجدية الفارسية المتداولة وأهداها لنائب الوزير ميرزا عبد الوهاب. (١)

"إن الانتقادات التي طرحها آخوند زاده خلال هذه الرسالة على نهج "روزنامه ملت سنیه ایران" وأسلوب تناول الموضوعات فيها ومضامين أشعار سروش ربما تكون جميعها أو أغلبها صائبة. ولكن الشيء غير الصائب مطلقا. الانتقادات التي وجهها إلى ترابط أشعار سروش وأوزانها. ويبدو جليا من خلال نفس الملاحظات والأشعار الرديئة التي كان ينظمها آخوند زاده نفسه بالفارسية أن ذلك الرجل العالم والغيور والوطني لم يكن يفهم الشعر برغم كل ما تحلى به من فنون." (٢)

"روزنامه دولت ایران":

في بداية عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما توفي عليقلی ميرزا اعتضاد السلطنة تولى إدارة الصحف محمد حسن خان صنيع الدولة الذي لقب فيما بعد باعتماد السلطنة، وفي يوم السبت الحادي عشر من محرم من ذلك العام صدرت أولى أعداد صحيفة "روزنامه دولت ایران"، وتولى تحريرها في البداية ميرزا علي النائيني ثم ميرزا محمد حسين أديب فروغی (ذكاء الملك) في حدود عام ١٣٠٠ هـ.ق ثم ميرزا علي محمد خان مجير الدولة.

وقد حلت هذه الصحيفة محل "روزنامه دولتی وروز نامه ملتى وروزنامه علمی" التي كانت إدارتهم تابعة في السابق لوزارة العلوم وأكاديمية دار الفنون وذلك وفقا للبيان المنشور في صدر العدد الأول منها. وكانت في الواقع الناطق الرسمي باسم الحكومة وتخصصت في نشر أخبار البلاط وفرامين الشاه وقرارات العزل والتنصيب ومنح الألقاب وخاصة أعمال الشاه مثل التشریفات وعقد المجالس والخروج للصيد والسياسة وأداء واجب العزاء في شهر محرم، وكذلك مدح الشاه ورجال البلاط.

(١) آصف الدولة ونصير الدولة الشيرازی الذي عمل نائبا لوزير الخارجية عام ١٢٧٤ هـ.ق.

(٢) عباس إقبال: مجلة یادگار، العام الثاني، العدد الأول (ضمن مقالة رضا صفی نیا).

ظل محمد حسن خان صنيع الدولة (الملقب فيما بعد باعتماد السلطنة) يتولى إدارة "روزنامه إيران" حتى العدد ٨٧٧، وبعد وفاته في (شوال ١٣١٣ هـ.ق) خلفه على إدارتها محمد باقر خان أديب الممالك شقيق محمد حسن خان،^(١) ومنذ محرم عام ١٣٢١ هـ.ق صدرت باسم "روزنامه إيران سلطاني" تحت إدارة ميرزا محمد نديم السلطان الذي كان يتولى في ذلك التاريخ وزارة المطبوعات.

استمر إصدار صحيفة إيران الرسمية سبعة وخمسين عاما منذ عام ١٢٦٧ هـ.ق- والذي أسست خلاله أولى الصحف الحكومية في إيران-^(٢) وحتى عام ١٣٢٤ هـ.ق.

صحيفتان باللغة الفرنسية:

في عام ١٢٩٢ هـ.ق عزم ميرزا حسين خان سپهسالار على تأسيس صحيفة باللغة الفرنسية بمساعدة المهندس البلجيكي البارون دو نرمان^(٣) من أجل تعريف الدول الأجنبية بإيران، وفي السبت التاسع من محرم ١٢٩٣ هـ.ق (الخامس من فبراير ١٨٧٦م) طُبِعَ العدد الأول من هذه الصحيفة باللغتين الفارسية والفرنسية باسم "الوطن"^(٤) ولكن نظرا إلى أن المقالة الافتتاحية منها تحدثت عن الحرية والمساواة، فقد أمر بإغلاقها ناصر الدين شاه بعد أن قرئت عليه واطلع على مضمونها، نظرا لأنه كان حاكما مستبدا ويعتبر نفسه ظل الله في الأرض ومالكا لأرواح العباد، ولم يكن يقبل أن ينتقد أحد شؤون الدولة بأية حال من الأحوال.

وليس بين أيدينا هذه الصحيفة التي لم يصدر منها سوى عدد واحد، ولكن أدرج مقالاتها الافتتاحية عدد من السائحين الأجانب ومنهم السيدة كارلاسرينا^(٥)

(١) صحيفة "اطلاع" العدد ٣٩١، ٢٢ شوال ١٣١٣.

(٢) منتظم ناصري: ج ٣، أحداث عام ١٢٦٧ هـ.ق.

(٣) Baron De Norman.

(٤) La Patrie.

(٥) Carls Serena: Hommes et CHoses en Perse. P. 168.

الإيطالية في كتب رحلاتهم. وسننقل فيما يلي عن مجلة (يادگار) في عامها الأول العدد السابع ترجمة المقالة المشار إليها من أجل توضيح هدف الصحيفة وأفكار سيهسالار الإصلاحية:

"ليعلم القراء وزملاؤنا من الكتاب أن الحكومة العلية لصاحب الجلالة الشاه قد سمحت لنا بإصدار صحيفة باللغتين الفرنسية والفارسية، وعلينا أن نعلم أن اطلاع العامة هو النهج الذي تم تحديده للعدد الأول؛ وهو الأمر الذي سيكون نصب أعيننا أيضا باستمرار.

فمملكة إيران ليس لديها صحيفة مفيدة تستطيع أن تُعرّف الدول الأجنبية بإيران على النحو الصحيح، وأن تدافع عن مصالحها عند الضرورة.

إن زملاءنا من الكتاب في صحيفة إيران - وهي صحيفة رسمية باسم الحكومة - قد قدموا خدمات في هذا الإطار حتى الآن، ولكن لما كانت الصحيفة الرسمية تصدر فقط باللغة الفارسية. فلم تنتشر انتشارا واسعا ولم يعرفها أحد خارج إيران إلا القليل.

وهدفنا سد تلك الفجوة وإطلاع الزملاء من الكتاب الأوروبيين على أهم القضايا السياسية والعامة المتعلقة بإيران. فضلا عن أننا سنكون مسرورين لتبادل وجهات النظر معهم حول تلك القضايا إذا لزم الأمر، ونظرا لأن شرر الحقيقة ينتج عن احتكاك الأفكار؛ فإننا نريد أن نحقق هذه النتيجة من ذلك الحوار ليشرق نور الحقيقة في إيران. بناء على هذا ننتظر من الصحافة الأوروبية أن تعتبرنا جديرين باحتلال مقام في محفل أهل الفكر والحوار وإن كان مقاما ضئيلا، نظرا لأننا لانزال مستجدين ولا ننتظر أن نحل مقاما كبيرا. ولكننا نأمل أن نستفيد من تجربة وخبرة الزملاء الأوروبيين في هذا المجال؛ فهم ذوو باع في هذا الميدان، وأن نשמع إيران بخبرات هذه الاستفادة.

وبالطبع سنتحدث عن القضايا الداخلية في حياد تام، فنحن لا نتبع أي فريق ولا نريد أن ننسب إلى فريق بعينه، فنحن أحرار من كل القيود، ولسنا مقيدين

بمنصب رسمي. فهدفنا الوحيد خدمة المملكة وكشف النقاب عن احتياجاتها الحقيقية. فدعم التقدم مسلكننا في كل وقت، وسوف ندافع عنه بكل قوتنا، ولكننا لن ننزلق مطلقا إلى مرتبة المتملقين ولن نمجد الحكومة بلا طائل؛ فنهجنا هو الدفاع عن الحق ونقد الأعمال القبيحة. وسندعم كل ذي حق ملتزم بالقانون؛ ولكننا سننتقده إذا ما خالف الحق وخرج على القانون. وليس من شأننا الخوض في الحياة الشخصية للناس. ولن نكون محايدين في هذا الموضوع فقط بل سنغض أبصارنا تمامًا. فعيوننا الناقدة ترى فقط الأعمال والتصرفات التي تضر مصالح المملكة الأساسية وتسفر عن خسائر وأضرار. بناء على هذه المقدمة فنهجنا الرئيسي مناهضة كل أنواع التعدي والإفراط والتفريط، واحترام الدين والشاه. وشعارنا التقدم والعدل والمساواة وليس لدينا هدف آخر سوى هذا.

ونظرا لأن الوطنية هي أعظم الفضائل لكل فرد من أفراد الأمة؛ فقد سمينا صحيفتنا أيضا الوطن. ويُقصد بالوطنية في إيران عادة تقديس مسقط الرأس بينما يشمل المعنى الشامل للوطنية محبة الشاه واحترام القوانين والنظم والولاء للحكومة. ويقول أحد الكتاب الفرنسيين "إن كل من يملك قلبا تقيا يُجل وطنه". نسأل الله التوفيق في أن يستقبل القراء دخولنا عالم الصحافة قبولاً حسناً بفضل هذا الاسم الذي اخترناه. ونحن بدورنا سنبدل كل جهدنا كي نكون جديرين باهتمامهم وسندافع دائما عن حقوق المملكة والأمة!"

وصدرت صحيفة أخرى باللغة الفرنسية بعد "الوطن" تسمى "صوت إيران".^(١)

تولى إدارتها الفرنسي الدكتور مورل،^(٢) وظلت الصحيفة تصدر منذ ٢١ مارس ١٨٨٥م (رجب ١٣٠٢) حتى الخامس عشر من فبراير عام ١٨٨٨م (رجب ١٣٠٥).

Echo de Perse (١)

Dr. Morel (٢)

عدد من الصحف الأخرى الصادرة بالعاصمة:

صدرت صحيفة باسم "روزنامه نظامی علمی و ادبیہ ایران" في عهد صدارة ميرزا حسين خان سيهسالار وبناء على أوامره، وقام على نشرها العاملون بـ "مدرسة أتما جور المقدسة" التي كانت قد أسست حديثاً. والعدد الأول منها مؤرخ بالتاسع والعشرين من ذي القعدة ١٢٩٣ هـ.ق ويبدو أنها ظلت تصدر حتى عام ١٢٩٦ هـ.ق إلى أن حلت محلها صحيفة أخرى ذلك العام باسم "المريخ" وكانت تدور في الغالب حول العلوم العسكرية. وصدر من هذه الصحيفة ثمانية عشر عدداً، وعددها الأول مؤرخ بالخامس من محرم ١٢٩٦ هـ.ق والآخر بالسادس عشر من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأنشأ محمد حسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة) صحيفة أخرى عام ١٢٩٣ هـ.ق باسم "روزنامه علمی" وغلب على موضوعاتها الطابع العلمي. وصدر منها أربعة وستون عدداً، الأول مؤرخ بالتاني والعشرين من ذي الحجة ١٢٩٣ هـ.ق والآخر مؤرخ بالتالث والعشرين من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأصدر محمد حسن خان في عام ١٢٩٥ هـ.ق صحيفة أخرى شبه رسمية تسمى "اطلاع" ولم يكن لها أهمية تذكر وقام وزير المطبوعات عليقلی خان مخبر الدولة بإصدار صحيفة "دانش" أي العلم عن دار الفنون لمنافسة اعتماد السلطنة وذلك عام ١٢٩٩ هـ.ق أثناء رئاسته لدار الفنون، وتولى تحريرها أستاذ الكيمياء الشهير ميرزا كاظم.

وكانت صحيفة نصف شهرية وصدر عنها في المجلة أربعة عشر عدداً، وعددها الأول مؤرخ بالتالث والعشرين من رجب ١٢٩٩ هـ.ق والآخر بالسادس عشر من صفر ١٣٠٠ هـ..

شرف - شرافت:

صدرت في غرة محرم عام ١٣٠٠ هـ.ق صحيفة شهرية مصورة في طهران تحمل اسم "شرف"، أسسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة، واستمرت الصحيفة

حتى عام ١٣٠٩ هـ.ق، وصدر منها ٨٧ عدداً في المجلد. ثم أعاد محمد باقر خان اعتماد السلطنة إصدارها في بداية عهد مظفر الدين شاه عام ١٣١٤ هـ.ق تحت اسم "شرافت".

وكانت صحيفة شرف وشرافت التي حلت محلها تضمان صوراً بديعة للشاه والأعيان والتجباء ورجال الحكومة وشرحا لسيرهم. وكان أبو تراب خان غفاري -ابن ميرزا بزرگ وشقيق الفنان الشهير ميرزا محمد خان كمال الملك- يرسم صور صحيفة شرف، أما صحيفة شرافت فكان يرسم الصور بها مصور الملك، وتعد هذه الصور السبب وراء أهمية هاتين الصحيفتين.

تربيت:- صدرت صحيفة "تربيت" الأسبوعية عام ١٣١٤ هـ.ق في بداية عهد مظفر الدين شاه. تولى تحريرها ميرزا محمد حسين فروغی^(١) وكان من كتاب البلاط وشعرائه.

وكانت تنشر في هذه الصحيفة مقالات وترجمات لموضوعات مفيدة وتعليقات متنوعة بقلم ميرزا محمد علي خان فروغی بن ميرزا محمد حسين - مدير الصحيفة - وآخرين، ولا تخلو هذه الكتابات من القيمة الأدبية بشكل عام؛ ولكن ما يقلل من أهميتها وقيمتها الإفراط في التملق والمديح.

وظلت تطبع صحيفة "تربيت" طباعة حجر وصدر منها ٤٣٤ عدداً منذ الخميس الحادي عشر من رجب ١٣١٤ هـ.ق إلى الخميس ٢٩ محرم ١٣٢٥ هـ.ق.

(١) ولد ميرزا محمد حسين فروغی الأصفهاني الملقب بذكاء الملك بن آقا محمد مهدي أرباب في ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٥ هـ. ق في أصفهان ودرس أولاً في طهران وأنهى دراسته في المزارات. وعمل لفترة في التجارة وقضى أربعة عشر عاماً في السياحة والتجوال داخل وخارج إيران إلى أن التقى في طهران مع وزير المطبوعات محمد حسن خان اعتماد السلطنة، فاختره لمعاونته. وحبس لفترة من الوقت بأمر ناصر الدين شاه، وفي بداية عهد مظفر الدين شاه قام بتدريس الألب لسبع سنوات وتولى إدارة المدرسة السياسية لثلاث سنوات.

ومن مؤلفاته "تاريخ ساسانيان" و"كتاب بديع" و"عشق وعفت" و"ريحانة الأفكار" و"كلبه هندی". توفي فروغی عصر يوم الخامس عشر من رمضان ١٣٢٥ هـ.ق في طهران.

خلاصة الحوادث:

كانت صحيفة "خلاصة الحوادث" أولى الصحف اليومية الإيرانية في عهد مظفر الدين شاه، صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق في طهران في أربع صفحات من القطع المتوسط. وكانت صحيفة رسمية حكومية تصدر خمسة أيام في الأسبوع عن وزارة المطبوعات. وفضلا عن الأخبار المحلية كانت الصحيفة تنشر أخبارا تلغرافية عن الدول الأجنبية، بمعنى أن إدارة الصحيفة كانت تحصل من السفارة البريطانية على التلغرافات الأوروبية التي كانت تُرسل إلى الهند من قبل وكالة الأنباء البريطانية رويتر وتقوم بنشر موجز لها في حاشية الصحيفة.

وقد صدرت "خلاصة الحوادث" منذ الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ١٣١٦ هـ.ق -الموافق ميلاد الشاه- حتى الثلاثاء الثاني من شوال ١٣٢١ هـ.ق بلا انقطاع في ٩٩٥ عددا.

صحيفة "حكيم الممالك": -

أصيب ناصر الدين شاه نفسه أيضا بهوس الصحافة، وأصدر صحيفة كان يحرر جميع موضوعاتها بنفسه ولكن تولى إدارتها على ما يبدو حكيم الممالك.^(١) وتعد هذه الصحيفة في الواقع كتاب رحلات أو مجموعة مذكرات الشاه اليومية في رحلته الأولى إلى خراسان منذ يوم الأحد الخامس عشر من ذي الحجة ١٢٨٣ هـ.ق حتى يوم الأحد الثاني والعشرين من جمادى الأولى ١٢٨٤ هـ.ق أي اليوم الذي عاد فيه إلى "سلطنت آباد".

(١) تعلم ميرزا علينقى حكيم الممالك بن الحاج آقا إسماعيل جديد الإسلام علم الطب في مدرسة دار الفنون، وفي عام ١٢٧٢ هـ.ق سافر إلى بلاط أوروبا برفقة فرح خان أمين الدولة الكاشي للعمل في منصب النائب الثاني بالسفارة، وعمل بهذا المنصب أثناء تولى حسنعلی خان أمير نظام السفارة في فرنسا، وأكمل أيضا دراسته الطب في باريس. وبعد عودته إلى إيران انضم إلى ندماء الشاه وحاشيته. عين عام ١٢٩٣ هـ.ق حاكما على بروجرد وبختياري، ورافقه عام ١٢٩٥ هـ.ق الشاه في رحلته إلى أوروبا، واختير عام ١٢٩٩ هـ.ق وزيرا للتعيين وعضوا لمجلس الشورى ومنذ عام ١٣٠٢ هـ.ق عين مديرا للتشريعات.

وجاء فى العبارة الأخيرة من الصفحة الأخيرة للصحيفة "مع أن النسخة الأصلية كتبت بخط يد الشاه المبارك وأن الصحيفة تخص ملك الملوك الميمون وليس لى فضل فى جمعها وتحريرها؛ إلا أننى أفخر بتكليفى لإنجاز هذه المهمة وإتمامها بجهدى المتواضع فى متم جمادى الآخرة عام ١٢٨٦ من الهجرة النبوية، العبد علينقى حكيم الممالك". وقد طبعت هذه الصحيفة أو كتاب الرحلات هذا طباعة حجر بخط النستعليق الجميل وزودت بصور بريشة ميرزا بزرگ غفارى (والد كمال الملك) وتقع فى ٤٨٥ صفحة.

التقاويم:

أمر الشاه عام ١٢٩١ هـ.ق اعتماد السلطنة أن يعد أول تقويم بالفارسية، ووفقا لتصريحه فإنه "أعد تقويما حسنا لطيفا وقام على طباعته ونشره، يضم رجال البلاط فى الدولة العلية الإيرانية وكل الإدارات التابعة لذلك البلاط، والمناصب العليا فى سائر الدول فضلا عن فوائد عظيمة أخرى... ومقارنة السنوات الواردة فى التقويم المذكور بما يعادلها من سنوات فى بعض التقاويم الشهيرة فى العالم... وتسجيل تاريخ أشهر الأحداث العالمية... وعدد سكان كل دولة من دول العالم، وذكر ما تتميز به من محاصيل زراعية ومعادن وحيوانات وميزانياتها والقروض الحديثة والاستعدادات العسكرية البرية والبحرية".^(١)

وصار من المعتاد بعد ذلك أيضا أن تطبع فى نهاية كل كتاب من تأليف اعتماد السلطنة عدد من الصفحات يطلق عليها عنوان "التقويم"، يتم من خلالها استعراض المؤسسات الحكومية والمناصب، وما استجد من عزل وتعيين، وأسماء القادة والأمراء وغير ذلك، وفى الواقع يعد كتاب المآثر والآثار لاعتماد السلطنة خلاصة لتلك التقاويم، وقد طبع عامى ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.ق.

(١) المآثر والآثار: الباب الثامن ص ١٥٩.

٢ - صحف الأقاليم:-

"روزنامہ ملتی": تُعد صحيفة "روزنامہ ملتی" التي كانت تنشر في تبريز أقدم صحيفة - على حد علمنا - تصدر بعد "وقايع اتفاقيّة" في إيران ولأول مرة في الأقاليم. وتوجد إشارات إليها في أعداد "وقايع اتفاقيّة" عن عام ١٢٧٥ هـ.ق^(١) ويتضح من تلك الإشارات أن هذه الصحيفة ظهرت في حدود شهرى رجب وشعبان من ذلك العام وكانت الصحيفة المذكورة تنشر في عدد شهرى من أربع صفحات وتباع في رباط قواقل "اميد" بحجرة الحاج عبد الله التاجر التبريزى.^(٢)

صحيفة تبريز:

جاء في كتاب "مرآت البلدان ناصرى" لمحمد حسن خان اعتماد السلطنة ضمن أحداث عام ١٢٩٦ هـ.ق "إن "روزنامہ تبريز" المعروفة بـ "تبريز" والتي تضم مسائل سياسية وموضوعات مفيدة... والتي تعد قطرة من فيض مكارم صاحب السمو... ولى العهد... حاكم ولاية آذربيجان وواليتها.. تم الشروع فى إعادة طبعها بعد توقفها لفترة من الوقت بسبب بعض المعوقات".^(٣)

تولى إدارة الصحيفة وتحريرها كمال آقا، وتاريخ بداية إصدارها غير معروف، ومن المستبعد فيما يبدو أن تكون هذه الصحيفة هي "روزنامہ ملتی" التي صدرت عام ١٢٧٥ هـ.ق وأن يكون قد أعيد إصدارها بعد مرور أكثر من عشرين عاما.

الحديد: كان يحرر صحيفة الحديد الصادرة في تبريز سيد حسين ذلك الرجل المستتير الذى لمع اسمه فيما بعد مع إصدار صحيفة "عدالت".

(١) تقرر فى تلك الأيام طباعة صحيفة فى تبريز يُنشر بها أخبار آذربيجان وغيرها (وقايع اتفاقيّة: العدد المؤرخ بالثالث عشر من رجب ١٢٧٥ هـ.ق).

(٢) العدد الحادى والأربعون المؤرخ بغرة رجب ١٢٧٨ هـ.ق (محمد على تربيت: مجلة ارمان، العام الثانى عشر العدد السابع).

(٣) مرآة البلدان، ملحقات ج ٤ ص ٣٦١.

فقد عاد إلى تبريز قادما من روسيا في حدود عام ١٣١٤ هـ.ق ذهب في صباه إلى روسيا وأقام لدى ابن عمه ميرزا جعفر خان قنصل إيران في (حاجي طرخان) ثم انتقل إلى بطرسبورج وتعلم بها اللغة الروسية واطلع على الحضارة الأوروبية وفي تلك المدينة لازم السيد جمال الدين الأفغاني لمدة عامين فتأثر به بشكل كبير.

ولما عاد سيد حسين إلى تبريز التقى وسيد محمد الشبستري الذي اشتهر فيما بعد بأبي الضياء، وجمعت الصداقة بينهما، وفيما بعد ترعرع في أحضانها سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد علي خان وصارا النواة الأساسية لنشر الأفكار الحديثة.

أنشأ سيد حسين خان صحيفة الحديد عام ١٣١٥ هـ.ق ونشر في العدد الأول منها أشعارا لطيفة للشاعر التبريزي "لعل"، وصدر من هذه الصحيفة ثلاثة أعداد فقط حيث استدعاه القنصل الروسي في تبريز للعمل معه فتوقفت الصحيفة. وفي عام ١٣٢٣ هـ.ق صدرت صحيفة الحديد مرة أخرى وتولى إدارتها سيد محمد الشبستري (الذي أصدر صحيفتي "مجاهد" و"إيران نو") وظلت هذه الصحيفة تصدر منذ الخميس الثاني من جمادى الأول عام ١٣٢٣ هـ.ق حتى إعلان الدستور ثم تغير اسمها بعد الثورة إلى "عدالت".^(١)

احتياج:-

أصدر ميرزا عليقلي صفراف صحيفة احتياج في تبريز عام ١٣١٦ هـ.ق^(٢) ولكنها توقفت بعد صدور العدد السابق بأمر من حسنعلی خان أمير نظام جروسی حاكم آذربيجان بسبب نشر مقال ساخر فيها تناول الحديث عن احتياج الإيرانيين إلى البضائع الأجنبية حتى براد الشاي، وجُلد ناشرها، ولكن بعد فترة صدر منها

(١) يبدو أن اسم الصحيفة قد أعلن في العدد الخامس عشر لصيفة الحديد المؤرخ بالحادي عشر من شعبان عام ١٣٢٥ هـ.ق.

(٢) ورد بالعدد الأول من تلك الصحيفة تاريخ السادس عشر من محرم من ذلك العام.

بضعة أعداد باسم "إقبال"^(١) وعلى الرغم من أن ميرزا عليقى صار رئيس البوليس السرى لولى العهد محمد على ميرزا بعد إغلاق صحيفة إقبال، فإنه ندم على مزاولته هذا العمل بعد إقرار الدستور وانخرط فى العمل الوطنى إلى أن مات عام ١٣٢٦ هـ.ق.

أدب:-

فى الوقت الذى قدم فيه ميرزا محمد صادق أديب الممالك الفراهانى إلى تبريز وتقرّب إلى أمير نظام أنشأ صحيفة "أدب".

صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق وكانت صحيفة أسبوعية تطبع طباعة حجر بخط النسقلين ومزينة بصور العلماء ومشاهير العالم وتضم بعض المقالات العلمية التى كان يترجمها أو يؤلفها الطبيب ميرزا نجفقللى خان قائم مقامى. وأغلقت هذه الصحيفة لفترة بعد العدد السابع عشر، وبعد أن أسست مدرسة لقمانية بإدارة أديب الممالك صدرت الصحيفة مرة أخرى تحت إشرافه وعلى نفقة تلك المدرسة، ولكن بعد إصدار بضعة أعداد منها ذهب أديب الممالك إلى مشهد، وقام على نشرها فى تلك المدينة منذ عام ١٣١٨ هـ.ق حتى ١٣٢٠ هـ.ق.

ثم عاد أديب الممالك إلى طهران وأصدر صحيفة "أدب" ثانية فى طهران عام ١٣٢٢ هـ.ق ثم سلم إدارتها إلى مجد الإسلام كرمانى وعاد إلى باكو ثم قام على نشر الملحق الفارسى لصحيفة "إرشاد" التركية.

كمال:-

كان ميرزا حسين خان طبيب زاده من أهالى آذربيجان المستيرين، وفى ذى القعدة من عام ١٣١٦ هـ.ق أسس مدرسة "كمال" فى تبريز على غرار

(١) العدد الأول من إقبال والذى يعد العدد الثامن من احتياج يحمل تاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣١٦ هـ.ق.

المدارس الحديثة، وبعد ثمانية شهور أصدر صحيفة بنفس الاسم في رجب عام ١٣١٧ هـ.ق بهدف "الارتقاء بالأمة ونشر المعارف وطرح بعض العلوم بأسلوب مبسط يخلو من الصنعة كي يطلع أهالي إيران شيئاً فشيئاً على المصطلحات العلمية والآداب وحقوق الإنسان".^(١)

وظلت المدرسة والصحيفة قائمتين إلى أن ثار أهالي تبريز في ربيع الثاني من عام ١٣٢١ هـ.ق ضد الموظفين البلجيك وأغلقوا الأسواق فخرج الطلاب ودمروا الحانات ودور الضيافة والمدارس الابتدائية وكان من بينها مدرسة "كمال". ولم يستطع ميرزا حسين خان البقاء في تبريز بعد تلك الواقعة وغادرها إلى القوقاز ومصر.^(٢)

كنجينة فنون:

مجلة صدرت عام ١٣٢٠ هـ.ق^(٣) في تبريز باسم "كنجينة فنون"، وكانت أول مجلة تصدر في إيران، وكان محرروها من طليعة أحرار آذربيجان وهم سيد حسن تقى زاده وميرزا حسين خان عدالت، وميرزا يوسف خان اعتصام الملك وميرزا محمد علي خان تربيت.

فارس:-

يجب أن نذكر صحيفة أو صحيفتين من الصحف الصادرة في المدن الأخرى بعد ذكر صحف تبريز: صدرت صحيفة تسمى "فارس" عام ١٢٨٩ هـ.ق

(١) صحيفة "كمال"، العدد الأول، الأربعاء ١٠ رجب ١٣١٧ هـ.ق.
(٢) أقام ميرزا حسين خان في القوقاز وتركيا لفترة من الوقت إلى أن سافر إلى مصر برفقة سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد علي خان عام ١٣٢٣ هـ.ق وأصدر صحيفة "كمال" مرة أخرى في القاهرة في جمادى الأول من نفس العام، ولكن الصحيفة لم تستمر لفترة طويلة حيث سافر مديرها في جمادى الأول ١٣٢٤ هـ.ق إلى القوقاز قبل أن تتم الصحيفة عامها الأول.
(٣) العدد الأول مؤرخ بتاريخ غرة ذي القعدة من ذلك العام وصدر في عام واحد ٢٤ عدداً.

فى شيراز^(١)، أسسها ميرزا تقى خان الكاشانى كبير أطباء ظل السلطان^(٢) فى بداية ولاية هذا الأمير الثالثة فى فارس، وكانت تحرر حتى عددها الثالث بالفارسية والعربية مناصفة ومنذ العدد الرابع صارت تصدر بالفارسية فقط.

فرهنك:-

صدرت صحيفة "فرهنك" فى منتصف عام ١٢٩٦ هـ.ق فى أصفهان،^(٣) وتولى إدارتها وتحريرها ميرزا تقى خان كبير أطباء ظل السلطان وتولى كتابتها الخطاط ميرزا عبد الرحيم المتخلص بـ "افسر".

٣- الصحف الفارسية الصادرة خارج إيران:-

الرقابة على الصحف:

كانت جميع الصحف الصادرة فى عهد ناصر الدين شاه صحفاً حكومية حتى الصحف التى كانت تبدو من عنوانها صحفاً أهلية، فنحن لا نعلم شيئاً عن أى من الصحف غير الحكومية داخل إيران، وخلال عهد مظفر الدين شاه القصير وحتى إصدار الدستور لم يكن من الممكن إصدار صحف نقدية مستقلة فى إيران.

وسنستشهد بالسطور التالية من كتاب "المآثر والآثار" لاعتماد السلطنة (الباب الثامن ص ١١٨) لتوضيح مدى التشدد المفروض على الصحف والكتب آنذاك:

"فى بداية سطوع شمس هذه الدولة صار من المقرر ألا يُطبع كتاب أو صحيفة أو إعلان أو ما شابه ذلك فى كافة مطابع الممالك الإيرانية المحروسة إلا بعد عرضه على مدير تلك الإدارة وتوقيعه عليه. ومنذ أن تولى المؤلف مسئولية

(١) العدد الأول مؤرخ بتاريخ ٢٥ جمادى الآخر ١٢٨٩ هـ.ق.

(٢) حصل ميرزا تقى خان الكاشانى على مناصب وألقاب وأوسمة عديدة، وكان عالماً فى العلوم الطبيعية والفلك، وتميز بأسلوبه فى الكتابة بالسلاسة والوضوح. وطبع من مؤلفاته كتاب "حديقة الطبيعة" فى العلوم الطبيعية والفلك و"تربية الأطفال" فى التربية والتعليم.

(٣) صدر العدد الأول فى الثانى من جمادى الأول.

المطبوعات جعل التوقيع ختماً يشتمل على عبارة (تمت مراجعته) وشعار الشمس وأسد نائم".

إن الصحف الفارسية المعدودة التي كانت تطبع في إسطنبول ومصر وتتحدث بحرية عن أوضاع إيران لم تكن تصل القراء الإيرانيين بسهولة. ونقرأ في نفس الكتاب. "ولما كانت بعض المطبوعات الصادرة في بعض الممالك تشتمل على نقد لجماعة أو قدح لفريق أو هجاء لشخص أو سخرية مبتذلة فقد كانت تبدو على الدوام علامات الاستياء على جبين هذا الملك المبارك قدسى الكنية^(١) بسبب نشرها، إلى أن وصلت إلى طهران رسالة في هجاء أسرة الشيخ هاشم الشيرازي طبعت في بومباي، ولما عرضت على مجلسه أخذت شعلة الغضب تتدلّع على اللسان الملكي بعد مطالعة تلك الأشعار الملفقة في حق أولئك العلماء الأجلاء، نعوذ بالله من غضب الله، وأمر على الفور بمصادرة وإعدام كافة النسخ. وكان العبد المحرر^(٢) موجوداً بالبلاط، فقال إن الدول الأوروبية أنشأت "دائرة للتفتيش" لمواجهة هذا العيب واسمها "الرقابة"، ولما ذكرت لجلالته مهامها استحسنتها كثيراً، وأمر بالأخذ بها في الأراضي الإيرانية تحت إشراف هذا العبد، ومنذ ذلك الحين تمت معالجة تلك المشكلة وبارت تلك التجارة".

ونتيجة تنفيذ ضوابط الرقابة والتشدد فيها كانت تهرب لإيران الصحف الصادرة بالخارج على أيدي السائحين والمسافرين والحجيج أو من خلال الشحنات التجارية، وكان يتم تداولها سرا وفي حذر.

وكان أشهرها صحيفة "إرشاد" الصادرة في باكو^(٣) و "اختر" الصادرة في إسطنبول، و "قانون" الصادرة في لندن و "حكمت" الصادرة في مصر.

(١) المراد ناصر الدين شاه.

(٢) أي اعتماد السلطنة.

(٣) كانت تصدر صحيفة "إرشاد" اليومية بالتركية وتولى إدارتها أحمد بيك آقايف القرا باغى، ثم أضيف لها عام ١٣٢٣ هـ.ق ملحق صغير باللغة الفارسية وكان يحرره أديب الممالك الفراهاني الذي كان مقيماً ذلك العام في باكو.

اختر:-

هي أول صحيفة إيرانية تطبع وتنتشر بالخارج على النسق الحديث. أسست هذه الصحيفة عام ١٢٩٢ هـ.ق^(١) بتشجيع من ميرزا نجفقلی خان التبریزی أحد موظفي الحكومة الإيرانية في العاصمة التركية، وتولى إدارتها آقا محمد طاهر. وكان محرروها من الأشخاص الغيورين، وأبدى العديد من أبرز المستثمرين والأحرار آنذاك تعاوناً وثيقاً مع هذه الصحيفة مثل ميرزا آقا خان الكرمانی والشيخ أحمد روي وميرزا مهديخان التبریزی (الذي أصدر حكمت في القاهرة لاحقاً). وميرزا علي محمد خان الكاشاني (الذي أصدر ثريا وپرورش).

وحققت صحيفة اختر شهرةً ومكانةً في إيران والقوقاز وتركيا والهند والعراق بحيث إن العامة في بعض مناطق القوقاز الذين كانوا يعتبرون قراءة الصحف كفراً وبدعةً كانوا يطلقون على من يقرأها "اختری المذهب".^(٢)

وكتبت هذه الصحيفة مقالات متميزة عن أحداث مهمة من بينها قصة منح امتياز التبغ.^(٣)

قانون:-

أسس البرنس ملكم خان ناظم الدولة عام ١٣٠٧ هـ.ق بعد صدور اختر صحيفة "قانون" في لندن بمساندة لفيف من الأحرار.^(٤)

وكان ملكم خان نفسه محررها، ولفتت مقالاتها والتي تميزت ببساطة الأسلوب ورشاقتها -أنظار الناس واهتمامهم، وأثرت موضوعاتها التي كانت تنم

(١) صدر العدد الأول منها يوم الخميس السادس عشر في الحجة عام ١٢٩٢ هـ.ق.

(٢) ادوارد براون: تاريخ مطبوعات وأدبيات إيران در دورة مشروطيت، ترجمة محمد عباسي، ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) أحمد كسروي: تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، ص ١٩.

(٤) لا تحمل أعداد صحيفة قانون تاريخاً، ولكن يستنتج أن عددها الأول صدر في ٢٠ فبراير ١٨٩٠م (٢٩ جمادى الأول ١٣٠٧ هـ.ق) وصدر منها ٤٢ عدداً في المجمل.

عن بصيرة محررها وثقافته على الثورة الفكرية والسياسية والنهضة الاجتماعية في إيران بشكل كبير.

حكمت:-

صدرت صحيفة "حكمت" الأسبوعية عام ١٣١٠ هـ ق في القاهرة. وكان محررها ميرزا مهدي خان التبريزي (زعيم الدولة) الذي ارتحل من إسطنبول إلى مصر وأسس بها تلك الصحيفة. وأصر بشدة على أن تكتب "حكمت" بالفارسية الخالصة الخالية من المصطلحات العربية.

ظلت هذه الصحيفة تصدر حتى بداية الثورة الدستورية وكانت مقالاتها ذات تأثير كبير. وكان زعيم الدولة رجلا فاضلا متقفا، وله أيضا مؤلفات وأشعار وطنية. (١)

وفي تلك الآونة ظهر أيضا عدد من الصحف الأخرى خارج إيران أشهرها ثريا وپرورش في مصر وحبل المتين في كلكتا.

ثريا:-

صحيفة أسبوعية صدرت عام ١٣١٦ هـ ق في القاهرة. كان يحررها في البداية ميرزا علي محمد خان الكاشاني شقيق ميرزا عبد الحسين خان وحيد الملك النائب البرلماني في المجلس الثاني، وذاعت مقالاته في الآفاق لأسلوبها اللاذع، ولكنه تركها وأسس لنفسه صحيفة "پرورش" وتولى تحريرها سيد فرج الله خان الكاشاني ففقدت أهميتها. (٢)

(١) أحمد كسروي، تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص ٤١.

(٢) عددها الأول مؤرخ بالربع عشر من جمادى الآخر من تلك السنة.

(٣) أحمد كسروي: تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص ٤١.

"پرورش" :-

تعد صحيفة پرورش التي صدرت في بداية عام ١٣١٨ هـ.ق^(١) من أفضل الصحف الفارسية وأهمها. تميزت بأسلوب تحريرها البديع ومقالاتها الجيدة واستثارتها للأفكار فكانت من أسباب الثورة الفكرية في إيران.

حلت هذه الصحيفة محل ثريا كما ذكرنا، وكان محررها ميرزا علي محمد خان رجلا عالما وتميزت مقالاته بكونها لاذعة وشديدة اللهجة.

حبل المتين :-

تعد صحيفة حبل المتين الأسبوعية التي أسست في كلكتا عام ١٣١١ هـ.ق أهم صحف تلك الفترة وأشهرها. وتمتعت بحرية الرأي نظرا لأنها كانت تطبع في الهند، ونشرت بها مقالات عن مشكلات إيران السياسية وطرحت الكثير من الآراء المفيدة واقترحت مرارا سن القانون وإقامة حكومة دستورية. واشتهر محررها سيد جلال الدين الكاشاني مؤيد الإسلام بلقب "تيكى"^(٢) وكانت صحيفة حبل المتين تصل إلى إيران بالرغم من أن الحكومة كانت قد حظرت قراءتها وتداولها، ولعبت دورا مهما يماثل دور صحيفة كولوكول "الجرس" لهرتسن في روسيا.^(٣)

وخصص قسم من حبل المتين للموضوعات الدينية وكانت هذه الصحيفة تدعو للوحدة الإسلامية.^(٤)

(١) تاريخ الجمعة العاشر من صفر من ذلك العام.

(٢) أحمد كسروي: تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص ٤٢.

(٣) پاولوويچ، ثريا وايرانسكى: انقلاب مشروطيت ايران، ص ٥٤.

(٤) إدوارد براون: مطبوعات وأدبيات إيران، ترجمة محمد عباس، ج ٢، ص ٣٣٤.

الفصل الثالث

دار الفنون:-

إن الشعور بهيمنة الضعف والعجز على كافة مناحى الحياة وضرورة الأخذ بالمدنية الغربية وتغيير نظم التعليم القديم أدى في النهاية إلى وضع حجر الأساس لمبنى دار الفنون في بداية عام ١٢٦٦هـ.ق في القسم الشمالي من الديوان الملكي وكان في السابق داراً للجنود. وبات الهدف منها تدريس العلوم والثقافة الغربية لجيل الشباب.

ونظراً لحاجة الدولة إلى مثل هذه المؤسسة التعليمية عزم ولي العهد عباس ميرزا على تأسيس دار الفنون حيث عُرف بريادته في الأخذ بالمدنية والعلوم الحديثة وفقاً لشهادة جريبایدوف^(١) سفير روسيا في بلاط فتحعلي شاه، ولكنه لم يوفق في تنفيذ ذلك الأمر وكتب لميرزا تقى خان أمير كبير التوفيق في تنفيذه.

فبعد حادثة مقتل جريبایدوف كُلف الأمير خسرو ميرزا بن عباس ميرزا بالتوجه إلى بلاط روسيا لتقديم الاعتذار على رأس وفد ضم ميرزا تقى خان الفراهانى^(٢) (شوال ١٢٤٤ هـ.ق). ولما شاهد الأمير المدارس الصناعية هناك فكر في تأسيس دار الفنون.

ويقول ميرزا مصطفى خان افشار - الذى تولى التحرير والإنشاء^(٣) للوفد المرسل إلى روسيا- فى كتاب رحلات "خسرو ميرزا" بعد وصف مدارس بطرسبورج ودور العلم بها:-

"من اليسير تأسيس هذه المدارس فى إيران. فيمكن استقدام عدد من المعلمين

(١) تبريز، بتاريخ فبراير ١٨٢٠م (كليات أعمال جريبایدوف، ليننجراد ١٩٤٥م ص ٤٥٣)
(٢) كان من رفاق خسرو ميرزا الآخرين ميرزا صالح الشيرازى و ميرزا محمد خان زنگنه وأمير نظام ومسعود گرمرودى.
(٣) لقب فيما بعد بيهاء الملك.

الأوروبيين إلى إيران وتخصيص مدرسة لأولاد النجباء الإيرانيين، وإلحاقهم بها وتعيين عدد من الفضلاء للإشراف عليهم كي يتعلموا العلوم الإيرانية من المعلمين الإيرانيين وكذلك العلوم الأوروبية من المعلمين الأوروبيين".

وكان هدف الأمير من تأسيس مثل هذه الأكاديمية أن تكون مؤسسة عسكرية وصناعية تسد حاجة الدولة بالدرجة الأولى في المجالين العسكري والصناعي "وربما يكون خبر تأسيس دار الفنون في إسطنبول التي افتتحت عام ١٢٦٣ هـ.ق قد أثر على هذا الإجراء. (١)

وللأسف كان الأمير يقضى آخر أيامه بالمنفى في باغ شاهي بفين التابعة لكاشان وقت افتتاح دار الفنون، وقتل في ذلك المكان بعد أسبوعين من افتتاحها ولم ير ثمرة عمله.

اتخذ الأمير قرار تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٦ هـ.ق أي في العام الثالث من عهد ناصر الدين شاه. ففي هذا العام فرغ من أمور أكثر أهمية فيما يتعلق بأمن الدولة وإعداد الجيش وتوفير الأسلحة وتنظيم الميزانية وقمع الأدعياء والفتن، وقرر تأسيس مدرسة في طهران لتعليم الصناعات، ولما كان من المقرر أن تدرس بها كافة الفنون أي الصناعات لذا فقد أمر بتسميتها دار الفنون. (٢)

صمم بناءها ميرزا رضا كبير المهندسين، الذي سافر إلى لندن في عهد عباس ميرزا ولي العهد وبرع في فن العمارة والبناء، وكلف كبير المهندسين محمد تقى خان بتنفيذه، وتعد دار الفنون كما ذكرنا أول معهد فني عال على النسق الأوروبي يمد الدارسين بالمعارف والعلوم الحديثة ويؤهلهم في تخصصات مرتبطة بالشئون المدنية والعسكرية، ولما كان تنفيذ هذا الأمر في البداية لا يتيسر على أيدي الإيرانيين أنفسهم، كان ولا بد طلب المساعدة من أوروبا.

(١) عباس إقبال: بعد از صد سال، مجلة يادگار، العام الخامس، العددان ٤ - ٥.

(٢) روزنامه وقایع اتفاقیة: العددان ٢٩، ٣٤، بتاريخ شوال ١٢٦٧ و ٣ صفر ١٢٦٨ هـ.ق.

لهذا سعى الأمير لاستقدام مدرسين متخصصين من أوروبا للتدريس في هذه المدرسة، فأوفد أحد المترجمين البارزين موضع ثقته عام ١٢٦٧ هـ.ق إلى بلاطى بروسيا والنمسا لإحضار المدرسين، وكان يسمى جان داود.

فقد رافق الأمير حين أوفد إلى أرزنة الروم حيث كان يعد المترجم الأول للحكومة الإيرانية، كما كان من بين أعضاء سفارة إيران فى سان بطرسبورج.

ووصل جان داود الأرمنى إلى طهران يوم الجمعة ٢٧ محرم ١٢٦٨ هـ.ق (بعد يومين من عزل أمير كبير) وبرفقته سبعة من المعلمين النمساويين الذين كان قد تعاقد معهم لتدريس الطب والتخصصات العلمية والعسكرية، ولم يكن بناء دار الفنون قد اكتمل بعد. وأعدوا على الفور برنامجا للدراسة وعرضوه على ناصر الدين شاه الذى لم يكن عمره قد تعدى الثانية والعشرين، واختير لإدارة المدرسة عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة، ورضا قلى خان هدايت لتولى الشؤون العسكرية بها، وأقيم حفل افتتاح أول مدرسة عالية تسمى "دار الفنون" بأمر من الشاه الشاب يوم السبت الخامس من ربيع الأول عام ١٢٦٨ هـ.ق "وشرف مائة من أبناء الأمراء العظام والأعيان ورجال الدولة ببقاء الشاه، وكان قد تم اختيارهم للدراسة فى مدرسة دار الفنون المباركة من قبل وزير الخارجية ميرزا محمد على خان، وبعد ذلك قدموا إلى المدرسة المباركة وبدأوا الدراسة. افتتحت دار الفنون فى ذلك اليوم وأجريت المراسم وفقا لما هو مقرر. وكانت العلوم التى تدرس فى البداية تدريبات المشاة والمدفعية والفروسية وعلوم الهندسة والطب والجراحة والصيدلة والتعدين.

واتخذ قرار بأن ترتدى كل فرقة زيا مختلفا ليُعرف من خلاله تخصص كل فرقة. كما تقرر تعيين مترجمين بالمدرسة، ومنذ ذلك اليوم أخذت تنتشر بالمملكة العلوم الحديثة ومخترعات الأمم النافعة التى هى محصلة مئات السنين من الجهد والمشقة".

من الواضح أن شئون هيئة التدريس من الأوروبيين كانت غير منظمة إلى حد كبير في بداية الأمر، كما كان بين المعلمين أشخاص غير مؤهلين بالقدر الكافي فيما يتعلق بالعلوم وأسس التربية والتعليم.

ولم يكن الإيرانيون يستطيعون التدقيق في اختيارهم لأنه لم يكن من السهل وجود أشخاص يوافقون على الإقامة في إيران لفترة طويلة، وبشكل عام قلما وجد أشخاص قادرون على تأهيل الطلاب الإيرانيين علميا والذين من المنتظر أن يكونوا معلمين في المستقبل.

وبلغ عدد المعلمين الذي قدموا إلى إيران برفقة جان داود والذين بدأوا في التدريس بدار الفنون قبيل مقتل أمير كبير سبعة أشخاص وهم: الكابتن زاتى،^(١) الكابتن جومنز،^(٢) الضابط كرسيس،^(٣) الضابط نمير،^(٤) كارنوتا،^(٥) الطبيب بلاك،^(٦) وكوكاتى.^(٧)

وفضلا عن هؤلاء انضم إلى هيئة التدريس في دار الفنون لفيف من الأوروبيين الذي كانوا قد وفدوا إلى إيران فيما سبق.

ومن المعلمين والمستشارين الأوروبيين الأوائل خلال العشرين عاما الأولى، من تأسيس دار الفنون:-

كرسيس والطبيب بلاك، وهما من أول المعلمين الذين قدموا عام ١٢٦٨ هـ.ق (١٨٥١م). وكان الأول معلما للمدفعية والرياضيات والآخر معلما للعلوم

(١) Zattie.

(٢) Gumonës

(٣) Krziz

(٤) Nemiro

(٥) Carnotta

(٦) Polak

(٧) لم يرد اسم كوكاتى في قائمة بلاك، ومن المعتقد أنه قدم إلى إيران لاحقا.

الطبية. عمل بلاك فى منصب الطبيب الخاص للبلاط بعد وفاة الطبيب الفرنسى كلود، وعاش فترة طويلة فى إيران، وتعلم الفرنسية، وألف كتابا قيما باللغة الألمانية عن رحلته إلى إيران، ولم يفقد هذا الكتاب قيمته حتى الآن، ويقدم معلومات وفيرة لأولئك المهتمين بالاطلاع على أسلوب الحياة فى ذلك الزمان، والكثير من المصطلحات الطبية المعاصرة مأخوذة عن كتاب "تشریح بلاك" الذى أُلّف بالتعاون مع ميرزا محمد حسين افشار.

عاد كرسييس إلى أوروبا عام ١٢٧٦ هـ.ق (١٨٥٩م) وبلاك عام ١٢٧٧ هـ.ق (١٨٦٠م).

ومنهم أيضا البولندى استانيسلاس بورفسكى^(١) الذى كان يدرس الجغرافيا واللغة الفرنسية. وكان من أهالى فيلنا ووالده العميد ايزيدور بورفسكى الذى قتل فى الحرب التى دارت فى هراة. عمل لدى الحكومة الإيرانية وصار معلما فى مدرسة دار الفنون، وتوفى فى طهران فى شهر رمضان عام ١٣١٥ هـ.ق (يناير ١٨٩٨م).

وقدم إلى إيران بعدهم بفترة وجيزة الكساندر بوهرل^(٢) كبير المهندسين العسكريين عام ١٢٧٢ هـ.ق (١٨٥٥م). تولى مهمة تدريس الرياضيات وعلم التحصينات وعلوم عسكرية مشابهة، وشارك فيما بعد فى حروب إيران ضد الأفغان، وسيطر الجنود الإيرانيون بفضل توجيهاته على هراة فى صفر عام ١٢٧٣ هـ.ق (١٨٥٦م) توفى بوهرل عام ١٣٠٥ هـ.ق (١٨٨٧م) وكان على درجة عميد.

أوفدت الحكومة الفرنسية عام ١٢٨٥ هـ.ق (١٨٦٨م) إلى إيران الفرنسى ألبرت لومر^(٣) لتدريس الموسيقى العسكرية، فأعد فرقا للموسيقى العسكرية

(١) Stanislas Borwsky

(٢) Bohler

(٣) A. Lemaire

وعرف الإيرانيين لأول مرة على الموسيقى الغربية، وتوفي عام ١٣٢٥ هـ.ق (١٩٠٧م).

كان اتحاد العمال الفرنسي قد أوفد فليكس فوفيليه^(١) عام ١٢٨٢ هـ.ق (١٨٦٥م) إلى إيران لمد خط السكة الحديد، فاستعانت به الحكومة لتأسيس ترسانة للأسلحة ثم تدريس التعدين في دار الفنون. وتقاعد حوالي عام ١٣١٨ هـ.ق (١٩٠٠م) وتوفي بعد عدة سنوات.

قدم الطبيب الهولندي شليمير عام ١٢٦٨ هـ.ق (١٨٥١م) بصفة شخصية، وبعد عدة سنوات من إقامته في رشت اختير لتدريس الطب بدلا من الطبيب بلاك. قام شليمير^(٢) بالعديد من الرحلات البحثية في إيران، ونشر نصوص أغلب محاضراته. وأهم أعماله معجم متخصص في الطب والنباتات نُشر عام ١٢٩١ هـ.ق (١٨٧٤م) في طهران في طبعة حجر، والنسخ الموجودة منه نادرة جدا، وطبع مؤخرا من قبل كلية الطب بجامعة طهران ضمن ملحق المجلة الطبية.

كان يعاون الطبيب بلاك الطبيب آلبو^(٣) وهو من أهالي برلين، تعاقد معه مخبر الدولة عام ١٣٠٠ هـ.ق (١٨٨٤م)، وأعد رسائل في الطب باللغة الفارسية بمشاركة الطبيب شليمير ونشرها. وعاد إلى أوروبا بعد ثمانى سنوات قضاها في التدريس وعلاج المرضى.

قدم الفرنسي جول ريتشارد^(٤) إلى إيران في نهاية عهد محمد شاه (١٢٦٠ هـ.ق - ١٨٤٤م)، وكان على ما يبدو غير متخصص. كُلف بالعمل في عهد أمير كبير وقصته غريبة وشيقة، فقد أحب فتاة واعتنق الإسلام، وتزوجها وفضل الإقامة في إيران واشتهر بميرزا رضا مؤدب الممالك، وتخلي عن عاداته وانخرط في

Vauvillier (١)

J. L. Schlimmer (٢)

Albu (٣)

J. Richard (٤)

الحياه القبلية. توفي ريتشارد في شوال عام ١٣٠٨ هـ.ق في سن الخامسة والسبعين في طهران.

أما آندره إيني^(١) فكان مقاتلا من أهالي توسكان شارك في ثورة عام ١٨٤٨م وتم تعقبه لكونه من المطلوبين سياسيا، فهرب عام ١٨٤٩م من إيطاليا وذهب إلى إسطنبول، وفي عام ١٢٦٩ هـ.ق (١٨٥٢م) قرر الالتحاق بالعمل لدى الحكومة الإيرانية، توفي عام ١٨٩٤.

وكان جاستيجر^(٢) النمساوي من المتخصصين في الشؤون الهندسية، وقدم إلى إيران في عام ١٢٧٧ هـ.ق (بداية ١٨٦٠م) بغرض القيام بمغامرة لا غير، وتولى لفترة طويلة وظائف مهمة في الشؤون الهندسية المختلفة، وفي عام ١٨٨٩م اعتزل العمل وتوفي بعد فترة وجيزة.

كما انضم لفيف من الأرمن المقيمين في آذربيجان وجلفا بأصفهان إلى هيئة التدريس بالمدرسة فضلا عن عدد قليل من الإيرانيين المسلمين الذين كانوا يدرسون الأدب والعلوم الشرعية. وكان هؤلاء الأرمن يتقنون لغة أجنبية أو أكثر نتيجة رحلاتهم أو دراستهم للخارج، ومتخصصين في بعض العلوم الحديثة. ومنهم ملكم خان بن ميرزا يعقوب وهو من أرمن جلفا ولقب فيما بعد بناظم الدولة. أما نظر آقا فكان من أرمن آذربيجان وعمل في منصب المترجم الثاني للغة الروسية في وزارة الخارجية ولقب فيما بعد بيمين السلطنة وعمل وزير إيران المفوض في باريس.

ونذكر أيضا ماردروس خان من أرمن جلفا وكان يجيد الفرنسية والروسية، درس في موسكو وعمل قبل خدمته بدار الفنون مترجما في الحكومة.

Andreini (١)

Gasteiger (٢)

وفى الختام تجب الإشارة إلى نيكولاس^(١) مترجم رباعيات الخيام، وهو والد الفونس نيكولاس قنصل فرنسا فى تبريز.^(٢)

كما أسهم الإيرانيون أنفسهم بالطبع فى تطوير دار الفنون، وسنذكر فيما بعد أسماء عدد منهم ممن عملوا على نشر الثقافة الإيرانية.

اهتمت دار الفنون فى البداية بتدريس الطب والرياضيات والعلوم العسكرية واللغات الأجنبية، ثم خصّصت محاضرات بعد ذلك لتدريس مبادئ اللغتين الفارسية والعربية وبالتدريج تم إدراج الأدب بين المواد الدراسية.

وكانت الكتب التى أعدها الأساتذة القدامى أو الجدد مترجمة عن اللغات الأوروبية أو مقتبسة عنها، وهذه الكتب المطبوعة نادرة ونفيسة، ويجب أن نذكر منها بالدرجة الأولى الكتب التى أعدت فى التخصصات العلمية والصناعية والتى كانت تدرس مع بداية تأسيس دار الفنون فى طهران، وعلينا أيضا أن نضيف إليها عددا من الكتب التى كانت قد أعدت فى عهد عباس ميرزا ولى العهد.

تعاون أغلب المعلمين مع الأوروبيين باعتبارهم مترجمين ومساعدين لهم، ولكن السعى وراء الحصول على الألقاب الرنانة التى كانت منتشرة فى البلاط ذلك الوقت صار من الأمور الراسخة فى تلك المؤسسة الثقافية. فعلى سبيل المثال لُقّب كبير الفلكيين الحاج ميرزا عبد الغفار (المتوفى عام ١٣٢٦ هـ.ق) بلقب رنان وهو "معلم جميع العلوم الرياضية" وكانت وظيفته تحديد ساعات السعد والنحس فيما يتعلق بأعمال الشاه، وانضم إلى هيئة التدريس فى دار الفنون، وألف العديد من الكتب فى الرياضيات والعلوم الطبيعية (مثل "رسالة آسمان" فى الفلك و "أصول جغرافيا" و "أصول هندسة" وغيرهم).

وعلينا أن نشير أيضا إلى التدقيق والحذر فى التعاقد مع المعلمين الأجانب

M. J. Nicolas (١)

Alphonse Nicolas (٢)

حتى لا يكون هؤلاء المعلمون من مواطني الدول ذات المصالح السياسية في إيران. وبعد مقتل أمير كبير سعى وزير بريطانيا المفوض الكولونيل جوستن شيل^(١) سعياً جاداً كي لا يتم افتتاح دار الفنون، وحرص ميرزا آقا خان نوري على ذلك، ويرجع هذا الأمر إلى غضب شيل بسبب عدم اختيار المعلمين من بين المواطنين البريطانيين أو مواطني الدول حليفة بريطانيا سياسياً. إلا أن ناصر الدين شاه أصر على افتتاح دار الفنون نظراً لأنه كان قد راسل إمبراطور النمسا فرانسا جوزيف بخصوص إيفاد هؤلاء المعلمين ولم يوافق على عودتهم.

ورغم هذه المعارضة فقد عاد هذا الأمر - كما ذكرنا سالفاً - بالفائدة على عدد من المهاجرين الإيطاليين والأرمن.

ويقول الطبيب بلاك: "لم يكن الأمير قد أدرك أننا لا نستطيع أن نؤدي عملنا وفقاً لمعتقداته أو وفقاً لأهوائنا".^(٢) وبالرغم من ذلك كان الشاه الشاب يشارك في بداية الأمر في عقد الامتحانات ويمنح الدارسين الجوائز والإنعامات ويعينهم في المناصب. على كل حال تخرج طلاب بارزون أفاضل من تلك المدرسة، ولكن بعد فترة وجيزة، شعر ناصر الدين شاه بالريبة تجاه دار الفنون نتيجة بعض تصرفات ملكم الذي عمل معلماً ومدرساً في تلك المدرسة، وخاصة لتأسيسه المحفل الماسوني، حتى أنه لم يسمح بعد ذلك للإيرانيين بالسفر إلى الدول الغربية لأي سبب من الأسباب، ومنذ ذلك التاريخ تدهورت أوضاع دار الفنون ولم يتبق سوى القليل من بين جميع المعلمين الأجانب والإيرانيين وكذلك قلة من الطلاب.^(٣)

(١) Colonel Justin Sheil

(٢) Polak, Vol. 1, p. 301

(٣) لم يكن من اللائق ألا يتردد على المدرسة ويتفقد القاعات، ويشجع الطلاب ويمنحهم الإنعامات. وبعد ذلك الإجراء (أي تأسيس المحفل الماسوني والتخطيط للجمهورية والزج بدار الفنون) كان يستاء لسماع اسم المدرسة، واكتفى بالإبقاء عليها ظاهرياً (مهد يقلى هدايت: خاطرات وخطرات).

وبعد ظهور هذه الأفكار حظر ناصر الدين شاه السفر لأوروبا وعزف عن الأفكار الأوروبية بعد أن كان يرسل بعثات من الطلاب في بادئ الأمر إلى الدول الأوروبية، وهذا راجع للأعمال التي لا طائل من ورائها وتقليد الخرافات الجديدة الفاسدة - المصدر السابق.

لم تقدم بيئة دار الفنون للدولة أعمالاً أدبية مهمة، إلا أنها قدمت ما هو أهم. فقد أثرت هذه المؤسسة العلمية بشكل غير متوقع على تطوير الشؤون التعليمية في إيران وساعدت على الأخذ بالعلوم والصناعات الأوروبية الحديثة على الرغم من أنها افتقرت إلى وجود أشخاص مؤهلين بين مؤسسيها وبرغم عراقيل الجهلاء وأعداء التقدم في إيران. وعُرِّفت شريحة واسعة من الأهالي بنمط الحياة الأوروبية التي لم يكن الإيرانيون حتى ذلك الوقت يعلمون عنها شيئاً، ومنحت فرصة لقطاع كبير من الشباب لخوض غمار الإصلاح.

ولم تمض فترة طويلة حتى ظهرت طبقة مستتيرة من الأطباء وعلماء الرياضيات والعلوم الطبيعية، ساهموا في إرهابات الثورة الثقافية بإيران عن طريق الترجمة والتأليف وفقاً للأسلوب العلمي الحديث وتأهيل الكثير من الطلاب، بحيث يمكننا القول بأن التجديد ومكافحة الجهل والخرافات ونشر الأفكار التحريرية في العهد الناصري يرجع إلى حد ما إلى تنشئة وتعليم هذه الفئة من الدارسين بدار الفنون. كما ساهمت هذه المؤسسة في تأهيل عناصر الثورة الدستورية والموظفين الحكوميين الذين أمسكوا بزمام الأمور في إيران لاحقاً.

١ - ترجمة وتأليف الكتب التعليمية:

كما نعلم كانت الكتب التعليمية في إيران قبيل تأسيس دار الفنون نادرة جداً بل معدومة تقريباً. واضطر القائمون على المدرسة إلى تأليف الكتب بأنفسهم أو ترجمتها عن اللغات الأجنبية نظراً لشدة احتياجهم لكتب فارسية تعليمية. بناء على هذا أعدوا منذ بداية التحاق المعلمين الأوروبيين بدار الفنون كتباً تعليمية كثيرة في التخصصات المختلفة للعلوم الحربية والعسكرية (كالمدفعية والتحصينات وإعداد الجيش ورسم الخطط) والعلوم الطبيعية (كالطب والتشريح والفسولوجي والكيمياء والميكانيكا) وكُلف طلابهم الإيرانيون بترجمة الكتب المذكورة إلى الفارسية ومنهم

ميرزا زكى المازندراني ومحمد حسين القاجارى وميرزا تقى خان الكاشانى وميرزا على أكبر خان مهندس الشيرازى ومحمد حسين افشار حيث كانوا قد أجادوا اللغات الأوروبية إلى حد لا بأس به وخاصة اللغة الفرنسية. وطُبعت جميع تلك الكتب طباعة حجر فى المطبعة التى أنشئت فى دار الفنون نفسها لهذا الغرض، ووزعت على الطلاب. (١)

وانتقلت الرغبة العارمة فى نشر الثقافة والعلوم التى بدأت فى دار الفنون إلى أشخاص آخرين أيضا خارج المؤسسة التعليمية، وعم شوق جارف لتأليف الكتب وترجمتها سواء داخل دار الفنون أو خارجها، وشارك فى التأليف والترجمة من بين الإيرانيين الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدولة الأصفهاني والطبيب أبو الحسن خان والطبيب رضا خان والطبيب محمد الكرمانى الشهير بكفرى وميرزا رضا خان مهندس الممالك وميرزا على أكبر خان مزين الدولة وميرزا أسد الله خان مهندس السلطان، والطبيب على خان الهمدانى وميرزا على خان مترجم السلطنة وسليمان خان احتساب الملك ونصرة السلطان وسيد على خان وميرزا محمد حسين ذكاء الملك وابنه ميرزا محمد على خان ذكاء الملك وآخرون.

(١) سنذكر عناوين بعض هذه الكتب: من أعمال الطبيب بلاك "تشریح بدن انسان" ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٥ هـ.ق، "زبدة الحكمة" ترجمة علينقى حكيم الممالك ١٢٧٢ هـ.ق، "جلاء العيون" فى علاج العيون ١٢٧٣ هـ.ق، "علاج الأسقام" فى الجراحة ملحق به "رساله حكاكى" فى مجلد واحد ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٣ هـ.ق، ومن أعمال كرسيس "علم هندسة" و"علم مساحت" ترجمة ميرزا زكى المازندراني ١٢٧٤ هـ.ق، "علم تويخانه" ترجمة ميرزا زكى ١٢٧٥ هـ.ق، ومن مؤلفات الطبيب شليمى "سر الحكمة" ترجمة ميرزا تقى خان بن محمد هاشم الكاشانى ١٢٧٨ هـ.ق و "زينة الأبدان" ترجمة ميرزا تقى خان المشار إليه ١٢٧٩ هـ.ق، و "شفائيه" ترجمة ميرزا عبد الكريم بن الحاج ملا إسماعيل اليزدى ١٢٨٠ هـ.ق، و"كليات طب فرنگى" ١٢٩٢ هـ.ق، ومن مؤلفات بوهلر "علم تحصين" ترجمة المهندس ميرزا على أكبر خان الشيرازى ١٢٧٥ هـ.ق و"هندسه" ترجمة المهندس عبد الرسول خان ١٢٨٣ هـ.ق، و "قانون امور اردو" ترجمة محمد حسين القاجارى ١٢٩٦ هـ.ق، ومن أعمال جاستيجر خان "قانون خدمت سربازى" ١٣٠١ هـ.ق، غير ذلك.

وأُسفر مجهودهم بالتدريج عن إضافة سلسلة من الأعمال المهمة فى كل التخصصات إلى رصيد إيران من الأعمال العلمية والأدبية.

٢ - الترجمات الأخرى:-

إذا تجاوزنا الكتب التعليمية فقد نقل المترجمون الإيرانيون فى هذه المرحلة إلى اللغة الفارسية سلسلة من الكتب التاريخية من بينها مؤلفات فولتير التاريخية مثل "تاريخ بطرس كبير" و"شارل دوازهم الثانى عشر" و"إسكندر مقدونى" ثم "تاريخ إيران" للبريطانى السير جان ملكم عن الترجمة الفرنسية، وبعد ذلك قاموا بترجمة الروايات التاريخية والعلمية، فنقلوا للفارسية من أعمال الكساندر دوما الكبير قصص ("سه تفنگذار" و"كنت دو مونت كريستو" وملكه مارغو" و"لوئى چهاردهم وپانزدهم") ثم "تلكاى" لفنلن، و"روبينسن كروزو" لدفو، و"زيبلاس" للساج، و"كلبه هندی" لبرناردن دوسان بيير، و"مانن لسكو" لپروو، و"مسافرت گوليور" لسويغت، و"سرگذشت حاجى بابا أصفهاني" لجيمز موريه وأخيرا الروايات العلمية لجول فرن وما على شاكلتها.

وللأسف لم يراع مترجمو تلك الأعمال الخصائص الأدبية للنصوص الأصلية إلى حد كبير، وكانوا يزينونها بالأشعار الفارسية على غرار القصاصيين الإيرانيين، وفضلا عن ترجمة روائع الأدب الكلاسيكى ترجموا أعمالا مبتذلة مثل "سرگذشت مادام دومونت پانسيه" ورواية "روكامبول" وكلاهما للروائى الفرنسى پُنسن دوترای والعجيب أنهم كانوا يحررون للكتب السوقية المبتذلة مقدمات يتحدثون خلالها عن ضرورة نشر العلوم واكتساب الثقافة وتحصيل الفنون، وكانوا يمتدحون اهتمام الذات الملكية المقدسة لعنايتها بمثل هذه الأهداف السامية. ولكن برغم كل هذه المآخذ اضطر المترجمون كما أشرنا سالفاً إلى محاكاة أسلوب الكتابة فى النصوص الأصلية وكتابة الموضوعات بأسلوب سهل بسيط، وتجنب استخدام السجع والكلفة التى كانت تعد فيما سبق من شروط النثر الأدبى وخصائصه.

ولربما لو لم تكن هذه الترجمات لما ظهر أسلوب النثر الأدبي المعاصر الذي يقترب من لغة الحوار ويتميز في نفس الوقت بجمال النثر الأدبي الأوروبي. وأثرت ترجمة مسرحيات موليير أيضا - كما سنذكر لاحقا- تأثيرا كبيرا في تطور المسرح والكتابة المسرحية التي لم تكن معروفة تقريبا في إيران حتى ذلك الوقت.

٣- هدايت:-

كان من بين الإيرانيين الذين عملوا في دار الفنون أشخاص فاقوا زملاءهم الأوروبيين. وكان على رأسهم أمير الشعراء رضا قلي خان هدايت مدير هذه المؤسسة العلمية والمشرف عليها، الذي يعتبر أن نسبه يرجع إلى الشاعر الشهير الشيخ كمال الجندی معاصر حافظ الشيرازي.

كان الأديب والشاعر والمؤرخ الشهير رضا قلي خان بن آقا محمد الهادي الطبرستاني من أعيان قرية "چهارده كلانه" من توابع هزار جريب" بماندران. عمل في شبابه لدى جعفر قليخان بن محمد حسن خان قاجار، والتحق بعد مقتله ببلاط آقا محمد خان كبير الأسرة القاجارية وعمل أمينا للخزانة ورئيسا لها.

ولد رضا قلي في ليلة الخامس عشر من محرم ١٢١٥ هـ.ق في طهران، وأمضى بضع سنوات من طفولته في شیراز، ثم ذهب برفقة والدته إلى أقاربه في "بار فروش" بعد موت والده عام ١٢١٨ هـ.ق، ثم عاد إلى شیراز بعد عدة سنوات، ودرس العلوم المتداولة تحت إشراف ورعاية زوج والدته محمد مهدي خان المتخلص بـ "شحنة"، والتحق في شبابه بخدمة الحاكم حسينعلي ميرزا وأبنائه وأخيه حسنعلي ميرزا شجاع السلطنة.

وكان ينظم الشعر منذ مطلع شبابه أحيانا ويتخلص بـ "چاكر" ثم تخلص بعد ذلك بـ "هدايت".

وعندما ذهب فتحعلي شاه إلى شیراز، حمل ميرزا محمد تقى على آبادى منشى الممالك الشاعر الشاب إلى مجلس الشاه وألقى رضا قلى خان قصيدة حازت الإعجاب فمنحه الشاه لقبى "خان" و"ملك الشعراء"، وأمر بأن يلزمه عند عودته إلى طهران، ولكنه لم يتمكن من مرافقته لمرضه، وظل فى شیراز إلى وفاة فتحعلي شاه.

وبعد اعتلاء محمد شاه العرش، تمرد على الحكومة الأميران حسينعلى ميرزا وحسنعلى ميرزا فى شیراز، ولكن أُحبطت الثورة على الفور وأُسر المتمردان وأُرسلا إلى العاصمة وعُين الأمير فيروز ميرزا حاكما على شیراز. وظل رضا قلى خان لفترة فى شیراز، فصار مساعدا لفيروز ميرزا ومن ندمائه، وبعد عودته إلى كرمان أصبح مساعدا لأخيه فريدون ميرزا.

وعند عودة محمد شاه عام ١٢٥٤ هـ.ق إلى طهران بعد موقعة هراة، قدم رضا قلى خان إلى طهران حاملا رسالة من فريدون ميرزا حاكم فارس، وتوجه إلى منزل الصدر الأعظم ميرزا آقاسى فأحسن ميرزا آقاسى وفادته، وقدمه إلى البلاط، فمنعه محمد شاه من العودة إلى شیراز وكلفه بالقيام على تربية ابنه عباس ميرزا ملك آرا الذى كان يكن له حبا كبيرا، ولهذا السبب عرف بـ "لله باشى" أى "كبير المربين".

كان رضا قلى خان يعيش معززا مكرما فى البلاط وظل يرافق محمد شاه فى سفره وحضره حتى وفاته عام ١٢٦٤ هـ.ق، وألف باسمه تذكروته الشهيرة "رياض العارفين".

وبعد وفاة محمد شاه وقيام الثورة التى أدت إلى فرار تلميذه عباس ميرزا ظل عاطلا عن العمل ملازما لمنزله لفترة من الوقت بسبب دسائس المغرضين

على ما يبدو، إلى أن استدعاه ناصر الدين شاه لخدمته عام ١٢٦٧ هـ.ق،^(١) وأرسله على رأس وفد سياسى إلى بلاط محمد أمين خان وإلى خيوه الذى كان يطلق على نفسه خوارزمشاه.

وفى باريس قام "لرو"^(٢) عام ١٨٧٩م (١٢٦٩ هـ.ق) بطباعة ونشر الكتاب الذى كتبه رضا قلى خان بأمر أمير كبير عن تلك الرحلة بعنوان "سفارتنا مـه خوارزم"، وضم الكتاب الترجمة والحواشى الفرنسية التى قام بها تشارلز شيفر،^(٣) كما نقل محمد حسن خان اعتماد السلطنة أيضا متن الكتاب فى الجزء الثانى من "مرآة البلدان".

عاد رضا قلى خان فى الثامن عشر من محرم عام ١٢٦٨ هـ.ق إلى طهران من رحلته إلى خوارزم قبيل حلول الغضب على أمير كبير وعزله بيوم واحد، وعينه ناصر الدين شاه نائبا لوزير العلوم والمعارف ورئيسا لدار الفنون، وظل فى هذين المنصبين لمدة خمسة عشر عاما، فضلا عن انشغاله بإدارة شئون دار الفنون قام بإعداد تذكّراته الشهيرة عن الشعراء المعروفة بـ "مجمع الفصحاء"، كما كُلف من قبل الشاه بإكمال كتاب محمد بن خاوند شاه البلخى الشهير بميرخواند فى التاريخ العام والمسمى "روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء" وأنجز رضا قلى خان هذا العمل المهم وأضاف للكتاب ثلاثة أجزاء، وفى ربيع الأول ١٢٧٤ أتم هذا الكتاب تحت عنوان "روضة الصفاى ناصرى" فى عشرة مجلدات، ثم أخذ فى إتمام مجمع الفصحاء الذى يعد آخر أعماله، وانتهى منه عام ١٢٨٨ هـ.ق.^(٤)

(١) يحمل قرار ميرزا تقى خان أمير كبير بهذا الخصوص والمتعلق بهدايت تاريخ جمادى الأول عام ١٢٦٧ هـ.ق.

(٢) Leroux

(٣) Charles Schefer

(٤) الجزء الثامن عن الصفوية والأفغان والأفشاريين، الجزء التاسع عن سقوط الأفشاريين وتاريخ الأسرتين الزندية والقاجارية حتى عهد محمد شاه قاجار، الجزء العاشر عن عهد محمد شاه إلى نهاية السنة العاشرة من عهد ناصر الدين شاه.

تقاعد رضا قلى خان عام ١٢٧٨ هـ.ق عن الخدمة فى الحكومة، وذهب إلى آذربيجان للقيام على تربية ولى العهد مظفر الدين ميرزا الذى كان يبلغ آنذاك إحدى عشرة سنة، وفى تبريز أتم منتخب ديوان شمس المسمى بـ "شمس الحقائق" عام ١٢٨٠ هـ.ق، و"أجل التواريخ" عام ١٢٨٣ هـ.ق وقام بنشرهما.

أمضى رضا قلى آخر أيامه فى تبريز، وبعد عودته إلى طهران أثر العزلة إلى أن توفى بعد مرض عضال فى يوم الجمعة العاشر من ربيع الآخر عام ١٢٨٨ هـ.ق.

كان رضا قلى خان رجلا طيب السمعة عطوفا حسن الخلق مطالعا على العلوم المتداولة وأمضى عمره فى المطالعة والبحث والتأليف.

ومؤلفاته الأدبية كالتالى:-

ديوان قصائد وغزليات وغير ذلك يضم حوالى ثلاثين ألف بيت ولم يطبع بعد، عدة منظومات قصيرة وقصة رومانسية تسمى "گلستان ارم" أو "بكتاش نامه" التى طبعت طبعة حجر فى طهران عام ١٢٧٠ هـ.ق.

وتعبر جميع هذه الأعمال عن موهبته الشعرية وذوقه الأدبى وخاصة تبحره فى فنون الشعر الكلاسيكى، ومع هذا لا يمكن اعتباره شاعرا بمعنى الكلمة، فأشعاره جميعها محاكاة لمضامين أشعار الشعراء القدامى، ولا يمكن أن نجد بها شيئا من الخصوصية والأصالة، وبشكل إجمالى لم يحتل مكانة مميزة ملفتة للنظر بين شعراء البلاط القاجارى.

أما أعمال رضا قلى خان العلمية فتتميز بأهمية خاصة من الناحيتين التاريخية والأدبية. فمن مؤلفاته "أجل التواريخ" و"تاريخ مختصر إيران" اللذان ألفهما لمظفر الدين شاه. ومن مؤلفاته "روضة الصفاى ناصرى"، وهو كما ذكرنا تنمة تاريخ ميرخواند، وألفه اعتمادا على مصادر عصر نادر شاه التى كان أغلبها مجهولا فى أوروبا، وكان ينقل أحيانا النص الكامل للوثائق والمصادر فى كتابه.

ومجمع الفصحاء عبارة عن تراجم مفصلة عن أحوال الشعراء القدامى والمحدثين وأعمالهم حيث ينقل المؤلف بعد شرح سيرة كل شاعر منهم نماذج من أشعارهم على نهج كتاب التذاكر. وقد أتم المؤلف هذا الكتاب في أخريات حياته وطبع عام ١٢٩٥ هـ.ق في طهران.

وطبع كتاب "رياض العارفين" في طهران عام ١٣٠٥ هـ.ق، وهو تذكرة لشعراء الصوفية ومتمم لمجمع الفصحاء، ونشر له أيضا عام ١٢٩٥ هـ.ق كتاب آخر اسمه "رياض المحبين".

أمضى رضا قلى خان وقتا طويلا في دراسة تاريخ الشعر الفارسي، وفضلا عن مؤلفاته السابقة أعد ديوان الشاعر الدامغانى منوچهرى للطباعة. وكان مضطرا للاستعانة بالمعاجم أثناء مطالعة أشعار الشعراء القدامى، فتتبع معانى المفردات القديمة المهجورة أو نادرة الاستخدام وأدراك جيدا أن المعاجم المتاحة مليئة بالأخطاء، لذا قرر إعداد معجم تحليلي شامل ومفصل باسم "أنجمن آراى ناصرى". وطبع هذا المعجم بعد موته عام ١٢٨٨ هـ.ق، وتولى طباعته ابنه عليقى خان مخبر الدولة الذى عين فى منصب والده بدار الفنون. ولا يخفى أن هذا المعجم لا يرقى إلى مستوى معجم برهان قاطع لمحمد حسين التبريزى من حيث الدقة والأهمية على الرغم مما بذله المؤلف من جهد لإعداده.

وسنختتم الحديث عن سيرته بما كتبه أحد مشاهير علم الإيرانيات من الروس: إن رضا قلى خان واحد من الأدباء وعلماء اللغة الإيرانيين، وكان لدار الفنون بل أية مؤسسة تعليمية أوروبية أنه تفخر بإدارته ورئاسته لها. (١)

٤ - اعتماد السلطنة:

لا نجد بين معلمى دار الفنون الآخرين أحداً يفوق مديرها العالم رضا قلى خان فضلا، ولكن خلال بحثنا عن دار الفنون لا يمكننا صرف النظر عن ذكر

(١) ي. أ. برتلس. تاريخ مختصر أدبيات إيران، لنتجراد، ١٩٢٨ م.

شخصية ممن تعلموا في هذه المؤسسة العلمية لما خلفته من مؤلفات مهمة.

والمقصود محمد حسن خان صنيع الدولة الذي لقب فيما بعد باعتماد السلطنة. والده الحاج علي خان مقدم المراغي الملقب بضياء الملك ثم اعتماد السلطنة، وكان من مشاهير آذربيجان ورئيسا للطهارة وحاجبا للدولة في بلاطى محمد شاه وناصر الدين شاه، كما عمل لفترة واليا على خوزستان ولرستان وتولى لفترة أخرى إما وزارة العدل أو وزارة العمل والأوقاف الإيرانية، وكانت تربطه صلة القرابة بالأسرة القاجارية عن طريق والدته، وهو نفس الشخص الذي كُلف بقتل ميرزا تقى خان أمير كبير، ويقال إنه حمل من طهران إلى تبريز الحكم الصادر بقتل الباب.

ولد محمد حسن خان في ليلة ٢١ شعبان ١٢٥٩ هـ في طهران. وعمل في بداية عهد ناصر الدين شاه رئيسا للخدم لدى ولي العهد سلطان محمود. (١)

وعندما أسست دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ انضم للدارسين في تلك المدرسة، ودرس بها لمدة اثنتى عشرة سنة اللغة الفرنسية وتدريبات المشاة. وأنهى فترة الدراسة بدار الفنون بحصوله على الميدالية الذهبية، ولازم بلاط ولي العهد محمد قاسم ميرزا بحصوله على درجة ياور، وبعد وفاة الأخير لازم ميرزا محمد

(١) كان أول ولي لعهد ناصر الدين شاه سلطان محمود ميرزا من السيدة شمس الدولة ابنة أحمد على ميزا بن فتحعلي شاه. عين وعمره أربعة شهور وليا للعهد بموجب فرمان الصادر يوم الجمعة ١٧ ذى القعدة ١٢٦٥ هـ ق، وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الآخر عام ١٢٦٦ هـ ق. وثاني ولي لعهد ناصر الدين شاه هو معين الدين ميرزا من السيدة تاج الدولة ولكنه لم يعيش أكثر من ست سنوات فمات في اليوم الثاني من ربيع الأول عام ١٢٧٣ هـ ق في نفس الوقت الذي أتى فيه خبر فتح هراة. وظلت إيران لمدة عام دون ولي للعهد إلى أن رزق الشاه بمحمد قاسم ميرزا أمير الجيش من السيدة جبران فروغ السلطنة ابنة محمد علي خان التجريشي، فعين وليا للعهد بموجب فرمان الصادر في ليلة الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٧٤ هـ ق، إلا أنه مات هو الآخر في الثامن عشر من ذى القعدة من نفس العام. وبعد ذلك لم يعين ناصر الدين شاه وليا للعهد حتى أواخر ذى الحجة عام ١٢٧٨ حيث أصدر قرارا بولاية العهد لمظفر الدين ميرزا.

خان سپهسالار. وفي عام ١٢٧٥ هـ.ق حصل على ترقية، وصار قائدا لفرقة من المشاة وعين قائدا لجيش خوزستان ولرستان ونائبا للحكومة بهما. وفي عام ١٢٧٨ هـ.ق رقي إلى درجة كبير الياوران لدى الشاه، وصار ملحقا عسكريا لسفارة إيران في باريس عام ١٢٨٠ هـ.ق في الوقت الذي كان يعمل فيه حسن علي خان أمير نظام گروسی وزيرا مفوضا في فرنسا. وأمضى بباريس ثلاث سنوات ونصف، وعمل على رفع كفاءته العلمية بالتزامن مع تأدية وظيفته، وعاد عام ١٢٨٤ هـ.ق إلى إيران، وعين في مناصب مهمة بالبلاط.

وفي عام ١٢٧٨ هـ.ق تولى إدارة الصحف ثم رأس في العام التالي المطبعة الحكومية ولجنة الترجمة الملكية ومنح لقب صنيع الدولة. وجعل صحيفة "إيران" تحل محل صحف "روزنامه دولتی وملتی وعلمی"، وأصدر عام ١٢٩١ هـ.ق "سالنامه" أي التقويم الذي يضم التواريخ والأحداث وفي عام ١٢٩٣ هـ.ق أسس "روزنامه علمی" وفي سنة ١٢٩٥ هـ.ق صحيفة "اطلاع" شبه الرسمية، وتولى رئاسة هذه الصحف. وكلف عام ١٢٩٨ هـ.ق بتأليف "نامه دانشوران". وعين عام ١٢٩٩ هـ.ق عضوا بمجلس الشورى الحكومى وعام ١٣٠٠ هـ.ق وزيرا للمطبوعات وظل بتلك الوزارة حتى وفاته. وفي عام ١٣٠٠ هـ.ق كانت تطبع وتنتشر تحت رعايته وبخط ميرزا رضا كلهر صحيفة "اردوى همايون" و"مجموعه سياحتنامه مصور"، المخصصتان لرحلة ناصر الدين شاه إلى خراسان، وفي عامي ١٣٠٣ و ١٣٠٦ هـ.ق انتخب عضوا للجمعية الآسيوية بلندن وباريس، وحصل عام ١٣٠٤ هـ.ق على لقب اعتماد السلطنة.

عاش محمد حسن خان ما يزيد على خمسين عاما، وفضلا عن المناصب المهمة التي تولاها ظل لمدة خمسة وعشرين عاما يطالع الصحف الأوروبية ويقدم التقارير للشاه عن الأخبار الخارجية إلى أن توفي بالسكتة ليلة الخميس الثامن عشر من شوال ١٣١٣ هـ.ق قبيل حادثة اغتيال ناصر الدين شاه بحوالى شهر، وأُشيع أن ميرزا على أصغر خان أمير السلطان دس له السم.

ويقال إن محمد حسن خان على الرغم من أدبه المفرط وحيائه كان صريحا للغاية ووقحا في التعبير عن رأيه ونقد الآخرين والأوضاع السائدة. لدرجة أن شخصا مثل مخبر السلطنة هدايت وصفه في كتاب (خاطرات وخطرات) بأنه رجل بذىء اللسان ضيق الأفق، لا ينطق لسانه بالخير.

ووفقا لقوله في كتاب "خوابنامه": "كان يتصف بنفس الصفات التي قالها معاوية لابنه سيء الجبله يزيد الخبيث في وصف عبد الله بن الزبير، فهو يفر كالثعلب ويهاجم كالأسد".

مؤلفات اعتماد السلطنة: يبدو أن اعتماد السلطنة قام بتأليف كتبه في الفترة الأخيرة من حياته. ويعتقد البعض أنه لم يؤلف هذه الكتب بنفسه بل ألفها آخرون ونشرت باسمه لكونه رئيس دار الطباعة ويقول إدوارد براون في كتابه "مطبوعات وأشعار إيران نو": "لم يكن مطلعا اطلاعا دقيقا على الموضوعات العلمية وفقا لتصريح بعض الشخصيات الموثوق بها، ولكن نظرا لمكانته ومنصبه الرفيع كان يجمع العلماء من كل أرجاء الدولة ويحثهم على التأليف ويشرف على إعداد مؤلفاتهم ثم ينشرها باسمه.

ويعتبره محمد محيط طباطبائي "أعظم مستثمر للعلماء والفضلاء في عصره"،^(١) ويقول الأستاذ محمد القزويني عن الكتب المنسوبة إليه: "جميعها في الواقع من تأليف آخرين (باستثناء عمل أو عملين من بينها كتابه "خلسه")، وهذا أمر قائم في عصرنا بل هو أمر شائع".^(٢)

وهذه الآراء صائبة إلى حد ما، لأنه من المستبعد أن تكون الكتب والرسائل الكثيرة المنسوبة إليه ثمرة مجهود شخص واحد، وهناك فرض يكاد يكون يقينا وهو أن جماعة من العلماء قد شاركت في تأليف هذه الكتب سواء بشكل فردي أو

(١) مجلة يغما: العام السابع عشر، العدد الثامن، ص ١.

(٢) مجلة يادگار: العام الثالث، العدد الثالث.

بشكل جماعى. ويصرح اعتماد السلطنة نفسه فى نهاية الجزء الثالث من "درر التيجان" "جمعت حولى العلماء الأفاضل المتخصصين من كل أمة، وقمت بكفالتهم قدر استطاعتى ولازلت أفعل. وعلى الرغم من أن ما أقدمه لهم من خبز الشعير وملابس صوفية لا تليق بمعاشهم، فإنهم قانعون بى وبهذا الزاد اليسير لأنهم قد فطروا على أن (السك فى الماء)، ولا يطمعون فى شئ آخر". ومع ذلك كان بلا شك متقنا للغة الفرنسية وباحثا مطالعا يقضى على الدوام أوقاته فى مكتبته حتى منتصف الليل والتي ضمت أربعة آلاف كتاب من الكتب النادرة،^(١) كما بذل جهدا كبيرا فى سبيل العلم والمعرفة، فكان ركيزة لكل تلك الأعمال، ولولا جهده وسعيه الدعوى لما أنجزت أغلب هذه المؤلفات. على كل حال أهم مؤلفات اعتماد السلطنة أو التى نسبت إليه على النحو التالى:

مرآة البلدان ناصرى (١٢٩٤-١٢٩٧ هـ.ق):- فى جغرافية إيران وتاريخ مدنها وأقاليمها ويقع فى أربعة مجلدات، وقد رتب موضوعاته ترتيبا أبجديا.

وفى المجلد الثانى عندما وصل المؤلف إلى كلمة طهران أفرد الحديث عن تاريخ إيران خلال القرن الأخير، وهذا الجزء التاريخى مفصل إلى حد ما حيث يحتل أيضا الجزء الأكبر من المجلد الثالث. والمجلد الرابع من الكتاب يضم قائمة مرتبة ترتيبا أبجديا للأسماء والأعلام.

تاريخ منتظم ناصرى (١٢٩٨-١٣٠٠ هـ.ق):- وهو كتاب ضخ فى التاريخ العام يقع فى ثلاثة مجلدات، يتناول الأحداث وفقا للترتيب الزمنى، ويتناول الأحداث منذ بداية الهجرة حتى عام ١٣٠٠ هـ.ق.

مطلع الشمس (١٣٠٠-١٣٠٢ هـ.ق):- فى ذكر محافظة خراسان ويقع فى

(١) لقد اشترت أكثر من أربعة آلاف كتاب بكل اللغات من أوروبا ومصر والقسطنطينية والهند (درر التيجان، خاتمة المجلد ٣).

ثلاثة مجلدات. ويتناول بالتفصيل تاريخ مدنية مشهد وأهم مناطقها الأهلة بالسكان وتراجم المشاهير الذين خرجوا منها وكذلك أشعار شعراء خراسان، وقد استفاد المؤلف من مصادر متعددة أثناء تأليفه لهذا الكتاب.

خيرات حسان (١٣٠٤ - ١٣٠٧ هـ.ق) في تراجم نساء الإسلام الشهيرات، ويحتوى على نماذج من أشعار الشاعرات منهن، ويقع فى ثلاثة مجلدات. وتراجم المؤلف هذا الكتاب عن "مشاهير النساء" لمحمد الذهبى الأديب العثمانى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى، وأضاف إليه تراجم العديد من النساء الفضليات العالمات.

المآثر والآثار:- فى شرح وقائع عهد ناصر الدين شاه وتراجم رجالات عصره وعلمائه، وطبع فى طهران عام ١٣٠٦ - ١٣٠٧ هـ.ق.

درر التيجان فى أحوال بنى أشكان (١٣٠٨ - ١٣١١ هـ.ق):- فى تاريخ الأسرة الأشكانية ومأخوذ عن أقوال المؤرخين فى الشرق والغرب ويقع فى ثلاثة مجلدات.

التدوين فى أحوال جبال الشروين:- عن تاريخ منطقة سواد كوه، وطبع فى طهران عام ١٣١١ هـ.ق^(١).

حجة السعادة فى حجة الشهادة:- عن الأحداث المهمة التى وقعت عام ٦١ هـ.ق، وفى شرح استشهاد حضرة الحسين وأصحابه، وطبع عام ١٣١٠ هـ.ق فى تبريز بخط الخطاط ميرزا باقر.

ولاعتماد السلطنة ترجمات تدور حول التراجم والقصص والروايات فضلا

(١) يعتبر ميرزا محمد خان القزوینی أن الجزء الأكبر بل كل هذا الكتاب كتبه ميرزا محمد حسين فروغی وآخرون وأن اعتماد السلطنة نسبه إلى نفسه افتراء (مجلة يادگار: العام الخامس، العدد الثالث، ص ٥٧).

عن المؤلفات سالفة الذكر ومن بينها: شرح خاطرات مادموازل دومونت پانسيه،^(١) شرح أحوال كريستف كلمب، سياحتنامه داستان روبنسون سويسى، منطق الوحش بل دوقوق^(٢) ومسرحية طبيب إجبارى لموليير وغير ذلك.

كما دون مذكراته اليومية خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته، وانتقد أوضاع بلاط ناصر الدين شاه منذ عام ١٢٩٢ حتى ١٣١٣ هـ.ق، ويقع مجموعها فى سبع مخطوطات توجد بمكتبة الروضة الرضوية المقدسة، وقد طبع جزء منها مؤخرًا يتناول ثلاث سنوات، وتكمن أهميته فى أنه يفسر الأحداث التاريخية بشكل كبير.^(٣)

وهناك جزء آخر من المؤلفات المنسوبة إليه بخط المؤلف نفسه ومنها المعاجم؛ وهى من الفارسية للفرسية ومن العربية للفرسية، ومن الفرنسية للفرسية، ومنها أيضا الكلمات المتشابهة بين الفرنسية والفرسية، ومحادثة بالفرنسية والفرسية، والجغرافيا حول العالم.

(١) كانت المؤلفة ابنة عم لويس التاسع عشر ومن أميرات البلاط، وتحدثت فى الكتاب عن الوقاحة والعبث والفساد فى بلاط ملوك فرنسا. طبعت الترجمة الفرنسية عام ١٣١٢ هـ.ق.

(٢) يدور موضوع الكتاب حول حمار يمنع صاحبه عنه التبن والشعير، ولا يرعاه، ولم يعد له طاولة ولا سرجا وبرغم معاناة الحمار من جراح ظهره والجوع والبرد والحر، يقوم صاحبه المجحف يوميا بوضع الأحمال على ظهره إلى أن تخور قواه، فيرفض الحمار فجأة ويلقى بالأحمال، ويكسر ضلع صاحبه بركلة منه، ويتحرر بذلك من الألم وسوء الطالع... ويقال إن أعداء اعتماد السلطنة أخبروا الشاه أنه أراد بذلك أن يصف حال الإيرانيين ويحرضهم على الثورة ضده، مما أزعج اعتماد السلطنة، فكتب خطابا إلى الشاه وعرض عليه أملاكه ووضع هذا الخطاب فى مظروف وأعطاه لزوجته لتوصله للشاه. فحملت الرسالة بعد وفاته إلى الشاه، واستولى الشاه على أملاكه. وجاء فى فهرس الكتب المطبوعة الذى ألفه خانبابا أن مترجم "كتاب منطق الوحش يا الحمار يحمل أسفارا" - الذى طبع مرتين فى طهران عامى ١٣٠٦ و ١٣٢٢ هـ.ق - هو عبد الحسين ميرزا بن مؤيد الدولة طهماسب ميرزا، ولا أعرف إن كانت هذه الترجمة هى نفسها المنسوبة إلى اعتماد السلطنة أم أن اعتماد السلطنة وعبد الحسين ميرزا قاما بترجمة الكتاب.

(٣) نشر هذا الكتاب تحت عنوان "روزنامه خاطرات اعتماد السلطنة" فى طهران عام ١٣٤٥ هـ.ق وقدم له ايرج افشار وأعد فهرسه.

ولكن لا يوجد عمل نظماً أو نثراً يتميز بطابع أدبي محض بين مؤلفات اعتماد السلطنة سوى مسرحية "بقال بازى در حضور: "عرض البقال فى البلاط" التى من المحتمل أن تكون من أعماله. وسوف نتحدث عنها على حدة-، ورسالة "خوابنامه: رسالة الحلم" التى طبعت بعد موته.^(١) إلا أن أبحاثه العلمية أو التى تنسب إليه ذات قيمة كبيرة كما ذكرنا برغم من أن اعتماد السلطنة لم يتمتع بقدر ما تمتع به رضا قلى خان من اطلاع واسع. ولكن نتيجة لجهوده التى استمرت أكثر من ربع قرن تقدمت الصحافة والمعارف الإيرانية تقدماً كبيراً وأضيف إلى التراث الثقافى والرصيد العلمى فى إيران أعمال قيمة للغاية.

خوابنامه (رسالة الحلم): - ألفت رسالة "خوابنامه يا خواب خلسه: رسالة الحلم أو حلم الغفوة" لاعتماد السلطنة فى أواخر عمره بعد عام ١٣١٠ هـ.ق بالتأكيد كما يتضح من الرسالة نفسها. ولكنه ظل يحتفظ بها فى الخفاء خشية ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، إلى أن أهدت زوجته السيدة أشرف خان نسخة منها بعد موته إلى مكتبة الروضة الرضوية المقدسة فضلاً عن مؤلفاته الأخرى، ثم طبعت الرسالة فى مشهد.

ويحاكم المؤلف فى هذا الكتاب كافة صدور العصر القاجارى بداية من ميرزا إبراهيم خان كلانتر إلى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، ويرى أن سبب الخراب والانحطاط الذى أصاب إيران فى هذا العهد يرجع إلى أعمالهم وأفعالهم. ومن الواضح أن المؤلف كان مستاءً من عدد من الوزراء ولم يستطع أن يحكم عليهم حكماً عادلاً.

ومع كل هذا فقد ورد فى هذه الرسالة النقدية مجموعة من الحقائق التاريخية المهمة من وجهة نظر شخص مطلع كان جزءاً من الجهاز الحكومى وشاهداً عن قرب وأحياناً مؤثراً فى الأحداث، وتعد هذه الحقائق سنداً قيماً بالنسبة لأولئك الذين يريدون دراسة تفاصيل الأحداث فى العصر القاجارى وتتبعها.

(١) يك پرده از أسرار انحطاط ایران یا خوابنامه مرحوم اعتماد السلطنة: مقدمة محمد شهيد نورانى، وهى عن أحوال المؤلف وتضم قائمة بمؤلفاته، مشهد ١٣٢٤ هـ.ق.

وخلاصة القصة كالتالى:- فى بداية عام ١٣١٠ هـ.ق يسافر ناصر الدين شاه إلى العراق، ويذهب المؤلف فى ركاب الشاه، وعند العودة إلى طهران يحتّمى المؤلف من شدة حرارة الطقس بمسجد مهديم، وهو من الأبنية التى شيدها الشاه عباس الصفوى فى مدينة ساوه. ويضع تحت رأسه عددا من الحجارة الموجودة بصحن المسجد، ويسحب العباءة على رأسه ويغمض عينيه، ويرى ويسمع فى نومه أو غفوته أشياء تشكل موضوع القصة. ووفقا للقصة تتفسخ قبة المقصورة، وينزل من خلالها الملائكة وتنظف صحن المسجد، ويجلس على مقاعد من الذهب ثمانية من كبار الحكام وملوك العجم والترك وهم (كيخسرو الكيانى، دارا الأول، آرشاك مؤسس سلطنة الأشكانيين، أردشير بابكان، خسرو الثانى أنوشىروان، الشاه إسماعيل بهادر، نادر الأدوار والعصور نادر شاه الأفشارى، وآقا محمد خان مؤسس السلطنة القاجارية الخالدة) ووفقا لطلب آقا محمد خان يتم استجواب أحد عشر وزيرا من وزراء العصر القاجارى "ليتضح فى عهد مَنْ مِنْ السلاطين والوزراء الخائنين حل الخراب على إيران".

ولا تبدو نتيجة الاستجواب سيئة حتى عام ١٣٠٥ هـ.ق (تاريخ تولى أمين السلطان)، ويستعرض عشرة من وزراء العصر القاجارى أنسابهم وأعمالهم دون زيادة أو نقصان بداية من الحاج ميرزا إبراهيم خان الشيرازى إلى ميرزا يوسف آشتيانى (مستوفى الممالك)، ويبرأ الجميع عدا ميرزا حسين خان سپهالار القزوينى، "الذى لم تصب السلطة القاجارية بالضعف قدر ما أصيبت به فى أيام صدارته" ويرفعون إلى أعلى عليين وعلى رؤوسهم تيجان الفخار.. عندئذ يواصل مؤسس الأسرة القاجارية صاحب الدعوى دعواه ويسأل المحكمة: إذن من المتسبب فى هذا الخراب؟ ومن فعل هذه الأفعال القبيحة؟ قولوا لى من وضع النسب ذلك الذى حول روضتنا إلى وحل وألقى بأخلاقنا فى هذا اليوم، مَنْ أفسد الأمور، مَنْ جعل النهار معتما، وحول السطوة إلى نكبة والثروة إلى عسرة، وما لقب ذلك الذى بدل السمعة الطيبة بالسمعة السيئة، وما هو اسمه؟

وتستمر المحاكمة. ويسأل كبير الأسرة القاجارية في استياء وغضب الأتابك ميرزا علي أصغر خان "ذلك الشخص الذي جلس على المقعد الحادي عشر وأوصد باب السعادة أمام إيران، والسبب في هذا البلاء ومصدر سوء الطالع" قائلاً: "يا ضعيف العقل واهى الرأس، يا حاد الطبع عديم الهمة، يا مصدر الندم ومبعث الأسف، أي بلاء أنت أصاب دولتي ومملكتي وأخلافي، وزلزل كيان سلالتى ومكانتها".

ويقر المتهم بذنوبه واحداً بعد الآخر بلسان مخمور وصوت مرتعد ويقدم معلومات مفصلة تحلّ تقريباً نصف الكتاب، ويزيح الستار عن مجموعة من الحقائق التاريخية مثل تنافس روسيا وبريطانيا الشديد وتدخلهما في الشئون الإيرانية وتجديد ادعاء البارون دي رويتر ومنح امتياز البنك الشاهنشاهي لابنه، ومنح امتياز الطريق المُعبد انزلى - طهران وامتياز الملاحة في ممرات بحر قزوين المائية للروس، وامتياز اللوتارى لملك خان الأرمنى وقصة امتياز التبغ والفتنة التي نشبت نتيجة لذلك الامتياز وما شابه ذلك، كما يبين أسباب سوء خلق الشاه وصفات بعض المشاهير وأعمالهم مثل ميرزا ملكم خان والسيد جمال الدين الأفغانى وغيرهم.

كُتبت "خوابنامه: رسالة الحلم" بنثر بسيط وتتضمن بعض النماذج الشعرية البديعية البليغة، ولكنها لا تتميز كثيراً من الناحية الأدبية بشكل عام، وتكمن أهميتها في أنها كُتبت على شكل قصصى على خلاف سائر مؤلفات اعتماد السلطنة التي تميزت بطابعها التاريخى البحت. وأتاح هذا للمؤلف الحرية فى أن يطرح الموضوعات بأسلوب أكثر تفصيلاً وشمولاً، وأن يعبر عن رأيه فيها بحيث إن المؤلف يعرض للقارئ الأحداث السياسية للقرن الأخير من خلال مطالعته القصة ويوضح الجوانب الخفية من تلك الأحداث.

وللأسف وافت المؤلف المنية ولم تكتمل موضوعات الكتاب.

والآن نستشهد بنموذج من الكتاب لتوضيح أسلوب تحريره وكذلك خصائص

أسلوب اعتماد السلطنة النثرى بشكل عام:-

"..... كانت الحكومة الإيرانية إلى عهد صدارتي^(١) كعذراء لم تلمس يد غريب رداء عصمتها. فأردت أن أتخذ خطوات جديدة وأكسى الأمور ثوبا جديدا وفقا للنظم الحديثة. وكان الخطأ الرئيسى يكمن فى قلة درايتى ومعرفتى. كنت قد سمعت عن بعض الأشياء، ولكننى لم أدرك الأمور على نحو صحيح. فالعلم المنقوص والاطلاع غير الكامل يكون دائما كالبناء الواهى سببا للخراب. ولهذا فكل ما فعلته أثناء صدارتى وما فعلته بعدها صار كله سببا للخسارة والأضرار، وأثمرت جميع المقدمات نتائج عكسية. حملت بلطة وبترت جذور الحكومة والأمة الإيرانية. لعنة الله علىّ لأننى خنت وطنى. أول عمل أو عمل قبيح ارتكبته، إحضار إيلخان فاسد عريبد فاشل ومطروود.

استدعيته من إسطنبول وقدمت له راتبا ضخما من الحكومة، ومنحته حكومة قزوین. ثم استدعيت إلى إيران ملكم المحتال الجاهل الذى لا يملك شيئا سوى الغش والادعاء بعد أن كانت الحكومة والأمة الإيرانية قد استراحتا من شره، فجعلته لفترة مستشارا خاصا لى، ثم أرسلته وزيرا مفوضا إلى لندن، واختلفت لسبب شخصى مع معير الممالك وعملت على تخريب إدارته أى خزانة الدولة وتشبيد مصرف فى إيران ومد خط للسكة الحديد.

ولما كان ملكم المحتال الطماع مدركا لأهدافى؛ فقد ساندنى فى مقاصدى بل مفاصدى، فقام رجل يسمى رويتر من أثرياء المصرفيين بإغواء بريطانيسا طمعا، وقدم هذا الطماع مبالغ طائلة من المال لى ولملكم ولجميع رجال الحكومة الإيرانية الآخرين فى طهران رشوة وحصل على امتياز السكة الحديدية. وكانت وثيقة هذا الامتياز تتضمن أيضا إدارة المصرف، وكذلك استخراج المعادن وكل شىء أيضا. و لم يكونوا قد شرعوا فى هذا الأمر بعد، وإذا بى ألمح رغبة الشاه فى زيارة

(١) المراد ميرزا حسين خان سپهسالار.

الدول الأوروبية. فهيأت له على وجه السرعة متطلبات هذا الأمر، وكان هدفى من رحلة الشاه شيئين.

أولا أن أصبح معروفا فى الدول الأوروبية وأحصل على اعتماد حقيقى. والآخر أن أطلع الشاه على مدى ضعف وتخلف دولة إيران مقارنة بالدول الأوروبية وأن يشاهد بعينه هذا الاختلاف.

وعندما تهيأت الأسباب لتلك الرحلة؛ ازدادت سلطتى وعظمتى. ولما كنت رجلا سيئ الطبع وضعف الأصل خسيسا فقد أصابتنى العظمة والسلطة بمنتهى الغرور. وأسأت معاملة الجميع، ومزقت قلوب الناس بتطاول لسانى ونثرت عليها الملح. فما إن وصلت إلى الأراضى الأوروبية أى ميناء حاجى ترخان أدت خاطر الشاه بسبب موضوع تافه، إلا أن صاحب الجلالة لم يبد شيئا أمامى لقدرته الشديدة على ضبط النفس وشعر الجميع فى أوروبا باستياء شديد.

٥- محمد طاهر ميرزا:-

يعد الأمير محمد طاهر ميرزا^(١) بن إسكندر ميرزا سادس أبناء ولى العهد عباس ميرزا من أفضل المترجمين فى هذا العصر. ولد يوم الجمعة ١١ شوال ١٢٥٠ فى تبريز^(٢) وكان أميرا فاضلا وأديبا. حثه والده على تحصيل العلوم فتفوق فى علوم الأدب وكلام العرب. ثم درس اللغة الفرنسية فأجادها^(٣)

(١) والد كفيل الدولة وجد سليمان ميرزا إسكندرى.

(٢) نادر ميرزا: تاريخ تبريز. ولكن أبا القاسم جنتى عطائى ذكر تاريخ ولادته عام ١٢٤١ هـ.ق فى "بنياد نمايش در ايران".

(٣) يقال إنه ذات يوم عندما كان اعتماد السلطنة وزيرا للمطبوعات، طلب ناصر الدين شاه فى مجلسه أن يترجم له خلاصة موضوعات الصحف: ومن باب الاحترام طلب من الشاه أن يعفيه نظرا لوجود (محمد طاهر ميرزا) فى المجلس. فأمسك محمد طاهر ميرزا الصحف متعللا بأنه ليس مترجما، وقرأ على الشاه خلاصة الصحف بعبارات سلسلة لدرجة أن الشاه اعتقد أنه يقرأ الموضوعات من صحيفة فارسية. (كتاب نفت وبحرين يا عباس إسكندرى در خدمت مجلس پانزدهم، تهران، ١٣٣١ ش.).

كما درس أيضا قدرا كافيا من العلوم الرياضية. وبعد انتهائه من الدراسة ذهب إلى مصر، ودرس العلوم الدينية لخمس سنوات في الجامع الأزهر.

وكان محمد طاهر ميرزا يجالس ميرزا أبي الحسن جلوه وهو من العلماء والصوفية المحبين لإيران، وحظى بتقدير الشاه ووافر احترامه فكان يخاطبه بـ "الحاج ابن العم"، كما كان كبار رجال البلاط يقبلون على محادثته ومجالسته. ولكنه كان كوالده يميل أكثر إلى الهدوء والابتعاد عن الأعمال الحكومية، وأمضى عمره ما بين القراءة والكتابة والترجمة. وأخيرا مات عام ١٣١٦ هـ.ق بالسكتة ودفن في ابن بابويه.

وقد نقل محمد طاهر ميرزا إلى الفارسية عن الفرنسية أغلب روايات ألكساندر دوما الأب مثل سه تفنگذار،^(١) كنت دو مونت كريستو،^(٢) ولارن مارگو،^(٣) ولوى چهاردهم وعصرش،^(٤) ولورد هوپ،^(٥) وأيضا ژيلبلاس لمؤلفها لاساج^(٦) والعديد من الكتب الفرنسية الأخرى، كما ألف عدة كتب ومسرحية أو اثنتين.

٦- أمين الدولة:-

هو ميرزا علي خان أمين الدولة بن محمد خان مجد الملك سينكى سالف الذكر. ولد في الثامن عشر من ذي القعدة عام ١٢٥٩ هـ.ق في طهران. وبعد تلقيه القدر المعتاد من الدراسة في أحضان والده العالم والمصلح قام بدراسة اللغة

(١) يقع في ثلاثة أجزاء، طهران ١٣١٦ هـ.ق.

(٢) طهران ١٣١٢ هـ.ق.

(٣) طهران ١٣٢٣ هـ.ق.

(٤) تبريز ١٣٢٢ هـ.ق.

(٥) بالإضافة إلى الجزء الثالث من الكونت دي مونت كريستو، طهران ١٣٢٨ هـ.ق.

(٦) ترجم هذا الكتاب أيضا ميرزا حبيب الأصفهاني وحاجي محسن خان مشير الدولة وآخرون، أما ترجمة ميرزا حبيب فهي نفسها التي طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمانشاهی الشهير بكفري عام ١٣٢٣ هـ.ق وذلك وفقا لما توصل إليه مجتبی مینوی في أبحاثه.

الفرنسية والعلوم الحديثة وقرأ مؤلفات الكتاب والعلماء الغربيين.

وعمل كاتباً للديوان في بداية عهد ناصر الدين شاه وكانت أغلب رسائل الشاه تكتب بقلمه وأسلوبه. وفي عام ١٢٩٠ هـ.ق لقب بأمين الملك وعين وزيراً للرسائل. وفي نفس الوقت تولى إدارة البريد التي لم تنتظم شئونها منذ تأسيسها سوى في عهد أمير نظام. وبعد عام عين أيضاً على دار سك العملة الحكومية وإدارة الدمغة واستفاد ميرزا على خان كثيراً من هذين العاملين وعاش حياته مرفهاً.

وفي عام ١٢٩٥ هـ.ق (١٨٧٨م) توفي ملك إيطاليا فيكتور إيمانويل^(١) وخلفه ابنه هومبرت،^(٢) فأوفد ميرزا على خان إلى بلاط إيطاليا من قبل بلاط إيران لتقديم التعازي لوفاة الملك والتهنئة لجلوس الملك الجديد، وأنجز هذه المهمة كما يجب، وبعد عودته من أوروبا كُلف برئاسة مجلس الشورى والقيام بدور الوسيط لتبليغ الأوامر الملكية للمجلس. وفي عام ١٢٩٧ هـ.ق صارت من مهامه أيضاً وزارتا الموظفين والأوقاف وكانتا من مهام أبيه.

وفي عام ١٢٩٩ هـ.ق لقب بأمين الدولة، وفي عام ١٣٠٤ هـ.ق اختير رئيساً لمجلس الوزراء ومجلس الشورى، ورافق ناصر الدين شاه في رحلاته إلى أوروبا.

وبعد عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثالثة إلى أوروبا (١٣٠٦ هـ.ق) كلفه بتدوين القانون حيث أبدى ناصر الدين شاه منذ عهد ميرزا حسين خان سپهسالار ميلاً للقانون، فأعد كتباً وصدر مرسوم بتنفيذه ونشرت صحيفة (اختر) البشري بهذا الخبر ولكن رجال الحاشية حالوا دون تنفيذه.

كما أعد أمين الدولة تنظيمات لتسجيل الوثائق الشرعية والعرفية والتجارية وكان يحدوه الأمل أن تتوقف القضايا المتعلقة بالأموال والشؤون المالية خلال

(١) Victor- Emmanuel (١٨٢٥ - ١٨٧٨م).

(٢) Humbert (١٨٤٤ - ١٩٠٠م).

خمس سنوات تماما إذا ما تم العمل وفقا لهذه التنظيمات. وأثناء صدارة على أصغر خان أمين السلطان عين في أواسط عام ١٣١٣ هـ.ق مديرا للشئون المالية بولاية آذربيجان، واعتبر هذا الأمر بمثابة إبعاد له. ولما وصل إلى آذربيجان أرسل برقية تلغرافية إلى الحاج ميرزا حسن رشديه الذي كان قد فر إلى القوقاز^(١) بعد حملة رجال الدين وإغلاق المدرسة الرشدية؛ واستدعاه إلى تبريز، وأسس بمساعدته مدرسة ابتدائية فخمة وكان يسدد جميع نفقاتها من ماله الخاص.

وعندما جلس مظفر الدين شاه على العرش عزل في العام الثاني من حكمه أمين السلطان عن الصدارة واستدعى في أواخر عام ١٣١٤ هـ.ق أمين الدولة إلى طهران وترك بين يديه دفعة الأمور لفترة وجيزة، وأمره "ألا يخشى أحدا وأن يسعى في سبيل تقدم الدولة".

كان أمين الدولة محب... حير، ولما وصل إلى طهران رأى... الشاه يرغب في إصلاح الأمور^(٢) فبذل مساعيه وأسس مدرسة في طهران بمساعدة رشديه الذي كان قد أحضره معه إلى طهران وتولى دعم هذه المدرسة بنفسه. وسار العمل بالمدرسة على نحو طيب، واصطحب أمين الدولة الشاه إليها. وجمع من الشاه وآخرين مبلغا قدره خمسة وثلاثون ألف تومان لصالح المدرسة، وأسس "انجمن معارف" أي "مجمع المعارف" من أجل متابعة شئون المدرسة ونشر العلوم. ولما كان يعلم أن تدهور الأمور ينبع من عدم وجود قانون فعمل على سن قانون

(١) كان الحاج ميرزا حسن من أبناء رجال الدين في تبريز، ذهب في شبابه إلى بيروت، وشاهد بها المدارس الابتدائية ودرس مناهج التعليم بها، ولما عاد إلى تبريز قرر تأسيس مدرسة ابتدائية على غرارها. ونفذ هذا الأمر عام ١٣٠٥.... ولكن نتيجة لغضب رجال الدين، تدافع الطلاب ذات يوم على المدرسة وحطموا كافة المقاعد والمناضد، فغادر الحاج ميرزا حسن تبريز بعد تلك الواقعة وذهب إلى مصر والقوقاز (كسروي: تاريخ مشروطه، ج ١).

(٢) يقول له الشاه: "لقد صارت مكانة المملكة الإيرانية متأخرة بالنظر إلى متطلبات العصر. ويجب بذل الجهد للوصول إلى مكانة دول الجوار.. ومهما أسرعنا في خطى الإصلاح سنظل متأخرين لذا يجب أن نعدو لنصل إلى غايتنا". (صحيفة حبل المتين نقلا عن كسروي: تاريخ مشروطه، ج ١).

وتقديمه للشاه، وسعى أيضا للحيلولة دون حصول الولاة ورجال البلاط على الرشاوى وارتكابهم المظالم، وتصدى بشدة لخيانة وتجاوزات المسؤولين عن الضرائب والموظفين وعمل على تشجيع الصحف والمطبوعات، ووضع خطة لميزانية الدولة واختار ناصر الملك لوزارة المالية، واستقدم عددا من المتخصصين من بلجيكا لإصلاح شئون الجمارك،^(١) وفى النهاية قدم لائحة للشاه دون بها "يجب أولا معرفة نفقات الشاه وتحديد ما كفى يتم تحديد سائر الالتزامات"^(٢).

وكانت هناك أياد قوية متورطة فى الأمور، ونهض المغرضون من كل صوب لعرقلة الإصلاحات وحاكوا افتراءات وأثاروا الجميع لمناصبته العداء "واعتمل الحقد فى قلوب بعض المقربين من جلالة الشاه وندماء خلوته بسبب عدم تحقيق مآربهم وأغراضهم الفاسدة من قبيل زيادة مخصصاتهم والهبات والإقطاعات الممنوحة لهم، واستسلم البعض الآخر لإغواء أمين السلطان بالوعد والوعيد... وبذلوا كل ما فى استطاعتهم لدى مظفر الدين شاه دون حياء... وقال حسن محسن خان مشير الدولة الذى يضمّر العداء لأمين الدولة لو بقى أمين الدولة لشهر آخر فى منصب الصدارة فسوف تسقط الدولة القاجارية"^(٣) وصدر عنه هذا القول فى الوقت الذى قدم فيه أمين الدولة اللائحة التى ورد فيها "يجب أولا تحديد مخصصات الشاه الشهرية حتى يمكن إعطاء الآخرين رواتب شهرية محددة".

وواكبت هذه الخلافات فى مجملها معارضة من قبل العلماء ونتج عن ذلك أن شعر الشاه بالقلق والخوف تجاه أمين الدولة فعزله عن الصدارة.

ويقول كسروى: "كل هذا صحيح ولكن كان هناك دافع مهم آخر فى الموضوع عدا ذلك وعدا مساعى وعراقيل أمين السلطان وأتباعه، ولم يكن أمين

(١) على الرغم من أن البلجيكي أسسوا إدارة على النمط الأوروبى فإنهم (وخاصة نوز) قد ارتكبوا جرائم ضد إيران وتسببوا فى وقوع العديد من الخسائر.

(٢) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص. ٩.

(٣) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص. ٩.

الدولة نفسه أيضا مدبرا أو قديرا".^(١)

على كل حال فقد خرج أمين الدولة أيضا عام ١٣١٦ هـ.ق من دائرة الحكم بنفس السلاح الذي أسقط ميرزا حسين خان سپهسالار أى الاتهام بالإلحاد وهجوم رجال الدين وفي نهاية هذا العام تمت الموافقة على طلبه وغادر طهران إلى جيلان ولم تمض فترة طويلة حتى غادر إلى مكة عن طريق القوقاز والبحر الأسود، ثم سلك نفس الطريق أثناء عودته إلى الرشت وفي رجب ١٣١٧ هـ.ق توجه إلى "لشت نشا" وعاش هناك في عزلة وأمضى وقته في الزراعة والتأليف. وفي تلك الفترة سافر إلى فيينا للعلاج وتوفي بعد عودته في لشت نشا في أواخر صفر ١٣٢٢ هـ.ق.

كان أمين الدولة رجلا مستثيرا مصلحا وكانت لديه خطط لمد خطوط السكك الحديدية وإنشاء مصانع للسكر والكبريت وحفر الآبار الارتوازية، وارتبط معنويا برواد التجديد والحرية من أمثال السيد جمال الدين الأفغانى وميرزا حسين خان سپهسالار والشيخ هادى نجم آبادى وطباطبائى وميرزا ملكم خان، ويتضح من مضمون مذكراته أنه كان مفتونا بالديمقراطية والقانون وأسلوب الحياة والعمران في الدول المتقدمة إلى حد كبير وكان مستاءً بشدة من القلاقل والمظالم وغياب القانون والفقر والجهل في دولته.

ويقول ميزا عبد الرحيم طالبوف في أحد خطاباتاته:-

"... لو كان الحاج أمين الدولة طاب ثراه يريد أن يكتب شيئا، أو يدون ما يعرفه لاستطاع أن يترك عملا رائعا كتذكارة له، ولقد ترك ذلك بالفعل ولا يزال موجودا. فليغمره الله برحمته. ومن دواعي الأسف أنه ليس على قيد الحياة الآن،

(١) يعتقد كسروى أن هذا الدافع المهم هو معارضة أمين لعقد الاتفاقية الجمركية مع الروس وتنظيم التعريفة الجمركية الجديدة (تاريخ مشروطه، ج ١). ويقول مخبر السلطنة أيضا في "خاطرات وخطرات": "التف حوله حكيم الملك وبصير السلطنة، وأضلاه، واتضح أن أمين الدولة لم يكن ذلك الشخص المنشود".

فلو كان على قيد الحياة لقد قدم خدمات جليلة لأمته ولأنهى هذه الفتنة الناتجة عن انعدام الرجال.. فوالله كى يظهر رجل مثل المرحوم الحاج أمين الدولة... يجب أن يصبر الزمان طويلا... حتى تلد الطبيعة رجلا مثله وتقوم على تربيته".^(١)

تميز أمين الدولة بحسن الخط وكان يكتب الموضوعات بأسلوب سليم وسلسل يتميز بالإيجاز والبلاغة وحسن البيان، وابتكر أسلوبا خاصا فى الكتابة عرف بأسلوب أمين الدولة، وقد الكثيرون خطه وأسلوبه فى الكتابة.

أمضى أمين الدولة السنوات الأخيرة من حياته فى التأليف وفى عام ١٣٢٠ هـ.ق كتب "سرگذشت سفر مکه" وهو كتاب شيق جدير بالقراءة، وقد طبع مؤخرا بخط المؤلف نفسه بدون تاريخ.^(٢)

كما طبعت مؤخرا سيرة أمين الدولة الذاتية فى طهران عن النسخة التى تمتلكها عائلته.^(٣) والنسخة الأصلية من هذا الكتاب لا تحمل عنوانا وأطلق عليها الناشر عنوان "خاطرات سياسى أمين الدولة". وهذا الكتاب يعد مرآة لتحزب رجال إيران ودسائسهم وأحقادهم، مثل الكثير من المذكرات الأخرى التى تكتب بأقلام السياسيين، ويمكن للقارئ أن يتعرف من بين السطور على شخصية المؤلف وعلى الأوضاع السياسية فى عصره أيضا.

ويعتقد ناشر الكتاب أن جزءا من هذا الكتاب كتب بقلم أمين الدولة نفسه وأن البقية كتبت بقلم شخص آخر ربما يكون ابنه محسن خان معين الملك وذلك نظرا لاختلاف أسلوب الكتابة.

وسننقل سطورا من الكتابين على سبيل المثال:-

(١) من الخطاب المؤرخ السادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق، مجلة يغما العام الخامس عشر، العدد الرابع ص ١٧٩ (المُرسل إليه غير معروف).

(٢) تبدأ هذه المذكرات بيوم الجمعة ١٣ شوال ١٣١٦، وتنتهى بيوم الثلاثاء ١٦ رجب ١٣١٧ هـ.ق وإقامته الجبرية فى لشت نشا.

(٣) خاطرات سياسى ميرزا على خان أمين الدولة، تحت إشراف حافظ فرما نفرمانيان، طهران، ١٣٤١ هـ.ق.

الحاج الشيخ جعفر الترشيدي: (١)

"الحاج الشيخ ذو قامة متوسطة ولحية عريضة طويلة، حليق الشارب، وأضفى سقوط ضواحه المزيدي على لطف أسلوبه وجمال لهجته، وتوجد في كلامه لكنة خراسانية، ولحسن طبعه تتبع كل جملة من كلامه بسمه أو ضحكة. ويتحدث عن النفقات نظرا لأنه قطع الطريق إلى الحجاز عدة مرات ولكونه إمام صلاة الجماعة في بلده.

ونظرا لأنه يذهب إلى نجد فهو معروف لدى سكان كربلاء وكاظمين، ويضع عمامة فضفاضة يلفها من أسفل ذقنه إلى أعلى رأسه ويسدلها على نحو أطول من المألوف. ويرتدي ثوبا عربيا مفتوح الصدر وقبائا ذا أكمام وقطاننا ونطاقا عريضا وعباءة تتهدل على أكتافه. وعندما لا يتيسر له دخول الحمام في أيام السفر ويتوقف عن المواظبة على استخدام الحناء يكسو جذور لحيته قوس قزح متناسق من اللون الأبيض والأصفر والذهبي والأحمر والبنى والأسود، ويضفى عليه جمالا عجبيا. وكان يحكى عن رحلة قام بها منذ عدة سنوات بأنه في منتصف إحدى الليالي كان مشغولا بالتهجد على الناقة في الطريق الجبلى، وانزلق من مؤخرة الراحلة، فلم يقطع صلاته، وتخلف عن القافلة.

وأتى فتى من العرب الأنكباء ليرفع الشيخ عن الأرض ويجلسه على ناقة حرون، ولأن الشيخ كان منشغلا بدعاء منتصف الليل فلم يجلس كما ينبغي ولم يتمكن من مقعد الصدق، ثم نهضت الناقة من مكانها فسقط المتهدج على الأرض بشدة لدرجة أن ضلوعه اصطكت بعضها ببعض وانبطح على وجهه، ومن لطف القدر أن سقط خرج الشيخ معه أيضا على الأرض.

وتكملة الحديث الذى رواه إنه بعد فترة من اللاوعى والإغماء أيقظت

(١) تعرف هذا الشخص على أمين الدولة فى السفينة التى كانت تقله فى البحر الأسود، ورافقه حتى مكة والمدينة وصار من ندمائه.

المسكين حرارة الشمس ببلاد العرب بدلاً من الدواء حيث كانت تلك الواقعة في الصيف، ولكن يالها من يقظة، فقد نسي إصابته وألمه وجسده المتعب وذقنه بسبب الخوف من الوحدة وحر الصحراء والعطش!

وفي تلك الأثناء يصل رجل عربي أسود، فيهاجمه بسبب الظلمة، وإذا به يرى رجلاً غارقاً في التراب والدماء وخرجاً وأشياء متناثرة، عندها صاح شيخنا في هذا الوضع البائس بأبيات من مرثية له فمن صفاته الراسخة الامتناع عن اللغو: "يا ملعون الوالدين إن أردت أن تقتلني فعجل، لأن في التأخير آفات!". لم يهتز الرجل رغم ما يُعرف عن عرب الصحراء من خشونة الطبع وغلظة القلب، فأخذ يضحك على سباب الشيخ وعلى ذقنه، قائلاً: يا عمي أهذا وقت السباب! ثم تفقد حاله ليربحه، وقال اصبر قليلاً حتى أحملك لمنزلي وأهني لك العلاج. وذهب وأحضر من بيته وعشيرته ناقة ورجلاً آخر، ولف الشيخ المصاب بالعباءة وشد وثاقه بالحبل على جانب من الناقة وعلى الجانب الآخر وضع خرجه وبعض الحجارة، وبمجرد حل عقال الناقة نهضت بقوة بحيث إن عظام مولانا السليمة قد تهشمت. ولسوء القدر أسفر الأمر عن دك خاصرة الشيخ وقدمه المكسورة، وكُسرت عظمتان أسفل خاصرته واستضافته القبيلة أربعين يوماً من أجل الخلود إلى الراحة والتأم عظامه ثم حُمِل بعد التماثل للشفاء إلى النجف. والآن بنيته قوية وكان عظامه قد استقرت مكانها رغم تهشمها وإصابتها.

ماذا تشبه مشيته؟ أتبخر الطاووس ماذا يشبه في ذهابه وإيابه؟ أغزال شارذ

مقدمة كتاب "خاطرات سياسي أمين الدولة": -

باسم الله الطاهر العادل الذي أنار الدنيا بنور العلم، وميز الإنسان عن الحيوان بزينه العقل ليفرق بين الخير والشر بفضل ضياء هذا المصباح السماوي، ويميز ببصيرة المعرفة بين النور والظلمة، ومن الله أفضل السلام على ذلك الرسول العربي وعلى آله وأصحابه الذي هدى البشر العقلاء إلى طريق الفلاح في

الدنيا، وجعل الدنيا الفانية حياة خالدة، وحمل إلينا من الخالق شريعة مباركة بحيث لو عرفنا تفاصيلها بحق واتبعناها بصدق سننعم بالنجاة في الآخرة ونتمتع بالنعيم في الدنيا. والآن أخذ الأجانب عن أحكام هذه الشريعة النهج الذى أصبح سببا لكل دروب السعادة والإقبال فى بلادهم، وهذا دليل صادق بأننا مذنوبون، مسلمون اسما ونعبت بالأحكام الإلهية، وحرمنا أنفسنا الرضا عن جهل، وارتكبنا المعاصى.

إننى كفرد من الإيرانيين من نسل الفرس، بفضل من الله ولسعة الاطلاع على الكتب القديمة وقصص الأسلاف ولخبرتى فى شئون الدنيا وزيارتى لكل الدول واطلاعى على كل الشرائع أدركت عظمة وسمو الدين المحمدى واعتقته عن إيمان به، وسعيت فى هذا المجال سعيا محمودا ولم أعتمد على سماع الروايات، وكلما حققت فى ذلك تقدما ورأيت أكثر وجدت شمس الإسلام الساطعة أكثر إشعاعا، ونبع العلم الأحمدي أكثر اتساعا.

وأسفاه لقد أغلقنا عين العقل وضقنا ذرعا من السعى الذى لا طائل منه
وسرقت جماعة أخرى الجوهرة التى خبئت فى الكنز لنا
وتلك الثروة التى سطوا عليها من منجمنا زيفوها بالسوء فطرتنا

الآن يوم اليقظة، ووقت الوعي لنلتفت إلى أنفسنا للحظة، ونرى الشرك الذى نصب فى طريقنا. الموازنة (رجال الدين الزرادشتى) الشياطين الآثمون يريدون أن يجعلوا الأخلاف المنكوبين أسرى أغلال الجهل. وفريسة للجمود لى يخفوا قبهم فى سوق العميان، ويتلقوا الثناء عليهم لعلمهم من قبل الجهلاء، فهم يفضلون الشمس غارقة فى الطين، والحكماء عاجزين.

واختفت كل أوامر الله الرحيم ورسوله الطاهر التى جاءت لنصرتنا تحت الأنذال الدنسة لهؤلاء الحاقدين، وفتح الحكام أيضا باب البحث عن المتعة والتطاول اقتداءً بهم، وتعدوا بالظلم. وليس لكم عندي سوى كلمة أيها التعساء الذين أسميتم

أنفسكم مسلمين، لقد أودع لدنيا الله جوهرين سماويين وهما الروح والعقل كى نستخدمهما فى سبيل عبادته وطاعته، وهما ليسا على شاكلة الأشياء الدنيوية، كى يصبحا دليلا ومرشدا لنا فى الحياة الدنيا وندير شئوننا على النحو الذى يريد الله ويأمر به، ونرسل على قبورنا مدخرا من العبودية للخالق.

ما أعجب الجهل والعناد، فكلاهما جعلاً عبيد الله كالكرة لعصا الصولجان التى يمسك بها الشياطين، فنحن لا نرعاهما، فقد ألقينا بالروح فى قبضة الحكام الطغاة وجعلنا العقل دليلا لسحر الموابذة، ولم نفكر للحظة بما حققه الأجانب. فجميعهم يتتعمون بالرفاهية والهناء والعمران والرغد، وشئونهم المعيشية تسير على نحو سليم، وصناعاتهم متقدمة، رفعوا اسمهم عاليا بين الأمم، ولم يفعلوا شيئا سوى أنهم لم يسلموا روحهم وعقلهم للشيطان وفقا لما بُعث به من السماء، وبهذه الوسيلة نهجوا نهج الأحرار.

من الأفضل أن نسرّد حكاية دارنا وبيتنا بصدق وبلغة إيران المعاصرة المطعمة بالنوادر العربية والتى تقيد الأطفال الإيرانيين أكثر، وبطريقة أسهل حتى يدرك القارئ بعين قلبه من المذنب وأين يجب البحث عن العلاج.

سبب تأليف الكتاب

والغرض من هذا الكتاب بيان مجمل عن أحوال الوطن العزيز وأحداث العصر، فـ " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقِيْ خُسْرٍ " ^(١) لنفرّق بعين العبرة بين المذنب والمحسن وبين الخطأ والصواب، ونشخص سبب الألم ونحدد له الدواء لأن العلاج يبدأ بشرح الحالة وأسباب المرض ومعرفة الأعراض، ثم يُحدد العلاج بعد معرفة السبب والمسبب لتفادى المرض.

فنتحدث أولا عن موقع إيران. وطننا الذى كان منذ القدم دارا للثقافة ومركزا

(١) سورة العصر الآية ٢.

للسياسة ومستقرا للناس ومهدا للمدنية؛ اقتطعت اليوم حدوده الطبيعية وتقلصت دائرة المملكة، فصارت حدوده من الشمال بحر قزوين والقوقاز وسواحل بحر قزوين التي يقطنها التركمان، ومن الجنوب الخليج الفارسي، ومن الشرق أفغانستان وبلوشستان، ومن الغرب أرمينية وكردستان التركية وبعض الأراضي التابعة لروسيا. وكمية المياه قليلة في الأراضي الإيرانية رغم اتساعها، ولهذا فالمناطق العامرة بها منفصلة بعضها عن بعض، وزراعة هذه الأراضي صعبة إلى حد ما بسبب قلة الأمطار والحاجة إلى الري، ولكن يمكننا القول إن هذه المملكة تعتبر مملكة غنية بسبب الموارد الطبيعية، وعلى هذا لا يزال رمق من هذه المملكة الإيرانية باقيا ولم تندثر كلية في هذا القرن على الرغم من أنها حُرمت من الإصلاحات وعوامل الرقي مع ظهور المخترعات الأوروبية المبهرة التي صارت ضرورية، وبرغم بقاء طرق المواصلات في إيران على حالتها القديمة الوعرة مع أن هذه الطرق تعد السبب الأول لرقى العلوم والتجارة وبرغم اجتماع كل أنواع الخراب والهلاك التي سيرد تفصيلها ضمن البيانات التالية. والإيرانيون رجال أذكىء محبوبون للفنون بناء على ما اتفق عليه سائر الشعوب، ومع أن متون السير والتواريخ لا تذكر أحيانا أنهم غيورون ومحافظون على شرف جنسهم من تلقاء أنفسهم، فإنهم يمكن أن يكونوا أفضل سلاح للنصر وراء رئيس أو قائد محنك.

وللاستدلال على هذا المفهوم لا يوجد مثال أوضح من حادثة علو شأن الأفغان وانقراض الدولة الصفوية، حيث تقاطرت على المملكة فئة غريبة وقطعوا مسافات طويلة حتى وصلوا إلى حاضرة الملك. وقضوا على أولاد الشيخ (المراد الشيخ صفى الدين الأربيلي) على النحو المعلوم للجميع. وكان من الممكن أن يلقي الأهالي الحجارة على تلك الفئة القليلة من الأفغان على مدى خط سيرهم ولكنهم دخلوا في طاعة العدو دون معارضة، واستسلموا دون مقاومة للخصم في عاصمة الدولة رغم كثرة تعداد السكان وتوفر الظروف الدفاعية، ذلك أن ثقافة الإيرانيين لم يكن من الممكن أن تكون غير ذلك في ظل دولة السلطان حسين. ولم تمض عدة

أيام حتى اتخذ نادر قلى خان الأفشارى هذا الشعب نفسه مفتاحا لفتح بلاد الهند وباعثا للفخر فى عصره. ولسنا فى حاجة للكتابة عن العصر الأفشارى وأحوال الزندية والأحداث فى عهدهم لأن هذا ليس هدفنا. وكان الغرض من هذا المبحث التعرف على إيران والإيرانيين على سبيل الإيجاز، فلا يلزم القراء من أهالى هذا الوطن المزيد من المعرفة فكل شخص أعلم بنفسه.

امتناع ولى العهد عباس ميرزا عن منح وسام:-

ذات مرة أخذ أمير الجيش حسين باشا خان المراغى يروى: إننى كنت قد أصبت بطلق نارى بينما كنت فى ركاب المرحوم ولى العهد عباس ميرزا لمحاصرة قلعة (أمير آباد) ومداومتها، ورقدت فى خيمتى، وأخذ ولى العهد يطوف بالمعسكر على غرار القادة العظماء ومعه أطباؤه الأوروبيون والإيرانيون بل إنه كان يتفقد الجرحى من الجنود؛ فأتى خيمتى وسأل عن أحوالى، وتفقد الطبيب والجراح الخاص بولى العهد الجرح الذى كان فى كتفى وطمأننى بأنه سيشفى. وجلس عند وسادتى وقال ماذا تريد؟ فقلت بأدب: سلامة ولى العهد. فقال: الوقت لا يناسب المجاملات والتملق. ومنحنى ألف تومان وإقطاع إحدى قرى مراغة المعروفة والتى كنت قد طلبتها ذات مرة لتهيئة أسباب الرزق لى. فقلت: كنت أطمع فى مزيد من العطاء. فسأكون أكثر امتنانا لو منحتنى وساما من الفضة يتلأأ على صدرى بدلا من هذين الإنعامين. فنهض ولى العهد وقال: لو لم تكن إصابتك فى الظهر لما حزنت، فالخدمة التى قدمتها اليوم تستحق القدر الذى منحتك إياه.

٧- مستشار الدولة:

والآن سنذكر رجلا ذا همة، ورغم أن كتاباته غير جديرة بالقراءة مطلقا من الناحية الأدبية البحتة إلا أنه من الضرورى الاطلاع عليها اطلعا دقيقا فى سياق تاريخ مرحلة اليقظة بإيران. وهو ميرزا يوسف خان مستشار الدولة التبريزى الذى يعد من الرواد والأحرار فى عصر ناصر الدين شاه والمؤمنين بنفس الأفكار التى آمن بها ميرزا حسين خان سپهسالار وميرزا ملكم خان ناظم الدولة.

ولد ميرزا يوسف خان ابن التاجر الآذربيجاني الحاج ميرزا كاظم مهاده مهيني في مدينة تبريز، تعلم الفارسية والعربية ودرس قدرا من العلوم الشرعية، وعمل كاتباً بالقنصلية البريطانية في تبريز، ثم استقال بعد فترة من العمل لدى البريطانيين والتحق بوزارة الخارجية. وفي عام ١٢٧٠ هـ عينه ناصر الدين شاه قنصلاً في حاجي ترخان، وظل بها ثمانى سنوات إلى أن استدعى إلى طهران عام ١٢٧٨ هـ. ق، ثم عاد لمنصبه في حاجي ترخان بعد سبعة شهور من البقاء في طهران. وعين عام ١٢٧٩ هـ. ق القائم بأعمال إيران في بطرسبورج، وعام ١٢٨٠ هـ. ق القنصل العام في تفليس وظل بها لأربع سنوات. وفي أواخر عام ١٢٨٣ هـ. ق عين القائم بالأعمال في باريس، فتوجه إلى فرنسا عن طريق إسطنبول، وزار معرض باريس الذي كان قد أقيم ذلك العام (١٨٦٧م). وزار لندن أربع مرات خلال إقامته في باريس لثلاث سنوات، "وكان من المؤمنين بنفس الأفكار التي آمن بها ميرزا ملكم خان، وعقد معه اجتماعات سرية وعلنية".^(١)

استدعى في رمضان عام ١٢٨٦ هـ. ق إلى طهران وعين مكانه "نظر آقا" يمين السلطنة قائماً بأعمال إيران في باريس وكان نظر آقا أميراً بالجيش.

كان ميرزا يوسف خان صديقاً لميرزا حسين خان سپهسالار ومن نفس مشربه، ولكنه أبعد إلى خراسان عام ١٢٩٠ هـ. ق نتيجة لخلاف وقع بينهما، ولم تمض فترة طويلة حتى عين نائباً للحكومة بخراسان ثم استدعى بعد عام إلى طهران.

وفي عام ١٢٩٩ هـ. ق عندما عين ميرزا يحيى خان مشير الدولة القزويني وزيراً للعدل اختاره لمساعدته ولقبه بلقب مستشار الدولة، إلا أنه استقال من وزارة العدل بسبب الرشوة والفساد المنتشر في الجهاز القضائي. وعندما أخذت صحيفة اختر الصادرة في إسطنبول تنتقد المحاكم، تم توجيه أصابع الاتهام إليه بأنه متورط

(١) تاريخ بيدارى ایرانیان: الطبعة ٢، ص ١٧٩.

فى نشر هذه الانتقادات وعزل من الخدمة بالحكومة بأمر الشاه، وتم جلده وحُبس
لخمسة شهور فى السجن، وبعد عدة شهور من الحبس وأداء العقوبة واعتزال
العمل تم العفو عنه وذهب إلى تبريز للعمل كنائب للحكومة عن الشئون الخارجية
فى آذربيجان، ويقال إنه ظل فى هذا المنصب حتى وفاته.

كان مستشار الدولة رجلاً يقظ القلب مستثيراً وكانت تحذوه الآمال على الدوام
فى سبيل رفعة الدولة وإقرار النظام بها. ويقال إنه كان يقول لأصدقائه أثناء إقامته
فى تفليس "ماذا كان سيحدث لو عم النظام والاستقرار والعمران فى وطننا
العزیز" (١).

وكان من آماله العظيمة مد خطوط السكك الحديدية فى إيران وكان يعتقد أن
"السكك الحديدية هى البداية لتهيئة جميع الاحتياجات الأولية للمملكة والدولة" (٢).
ومع مد هذه الخطوط ستبذل أوضاع إيران خلال ثلاث سنوات كليةً "وستتحول
إيران إلى روضة" (٣). وإيماناً بهذه الفكرة ألف عام ١٢٨٦ هـ رسالة بعنوان
"كتابچه بنفش" تدور حول مد السكك الحديدية عبر جميع الأراضي الإيرانية.

يحتل مستشار مكانة رفيعة فى تاريخ نشر فكرة الحرية فى إيران، وقد
وضح أسس أفكاره السياسية فى رسالة "يك كلمة" أى "كلمة واحدة" التى ألفها فى
باريس عام ١٢٨٧ هـ (٤). وفى هذا الصدد يقول صاحب كتاب "تاريخ بيدارى
إيرانيين" إنه شاهد خلال عمله بباريس شيوع النظم والعمران بأوروبا وما تميزت
به من ثروة قومية وثقافة وفن مما جعله يشعر بالأسى تجاه إيران، ولما سأل ملكم
عن سبب تقدم فرنسا وتخلف إيران، أجابه ملكم قائلاً إن "أساس النظام فى فرنسا

(١) تاريخ بيدارى إيرانيين ص ١٧٩.

(٢) نقلاً عن الرسالة المؤرخة فى ٢٤ شوال ١٢٨١ هـ، التى كتبها من تفليس لوزير الشئون
الخارجية (نقلاً عن فريدون آدميت، فكر آزادى ص ١٨٣).

(٣) نقلاً عن التقرير الرسمى لمستشار الدولة بتاريخ ٥ رمضان ١٢٨٠ هـ (فكر آزادى ص ١٨٣).

(٤) طبع هذا الكتاب عام ١٢٨٧ هـ، وطبع مرة أخرى عام ١٣٢٥ هـ فى طهران.

يُكمن في كلمة واحدة، وكل هذا التقدم نتيجة لنفس الكلمة، وتلك الكلمة التي تدرج تحتها كافة النظم وسبل التقدم، هي القانون".^(١)

وهذه هي الموضوعات التي طرحها في رسالة "يك كلمة" وشرح للإيرانيين مفهوم الحقوق الأساسية للفرد ومعنى الحكومة الشعبية. وربما يكون أول شخص يعتبر الإرادة الشعبية مصدرا لقوة الدولة وأول من يتحدث عن الفصل بين سلطة الحكومة والسلطات الدينية، والمساواة بين المواطن المسلم وغير المسلم في الحقوق بل إنه قال قول ملكم إن "الشاه والسائل أمام القانون سواء".^(٢)

تعد رسالة "يك كلمة" من أوائل الأعمال المنادية بالحرية في إيران، وكان لها تأثير كبير في إثارة مشاعر الناس وبث روح اليقظة فيهم. وفي عام ١٣٢٣ هـ.ق عندما أسس "المحفل الماسوني" كانت هذه الرسالة وثيقة سياسية إرشادية لذلك المحفل.^(٣)

وهذه الرسالة مقتبسة من مواد الدستور الفرنسي وقد أراد المؤلف أن يجعل تلك المواد مساهمة للشرعية الإسلامية، ولتحقيق هذا الهدف استشهد بالآيات القرآنية والأخبار والأحاديث النبوية والمأثور عن كبار علماء الدين الإسلامي.

تعرف مستشار الدولة على ميرزا فتحعلي آخوندزاده، وتبادل معه الرسائل وأخذ ينهل من فيض هذا الرجل المفكر المستتير. ويقول آخوندزاده في إحدى رسائله التي كتبها إليه في أخريات حياته: "بالرغم من الامتثال الظاهري يوجد عداؤ خفي بين الشعب والحكومة... فالشعب يكره الحكومة".^(٤) ثم يضيف: "فكل ما

(١) هذه الكلمة هي "القانون" التي ركز عليها ملكم نفسه، ودارت حولها كافة مقالاته ورسائله وبذل مساعيه في سبيله.

(٢) فريدون آدميت: فكر آزادي ص ١٨٦.

(٣) يقول ناظم الإسلام الكرمانى مؤلف "تاريخ بيدارى إيرانى" وكان عضواً فى المجمع الماسونى: "كانت نموذجاً مفصلاً يحتذى بها لعقد المحفل الماسونى، وكانت فى الواقع بمثابة جدول الأعمال الذى يتم السير على منهجه".

(٤) من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من مارس عام ١٨٧١م (صفر ١٢٨٨ هـ.ق) والموجهة إلى ميرزا يوسف خان (كليات ميرزا فتحعلي، آخوندزاده، ج ٣، باكو ١٩٥٥م).

يفعله الإنسان يكون قابلاً للنقد. فالمواردية والمداراة لا تتفقان مع النقد^(١). وعلى نفس هذا النهج الفكرى أخذ يتحدث مستشار الدولة مدافعا عن أسس الحرية والمساواة والحكم الدستورى خلال الفترة التى شهدت قمة استبداد ناصر الدين شاه حينما كان التفوه بكلمة القانون يعد ذنبا لا يغتفر. ومن جراء الجهر بالقول والنقد العلنى للجهاز القضائى تعرض خلال فترة عمله بالحكومة للتوبيخ والحبس والإبعاد، ولكنه لم يمتنع حتى فى السنوات الأخيرة من حياته عن بذل مساعيه رغم الشيخوخة والوهن.

كتب مستشار الدولة خطابا مطولا إلى ولى العهد مظفر الدين شاه عام ١٣٠٦ هـ.ق أثناء توليه الشئون الخارجية لأذربيجان وسلمه إلى حسنعلی كروسی نائب الحكومة فى تلك الولاية راجيا إياه أن يحمله إليه. وانتقد خلاله الحكومة الاستبدادية وفساد البلاط وطالب بإجراء الإصلاحات فى المملكة وإقامة حكومة دستورية وإطلاق الحريات وتحقيق المساواة، وحذر من أن ولاية إيران إن لم يسعوا بأنفسهم لتأسيس "حكومة دستورية" فسوف تفرضها علينا الأحداث التاريخية.

كانت كلمات مستشار الدولة أكثر مرارة وحدة مما توقعه ميرزا فتحعلی آخوندزاده، وسخر من بلاط ناصر الدين شاه واصفا إياه بأنه معتل، لذا لقى الكاتب نفس المصير الذى لحق بكل الأحرار فى ذلك الزمان، أى أنه حمل من قزوين إلى أذربيجان مكبلا بالأغلال فى مطلع عام ١٣٠٩ هـ.ق بأمر من الشاه وحبس فى سجن "ركنيه" مكبلا بالأغلال حبسا انفراديا ولم يُسمح له بمقابلة أحد حتى مساجين قزوين أنفسهم.^(٢) ويقال إنه تعرض للإيذاء والإهانة فى السجن، فضرب على رأسه

(١) المصدر السابق.

(٢) نعرف من بين المسجونين السياسيين الآخرين فى قزوين شخصين أحدهما الحاج سياح المحلاتى والآخر الحاج ميرزا محمد أحمد الكرمانى، والأخير هو نفس الشخص الذى نقل عنه الحاج ميرزا يحيى دولتى آبادى هذه الجملة "لو بقيت لعشرة أيام فى مدينة واحدة ولم أتسبب فى قيام ثورة بها، يكون طعام تلك المدينة وماؤها محرما على". ومات بعد عدة سنوات فى محبسه بسجن طهران.

بالرسالة حتى فاضت عيناه بالدمع، ومات بعد عدة سنوات بأئسا عام ١٣١٣ هـ.ق.

وها هي سطور من رسالة مستشار الدولة التي كتبها إلى ولي العهد مظفر الدين ميرزا عام ١٣٠٦ هـ.ق، ننقلها عن "تاريخ بيدارى إيرانيان" :- "بعد المناصب التي توليتها ربما لم يبق من حياة عبدكم المسن أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام، فهو يعتبر أن من الواجبات المكلف بها نصرة للحكومة وولاء للوطن أن يقدم لتراب قدمكم المقدس آراءه الأخيرة مع خروج آخر أنفاسه، فعندما تشرف هذه الرسالة بالعرض على سيادتكم فسيكون العبد المسن قد ودع العالم الفانى. وأنا على يقين تام أنكم ستشملون برعايتكم واهتمامكم الرسائل غير المغرضة والصادقة فى ولائها للوطن والتي لم تتخذ مطلقا خيانة الشاه والوطن شعارا لها. ولا شك أن الرأى الصادر عن بُعد يكون رأيا صادقا وحقيقيا وسليما. لقد انتخب رب العالمين جلالة الشاه المقدس الأمجد الأعظم -روحنا فداه- لاحتلال مكانة رفيعة ومقام سامق، ومنحه إياه بالفعل، ولكنه ضمن ذلك كلفه بمسئولية مهمة للغاية وعظيمة وهى أن يفتح صدره للآراء فى الأوقات العصيبة!

إن مملكة إيران الواسعة وهى الوطن الأسمى والبيت الحقيقى لشاه الإسلام معرضة للخطر وفقا لآراء كافة السياسيين، ذلك أن التقدم السريع الخطى للدول المجاورة وأفعال وأعمال رجال البلاط الاستبدادية والمفتضحة قد أهدرت قوة إيران التى امتدت لعدة آلاف من السنين، فصارت مصابة بالضعف والعجز وهو الأمر الذى لا يقدر أهالى هذا الوطن على علاجه مطلقا. ولكن الحكماء والسياسيين فى كافة المدن المتحضرة يعتقدون أن رفع الخطر وحل مشاكل إيران يكمن فى كلمتين، حيث يجب التغاضى عن ما مضى من أعمال والبدء فى سن القوانين الجديدة. ومن هذا المنطلق يمكن أن تحظى الحكومة والأمة الإيرانية العريقة بالاحترام لدى الأمم الأجنبية والشعوب المتحضرة وجيرانها من جديد وتستعيد مكانتها السابقة. وهذا الأمر واضح وجلى عند الحكماء واسعى الأفق بحيث إنه لا يحتاج لدليل وبرهان. ومن المحتمل أن تهئ هذه الوسيلة أسباب رفعة المملكة

بحيث يعتبر فيما بعد العاملون في الدوائر الحكومية - من الكبير والصغير - أنفسهم مكلفين باتباع أحكام القانون والامتثال لها خلال أفعالهم وأعمالهم الموكلة إليهم، وتتحقق المساواة في الحقوق لكافة الأهالي والفقراء من كل الطبقات وفي جميع التخصصات، ويتم اتخاذ التدابير اللازمة لإصلاح شئونهم. وإلا فإن البقاء على هذه الحال من أخطاء الوزراء ورجال البلاط يجعل من المحال على أي إنسان أن يستطيع استعادة عظمة وقدرة المملكة الإيرانية العريقة في هذا الزمان بوسائل الأجداد سواء خارج أو داخل المملكة.

أقسم بتراب قدمكم المقدس الذي هو علاج لعيوننا نحن الإيرانيين أن أولئك الذين يقولون بجرأة إن إدارة الوزارات الحالية لا يوجد بها عيب أو خلل على الإطلاق ولا تحتاج إلى تغيير، فهم لا ينطقون إلا بكلام فارغ، مريير ومرفوض.

فناقصو العقول هؤلاء قد اعتادوا منذ طفولتهم حتى اليوم على نهب أهالي إيران المساكين، وبهذه الوسائل سلبوا شرف الأمة وثروتها ومنحوها خرقه من الحرير وقرطا من الذهب. ويعتبرون أنفسهم على الدوام غير مسئولين عن الحكومة ولا يكثرثون لكلام العلماء الساعين إلى تحقيق الخير للدولة والشاه واستقرار النظام بالولايات وراحة الرعية وامتنان الموظفين وتأهب الجيش.

ويدور على الألسنة أن الحكومة الإيرانية تسعى لتنظيم الدوائر الحكومية. ويقول العقلاء إن هذا الإجراء سيفشل دون سن القوانين. يصيح السياسيون وحكماء العصر بصوت مرتفع قائلين طالما أن أهالي إيران من الأمير للفقير يعتبرون القانون تقليدا للأوروبيين وطالما أن تغيير رجال الحكومة منذ القدم في يد الشخص الأول بالدولة، وطالما أن أعمال رجال الحكومة لإصلاح حال الأهالي والفقراء تتم بلا قانون ولا تواكب التقدم المحير للعقول في هذا الزمان... لأنهم يعتبرون أن القانون مضر لهم؛ فلن يقدموا على اتخاذ هذه الخطوة ماداموا على قيد الحياة. وفي هذه الحالة يجب أن يتعاملوا مع دول الجوار وتتملكهم نظرة دونية لأنفسهم، لأن هاتيك المربيات الأكثر عظفا من الأمهات وهذه الذئاب المتصفة بالوداعة وحسن

النية وهؤلاء المخربين للديار، ما دامت الدولة تفتقر للقانون، لن يتغافلوا عن مصالحهم وسيطلقون الكثير من القنابل لاصطياد فأر واحد، وسيمارسون الألاعيب المختلفة بحجة النهوض بالشئون السياسية والتجارية وسيربطون إحداهما بالأخرى مهما كانت خزانة الدولة عامرة بالأموال قدر ما يملكه البريطانيون ومهما كانت المصانع مكتظة بالحرقين كما عند الفرنسيين ومهما كان الجيش مؤهلاً وتعداداه كبيراً كتعداد أهل الصين، ومهما كانت السفن مجهزة حربياً كسفن دول أمريكا.

....إذن يقع على عاتق المسؤولين السياسيين وأرباب السلطة أن يتصرفوا وفقاً لمقتضيات العصر ومتطلباته، وأن يتشاوروا مرة كل أسبوع معاً للفصل في الأمور المتعلقة بالدولة والأمة وفقاً لمفاد الآية الكريمة "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"^(١) لأنه من البديهي أن الأحكام الإلهية في كل الأديان واضحة، والحق كالشمس ينير العالم كله ومن المحال إخفاؤه بين أمة من الأمم، وربما يكون العبد المسن (مستشار الدولة) مطلقاً على أحكام القرآن المجيد والأحاديث النبوية قدر الكفاية، ويرى أن الشريعة الإسلامية المطهرة لا تتعارض مطلقاً مع القوانين العادلة، فلا تزال أفكارى مرتبة، وأشعر بأننى أدرك وأعى تماماً قبح خيانة الكيان المقدس للشاه وابنه ولى نعمتى ودينى ومذهبى ووطنى وأبناء وطنى خاصة فى ذلك الوقت الذى حان لى أن أغادر الدنيا للآخرة وأقف فى دار عدالة خالق الكائنات.

إذن أقسم بالله العظيم الجبار من صميم قلبى أننى سأعرض مجريات الأمور فى هذا العصر على سموكم الأقدس الأمجد الأسعد الأسمى روحنا فداك. فمع تقدم الأوروبيين غير العادى لن تمضى فترة طويلة حتى تجبر أحوال الإيرانيين فى أكثر الأوقات صعوبة دولة إيران على أن تصبح من عداد الدول الدستورية، وتتفد مواد القانون وفقاً لمتطلبات الملك والمملكة وطبقاً للأوضاع والطبائع، وتهتم به اهتماماً كبيراً، وترفع لواء الوطنية على تلك الممالك الواسعة، وتجمع حوله الأهالى والطوائف عن طريق تنفيذ قانون موحد وأحكام عادلة تكفل حرية التعبير والمساواة فى الحقوق،

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

ولا تنصت بعد ذلك للغو؛ لأن سير الأمور سينبئ عن المستقبل. لهذا من الواجب والحتمى على سموكم الأجل الأسمى -روحنا فداك- أن تعرضوا على وجدان ملك الإسلام المبارك العرائض الصادقة وتفرقوا بينها وبين ادعاءات رجال البلاط الزائفة، فكافة مساعيهم تهدف إلى تحقيق مصالحهم الزائلة لا إلى صالح السلطنة فى المملكة الإيرانية. ومن الجلى أنه فى المستقبل لن تستطيع أى من الشعوب والأمم المسلمة وغير المسلمة العيش بدون القانون، وإن لم يبادروا بنشر القانون فلن يُتركوا لحالهم وسيُجبرون عليه على النحو الذى حدث فيما يتعلق بموضوع صربيا وغيرها، فالآخرون أجبروا الحكومة العثمانية رغم ما تمتلكه من قوة.

وأقسم ثانية بالله الواحد أن سن القانون لا يتعارض مطلقا مع الشريعة الإسلامية الحقّة، ولن يؤدى إلى التفريط فى الدين أو خلل بثئون المسلمين، بل سيحقق الإسلام والمسلمون بواسطة تنفيذ القانون فوائد غير متوقعة، وسيحررهم ويريحهم من تدخل الأجانب وسيعيشون شامخى الرعوس أمام العالم....^(١)

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص ١٨٦.

الفصل الرابع

مساعي المقيمين خارج الدولة

مقدمة:

كانت البيئة المختقة والكابتة للحرية في إيران لا تسمح مطلقا بالحديث عن الحرية والإصلاحات أو الكتابة عنها، وكانت مساعي الأحرار والمستثمرين الإيرانيين محفوفة بالخوف والحذر، ولم تكن وحدها كافية لتحقيق الهدف. فقام بالكتابة ونشر الأفكار والمعتقدات الحديثة الإيرانيون الذين غادروا وطنهم نتيجة الضغوط الداخلية، أو الذين كانوا يعيشون في الخارج لتأدية مهمة ما. لقد تحدثنا فيما سبق عن عدد من الصحف الفارسية التي كانت تصدر في مصر وتركيا والهند، والتي أثر كل منها إلى حد ما في نشر فكرة الحرية. والآن سنذكر الكتاب الذين سعوا من خارج الدولة لإيقاظ المجتمع الإيراني وتحريره من قيود الظلم والاستبداد والذين كانوا في الحقيقة رواد الحرية والدستور.

١ - طالبوف:-

ولد عبد الرحيم الشهير بطالبوف عام ١٢٥٠ هـ.ق في حي "سرخاب" بتبريز لأب فقير يعمل بالنجارة ويدعى "أبو طالب بن عليمراد". غادر تبريز في السادسة عشر أو السابعة عشر من عمره وذهب إلى تفليس التي كانت آنذاك مركزا للأحرار والثوار، وعمل بها لكسب الرزق كما درس اللغة الروسية وآدابها.

وفي تلك الفترة كان الكثير من المهاجرين الإيرانيين يعيشون في القوقاز "ومن بينهم رجل يسمى محمد علي خان من أسرة الشيبانيين بكاشان يعمل في مهنة "المقاولات" لمد الطرق بالقوقاز وكان يُطلق على هؤلاء بالروسية كلمة "پدراتجی". واستطاع محمد علي خان أن يجمع ثروة كبيرة خلال السنوات التي قضاها في تفليس وسائر بلاد القوقاز بسعيه وجده. وهناك أثر الزواج، ورزق بولدين أحدهما يسمى أسد خان والآخر فرخ خان كما رزق بفتاة تسمى ماهرخ. وقد تقلد أسد خان

وفرخ خان لاحقا مناصب حكومية رفيعة مثل منصب السفير. وتعرف طالبوف على أولاد محمد على خان نظرا لعمله لديه، وقد ذكر كلا من أسد وماهرخ فيما بعد في مؤلفاته. وكان عبد الرحيم طالبوف من بين الأشخاص الذين شاركوا محمد على خان، وبعد عدة سنوات جمع ثروة أهله للعمل بالمقاولات بلا شريك".^(١)

وشينا فسينا جمع عبد الرحيم الذي اشتهر فيما بعد بالحاج ملا عبد الرحيم طالبوف- ثروة كبيرة، وعُرف لدى حكام روسيا وعلمائها بالأمانة والصدق، وبعد فترة غادر تفليس إلى بلاد القوقاز وأقام في "تمر خان شوره"^(٢) مركز حكومة داغستان وعاش حتى أخريات حياته معززا مكرما.

وفي أواسط عهد ناصر الدين شاه بينما نهض الأحرار والمستثيرون الإيرانيون مجاهدين في الداخل والخارج في سبيل الحرية والقانون، أخذ طالبوف أيضا في إيقاظ الشعب عن طريق قلمه؛ فقد كان قد تمتع برصيد من المعرفة عن طريق معرفته باللغة الروسية، وتميز أسلوبه بالسلاسة، وظل يعرفهم بسليبات الحكم الاستبدادي ويشرح لهم أهمية إقرار الدستور؛ بحيث إن مؤلفاته في هذا الشأن يمكن تسميتها "أبجدية الحرية".

انتخب أهالي آذربيجان طالبوف نائبا عنهم في الدورة الأولى للبرلمان تقديرا لخدماته وكتاباته القيمة واعترافا بجهوده، وبالرغم من أنه كتب إلى أحد أصدقائه قبيل بداية الانتخابات أنه "لو انتُخبت سأحضر على الفور"^(٣) وبرغم أنه قبل التمثيل البرلماني في رده على البرقية التي أرسلت له بعد إجراء الانتخابات ووعده بالذهاب إلى طهران في شهر صفر (أي بعد ثلاثة شهور أو أربعة)، إلا أنه لم يف بالوعد. وعندما غادر تبريز سبعة من نواب آذربيجان الاثنى عشر متوجهين إلى طهران ذهبوا إلى بادكوبه (في ذي القعدة ١٣٢٤ هـ.ق)، والتقوا في باكو مع طالبوف الذي

(١) إيرج افشار نقلا عن تقي زاده، مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس، مرداد ١٣٣٠.

(٢) بونياكسك حاليا.

(٣) ولكني "أعتقد أن علاقة الإيراني بالمجلس تشبه تماما حكاية الثور قارع الطبول".

كان قد قدم من "تمر خان شوره" لمقابلتهم، وأخبرهم أنه سيعد عدته ويذهب إلى طهران بعد أن يدبر شئونه.

وتوجد آراء مختلفة حول السبب وراء رفض طالبوف التمثيل البرلماني. يعتقد إسماعيل يكانى أنه لما كانت تربطه صداقة حميمة بالأتابك ميرزا على أصغر خان فلم يأت إلى طهران نظرا لخطر الأحرار وخاصة نواب آذربيجان على الأتابك في ذلك الوقت، كي لا يشاركهم في معارضتهم له.^(١) ويرى صادق صادق (مستشار الدولة) وتقى زاده أن الشيخوخة والوهن وضعف الإبصار هم السبب وراء عدم حضوره.

ويعتقد البعض أيضا أن تكفير شيوخ ذلك الزمان لطالبوف وتحريم قراءة كتابه مسالك المحسنين من قبل الشيخ فضل الله نوري، السبب وراء رفضه فلم يأت إلى طهران تحسبا للعواقب. وعلى هذا يقول طالبوف في رسالة مؤرخة بالسادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق لشخص غير معروف مشيرا إلى هذا الأمر معربا عن حزنه "إن سيادتكم وفقرط عنايتكم قد بالغت في موهبتى كثيرا، ووصفت مؤلفاتى التى لا طائل من ورائها- التى انتشرت فى سوق الأدب بوطننا لغياب سلعة المعارف- بأنها جديرة بالاهتمام، ولقد تأثرت كثيرا بما كتبتة ويشهد ربي وضميري أنني لا أعتبرها جديرة بالثناء أو المدح من قبل الأدباء الإيرانيين الأعزاء ولم أعتبرها كذلك فى يوم من الأيام... فلو أن مؤلفاتى ذات مضمون لما كفرنى الشيوخ الأجلاء، ولو كنت متعلما لكنت أعرف العربية والكتابة بالفارسية، ولقدمت مؤلفات إلى محفل الأدباء، ولكن يعرف الآخرون البحث عن عيوب الغير والابتذال أفضل منى. ولأننى كنت بالخارج ولم أكن أخشى شيئا تحدثت وكتبت

(١) اشتكى طالبوف فى لقائه مع الحاج ميرزا يحيى دولت آبادى فى رمضان عام ١٣٢٧ هـ.ق بمنزله بتمر خان شوره قائلا إن الإيرانيين أساءوا إليّ واعتبروني مستبدا وأطلقوا على "عبد الأعيان"، وأفاد أن أمين السلطان كانت نيته صداقة تجاه الأمة خلال رحلته الأخيرة لإيران ولم يكن يقصد شيئا سوى إقرار الدستور (حيات يحيى، ج٣، طهران، ١٣٣٠ ش).

دون موارد إلى حد ما. والحمد لله لدى إيران الآن متحدثون وكتاب كثيرون كى تنسى العبد الخجل (أى طالبوف)....^(١).

يعتبر أحمد كسروى أن امتناع طالبوف وعدوله عن المجئ إلى طهران ناتج عن أخلاقه وأسلوبه فى التفكير، فقد أخذ بعض الشيوخ فى تكفير طالبوف -كما هى عادتهم- ومنعوا الناس من قراءة كتبه. ويرى أن "هذا الأمر يسيطر على الكثير من الأشخاص الذين يناضلون فى سبيل شىء معين، وعندما يصلون إلى نقطة ما يُحبطون ويتراجعون، وكان طالبوف واحدا منهم...."^(٢) ونحن نعتقد أن طالبوف برغم كونه من الأحرار ودعاة التجديد إلا أنه لم يرض كثيرا عن الصراع بين الشاه والبرلمان وتدهور الأوضاع، وأحوال الأحرار وزعماء الأمة؛ وتوقع انفلات زمام الحرية والتسيب الذى عم إيران والأحداث التى وقعت بعد ذلك ونستدل برسالة طالبوف المؤرخة فى سبتمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ.ق) التى كتبها لعلى أكبر دهخدا بعد قصف المجلس^(٣) للاطلاع على أسلوب طالبوف فى التفكير:-

"أتمنى أن يعود على وجه السرعة إلى إيران كافة من غادروا الوطن، ويعملوا فى تناغم بدلا من الجدل والتناحر، أى يأكلوا الأشواك ويحملوا الأثقال ويحملوا سفينة الوطن المشرفة على الغرق إلى شاطئ النجاة، ومن البديهي أنه لاشئ ينتظم دون معاناة والعجيب أنهم يتقاتلون فى إيران فى سبيل حرية التعبير، ولكن لا أحد يكثرث بآراء الآخرين، فلو أعرب شخص عن رأيه يصبح متهما ومستحقا للقتل، مستبدا، عبدا للأعيان ومتكبرا، ولا أعرف بماذا سيُتهم أيضا. ويطلق هذه المسميات شخص لا يملك ذرة من الطحين فى الأفلاك السبعة، فليس

(١) مجلة يغما، العام الخامس عشر العدد الرابع، تير ١٣٤١ ش.

(٢) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، بخش يكم.

(٣) كان دهخدا آنذاك فى إسطنبول، وكان يرغب فى إحياء ذكرى ميرزا جهانجير خان ونشر صحيفة صور إسرائيل من جديد.

لديه روح ولا علم ولا تجربة ولكنه يملك مسدسا لا غير، على كل حال:

المطر الذى لا يوجد خلاف حول رفته

يُنبت شقائق النعمان فى الروضة والحشائش فى الأرض البور

هل تذكر رسالتى التى سألتك فيها أى نوع من الحيوانات تكون طهران
حيث تلد فى ليلة واحدة مائة وعشرين محفلاً؟!

الخلاصة، سيادتك تعرف الأمور أفضل منى. وكتبى تشهد، أنتسى أعرف
إيران منذ خمسين عاماً، وقد أتممت الحادية والسبعين من العمر. فأى مجنون فى
الدنيا يشيد بناءً دون معمارى؟ وأى مجنون ذلك الذى يدعو المعمارى للعمل دون
أن يوفر له أدوات البناء؟ وأى مجنون ذلك الذى يعتبر تغيير النظام فى إيران وليد
الساعة؟ وأى مجحف ذلك الذى يستطيع فى أقل من خمس سنوات تنظيم شئون
المملكة التى لا تملك قانوناً وأهلها بلا عمل وبلا حياء ومبتلون بالفقر؟ أى رسول
ذلك الذى يستطيع أن يذل هذه العقبات فى أقل من عشر سنوات ويشق طريق
الرقى على النحو الذى كان يريده حسين البزاز أو محسن الخياط أو البنى آدم
فلان؟

على كل حال يريد القلم أن يحتد مرة أخرى، وكنت قد استرحت تماماً
بخصوص ما سيحدث فى المستقبل واستقرار الدستور والمجالس المحلية. سألتى
السيد عبد الرحيم فى "شوره" عما يجب فعله؟ فأنا لن أفعل شيئاً لشهرين. أتى
بالطبع إلى تفليس وقال: ليس من الضرورى تأسيس صحيفة فى باريس. لافى
باريس ولا فى إيران؛ فالكلمات الصادقة وحدها لن تصلح الأمور. فمجنون كل
إيرانى يعتبر أن أمته عبارة عن الثلاثة آلاف نسمة الذين رأيتهم، ويظن أن
الإيرانيين يقظون ويدس الحطب أسفل رباطهم المتهترئ. نحن لا نعرف بوجود
الأكسير سواء عند على عليه السلام وسواء عند معاوية. أنا لا أشك فى القوة التى
تتولد من بركة قول كلمة إيرانى وكلمة إيران. اللطيف هنا، إنك إذا سألت أى

إيراني: إذا زرعت اليوم حبة هل ستصبح سنبلة غدا!! سيضحك على عقليّة السائل.

لقد دونت رأيي في رسالة "معنى آزادي" "مفهوم الحرية". كلما وصل عدد من صحيفة "صور إسرافيل" أقرأه وأكتب عليه تعليقا، وفيما يتعلق بافتتاح البرلمان والمجالس المحلية؛ فلا يوجد أدنى شك في هذا... في أمان الله. المخلص، عبد الرحيم التبريزي."

وكتب أيضا في الرسالة التي نشرت في العدد الثالث والأربعين من صحيفة "انجمن" الصادرة في تبريز:

"كان الإيراني حتى تلك اللحظة أسيرا لثور الاستبداد ذي القرنين، ولكن إن لم يصبح قادرا بعد ذلك على إدارة شئونه سيصير فريسة لثور ذي ألف قرن من السفلة. وعندئذ سيضحك المستبدون على سذاجتنا، وسيشمت الأعداء المحيطون بنا. وأقول صراحة أعتقد أن هذه المسألة مؤكدة."

لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن حياة طالبوف الخاصة، وما نعلمه أنه كان مسلما متدينا أدى شعائر الحج ومع كل هذا لم يكن مقتنعا على الإطلاق بالخرافات المتعلقة بالدين. ونذكر من خلال كتاباته أنه كان رجلا محبا للبشرية ووطنيا، وكان مفرطا في وطنيته، فيقول في رسالته إلى يوسف اعتصام الملك المؤرخة بالسادس عشر من رمضان عام ١٣٢٦ هـ.ق: "إنني محب للعالم، وأحب بعده تراب تبريز الطاهر. ماذا أفعل فأستاذي لم يعلمني غير هذا! فكل عمل سيقدم لتبريز؛ تستطيعون اعتباري شريكا فيه وعيدا وخادما وكناسا له".^(١)

(١) كان طالبوف مفرطا في وطنيته لدرجة أنه لم يكن يسر للنقد الحقيقي لأوضاع إيران من قبل الصحف وأحرار القوقاز، وكان يعتقد أن على الإيراني أن يصلح عيوبه بنفسه، ولا يجوز للآخرين الإساءة إليه بالقول أو النقد. ويقول في الرسالة التي أرسلها إلى ميرزا جعفر خامنه أي: "لا يجب أن يقبل الإيراني الغيور أن يهجو رجل مغمور من نخجوان علمائنا وملكنا ويسب عادات أجدادنا قولا وكتابة يوميا (يبدو أنه يشير إلى ميرزا جليل مدير صحيفة ملا=

ضعف بصر طالبوف في أخريات حياته، بحيث إنه كان يضع الورقة عند الكتابة والقراءة على مسافة لا تزيد عن ثلاثة أصابع من عينيه، فاضطر للسفر إلى برلين، وقد واكب سفرة إلى برلين الوقت الذي عمل فيه احتشام السلطنة عليهمراد سفيرا لإيران في ألمانيا (١٩٠٢ أو ١٩٠٣).^(١)

توفي طالبوف في أواخر عام ١٣٢٨ أو بداية عام ١٣٢٩ هـ.ق^(٢) في مقر إقامته "تمر خان شوره". ولم يرزق سوى بابنة تسمى "صونا" تزوجت من مهندس يسمى "عمرأوف".

مؤلفات طالبوف:-

أعمال طالبوف القيمة والنفيسة التي طبع أغلبها على ورق فاخر وبخط جميل في إسطنبول ومصر والقوقاز وحازت على شهرة واسعة أثناء حياته عبارة:-

١- "سفينة طالبى يا كتاب أحمد" (السفينة الطالبيه أو كتاب أحمد) ويقع في جزئين، طبع الجزء الأول منه عام ١٣١١ هـ.ق في مطبعة اختر بإسطنبول، وأهدى الجزء الثانى لميرزا أسد الله خان ناظم الدولة سفير إيران في إسطنبول وقد وصفه طالبوف بأنه رجل فاضل.

٢- مسالك المحسنين، وهو عن رحلة خيالية، وقد طبع في القاهرة عام ١٣٢٣ هـ.ق طبعة فاخرة مزودة بالصور.

=نصر الدين) فلا يجب أن يتحدث عن عيوب الإيرانيين سوى الإيرانيين أنفسهم وإلا يستندد لكمة إلى فمه، وهذا الأمر ينطبق على كل الأمد. والكلام ما قل ودل".

(١) ايرج افشار (نقلا عن تقى زاده) مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس.

(٢) كانت صحيفة شمس الصادرة في إسطنبول قد كتبت في العدد الثامن عشر من العام الثالث المؤرخ بالثالث والعشرين من ربيع الآخر ١٢٩٠ هـ.ق: "لقد شاعنا في الأسرع الماضى أفول نجم ساطع فى سماء الأدب الإيراني ... بحزن شديد. وبناء على ذلك يعتقد تقى زاده أنه يجب أن يكون قد توفي في بداية ذلك السير".

٣- مسائل الحيات، وقد ألف بعد مسالك المحسنين ويتحدث خلاله المؤلف مع ابنه الخيالي أحمد على غرار السفينة الطالبية عن قضايا متنوعة متعلقة بالسياسة و الحقوق والشئون الاجتماعية، طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٤ هـ.ق في مدينة تقيس.

٤- پندنامه ماركوس قيصر روم^(١) رسالة نصائح ماركوس قيصر الروم. ونقلها طالبوف للفرسية عن النسخة التي نقلها الأمير (أوروزوف) للروسية عن اللغة اليونانية بدأ طالبوف الترجمة في ٢٥ شعبان وأتمها في ١٢ شوال ١٣١٠ هـ.ق، وطُبعت في مطبعة اختر بإسطنبول.

٥- رساله فيزيك "رسالة الفيزياء" ألفها بعد رسالة "پندنامه"، وقد طبعت عام ١٣١١ هـ.ق في إسطنبول وتضم معلومات مبسطة في الفيزياء.

٦- "تخيه سپهرى" أى "منتخب السماء" وهو خلاصة ناسخ التواريخ، ويتناول السيرة النبوية، طبع لأول مرة عام ١٣١٠ هـ.ق في إسطنبول، كما طبع أيضا في طهران عام ١٣٢٢ هـ.ق.

٧- "رساله هيئت جديدة" "رسالة الفلك الحديثة" وهي ترجمة لكتاب العالم الفرنسى كاميل فلاماريون والذي نقله للفرسية عن الترجمة الروسية لـ "ب. تشاركسون"، وطُبعت الرسالة عام ١٣١٢ هـ.ق في مطبعة اختر بإسطنبول (طُبعت هذه الرسالة بعد ذلك عام ١٣١٢ في ملحق "گاهنامه" للسيد جلال الدين الطهرانى).

٨- "ايشاحات در خصوص آزادى" أى "توضيحات بشأن الحرية" ألفه في الفاتح من ذى الحجة عام ١٣٢٤ هـ.ق، وطبع طباعة حجر بأمر مجد الإسلام مدير صحيفة نداء الوطن في ربيع الآخر ١٣٢٥ هـ.ق بطهران، وهذا الكتاب يعد بحثا

(١) ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (١٤١ - ١٨٠م) إمبراطور رومانى وفيلسوف رواقى المنهج.

عن مفهوم الحرية، البرلمان وأهميته، واجبات نواب الشعب، قوانين إيران المستقبلية والضرائب والدستور.

٩- "سياست طالبی" أي "السياسة الطالبية" وهو آخر مؤلفات طالبوف، وقد طُبِع بعد وفاته، ويشتمل على مقاليتين. طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٩ هـ.ق في طهران تحت رعاية الحاج سيد إبراهيم نائب فارس وتحت إشراف ميرزا حبيب الله الشيرازي.

"كتاب أحمد": - إن أعمال طالبوف لا تعد مجرد مؤلفات أو ترجمات سطحية، فالمؤلف مزج حتى في رسالتي "الفيزياء" و"الفلك" الموضوعات العلمية بالعبارات البديعة المحببة، وبناء على هذا فكل عمل من أعماله جدير بالبحث والدراسة، ولكننا سنتحدث بالتفصيل هنا عن عملين فقط وهما "كتاب أحمد" و"مسالك المحسنين" لما يتميزان به من طابع أدبي.

و"كتاب أحمد يا سفينة طالبی" حوار بين أب وابنه الخيالي حول موضوعات علمية مختلفة. كتب بلغة سهلة يفهمها الأطفال، وفي هذا الكتاب قدم المؤلف المولع بالعلوم والثقافة الأوروبية شرحاً للعلوم والمخترعات التي اطلع عليها من خلال الكتب الروسية، فيعرض على أحمد وأمثاله من المسنين في ذلك الزمان - أي ذلك الجيل الذي كان معاصراً للمؤلف - صور برج إيفل وقاعة الموسيقى في بناية لندن ذات الواجهة الزجاجية والأهرامات والمومياءات الفرعونية، ويعرفهم بالاكشافات ونتائج العلوم ومظاهر الحضارة الأوروبية تلك الحضارة "الراسخة والمنصفة المهمة بالإنسان". ومن ذلك الكهرباء والطاقة البخارية وآلة التصوير ومقياس الحرارة، وطبقات الأرض، وطبقات الجو والبوصلة وعجائب البلدان والأشجار.

وقد وصف بطل القصة بقوله: "ابني أحمد عمره سبع سنوات... وهو طفل مؤدب محب للعب وعطوف، ورغم صغر سنه يميل دائماً لمحادثة الكبار ومجالسة

الرجال... وتبدو عليه موهبة فريدة. يجيب عن كل ما تسأله إياه باتزان. يتحدث بهدوء. ويسأل عما لا يفهمه... لو بقيت على قيد الحياة كي أفي بواجب الأبوة - وهو تربية الأطفال وتعليمهم لا غير - سيصبح من المشاهير في عصره".

حقيقة يعتبر أحمد ذكيا للغاية وموهوبا ومحباً للاستطلاع بالنسبة لعمره البالغ سبع سنوات. فهو ليس طفلاً ساذجاً تقليدياً بل يتصف بصفات رجل عمره ستون سنة، وكأنه فيلسوف صغير، فهو عاقل، بعيد النظر ورصين، وذو تجارب كأنه خبر الدنيا فجمع معلومات على مدى عمر من المطالعة والاحتكاك. وهذا الفيلسوف "الصغير" يزيح الستار في كل لحظة أثناء لعبه الصبباني عن أسرار الخلق ومعضلات الطبيعة، وأحياناً يُعرف أهل المنزل والمحيطين به على شيء مما اكتسبه من معلومات.

والمؤلف نفسه يدرك هذه المسألة ويسعى أحياناً لذكر عبارات لينزل بذلك النابغة المطلع على الأسرار والحقائق إلى عقلية طفل عمره سبع سنوات؛ فنادر ما يتمتع أقران ذلك الطفل بقدرته على الإدراك؛ فيجعل المؤلف الأحاديث بين الأب والابن تدور على النسق الطبيعي. فعلى سبيل المثال يقول في المسامرة السادسة بعد أن يشرح نشاط الميكروبات ومقاومة الجسم لها: "تهض أحمد من أمامي مستغرقاً في التفكير مندهشاً ومضى. شعرت بالندم، فلماذا أحدث طفلاً عن موضوع يعجز عن فهمه".

وجاء الحوار بين الأب والابن بأسلوب سلس وبسيط ويبدأ غالباً بتلك العبارة: "قال أحمد: سيدى أليس...؟" وبعدها يأخذ الأب بطرف الحديث ويلقى على مسامعه تفاصيل العلوم الروسية على الرغم من كونها لا تناسب إدراك طفل عمره سبع سنوات. يتكون الجزء الأول من كتاب أحمد من ثمانى عشرة مسامرة طُرحت خلالها معلومات عن مفهوم العبادة والأديان واللغات والخط المسماري والهيروغليفى، والنار والكبريت والفسفور، والعصر الحجري والبرونزى والحديث، وشجرة الموز، ومقارنة التقويم الهجرى بالميلادى، وفن التصوير، وقانون الجاذبية، ومدرسة العميان فى باريس، والمسك المستخرج من الغزال فى

التبت، وطريقة صناعة الأحبار والأوراق وكيفية انبعاث الضوء من المصابيح وألعاب الورق، وقد مزجت الموضوعات البسيطة المناسبة لفكر الأطفال بالمعتقدات الفلسفية والمعضلات العلمية المتعلقة بخلق العالم ورقى الأمم والمشاعر البهيمية والروح والعقل والعذاب والعقاب وغير ذلك.

وكلما سنحت الفرصة للمؤلف في "سفينة طالبي" خلال شرح المخترعات والاكتشافات الحديثة يتحدث عن تقدم الأوروبيين وتخلف الإيرانيين ويقدم لأحمد درسا في الأخلاق والوطنية وينتقد العادات والتقاليد المذمومة والخرافات والأوهام. فعلى سبيل المثال يقول الأب أحمد: "يمكنك أن تصبح في المستقبل طبيبا شهيرا، ولكنك لم تطالع بعد كتاب "التحفة" ولم تقرأ كتاب "القانون". فكل من يملك كتاب "التحفة" في إيران صار طبيبا.

وإذا أهلت نفسك أيضا بقراءة "القانون" ستصبح عندها كبيرا للأطباء. فكل من يريد أن يفتح محلا للجزارة في شارع ما لا يسأل عن ذبائحه".^(١)

ويقول في موضع آخر: "كان أحمد مستعدا. قال: سيدي؛ لماذا يقسم هذا الضيف العزيز (بائع الفيروز الخراساني) كثيرا؟ هو بالتأكيد يكذب. لقد قلت لي كثيرا إن كل من يقسم أثناء كلامه، هو بالطبع كاذب أو غير مؤدب أو جاهل. فقلت إن القسم علامة على الكذب، ولكن القسم يشكل الجزء الأكبر من حديث التجار وأبناء وطننا. والعامة والخاصة مبتلون بهذا الداء.... فالخاصة يقسمون بحياتهم أو حياة أبنائهم أو بموت أحد الجالسين، ويقسم العامة بالله والرسول والأئمة.. لعن الله الجهل. ماذا يمكن أن نفعل، لابد من أن نجتهد حتى تشرق شمس المعرفة في السماء".^(٢) ويقول أيضا في موضع آخر: "قال أحمد: سيدي، إن محمود ابن جارنا حبيب الله خان لم يذهب للمدرسة، لكنه يرتدى زى عقيد في الجيش قلت: يا نور عيني، هذه الأمور تطبق في الدول المجاورة ولكن في وطننا لا تزال المناصب وراثية. فكل من يموت يخلفه ابنه "يمكن أن تجد أيضا عميدا عمره خمس عشرة

(١) المسامرة الخامسة.

(٢) المسامرة الثامنة عشرة.

سنة".^(١) ويقول في موضع آخر: "قلت يا نور عيني، لا زال الوقت مبكراً كي تتعلم. فلو كان معلم محمود قد قطع المراحل التعليمية كالأهالي في سائر مدارس الأمم على وجه الكرة الأرضية وأدى الامتحان ليصبح معلماً، لكان الجهاز التعليمي لدينا مثل الأجهزة التعليمية في الأمم المتقدمة.

ولو كانت أبجديتنا في عُشر سهولة الأبجدية عند الآخرين لوافقت أن تذهب للمدرسة للتعلم، ولكن أبجديتنا صعبة للغاية والشئون التعليمية عندنا غير منتظمة بحيث إنني لن أسمح لك بالذهاب إلى المدرسة لثلاث سنوات قادمة".^(٢)

الخلاصة يعد كتاب أحمد بمثابة موسوعة علمية مبسطة وسلسلة، أو قصة علمية نافعة تقدم موضوعات ومعلومات قيمة ومفيدة عن الحياة في شكل حكاية تدور في نطاق أسرى، ويستفيد أحمد بطل القصة الصغير خلال لعبه مع أخيه محمود وأخته ماهرخ.

وعلى الرغم من أن كتاب أحمد يعد رسالة تعليمية ولا يوجد به متسع للصنعة ورسم المشاهد الأدبية المتنوعة فإنه لا يخلو من العبارات البديعة الرصينة.

مسالك المحسنين:-

يعد مسالك المحسنين قصة أو رحلة خيالية كتبت محاكاة لقصة "اليوم الأخير للحكيم" لسير همفري دافي.^(٣) وتتناول رحلة جماعة من الشباب إلى جبل دماوند بغرض إنجاز مهمة علمية.

(١) المسامرة الرابعة عشرة.

(٢) ج ١، المسامرة ٢.

(٣) Sir Humphry Dovy (١٧٧٨ - ١٨٢٩م): وهو عالم بريطاني وواحد من أعظم علماء الكيمياء على مستوى العالم، سافر عامي ١٨١٤، ١٨١٨م إلى إيطاليا، ودون آراءه حول كيفية نشوء العالم وتركيب الأشياء ومرور الزمان وتقدم الأمم وتخلفها في كتاب عنوانه "اليوم الأخير للحكيم" ويدور في شكل حوار بين عدد من الأشخاص. ويذهب رجل متمسك بالأفكار القديمة، كاثوليكي، يؤمن بالأخبار والأحاديث الواردة عن عيسى وذو رؤية تاريخية خاصة لمشاهدة الأطلال الرومانية وبرفقته شخص آخر من نبلاء البريطانيين، ملحد، كثير = الريبة ويؤمن بمبدأ الوراثة والعراقة. وتتولد في رأس كل منهما أفكار مختلفة نتيجة لرؤية آثار تلك الحضارة العريقة، فيدور بينهما حوار عن التاريخ والفلسفة ويتطرقان إلى الوقت الحاضر، ويستنتج المؤلف أن كل ما تم تحقيقه من تقدم عصري مقتبس عن الأمم القديمة. ويحصل فلما ريون خلال إحدى رحلاته على هذا الكتاب الذي كان قد ألف منذ خمسين عاماً، فيترجمه عام ١٨٧٢م وينشره ويكتب له مقدمة تفصيلية، ويعتبره مكملاً لأفكاره. ويعد كتاب مسالك المحسنين تقليداً لهذا الكتاب الإنجليزي حيث استبدل طالبوف السياحة في إيطاليا بالسياحة في جبل دماوند ومازندران، والأشخاص في الكتابين لديهما نفس الأفكار تقريباً. (نقلاً عن مقالة رشيد ياسمي باختصار، "مجلة" إيرانشهر "العام الثاني، الأعداد ٦، ٥).

ففى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة ١٣٢٠ هـ.ق تكلف الإدارة المظفرية الخيالية وفدا برئاسة محسن بن عبد الله وعضوية مهندسين (مصطفى وحسين) وطبيب (أحمد) ومدرس كيمياء (محمد) بالصعود إلى قمة جبل دماوند ودراسة قمته الجليدية الواقعة فى الناحية الشمالية وقياس ارتفاعها وتقديم معلومات عن الجبل للإدارة، وعمل مسح جغرافى للجبل ورسم خريطة لمعابرہ، على أن ينجز الوفد مهمته خلال شهرين أو ثلاثة. ويسير رفاق الرحلة مشيا على الأقدام بلا خدم أو نواب. ولا نعلم من أين تبدأ الرحلة ولكن يستتبط بشكل عام أنها قد بدأت من طهران.

وتعد هذه الرحلة الاستكشافية حجة وذريعة كى يستطيع المؤلف من خلالها طرح قضايا أخلاقية واجتماعية وتعليمية مختلفة، ويقدم معلومات فى كل مناسبة على شكل مناظرة بين رفاق الرحلة أو الأشخاص الذين يقابلونهم على طول الطريق، وعلى هذا فهو يشبه كتاب أحمد.

لم يكن المسافرون قد غادروا المدينة بعد وإذا بهم يشاهدون ضجة كبيرة فى السوق، فقد مَدَّ حبل فى وسط السوق، ويتعارك البعض عند الناحية الأخرى حيث مد الحبل. واتضح أن ابنة رئيس العشيرة ستتزوج من ابن عمدة الناحية وأن العروس ستسير من السوق على الرغم من قرب المسافة ومع أن الشارع أقل

ازدحاماً من السوق. والسبب أن العروس يجب أن تتحرك في طريقها ناحية القبلة كي تحمل معها البركة والسعادة والإقبال إلى منزل عريسها. ووفقاً للعادة شد رجال العمدة الحبل في الطريق وطالبوا بدفع الرسوم واختلفوا على تحديد المبلغ فنشبت جلبة وضجة شديدة لدرجة أنها استوقفت المسافرين، ولهذا السبب يدور حديث حول التشاؤم والتفاؤل والاعتقاد في أيام السعد وأيام النحس والتشاؤم من الكسوف والخسوف، والبراهين السماوية.

وبسبب لقاء المسافرين بدرويش متجول أصابه حماره بركلة في صدره يُطرح تساؤل "إذا حُمِلَ الحمار والدرويش إلى المحكمة للتقاضى، فأيهما سيكون المذنب".

وفي رباط قوافل الشاه عباس ينزل سيادة المستطاب ذكره الحاج ميرزا... سلمه الله والقادم من خراسان، وعندما يعلم سيادته بمهمة هذا الوفد من الصعود إلى قمة دماوند والحصول على معلومات علمية ورسم خريطة للقمة الجليدية في الناحية الشمالية من الجبل يتحدث عن "السفينة الطالبية أو كتاب أحمد" الذي ألفه رجل تبريزي مغمور وعن الخرافات الموجودة بذلك الكتاب، وعن كلمة "المدنية" التي تبعث السرور وتحبها الأذن في حين تخفى وراءها المفاصد. ويدور الحديث أيضاً عن العلم والصناعة والقوانين الغربية وضرورة مسايرة القوانين عند الإيرانيين لمتطلبات العصر وتغيير الأبجدية عند الأمم الإسلامية، والمخترع الإيطالي الشاب وجهاز اللاسكى الذى اخترعه وغير ذلك.

وفي قرية "سنور" وبسبب مقابلة العمدة وكاتبه؛ يدور الحديث عن عدم وجود طبيب أو دواء أو دفتر لحصر عدد السكان، وجهل الأهالى، وعند الوصول إلى مضيق "بايقو" ومشاهدة النهر الذى يشقه، والقلعة المشيدة به يتحدث عن أسطورة الحلم الذى رآه الملك الإيرانى قُمبِيز الثانى وتشييده المعسكر إلى جانب هذا الضيق وحفر الأرض واكتشاف الكنز والألواح المقدسة ونظرية تفوق الأقوى وحكم المنتصر، وفلسفة الصواب والخطأ.

وعلى هذا النحو تطرح موضوعات جذابة ومفيدة فى كل مرحلة من مراحل الرحلة مثل السم ومضاد السموم الذى أعده الطبيب كلمنت مستخدما سم الأفاعى للتداوى من لدغتهم، وكذلك يدور الحديث عن الباب الذى كان المرحوم الأمير (ميرزا تقى خان) قد فتحه على العلم ومدارج الرقى ثم أغلق بعد موته، وعن من سافروا إلى أوروبا وعادوا منها ولم تتم الاستفادة منهم، وقصة قطع أذن رجل فى مدينة "سمندر" بأمر الحاكم وفضائع أخرى ارتكبها والثورة التى نشبت نتيجة ما ارتكبه من مظالم وأمثال ذلك.

وفى النهاية يصل الوفد إلى سفح جبل دماوند المغطى بالثلوج ويصعد أعضاء الوفد إلى قمة الجبل، فيستمعون من مهدي الحمال البالغ من العمر أربعين عاما إلى تاريخ مضيق "ازدر" (أى الحية)، وأسطورة حرب ملك الحور "تودوز" مع "شمنار" ملك الشياطين فى دماوند تلك الأسطورة التى عمرها ألف وخمسمائة سنة، وفى النهاية ينهى أعضاء الوفد مهمتهم الصعبة ويعودون إلى حيث أتوا.

ولكن عندما يلتقى رئيس الوفد بالوزير ويقدم له تقريرا عن المهمة، وبينما يشرع فى عرض بيانات شفوية، يقطع الوزير كلامه بقوله (أنا أعلم، أنا أعلم) وبقوله له "كان سفير بريطانيا قد طلب منى أن أكلفك بهذه المهمة، إن لم يكن هذا فإن معرفة عرض وطول القمة الجليدية ومعرفة ارتفاع قمة دماوند أمر لا يلزمنا.... علينا أن نهتم أولا بالأرض ثم نهتم بعد ذلك بالسماء... إن السفير البريطانى كان يريد أن يقدم خدمة إلى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية على نفقتنا وبمجهودكم..... لقد ضقتنا ذرعا من جراء تصرفات هاتين الجارتين.... لا بد للوزراء الإيرانيين أن يكون لديهم ثديان مليئان باللبن فيضعوا ثديا فى فم طفل لسد حاجته، ويضعوا الثانى فى فم الآخر... وتسمع كل يوم فى المجلس، اذهب، وسائرهم، أعطهم كل ما يريدون!".

ورغم كل تلك الأوضاع المتردية يُعرض على القراء فى النهاية مشهد يبعث على الأمل. فجلالة الملك مظفر الدين شاه يحضر فى عربة إلى متنزّه ضياء

وبرفقته الصدر الأعظم، ويلقى خطابه التاريخي في حضور أعضاء المجلس الذين وجهت إليهم الدعوة.

"....أعترف في حضوركم أنا الشاه الوارث لهذا العرش أن الفوضى قد عمت أرجاء الدولة، والرعية تشكو مما حل بها، لكن لا تصلني مظلمة، فرجال الدولة غلبت عليهم الخيانة، وعندما كنت وليا للعهد بلغت مرحلة متقدمة من العمر خارج السلطة. ولكن يشهد الله أنني لم أغفل يوما واحدا بعد جلوسي على العرش عن التفكير في تحقيق السعادة للأمة و نشر الحرية والمساواة. وتحديد الحقوق وتعيين الحدود.... وبحمد الله وفقت اليوم لتحقيق تلك الغاية...أسئلكم بالدين الإسلامي والله الواحد أن تبذلوا كل الجهد من أجل إرساء قواعد هذا البناء الطيب حتى تقدموا علاجاً لأبنائنا الأحياء، فلتطلبوا المدد من الله والأئمة ولكم منى الجزاء. وليعبر كل شخص عن رأيه بحرية، فلا خوف اليوم ولا رهبة.... وقد أنبنا عنا الأتابك الأعظم وسيقوم بإبلاغ أوامرنا إلى المجلس.... " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً...." (١)

فيقول الحاضرون بصوت مرتفع "تعيش"، ويوقظ ذلك الصوت الحماسي كاتب القصة من النوم، فيجد المنزل معتماً ولا وجود لمصباح أو كبريت. أين يذهب في ظلمة الليل؟ وماذا يفعل؟ فإذا خرج من المنزل، سيعترضه العسكر..... لا شيء أجمل من النوم، فوضع رأسه على الوسادة واستسلم للنوم ثانية، فإلى متى يظل مستيقظاً.

ومسالك المحسنين أفضل مؤلفات طالبوف لأسلوب إنشائه البديع، فهو يصف رحلة جماعة من المسافرين الشباب بأسلوب جذاب وواقعي، ويرسم صورة لصفات فئات مختلفة من الناس وأخلاقهم بمنتهى الدقة وعبارات لطيفة ويجعل القارئ يتابع بعض القضايا مع أبطال القصة. ويكتظ الكتاب كما رأينا بحوارات

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

متعلقة بأوضاع الأهالي والمشاكل السارية فى الدولة وكافة الموضوعات الاجتماعية والشائعة. وتشكل هذه الحوارات بلا شك النواة الرئيسية للكتاب من وجهة نظر المؤلف، فكتبها بشغف واهتمام مفرط. واحتل هذا الجزء من الكتاب الذى يشرح تفصيلا أفكار المؤلف مكانة خاصة لدى الناس فى إيران آنذاك بالرغم من أن تلك الأفكار تبدو للقراء المعاصرين عقيمة وبديهية للغاية. فقد كانت تحت الأهالي آنذاك لأول مرة على التأمل والتفكر فى بعض القضايا الموروثة عن أسلافهم والتي كانوا يرونها طبيعية لا يمكن تغييرها بحكم التعود عليها. وكانت تلك الآراء تؤكد على أن الوضع القائم لا يمكن مطلقا أن يكون هو الوضع المنشود من الحياة وأن الكثير من الأخلاق والعادات والتقاليد من الممكن أن تتغير، ومن الضروري طوعا أو كرها مسايرة المتطلبات المعيشية المتغيرة على الدوام.

ورسم المؤلف فى هذا الكتاب صورا بديعة وجذابة للمناظر الطبيعية بأسلوب سلس ودقيق، وإذا تغاضينا عن بعض الأخطاء مثلما وصف ناحية من جبال البرز بأنها كثيفة الأشجار - فيجب أن نعتبر الكتاب أفضل رواية بين أوائل الروايات التى كتبت بالأسلوب الفارسى الحديث.

لم يكن طالبوف متبحرا فى اللغة الفارسية وآدابها ولم يدرسها دراسة وافية، ولكنه استطاع أن يبتكر أسلوبا جديدا ويفتح بابا جديدا فى الأدب الفارسى نتيجة مطالعته الواسعة واطلاعه على الأوضاع العالمية من خلال اللغة الروسية وآدابها ولما تمتع به من موهبة فطرية وفى ظل أسلوبه السلس غير المتكلف؛ بحيث إنه يجب أن نعتبره واحدا ممن أرسوا أسس النثر الفارسى الحديث. ويقول فى الرسالة التى كتبها إلى ميرزا يوسف خان اعتصام الملك فى السادس عشر من رمضان عام ١٣١٦ هـ.ق:-

"..... إننى أعرف اللغة الروسية، ولا أعرف الفرنسية، وأكتب الروسية بخط ردى، كما أن خطى فى اللغة الفارسية لا يوصف. لا أعرف شيئا من العربية، أعرف الفارسية على النحو الذى يعرف به العرب الفرنسية. وبرغم ذلك

فقد تركت بعض الأعمال المتواضعة كتذكارات لي نتيجة كثرة المطالعة والمداومة عليها؛ كي يكملها أخلافي ويطلقوا على "مهندس الأسلوب الحديث".^(١)

أسلوب طالبوف سلس غير متكلف رصين وفصيح. ومن العجيب أنه استطاع أن يكتب الفارسية بذلك الأسلوب السلس بالرغم من أنه أذربيجاني تركي اللغة أمضى حياته في روسيا بعيدا عن البيئة الإيرانية.

ومع كل ذلك يجب القول إن هناك بعض المآخذ على نشر طالبوف، ويلاحظ قصور في اختياره الكلمات والتراكيب على النحو السائد في اللغة الفارسية لدى العلماء المتحدثين بالتركية في إيران،^(٢) كما أن السهو والأخطاء الإنشائية غير قليلة في كتاباته،^(٣) كما نقل أسماء ومصطلحات علمية أجنبية عن الروسية والتركية ولم يكن لها مقابل في الفارسية نظرا لإجاءته اللغتين المذكورتين، ولم ينقلها عن الألفاظ الفرنسية التي كانت شائعة في إيران في ذلك العصر، كما كتبها بإملاء يبدو اليوم غريبا.

ولكن علينا أن نأخذ في الاعتبار أن اللغة الأم لطالبوف هي التركية الآذرية وأنه كان يعيش لفترة طويلة خارج إيران متحدثا بالفارسية، فضلا عن أن النشر

(١) أحمد كسروي: تاريخ مشروطة إيران، ج ١.

(٢) مثل "جاموش" التركية بدلا من ("گاو میش" بمعنى جاموس) و"خوجي" التركية بدلا من ("لولو" بمعنى العفريت) أو عبارة مثل "خيال نمو دم كه اين چه مي فهمد و چرا اين قدر نظرت حيرت آميز مي كند وشكسته نمي خورد. بدلا من ("تمي شكند تا بخورد" بمعنى "تصورت ما يفكر فيه، ولماذا ينظر بحيرة إلى هذه الدرجة ولا يكسر (الخبز) ليأكل"، وكذلك مثل "توسط أحمد قبول غودم". بدلا من ("وساطت أحمد قبول نمودم" بمعنى قبلت وساطة أحمد)، ومثل "اورانمي دادم" بدلا من ("آن رانمي دادم" بمعنى لا أعرفه) ومثل "سر ديگ چرا وقت جوشيدن برجسته مي ريزد" بدلا من ("ديگ چرا وقت جوشيدن سرمي رود" بمعنى لماذا يفوز ما بالإثناء عند الغليان) وكذلك "اين امروها از سيصد متقال كوچك نمي شود". بدلا من ("كوچكتر/ سبكتر" بمعنى "لا تقل هذه الأيام عن ثلاثمائة متقال").

(٣) مثل "عيوبات" و "امورات" و "ارذل ترين" و "استقلاليت" واستخدام كلمة "همينكه" بدلا من "جراينكه" أو "اما"، و "گهواره نشستن" فيما يتعلق بأحمد البالغ من العمر سبع سنوات، والواضح أن قصده "تاب نشستن و تاب بازی كردن است". أي القدرة على الجلوس والقدرة على اللعب.

الأدبي خاصة في المجالات العلمية في عصره كان يتصف بالحدائشة في إيران نفسها، ولم يكن للكلمات والمصطلحات العلمية الأجنبية مرادف في اللغة الفارسية. وبالنظر إلى هذه المعطيات إذا قارنا بين أعماله ومؤلفات المعاصرين له بل والكثير من المعاصرين لنا سوف ندرك بوضوح مكانتها الأدبية الرفيعة، خاصة أن ترجمات طالبوف تتميز في الغالب بالبساطة والوضوح وسهولة الفهم. فعلى سبيل المثال يستخدم أخلافه "ترشیدن وپوسیدن" بدلا من "تخمر وتفسح" (بمعنى التخمر والتحلل) وبدلا من القول "هوا اشباع شده يانشده" (بمعنى الهواء المشبع أو غير المشبع) يقولون "هوا سير شده" أي (أي الهواء الشبعان) كما أن المؤلف أدخل الكثير من التعبيرات اللطيفة لبيان المظاهر العلمية الغربية نظرا لولعه بالمدينة والتقدم الحديث بالعالم، ومن هذا يسمى أسطوانة الجرامافون "اللوح المحفوظ" ويسمى الموتور "أم الأسباب".^(١)

وها هي عدة نماذج من أعمال طالبوف:-

من مسالك المحسنين:-

● "فتحت الخطاب الثالث. يقول: يا محسن قد أتاك المسى. لا زلت عاطلا ومن حياتي ضائقا. لقد ولى عهد الرجال وفقا لقول المرحوم قائم مقام "مضى زمن والناس يستشفعون بي" واليوم زمن السفلة.

ما ضرورة الإحساس والكفاءة، فلتحضر الذهب لذلك الرجل. أسود البشرة بديع الجمال؛ الذي تعرفه، فقد حصل على منصب أمير في الجيش. من الذى

(١) مثل "يفير" ("أتر" بمعنى الأثير) و"آكاغول" ("آكل" بمعنى الكحل) و"باتسل" ("باسيل" بمعنى بكتريا عسوية الشكل) و"پرافسير" (پرفسور) و"خلر" ("كلر" بمعنى غاز الكلور) و"ماكنه" (ماشين) و"واغون" ("واگن" بمعنى قطار) و"پوچط" ("پست" بمعنى البريد) و"اسوج" (سوئد) (أي السويد) و"تورويچ" ("تروژ" أي النرويج) و"گمناسٹک" ("ژیمناستیک" بمعنى التربية البدنية) و"بالجق" ("بلژیک" أي بلجيكا) و"چيگائو" ("شيكاگو" أي شيكاغو) و"تلغرام" ("تلگرام" أي تلغراف) و"شاق لاد" أو "شغالاد" ("شكلات" بمعنى شيكولاته) و"قوة الكثير" ("الكترسته" أي الكهرباء)، "سموار" ("سماور" بمعنى غلاية) و"قرال" بدلا من (شاه).

يستطيع أن ينكر أن رجالنا يتم تقديرهم؟ أتعلم كم سهر من الليالى؟ فمن طلب العلى سهر الليالى ستقول لى إن أمير الجيش فى إيران ليس لديه جيش، فهو كالحضيض بلا قمة، أو السراب بلا موج، فالمتلقى مظلوم لا المعطى. نعم إن قياسى لا أساس له فى تحديد من الأحقّ البائع أم المشتري!! وبعد ذلك أنا مستعد لتدارك ما مضى. المخلص لكم عبد الله^(١).

• ابن عمى الحبيب، ألتمس لديك العذر لتأخرى فى الكتابة لك ولكن عفوك يعشق ذنوبى. لم أكن أجد وقتاً منذ فترة للأكل والنوم وهما من أسباب الحياة، ولا وقتاً للهلاك والموت وهما باعث لتحرر الروح من أيدي رجال الدين المحرومين من الفيوض.

لقد تحررت منذ ثلاثة أيام من قيد البلاء واسترحت. وأدركت الآن كيف يتقطر لبن الأم من أنف رجل مسن عمره سبعون عاماً!! نجوت من يد ذلك السيد الشرير أى نائب الصدارة (وهو نائب وزير العدل فى عهد ناصر الدين شاه) شديد القسوة أى اليد اليسرى لسيادة حامى الشريعة، فكل ما فعله معى يتسم بالوقاحة!... أقنع ورثة الحاج محرم القاضى بأخذ البقرة وكسر المصباح، وحددوا العشر للسيد أى ثلاثة آلاف تومان، لم يبق شئ فى وضوح النهار من ممتلكاتى التى بلغت من القدم مائة عام كى يسلبونى إياها... أحضرت ألف واسطة، وتوسلت للسيد كى يوافق مراعاةً لصداقته بوالدى- على أن يشتري أملاكى بعشرة آلاف تومان رغم أن قيمتها تبلغ خمسين ألف تومان وأن يتفاهم مع المدعين بنفسه... سيذهب جزء كبير من هذا الذهب القليل هباءً للحاج ميرزا جليل؛ اليد اليمنى للسيد مهلك الملاك. ومن المعلوم أن جزءاً تافهاً سيتبقى لصاحبه.. ارتفعت قيمة الأملاك عشرة أضعافها، صار القمح يعادل فى قيمته دم البشر، ونزلت من سماء الاحتكار أوراد جديدة لعبيد القمح "اللهم ارزقنا قزية واسعة ومزرعة تاسعة".... إلخ، زحم الله الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزى فقد كتب فى كتابه "كاشف الأسرار" عن القحط

(١) مسالك المحسنين ص ١٣٨.

الذى حدث عام ١٢٨٨ وقال: أين المحتكرون ذوو النفوذ في إيران من الدين والإيمان؟..... "قَائِنَ أَنْ يَحْمِلَنَهَا" (١).. في رأيي أن القمح أخرج آدم من الجنة كي يذهب الإنسان إلى جهنم.....".

من مسائل الحياة:-

● "سألني أحمد - أمارلت منشغلا بالكتابة؟ لماذا تضيع عمرك رغم الشيخوخة وتلك الأمراض المتعددة والوهن الشديد وضعف الإبصار؟ فلو أن الناس قد سمعوا وقرأوا كل ما قلته وكتبته حتى الآن لكفى هذا لإيقاظ كل غافل وإفاقة كل ثمل وتأديب كل وقح وتعليم كل جاهل وتلقين العدل لكل ظالم مهما كان.

أترى؛ إن قطرات المطر لا تؤثر في القلب الإيراني الذي صار كالجماد مثلما لا تؤثر على الحجر الصوان، وسمعت منهم اتهاماً بالجنون وضعف الإيمان بدلا من كلمات الرضا والاقتناع.

إن ما تفعله هذا ظلم لنفسك وللمقربين لك. منذ عدة أيام كان الناس يتبادلون كتابك "الفلك" في أحد المجالس، فوصف واحد غلافه وآخر خطه وثالث أطرى على الرسومات الموجودة به. وقال واحد من ذوي السلطة بأسلوب متكبر وهو الأسلوب المتوارث والمحبيب لدى متصدرى المجالس الأدعياء:- لقد سمعت أن مؤلف هذه الافتراءات ذو مكانة وثروة؛ ولكنهم يقولون إنه مجنون، فكل ما يقوله ويكتبه ليس إلا عن الإصلاح، ألا يسأله أحد ويقول له يا عبد الله ماذا حدث لوطننا وما العيب فيه مع ما ينعم به من فاكهة الجنة وما يقوح به من رائحة الخبز، الذى لا يوجد في أى مكان، إذن ماذا حدث وما العيب الذى صار من الضرورى إصلاحه؟ قال أحد الجالسين: لقد قابلته، لا يمكننى القول إنه مجنون، فالمسكين معقد، ومصاب بحب الذات. لا يحب في إيران إنسانا أو طبقة من الطبقات. حدثته عن الحكومة فقال هي بلا قانون وتعمها الفوضى، سألته عن الحكام أجاب: ظالمون

(١) الأحزاب الآية ٧٢.

جبارون مرتشون، حدثته عن المتعلمين قال يجيدون رسم دائرة الميم والنون ولكن لا يعرفون الهندسة ولم يدرسوا الحساب، سألته عن طلاب المدارس قال: لقد تعرفوا جيدا على "يغما"^(١) سألته عن العلماء أجاب: أولئك المقيمون فى العتبات ليس لديهم الحرص والطمع ولا تعنيهم الرفاهية فى شيء، ويفضلون تناول الخبز والبصل على الدجاج، وهم آباؤنا الروحيون وطاعتهم واجبة لأنهم فى مقام الأئمة... لكن أغلب أولئك الموجودين فى إيران، إقطاعيون محتكرون يحبون الفتن وغوغاء السفلة، وينحنون تعظيما للنعال، ويبلغ دخل أملاكهم من ثلاثين ألف إلى خمسين ألف تومان سنويا... سألته عن التجار أجاب هم فجار، ولا تعود منهم فائدة على المملكة والأمة سوى أنهم يروجون للسلع الأجنبية ويحتكرون الغلال.

ودار الحديث ذات يوم عن ملابس النساء فقال: لقد جعل الإيراني قصر ملابس النساء مقياسا صحيحا لحميته وشعوره.... أقسم إننى سمعت كل هذا الكلام مباشرة من مترجم هذا الكتاب الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزي وفى منزله فى "تمرخان شورا". فلتحكموا الآن هل هو معقد أم مجنون. تتهد أحمد بعد نقله لهذه الأخبار وقال: إن ما قلته يكفى كى تعرف أن كل ما تجشمته من متاعب فى سبيل هذه الأمة الجاهلة قد ضاع هباء...

كنت أستمع إلى أحمد وأنا أكثر إحباطا منه، فلماذا يظن أن رأى الآخرين يجبرنا على ترك العمل أو مواصلته، ولماذا نسى حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولماذا لا يدرك أن الطريق يكون صعبا ووعرا فى البداية. أردت أن أردّه إلى الصواب فسألته: أكان ما قاله عنى أولئك الجهلاء حقا أم باطلا، هل كان مدحا أم قدحا؟

فأجاب: كان باطلا وهو مدح فى الواقع. فقلت: إذن ماذا يكون الفرق بينى وبين أولئك الجهلاء لو أننى امتنعت عن مواصلة عملى من أجل حفنة أشخاص

(١) المقصود الشاعر يغماي جندقى من شعراء العصر القاجارى.

يتصفون بسوء الظن ويبحثون عن عيوب الناس، وصرت لا أتكلم ولا أكتب عما أعرفه؟ كنت أتحدث حتى اليوم في موارد، والآن سأحدث علانية وأنا فخور بما أقول. فالوطن معشوقى، والوطن معبودى؛ لأن المعبود الحقيقى لا يحتاج إلى مدح عباده ولكن الوطن محتاج لإطراء أبنائه.

من "إيضاحات در خصوصى آزادى" (توضيحات بشأن الحرية):

• "هل معنى الحرية أن يفعل كل شخص ما يحلو له، ويغير قطاع الطرق على القوافل، ويسلب المارقون كل ما يريدونه، ويتطاول الأشرار فيقتلون، وينهبون، ويكتب كل جاهل كل ما يحلوه من اتهامات وافتراءات، ويتجمع السفلة للسطو على كل من يرغب فى المرور، أو يقيم التجار والعلماء مجلسا ويلقون على الناس كل ما يدور فى مخيلتهم باعتباره أوامر إلهية واجبة الطاعة، فيلقون القبض على المتمردين ويحبسونهم ويعاقبونهم. هل يمكن أن يهنئ بعضنا بعضا على هذا التسبب والانفلات المثير للدهشة ونضئ المصابيح ابتهاجا؟ أم يجب أن ننجو بأنفسنا ونلوذ بمكان آمن على وجه السرعة؟

هل الحرية بمعنى الحرية الفطرية أى أن كافة البشر أحرار ومخيرون فى جميع أفعالهم وأقوالهم بالفطرة، وأن لا شئ يمنعهم عن القول والفعل سوى أنفسهم وإرادتهم وأن الله لم يخلق قوة تستطيع أن تردعهم بحيث لا يقدر أحد دون جدال على التدخل فى حريتنا هذه.

سيدرك قارئ هذه السطور المحترم بلا عناء أن الإنسان كان ولا يزال وسيظل ينعم بهذه الحرية وهى ليست موضع جدال. إذن لم يتضح بعد ما الحرية التى تسبب لنا السعادة والسرور؟

نعم، هذه الحرية بمثابة ذخيرة روحية عامة، جمعها سكان إيران تدريجيا وحفظوها فى خزينة تسمى الأمة، وأخذوا جميعا يتاجرون بتلك الثروة. وكانت مكونات تلك الثروة عبارة عن ذهب الشرف والمعرفة الخالص، ومسكوكات من فضة الناموس والأدب.

كانت هذه الثروة مقدسة بمعنى لم يكن يطمع فيها أحد، ولو حدث وأراد فرد من السكان أن يأخذ جزءا من نصيبه أو نصيبه كله بمعنى أن يعطى شرفه للآخرين ليمارس أعمال الوضعاء أو ينفذ يده عن تحصيل المعارف أو ينفق ما يملكه من شرف وأدب على الملاهي والمحرمات ففي هذه الحالة كان يُمنع عن ذلك وكانت توقع عليه عقوبات مغلظة. فبهذه الثروة العامة كان كل فرد يستطيع فقط أن يكتسب الشرف والمعرفة والناموس والأدب، بمعنى أنه كان يجوز تبادل الثروة بشئ من نفس المكونات وكلما أحرز فرد المزيد منها يسدده إلى الخزانة العامة...

.....لنعود ثانية لحريتنا. ونرى من سلينا الشرف والناموس والأدب، من ذلك الكسول الجاهل المغرور الذي تسبب في حلول الغضب علينا فخرنا هذه الذخيرة الروحية وصرنا مبتلين بهذا الذل وتلك النكبة التاريخية على مدى قرون متعددة؟

إن المؤرخين غير المغرضين سيجيبون على كل هذا لأخلاقنا المحظوظين للتذكرة؛ ولكنى سأكتفى بإشارة مختصرة. فبعد أربع سنوات من جلوس ناصر الدين شاه أى بعد استشهاد أمير كبير، اقتضت سياسة البلاط واستقلال ذوى النفوذ إقصاء الرجال الحكماء الأكفاء عن مركز الحكم وإشراك الأراذل والجهلاء السوق والسماح لهم بالعبث واللهو بحيث لا تكون لديهم قدرة تتبع الأخطاء داخل الحكومة ولا إثارة الفتنة خارجها بمعنى عدم المقدرة على تنفيذ عمل صائب... ولكى تتوفر سلع للمقايضة فى سوق تجارة الأمة بدلا من الثروة المنهوبة قاموا بسك كميات وفيرة من عملة التملق والخيانة والإلحاد والوضاعة والخسة وقاموا بحفظها فى خزانة سوء الخلق. واستخدموا هذه الكفاءة فى سلب ونهب ثروة الأمة الروحية واستغلوها بمهارة أكثر لسلب ثروة الأمة المادية. فمعدن الذهب فى المملكة صار هباءً فجأة كأنه لم يكن، وبدلوا الفضلة بالنحاس، لدرجة أن فقر الأمة الإيرانية الروحية والمادى وصل إلى حد أنه لم يُكتب فى تاريخ الأمم حتى الآن عن حالة مشابهة، "وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".^(١)

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

٢- الحاج زين العابدين المراغى:

لابد لنا خلال الحديث عن الرواية النقدية أن نذكر أولاً الرواية السياسية "سياحتنامه إبراهيم بيگ يا بلاى تعصب أو" أى "كتاب سياحة إبراهيم بيك أو بلاء تعصبه" الذى حظى بشهرة واسعة فى عصره فكان يُقرأ فى كافة أرجاء إيران بولع شديد.

مؤلف هذا الكتاب الحاج زين العابدين بن المشهدى على، وكان والده من أثرياء التجار فى أذربيجان، وانضم زين العابدين فى وقت مبكر للأحرار والمؤيدين للإصلاح.

كان آباؤه من أكراد ساوجبلاغ (مهاباد حالياً) ومن أعيان تلك الناحية ممن يعتنقون المذهب الشافعى السنى، ولكنهم تشيعوا فيما بعد، وعملوا بالتجارة فى مراغة "وصاروا من أثرياء تلك الديار لامتلاكهم ثروة تقدر بخمسة آلاف تومان".

ولد زين العابدين عام ١٢٥٥ هـ.ق، والتحق بالمدرسة الابتدائية فى سن الثامنة وقضى بالمدرسة ثمانى سنوات وحظى بقدر بسيط من التعليم وفى سن السادسة عشر لازم والده ولما بلغ العشرين من عمره ذهب إلى أردبيل ومنذ ذلك التاريخ صار فى أردبيل ومراغة على حد قوله "من الأعيان، وأصبح من أصحاب الخيول والخدم والحراس المسلحين بالبنادق، كما امتنع عن دفع الضرائب وأخذ يتفاخر بمعاقبته لقطاع الطرق ومن يتناول بالألفاظ وكأنه حاكم أو رئيس عشيرة أو جلاد".^(١)

وعلى هذا النحو "استهوته الزعامة فكان ينفق أكثر مما يكسب، ولم يكن يسجل الأشياء على نحو صحيح أو يحسبها" وفى النهاية حلت عليه المشاكل من كل ناحية وصار من العسير عليه العيش فى إيران واضطر لمغادرة البلاد مع أخيه وتوجه إلى القوقاز برأس مال ضئيل مثل الكثير من التجار المفلسين فى ذلك

(١) ترجمة حال مؤلف: سياحتنامه إبراهيم بيگ، ج ٣ كلكتا ٩: ١٩م.

الزمان، وأقام في تفليس حاضرة ولاية الجرج (جورجيا) التي لم يكن يعيش بها أحد من الإيرانيين آنذاك، وجمع أثناء عمله بالبقالة على مدى أربع سنوات مبلغا من المال، وبالتدريج توافد إلى تفليس عدد من العمال الإيرانيين وعينه ميرزا أسد الله خان ناظم الدولة قنصل إيران في تفليس نائبا للقنصل في مدينة "كتايس".

ويقول بنفسه حول هذا الموضوع: ".... وفي ذلك الوقت صرت قنصلا وكبيرا للقوم وتاجرا أيضا، وصار من بين واجباتي رعاية المواطنين الإيرانيين الذين كانوا فقراء ومفلسين تماما، وأخذت أستخرج لهم بطاقات هوية ووفرت لهم متطلباتهم، من ملابس ومأكّل. وبعد فترة وجيزة اكتظ المكتب: وأخذ مني على خويّ مائة من^(١) وأخذ حسينقلي التبريزي سبعين منا، وفلان السلماي خمسين منا.... وسلبوني كل ما ادخرته على مدى عدة سنوات، ثم فر أحدهم، وألقى القبض على الآخر، ولعب أحدهم القمار ومرض الآخر..."^(٢)

الخلاصة أنه أفلس واضطر للذهاب إلى القرم، وهناك افتتح حانوتا، وكان أخواه يذهبون من حين إلى آخر إلى إسطنبول لشراء بعض البضائع وبيعها بسعر أعلى في القرم، حتى جمعا رأس مال لا بأس به في فترة وجيزة.

وفي عام ١٢٩٤ هـ. ق اشتعلت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وسافر الإخوة إلى "يالتا" المدينة الصيفية للإمبراطور، وهناك ازدهر عملهم وأخذوا في التعامل مع الأمراء ورجال البلاط والديوان، وقدمت إحدى الأميرات - وهي زوجة الأمير فرانسوف-^(٣) زين العابدين للإمبراطورة وعلا شأن الإخوة لدرجة أن أطلق عليهم "التجار الإيرانيون الأمناء". ثم طلب منه أن يوافق على التجنس بالجنسية الروسية ليحظى بامتيازات، فوافق على ذلك لإصرارهم ونظرا لما كان

(١) من: وزن فارس يختلف من منطقة إلى أخرى في إيران ومن عصر إلى آخر.

(٢) ترجمه حال مؤلف: سياحتنامه إبراهيم بيك، ج ٣، كلكتا ١٩٠٩ م.

(٣) كنياز ميخائيل سيمونو يتش (١٧٨٢-١٨٥٦ م) من القادة الروس الذين شاركوا في الحروب التي دارت بين روسيا ونابوليون وتركيا، وكان رجلا إصلاحيا.

قد لاقاه من أذى وإهانة من قبل القنصلية في إسطنبول، وصار مواطنا روسيا بعد أن أدى القسم. وبعد عدة سنوات تزوج في إسطنبول وحمل معه زوجته إلى يالطا ورزق منها بثلاثة أبناء وعاش لسنوات طويلة هناك في رغد من العيش.

ولكن حبه للوطن لم يدعه يشعر بالراحة للحظة فكان يعاتب نفسه دائما لشعوره بالخيانة تجاه دينه ووطنه ولأنه "وضع في عنقه طوق لعنة الجنسية الأجنبية"، وفي ذلك الوقت كان أخواه يتعرضون لظلم الحكام المستبدين بينما هو يعيش في راحة وهدوء في بلاد الغرب بعيدا عن النزاع السياسي وكان يشعر دائما بتأنيب الضمير.

وظل يصارع هذه الأفكار سرا لفترة إلى أن اتخذ قراره وباع حانوته وما به من بضائع بثمن بخس، وسافر إلى إسطنبول، وترك بها أسرته وتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج. وكان الحاج زين العابدين يعيش في إسطنبول حاملا الجنسية الروسية وفي النهاية قدم طلبا للحكومة الروسية وذلك عن طريق ميرزا محمود خان عليو الدولة سفير إيران في الدولة العثمانية، وكان يبدو هذا الأمر في البداية عسيرا ولكن الأمير أرفع الدولة تمكن من تحقيقه، وقبل الطلب بعد فترة في التاسع من فبراير عام ١٩٠٤ (ذى القعدة ١٣٢١ هـ) وهو اليوم الذي نشبت فيه الحرب الروسية اليابانية.

وقرر الحاج زين العابدين الاستقرار في تركيا وناضل نضالا سياسيا في سبيل خدمة وطنه بشغف كبير عن طريق الكتابة.

واعترف بنفسه أنه "لم يقرأ كتاب المعاني أو البيان أو المنطق أو البرهان ولم يطلع على العلوم والآداب" ولكنه كان على كل حال رجلا متعلما قارئا ومطلعا على الأوضاع في عصره ومن الوطنيين الساعين في سبيل الحرية، وخلال إقامته في تركيا كان يساهم في صحيفة "شمس" الصادرة في إسطنبول بمقالات نافعة وكذلك في صحيفة "حب المتين" الصادرة في كلكتا إلى أن توفي في إسطنبول عن عمر يناهز الثالثة والسبعين.

كتاب سياحة إبراهيم بيك:

يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء مستقلة تماما وصدر المجلد الأول دون ذكر اسم مؤلفه الذي ظل مجهولا لمدة اثنتى عشرة سنة، بل إن البعض كانوا يلمحون إلى نسبة الكتاب إليهم. وبناء على هذا تم القبض على عدد من الأشخاص وملاحقتهم من قبل رئيس الوزراء ميرزا علي أصغر خان بتهمة تأليف ذلك الكتاب "وكان الكاتب يتألم ويتعذب باستمرار لإلحاق الأذى والضرر بعبيد الله بسببه، ولأن أبناء وطنه الأبرياء يتعرضون للإيذاء جراء عمل قام به بعقيدة صادقة ونية حسنة".^(١) وبعد إقرار الدستور نشر في الجزء الثالث اسم الحاج زين العابدين المراغى التاجر في إسطنبول.

و"لم يصدق الناس أن يكون مثل هذا الكتاب القيم نتاج تاجر بسيط، وقال بعض الأعداء إن من قام بتأليف المجلد الأول وطباعته ميرزا مهد يخان المحرر بصحيفة "اختر" وإن الحاج زين العابدين ألف الجزأين الثانى والثالث بعد وفاة ميرزا مهديخان ونسب الأجزاء الثلاثة لنفسه".^(٢) ولكن هذا الرأى غير مقنع، فالجزءان الثانى، والثالث اللذان من تأليف الحاج زين العابدين بلا أدنى شك لهما دليل على اطلاع الكاتب وغازرة معرفته.. ولكن من الممكن أن يكون ميرزا مهديخان أو كاتب مطلع آخر قد قدم المساعدة للحاج زين العابدين وهذا لا يقلل من قيمة جهد الحاج المذكور".^(٣)

إن مؤلف كتاب السياحة اللبيب كان مدركا تماما لدوره الخطير سواء من حيث اختيار الموضوع أم من حيث أسلوبه الإنشائى. فيقول فى مقدمة الجزء

(١) ترجمة حال مؤلف: سياحتنامه، ج ٣ كلكته ١٩٠٩م.

(٢) حتى أنه يقال (إن أصل الكتاب باللغة الإنجليزية وإن ميرزا مهديخان ترجمه إلى الفارسية بعد تعطيل "اختر" ونظرا لعدم مقدرته على طبع الكتاب فقد تعهد الحاج زين العابدين التاجر المراغى بدفع تكاليف الطبع). (تاريخ جرايد ومجلات تأليف محمد صدر هاشمى ج ١، ص ٦٤).

(٣) أحمد كسروى: تاريخ مشروطه ايران، ج ١ ص ٤٦.

الثالث: "... ليعلم كل الخيرين والأشرار أنه قد آن الأوان لكن تُذكر أسماء المحسنين بإحسانهم وأسماء المسيئين بإساءاتهم، وبعد ذلك تقيّم الأمة كل إحسان وكل إساءة وتدون في صفحات تاريخ الأمة نتيجة كل عمل للتذكرة... وهذا النوع من الكتابة فرض عين على كل مؤلف وفقا للشرع كي يسلك المفسدون الطريق المستقيم فإن لم يكن لديهم رغبة في ترك ما ألفوه فعلى الأقل سيقفلون لا محالة من أعمالهم السيئة.... وحتى الآن لم يُكتب في وطننا العزيز عن هذا النوع من الموضوعات ولم يتحدث فرد عن الوطنية ولم يحزر أحد موضوعات مفيدة بأسلوب يبسر للعامة الاستفادة منها طبقا لمتطلبات العصر. فكل ما كُتب يدور حول هوس عشق البلبل للزهور والفراشة للشمع أو إبراز فضائل المؤلف أو مدح ممدوح لا يستحق المدح... ليعلم المواطنون أنه يوجد عشق آخر أيضا غير عشق المجنون لليلي وفرهاد لشيرين ومحمود لإياز الذي لم يتناول الأدباء والشعراء الإيرانيون المشهورون سواه في كتبهم وقصائدهم..." ثم يضيف: "إن الكتابة غير المتكلفة من متطلبات العصر. فيجب على الأدباء الإيرانيين البارعين في الكتابة والإتشاء أن يقدموا للخاصة والعامة مفهوم الوطنية من الآن فصاعدا بكلمات واضحة وعبارات بسيطة نظما ونثرا، ويؤسسوا أسلوبا بسيطا في الكتابة ويشجعوا على استخدامه".

وفي النهاية يضرب مثلا^(١) للاستدلال ويناشد الكتاب والعلماء قائلًا: "يا أصحاب القلم والمعرفة، إن هذه الكتابة قالب أجوف بلا روح فعليكم أن تكسبوها روحا حتى تبعث فيها الحياة!".

(١) يقول المثل: سافر نجار وخياط وعابد معا، ووصلوا في ليلة مظلمة إلى مكان مخيف، فاتفقوا على أن يظل كل واحد منهم مستيقظا جزءا من الليل، وكانت نوبة الحراسة الأولى للنجار، فصنع هيكلًا من الخشب، أما الخياط فصنع رداءً يناسب ذلك الهيكل وفي النوبة الثالثة دعا العابد ربه فبعث الروح في ذلك الهيكل الذي لا روح فيه.

أما كتاب السياحة فيدور موضوعه عن إبراهيم بيك بطل القصة وهو ابن تاجر آذر بيجانى كبير، كان قد سافر إلى مصر للتجارة منذ خمسين عاما (قبل تأليف الكتاب)، وكون فى فترة وجيزة ثروة كبيرة. ولم يتخل هذا التاجر الأمين الصادق مطلقا عن التقاليد الشعبية و "لشدة تعصبه العرقى لم يتحدث مع أحد بكلمة عربية لعدة سنوات بل إنه لم يرغب فى تعلم العربية". ولما بلغ إبراهيم عامه العشرين مات والده.

وكان شابا لبيبا غيورا عفيفا متدينا ومتعصبا، تعلم اللغات الأجنبية فضلا عن لغته الأم وكذلك العلوم الشائعة آنذاك. وأوصاه والده فى لحظات حياته الأخيرة أن يقوم بالسياحة فى كل أنحاء العالم حتى سن الثلاثين ويقيم فى كل مكان فترة من الوقت ويتابع بدقة الأوضاع المعيشية لجميع سكان تلك الدول.. وأن يدون فى مفكرته تاريخ وصوله إلى كل بلد يسافر إليها وتاريخ مغادرته لها فضلا عن كافة مشاهداته اليومية إلى أن "يحين الوقت لاستخدامها".

وفى الثامن عشر من شهر... بعد انقضاء ساعتين من النهار يتوجه إبراهيم بيك برفقة مربيه العم يوسف من مصر إلى الإسكندرية "ميناء بر مصر"^(١) بالقطار بغرض زيارة مشهد المقدسة ووطنه، وينتقل من هناك إلى إسطنبول ومنها إلى باطوم وتفليس وباكو وانزلى وسارى ومشهد سر^(٢) وأوزون آدا وعشق آباد وأخيرا يصل إلى مشهد.

وعند وفود الرحالة الشاب إلى منزل المؤلف (الحاج زين العابدين) فى إسطنبول يرى بين كتبه نسخة من "كتاب أحمد" فيحمله ليسلى نفسه بمطالعة أثناء الطريق، وبعد قراءته للكتاب أثناء الطريق واطلاعه على موضوعاته ينفعل بشدة

(١) منذ أن وصل إبراهيم إلى سن الإدراك لم يتلفظ باسم الإسكندرية بسبب غزو الإسكندر لإيران وتدمير الكثير من مظاهر العمران فى تلك الدولة وإحراقه مدينة استخر عاصمة إيران القديمة وقتل دارا.

(٢) بابلسر الحالية.

لأن مؤلفه طالبوف يتهم الإيرانيين نتيجة جهله بأوضاع إيران أو السهو والخطأ أو الغربة عن الإيرانيين. ويكتب في رسالته إلى مضيفه عن كتاب أحمد: بالرغم من أن مؤلف الكتاب يبدو رجلاً عالماً وفاضلاً وعبر عن الكثير من الموضوعات الرئيسية والمهمة ولكنه كتب عن أوضاع إيران بالتلميح والإشارة ويتضح مما كتبه أنه إما لا يعلم شيئاً عن إيران أو أنه أخطأ أو أنه ليس منا^(١).... ولكنه ما إن يصل إلى باطوم يرى عدداً غفيراً من الإيرانيين في حالة مزرية للغاية، ملابسهم رثة ممزقة، ووجوههم شاحبة تعبر عن الوهن، ويخبره مواطن يدعى على اللنكراني أن كافة مدن ومراكز وحتى قرى القوقاز مكتظة بأمثال هؤلاء الإيرانيين الذين غادروا وطنهم نتيجة تطاول الحكام وظلم الأمراء والعمد والخفراء، فملأوا بلاد الروم وروسيا والهند ويعملون طوال النهار تحت حرارة الشمس وحتى المساء في السخرة وحمل الطين ونقله. فيصاب بالدهشة ويسيطر عليه الحزن لأول مرة.

يطرق بطل القصة كل الأبواب في طهران ويسأل كل الرجال فلا يصل إلى نتيجة ويجد الجميع غارقين في خدر الثمالة غافلين عن عالم الوجود ويعتزم العودة يائساً محبطاً، ويصل إلى تبريز بعد زيارة مدن قزوین وأردبیل ومراغة وبناب وأرومية، ثم ينتقل منها إلى مرند على شاطئ نهر آرس ومنها إلى باخوم ثانية ويعود في النهاية إلى مصر.

ويسجل إبراهيم بيك تفصيلاً ما رآه وما حل به خلال رحلته الطويلة، وينتقد كافة أوضاع الدولة من خلال هذه الأحداث، وبعد الانتهاء من ذكر رحلته في كل مدينة أو مكان يذكر خلاصة عن أوضاع وأخلاق وعادات أهل ذلك المكان وما يعانونه من مشاكل تحت عنوان "وهذا مجمل لسياحة قزوین أو مراغة أو غيرها" ويختمها غالباً بعبارة "موتى أحياء، أحياء موتى!"

(١) من الواضح أن المؤلف قرأ مؤلفات طالبوف أو على الأقل "كتاب أحمد" واستفاد منها ويذكره في كتاب السياحة بإجلال بلقب "الحكيم يقظ الضمير" و "الرجل الجليل".

وعلى هذا النحو يصف بلغة سهلة وأسلوب مؤثر مشحون بالأسى كل ما رآه في العاصمة وسائر المدن من جهل الأهالي وفقرهم وتسولهم وهوسهم بأمور تافهة غثة، وتدليس الملالي، وجور الحكام وسرقاتهم وحصولهم على الرشاوى، وغفلة الحكومة وتسبيها، وتدهور شئون المدارس والكتاتيب، وغياب القانون والعدل وسيطرة السياسات الاستعمارية المخربة للدولة وأشياء من هذا القبيل، ويستغل بعض المواقف ليوصى المواطنين ببعض الإصلاحات مثل جعل المصارف مركزاً لجميع الشئون المالية والاقتصادية في الدولة، وتطوير الصناعات الوطنية، ونشر الثقافة والحيلولة دون النفوذ الأجنبي وغير ذلك.

ويعد كتاب سياحة إبراهيم بيك في الواقع دائرة معارف جامعة لأوضاع إيران في أواخر القرن الثالث عشر الهجري كتبت بأسلوب ناقد لاذع وجري.

"يدرك قيمة هذا الكتاب أولئك الذين قرأوه تلك الأيام ويذكرون الرجفة التي كانت تصيب القارئ... وكأن جمعا غفيرا من الإيرانيين قد أفاقوا من نوم الغفلة من جراء قراءة هذا الكتاب، ونهياؤا للسعى في سبيل رفعة الدولة وانضموا إلى المناضلين الآخرين".^(١)

قيل إن الجزء الأول من كتاب السياحة ربما يكون المؤلف قد طبعه طبعة مصورة في القاهرة، ثم طبع عام ١٨٨٨م طباعة حجر في إسطنبول.^(٢) وتم تأليف الجزأين الآخرين بعد ذلك بفترة، وليس لهما قيمة ومكانة الجزء الأول فقد فاقهما من حيث التأثير السياسى والاجتماعى.

ويتناول الجزء الثانى عودة إبراهيم إلى مصر ويشرح قصة عشقه وموته من جراء حزنه على الوطن ويخلو هذا الجزء تماما من أسلوب السخرية ويخيم عليه الأسى والحزن.

(١) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، ج ١.

(٢) قد طبع هذا الجزء والجزءان الآخران بعد ذلك في كلكتا ولاهور وبمباى وإسطنبول عدة مرات، وترجم الجزء الأول عام ١٩٠٣م ١٣٢١ هـ.ق للألمانية تحت عنوان "Reisebuch des Ibräim beg" ثم ترجم للروسية في موسكو عام ١٩٦٣م.

ويدور الجزء الثالث عن رؤيا العم يوسف مريى إبراهيم بيك المسن، ويشرح خلالها رحلته إلى الجنة والنار وهذه الرؤيا تشبه فى الحقيقة رسالة الغفران أو الكوميديا الإلهية، ولكن الجنة والنار فى كتاب السياحة إيرانيان وأهلها إيرانيون، ومن خلال أصواتهم المعبرة عن السرور والمواساة المتزامنة مع الصرخات المهيبه يتولد نقد سياسى ساخر.

فكتاب سياحة إبراهيم بيك نقد دقيق للتقاليد الإيرانية القديمة وأخلاق الإيرانيين وعاداتهم المذمومة من خلال رسم لوحات حية ودقيقة وصادقة، وقد أثر هذا الكتاب كما نعلم تأثيرا كبيرا فى البناء الأدبى والاجتماعى المستقبلى فى إيران.

ويُعد الكتاب أول رواية اجتماعية فارسية تتميز بالأصالة على غرار الرواية الأوروبية، حيث تصور حياة الإيرانيين كما كانت، ومن هذا المنطلق فهى تشبه إلى حد كبير رواية "نفوس مينة" لنيكول جوجول الكاتب الروسى العظيم. ولا يعقل أن المؤلف قد اطلع على عمل المؤلف الروسى غير المكتمل، ولكن من المؤكد أن الأعمال الكلاسيكية الروسية قد أثرت كثيرا فى تأليف هذا الكتاب، وأن المؤلف قد تعلم منها أسلوب نقد الحياة الاجتماعية والكشف عن عيوب المجتمع وتصوير الأوضاع فى عصره.

وتحتل سيرة البطل المرتبة الثانية فى هذا الكتاب من حيث الأهمية، فالهدف الأصلي للكاتب رسم وتصوير مشاهد عن الحياة فى الدولة والاعتراض على كل الأمور التى تستحق ذلك فى الواقع. ولم يتحقق هذا الهدف للمؤلف بسهولة ويسر فبطل القصة يسلم الروح من جراء آلامه الناتجة عن عشقه للوطن، ويصاب المؤلف نفسه تدريجيا بالحزن والأسى بعد أن كان قد بدأ عمله ساخرا، فخرى الشعب الإيراني الناجم عن التعاسة والفقر يمزق قلبه، ورغم ذلك يكمل فى سبيل خدمة الوطن قصته المحزنة المفجعة التى كتب بعض أجزاءها بدمائه.

وتفوق قيمة الكتاب السياسية والاجتماعية قيمته الأدبية، فهو يحتوى على

الكثير من العيوب الفنية والأدبية فتصاعد الأحداث بطيء وغير منطقي وخاصة في الجزأين الثاني والثالث، ويبدو أحيانا في صورة تقريرية، وعلى الرغم من أن الكتاب قد كُتب بأسلوب بسيط سلس غير متكلف بشكل عام فإنه لا يقارن مطلقا بمؤلفات طالبوف التي كُتبت بأسلوب أدبي.

ويبدو جليا في هذا الكتاب أيضا أسلوب الأتراك الناطقين بالفارسية مثلما نلاحظ أيضا في مؤلفات طالبوف كما أثرت إقامة المؤلف الطويلة في روسيا وتركيا على أسلوب تحرير كتاب السياحة من حيث استخدام كلمات روسية وتركيبية عن لهجة أهالي إسطنبول.^(١)

ولكن بالرغم من تلك المآخذ ورغم طول القصة فإن كتاب سياحة إبراهيم بيك يعد كتابا مهما ووثيقة فريدة للتعرف على أوضاع إيران في ذلك الزمان.

وها هي نماذج من كتاب السياحة:

"قال سائق العرببة: تلك الناحية تشير إلى إيران وهذه الناحية تشير إلى روسيا. فقلت له: يجب التوقف لبرهة. فأريد أن أفعل شيئا. فقال: اصبر؛ فالماء قريب فلتنزل هناك، ظنا منه أنني أريد شيئا آخر. فقلت: لست في حاجة إلى الماء فأنا أرغب في التراب. فأوقف العرببة ونزلت، وحملت حفنة من ذاك التراب وقبلته وشممتة ومسحت به على عيني. وقلت: أيتها التربة الطاهرة يا كحل الجواهر للعين الدامعة؛ حمدا لله أن رأيته وأنارت عيني برويتك. فأنت مأمّن المحتاجين ومقبرة أجدادي. وأنت التي أوليتنا بالرعاية في مهد نعمتك فنشأنا وكبرنا في رفاة وعزة.

(١) مثل: قول كشيدن (امضا كردن - ويزا كردن)، دريند (كوچه بن بست)، عجا (آيا)، معيت (ملتزمين ركاب)، كانتور (دفتر تجارتخانه)، عرض لشكري (رژه ومانور نظامی)، مكاتب رشديه (مدارس متوسطه يا دبیرستان)، واپور (كشتی بخار)، پساپورت (پاسپورت، گذرنامه) سيغار (سیگار)، سرخك (ساز)، فوطه (لنگ)، بيع من يزيده (مزایده - حراج)، باتاريه (عراده توپ)، زاكون (قانون)، الوقات (آوكا، آبوكات، وكيل دعاوى)، وبرگو (مالیات).

ونحن لا نملك إلا محبتك، وبإلها من محبة سامية ورفيعة فهي هو مشرع الإسلام المقدس عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التحيات جعل حبك مساويا للإيمان إذا ما وزن بميزان الولاء. فأى قول أقوله في وصفك ليليق بمكانتك السامية!!.... الخلاصة أجهشت بالبكاء وسال الدمع من عيني بعفوية على ذلك التراب الطاهر. وبكيت فرحا لتحقيق مراد قلبي الحزين، وأعلم أن لذة ذلك البكاء ستظل قابضة في شغاف قلبي حتى النفس الأخير. وفي النهاية نظر إلى سائق العربة حائرا. وقال مندهشا في النهاية: أحسنت يا سيدي، فمنذ سنوات وأنا أتردد على هذا الطريق وأنت أول من أراه يقدس تراب الوطن. لقد تأثرت بذلك للغاية. فأنا من أهائي كنجته، ومولع مثلك بتراب الوطن. لقد أصيبت مملكتنا بالنعاسة من جراء لا مبالاة أسلافنا. فكما تعلم "يعلو صوت الناقوس بدلا من صوت المؤذن". ما العمل؟ لو كانت حكومة إيران حكومة بحق لسنّت القوانين وأرست النظم وحققت المساواة، ولما باعت الرعية للحكام بثمن الحيوانات، ولما فرضت علينا قطعا تدخل الأجانب الذين يعارضون كل مصلحة لنا، ولهاجرنا إلى إيران.....". (١)

"... وفجأة ارتفع من ناحية أخرى صوت يقول ابتعد. كانوا يصيحون من كل ناحية: تقدم، قف، ارتد العباءة! نظرت إلى تلك الناحية في حيرة تامة، فرأيت شابا فارعا القامة طويل الشارب يتقدم ممطيا جواده، ويسير على جانبيه ثلاثون أو أربعون شخصا في طابور عسكري حاملين عصي طويلة، وفي مقدمتهم رجل ذو رداء أحمر؛ قبيح الوجه، وخلفه فرقة من عشرة أو عشرين فارسا.

فسألت السيد رضا ما الأمر؟ فقال: حاكم المدينة ذاهب للصيد. ثم قال لي قف منتصبا وعند مروره أد له مراسم التحية والتبجيل مثلما يفعل الآخرون. وعندما نظرت بإمعان رأيت الناس في كل الجهات يسجدون، دون أن يلتفت لهم كبيرهم. حيث يفتل شاربته عن اليمين وعن الشمال. فقلت: ماذا لو لم أؤد التحية؟ قال: إن من يصطفون حوله من الخدم يعرفون ماذا يفعلون بعصيتهم. هل مللت الحياة؟! قلت: لا،

(١) سياحتنامه: ج ١، طهران ١٣٤٤ ش، ص ٣٣.

فعندى آلاف الأمنيات. فوقفنا منتصبين فى أدب جم وانحنينا فى تواضع شديد عند اقتراب الحاكم. كاد أن يحل بنا البلاء ولكن الأمر مضى على خير وتعجبت بشدة لأنه لم يكن قد مر بى موقف كهذا حتى ذلك الوقت. فقلت: أهذا حاكم مدينة فى إيران! إن حاكم مدينة لندن التى يسكنها سبعة ملايين نسمة، يمشى فى كل مكان بمفرده ولا يعيره أحد اهتماما. ما شاء الله أيتمتع حاكم مدينة صغيرة عندنا بهذا القدر من الإجلال ولديه كل هؤلاء الحراس! أهذا حال المملكة! وأضفت: يا سيد رضا، من أين يأتى الحاكم برواتب كل هؤلاء الحراس؟ فقال: ليس لهم رواتب. فسألته: إذن ماذا يأكلون؟ فأجاب: يطوفون بالشوارع والأسواق من الصباح حتى المساء وكلما وجدوا اثنين يتعاركان يحملونهما إلى كبيرهم. فإذا كان العراك لسبب نأفه يأخذون تومانيين لكبير الحراس وخمسة قرانات لنائبه وقرانين أو ثلاثة لأنفسهم، ثم يأخذون لهما بالذهاب. وكلما جاء من يتقدم بعريضة من القرى، يكلف واحد أو اثنان من هؤلاء الفرسان بالسلب والنهب. فإذا تطور العراك إلى حد ما، يكلف بإنهاء الأمر واحد من رؤساء الخدم أو من متعهدى الخيول الملكية أو من المسلحين بالبنادق أو واحد من متعهدى سقاية الأمير، فيأخذ مائة أو خمسين تومان غرامة للأمير وعشرة أو عشرين تومان لنفسه إكرامية.. فتسمرت مكاني لسماع هذا الكلام وعزفت عن السياحة. وقلت لنفسى: ليتنى كنت أعمى أصم ولم أر هذا المشهد ولم أسمع هذا الكلام! فقد تحملت المشقة وأنفقت المال لأصيب نفسى ببلاء عظيم".^(١)

"فى اليوم التالى ذهبت فى الظهر إلى مسجد صلاة الجمعة الواقع على مقربة من رباط القوافل الذى ننزل فيه كى نصلى. ومساحة هذا المسجد من الداخل عبارة عن مدرسة للطلاب وفى وسط صحنه عين من الماء الصافى. توضأت من جديد ودخلت المسجد، فرأيت كما كبيرا من البطيخ قد وضع فى جانب من ذلك المسجد العظيم. فحزنت لهذا المشهد. ونظرت إلى الناحية الأخرى فرأيت شخصين جالسين. تقدمت وسألت أحدهما: سيدى، لمن هذا البطيخ؟ أجاب: لى. فسألته: من

(١) سياحته: ج ١، ص ٤٣.

صاحب هذا الدكان؟ فأجاب: يا مؤمن ألا ترى أن هذا مسجد وليس دكانا، وعدا ذلك؛ هل رأيت دكانا كبيرا إلى هذه الدرجة؟! فقلت: إذن من صاحب المسجد؟ فأجاب: لا يمكن أن يكون للمسجد صاحب؛ فهو بيت الله. فقلت: كم تدفع للإيجار؟ قال: لا شيء. فقلت: وهل يرضى الله أن تتخذ من هذا المكان الطاهر مخزنا مجانيًا للبطيوخ كي تبيعه؟ فأجاب: وما علمي! فقلت: سيدي، ألا تحشى الله لأنك اتخذت مخزنا للبطيوخ من المكان الذي جعله الله لعبادته فرض احترامه على الجميع وألزم كل مسلم اتباع شروط معينة عند دخوله والخروج منه!! فعملك هذا انتهاك لحرمة المسجد والدين والشريعة. هل رأيت المسيحيين يبيعون البطيوخ في كنائسهم أو سمعت عن هذا؟! ألا تخجل أمام الله ورسوله!.

لقد شيد هذا المكان رجل مسلم كي يجتمع فيه سائر المسلمين ويذكروا اسم الله ويقدموا الوعظ والنصيحة للناس ويعلموهم المسائل الشرعية الضرورية ويسألوا الله المغفرة لأموال المسلمين، والرفعة للإسلام والنصر على أعداء الدين لسلطان المسلمين، والاتحاد للمسلمين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ورفع الشقاق والخلاف عنهم "ألا يوجد في مدينتك علماء يخشون الله؟ لماذا لا يحظرون ارتكاب هذه الأفعال المشينة التي تنتهك حرمة الإسلام وتخالف الشريعة الإسلامية؟ ماذا سيقولون يوم القيامة وعند السؤال؟ يا الله، أين أبحث لهذه الآلام المبرحة عن نواء!! لا أعرف أي ذنب عظيم ارتكبته لأعاقب عليه بوقوعي فريسة لهذا البلاء؛ فمع كل خطوة أخطوها يسرع لاستقبالي بلاء جديد! كيف يكون هؤلاء مسلمين؟! آه ألا لهذا اليوم من غدٍ يعقبه!"^(١)

٣- ميرزا ملكم خان:

كان البرنس ملكم خان ناظم الدولة من أرمن حي جلفا بأصفهان. ولد عام ١٢٤٣ هـ. ق لأب يعمل في النحت يسمى يعقوب. ويقال إن السيد يعقوب قد أسلم في شبابه، ولأنه كان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية فقد عمل مترجما في السفارة

(١) سياحته ج ١، ص ١٤٢.

الروسية بطهران وكان على علاقة وثيقة بصدر إيران الأعظم ميرزا آقا خان نوري.

سافر ملكم إلى فرنسا في العاشرة من عمره^(١) وبعد اجتياز مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة العلوم السياسية، ودرس أيضا الإلهيات والهندسة وعمل كذلك في مجال الحقوق السياسية وعاد عام ١٢٦٨ هـ.ق إلى إيران.

واكبت عودة ملكم إلى إيران افتتاح دار الفنون، ونظرا لأنه ترعرع في أحضان الآداب الإسلامية ودرس اللغة الفارسية دراسة وافية فقد عُين مترجما للمعلمين الوافدين من النمسا، كما عين مترجما لناصر الدين شاه ومستشارا للصدر الأعظم ميرزا آقا خان نوري.

وفي عام ١٢٧٣ هـ.ق صار مهندسا بدرجة أركان حرب ومترجما خاصا لسفير الدولة العلية الإيرانية في إسطنبول.^(٢)

وفي نفس العام بُعث إلى بلاط نابليون الثالث مترجما ومستشارا للوفد الممثل لإيران عندما دب الخلاف بين إيران وإنجلترا حول هراة واحتلال بوشهر، وتوجه فرح خان أمين الملك غفارى إلى باريس لإبرام اتفاقية الصلح.

أعد ملكم بعد عودته من تلك الرحلة رسالة تسمى "كتابجة عيبنى يا دفتر تنظيمات" أى "الكتيب العيبنى أو دفتر التنظيمات" وتضم موضوعات عن أصول الحكم، وقدمها إلى البلاط. وفي العام الأخير من صدارة ميرزا آقا خان نوري ١٢٧٤ هـ.ق أسس في طهران محفلا سمي بـ "بيت النسيان" الذى كان يُعتقد فى البداية أنه فرع للتنظيم الماسونى الفرنسى.^(٣) وكان المحفل المذكور يعقد بشكل

(١) من الرسالة التى كتبها ملكم إلى ميرزا نصر الله خان مشير الدولة والمؤرخة بالثلاثين من صفر ١٣٢١ هـ.ق. فريدون آدميت، فكر آزادى ص ٩٤.

(٢) سالنامه منتظم ناصرى.

(٣) عُرف بعد ذلك أن ملكم لم يحصل مطلقا منذ البداية على تصريح من قبل محافل الشرق

سرى فى منزل الأمير جلال الدين ميرزا بن فتحعلى شاه مؤلف "تاريخ جلالى: التاريخ الجلالى" و "تامة خسروان: رسالة الأكاسرة" فى حى من أحياء جنوب طهران وهو "مسجد حوض". وكما ذكرنا كان يسمى هذا المحفل بـ "بيت النسيان" لأنه كان على أعضائه أن ينسوا كليةً خلال حياتهم العادية كل ما رأوه أو سمعوه فى المحفل. وكان ملكم قد حصل على تصريح بتأسيس "بيت النسيان" من الشاه، وشاركه فى هذا العمل بعض رجالات إيران مثل ميرزا على خان أمين الدولة وميرزا يحيى خان مشير الدولة شقيق سپهالار وميرزا محسن خان مشير الدولة، ومن كبار رجال الدين الحاج ميرزا هادى نجم آيادى وجمع من رجال الديوان والأمراء وخريجى دار الفنون والطلاب الذين سافروا لأوروبا. وبهذا اللبف الذى كان يشكل الأقلية المستتيرة تكونت حول ملكم مدرسة من المستتيرين الأحرار. وكان الشعار الأصلى للمحفل المذكور الذى كان يعقده ملكم تحت اسم "جامعة آدميت: مجتمع الإنسانية" هو "إصلاح البشرية عامة والشعب الإيرانى خاصة". وتعرف أعضاء "بيت النسيان" تدريجيا على الروح الأوروبية وأفوها عن طريق الرسائل التى كان يكتبها ملكم منتقدا الأوضاع والتى كان يقدمها لهم ولسائر الناس، وكانت بالتأكد تُعرض على الشاه، ووصلوا أخيرا إلى نتيجة وهى ضرورة بذل كافة المساعى لإقرار النظام الدستورى فى إيران.

ومن الواضح أنه لم يكن من الممكن أن يستمر مثل هذا التنظيم فى عهد الاستبداد. وحامت الشبهات حول ملكم بأنه يروج للفكر الجمهورى، و "ثار عدد من الأمراء على الحكومة وتسببوا فى إثارة مخاوف شديدة لدى الشاه. فأصدرت الحكومة أمرا بالقبض على فريق من أصحابه. وفر فريق آخر، واحتفى فريق

=العظمى واسكتلندا لاتخاذ هذا الإجراء، وفى الحقيقة أنه استغل من تلقاء نفسه كلمة الماسونية فى إطار "بيت النسيان" لتأسيس المحافل السياسية، بعبارة أخرى كان هذا العمل غير مصرح به. وقد أسس أول محفل ماسونى فى إيران فى ١٧ صفر ١٣٢١ هـ.ق باسم "محفل الحرية" وكان شعبة للتنظيم الماسونى فى فرنسا.

بالمزارات المقدسة. (١) "وفي يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني ١٢٧٨ هـ.ق نشر بيان في "روزنامه دولتي: الصحيفة الحكومية" يفيد حظر لفظ "بيت النسيان" وبهذا انتهت أنشطة المنظمة المذكورة في إيران.

ومن المعروف أن وزير روسيا المفوض المقيم في طهران أرسل تقريراً إلى بطرسبورج يشرح فيه تأسيس هذه التنظيم وأعماله وكتب القيصر الروسي ألكساندر الثاني بخط يده إلى ناصر الدين شاه أن "المحفل السري معاد لك ولي، والقضاء عليه في صالح الدولتين". "على كل حظر نشاط المحفل المذكور وفر إلى آسيا الوسطى ميرزا يعقوب خان الذي كان قد اعتبر المؤسس والمحرك الأصلي له. (٢) وحمل ملكم بعد فترة إلى خانقين تحت الحراسة بسبب مواصلته الأعمال المنادية بالحرية ومعارضته سياسة ميرزا محمد خان سيهالار، وهناك أطلق سراحه. (٣)

ذهب ميرزا ملكم بدايةً إلى بغداد ومنها إلى إسطنبول، وعمل في وزارة الخارجية التركية براتب شهري أربعين ليرة. ولكن لم تمض فترة طويلة حتى عين ميرزا حسين خان مشير الدولة سفيراً لإيران في إسطنبول، فجعله مستشاراً له وأرسله في جمادى الآخرة عام ١٢٨٠ هـ.ق قنصلاً عاماً لإيران في مصر، ثم استدعاه ثانية إلى إسطنبول.

تردد ملكم في تلك الفترة التي أمضاها بإسطنبول على المحافل الأدبية والاجتماعية الجديدة في تركيا، وانضم إلى الحركات الإصلاحية التي كان يدعمها انباشوات الأتراك كامل باشا وعالي باشا وفؤاد باشا، وألف رسالتي "مبدأ ترقى: أساس التقدم" و "الشيخ والوزير".

(١) ميرزا إبراهيم خان نواب بدايع نكار: رسالة عبرة الناظرين (نقلاً عن خان ملك ساساني: سياستگران دوره قاجار).

(٢) عاش عدة سنوات في إسطنبول ومات عام ١٢٩٨ هـ.ق في تلك المدينة.

(٣) في ذلك الوقت أبعد ميرزا محمد خان سيهالار عن إيران جماعة من أصدقاء ملكم والمستبشرين المعارضين بتهمة الإلحاد، كان من بينهم ميرزا حبيب الأصفهاني المتخلص بـ "دستان".

وفى عام ١٢٨٨ هـ ق غادر ميرزا حسين خان مشير الدولة إسطنبول وعاد إلى إيران، وبعد توليه الصدارة بأربعين يوما استدعى فى التاسع والعشرين من شعبان من ذلك العام ملكم من إسطنبول، وعينه مستشارا للصدر الأعظم وحصل له من الشاه على لقب "ناظم الملك" ووسام وتمثال ملكى من الدرجة الأولى.

وفى جمادى الأولى عام ١٢٨٩ هـ ق تم توقيع امتياز رويتر الشهير الذى يعد وفقا لقول اللورد كرزن "أعجب امتياز تقدم بموجبه الحكومة كافة ثرواتها إلى رجل أجنبى"، وبعد عشرة شهور تقريبا أى فى صفر فى عام ١٢٩٠ هـ ق توجه ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا، وقبيل بداية الرحلة أرسل ملكم إلى لندن تقديرا لخدماته المهمة التى كان قد قدمها فى سبيل إعداد وثيقة امتياز رويتر، وذلك من أجل عمل الترتيبات لرحلة الشاه إلى أوروبا فضلا عن تسليم نسخة من الامتياز للبارون رويتر والتمهيد لتنفيذه.^١

وفى عام ١٢٩٥ هـ ق عين وزير إيران المفوض فى بلاط لندن وفينا وبرلين، وفى رحلة الشاه الثانية إلى أوروبا عُين نائبا مفوضا لإيران فى مؤتمر برلين، وبعد إنجاز هذه المهمة عُين سفيرا وحصل على لقب "السيد الأشرف" وتصريح على أن يخاطب بلقب "البرنس".^(١)

وبعد موت ميرزا حسين خان وتعيين مستوفى الممالك، دُبرت مكائد لعزله، ولكنه بادر بإخبار الشاه عام ١٢٩٩ هـ ق، وبعد فترة عُين سفيرا فى ألمانيا وهولندا فضلا عن كونه سفيرا لإيران فى بلاط إنجلترا، ومُنح لقب "ناظم الدولة"^(٢). وتروى عنه خلال هذه الرحلة حكايات وقصص عجيبة.

(١) يقول معتمد الدولة فرهاد ميرزا -الذى كان من المرافقين للشاه- فى رسالة أرسلها من لندن إلى طهران: "إن هذا الحقير الأرمنى يدعى أمام الأوروبيين فى وقاحة تامة أنه من أحفاد الملوك الأشكانيين، ولقب لنفسه بلقب برنس"، نقلا عن خان ملك ساسانى فى كتابه سياستگران دوره قاجار.

(٢) اعتماد السلطنة، منتظم ناصرى، أحداث عام ١٢٩٩ هـ ق.

استمرت إقامة ملكم في لندن سنوات طويلة. وفي عام ١٣٠٦ هـ.ق عندما سافر ناصر الدين شاه لأوروبا للمرة الثالثة حصل ملكم -الذي كان على كل حال غير مريح ومقامرا -على امتياز اليناصيب في إيران من الشاه عن طريق التملق وتقديم هدية بلغت ألف ليرة من الذهب، ولكن الصدر الأعظم ميرزا علي أصغر خان اعترض على ذلك بعد عودة الشاه لإيران وحرص رجال الدين على تحريم اليناصيب وتكفير ملكم، واضطر إلى إرسال برقية للندن بإلغاء الامتياز إلا أن ملكم لم يعلن قرار الحكومة وباع وثيقة الامتياز إلى شركة إنجليزية في مقابل أربعين ألف ليرة، ونظرا لأنه عزل من جراء هذا العمل من منصب السفير الإيراني في لندن وكافة مناصبه الأخرى وحجبت عنه كافة ألقابه فقد رد على قرار الحكومة في الصحف البريطانية بأسلوب مثير للضجة، وافتتح مكتبا في "لمبارد ستريت" بلندن وبدأ في إصدار صحيفة "القانون" بالفارسية، وانتقد من خلالها الحكم الاستبدادي في إيران. ولم يتوان عن سب ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان بل والشاه نفسه في صحيفته وذلك بالتنسيق مع السيد جمال الدين الأفغاني الذي كان قد انضم لملكم خان. وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى موت ناصر الدين شاه بمساندة المناضلين في سبيل الحرية في ذلك الزمان، وكانت تصل إلى إيران وتوزع بين الناس بالرغم من الحظر الشديد المفروض على دخولها، ولم يكن لدى الحكومة البريطانية رد على احتجاج إيران سوى أن الصحافة تتمتع بحرية كاملة في بريطانيا.

ولكن بعد مقتل ناصر الدين شاه وتعيين أمين الدولة، سافر مظفر الدين شاه عام ١٣١٧ هـ.ق لأوروبا لزيارة معرض باريس وقام بتتصيب ملكم وزيرا مفوضا لإيران في روما، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي في صيف عام ١٣٢٦ هـ.ق في مدينة لوزان بسويسرا بعد حياة مشحونة بالمغامرة.

إن حياة ميرزا ملكم خان كلها مليئة بالأسرار، ويعتبره ناظم الإسلام الكرمانى "موقف إيران ومن قادة ثورة الحرية" ويقول بشأنه "إن مكانة البرنس ملكم خان في إيران تعادل مكانة فولتير وجان جاك روسو و فيكتور هوجو عند الشعب

الفرنسي".^(١) ويعتبر "ظل السلطان" ملكم الذي كان يعلمه الفرنسية "الفيلسوف والمعلم الأول ونظيرا لأرسطاطاليس وأفلاطون بل أسمى منهما".^(٢) أما السيد ويلفرد بلنت^(٣) الذي التقى بملكم في يونية عام ١٨٨٠م (١٢٩٧ هـ.ق) فيعتبره أكثر رجال الشرق اطلاعا ويؤمن به ثلاثون ألفا في إيران. ولكن هناك أيضا من يطلقون عليه ألقاب "جاسوس وخائن وطماع وعابد للمال ومحتال وجاهل وغشاش".^(٤) ومنهم محمد حسن خان اعتماد السلطنة.

يُقال إن ملكم كان يسب إيران والإيرانيين أثناء إقامته في إسطنبول وإنه تجنس بالجنسية التركية وعمل في وزارة الخارجية بتلك الدولة، وأنه اعتنق المسيحية في ليلة الأحد ٢٩ جمادى الأولى ١٢٨١ هـ.ق في كنيسة (أيا استفانوس) من أجل الزواج من هانريت بنت أراكل المعروف بـ "تويچی باشي"، كما كتب إلى الحكومة الإيرانية بعد عودته من مصر إلى إسطنبول وهدد بأنه سيبيع أسرار الحكومة التي يعرفها إلى العثمانيين ولن يبقى على شيء من ماء وجه الإيرانيين إن لم يعين وزيرا مفوضا لإيران في لندن.^(٥)

فضلا عن كل هذا كان يتحالف مع الشركات الأجنبية طوال الفترة التي تولى فيها مناصب رسمية في الجهاز الحكومي أثناء عهد ناصر الدين شاه، وكان يسعى لحصول البريطانيين على امتيازات في إيران وكان من أهمها امتياز البارون جوليوس دو رويتر الذي لم يدخل حيز التنفيذ وأسفر عن عواقب وخيمة وترك بقعة سوداء في حياة ملكم السياسية وصار سيفاً مسلولا في أيدي معارضيه حتى أنهم أظهروا خدماته في سبيل اليقظة ونشر أسس الحرية بأنها بلا قيمة.

(١) تاريخ بيداري إيرانيان، ص ١١٧.

(٢) تاريخ مسعودي، نقلا عن تاريخ بيداري إيرانيان.

(3) Wilfrid Blunt.

(٤) خوابنامه.

(٥) خان ملك ساساني: سياستگران دوره قاجار، ص ١٢٩، وإبراهيم تيموري: عصر بن خبري، ص ٦٤.

ويقول اعتماد السلطنة في المقال الذي حثه الصدر الأعظم أمين السلطان على كتابته والذي عرض على الشاه أيضا:-

"أولاً: ما القدرات التي يمتلكها هؤلاء الزعماء القابعون في لندن بحيث يصير من الواجب اعتبار أقوالهم بمثابة الوحي المنزل من السماء؟ ثانياً: ما الأعمال التي صدرت عنه بحسن نية في سبيل المملكة والسلطنة بحيث يمكن تصديق ادعاءاته؟ فحينما يؤسس في إيران بيت النسيان، ويهيئ المناخ في إيران للحكم الجمهوري الذي يعد من ضروريات الماسونية، ويهدد لفترات طويلة الشاه والحكومة وعدة آلاف من العاملين بها وأفراد الأمة. وحينما يذهب إلى مصر في مهمة رسمية للعمل قنصلاً، فينتهك شرف الحكومة ويتكدي من الخديوى إسماعيل عشرة آلاف تومان على سبيل الإنعام، وحينما يضع على رأسه الطربوش العثماني ويصير من مواطني تلك الدولة... وبعد ذلك موضوع رويتر الذي لم يدخل حيز التنفيذ.... ولا أعلم لماذا تدفع هذا العام إتاوة قيمتها عشرون ألف تومان لذلك الشخص المحتال الناصر للجميل الذي صدرت عنه تلك الأعمال، لماذا يُعين سفيراً للحكومة في بلاط الحكومة البريطانية ونحن لدينا حالياً ألف مشكلة مع تلك الدولة؟! فلو أن الحكومة تخشى أن يكتب في الصحف عن أخطائها بعد عزله، فإنى أجيب على ذلك بسؤال؛ ما الأخطاء التي لم يكتب عنها بنفسه صراحة أو حرص هو والمردة أتباعه على كتابتها بحيث يمكن أن يكتب عنها بعد ذلك؟... وإذا افترضنا هذا، فمن السهل إحضاره من أوروبا تحت الحراسة ومعاقبته والأفضل عدم الاكتراث به مطلقاً. فهذا الشخص المحتال كلما أراد إعاقة إجراء مفيد أو غير مفيد من المنتظر أن يُنفذ في إيران، أو إثبات وجوده بتأليف رسالة "كتابجة غيبى: الكتيب الغيبى" فإنه يهدد حكومتنا ويترصد الأخطاء لزلزلة مكانة الشاه ورجال الحكومة. يجب أن يوجه إليه سؤال: أيها السيد الراهب المحظوظ المقيم بلندن، لقد تحدثت عن الأخطاء، فلو كنت عاقلاً وعالماً؛ افصح عن الحلول. يكتب مثلاً عن أن إيران ستضطر إلى سن القانون شاعت أم أبت. فيجب الرد عليه: ألا نملك قانوناً؟ وما العيب فيه؟..."

الخلاصة إن ما يتضح من خلال دراسة حياة ملكم أنه كان رجلاً محباً للمال باحثاً عن السلطة، شديد الجراءة، عنيداً، منتقماً وفي نفس الوقت مطلعاً ثاقب الرؤية لدرجة أن ناصر الدين شاه كان يخشاه ويراقب تصرفاته دائماً. فكتب نظر آقا سفير إيران في باريس في تقرير له: "والآن لقد ترك ملكم خان مكانه في لندن، وقدم إلى باريس، ويجب تقديم تقرير كل يوم عن أحواله؛ وماذا يفعل وغلبى من يتردد وهل يمارس الاحتياال أم أنه مشغول بأمر آخر".^(١)

مؤلفات ملكم:

أراد من هم على خلاف مع ملكم أن يشككوا حتى في مكانته العلمية والأدبية. ولقد طالعنا رأي اعتماد السلطنة عنه سالفاً. ويعتبر السيد إبراهيم بدائع نكار أنه كان محروماً من "اللطائف العلمية والأدبية"^(٢) ويعتقد مخبر السلطنة هدايت أن "ما كان يكتبه موجوداً بألفاظ مختلفة في الجلستان والبستان"^(٣) ولكننا نعلم أن ملكم قد درس في باريس الإلهيات وعمل في مجال الحقوق السياسية، وهناك اطلع أيضاً على أعمال كبار الفلاسفة وزعماء الثورة الفرنسية، كما قرأ خلال فترة إقامته الطويلة بلندن مؤلفات الأدباء والعلماء البريطانيين، وكان مولعاً بأفكار وآراء المفكر البريطاني الشهير جان ستيوارت ميل،^(٤) وترجم مقتطفات من كتابه الشهير "في الحرية" إلى اللغة الفارسية. وقد انعكست محصلة هذه القراءات التي امتدت لعدة سنوات على كتاباته في صحيفة القانون ورسائله المتعددة مثل "أصول آدميت: أسس الإنسانية" و"تداء العدالة" و"توفيق الأمانة" و"الحجة" و"المفتاح" و"كلمات خيالية" و"الكتيب الغيبي أو دفتر التنظيمات" و"الرفيق والوزير" و"النوم واليقظة" و"أسس التقدم" و"مذهب رجال الديوان"^(٥) و"إنشاء الله وما شاء الله" و"الشيخ

(١) إبراهيم تيموري: عصر بيخبري، ص ٦٦.

(٢) رسالة عبرة الناظرين: نقلاً عن سياستگران دورة قاجار، ص ١٤٦.

(٣) القسم الثالث منذ العصر الصفوي حتى العصر الدستوري، ص ١٥٥.

(٤) Stuart Mill (١٨٠٦ - ١٨٧٣ م).

(٥) ورد نقد لاذع لسلوك رجال البلاط بقلم ملكم في مقال "أسس مذهب رجال الديوان"، وخلال =

والوزير" و"فرقية كجبينان: جماعة الحول" و "كتيب السياسة" وكذلك انعكست على التقارير والرسائل الرسمية وغير الرسمية التي كان يكتبها للحكومة ورجالات إيران. وقد تحدث في هذه الكتابات عن كافة القضايا والمشاكل الاجتماعية والسياسية في إيران تقريبا مثل الحرية والقانون والحقوق الأساسية للمواطن ومكافحة الظلم والجور وأسس السياسة الخارجية، وإصلاح الحكومة، وسن قوانين المملكة، والأخذ بالمدنية الأوروبية، وتنشيط الشؤون الاقتصادية بالدولة وجذب رؤوس الأموال الأجنبية، ومحاربة الفساد والخرافات والأوهام و إصلاح الخط وأسلوب الكتابة وغير ذلك.^(١)

ومع ذلك فمن قمة الإجحاف وقصر النظر أن نعتبره محروما من حلية العلم والأدب وأن نبحت في كتابين مثل الجلسان والبوسان عن الموضوعات والمفاهيم التي تناولها والتي كانت خلاصة لجهود وحكماء وعلماء الغرب المتواصلة.

والحقيقة إن ملكم كان من رجال إيران اليقظين الواعين بالرغم من كل المؤامرات والمغامرات ورغم النقد الهادف الموجه إلى بعض كتاباته، وكان يدرك أكثر من كافة أعدائه ومناوئيه أوضاع عصره ومشاكل بلده وسياسة الدول الأوروبية فيما يتعلق بآسيا، فمساعدته في سبيل إيقاظ الإيرانيين أمر مسلم به ولا جدال حوله.

ولكن فيما يتعلق بأسلوب ملكم في الكتابة فيجب أن نؤكد على أنه تولى منذ البداية ترجمة دروس معلمى دار الفنون الأجانب من الفرنسية إلى الفارسية وكذلك الترجمة للوزارة والبلاط الملكي، ونظرا لقلّة درايتة بالعبارات الحكومية المتكلفة

هذه الرسالة التي كتبها في فترة إقالته أفصح ملكم عما في قلبه حتى أنه خرج في بعض المواضع عن اللياقة. وقد ورد متن هذا المقال في كتاب "فكر آزادي" تأليف فريدون آدميت.
(١) جمع بعض هذه المقالات هاشم ربيع زاده وطبعها تحت عنوان "كليات ملكم" عام ١٣٢٥ في طهران. وعلى الرغم من أن هذه الطبعة تضم الكثير من الأخطاء فقد كانت واسعة الانتشار في صدر المرحلة الدستورية. وبعد ذلك طبع أيضا محمد محيط طباطبائي الجزء الأول من "مجموعة أعمال ملكم" ووضع لها مقدمة وحواشي وذلك عام ١٣٢٧ هـ.ش في طهران.

والمصنعة فقد كان مضطرا للتدقيق بشدة عند نقل النصوص الأساسية إلى اللغة الفارسية ومراعاة اختيار الكلمات وانسجام العبارات وسلامة البيان. وعلى هذا النحو ابتكر أسلوبا في الكتابة يتميز بالبساطة والسلاسة ويراعي الفصاحة والبلاغة وحسن البيان. إن كتابات ملكم المتمثلة في اثنين وأربعين عددا من صحيفة القانون ورسائله الاجتماعية والسياسية الهادفة والتي كانت تطبع أحيانا بلا توقيع وأحيانا أخرى موقعة؛ على الرغم من أنها لا تخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية فقد أثرت بالقطع في إيقاظ الشعب نظرا لبساطتها واقترابها من لغة الحوار، كما أنها حظيت باستحسان أصحاب الصحف في مرحلة صدر الدستور، وكانت لفترة من الوقت مثلا يحتذى به الأحرار والكتاب في إيران.

وها هو نموذج من مؤلفات ملكم:

"جماعة الحول":

"... اصطحبني رفيقي إلى عدد من الفرق الغريبة كانوا جميعهم من جماعة الحول، ولكن كل واحدة منهم كانت تتميز بضرب من الجنون. كان البعض يريد معالجة أمراض الجسد باستخدام قواعد علم الجفر، والبعض يكرس حياته لفترات طويلة لمعرفة مصير الناس من اقتران الكواكب... ويعتقد البعض أيضا أن اللغة تم ابتكارها من أجل السجع وإهدار الوقت لا من أجل أداء الغرض منها.

وهؤلاء المجانين من الفئة الأخيرة الذين عرفوا بين الناس بالهزليين أي الشعراء لم يبحثوا عن المعنى مطلقا سواء في كلامهم أو كتاباتهم من منطلق المعتقد الذي يؤمنون به. وجعلوا غموض الكلام أعلى درجات الفن و كانوا يقضون أكثر أوقاتهم في جمع الألفاظ الغامضة. وعندما كانوا يستمعون لكلام شخص ما كانوا ينصتون لما يقول بل يترصدون أي لفظ غامض جديد ينطق به.

ونظرا لأنهم كانوا يعتبرون السجع من أفضل فنون الكتابة فلم يهتموا في مراسلاتهم سوى بالقافية، وكانوا يمضون أغلب أوقاتهم لتلفيق عدة سطور من كلام

مقفى لا معنى له، وكلما ورد لفظ "واصل" فى كتاباتهم فبالقطع يعقبه لفظ "حاصل"، ولفظ "وجود" يعقبه "ذى جود" و "مزاح" يعقبه "وهاج". ولم أقرأ لفظ "ضمير" غير مقرون بكلمة "منير" من أجل السجع.

وكلما أضيفت كلمة "بدبختى" إلى الصفة "قرين" كان لابد وأن تضاف إلى الصفة "همنشين". ولم تكن كلمة "دروغ" تستخدم دون "قروغ"، وكلمة "خدمت" دون "رفعت". وكل شخص "عالى" الجاه لم يكن من الممكن ألا يكون "متعالى" المقام. وكل من "كان" رفيعا"، يربط فى ذيله "منيعا" ويجره خلفه.

وتوارثوا عدة كلمات من هذا القبيل وكان يدونها كل الهزليين ويستخدمونها فى جميع مراسلاتهم دون أدنى اختلاف. حتى أنهم كانوا يكتبون وقت انتشار وباء الطاعون: "وصل الخطاب الكريم فى أفضل الأوقات". ألا يسأله أحد ويقول أيها الهزلى المجحف هل يكون أفضل الأوقات وقت انتشار الطاعون؟ إذن فمتى يكون أسوأها؟ ومنذ أن انتشر لفظ "المراسلات" وحتى الآن يكتب فى كافة المراسلات أن "الغرض الأساسى سلامة المزاج الوهاج". وإذا وصل المقام للسؤال عن الأحوال يُعربون عن التمتع بالصحة ويتقنون فى الدعاء ولا يتضررون من شىء سوى الحرمان من فيض الصحبة، فهذا كل ما يأملون أن يتحقق بسرعة.

ألفوا كتباً يقرأها الإنسان عشر مرات ويظل متحيراً لإدراك المعنى وكأنه يقرأها للمرة الأولى قرأت مئات الكتب من مؤلفاتهم لم أجد بها موضوعاً جديداً. وكلما كانت العين تقع على صفحة كان يوسف يضل فى بئر غمارة الذقن، وفراشة القلب هى التى كانت تذوب فى نار العشق. والحية هى التى كانت تطوق وجنتى المعشوق. وفى بداية كل سطر يكتب فيه كأس جمشيد تتأهب سهام الأهداب على قوس الحاجب وتخطف كرة قلوب العاشقين بصولجان الجدائل. ورأيت ألف قصيدة تبدأ كلها بنهج واحد بذكر الربيع، ثم تقفز من الجبل إلى اليابسة ومن الأرض إلى السماء حتى تصل بعد ألف معركة إلى شخصية الممدوح. وعندئذ تتحدث عن أهداب "رب الأرض والزمان" وتراعى القافية حتى الوصول إلى ذيل جواده. وبعد

مبالغات لا حد لها والوقوع فى أسر القافية تتأشد القصيدة الفلكى كى يختفى العالم فى الزمان ليصير عمر الممدوح خالداً!! ومن مكارم عدل كل ظالم يُمدح يؤاخذ الذئب الحمل، ولسطوة قهره لا يتناول، الكهرمان على التبن الضعيف. وفى مدح كل خسيس تُحاك أكاذيب ومبالغات لا يجرؤ أُمى مجنون على ترديدها.

قفز شاب هزلى مجنون من أحد الأركان، ومزق حجاب الحياء ببِلطة مخيفة وقال: أيها الرجل الأحمق الهزلى، ماذا تفهم من هذا اللغو؟ لماذا تبألغ إلى هذا الحد لتضيع وقتك وتزعج الآخرين؟ هل أنت عدو نفسك؟ إلى متى تقيد الخيال البشرى بالأفاظ لا معنى لها؟ كم يعانى الناس فى سبيل فهم اللغو، الذى تريد أن تقول؟ من هو "الصقر الملكى الموهوب بالتحليق فى الأجواء العليا"؟ وما معنى "أنسة الكلام"؟ لماذا لا تعبر عن الموضوع بأسلوب تفهم به شيئاً مما تقول، وتضيف به شيئاً على ما يعلمه المستمعون؟ ما الجمال فى غموض الأفاظ وكثرة السجع لدرجة أنك تجاهد وتفاخر به؟ فكل أحمق يتتبع الكلمات قليلاً يستطيع أن يقول كلاماً غامضاً مبهماً لا يقدر أى عقل على فهمه، ولكن فصاحة الكلام تبتعد عن غموض الأفاظ، وجمال الإنشاء يكمن فى وضوح الأفكار وسهولة فهم الموضوع لا فى زيادة غموض العبارات".

الفصل الخامس

الكتابة المسرحية

١ - تمثيلات التعزية والعروض التمثيلية:-

ليس للمسرح والكتابة المسرحية وفقا للمفهوم الأوروبي سابقة في إيران، وانحصر فن المسرح منذ فترات طويلة ماضية في تمثيلات التعزية التي كانت تُعرض في العشر الأوائل من محرم. وتمثيلات التعزية عبارة عن تجسيد وتمثيل الاستشهاد المفجع لحضرة الحسين سيد الشهداء وأصحابه، أو أحد الأحداث المتعلقة بواقعة كربلاء، وهذه المأساة الدينية تشبه إلى حد كبير المسرحيات الدينية أو الأخلاقية التي كانت تُعرض في أوروبا في القرون الوسطى.

ويبدو أن تمثيلات التعزية لها جذور أكثر قدما. فكان الديالمة ملوك إيران الشيعية يمثلون مظالم الخلفاء وقصة كربلاء المفلة للروح. ولكن هذه العروض كانت صامتة، وكان المشاركون في العرض يظهرون بزي الفرسان والمشاه وبعد ذلك تقدم تمثيلية التعزية شعرا، وكانت في الواقع نوعا من الميلودراما.

وظهرت تمثيلات التعزية الناطقة في إيران في عصر ناصر الدين شاه على ما يبدو؛ وإن كانت قد ظهرت قبل ذلك فإنها ازدهرت في عصر ناصر الدين شاه وظهر ممثلون بارعون في التعزية.^(١) ويبدو أن مشاهدة الشاه للمسارح الأوروبية أثناء رحلاته قد أثرت في ازدهار تمثيلات التعزية.^(٢)

(١) مثل ملا حسين وميرزا غلامحسين وجهانجير.

(٢) عندما سافر ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا شاهد المسارح الأوروبية، وبعد عودته إلى إيران عام ١٢٩٥ هـ شيد التكية الحكومية لهذا الغرض على الطراز المعماري لقاعة ألبرت المشيدة في لندن. ولكن نظرا لاعتراض رجال الدين على العروض المسرحية تحول المسرح إلى تكية ومكان لعروض التعزية. (شيدت تكايا أخرى بعد ذلك وهي تكية ولي العهد، تكية عضد الملك، تكية صاحب الديوان، تكية سيد إسماعيل، تكية خلجها وتكية منوچهر خان). وكانت أقوى عروض التعزية تقام في التكية الحكومية. وكانت هذه القاعة الواسعة تتكون من طابقين، وقسم الطابق العلوى إلى حجرات، وخصصت للشاه والأميرات=

وقد أُعدت متون تمثيلية التعزية في وقت متأخر إلى حد ما. ولم تكن موضوعاتها تدون عادة، بل كانت تدون الأشعار والمجالس (أى دور ومشاهد كل فرد) على ورقة ليستعين بها المشاركون في مشاهد التعزية، ولهذا فنحن نجهل فى الغالب أسماء من قاموا بتأليفها. (١)

وكانت العروض كما ذكرنا تتميز بطابع التعزية، ولكن كانت هناك أيضا عروض تمثيلية فكاهية من بينها "عرس قریش" و"سليمان وبلقيس" و"الأمير تيمور ووالى الشام" والتي كانت تُعرض فى مجالس الرجال ومجالس النساء أيضا. (٢) ومضمون هذه العروض ساذج جدا وبدائى. فخلاصة الموضوع فى تمثيلية "عرس قریش" كالتالى:-

عرس قریش: أقامت نساء قریش الوثنيات مجلس عرس واحتفال فى مكة،

ورجال البلاط. وأعد فى صحن التكية مكان كبير للمشاركين فى العرض، وشيد فى وسطه مسرح من الجص والطوب كان يعتليه المشاركون فى العرض ليأدوا دورهم. وبينما يخفى كل واحد ممن ينشدون الشعر واحدا من الممثلين أسفل شاله كان "مدير مجلس التعزية" أو "المُبكى" يدخل ويعطى الإشارة ببدء التعزية مع أنغام الموسيقى الملكية. وكانت تُقدم فى عروض التعزية شخصيات الشهداء والرسل والملوك والملائكة والجن وأحيانا كانت تُقدم شخصية أجنبية يسمى "السلطان قيس" وأيضا أسد يسمى "قضة"، وتوضح هذه المشاهد أن ليس الشيعة وحدهم بل الجن والأنس والكفار والحيوانات فى حداد لهذه المصيبة ويشعرون بالخزي لهذه الجريمة المأساوية.

(١) وقد جمع العلماء الأوروبيون نصوص بعض هذه التعازى وترجموها ونشروها. ومن بينها مجموعة خاصة بفتحلى شاه القاجارى وتتكون من ثلاثة وثلاثين مجلسا وقام بترجمتها الكساندر خودسكو (A. Chodzko) وشارل فيروللو (Ch. Virolleaud) وروبير هنرى دو جنره (R. H. DeGenert) ونشرت. وقام الكولونيل ويليام ليتن (W. Litten) بتصوير مجموعة أخرى مكونة من خمسة عشر مجلسا ونشرها دون ترجمة، وهناك مجموعة أخرى مكونة من سبعة وثلاثين مجلسا ترجمها الكولونيل لويس بيلى (L. Pelly) إلى الإنجليزية ونشرت فى مجلدين. وهناك آخرون قدموا أعمالا عن التعزية فى إيران مثل كريمسكى (Krimski)، وبرتلس (E. Berthel's) وويليام بنجامين (W. Benjamin).

(٢) كان الملوك القاجاريون يمتلكون دورا للتمثيل، فقد أنشأ فتحلى شاه اثنين أحدهما للنساء والآخر للرجال، وكان جميع الممثلين تابعين للبلاط ويحصلون على رواتب من الدولة.

ودعون أيضا حضرة فاطمة الزهراء بنت الرسول لتحضر العرس. وفي البداية تمتنع حضرة فاطمة عن حضور الاحتفال، ولكنها تقبل الدعوة نتيجة إصرارهن وأمر حضرة الرسول، وحين خروجها يصل حور من الجنة ويقدمن لها الملابس الفاخرة.

وعندما ترى العروس ابنة الرسول على هذا النحو من الجاه والجلال تغيب عن الوعي، ولكنها بفضل دعاء حضرة الزهراء تعود إلى وعيها، فتسلم العروس ونساء قريش الأخريات اللاتي كن وثنيات كافرات. (١)

الأمير تيمور ووالى الشام:-

أما قصة الأمير تيمور ووالى الشام فهي قصة جذابة توضح أن ملكا سفاحا مثل تيمور لنك لم يستطع أيضا أن يعفو عن أهل الشام بسبب واقعة كربلاء.

فيذهب الأمير تيمور إلى العراق للتأثر لحضرة الحسين، ويقسم فى النجف عند المزار المطهر لأمير المؤمنين ثم فى كربلاء أمام مرقد حضرة سيد الشهداء بأنه لن يهدأ حتى ينتقم لواقعة كربلاء ويدمر مدينة حلب. ويتحرك تيمور مع جيوشه صوب الشام، ويقرر والى الشام أن يهدى ابنته لتيمور لينقذ نفسه، ولكن تيمور يأمر بنزع الغطاء عن رأس الفتاة والملابس الفاخرة عن جسدها. وتقييد الوالى وحبسه.

والمشاركون فى العرض عبارة عن الأمير تيمور، ووزيره، والدرويش، ووالى الشام، ووزيرين من وزراء والى الشام وابنته. ويبدأ العرض على النحو التالى:-

(١) كان يُعرض هذا العرض التمثيلى فى التكايا وخاصة التكية الحكومية على نحو مهيب. كما كانت أميرات البلاط أيضا تقمن هذا العرض ومنهن مهد عليا الأولى، ووالدهما فتحلى شاه، ومهد عليا الثانية، وملك جهان خانم والدته ناصر الدين شاه والسيدة منير السلطنة، ووالدة كاهران ميرزا ولى العهد، وغيرهن.

الأمير تيمور: يا وزير، يا له من مكان جميل مبهج، ينبعث النور من أرضه إلى السماء السابعة، وجوه منعش للروح كروضة إرم، وسماؤه هواؤها طيب كجنة الخلد العليا!.....

أصدر الأوامر بمد موائد النعم كي أتمتع برغد السلطان.

الوزير: أيها الخدم، مدوا الموائد وزيدوا من نعم الحق.

الأمير تيمور: اجلس، أيها الوزير أفلاطوني الضمير، كل هنيئاً بإذن الأمير.

الوزير: (بعد تناول الطعام ومدح ملك الأزمنة) ما السبب في مناجاتك للحق؟ فالحق يضمن لك تلبية حاجاتك.

الأمير تيمور: اعلم يا وزيرى، أيها اللبيب أن هذه اللحظة قرينة الإقبال والسعادة فبعد فتح بغداد أم البلاد سأجعل تراب ملك حلب يضيع مع أدراج الرياح وسأجعل أعالي بلاد الشام أسفلها حتى لا يبقى لها أثر عدا اسمها.

وتنتهى على النحو التالى:

الوزير الأول: لم ارتكب أى جرم أيها الأمير

الوزير الثانى: إذن من الذى ارتكب المظالم التى لا حد لها أيها الوزير؟

الوزير الأول: هذا التعيس هو الذى فعلها.

الوزير الثانى: هذا الظالم هو الذى فعلها.

الوزير الأول: هذا الوزير يستحق الجلد

الوزير الثانى: فلتأمر بحبسه أيها الأمير

الأمير تيمور: يجب جلد كليهما بشدة. أحضروا العصا والفلة للجلاد وقيدوا كليهما لتأديبهما^(١)

(١) عن "بنياد نمايش در ايران" تأليف د. أبو القاسم جنتى عطائى.

٢ - العروض الفكاهية:-

وظهر فى إيران منذ العصور السالفة نوع من العروض الشعبية المشابهة لعروض السيرك إلى جوار العروض التمثيلية. وكانت عبارة عن مشاهد تضم العروض واللطائف التى يقدمها مهرجو البلاط والأسواق (الفتوات والمطربون).^(١) وكان القائمون بتأدية هذه المشاهد يسخرون من أعدائهم من خلال تأدية بعض اللعب على الحبال والرقص والغناء، وكانوا فى الغالب ينتقدون الحكام وحتى رجال الدين من خلال عبارات منمقة مزدوجة المعنى. ولم تكن نصوص هذه العروض الفكاهية مدونة، فارتبط اختيار مضمونها برغبة من يقومون بتأديتها ومكانة المشاهدين وما تقتضيه الظروف، وبشكل عام لا يمكن إدراجها فى عداد الأعمال الأدبية والفنية.

وأشهر هذه العروض، عرض "الحاج الماس". والحاج الماس غلام أسود يعشق ابنة صاحبه. ويعلم والدا الفتاة بالأمر فيعاقبان الحاج الماس. فيقوم الحاج الماس بدوره بإخبار سيده بخيانة زوجها، ويخبر سيده بخيانة زوجته ويوقع بينهما وينتقم لنفسه.

ومن العروض الفكاهية عرض "السيدة راكبة الحمار" وحظى كل عرض فى وقته بالإقبال كما تضمن مسائل أخلاقية.

وتحتل كل هذه الأعمال مساحة ما بين الأدب الشعبى والأدب الفصيح، ولا تحظى بأهمية كبيرة من الناحية الأدبية.

(١) فى عهد ناصر الدين شاه كان يقدمها أحد المسئولين عن كوشك الموسيقى (النقارة) يسمى كريم شيره أى وصديقه وزميله فى العمل إسماعيل البزاز، وكانا من المهرجين الماهرين أو بالمفهوم المعاصر من الفنانين الكوميديين وذلك فى البلاط ومجالس الأعيان والأشراف وخاصة أثناء مراسم عزف السلام فى عيد النيروز التى كانت تعقد فى بناية سردر. ومن المهرجين الآخرين أيضا شغال الملك. وحسين دودى والشيخ شيبور والشيخ كرنا وحسن جربه وغيرهم وكانوا يضحكون الناس باللطائف ويجذبون اهتمامهم.

"بقال بازى در حضور: عرض البقال فى البلاط"

ولكن نتيجة تنامي علاقات إيران بالغرب وانتشار الثقافة والعلوم الأوروبية تطورت تدريجيا العروض، وبقدر ما أصاب العروض التمثيلية وعروض التعزيرة من أقول بقدر ما ازداد الإقبال على عروض السوق المضحكة، أما الممثلون المقلدون الذين انحصر عملهم في التقليد والسخرية وأداء الحركات وإضحاك الشاه ورجال البلاط فقد عملوا على إدخال مشاهد في لطائفهم لنقد الشخصيات والأوضاع.

وأكثر هذه العروض تكاملا "عرض البقال فى البلاط" ومؤلف هذا العرض غير معلوم وكذا تاريخ تأليفه ويقول الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى مؤلف كتاب "بنياد نمايش در ايران: جذور المسرح فى ايران"، قدم هذا العرض سيد على نصر لأول مرة عام ١٣١٧، وكتب فى الكتيب الدراسى عن تاريخ المسرح فى الفصل المتعلق بإيران حيث يرد ذكر المهرجين فى بلاط ناصر الدين شاه: "أشهرهم كريم شيره اى، وكان يقدم أيضا نقدا فى عروضه وسننقل فيما يلى مشهدا من العرض الذى كان يقدمه". ثم يضيف بعد نقل مشهد "كريم ويوشان خان": -

"هذا العرض المعروف بعرض البقال، كان يقدم ليلة عيد النيروز فى القصر الملكى". وبناء على قول مؤلف "جذور المسرح" فإن الأمير معز طبع عام ١٣٢٣ هـ.ش نص العرض فى مجلة هوليدود العدد ١٨، ووصف مؤلفه بأنه أحد المشاهير، ونظرا لعدم إصدار المجلة (لاحقا) ظل المشهد الأخير من العرض ناقصا، ولا يمكن التكهّن بنهاية الأحداث أو معرفة من ذلك الرجل؟

وأراد المؤلف المشار إليه بالقطع أن يبرز فى هذا العرض ملامح العصر الذى ألفت فيه أعمال ملكم، فإن لم يكن هذا النص قد كتب قبيل تأليف أعمال ملكم خان المسرحية بفترة قليلة، يكون قد كتب فى الفترة ذاتها.

إننى أدرك تماما استنتاج مؤلف "جذور المسرح"، واستنادا لقول الأمير مغر

الذى اعتبر المؤلف أحد مشاهير إيران وبالنظر إلى أسلوب الكتابة "وملامح العصر" التى تتجلى من خلاله؛ فإننى أعتقد بشكل يكاد يكون يقينياً أن هذه المسرحية قد ألفت قبيل ظهور أعمال ملكم المسرحية بفترة وجيزة، ولا يمكن أن يكون مؤلفها سوى محمد حسن خان اعتماد السلطنة، ومقارنة هذا العمل بكتاب "خوابنامه" لاعتماد السلطنة -الذى لم يكن من الممكن أن يُطبع ويُنشر فى حياة المؤلف تؤيد هذا الرأى إلى حد كبير.

ولكن سيد على نصر يعتقد أن هذا العرض كان يقدم فى القصر الملكى ليلة عيد النيروز، وهو أمر غير مبرر وأعتقد أنه قبيل كتابة "عرض البقال فى البلاط" على النحو الموجود بين أيدينا والذى نعتقد أنه كُتب بقلم اعتماد السلطنة، كان يقدم مهرجو البلاط من أمثال جماعة كريم شيره اى وغيرهم مشاهد بنفس الاسم "عرض البقال" وكانت عبارة عن لطائف مناسبة للعرض فى بلاط الشاه. وهنا نقدم مشهدين من مسرحية "عرض البقال فى البلاط".

المشهد الأول

قبل يومين من عيد الميلاد يجلس الشاه على العرش فى إحدى غرف البلاط،
ويقف الموظفون مصطفىين.

الشاه: (إلى وزير البلاط) بعد غد عيد ميلادنا.

وزير: نعم؛ جعلت فداك. إن الألعاب النارية والاحتفالات والمصاييح كلها
معدة. وكافة أهالى إيران، وخاصة الجنود، يتربون الاحتفالات
والمسرات حمدا لسلامتكم ودوام دولتكم وعيد الميلاد الملكى السعيد،
ونأمل أن نعيش ونفاخر إن شاء الله لسنوات مديدة فى ظل رافة
ورحمة سيادة صاحب الجلالة الملكية القوى المقدس بالدعاء فى
نفس هذا العيد السعيد لملك الملوك ذى جاه جمشيد بطول العمر
والإقبال.

الحاضرون فى البلاط: (بصوت عال) آمين يا رب العالمين

الشاه: (يجلس على العرش، يمسح بيده على شاربه ناظرا إلى ملابسه،
ويقول فى اتزان شديد لوزير البلاط) نعم إن رغبة الشاه المباركة
أن يتم الاحتفال بعيدنا هذا العام على نحو أفضل من الأعوام
الماضية. أعدوا، أعدوا كل ما يلزم، حسن حسن حسن. جميل جميل
جميل.

...الدولة: نعم، جعلت فداك، جعلت فداء لرأس قبلة العالم المباركة.

الشاه: (إلى... الدولة) اخرج، واجلس وأصدر مباشرة أمرا ليشرّف كافة
العاملين بالبلاط بحضور مراسم الاحتفال الملكى (يخرج... الدولة
والآخرون ويجلسون فى أحد ممرات الحديقة وبعد تهيئة لوازم

الاحتفال، يدون الأوامر بخصوص حضور الأهالي مراسم الاحتفال،
يسلمها لرئيس الحرس، فيذهب ليخبر الناس، ويصل للجميع نسخة
من الأوامر وإلى كريم قاجار آقا)

كريم خان: (بعد قراءة نسخة من الأوامر يعطيها لأخيه نوروزخان)
نوروزخان؛ تعال لترى ما حل بنا، ولتتظر المصيبة التي حطت
علينا، فبعد غد عيد ميلاد الشاه وأعلنوا عن الاحتفالات
العامة. لا يعلمون بحالة العاملين بالحكومة، الله يحرق الناس،
فالجراية مقطوعة تماما ولم أحصل على دينار من راتبي عن نصف
العام الماضي، واقترضت عشرة تومانات بفائدة عشر عملات من
الشاهي، ففوائد القروض فاقت الحد، ممتلكاتي إما بعتها وإما
رهنتها، بعد خمسين عاما من العمل بالحكومة لم يبق لي سيف كي
أضعه على خصري وأذهب لحضور الاحتفال. ولنفترض وجود
سيف من أين أجد جوادا، ماذا أقول للناس، أقول لم أحصل على
راتبي. يا له من إحجاف...

نوروزخان: يا أخي، لقد وصلك خمس أو ست قطع من السيوف والخناجر،
وخاصة ذلك السيف المطعم مقبضه بالذهب الخاص بالمرحوم خان
آقا، ماذا فعلت به؟ ألم يكن من المفترض أن ترهنه أو تبيعه.

كريم خان: الله يعطيك العمر، أمع هذا العمل الحكومي وظلم ولاية الدولة، هل
تطيب الأحوال أو تبقى هذه الأشياء! لقد بعتها كلها وولت. لقد
احتفظت بالسيف المطعم مقبضه بالذهب بطلوع الروح، وأول أمس
أتى دائن وأصر على المطالبة بدينه وطلب رهنا فأعطيته له.

نوروزخان: لقد تأزمت الأمور. لا أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك! بالأمس كانت
هذه الشكوى تترد في بيت قبيلة القاجاريين.. والمشكلة أنه لن
يستطيع الذهاب للاحتفال أكثر من خمسة أو ستة أفراد.

كريم خان: ليكن ما يكون فأنا لا أستطيع الذهاب. فلا عندى جواد ولا عندى خدم. لا عندى سُتره. ليأتى حانوتى ويحمل هذا العمل الحكومى وهذه الحياة، أين أولئك الذين كانوا يشتكون من عهد المرحوم محمد شاه؟ ليأتوا الآن ويروا هذا الحشر. (فى هذا الوقت يدخل بابا خان آقا، كبير القاجاريين وهو معمر محنك ومحترم وبرفقته عدد من أشرف القاجاريين).

بابا خان السلام عليكم.
آقا:

كريم خان: عليكم السلام يا عمى العزيز. مرحبا لقد أتيت فى الوقت المناسب، مرحبا، الآن كنا نتحدث عن الأوقات العصيبة التى تمر بالقبيلة المبجلة.

بابا خان يا بنى، أية قبيلة وأى تبجيل! لقد ذهبت قبيلتك لحال سبيلها، لقد **آقا:** ضاعت الرعية والعاملون بالبلاط، وصارت الحكومة مفتضحة تماما. فمولانا هذا ابن الحلاق^(١) أنزل بلاءً على رأس الإيرانيين بالتدليس والنفاق بحيث إن إيران ستظل خربة ولن يشعر الإيرانيون بأدميتهم لمائة عام.

كريم خان: يا عمى العزيز، لقد فاقت أحوال إيران هذا، والألم يعتصرنى. ألا يسأل أحد ماذا فعل هذا الصدر الأعظم الإيرانى السياسى ابن الحلاق منذ أن رأس الوزارة، وما التنظيمات التى قام بها، وما الاختلاف الذى حل بالدولة! لقد جعل التدليس المملكة خربة والرعية

(١) المراد ميرزا حسين خان مشير الدولة سپهسالار الأعظم. والده ميرزا بنى خان أمير الديوان القزوينى وجده عابدين الدلاك كبير الحلاقين لدى علينقى ميرزا ركن الدولة بن فتحعلى شاه.

موتى والأمور مختلة، وحرّم الناس من الحياة. لتتظر ما آلت إليه
إيران آخرًا! لا يهتم أحد سوى بنفسه.

بابا خان نعم، الأمر أسوأ من هذا بكثير؛ لقد فقد مولانا غيرته على الأمة،
آقا: وألزم نفسه بالتغاضى تماما عن مراعاة واجباته باعتباره إيرانيا،
فيحاكى ويقلد أمما أخرى. فهو يراعى حق العشرة مع العثمانيين
وينفذ إصلاحاتهم ويكتب باستمرار فى الرسائل:

"باب عالى^(١): الباب العالى، نظميّه: قسم البوليس، ضبطيه:
الشرطة، جزاى نقدى: غرامة مالية" حسن يا عبد الله، [موجهًا
الخطاب للصدر الأعظم سيهسالار] ما العيب فى "در بارهمايون:
البلاط الملكى" وما العيب فى لفظ "جريمه" بحيث تستخدم
مصطلحات "باب عالى وجزاى نقدى" وتترك مصطلحات أمّتك رغم
وضاعة تلك الألفاظ، وتتمسح بذيل الآخرين. فلو لدى العثمانيين
قواعد طبية، حسن جدا فلنقبلها. إذن فلتنفذها كلها واعمل بها كلها.
لماذا تتفد الأشياء التى فيها مصلحة شخصية لك ولا تتفد ما ليس فيه
مصلحة لنفسك المنحوسة النجسة؟ سيدى العزيز فى تلك الدولة التى
تشيع فيها هذه الإجراءات وتلك الألفاظ، يقدمون حقا للجندي طعاما
للعشاء والغذاء وأدوية، لكنهم: أولا يقدمونها لكل الجنود لا لفرقة أو
فرقتين، ثانيا: يدفعون للعاملين فى الحكومة راتبا بشكل منتظم ووفقا
لنظام معين وقيمة محددة، فهم ليسوا مثلك؛ لم تدفع لستة شهور من
السنة دينارا للعاملين بالحكومة، بل إن الناس لا يعتبرون أن لهم
راتبا؛ أليس كذلك؟! كثيرا ما منعت الرواتب لسوء سريرتك ولم
تدفعها يوما بالتزوير ولوضاعة أصلك. إذا فى هذه الأمور أنت لا
تفد التنظيمات العثمانية، والحق معك طالما أنك ستدفع الأموال.

(١) المقصود البلاط العثمانى.

ثالثا فى تلك الدولة يبذل الوزير أو الصدر الأعظم كل جهده لتستقيم الأمور، ولا يهتمون شئون الرجال المساكين ولا يتركون مثلك العاملين الفقراء مشردين، فهم لا يحتالون ولا يزورون، ويفرقون بين الصديق والعدو. يا مولانا، لو تريد أن تعلم حقيقة مدى أصالتك فلتلاحظ وتذكر الألاعيب التى قمت بها فى دار العدل والأفكار الشيطانية التى ابتكرتها. أقول لك إن مجلس التحقيق للمماثلة فقط، ومجلس الجرائم والجنايات كله تابع بك، وفى حجرة الاستجواب أصيب كافة القائمين بهذا العمل بالخرس من الجوع، وفى حجرة الدعاوى لا يفرق أحد بين المدعى والمدعى عليه، وفى حجرة التنفيذ تسيل الدماء من قلب المدعى والمدعى عليه من الانتظار. الخلاصة؛ فى كل وزارة فرشت خمسين غرفة وفقا للطراز العثماني بالأبسطة وعلقت بها الستائر الأوروبية وكلفت عددا من الرجال الأعزاء المحترمين الأكفاء بأعمال تافهة ولم ينجزوا شيئا، حققت هدفك وهو التقليد. فالحكومة متضررة والأمة حائرة مشردة، وأنت رأيت العاقبة. إن كفاءتك ولياقتك لا تكفى، فالقول ليس كالعمل، تركت هذا... وفكرت فى لعبة أخرى. ولأن ملكنا يميل بفطرته إلى هذا النوع من التسلية والألعاب الطفولية، فقد أحب كل هذه التفاهات وتلك المظاهر، وقام بتنفيذها وهذه المرة حصل مولانا على لقب (سيهسالار: قائد الجيش) حسن حسن حسن !

هل أحسنت صنعا بشئون الأرض كنت تتولى أيضا شئون السماء !!

[مخاطبا كريم خان] فلتكن بالله منصفاً؛ ما إمكانياته وما مهاراته؟! هل ذلك الوجه الشبيه بالقرد، أم ذلك التمكين والوقار، أم إخلاص النية للحكومة على هذا النحو؟! بما يتميز من بين هذه الأمور؟ بالله إن كل من يتحلى بقليل من الحكمة والمعرفة، ولديه اطلاع على تاريخ الدول الأجنبية فى الماضى وأوضاعها الحالية

سيقر بأنه لم ترتكب أية دولة أو أية أمة منذ بداية خلق آدم والعالم مثل هذه الحماسة وذلك الخطأ من تعيين شخص تافه كزیه متآمر في مثل هذا المنصب كي تبدو تلك الأمة أمام الأنتظار في الداخل والخارج على هذا النحو الهزلي الساخر.

نوروزخان: عمی العزیز، إن هذا كله من سوء حظ وصبر أهالی ایران على المشاق، وإلا فأین وجه المقارنة بین أولئك الرؤساء وقادة الجیوش القدامی وابن الحلاق هذا !

بابا خان آقا: وهذا الأمر أيضا لطیف: تُعطى سترة عسكرية قصيرة وخنجرا وقلنسوة لكل فتوة وديوث وسوقى مشرد ممن كانوا لصوصا ومخنثين منذ طفولتهم؛ ويُطلق عليهم مصطلح "فرقة من الشرطة". آخرایا من لا مرؤة عندك، [مخاطبا سیپهسالار] أيها الظالم إلى متى يلحق هذا القدر من الضرر بالدولة وممتلكات الأهالی المساكين وأنفسهم من جراء استخدام لفظ الشرطة الذى يعد تقليدا أعمى، وإلى متى تسمى جماعة من اللصوص فرقة من الشرطة، ليتحكموا فى الرعية؟!

كریم خان: الحمد لله ببركة هذه الفرقة سوف تنزل البغى بعد ذلك فى بيوت الدعارة تحت حماية ذوى الخناجر والقلنسوات ذات النياشين وسوف تطلب أضعافا، وذلك ببركة رأس مولانا.

بابا خان آقا: لا سيدى، هذه الفرقة سيتم تسريحها أيضا. علمت بالأمس أن واحدا منهم كان يصطحب واحدة إلى مكان ما، فأمسكه الفتوات، وتجمع رجال الشرطة، وصارت مشاجرة، وأصابوا الاثنين بجراح، وندموا عندما افترض الأمر. وسوف تُسرح هذه الفرقة. فهذه الفرقة من الشرطة ستمثل أمام دار العدل. واحسرتاه على الخناجر، والأسفاه على البنادق والقلنسوات ذات النياشين! ما الفائدة، ألا يقول أحد لك [مخاطبا سیپهسالار] إنك تستقطع رواتب ومقررات العاملين القدامى والناس المساكين من الأشراف، وتسمى ذلك عوائد للدولة، وإنك لا تلاحظ هذه الأضرار التى تلحق بالدولة مطلقا. حسن تذكرت أن أقول هذا الموضوع: يا

سيدى ما هذا القيشانى الذى يُلصق فى الممرات والمنازل؟ أعطيت لأسرة ولم تعط لعشرة آخرين. لو كان لهذا الأمر فائدة، لماذا لم تتمه، لماذا تركته ناقصا؟ الخلاصة ما يُشترى بقران واحد ثم شراؤه بعشرة قرانات، لماذا تتسبب فى خسارة الدولة، ولماذا تعمل عملا مبهما غير مبرر؟ وتلحق الضرر بالدولة؟ أيها المحب للخير غير السوى!!! إلى متى تبتكر تلك الحيل؟ أواه من هذا التدليس والتحايل! رحم الله أهالى إيران! لقد مضى الوقت ويجب الذهاب، حفظك الله عمى العزيز

كريم خان: زاد لطفك، هل ستذهب للاحتفال أم لا؟

بابا خان آقا: لا عمى العزيز. أين لى بجواد؟ أين لى بخادم؟ أين الصحة؟ حفظتك السلامة! إلى اللقاء.

المجلس الثالث:

يضع شوردى على رأسه قبعة جندي مرتفعة جدا، ويرتدى قباءً فضفاضا مرقعا طويل الأكمام موشى بالقصب، ويلبس جبة من الجوخ قديمة رثة باهتة اللون، وسروالا داخليا يبدو لونه الأبيض من خلال بعض الثقوب. ويلبس فردة حذاء نسائي خضراء ذات كعب عالى، ويضع على خصره شريطا من الورق ويمسك فى يده عصا... يدخل ريشكى مرتديا زى عامل بالبلاط وماستى فى زى حارس. ويقف شوردى وريشكى إلى جوار بعضهما. ويتقدم ماستى إلى دكان البقال، وينادى "آها آها" ويمسك بذقن كريم ويشدها قائلا: آها آها تيقظ، تيقظ"

كريم: (بخوف) يا رجل، ماذا تفعل يا وضع الأصل، لقد خلعت ذقنى، ما الخبر، ماذا حدث؟

ماستى: لقد أمر سيدى رئيس المحتسبين^(١) أن يُحمل كل من يطفف فى الميزان أو يخلط الزبادى بالماء إلى غرفة الجرائم والجنايات فى دار العدل للاستجواب، ويُجرم إذا كان غشاشا^(٢) وتُمزق طاقيته التى يرتديها تحت العمامة

(١)، (٢) الكاتب يضمن عبارات تركية داخل العبارات الفارسية (المترجمة).

وتوضع على رأسه، ويدفع غرامة مالية مائة وخمسين قرشا.

كريم: (متعجبا) يا سيدى من أين جئت؟ وما هذه اللغة؟ من رئيس المحتسبين؟ وأين حجرة الجرائم والجنايات؟ وما الغرامة المالية؟ وما تمزيق الطاقة التى يرتديها تحت العمامة؟ نعم لقد كثر عدد الحلاقين والخياطين؛ لهذه تزداد هذه التصرفات.

ماستى: يا الله، اذهب يا ديوث. أنا هو أنا.

كريم: حسن حسن، الآن يجب أن نترك علمنا، ونتعلم الألفاظ المستحدثة: حجرة الجرائم والجنايات، الغرامة المالية، كبير المحتسبين!... ليتك ما ذهبت إلى إسطنبول. أواه، لو أن إيران هى التى أراها الآن فسوف أسمع الكثير من هذه الأحاجى (فى تلك اللحظة يصل للدكان شوردى وخلفه ريشكى).

شوردى: (يقول لكريم) سيدى البقال السلام عليكم.

كريم: (متعجبا) فى كل لحظة يفد علينا جن من تلك الحديقة؛ عليكم السلام.

شوردى: سيدى البقال ما عندك لنشتره؟

كريم: بفضل الله كل شىء، ماذا تريد؟

شوردى: حسن أشعل النرجيلة، لأدخن. وبعدها ندخل فى الموضوع.

كريم: هل تأمرنى بإشعال النرجيلة. (يعلم كريم من صوت شوردى أنه من أصحابنا ممن يقومون بالتهب ولكنه كان يعتقد أنهم بلحية ويرتدون زيا مهندما، فيلبس عليه الأمر، يشعل النرجيلة ويعطيها لشوردى ويجلس أمامه قائلا). سيدى العزيز، عفوا، ما اسم سيادتك؟ ومن أين أتيت؟ وفى أية إدارة تعمل؟

شوردى: أنا شاعر من بهبهان وقد درست فى أصفهان. نظمت قصيدة لعيد

الميلاد وسأحملها لأنشدها في مجلس الشاه، ولكن نظرا لأننى أراك رجلا اجتماعيا وأصيلا، فليس من المستبعد أن أمنحك نصف إنعام الشاه، وأخذ منك متطلبات الأولاد.

كریم: طال عمرک. هكذا بالطبع يكون الإنسان الأصل الشهم. ما اسم سيادتک؟

شوردکی: اسمی سوشان خان ولقبی "عقب الشعراء"

كریم: (مندهشا) میرزا یوشان خان؛ ما معنى "عقب الشعراء"؟

شوردکی: نعم سیدی، نعم.

كریم: ما هذا اللقب الذى تُلقب به؟

میرزا یوشان خان (شوردکی): الذنب ليس ذنبی. فالألقاب فى هذا العهد سوقية. فمن كثرة ما منحت الحكومة الألقاب لكل من يستحق ومن لا يستحق، لكل بالغ وصبى لم يبق لقب. فى عيد النيروز كنت قد نظمت قصيدة أعجب بها الشاه جدا، وشملنى بلطفه، وكان يريد أن يمنحنى لقبا، فكرنا كثيرا ولم نجد لقبا لم يمنح لأحد. فى النهاية أنعم على بلقب "عقب الشعراء" بسبب التأخير. الدنيا مليئة بالأشياء، لا تهتم، فالشاه لا يحب الأسماء. فالألقاب لطيفة حتى وإن كانت لكلب أو قطة.

كریم: سیدی میرزا یوشان خان، ألا تأبه حقا، أليس فى هذا تدنٍ للألقاب!

میرزا یوشان خان: بارك الله فيك، أنا لا أهتم؟! سأعقد معك رهانا، لو أننى أحصيت جميع الألقاب جميعها، يكون من نصيبى علبة السمن هذه، وإذا فاتنى شيء من ذكرها سأعطيك كل ما أنعم على به الشاه.

كریم: أوافق، أعطنى يدك للقسم لو أنك ملتزم برهائك.

میرزا یوشان خان: لا؛ اطمئن، فأنا لست مجد الملك لاتراجع عن كلامى

وأتحدث في اللحظة الواحدة بألف طريقة. بسم الله، أحمل القلم وأكتب.

كريم: (يحمل القلم ويقول) بسم الله، قل لي ماذا أكتب.

ميرزا يوشان خان: اكتب: ظل السلطان، حسام السلطنة، نائب السلطنة،
اعتضاد السلطنة، شجاع السلطنة، أمين السلطنة، شعاع السلطنة، مؤتمن السلطنة^(١).

كريم: كفى ! أكل هذه الألقاب؟ لقد تعبت.

ميرزا يوشان خان: تمهل، تمهل ! إلى أين وصلنا؟ لم أكمل النصف بعد،
اسمع واكتب. شجاع الملك، معين الملك، ضياء الملك، نصير الملك، ناصر
الملك؟^(٢)...

كريم: يا سيدى لقد اختنقت، كفانى بالله، لقد فزت. هذا السمن لك، خذه
واكفنى شرك. ألم تكتفى من تلك اللعبة؟

ميرزا يوشان خان: وروح جدتك ! لقد انهمكت أخيراً. لن أتوقف لو
أعطيتنى عشر علب. لقد أمعنت التفكير وتعبت. ماذا تظن؟ أتظن أنك لن تخسر،
أكتب، بسرعة: شكوه السلطنة، فروغ السلطنة، ضياء السلطنة...^(٣)

كريم: تعيش الدولة ! كل هؤلاء من ذوى الألقاب إذاً كم عدد من ليسوا من
ذوى الألقاب؟ سيدى اتركنى، أتريد المزاح إلى هذا الحد؟

ميرزا يوشان خان: أى مزاح يا وضع، إن هذا جاد جداً. فالألقاب المميزة
لا تزال فى الخاتمة. اسمع: صدر العلماء، نظام العلماء، سلطان الذاكرين، لسان
الذاكرين... ملك التجار، مشير التجار، أمين التجار^(٤)...

(١) ويذكر على هذا النحو مائة لقب.

(٢) يذكر اثنين وأربعين لقباً آخر.

(٣) يحصى اثنين وعشرين لقباً.

(٤) يحصى خمسة عشر لقباً.

كريم: جعلت الحكومة فداءً لجذتك، يا ضيع؛ من كل هؤلاء؛ ملك ومعتد
ورئيس من التجار؟ وما نوع هذه التجارة؟ اذهب إلى مسجد الأمير عبد العظيم
وانظر لترى أن خدام المسجد قد ضاقوا من جراء التجار المفلسين؛ لا يوجد مكان
أفضل من مسجد الأمير عبد العظيم.

ميرزا يوشان خان: انظر، لا طائل من كلامك. لو صعدت للسماء ونزلت
للأرض لن أراجع عن إتمام ذكر الألقاب. اكتب.

كريم: الآن قل بسرعة لقد مللت. يا إلهي؛ يا لها من لعبة؟ قل يا سيدي؛
تحت أمرك.

ميرزا يوشان خان: محقق الملك، أمين الشورى، أمين المجلس، أمين
الخلوة... كاتب الوقائع، معين البكاء (المبكي) ^(١)....

كريم: عجباً ثم عجباً ! لطفك يا رب. سيدي من هو معين البكاء؟

ميرزا يوشان خان: والله، أنا أيضاً أشعر بالخجل. المفترض أن "معين
البكاء" هو ميرزا تقى مدير عروض التعزية.

كريم: (يضرب رأسه بيديه) أواه أواه، هل وصل الأمر في منح الألقاب إلى
هذا الحد؟ تف على لحية من يريد لقباً.

ميرزا يوشان خان: ماذا تقول لو علمت أن الأوسمة والنياشين لها درجات؟

كريم: أقول الله يلعن... الذين يتفاخرون في هذه الدولة بالألقاب والأوسمة.

ميرزا يوشان خان: اسمع هذين اللقبين، ولن أؤذيك بعد ذلك.

كريم: يا للعجب. لتحتبس أنفاسك، قل وخلصنى

ميرزا يوشان خان: "قنداق الملك: قماط الملك "

(١) يحصى اثني عشر لقباً.

كريم: لقد ضقت ذرعاً. يا رجل اتركنى، بالله سأقتل نفسى. من قماط الملك؟

ميرزا يوشان خان: قماط الملك هذا ابن عزة الدولة، وقد ولد منذ يومين ولم يُسمى بعد. فاللقب جاء على وجه السرعة.

كريم: حسن؛ وما اللقب الثانى؟

ميرزا يوشان خان: (يضع يديه على عينيه خجلاً ويقول) الثانى، الثانى؛
مرحاض الملك، مرحاض الملك.

كريم: ماذا، ماذا؟ أوجد لقب "مرحاض الملك" فى دولة بها كل تلك المناصب؟ إذن فلتقل يا رجل: غائط السلطنة، بول الدولة، مؤخرة الدولة، ضراط السلطنة، ريح الملك، فساء الدولة. (هنا يبدأ الشاه فى الضحك ها ها ها... فأمر بوضع قطعة من القماش العربى فى صرة من الحرير الكشميرى الفاخر أمام كريم. فيظن كريم أنهم أحضروا له هبة فيفتح بغبطة الصرة، فيقع نظره على قطعة من القماش، فيحملها بسرعة، وينهض قائلاً) حسن حسن. رداء مبارك! فليجعل الله سيف الشاه مسلولا (وعندها يضع القماش على كتفه ويتقدم قائلاً) جُعِلَ فداك، لى أمل فى إنعام آخر، ألتمس لقباً.

الشاه: أى لقب، أى لقب؟ فلتختاره أنت وسأمنحك إياه.

كريم: جُعِلَ فداك، اسمى كريم شيراه (أى: كريم صانع العصير) فيناسبنى "عصير الملك"

الشاه: ها ها ها، حسن جداً لو أنك شرحت الموضوع تفصيلاً وبينت وظيفة القائمين على الخلوة على نحو سليم فسوف أمنحك هذا اللقب (فيطأطئ كريم رأسه ويتراجع للوراء) ^(١).

(١) نقلاً عن "بنياد نمایش در ایران" الدكتور جنتى عطائى.

٣- التأليف المسرحي الحديث:

بدأ التأليف المسرحي وفقا للمفهوم الأوروبي في إيران مع إنشاء دار الفنون وترجمة مسرحيات موليير. وضع حجر الأساس لدار الفنون عام ١٢٦٦هـ.ق في الأرض الواقعة شمال شرق الديوان الملكي بطهران بناء على أمر من ناصر الدين شاه، وأسس في جانب منها قاعة ضخمة تتسع لثلاثمائة شخص على غرار المسارح الأوروبية، ولكن ظلت مغلقة لفترة طويلة بسبب اعتراض رجال الدين، ثم قدمت بها عروض خاصة قام بها معلم الموسيقى بدار الفنون لומר، وميرزا علي أكبر خان مزين الدولة كبير المصورين لدى الشاه وعدد آخر، وحضر تلك العروض الشاه والأسرة الملكية فقط. والواضح أن مؤسسى المسرح في تلك الفترة المشحونة بالرعب والاستبداد لم يستطيعوا تقديم مسرحيات نقدية واجتماعية أمام سلطان متسلط مثل ناصر الدين شاه، ولهذا اضطروا لتقديم أعمال مضحكة بلا مضمون هادف قدر الإمكان لتوافق ذوق الشاه.

كان كبير المصورين من الدارسين الذين أوفدوا إلى أوروبا حيث أسس هذه القاعة في دار الفنون بعد عودته إلى إيران بأمر من الشاه وعرض بها إحدى مسرحيات موليير تسمى "قصة الهارب"^(١).

الهارب: قصة الهارب هي ترجمة شعرية لمسرحية موليير التي تحمل نفس الاسم^(٢) على وزن مفاعلاتن مفاعلاتن مفاعلاتن فعلن، وقد طبعت في البداية في صحيفة اختر ثم طبعت في الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ١٢٨٦هـ.ق طبعة مستقلة في مطبعة "تصوير أفكار" في إسطنبول. ويبدو أن ميرزا حبيب الأصفهاني^(٣) قد ألبسها ثوبا جديدا (ثوبا ذا طابع تركي واضح) وغير العادات

(١) من كلمة حسن مقدم التي ألقاها عام ١٣٠٠ ش في نفس القاعة.

(٢) Misanthrope

(٣) انظر حواشي مقدمة سيد محمد علي جمال زاده على ترجمة كوميديا "الخصيس" لموليير، طهران ١٣٣٦ ش. والنسخة التي أملكها فقدت منها الصفحة الأولى للكتاب والتي من=

والأوضاع والصفات وأسماء الأشخاص، يستخدم أحيانا بدلا من العبارات الفرنسية عبارات مرادفة لها بالفارسية فعلى سبيل المثال النموذج التالي ترجمة لنشيد قديم ورد في المشهد الثاني من الفصل الأول من مسرحية موليير على لسان ألسست^(١).

Si le roi m'avait donne

Paris, sa grand ville,

Et qu'il me fallût quitter

L'amour de ma mie,

Je dirai au roi Henri:

"Reprenez votre Paris:

J'aime mieux ma mie au gué !

J'aime mieux ma mie...

وجاءت ترجمتها الفارسية على لسان "مؤنس" كما يلي:

لو منحني الشاه شیراز في مقابل شعرة من عذراء شیرازية

لقلت له أيها الشاه، على الرغم من إن مدينة شیراز لا مثيل لها

فإن العذراء الشيرازية تكفيني. خذ مدينة شیراز لنفسك

وتتضمن الترجمة في بعض المواضع الأمثال والأشعار الفارسية الشهيرة لكبار الشعراء الفرس.

ولكن على الرغم من المحاولات المضيئة لتقديم ترجمة أدبية بليغة فإن

المحتمل أنها تضم العنوان والمقدمة واسم المترجم.

Alceste (١)

الكثير من العبارات غامضة وغير سليمة بحيث إن الموضوع لا يُفهم بسهولة،
وكما ذكرنا ورد بها الكثير من العبارات التركبية الشائعة:

على الرغم من أن زعمك، يا مؤنس، أنني مذنب.

ولكننى أظن أن هذا العمل لا يستوجب الشنق (استخدم كلمة "واجب دار"
بدلاً من "مستلزم جوبهء دار")

لو أنني انتظرت العربة لما أصبت بالوجد (استخدم كلمة "عرايه" بمعنى
"كالسكه" أو "درشكه").

قد سمعت أنه عاشق لجميلة....

وكذلك ("به جميله دوست" بدلاً من "باجميلة دوست")

يتضح أن المترجم أيا كان (ميرزا حبيب الأصفهاني أو غيره) من الناطقين
بالفارسية المقيمين في تركيا، وأنه قام بالترجمة متأثراً بالمشاهد المسرحية التركبية
في ذلك العصر، ويتضح هذا الأمر حتى من اختيار أسماء الأشخاص مثل (مؤنس
بدلاً من Alceste) و (ناصر بدلاً من Philinte) و (فتينه بدلاً من Célimène)
و (نعمان بيك بدلاً من clitandre)، و (نعيم بيك بدلاً من Acaste) و (شاه بداق بدلاً
من Dubois)، وإذا أخذنا في الاعتبار أن الأتراك العثمانيين كانوا قد ترجموا
أعمالاً لموليير مثل "جورج داندن"^(١) وطبيب رغم أنفه^(٢) وغير ذلك سنتمسك بهذا
الرأى.

وعلى الرغم من كل المآخذ التي ذكرناها فإن الترجمة تقترب من الأصل
جداً، وأحياناً نطالع بها نماذج بديعة.

وللتعرف على الكتاب أكثر سنقدم عدة سطور من المشهد الثانى من الفصل

(١) George Dandin, Ou Le Mare Confondu

(٢) Le Médecin, Malgre'lui

الخامس. وفيه يتقابل العاشقان وجها لوجه ويطلبان من المحبوبة أن تفصح عن رأيها النهائي في رفض أو قبول كل منهما:

اميدى: إنك لا تذكرين سيدتى ميعاد الوفاء بالعهد. لقد انقطعت أنفاسى ولم تفصحى عن مرادك. لو كانت نار عشقى تؤثر فيك لماذا لا تتطقين بلفظ صريح !!
إن الغرض من سؤالى لك أن أعلم إن كنت ترغبين (مؤنسا) ولو إنك ترغبيننى بالفعل، فلتجعليه فداءً لى، واطرديه اليوم من هنا.

فتينة: ما الذى حدث وجعلك غاضبا هكذا من مؤنس؟ ألم تكن تتفنن فى الحديث عن فضله؟!

اميدى: الحقيقة أنه لا داع لمزيد من الشرح، الموضوع يدور حول رأيك سيدتى، فلتفصحى عمن يرغب قلبك، ولتطردى من لا يرغبه. أعتقد أن اليوم؛ الكلمة كلمتك.

مؤنس: (يتخلى عن كبره) إن السيد محق فى هذا الموضوع سيدتى فقلبنى يوافقك الرأى

على كل حال، لم المماطلة أكثر من ذلك

فالوقت وقت الإفصاح، فى الحقيقة، نعم أو لا؟

اميدى: سيدى؛ أنا لا أريد أن أطلب منك بوقاحة فأمامك للسعادة عشرون طريقا ممثدا.

مؤنس: سيدى لا أرغب أن يرافقك حسود أو غير حسود فى الطريق إلى قلبها.

اميدى: لو لك رغبة أكثر منى.

مؤنس: لو لك وجه مشتاق بسبب العشق

اميدى: بالله لن أبحث لها عن أثر مطلقاً.
 مؤنس: بالله لن أنطق باسمها ثانية مطلقاً.
 اميدى: افصحى سيدتى، فلن يجبرك أحد.
 مؤنس: افصحى سيدتى، فلك العذر فيما تفصحين به.
 اميدى: فلتقولى؛ من منا ينتسب إليك؟
 مؤنس: فلتقولى؛ من منا فائز بك؟
 اميدى: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تستدعى إليك واحداً؟
 مؤنس: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تبعدى عنك واحداً؟
 فتينة: تبارك الله فيما يطلبه هذان الشخصان المباغتان، ماذا يُسمى هذا غير جنون!

إننى أعلم لمن أعطى قلبى، ومن أختار.
 فليس عندى الكثير من التردد.

.....

ولكن أقولها صراحة من الصعب على
 أن أعترف بهذا الحديث وجها لوجه
 فواحد يريد أن يسمع مالا يحبه أحد
 وأنا أعتقد لا يجوز قوله أمام الناس
 ولأن القلب يُعبر يقينا عما يحبه
 فلماذا يخطئ بعد ذلك على نحو آخر؟

وما الحاجة للصراحة طالما كانت الكناية تكفى

فما الحاجة للأسنان طالما أن العقدة تُحل بالأصابع !!

تكفى العاشق العاقل إشارة

وهى إجابة شافية لغير المرغوب فيه.

اميدى: لا، لا، افصحى، فهذا ما أريده، وأنا لا أخشى الرد....

مؤنس:.... ولكن هذه رغبتى، أريد منك لفظا صريحا بجرأة تامة، فأنا مصر على عدم سماع كلمات ملتوية هذه المرة فأعظم فنونك؛ مراعاة خاطر الجميع. فلا محل ثانية للتلاعب والتردد أكثر من ذلك.

اميدى: يجب عليك التحدث بوضوح فى هذا الموضوع.

مؤنس: وإلا سأعتبر السكوت علامة الرضا وسأقبل ردك فرحا، فليكن الرد بالكلمات، وليكن ما يكون.

اميدى: سيدى، أعطيك الحق فيما شعرت به من قلق وأنا لا أقول لها إلا نفس ما قلت.

فتينة: لقد تألمت بشدة من هذا التردد فهل من العدل ما تطلبان؟ لتكونا منصفين! ألم أقل لكما إن الأمر ليس بيدى "تقول ليلى". حسن أتيت ليلى، فلتحكمى بيننا !

الترجمات الأخرى: ترجمت أيضا فى نفس الفترة أو بعدها بقليل بعض مسرحيات موليير الأخرى إلى الفارسية، وأكسب المترجمون هذه الترجمات ملامح إيرانية وفقا لذوقهم الشخصى، وغيروا الأسماء والأزياء والأشخاص. ومن بينها كوميديا "طبيب رغم أنفه" و"المغفل" والنسخ المتاحة منهما نادرة، ولدى نسخة من طبيب رغم أنفه التى ترجمها واقتبسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة وقد طبعت عام ١٣٢٢هـ. ق فى طهران، ولكننا لا نعلم إن كانت هذه النسخة هى الترجمة

الأولى أم أنها الترجمة الثانية لهذا العمل. أما مسرحية "المغفل" التي سُميت مسرحية الحمار فربما تكون هي نفسها الترجمة التي قدمت فيما بعد عام ١٣٣١ هـ.ق في قاعة "جراند هُتل" بطهران من قبل القائمين على "المسرح القومي".

ومسرحية "المغفل" التي أطلق عليها كاتبها الفرنسي أيضا "أحداث غير متوقعة" لا تعد من أفضل مؤلفات موليير، وهي أول كوميديا كتبها بينما كان مسافرا وكان يبلغ من العمر إحدى وثلاثين سنة، وبعد سبع سنوات أمضاها في الترحال عُرِضت المسرحية بعد عودته إلى ليون عام ١٦٥٣م وقد خلت هذه المسرحية خلال الترجمة النثرية الفارسية من اللطائف الشعرية الفرنسية والسحر الخاص الذي أبدعه قلم موليير الساحر. وقد تم تغيير الأسماء والشخصيات في الترجمة الفارسية وكذلك مكان وقوع أحداث القصة فقد جعلها المترجم مدينة بغداد في حين كان موليير قد اختار مدينة مسين^(١).

وتدور القصة في الترجمة الفارسية على النحو التالي تقريبا: يقوم نسيم خادم ميرزا هوشيار بالتآمر والاحتيال كي يصل سيده إلى "جميلة" جارية الحاج سليم، ولكن سيده المغفل لا يعلم شيئا عن خططه فيتسبب في إفشالها. ولا تبدو مؤامرات نسيم طبيعية، ولا تبدو تصرفات ميرزا هوشيار أيضا ناتجة عن غبائه. ونظرا لأن مكان الحدث، كما ذكر كان بغداد فإن غالبية المشاهد بدت غير منطقية ولا معنى لها لكونها تحدث في تلك المدينة الإسلامية، مثل ذهاب نسيم متخفيا إلى منزل الحاج سليم من أجل مساعدة الفتاة على الهرب، وتناول الحاج سليم وجميلة الطعام مع تاجر أرمني (هو ميرزا هوشيار نفسه) على مائدة واحدة وهو الأمر الذي لا يتناسب مع التقاليد الشرقية.

وجدير بالقول هنا أن المترجمين في العهد الناصري وما بعده أيضا كانوا يميلون إلى اقتباس مضامين مسرحيات موليير والآخرين، وكتابتها بشيء من الحرية

Messine^(١)

لتوافق ذوق القراء والمشاهدين الإيرانيين. ومن ذلك ترجمة الأمير محمد طاهر ميرزا (عرس السيد ميرزا ١٢٨١ش) و ترجمة محمد حسن خان اعتماد السلطنة (طبيب رغم أنه ١٢٩١ش) و ترجمة حسينقلي ميرزا عماد السلطنة (عرس بالإكراه ١٢٩٠ش) و ترجمة ميرزا أحمد خان كمال الوزارة محمودى (الحاج المرائى خان أو تارتوف الشرقى ١٢٩٥ش) وتقريبا كافة ترجمات سيد على خان نصر (خادع العوام المرائى، ثلاثة أعراس فى ليلة واحدة، الدائن والمدين، وميرزا البطل ١٣١٨ش).

٤ - آخوندزاده:

تعد أعمال ميرزا فتحعلى آخوند زاده أقدم المسرحيات التى ألفت وفقا للأسلوب الأوروبى، وترجمها من الآذرية للفرسية ميرزا جعفر القزاجه داغى، وقد أثرت هذه الترجمات فى الأدب المسرحى الوليد فى إيران مثل المسرحيات المقتبسة عن مولير. ولد ميرزا فتحعلى آخوندزاده (المعروف بعد ذلك بـ آخوندوف) عام ١٨١٢م (١٢٢٨هـ.ن) فى مدينة نوخا^(١). ويعد طليعة كتاب المسرح الآذريين ورائدهم. ووالده ميرزا محمد تقى من أهالى قصبة خامنه، وهى من توابع أرونق وأنزاب بآذربيجان، وكان قد ترك منزله وزوجته وأولاده فى خامنه بسبب الظلم الذى لاقاه من رجال الدولة، وتوجه إلى مدينة نوخا، وهناك تزوج من نعناع خانم ابنة شقيق آخوند ملا على أصغر والذى كان من كبار علماء تلك المدينة، ورزق منها بميرزا فتحعلى^(٢).

قدم ميرزا محمد تقى عام ١٨١٤م (١٢٣٠هـ.ق) إلى مركز خا منه، وعاش بها ميرزا فتحعلى لعدة سنوات مع أمه. ولكن نظرا لأن ميرزا محمد تقى كان لديه زوجة وابن آخر فى مركز خامنه ولم تستقر الأمور بين نعناع خانم وزوجته الأخرى فقد حصلت على الطلاق وعادت مع ابنها ميرزا فتحعلى إلى عمها آخوند

(١) نوخا أو نخو هى نفسها مدينة شكى القديمة وتقع على مسافة ثمانين كيلو مترا من محطة يولاخ للسكة الحديد، وهى من مراكز صناعة الحرير فى آذربيجان الروسية.

(٢) سرگذشت ميرزا فتحعلى آخوندزاده به قلم خوداو، الفباى جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣.

ملا على أصغر الذى كان يعيش آنذاك فى مشكين بأردبيل. وعلى هذا النحو انفصل ميرزا فتحعلى للأبد عن والده وظل ملازما لعم والدته بداية فى مشكين ثم فى قرية هوراند قراداغ (ارسباران) وأمضى فترة من الوقت بين قبيلة انكوت فى مخيمات ولى بيكلو. واعتنى آخوندملا على أصغر بتعليمه وتربيته، وقام ميرزا فتحعلى الذى عُرف بعد ذلك باسم آخوند زاده بدراسة القرآن ومبادئ اللغتين الفارسية والعربية، واطلع إلى حد ما على العلوم الإسلامية.

وفى عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ.ق) ذهب آخوندملا على أصغر مع أسرته إلى كنجه وظل يسعى لتأهيل ميرزا فتحعلى للحصول على مناصب دينية، ولكنه اضطر بعد عام للعودة إلى وطنه الأصلي نوحا نتيجة الحروب التى نشبت بين إيران وروسيا وتدمير مدينة كنجه وتدهور أوضاعه المادية، وهناك أكمل ميرزا فتحعلى دراسته.

وفى عام ١٨٣٢م (نهاية ١٢٤٧هـ.ق) توجه ملا على أصغر لزيارة بيت الله، ونظرا لرغبته فى انخراط ابنه بالتبني وحفيد أخيه فى سلك علماء الدين؛ حمله إلى كنجه، وسلمه إلى أحد أصدقائه يسمى آخوند ملا حسين الذى علمه النحو والصرف والمنطق والفقه. وفى نفس الوقت التقى ميرزا فتحعلى مع ميرزا شفيع الحكيم والشاعر الكنجوى.

وهذا الشاعر الذى حظيت غزلياته بشهرة واسعة فى أوروبا كان رجلا عالما ببناء على بعض المصادر القديمة^(١) قدم من إيران (تبريز أو شیراز) إلى كنجه، وهناك عمل بالأعمال الكتابية وتعليم فن الخط. ولكن كتاب التذاكر بآذربيجان الروسية يعتبرون كنجه مسقط رأسه.

وقد اشتهر ميرزا شفيع منذ عام ١٨٣٠م وما بعدها فى مدينة كنجه باعتباره

(١) منها رسالة نشرها فريدون بيك كوچرلو فى تفليس بمناسبة العيد المئوى لميلاد آخوندزاده فى ١٩١١م (١٣٢٩هـ.ق) أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من وفاته.

شاعرا وعالما. وكان آخوندزاده يتدرب على يديه على فن الخط في نفس العام وذكره في كتاباته بأنه رجل ورع وعالم.

انصرف ميرزا فتحعلي عن اتجاهاته الدينية التي كانت تعتمل في رأسه في البداية وذلك بعد لقائه بميرزا شفيق ونتيجة لإرشاده له وأخذ يفكر في ممارسة الأعمال الحكومية والأخذ بالعلوم والمدنية الحديثة.

وفي عام ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ.ق) عاد الحاج علي أصغر من مكة وحمل معه ثانياً ميرزا فتحعلي من كنجة إلى نوحا، وهناك التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية التي كانت قد أنشئت مؤخراً، ودرس اللغة الروسية، ولكنه لم يبق فيها أكثر من عام واحد بناء على قوله. وفي الفاتح من نوفمبر عام ١٨٣٢ م (١٢٥٠ هـ.ق) ذهب إلى تفليس، وهناك قدم إلى البارون روزن الحاكم الروسي في ولاية الكرج (جورجيا) والتحق بالعمل لدى الحكومة الروسية مترجماً للغات الشرقية. وكان عمر ميرزا فتحعلي آنذاك ثلاثة وعشرين عاماً. ويذكر في سيرته الذاتية بامتنان محبة البارون روزن له.

ظل ميرزا فتحعلي حتى وفاته في هذا المنصب، وأدى المهام المكلف بها بكل دقة، واعترافاً بخدماته الجليلة حصل على درجة أمير الجيش والعديد من الأوسمة. وكان يشارك في البعثات المختلفة، والمباحثات الدبلوماسية ومراسم الاستقبال والمحاكمات: في عام ١٨٣٧ م أوفد مترجماً إلى الأبخاز لتحديد الحدود الساحلية للبحر الأسود ضمن الوفد الذي رأسه الجنرال روزن. وفي عام ١٨٤٠ م شارك في اللجنة المكلفة بتحديد الحدود الروسية التركية بصفته مترجماً للقائد العام للأركان المسلحة "تميرفيتش دانتشكوف" وفي عام ١٨٤٨ م وبصفته مترجماً رافق الوفد الذي أرسله بلاط القيصر برئاسة الجنرال شيلينج للتهنئة بتتويج ناصر الدين شاه، وشارك في مفاوضات عام ١٨٥٥ م في تركيا وفي لجنة التحقيق الإدارية في إيران والكثير من المهام الأخرى.

وكانت تفليس في ذلك الوقت مقرا للحاكم وحاضرة بلاد القوقاز وتتميز على سائر المدن الأخرى في القوقاز لكونها مدينة الثقافة والأدب. ونتيجة لسفر آخوند زاده إلى تفليس وإقامته بها بدأت مرحلة جديدة في حياته وخاصة في مجال نشاطه الأدبي. فقد كان مطلعاً على تاريخ إيران وأدبها ونجح في فترة وجيزة في دراسة اللغة والأدب الروسي واطلع عن طريق اللغة الروسية على الآداب والفلسفة الغربية، وقرأ مؤلفات كتاب القرن الثامن عشر الأوروبيين مثل هلباخ، وديدرو، وهلوسوس، وفولتير وغيرهم، وتعرف كذلك على علماء عصره والمنادين بالحرية مثل خاتشاتور أبوويان الكاتب الأرمني الشهير وبستوجوف مارلينسكي الكاتب الروسي الذي كان قد نفى إلى القوقاز.

وفي مطلع عام ١٨٣٧م قتل الكاتب والشاعر الروسي الكبير بوشكين نتيجة مؤامرة سياسية في دويل. وكان ميرزا فتحعلي قد اطلع في تفليس على روائعه وروائع الكتاب الروس الآخرين منذ ثلاث سنوات وكان ينظم الشعر أحياناً ويتخلص بـ (صباحي)، فنظم قصيدة في رثائه وأطلق أول صيحاته المطالبة بالحرية في مواجهة مفسد ولأه الأمور وسفكهم للدماء^(١).

لم يكن آخوندزاده يعلم شيئاً عن المسرح قبيل سفره إلى تفليس، وتعرف على فن المسرح للمرة الأولى في العقد الخامس من القرن التاسع عشر. وفي تلك الفترة كانت تقام حفلات موسيقية في صالونات أمراء ولاية الكرج (جورجيا) الأثرياء وأحياناً في الهواء الطلق وتعرض مشاهد قصيرة من أعمال الكتاب الروس والكرجيين. وفي عام ١٨٥٠م أسس كنيازفارانسوف نائب قيصر روسيا في القوقاز مسرحاً ضخماً في تفليس، وأخذ الممثلون الروس يقدمون فيه مسرحيات تحت إشراف سالكوب الكاتب الروسي، وكذلك الممثلون الكرجيين تحت إشراف كيناز اريستوف (وهو نفس القائد الذي فتح تبريز عام ١٢٤٣هـ.ق) ومن ذلك "بورژواي

(١) ترجم مارلينسكي قصيدة (مرگ بوشكين: موت بوشكين) إلى الروسية. ونشرت في صحيفة (روسكايا استارنيا) الصادرة في بطرسبورج.

اصلزاده^(١): البرجوازي النبيل "لموليير و"آفة العقل" لجريبايدوف وغيرها، وقد شاهد آخوندزاده هذه المسرحيات. واطلع على أكثر المؤلفات المسرحية الروسية ومن بينها ما كتبه جوجول وأستروفسكى، كما تأثر بشكسبير وموليير. أثرت كل هذه الأمور في مجملها تأثيرا كبيرا على كتاباته لدرجة أنه صار مولعا بالتأليف المسرحي، فصور ما بين عامي ١٨٥٠-١٨٥٦م مشاهد حية للواقع المعيش لأهالي أذربيجان، وانتقد الجوانب المظلمة بصراحة.

ويقول ميرزا فتحعلي في سيرته الذاتية: "... وأخص بالشكر المرحوم الجنرال كنيا زفارانسوف الذي كان ولي نعمتي الثاني بعد البارون روزين ونتيجة لرعاية هذا الأمير المحنك الحكيم برزت موهبتي في التأليف، فألفت ست مسرحيات كوميدية باللغة التركية الآذرية وعرضتها، فنالت إعجابا شديدا وشملتني إنعامات وفيرة، وعرضت مسرحياتي في مسرح تفليس الذي أنشأه هذا الأمير السخي. وسمعت من مشاهدي العروض المسرحية كلمات الإعجاب والإطراء"^(٢).

وسنتحدث تفصيلا عن مسرحيات آخوندزاده التي تعد أهم مؤلفاته ثم سنشير بعد ذلك إلى مؤلفاته الأخرى:-

حكاية يوسف شاه: إن قصة (ستارگان فريب خورده لنجوم المخدوعة) أو (حكايات يوسف شاه السراج) التي ألفها عام ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ.ق) من أعمال آخوندزاده الجديرة بالاهتمام^(٣).

تتزامن القصة مع فترة حكم الشاه عباس الكبير الصفوي وأقتبس موضوعها من حادثة تاريخية متعلقة برجل يعمل سروجيا يصبح ملكا لفترة مؤقتة. ففي العام

(١) Bougeois gentilhomme

(٢) صحيفة "كشكول" طبعة تفليس ١٨٧٧م الأعداد ٤٣-٤٥، و(الغباي جديد ومكتوبات، بـاكو ١٩٦٣ ص ٢٥٢.

(٣) ترجمت حكاية يوسف شاه للروسية للمرة الثانية بقلم فريدون بيك كوتشـرلو ونشرت في صحيفة بيك قفقاز (وستنيك كافكازا) العدد الخامس عام ١٩٠١م.

السابق من عهد الشاه عباس، ظهر في السماء نجم مذنّب، وتنبأ المنجمون بأن ظهور هذا النجم يعد إشارة إلى تغيير سلطان من سلاطين الزمان أو موته. وأشار كبير المنجمين جلال الدين محمد اليزدي باعتزال الشاه للسلطة لعدة أيام، على أن يجلس محله واحد من المحكوم عليهم بالإعدام. فألبسوا زى السلطان وتاجه لرجل يعمل سروجياً يدعى يوسفى وهو أحد أتباع فرقة إسلامية ضالة تؤمن بالتناسخ وغيرها من الأفكار الملحدة وتسمى النقطوية. وأجلسوا يوسفى على هذا العرش ووقف الشاه أمامه تحت إمرته. وعلى هذا النحو حكم لثلاثة أيام (منذ الخميس السابع إلى فجر يوم الأحد العاشر من ذى القعدة عام ١٠٠١). وفى اليوم العاشر من ذى القعدة أعدم وعاد الشاه إلى عرش السلطنة^(١).

يهدف المؤلف من هذه القصة إلى توضيح ظلم الشاه واستبداده وجهل الوزراء ورجال الدولة والدين والبلاط وتملقهم، والكشف عن أن هؤلاء من رؤساء الوزارات والعلماء الأجلاء والوزراء المبجلين هم السبب وراء الخراب الذى حل بإيران المقتدرة والعجز الذى أصاب "الدولة العلية". ويسعى الوزراء ورجال الدين فى مجلس الشاه للإشادة بأعمالهم الوضيعة التافهة كى تبدو وكأنها أفضال عظيمة وخدمات جليلة. ووزراء الشاه رغم ما تضيفه عليهم مناصبهم من وقار ومهابة يتحدثون عن ضرورة درء بلاء النجوم العظيم. فوزير الحرب "سردار زمان خان" يسمى نفسه "الكنب العجوز للحضرة العلية"، ويتحدث عن هجوم الجنود العثمانيين على الأراضى الإيرانية - وهو الأمر البعيد عن الموضوع - من أجل استعراض حكمته وتدبيره غير العادى أمام الشاه ورجال البلاط يقول: "على الرغم من أن عدد جنودنا لم يكن أقل من عدد العثمانيين فقد خشيت أن ألقى بجنود الفرقة الناجية إلى التهلكة فى مقابل الفرقة الضالة. لهذا أمرت بتخريب الأراضى الزراعية بداية من الحدود العثمانية وحتى نهاية أراضى آذربيجان وإعدام الدواب وتدمير الجسور والطرقات وعندما عبر "بكر باشا" قائد الجيش العثمانى الحدود، لم ير أمامه أحداً

(١) تاريخ عالم آراى عباسى، تأليف إسكندر بيك المنشى وغيره من كتب التاريخ المعروفة.

منا ولكنّه وجد الطرق مدمرة لدرجة أنّه لم يستطع نقل المدفعية فدخل تبريز بدونها مع حفنة من الفرسان والمشاة بصعوبة شديدة، وحاول الحصول على المؤن بكل الوسائل فلم يجد حبة قمح ولا بقرة أو شاة. فاضطر للرحيل بعد ثلاثة أيام قضائها هائما على وجهه جائعا وغادر تبريز. وبهذه الحيلة حميت إيران من شر العدو الأجنبي. لقد كان تدمير الطرق والجسور فعّالا لدرجة أن الدولة العلية رأت بعد فرار بكر باشا أن المصلحة تقتضى ترك الطرق والجسور على حالها حتى تحوّل دون تطاول هذه الطائفة الأجنبية على الدولة. وعلى هذا لم تسل قطرة واحدة من دماء جنودنا وظلت كافة العساكر المنصورة مصونة من الأذى كيّدا في العدو المتآخم لنا حقا، إن كلب بلاط الدولة العلية لا يعجز عن استخدام الكياسة والتدبير في مثل هذه الأمور، ولكن عقل خادمكم عاجز وقاصر عن دفع بلاء النجوم".

لا تقدر "العساكر المنصورة" على الصمود أمام "الفرقة الضالة" فتولى وجهها للفرار، ويعبر العدو الحدود، وفي سبيل حماية الوطن لا تسيل قطرة من الدماء ويستعرض في تفاخر، تدمير الجسور والطرق، تدمير مزارع الفلاحين وإعدام الدواب. يستعرض كل هذا بكبر ومباهاة باعتباره سياسة حربية وتدبيراً لشئون الملك، ولا يشعر صاحب الجلالة بالاستياء حيال كلام "كلب الحضرة العجوز"، وهذا الدمار الذي كان قد ارتكب باسم المصلحة، يبقى على حاله كي تأمن المملكة من الاعتداء الأجنبي!

وزير المالية ميرزا محسن الذي يسمى نفسه "بساط الخزانة العامرة" يقطع رواتب الموظفين ليملاً الخزانة ويعتبر هذا التصرف عملاً جليلاً من أعماله. أما الفقيه صمد كبير رجال الدين؛ لا يختلف عن الوزراء ورجال المملكة في التملق والنفاق، فيدعو للملك ويمتدحه، ويثني بمبالغة على جهوده للتصدي للمذهب السني ونشر المذهب الشيعي. وفي مقابل هذه الفئة الطفيلية يتمتع يوسف السراج بشخصية إيجابية. فما إن يصل يوسف إلى السلطة حتى يحدث تغييرات شاملة في الجهاز الحكومي وقبل كل شيء يُظهر الإدارات ويقلّل الوزراء الجهلاء المتملقين، ويعين

فى أماكنهم رجالاً أكفاء عقلاء.. ثم يلغى تماماً منصب كبير المنجمين وكذلك العقوبات وأساليب القتل الوحشية مثل الشنق والتوسيط "شق الإنسان بالسيف نصفين" وبتر الأذن والأنف وقلع العين، ويأمر بعدم إزال العقاب على أحد دون محاكمة وتحقيق. ويقيم محاكم منصفة فى أرجاء الدولة، ويصدر أوامر للحكام والولاة بإحسان معاملة الأهالى، وجاء فى فرمان:- "بلغوا عن لسانى كل حكام الولايات أن يخشوا الله وألا يرتكبوا المظالم، وأن يكفوا عن سلب الأهالى ونهبهم، وألا يتقاضوا الرشوة، وليتقنوا من أن هذه الأعمال والتصرفات ستعود عليهم فى النهاية بالبلاء والتعاسة".

ويسن يوسف شاه قوانين جديدة للضرائب لتحسين أوضاع أهالى إيران الذين يحتضرون تحت وطأة الضرائب المجحفة، فيخفض قيمتها ويجعلها لسكان المدن عشرة بالمائة وللقرويين خمسة بالمائة. ويلغى الإكراميات والإتاوات والهدايا والرسوم الأخرى والخمس والزكاة ومخصصات الإمام وما إلى ذلك، ويسلم أشخاصا من أهل الثقة الشؤون المالية. ويعبد الطرق ويعمر الجسور، وينشئ أربطة القوافل، ويشق الترعى حيث تقل المياه، ويشيد المكتبات والمستشفيات فى الأقاليم.

فيوسف شاه فى هذه القصة فى المجلد رجل سياسى مصلح عظيم ينفذ خطة شاملة، وقد صنع منه المؤلف نموذجا للشخصية المثالية للإصلاح الاجتماعى والثقافى من وجهة نظره.

وفى هذه القصة تبدو صفات كل الشخصيات بارزة وواضحة وهيئتهم طبيعية مفعمة بالحياة، ويمثل كل فرد من الأبطال نموذجا حقيقيا للشخصية الواقعية. أما أحداث القصة فهى مترابطة على نحو جيد، فكل حدث يرتبط بالآخر، واستخدم الكاتب أسلوب السخرية والنقد اللاذع ولم يستثن أحدا من ذلك.

ويمكن أن ندرك بوضوح من خلال مطالعة هذا الكتاب السبب وراء بُغض ميرزا حسين خان سپهسالار سفير إيران فى إسطنبول لميرزا فتحعلى ووضعه العراقيل فى سبيل تغيير الأبجدية الإسلامية.

مؤلفات آخوندزاده الأخرى: من مؤلفات آخوندزاده المهمة كتاب معنون بعنوان طويل "سه مکتوب شاهزاده هندی کمال الدولة به شاهزاده ایران جلال الدولة وجواب این به آن: رسالة الأمير الهندي کمال الدولة إلى الأمير الإيراني جلال الدولة ورد هذا على ذاك" وقد ألفه عامي ١٢٨٠-١٢٨١هـ ق باللغة التركية وزينه بأشعار فارسية وآيات قرآنية وأحاديث وأمثال عربية، وترجم المؤلف نفسه تلك النسخة إلى اللغة الفارسية، ومنح حق طبع النسختين الفارسية والتركية والترجمة للغات الأخرى والنشر لميرزا يوسف خان مستشار الدولة بموجب عقد مبرم. وقد اقتبس ميرزا آقا خان الكرمانی الأسلوب الذي حرر به كتاب "صد خطابه: مائة خطبة" من نفس هذا الكتاب.

وقد طرح المؤلف في هذا الكتاب آراءه السياسية والفلسفية. وأخفى اسمه في البداية كي يستطيع الإعراب عن رأيه صراحة في الإقطاع وظلم الحكام واستبدادهم ورجعية بعض معتقدات أهالي الشرق وأسباب تخلفهم، وأوصى خلال إهداءاته للناشرين وأصدقائه الإيرانيين بإخفاء نسخة کمال الدولة عن الجميع وعدم إتاحة الفرصة لأحد لقراءتها وعدم نسخها لأحد وإخفاء اسم المؤلف إلا على الأشخاص موضع الثقة، وفي خطابه المؤرخ بأواخر محرم ١٣٨٣هـ. ق الذي كتبه لميرزا عبد الوهاب خان نائب الوزارة (أصف الدولة ونصير الدولة الشيرازي) أعرب عن تألمه وشكواه من الشيخ محسن خان وزير إيران المفوض بلندن لأنه أخبر ميرزا عبد الوهاب خان بشأن تأليف هذا الكتاب بقوله "بالرغم من أنني مشتاق لتقبيل عينيه، ولكنني سأتشبث بأذياله في الآخرة وأشكوه لأنه نسب إليّ بهتاناً عظيماً، فجعلني أنا المسكين مصنفاً لذلك الكتاب، بالرغم من أن الأمير الهندي إقبال الدولة بن أورنج زيب، والأمير الإيراني شجاع الدولة بن علي شاه ظل السلطان كلاهما يعيش في بغداد وتجمع بينهما صداقة، وهما مؤلفا هذا الكتاب. فما ذنبي إن كانا قد بدلا اسميهما قسمي واحد نفسه کمال الدولة وسمى الآخر نفسه جلال الدولة^(١)".

(١) نامه های کمال الدولة: رسائل کمال الدولة، باکو ١٩٢٤، ص ٣، ٤.

- الفباي جديد ومکتوبات، باکو، ١٩٦٤، ص ٨٨.

ولكن آخوندزاده صرح فى الترجمة الحالية التى كتبها بنفسه عام ١٨٧٤م أنه هو نفسه مؤلف الكتاب.

تبدأ رسالة كمال الدولة الأولى بشرح سجل القوانين الإيرانية القديمة فى عهد جمشيد وكشتاسب، ثم تتناول بالتحليل أوضاع إيران المضطربة فى عهد المؤلف من وعورة الطرق وبوار الأراضى وخراب المدن وقذارة الحمامات العامة واضطراب الشئون المالية والاستبداد والظلم فى المحاكم، والنقص الشديد فى المطبوعات والكتب، الجهل والخرافات، وضاعة ومراء رجال البلاط والدين، ظلم الحكام. ويدعو الكاتب أهالى إيران المظلومين - الذين يفوقون الظالمين من حيث العدد والاستعداد - للسعى بكل ما لديهم من قوة فى سبيل الوحدة والتآلف وتحصيل العلوم والفنون ويحثهم على النهوض للإطاحة بجذور الظلم، والتحرر من قيود العبودية.

وخلال حديث الكاتب عن مغتصبى حقوق الشعب الإيراني زين مشاعره الوطنية بأشعار للفردوسى العظيم.

ومن مؤلفات آخوندزاده "رسالهء ایراد: رسالة الجدل" فى نقد ملحق تاريخ روضة الصفا لرضا قلى خان هدايت الذى ألفها عام ١٢٧٩ هـ.ق، وكذلك تحليل لشكل ومضمون إحدى قصائد شمس الشعراء سروش الأصفهاني والذى أرسله إلى أحد معارفه فى طهران. وله أيضا مقالة كتبها عام ١٢٨٣ هـ.ق فى نقد صحيفة "روزنامهء ملتى" وشمل هذا النقد شعار الصحيفة واقتراحيتها وعنوانها وموضوعاتها. وله أيضا "تلقين نامه عربى: رسالة التلقين العربية" الشهيرة وهى من كتابات آخوندزاده السياسية وقد ألفها فى أخريات حياته ونُشرت فى تبريز فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى بخط اليد ثم نُشرت بعد ذلك نسخة منها بها أخطاء فى القسم الفارسى من صحيفة "إرشاد" الصادرة فى باكو ومطلعها "يا

عبدالله وابن عبدالله، اسمع، افهم، إذا جاءك الرسولان المقربان من عند روس وإنجليس وآل عثمان وسألاك عن مدارسك وجندك وطرقك وصنایعك وتجارتك ومعارفك... فلا تخف ولا تحزن وقل في جوابهما... الخ^(١).

إن "رسائل كمال الدولة" وسائر مؤلفات آخوندزاده الاجتماعية والسياسية والفلسفية مثل "پاسخ به فیلسوف یوم: الرد على فیلسوف اليوم" و"عقیده جان استوارت درباره آزادی: رأى جان استوارت بخصوص الحرية" "ملای رومی ومنتوی او: مولانا الرومی ومنتویته" و"یا داشتهای انتقادی: مذكرات نقدية" وغيرها؛ جميعها من نتاج العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه الأعمال فضلاً عن رسائله المطولة تعد دليلاً بارزاً على ثراء النشاط الأدبي للكاتب في تلك الفترة ومرةً تعكس نضج آرائه الاجتماعية والسياسية والفلسفية وحدائتها.

أمضى آخوندزاده أوقات فراغه على مدى حياته في مطالعة الآداب والفلسفة والعلوم السياسية والاقتصادية وتأثر في كتاباته بجوجول وراڤشتشوف وبوشكين على وجه الخصوص واقتدى في القضايا الاجتماعية بآراء بلينسكي وتشرنيشفسكي ودابروليوبوف. وبذل جهوداً متواصلة في سبيل حقوق المرأة وتحريرها ونشر الثقافة والعلوم وتغيير الأبجدية الإسلامية والقضاء على الخرافات والتعصب الأعمى، وقد أثرت بشكل رئيسي في شعوب الشرق الأدنى.

توفي آخوندزاده في ٢٨ فبراير عام ١٨٧٨م (أواخر صفر ١٢٩٥هـ.ق) في السابعة والستين من العمر بمدينة تفليس، ودفن في مقابر المسلمين بترك المدينة^(٢).

(١) ورد هذا النموذج باللغة العربية كما هو وارد في المتن (المترجمة).

(٢) التقى الأمير فرهاد ميرزا في شوال عام ١٢٩٢هـ.ق بأخوندزاده في تفليس وتحدث إليه، ويقول عنه: "هو رجل فاضل، يجيد اللغة الروسية ويجيد الترجمة كما يعرف العربية والتركية والفارسية وينظم الشعر، وهو شيعي ولكن أحد عشرى المذهب وأشعرى المعتقد،= فيؤمن بالجبر، ولا يؤمن بولادة الإمام الغائب عجل الله فرجه، ويقرأ هذا الحديث "سيولد

وهذا الرجل المناضل المطالب بالحرية الذى كتب بجرأة غير عادية مناهضا الظلم فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى يعد أول مَنْ أسس الواقعية الكاملة فى الأدب الأذرى واعتبره كتاب الكوميديا الأذربيجانيون رائدا ومعلما لهم مثل جوجول فى الأدب الروسى وموليير فى الأدب الفرنسى. وظهر بعد ذلك فى القوقاز مؤلفون وكتاب دراما بارزون فى ظل رعايته متأثرين بكتاباته مثل نجف بيك وزيرواف وعبد الرحيم يردوف وميرزا جليل محمد قلى زاده، وفى إيران بادر البعض مثل ميرزا آقا التبريزى بتقديم مؤلفات مسرحية محاكاة له.

يتميز برنامج آخوندزاده الأدبى بالطابع الإصلاحى والثورى وهدفه خلق أسلوب بسيط وصادق، وربط الفن بالحياة، وتقديم النصيح عن طريق السخرية والفكاهة والنقد كى يستفيد الناس من "الأمور الحسنة ويتحاشوا "الأمور السيئة" ويتحلوا "بالصفات الطيبة".

إن موضوع الواقعية النقدية والساخرة فى فن آخوندزاده يعد من الموضوعات المهمة والبارزة، وعلى حد قوله فإن وضعه القائم دفعه للكتابة بأسلوب ساخر. فهو يعتقد أنه لا يوجد سلاح أفضل من النقد لاقتلاع جذور الفساد فى الزمن الذى ألف فيه الناس الأعمال القبيحة وساد الظلم والجور والتخلف والخرافات كل مكان، ولا توجد وسيلة أسمى من الأدب الساخر لرفع معنويات الشعب وخلق إحساس بالأمل والتفاؤل، ولا يجوز مطلقا التوجس والمواربة والمرونة والمداهنة فى المكان الذى يعج بالفساد.

ويقول لمرضى الجهل والتعصب: كفى النظر إلى الدنيا من وراء ستار من الدموع والآهات، هلموا نفعل شيئا يزيل الغم، هلموا نضع جانبا الأفكار والمشاكل

من ولد فاطمة مهدى يملاء الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا" فيقول لم يولد بعد، وينشد دائما هذا الشعر الذى نظمه الشيخ محمود الشبستري فى "گلشن راز: روضة الأسرار": "كل من قال أنه لا يؤمن بالجبر فهو كالملاحد" هداية السبل، ص ٣٩.

التي اغتالت في كياننا الرغبة في الحياة والمقاومة، ونتمسك بشدة بالحياة والدنيا، ونقتنص النعم الإلهية من مخالب "الذئاب والكلاب" المخضبة بالدماء.

قدم آخوندزاده الكوميديا بهذه الآراء والمعتقدات التي ذكرناها، وتجرع المخطئون والظالمون والنفعيون في ذلك الزمان سم قلمه الساخر.

مسرحيات آخوندزاده: مسرحيات آخوندزاده الست التي ألفها بالآثرية ما بين عامي ١٨٥٠-١٨٥٥م (١٢٦٧-١٢٧٢هـ.ق) كالآتي:

١- "حكايت ملا إبراهيم خليل كيمياگر: حكاية الملا إبراهيم خليل الكيمياء" وتقع في أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧.

وهذه المسرحية أولى أعمال آخوندزاده وطليلة كتاباته الدرامية، ومن خلالها يصور المؤلف رجلاً أفاقاً مغامراً يدعى القدرة على تحويل المعادن إلى ذهب، وأهالي مدينة نوحا من الأعيان؛ وهم أناس جهلاء طماعون نفعيون ومظهر للقبح والسوء. وفي المقابل صور شخصية الشاعر الحاج نوري الإيجابية. ويقوم الحاج نوري بتقديم النصيح وتوجيه اللوم للأشخاص الذين انخدعوا بكلام الملا إبراهيم خليل وصدقوا أنه يستطيع بالفعل تحويل النحاس إلى ذهب. وينصحهم بالبحث عن هذا الإكسير في قدرات الإنسان وعلمه: "نعم، إن علمي إكسير بالفعل، ولكن كما تقولون لا بد للإكسير من معدن يتأثر به، لذا فينبغي لإدراك علمي أن يتواجد أرباب الذوق والمعرفة ليدركوا قيمة كلماتي. والآن ولسوء حظي، أنتم أيها السادة من سكان المدينة لا تملكون عقلاً ولا معرفة ولا تتمتعون بالقدرة على الفهم أو الإحساس، فما ستكون فائدة علمي، ومن ذلك الذي سيفهم أشعاري؟" ولكن تجار المدينة لا يعجبون بهذا الكلام الرصين، فيبعدونه عنهم، فيقول أثناء طرده من المجلس "سأذهب ولكن اعلموا أن الكلام الصادق مر."

ويختلف الحاج نوري الشاعر عن أمثاله - مثلاً آلسست في "مردم گریز: الهارب" لموليير وتشاتسكي في "آفة العقل" لجريبا يدوف - فهو رجل عالم متفائل

يحدوه الأمل فيما يتعلق بمستقبل أمته. وقد صور هذا العمل خصائص الحياة الاجتماعية والحياة المعيشية في آذربيجان من خلال شخصية الملا إبراهيم خليل الكيمياي وأهالي مدينة نوخا من العامة المساكين، كما صور طليعة المستنيرين بآذربيجان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال شخصية الحاج نوري، وقد رسمت الشخصيات في هذه المسرحية بأسلوب سطحي ودون تدقيق.

٢- "مكاتب مسيو ژوردان حكيم نباتات ودرويش مستعلى شاه جادوگر معروف: حكاية السيد جوردان عالم النباتات والدرويش مستعلى شاه الساحر الشهير". وهي حكاية عجيبة، تقع في أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧هـ.ق ويقارن المؤلف في هذه المسرحية بين عالم الشرق المظلم المعتم وعالم الغرب المنير. وتعتبر شخصية مستعلى شاه الساحر عن مكر الدراويش واحتيالهم على العوام، وتصور المعممين المرائين الذين يستغلون جهل الناس، وتعتبر شخصية السيد جوردان عالم النباتات عن الأفكار التقدمية للحضارة الغربية، أما شخصية شاهباز بيك المولع بالسفر إلى باريس وتحصيل العلوم الحديثة نتيجة لتشجيع السيد جوردان فهي تعكس ضرورة الأخذ بالحضارة الأوروبية ورغبة الدارسين في ذلك الزمان في تعلم الفنون والعلوم الحديثة.

ويحتل دور مستعلى شاه في هذه الكوميديا الدرجة الثانية من حيث الأهمية، ويتحرر الشاب شهباز بيك من مستنقع البطالة متأثراً بالعالم الفرنسي ويسافر إلى حيث الحرية والثقافة ويصارع القوى المتمسكة بالأوضاع القديمة والعراقيل التي تحول دون تنفيذ آماله.

ويشير الكاتب إلى إمكانية انتقال ثورة ١٨٤٨ في فرنسا إلى أماكن أخرى من العالم وذلك على لسان خان پري: "إن كارثة تخريب مدينة باريس تجعلني أخشى أن تخرب مدن أخرى".

٣- (حكايت خرس قولدور باسان (دزدافكن): حكاية الدب صارع اللص). وتقع في ثلاثة فصول، وألفت عام ١٢٦٨هـ.ق.

وهو عمل واقعي يجسد حياة القرويين الأذربيجانيين في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. وتصور هذه المسرحية تنطع وبلطجة الرجال، وانغلاق النساء وتعاستهن وجوانب أخرى من الحياة الاجتماعية.

٤- "سرگزشت وزيرخان سراب"^(١): حكاية وزير خان السرابي وهي حكاية عجيبة وتقع في أربعة فصول ألفت عام ١٢٦٧هـ.ق.

وقد هاجم الكاتب في هذه الحكاية الإقطاع وصور بحبكة ومهارة تصرفات الخان البلهاء ونفاق وزير خان وتملقه. ولكن بعد أن يتولى تيمور آقا زمام الحكم يعزل الوزراء المنافقين المتملقين الذين لا يستحقون ألقابهم ومناصبهم، ويعين بدلا منهم رجالا محنكين من ذوى السمعة الطيبة. فهو شاب أدرك جيدا بذكائه الفطري الفساد الضارب في بلاطه ولكنه لا يزال يفتقد إلى الحنكة التي تمكنه من تنفيذ الإصلاحات الأساسية في الشؤون الإدارية.

٥- "سرگزشت مرد خسيس يا حاجي قرا": حكاية الرجل البخيل أو الحاج قرا وهي حكاية غريبة تقع في خمسة فصول، وقد ألفت عام ١٢٦٩هـ.ق.

٦- "حكايت وكلاي مرافعه در شهر تبريز": حكاية محامي الدفاع في مدينة تبريز: وهي حكاية غريبة، تقع في ثلاثة فصول، ألفت عام ١٢٧٢هـ.ق.

ومحامو الدفاع هي آخر مسرحيات آخوندزاده، وانتقد المؤلف في هذه المسرحية بشدة فساد الجهاز القضائي واحتيال المحامين، وقد تعدد جعل مدينة تبريز مسرحا للأحداث كي لا يلفت أنظار القارئ على رقابة المطبوعات في الحكومة الروسية الاستبدادية.

و"آقا مردان" محامي اشتهر في مدينة تبريز بالدسائس والاحتيال، يطعن في

(١) قام المؤلف نفسه (وليس مترجم المسرحية للفرسية كما يظن البعض) بتغيير اسمها إلى "وزيرخان اللكراني" بسبب أن المؤلف أدرك أن سراب تقع في الأراضي الإيرانية وربما يكون من غير اللائق نشر الكتاب بهذا الاسم.

حكم المحكمة كي لا تحصل سكينه خانم على ميراثها من أخيه المتوفى الحاج غفور، وقيمتها ستون ألف تومان. ويحيك مؤامرة ويحضر شهود الزور ويسعى لكسب القاضي ومعاونيه إلى صفه. ولكن على عكس المتوقع يقوم الشهود الذين أحضرهم بإفشاء السر فينتصر الحق والعدل ويفتضح الرجل المحتال.

وقبيل نشر المتون الآذرية للمسرحيات نُشرت الترجمة الروسية لها، بداية في صحيفة "قفقاز" بقلم المؤلف نفسه (ما عدا حكاية محامي الدفاع) ثم طبعت ترجمة الخمس مسرحيات في مجلد واحد تحت عنوان "كمدىهاى ميرزا فتحعلى آخوندوف" وذلك في تفليس عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ.ق). وذاعت شهرتها في الآفاق وكتبت عنها مقالات عديدة في الصحف والمجلات الروسية والألمانية، وعرضت في نفس الوقت بعض هذه المسرحيات في مسرح تفليس الذى أنشأه كنيازفارانسوف راعى آخوندزاده، وحازت الإعجاب^(١).

وفى عام ١٢٧٧ (١٨٥٩م) نُشرت المتون الآذرية للمسرحيات بالإضافة إلى حكاية يوسف شاه السراج لأول مرة تحت عنوان "تمثيلات: المسرحيات".

(١) عرضت مسرحية "السيد جوردن" في البداية في مارس ١٨٥١م في أحد مسارح بطرسبورج الخاصة (طبقاً لما نشر في "التقويم الأدبي" المؤرخ في ٣١ يناير ١٨٥٢م) ثم عرضت مسرحية "الدب صارع اللص" عام ١٨٥٢م في مسرح تفليس تقديراً لأكتريس آرنولد (صحيفة "قفقاز" العدد ٧ عام ١٨٥٢م). ولكن فيما يتعلق بعرض المسرحيات باللغة الأصلية فيمكننا القول بناء على إعلان مسرحى وجد بين أوراق آخوندزاده الشخصية أن مسرحية "وزير خان السرابى" قد عرضت لأول مرة عام ١٨٧٣م في باكو، وبهذه المناسبة أعد ملف في مكتب نائب قيصر روسيا في القوقاز، وهو محفوظ الآن في أرشيف الكنيسة الحكومية بجورجيا. وهذا الملف يحمل رقم ٢٣٨١ وعنوانه "التصريح بعرض وزيرخان السرابى وغيره باللغة التركية من قبل سكان باكو من المسلمين" ويتصدر هذا الملف الخطاب رقم ٢٦٠ المؤرخ في ٢ مارس ١٨٧٣ م من د. استارفلسكى حاكم باكو إلى البارون نيقولاى. وبموجب هذا الخطاب يطلب حاكم باكو السماح للمسلمين فى باكو بعرض مسرحية وزيرخان السرابى" تأليف آخوندزاده بمناسبة عيد النيروز. وفى الثامن من مارس من نفس العام أرسلت برقية بالموافقة كما يتضح من الإعلان، وعرضت مسرحية "وزير خان السرابى"، فى ١٠ مارس ١٨٧٣م ثم عرضت بعدها مسرحية "الحاج قرا" فى نفس السنة.

ولم تمض فترة طويلة حيث اشتهرت المسرحيات في إيران أيضا، وفي البداية ترجم ميرزا جعفر القزاجه داغى^(١) مسرحيتين إلى الفارسية بأسلوب بسيط، وأرسل نسخة منها لميرزا فتحعلي آخوندزاده، وأبدى آخوندزاده رأيه في سلامة الترجمة.

نشر ميرزا جعفر المسرحيتين عامي ١٢٨٨ و ١٢٩٠ هـ.ق ونظرا لأنهما حازتا القبول نشر عام ١٢٩١ هـ.ق المجموعة كاملة التي تضم خمس مسرحيات في مجلد واحد ومقدمة عن الفوائد التعليمية للمسرح، وصدرت في طبعة حجر بطهران، ثم صدرت منها طبعات أخرى لبعض المسرحيات في طهران ولاهور ومدرس، وصارت المسرحيات المذكورة على هذا النحو جزءا من الميراث الأدبي الإيراني^(٢).

قدم آخوندزاده في المقدمة التي كتبها للمسرحيات تعريفا لفن المسرح أولا ثم تعريفا للكوميديا ووضح أهميتها العظيمة لتهذيب الأخلاق والسلوك الإنساني، وقسم

-
- (١) لم أحصل على معلومات وافية عن ميرزا جعفر القزاجه داغى، عدا أنه كان موظفا في وزارة العدل وكاتبا للأمير جلال الدين ميرزا وكان يعمل في أخريات حياته مترجما للغة التركية في "دار الترجمة الحكومية المباركة" ووفقا لما ورد في التقويم الملحق بالمجلد الثالث من "درر التيجان" لاعتماد السلطنة ظل في هذا العمل إلى أن توفي عام ١٣١٠ هـ.ق.
- (٢) ترجمت بعض مسرحيات آخوندزاده عن الترجمة الفارسية لميرزا جعفر إلى لغات أوروبية أخرى. من ذلك نشر د.ه. هكرد، وج. لوسترنج عام ١٨٨٢م في لندن "وزير خان اللنكراني" مع ترجمتها الإنجليزية والنص الفارسي المترجم لميرزا جعفر وقائمة للكلمات وبعض الملحقات. وفي عام ١٨٨٣ ترجم الأديب الفرنسي ث. باربيه دومي ناز "حكاية محامي الدفاع" إلى الفرنسية ونشرها. وفي عام ١٨٨٦م نشر المحقق المذكور ترجمة "حكاية الملا إبراهيم خليل الكيمائي" في "جورنال آسياتيك". وفي عام ١٨٨٩م نشرت "حكاية الدب صارع اللص" في مجلة جمعية علماء اللغة باستكهولم، وفي نفس العام نشر ألفونس جوي يار "وزير خان اللنكراني" و"محامي الدفاع" باللغة الفارسية، وفي نفس العام أيضا نشر البرفسور أ. وارموند الترجمة الفارسية لـ "السيد جوردان عالم النباتات" مع ترجمتها وفهرسا للكلمات وملحقات وذلك في فيينا ولايبتزيك. كما ترجم أيضا بريكتو الأستاذ بجامعة لياج مسرحية "البخيل" وهي من أعمال آخوندزاده الجيدة وكذلك عدة مسرحيات تنسب إلى ميرزا ملكم خان. ولكن حكاية "يوسف شاه السراج" فهي لم تترجم حتى الآن إلى اللغات الأوروبية عدا الروسية على حد علمي.

فن الكتابة المسرحية إلى قسمين (التراجيديا) أى التعبير عن المصائب و(الكوميديا) أى التعبير عن البهجة، ويؤكد وجهة النظر التالية فى رسالته التى أرسلها إلى ميرزا ملكم خان "الفن عندى يهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانية وتقديم العبرة للقراء والمستمعين". ومن هذا المنطلق يعتبر نقل البهجة أى الكوميديا أكثر تأثيراً فى تهذيب أخلاق البشر وهداية الناس إلى الطريق القويم ومكافحة الفساد. وقد انتخب لنفسه هذا اللون من الكتابة وسعى للكشف عن العيوب والمفاسد الاجتماعية فى عصره عن طريق السخرية والفكاهة والضحك.

وفى هذه المقدمة يعتبر آخوندزاده نفسه مؤسس هذا الفن العجيب ويقول "لما كان الأمير الأعظم كنياز فارانسوف حاكم ولاية القوقاز قد أنشأ عام ١٢٦٦هـ ق بناءة فخمة تسمى المسرح فى مدينة تفليس وأنفق مبالغ ضخمة لتحقيق المصلحة العامة التى ذكرتها سالفاً، لهذا ألفت على سبيل التجربة ست مسرحيات وحكاية واحدة كى أعرف الأمة الإسلامية على هذا الأمر الغريب، وها أنا أقدمها كلها فى مجلد واحد لأهل المعرفة، ولا أنتظر كغيرى من المؤلفين أن يصدرُوا أحكاماً على مواطن الضعف والقوة فيها، ولكنى أتمنى أن يطلعوا على هذا الفن الجديد ويبادروا بالتأليف على غرارها حسب قدرتهم على الإبداع، كى ينتشر هذا الفن العجيب بفضل رعايتهم على وجه السرعة فى العالم الإسلامى. فوظيفتى تنحصر فقط فى تقديم نموذج ومثال ومخطط لبنية الموضوع".

تعلم ميرزا فتحعلى كما ذكرنا سالفاً رموز وأسس تخطيط هذه البنية الحديثة من كتاب المسرح الغربيين، وقد أثرت مسرحيات موليير الكاتب الفرنسى المتميز فى القرن السابع عشر على وجه الخصوص فى مؤلفاته. فأحياناً نلاحظ فى أبطال مسرحيات فتحعلى السخرية اللاذعة، والذكاء والفتنة، الردود الحاضرة وغيرها من الخصائص التى تميز بها أبطال موليير. لكن آخوندزاده لم يقيد نفسه بالإطار الضيق للأسلوب الكلاسيكى الذى كان يعتبره موليير بمثابة قواعد وشروط أدبية لا يمكن تجاوزها فى عهده، وبنفس الحرية التى تظهر فى أعمال شكسبير رسم أبطال

مسرحياته بصفات إنسانية طبيعية. وهو لا يلتزم بوحدة الزمان والمكان، فمكان وقوع الحدث يتغير سريعا، والفترة الزمنية بين الفصول أحيانا تمتد لشهور وسنوات ويجذب انتباه المشاهدين بمهارة من مكان إلى آخر، ويخلق بنفس القدرة والحرفية صورا طبيعية ومشاهد حية ومقتعة. ويتجنب الصور الأحادية السطحية غير المتروية في تصوير الجوانب الإنسانية السلبية، وفي المجل تعد البساطة وتناغم الحوار مع طبيعة الأشخاص، ووضوح المضمون والتناهي التدريجي والمستمر للمناقشات وسرعة الوصول إلى نتائج من خصائص مسرحيات آخوندزاده.

ولا يحتل الأشخاص ذوو الصفات السلبية وحدهم مكانة خاصة في مسرحيات آخوندزاده ولكن أيضا شخصيات ذلك العصر البارزة والإيجابية. فيجعل الكاتب في مقابل "الملا إبراهيم خليل" المحتال والمغامر وأهالي نوحا الطماعين شاعرا ورعا مثل الحاج "توري"، وفي مقابل "حسن آقا" و"الدرويش" مستعلى يجعل "السيد جوردان" و"شاهباز بيك"، وفي مقابل "الخان" الجاهل يصور شابا واعدة مثل "تيمور آقا" كى يستطيع إبراز الصفات السلبية بصورة أفضل وأكثر وضوحا.

إن مسرحيات آخوندزاده التى كتبت بلغة أدبية سهلة وبسيطة تعد مرآة صادقة لأخلاق أهالي أذربيجان اناطقين بالتركية وعاداتهم وتقاليدهم. فالكاتب عليم بالطبائع البشرية وقادر على التعبير عما يدركه. وفي كل مسرحية من هذه المسرحيات نجد أنفسنا في زمن كتابة القصة وبين الأوضاع والظروف التى صورت من خلالها، ويمر أبطال المسرحية أمامنا واحدا واحدا بأخلاقهم وصفاتهم وملابسهم، ونفهم بوضوح حديثهم وتصرفاتهم ونضحك معهم، ونبكي معهم.

يظهر الجميع من القروى إلى الشاه بهيئتهم وصفاتهم الواقعية فى مشاهد المسرحية، ويقدمون أعمالهم وأفعالهم القبيحة غير اللائقة، يتحدثون بلغة واصطلاحات طبقتهم وبيئتهم، وكأن الكاتب قد عايش كل هؤلاء الناس وسجل أفعالهم وأحاديثهم فى ذاكرته.

ومثلما اشتهر أبطال مسرحيات موليير "اسجاندرو" و"هارباجون" و"تارتوف" باعتبارهم نماذج للفئة المنتمين إليها، وكذلك "خلستاكف" و"دبشيسكى" و"بيتشيسكى" أبطال جوجول ائمشهورون؛ فإن أبطال مسرحيات اخوندزاده "حاتم خان آقا" و"الحاج قرا" و"زليخا" و"بيرام" و"آفاكريم ميانجى" و"ملا ابراهيم خليل" لازالوا أحياء، ويمارسون أعمالهم غير اللائقة.

مضى أكثر من مائة عام منذ ألف ميرزا فتحعلى مسرحياته، ومع هذا لم تتغير عاداتنا وتقاليدها وأسلوب معيشتنا. ولا تزال أخلاق وصفات ذلك الزمان الذميمة مسيطرة علينا وعلى مجتمعنا برغم اختيار مظاهر الحضارة الغربية، فلا زلنا نرث غفلتهم وكسلهم وميلهم للراحة وضيق أفقهم. وبالنظر إلى هذه الأمور تبدو لنا أهمية أعمال اخوندزاده الحقيقية وقيمتها، وبعد مرور مائة عام لا زلنا نستطيع أن نشاهد شخصيات أعماله حية وجليّة في مجتمعنا. فلازال أهالى القرى عندنا غارقين فى الجهل والامية والفقر، ويعرض أمثال "الحاج قرا" فى الأسواق للمشتريين البضائع الكاسدة فى محلاتهم وسقط المتاع، ويقسمون لهم كذبا على أنها بضائع رائجة ويخسرون دينهم وإيمانهم، ولا تزال شبوهات "شهربانو خانم" و"خان برى تنه" يخدعن أزواجهن بالتعساء بالسحر والدجل، كما يعتبر أمثال "حاتم خان آقا" أن محاكاتهم للغربيين تكون بعدم إطلاق اللحية وعدم حلاقة الشعر أو التخضب بالحناء وخلع غطاء الرأس وتناول الطعام بالملعقة والشوكة، ولا زال أمثال "الملا ابراهيم خليل" يسلبون الناس البسطاء السذج أموالهم وممتلكاتهم بالشعوذة والخزعبلات، كما يرتكب المعاصرون من أمثال "آقامردان حلوچى زاده" "آقا سلمان الكچى زاده" كل يوم مئات الأعمال المخالفة للشرع والأعراف باعتبارهم محامين بارزين فى المحاكم، ويضيعون هباء ممتلكات مئات النفوس الطاهرة عن طريق إثارة الفتنة وارتكاب المفاصد باسم القانون.

حكاية الرجل البخيل: تعد حكاية الرجل البخيل أقوى مسرحيات آخوندزاده ومثالاً راقياً وكوميدياً كلاسيكية في الأدب الأذري^(١). وقد صورت في هذا العمل الواقعى مشاهد جذابة من الحياة الاجتماعية لأهالى أذربيجان فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى، وتتميز بأهمية تاريخية لما تكشف عنه من ظلم واستبداد واستغلال وخسة وغيرها من الصفات الذميمة.

و"الحاج قرا" بطل المسرحية الرئيسى رجل بخيل يستولى عليه مرض أو شهوة "البخل" مما يجعله شخصية فكاھية. وقد قدمت شخصية البخيل مراراً فى الآداب العالمية. ولكن "الحاج قرا" يعد شخصية كاملة الملامح وأصيلة مقارنة بشخصيات البخلاء مثل "هارباجون" عند موليير، و"بارن" عند بوشكين، و"بليوشكين" عند جوجول.

ويقول الناقد الروسى الكبير بلينسكى عند حديثه عن "البخل" بطل مسرحية بوشكين: "إن البخل والوضاعة ليسا بالأمر الجديد، ولكن النبوغ والإبداع يمكن أن يكسبا كل قديم جدة. ففكرة البخيل واحدة، ولكن أشكالها مختلفة تماماً".

فالرجل الذى يدعى "هارباجون" الذى يوصف بالبخل فى مسرحية موليير هو "مجرد بخيل"^(٢) وفقاً لتصريح بوشكين، على عكس "الحاج قرا"؛ ففضلاً عن أنه شديد البخل وجبان وكاذب إلا أنه يتحلى ببعض الصفات الإنسانية الحميدة مثل الحكمة والفراسة والذكاء والاستتارة والتدبير. فهذا الشخص يفهم الحياة جيداً ولا يكف عن السعى لتحقيق أهدافه.^(٣)

(١) يقال إن صديق آخوندزاده قاسم بيك الشاعر القراباغى المتخلص بـ "ذاكر" والذى كان يتبادل معه الرسائل كان قد قدم لآخوندزاده مضمون المسرحية وقام آخوندزاده بتهذيب الفكرة وألف كوميدياً "الرجل البخيل".

(٢) يقصد الكاتب الروسى أن أبطال المسرحية موليير ومن بينهم البخيل يتميز كل منهم بسمات محددة أحادية الطابع.

(٣) حكاية الرجل البخيل ليست ترجمة لمسرحية L'Avare لموليير عن الترجمة الروسية كما يعتقد الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى (نـگـاهى به دراما تورژى در ایران، بیام نوین، العام=

و"حيدر بيك" من الشخصيات الجذابة في هذه الكوميديا، وهو من نسل أسرة عريقة، أو بعبارة أخرى نموذج لإفلاس الطبقة الإقطاعية القديمة. فحيدر بيك بالرغم من أنه قاطع طريق ومهرب إلا أنه شخص من النجباء غيور يكره الخيانة والكذب والرياء. فهو يمتلك قوة داخلية هائلة ولكنه عاجز عن توظيفها توظيفاً مناسباً والاستفادة منها لأنه عازف عن الكسب والعمل والتجارة، وييظر دائماً إلى الماضي البائد، وهو لا يعرف كيفية الحصول على المال والثروة على النقيض من "الحاج قرا" الذي يفكر دائماً في زيادة رأس ماله وثروته، ولكن على كل حال يعبر كل منهما من منطلقين مختلفين بالطبع عن مبادئ غير سامية تتسم بالخلاء وتناقض المجتمع. فهذا فتوة قاطع طريق وذاك اتخذ من اللصوصية والغش في البيت والسوق، والتعامل بالبيع والشراء في البضائع المهربة مبدأً لحياته، والنتيجة أن كليهما يمارس أعمالاً وضيعة. وفي مقابل هاتين الشخصيتين وحفنة من موظفي انبلاط القيصري الظالمين الذين تضامنوا مع الإقطاعيين وذوى المنفعة وتحالفوا معهم توجد نساء عاقلات يتميزن بالجرأة مثل "صونا" و"تكذ" والقرويون المساكين مثل "مجرديتش" و"أراكل" والخادم "كرمعلی" الذي انحنى ظهره نتيجة الاستغلال في ظروف مجحفة وقاسية، وبشكل عام يوجد أفراد شرفاء مسالمون يمارسون أعمالاً شاقة مفيدة للمجتمع.

٥- ميرزا آقا التبريزي:

إن أولى المسرحيات التي ألقت بقلم الإيرانيين أنفسهم بعد مسرحيات أخوندزاده الكوميدية التي كتبت أصلاً باللغة التركية الآذرية هي ثلاث مسرحيات قصيرة تنسب إلى ميرزا ملكم خان طبعت أجزاء منها في حواشي صحيفة "اتحاد"^(١) خلال أعداد متفرقة، ولكن قبل أن يكتمل نشرها وقعت حادثة ٢٣ جمادى

= (الثالث، العدد ١٠)، بل هي عمل مستقل ولا يوجد وجه للشبه بين العاملين سوى أن بطليهما بخيلان.

(١) صدرت في تبريز منذ أوائل صفر حتى نهاية جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ.ق.

الأولى ١٣٢٦ هـ.ق (انقلاب محمد علي شاه وقصف المجلس) ولم يكتمل هذا الأمر نتيجة توقف كافة الصحف المنادية بالدستور. ثم وجدت نسخة كاملة للمسرحيات الثلاثة في مكتبة "جراف فن روزن" الدبلوماسية والمستشرق الألماني الشهير، وفي عام ١٣٤٠ هـ.ق طبعت في برلين تحت عنوان "مجموعهء مشتمل برسه قطعته تتأثر منسوب به ميرزا ملكم خان ناظم الدولة: مجموعة تضم ثلاث مسرحيات تنسب إلى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة".

يتضح وفقا للوثيقة التي توفرت لدينا مؤخرا أن ميرزا ملكم خان لم يكتب مسرحية مطلقا، وأن المسرحيات التي نسبت له هي من تأليف ميرزا آقا التبريزي السكرتير الأول بسفارة فرنسا المقيم في طهران.

وليس لدينا معلومات كثيرة عن هذا الشخص. ويقدم نفسه في الخطاب الذي كتبه إلى ميرزا فتحعلي آخوندزاده قائلا: "أسمى ميرزا آقا، ومن أهالي تبريز. كنت مهتما منذ طفولتي بدراسة اللغتين الفرنسية والروسية، وقد درست اللغة الفرنسية بالقدر الذي يمكنني من الكتابة والترجمة والحديث، كما أعرف قدرا أيضا من اللغة الروسية. ويعد عملي لعدة سنوات في المدرسة الملكية وأداء مهمتي في بغداد وإسطنبول والحصول على أربعة أوسمة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة من تلك المدرسة ووسام التفوق، أعمل منذ سبع سنوات بإذن من أولياء الدولة في سفارة دولة فرنسا انجالية بطهران في منصب السكرتير الأول"^(١).

أراد ميرزا آقا في البداية أن يترجم مسرحيات آخوندزاده إلى الفارسية بناء على رغبته لكنه عدل عن هذه الفكرة بعد ذلك، وقام بهذا العمل كما رأينا سابقا ميرزا جعفر القزاجه داغي. أرسل ميرزا آقا المسرحيات الثلاث التي كان قد ألفها إلى آخوندزاده لإبداء رأيه فيها، ووضح السبب وراء عدوله عن ترجمة المسرحيات وإقباله على تأليف أعمال مستقلة فيقول: "لقد حالفني الحظ منذ قراءتي

(١) ميرزا فتحعلي آخوندزاده: الفباي جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣، ص ٣٨٩.

للكتاب التركي من تأليف ذلك السيد الجليل، وشغفت بالتدريج بالكتابات الباعثة للسرور، واستبصرت من موضوعاتها الجميلة وعباراتها الجذابة التي تحوى أنواع العبر والآداب، فاعتبرت من واجبي أن أقلد ذلك السيد الجليل المعظم وأحاكيه فى هذا الأسلوب الميمون وهذا السياق المحمود، وأكون مريدا له. فأردت فى البداية أن أترجم إلى اللغة الفارسية كتاب المسرح كما طلبتم، فرأيت أن الترجمة اللفظية تقضى على جمال الألفاظ وتفقد الكلام بلاغته. فشعرت حقيقة بالأسف وتوقفت عن الترجمة ولما كان هدفى المحاكاة؛ لهذا كتبت شيئا يسيرا بنفس الأسلوب باللغة الفارسية، وتركت هذا التقليد الجديد بين القوم نموذجاً ليسعى العقلاء إن شاء الله لإكماله وتهذيبه^(١).

وقد كتبت هذه المسرحيات بالتأكيد فى حدود عام ١٢٨٧ هـ.ق لا قبل ذلك التاريخ ولا بعده بكثير^(٢). وجعل لها المؤلف عناوين مفصلة وطويلة على النحو التالى:

١- "سرکذشت اشرف خان حاکم عربستان در ایام توقف او در طهران که در سنه ١٣٢٢ به پایتخت احضار می شود وحساب سه ساله و لایست را پرداخته مفاصا می گیرد وبعد از ترجمات زیاد دوباره خلعت حکومت پوشیده می رود: حکایة اشرف خان حاکم بلاد العرب فى أيام توقفه فى طهران حیث یستدعى

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٢) أرسل میرزا فتحعلی آخوند زاده فى هذا العام نسخة من المسرحيات للأمير جلال الدين میرزا ابن فتحعلی شاه، وسأله "لو قام شخص من فضلاء طهران متحدثا بالفارسية - ويفهم اللغة التركية جيدا بترجمة هذه المسرحيات من اللغة التركية إلى اللغة الفارسية بنفس القواعد والشروط التى أشرت إليها فى الكتاب دون نقص أو زيادة وبدون تكلف أو قافية، ووفقا للمتداول لدى الناطقين بالفارسية فى إطار لغة الحوار وليس فى إطار الإنشاء، ويقوم بطبعه ونشره؛ فبالقطع سوف يؤدي خدمة جليلة للأمة". وتولى میرزا جعفر القزاجه داغى مهمة ترجمة المسرحيات، وكتب میرزا آقا مسرحياته الثلاث تقليدا لهذه المسرحيات، وأرسل نسخة منها لآخوندزاده لإبداء رأيه فيها. ويتضح من الرسالة التى كتبها آخوندزاده إلى میرزا آقا فى ٢٨ يونيه ١٢٨٨ أنه كان قد انتهى من كتابة تلك المسرحيات فى ذلك التاريخ.

عام ١٣٢٢ إلى العاصمة ويسدد حساب ثلاث سنوات من الولاية ويحصل على إيصال بالسداد، ثم يُمنح الحكم بعد مشقة كبيرة ويمضى "وتقع فى أربعة فصول.

٢- "طريقة حكومت زمانخان بروجردى وسر گذشت آن أيام: أسلوب حكم زمان خان البروجردى وحكاية تلك الأيام" وتقع فى أربعة فصول.

٣- "حكايت كربلا رفتن شاهقلى ميرزا وسرگذشت آن أيام وتوقف جندروزه در کرمانشاه نزد شاهمراد ميرزا حاكم آنجا: حكاية ذهاب شاه قلى ميرزا إلى كربلاء وحكاية تلك الأيام وتوقفه عدة أيام فى کرمانشاه لدى حاكم تلك الديار شاهمراد ميرزا".

وقد صورت فى تلك المسرحيات مشاهد قاتمة ومخيفة عن الاستبداد وغياب القانون فى العهد الناصرى والأوضاع السيئة فى ذلك العصر فضلا عن الكثير من الأحداث المثيرة للضحك، وقدمت بأسلوب نثرى ساخر يجبر القارئ المعاصر على الضحك عفويا. ولكن بالطبع أهالى ذلك الزمان الذين ضاقوا من انظلم والاستبداد وكانوا متعطشين للحرية والثقافة الأوروبية قد تأثروا لقراءة هذه الهزليات المريرة الساخرة التى تبعد عن المبالغات وتمثل الحقيقة.

والمسرحيات الثلاث هى فى الواقع قطع كتبت بأسلوب الحوار ولم يُراع فى كتابتها الأصول والقواعد الفنية للمسرح الأوروبى حيث وحدة الزمان والمكان وغير ذلك، ولهذا صار تقريبا من غير الممكن عرضها. فعلى سبيل المثال فى الفصل الأول من حكاية أسلوب حكم زمان خان... يرسل كبير الخدم فى قاعة إحدى الدوائر الحكومية أحد الخدم ليحضر "قارطانوس" بائع الشراب. فيذهب الخادم، ويترك باب منزل "قارطانوس" ويحدثه، ويعود الاثنان سويا إلى الإدارة الحكومية بينما يتحاوران، ثم يجلس هذه المرة الخان الحاكم فى وسط حديقة (لا فى نفس القاعة بالإدارة الحكومية) ويتحدث مع ميرزا جهانجير. وعلى هذا النحو يدور الفصل أو المشهد الأول فى أربعة أماكن مختلفة (قاعة الإدارة الحكومية، أمام باب

منزل فارطانوس، الطريق، حديقة المبنى الحكومى)، ويتضح من سياق الكلام أن هذه الأحداث لا تقع فى يوم واحد ولكن فى عدة أيام ربما منذ يوم الخميس حتى يوم السبت.

ويدور الفصل الثالث على نفس النسق، "آقاباجى" تحمل الرسائل من "كوكب خانم" للحاج رجب ورئيس الخدم، وتحضر الرد.

وفى الفصل الثانى من حكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كربلاء... يركب الأمير مع الخدم والجند فى المقدمة، وخلفهم أثاث المنزل والسقاية، ويتبعهم الغلمان وعدد كبير من الخيول الاحتياطية، ويخرج خلفهم من المدينة "ايرج ميرزا" ابن الحاكم وأتباعه، وخلال الطريق يتحدث "شاهقلى ميرزا" مع ابنه. وعلى مسافة فرسخ من مدينة سنقر يظهر فارس ويصل رئيس المخفر والعمدة وبرفقتهم مائتان من الجنود ويصطفون على الجانبين. وعلى مقربة من القرية، يقدم الرعية على الجانبين الأضاحى من الغنم. وفى اليوم الثانى يجلس "شاهقلى ميرزا" على عرش مطعم بالذهب فى قاعة ذات سبعة أبواب، ويصطف الجنود فى الطريق إلى البلاط الملكى وكذلك النجباء والأعيان عن اليمين وعن اليسار. ويذهب الأشخاص الذين يعملون لدى الأمير إلى ابنه "ايرج ميرزا" ثم يعودون.... يضم فصل واحد كل هذه الوقائع والأحداث المتسمة بالحشمة والجلال والتي تحدث على مدى الطريق الممتد من بداية خروج الأمير إلى نهاية رحلته وعلى مدى عدة أيام.

ونشعر أن الكاتب لم يطلع على المسرحيات الأوروبية، أو أنه ألف مسرحياته لتقديم العبرة للمواطنين من أهل بلده فقط وليس من أجل عرضها، لدرجة أنه لم يطلق عليها لفظ مسرحية أو عرض بل أسماها حكاية.

لم تخف المسائل المطروحة سابقا عن آخوندزاده، فأبدى وجهة نظره حول كل مسرحية على حدة فى الرسالة التى كتبها إلى المؤلف فى نقد المسرحيات، ويستهل الرسالة بقوله: "أخى العطوف ميرزا آقا، أطال الله عمركم. وصلتني

رسالتك اللطيفة. قرأت مؤلفك عن آخره، وأرسل لك ألف ثناء وإطراء، وأشعر بالسعادة لحميتك وموهبتك، وأتمنى أن تقضى أوقاتك على الدوام فى هذا الفن الراقى الذى يسميه الأوروبيون "الدراما" وأن تحرز المزيد من النجاح"^(١).

ثم يضيف "ولكن طالما أن هذا العمل طليعة أعمالكم وجب على أن أقدم لكم بعض المآخذ عليه"^(٢).

ثم يقوم بتعريف المسرح ونقد المسرحيات وبعض الأجزاء التى لا يمكن عرضها ويوجهه إلى كيفية عرضها، كما يلفت نظره إلى نقاط تتعلق بالشخصيات والمشاهد فى حكاية زمانخان... وينصحه بتغيير المشاهد وغير ذلك.

وقد استحسن آخوندزاده من بين مسرحيات ميرزا آقا الثلاث "أسلوب حكم زمانخان" عن غيرها، وأوصى المؤلف أن يسميها "سرگذشت دهياشتى قاسم وكوكب: حكاية قاسم رئيس الخدم وكوكب" لأن دور زمانخان فى هذه الحكاية صغير. ولكنه لم يعجب مطلقا بحكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كربلاء... وكتب: إن حكاية شاهقلى ميرزا سيئة تماما، فلتحرقها. فلا يجدر بأصحاب القلم أن يكتبوا مثل هذه الأشياء"^(٣).

وها نحن نستشهد فيما يلى بالفصل الثانى من مسرحية "أسلوب حكم زمانخان..." للتعرف على أسلوب الكاتب:

(١) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونية عام ١٨٧١ (ربيع الأول ١٢٨٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونيه عام ١٨٧١.

أسلوب حكم زمانخان...

المشهد الثانى

ميرزاجهانجيرخان: (يقول للخان الحاكم) أيها الخان العزيز، هذا ذنبك، وزير البلاط يقول الحق. فالأسلوب الذى تحكم به لا يصلح. لا رشوة، لا شئ. فأمثالك يحصلون على رشوة مائة تومان يومياً، فهل أنت مغسل وضامن الجنة أو النار للميت؟! أنت حاكم لعدة أيام، فعليك أن تجمع من الرشاوى أربع عملات من الشاهى وتذهب فليقبر أبو الرعية! فالمسئول عن الرعية نفسه لا يفكر فيهم، إلى أين سيرسلونك ثانية؟ فهذه الحكومات لا قيمة لها، فغدا سيظهر واحد ويقدم الهدايا ويصبح الحاكم، فلتبق أنت ولتبق طهران ولتظل حبسا بركن المنزل. وحتى لا يحدث هذا فعليك بالغش والإجحاف، واقبض على التقى وقيد الطاهر البرى، وكن مرتشياً واحصل على الرشوة... فإلى متى تظل أبلها؟

الخان الحاكم: (بهدهوء) وهل رجال الحاشية يدعون الإنسان يتصرف على نحو صحيح؟ أنت تقول الحق، فكل هذا ذنب كبير الخدم...

كبير الخدم: لماذا سيدى الخان، ما ذنبى؟، وما التقصير الذى حدث؟

الخان الحاكم: ما التعهدات التى التزمت بها معى؟ وما أساليب تلقى الرشاوى التى عرضتها على؟ فم منذ فترة لم تقبض على سكير، ولا تعلم شيئاً عن من يمارسون البغاء، ولا عن أى عرييد، ولم تحصل على رشوة تومان أو اثنين... ألا تعرف عمك، أم إنك لا تصدقنى القول؟ أيهما الصحيح؟

كبير الخدم: (يتقدم ويقول) بالتأكيد إن ذاكرة الخان قد خانتته. فأول أمس كنت تتصحنى بغير ذلك، والآن تتحدث بأسلوب مغاير، لا أعلم ماذا تقصد بهذه الأوامر؟

الخان الحاكم: لقد صرتُ هذه الأيام مفلساً. ولم أسدد القسط المقرر على الولاية، ابحث عن سكير، بغى، أحضر رشوة من الهواء، فالأمر لا يسير على هذا النحو.

كبير الخدم: عليك أن تأمر وعلى التنفيذ، أول أمس أمرتني على عكس ذلك
(يخرج وينادى) يا أولاد، لينادى أحد "قاسم" رئيس الخدم (يأتى قاسم رئيس الخدم
ويؤدى التحية) رئيس الخدم !

رئيس الخدم: نعم سيدى !

كبير الخدم: إن الحاكم مفلس هذه الأيام، ولا يملك النفقات اليومية للمعيشة.

رئيس الخدم: سيدى إذا ماذا على فعله؟

كبير الخدم: فلتبحث عن بغى معروفة واقبض عليها، وخذ منها أربعين أو
خمسين تومانا.

رئيس الخدم: أى بغى؟ وكيف؟

كبير الخدم: أين السيدة كاشى؟

رئيس الخدم: لقد تابت وتزوجت.

كبير الخدم: وماذا تفعل السيدة الشيرازية؟

رئيس الخدم: أصيبت بداء الزهرى ولا تعمل.

كبير الخدم: وماذا عن سكينه صانعة الطواقي؟

رئيس الخدم: لقد كبرت فى السن، وهى الآن قوادة.

كبير الخدم: وماذا عن "زيور" ذات الجدائل الطويلة؟

رئيس الخدم: لقد علا شأنها هذه الأيام، فقد رافقت الأمير المتعهد بالخيل
الملكية، ولا يستطيع حتى الفيل أن يتحدث معها.

كبير الخدم: لقد علا شأن "صاحب جان" هذه الأيام جدا، فالكل يتكلم عنها.

رئيس الخدم: لا يمكن الحديث عن "صاحب جان"، حصلت من الوزير

ميرزا عيسى على وثيقة الطلاق، وتحملها تحت إبطها، وتتعم بعوائد الإقطاع من أرض الخاصة الملكية.

كبير الخدم: آه ها تذكرت. لا أحسن من كوكب الشاهورديخانية: فهي صارعة العشاق ولصة ومحتالة وتعرف كل الأساليب. اضغط عليها بالطبع، نتوقع واحدا من هؤلاء التجار الأثرياء في الفخ. وأمسكوه لنحصل منه على مائتين أو ثلاثمائة تومان.

رئيس الخدم: نعم نعم. أحسنت القول، فكرة جديدة. سأبحث عنها ونتفق معها. بالطبع ستوقع واحدا في الفخ، وفي النهاية نعطي لها شيئا.

كبير الخدم: أف، اذهب وتدبر الأمر. ورأس أخى سأحصل لك على منصب نائب رئيس الخدم.

رئيس الخدم: دام فضلك علينا، أنا رئيس الخدم بالفعل، ولكن العمل بالديوان شئ آخر. أدام الله فضلك. سأذهب لإنهاء ما طلبت (يأتى، و يرسل أحد الفتوات إلى كوكب ويدق الفتوة بابها).

الوكيل: (يتقدم وكيل كوكب عند الباب) ماذا تقول؟

الفتوة: قل للسيدة إن قاسم رئيس الخدم يريد أن يقابلك ويدخن النرجيلة ثم يذهب.

الوكيل: توقف حتى أحضر الرد (يذهب لكوكب ويخبرها) لقد أرسل قاسم رئيس الخدم رجلا، يريد أن يأتى ليقابلك.

كوكب: بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله الأمر خيرا، ما الموضوع؟! أول أمس أرسلت السكر والشاي وعباءة من أجل رئيس الخدم، ماذا حدث ثانية! اللعنة على هذا العمل، فزوجة السيد كبير الخدم تتفاخر بفضلى فى الحمامات بأنها تملك بساطا من الحرير الكشميرى وكوزا وإبريقا. لتحترق يا وكيل، فكل هذا من

جرائك. العام الماضى أردت أن أتزوج "كاظم قشنج" ولكنك لم تتركنى أرتاح لعدة أيام، حسن، اذهب الآن وادعه ليأتى، لأرى ما الحلم الذى رآه لى.

الوكيل: (يذهب عند الباب ويقول للفتوة) تسمع السيدة لكم بالدخول، البيت ببيتكم.

الفتوة: يأتى مسرعا ويقول لرئيس الخدم: تفضل، باسم الله، كوكب خانم بالمنزل.

رئيس الخدم: الحمد لله يكاد الأمر أن يتحقق وستفعل الحيلة تماما (يأتى ويدخل فناء منزل كوكب. ويسأل الوكيل) هل السيدة كوكب قادمة؟

الوكيل: هى فى تلك الحجرة ذات الأبواب الخمسة أمامك.

رئيس الخدم: (يدخل الحجرة) سيدتى السلام عليك.

كوكب: عليك السلام عزيزى رئيس الخدم، جعلت فداءً لطلتك التى تشبه القمر، يا للعجب، حللت أهلا ونزلت سهلا. كيف تذكرت الفقراء؟ وحياة أختى بينما كنت ذاهبة للحمام بالأمس وقع نظرى عليك، فخفق قلبى، وأردت أن أذهب للحديث معك، فخرجت لوجود الناس.

رئيس الخدم: سيدتى العزيزة، وحياتك الغالية، أنا لا أرغب فى واحدة غيرك من بينهن جميعا. أقول دائما ماذا يمنع الإنسان حسن السلوك والعارف بالأصول عن بعض ال.....

كوكب: بالطبع، بالطبع، عزيزى رئيس الخدم، من القلب للقلب رسول. (تتأدى) يا وكيل، تعال اجلس هنا. يا وكيل أستحلفك بامرأتك العجوز، ألم أمتدح رئيس الخدم وأتحدث عنه كثيرا فى تلك الليلة التى كان الوزير هنا، حسن سيدى رئيس الخدم، لندع هذا جانبا، لو أنك لم تشملنى برعايتك أكنت أترك أملاكى وأحضر وأحصل على إذن بالسكن فى حيك؟ إذن لتعلم أن كل هذا من أجلك.

رئيس الخدم: حسن فلتخبريني الآن عن عمالك، كيف تسير الأمور معك؟
هل حصلت على صيد ثمين أم لا؟

كوكب: سيدى العزيز، لا أعلم ما بال هذا العام؟ وكأن جميع الناس قد ماتوا، لا أجد رجلا مغرما، لا تفوح رائحة العشق من أحد مطلقا، وكأن الشبان قد أصيبوا بالشيخوخة ! الوكيل يعلم أننى رهنت كل متاعى لدى زوجة خسروخان بسبب الكساد، ولا أملك نفقاتى اليومية.

رئيس الخدم: لا، لا ينبغي أن تقلقى على هذه الأمور، فالحياة فانية، يجب العيش فى سرور وكفى.

كوكب: حقا، ولكن السرور يتطلب قلبا خاليا وكذلك المال، فالسرور لا يأتى مجانا.

رئيس الخدم: عندى فكرة. لو أحسنت التدبير ولم تتركى شيئا للمصادفة، سينتهى كل هذا، ونتخلص من ضيق ذات اليد.

كوكب: ها، قل؛ لأعرف، خيرا إن شاء الله.

رئيس الخدم: سيدتى، انظرى، عليك توثيق علاقتك بصديقك عن العام الماضى الحاج "رجب خوش ابرو"، واستضيفيه ليلة من الليلية، ليحضر هنا ونقبض عليه، فتكونى قدمت خدمة للحاكم وقدمت خدمة لنفسك أيضا.

كوكب: (تلطم وجهها وتقول) يا ويلي، يا ويلي، يا عارى، دعك بالله من هذا، هل وصل الأمر لذلك؟

رئيس الخدم: رأيته؛ النسوة أحيانا بلا عقل. ألم يكذب عليك محروق الأب هذا كثيرا العام الماضى، وفى النهاية زاول العشق أمامك مع "طاوس" ذات الخال، فأحرق قلبك. ألا زلت تقولين هل وصل الأمر لذلك؟!

كوكب: (تحت نفسها على البكاء) آه آه، ماذا أفعل، حظى سييء، عزيزى
رئيس الخدم لتحكم بالله عليك، هذه التى تتبول دون إرادة، محروقة الأب، أتساوى
إصبعى الصغير!! وذاك الخسيس تركنى وأخذ تلك العفنة التى تتبول دون إرادة.

رئيس الخدم: دعينى أقول لك، هيا تداركى الأمر الآن.

كوكب: أخشى أن تلوكنى الألسن ويقولون كوكب شؤم لا تصون العشرة،
أترون حبست صديقها !

رئيس الخدم: ها ها ها. هذا كله أوهام. الكل يعلم أن الحاج رجب قد أساء
إليك كثيرا.

كوكب: أخشى شيئا آخر، أخشى لو حدث هذا أن يحبسنى الخان الحاكم ولا
يطلق سراحي، ستكون مصيبة على رأسى !!!

رئيس الخدم: وحياة أولادى وحياتى، والملح الذى أكلناه سويا، لن يحدث
هذا. فكرى جيدا. أنا لا أقدم على عمل لم أدرسه جيدا. (يضرب على ركبته)، لو
فكرت فى هذه الأوهام لن يبقى رئيس الخدم قاسم إنشاء الله على وجه الأرض...

كوكب: لا تقل هذا، لا تقل هذا، لا أراد الله، فلنمت أنا والحاج رجب، الحاج
رجب فداء لشجرة من شاربك الشهم. كنت أتحدث فقط، وأفهم كل ما تقول. دعهم
يقولون إن كوكب قد قُتلت فى سبيل قاسم رئيس الخدم، الآن قل لى ماذا أفعل!!

رئيس الخدم: دورك الآن كالتالى: تكتبين ورقة وتعطينها للوكيل فيحملها
ويسلمها للحاج رجب، وتأخذين منه موعدا ذات ليلة ليحضر إليك: وما إن يأتى
ويجلس عليك بمشاغلته. وبعد مرور أربع ساعات من الليل سندخل أنا واثان
أو ثلاثة إلى المنزل، وسنلقى القبض عليك وعليه، ألن يشتري الحاج رجب كرامته
بألف تومان!! فسنأخذ منه دون مشاحنة فى ذات الليلة مائتين أو ثلاثمائة تومان،
ونتركه، وأنت تجلسين مكانك هنا فى أمان.

كوكب: حسن جدا. اتفقنا. لتحضر كى أعلمك بالأمر.

رئيس الخدم: (ينهض ويذهب) فى حفظ الله.

كوكب: مع السلامة يا عزيزى رئيس الخدم. الله معك.

(يُسدل الستار)

الفصل السادس: السيد جمال الدين

ارتكزت مساعي جماعة من المجاهدين في سبيل الحرية والمستنيرين المقيمين خارج إيران وتعاليم وجهود السيد جمال الدين الأفغانى حامل لواء الوحدة الإسلامية وزعيم الجبهة الإسلامية الحرة على مكافحة الاستعمار.

ولد هذا الرجل الجليل في حدود عام ١٢٥٤ هـ.ق (على كل حال ليس قبل هذا التاريخ أو بعده بكثير)^(١). ويعتبره الأفغان وكتاب الدول الإسلامية الأخرى مثل مصر والشام ولبنان وأفغانيا وينسبونه إلى السيد على الترمذى عالم الحديث الشهير، ولكن الكثير من الإيرانيين يعتقدون أنه قد ولد في "أسد آباد" الواقعة على مسافة ثمانية فراسخ من مدينة همدان التاريخية.

وجدير بالذكر أن الحكومة الأفغانية طلبت من الحكومة التركية السماح لها بنقل رفات السيد جمال الدين إلى كابل، وعلى الرغم من أن بعض الصحف الإيرانية قد احتجت على هذا الموضوع فإن تركيا وافقت على الأمر ونقلت رفاتة إلى كابل في مراسم مهيبة^(٢).

(١) يؤكد هذا الرأي طلب الانضمام إلى المحفل الماسونى المؤرخ فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى عام ١٢٩٢ هـ.ق وقد ذكر فيه أنه يبلغ من العمر السابعة والثلاثين (مجموعه اسناد چاپ نشده، لوحة رقم ٤٠).

(٢) للبحث عن موضوع مسقط رأسه انظر: الشيخ محمد عبده، مقدمة على رسالة "الرد على الدهريين"؛ جورجى زيدان: مشاهير الشرق؛ أديب اسحق: كتاب الدرر، سليم العنحورى: شرح قصيدة سحر هاروت، ميرزا لطف الله الأسد آبادى: شرح حال وأثار سيد جمال الدين أسد آبادى، برلين ٢٠٤ ش، صفات الله جمالى الأسد آبادى: "اسناد ومدارك دربارہء ايرانى الأصل بون سيد جمال الدين اسد آبادى، طهران، بدون تاريخ؛ ناظم الإسلام: "تاريخ بيدارى ایرانیان"، تقى زاده: كاوه، العام الثانى، الأعداد ٣، ٩ و"مردان خود ساختہ"؛ ميرزا على خان امين الدولة: "خاطرات سياسى"؛ إيوارد براون: "تاريخ انقلاب ايران"؛ سيد هادى خسرو شاهى: "دفاع از سيد جمال الدين اسد آبادى" طهران، مرداد ١٣٤٣ ش؛ محمد قزوینى: "يا داشتہا" مجلة يادگار، العام الثالث، العدد الرابع، "مجموعهء اسناد ومدارك چاپ نشده دربارہء سيد جمال الدين" طهران ١٣٤٢ ش.

ولا توجد لدينا معلومات كافية عن مرحلة طفولته وبداياته الأولى، وتفيد المصادر الإيرانية أنه ذهب في أول شبابه إلى همدان لقسوة أبيه وانتقل منها إلى تبريز، ودرس لفترة من الوقت في قزوین وأصفهان ومشهد وتبحر في العلوم الإسلامية، وفي الثامنة عشر من عمره سافر إلى الهند عن طريق شیراز وبوشهر. أما الروايات العربية فتفيد أن أسرة السيد كانت تمتلك بعض الأراضي في أفغانستان ثم استولى عليها الأمير دوست محمد خان، فانتقل والد السيد جمال الدين وجمع من أعمامه إلى مدينة كابل. وكان عمره في ذلك الوقت ثمانى سنوات وقام في العاشرة بدراسة العلوم الإسلامية كالأدب العربى والتاريخ والتفسير والحديث والفقه وأصول الدين وعلم الكلام والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة. وفي الثامنة عشرة فرغ من دراسته وسافر إلى الهند.

والخلافاً حول المرحلة اللاحقة من حياة السيد قليلة. وأشمل ما يتوفر لدينا عن سيرة السيد جمال والذي اقتبس عنه كافة الكتاب الآخرين^(١) السيرة التي أوردها الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية - الذى كان أكثر المقربين إليه وأعلمهم بأحواله - في مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين، ويبدو أنه سمع أغلب هذه الأحداث على لسان السيد نفسه أو عاصرها بنفسه. وبناء على هذه السيرة والمعلومات التي أتاحت لنا من المصادر الأخرى فقد أقام السيد لمدة عام وبضعة شهور في الهند، وأكمل دراسته ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وقام بالتجوال والإقامة في بلاد العرب لمدة سنة تقريباً، وأخذ يتقصى عن الأحوال الاجتماعية والسياسية في العالم العربى إلى أن أدى فريضة الحج عام ١٢٧٣هـ. ق وعاد عام ١٢٧٥هـ. ق إلى أفغانستان التي كانت في ذلك الوقت فريضة للفتن الداخلية، وانضم في كابل إلى رجال الأمير دوست محمد خان.

وعلا شأن السيد جمال الدين أيضاً أثناء تولى محمد أعظم خان الإمارة، وكان الأمير يستشير في كافة الأمور المهمة. ثم فر محمد أعظم خان إلى إيران

(١) تقي زاده، برلون، محمود محمود وآخرون

نظرا لاستيلاء "شير على" على قندهار وانتصاره عليه، ثم توفي في نيسابور بعد عدة شهور. ولم يتعرض شير على خان لأسرة السيد وعشيرته نظرا لاهتمام محمد أعظم خان به، وأعرب عن احترامه له ظاهريا، ولكن السيد كان يعلم أنه يكن له الضغينة، فطلب السماح له بالسفر للحج، فوافق الأمير على طلبه شريطة ألا يمر بإيران نظرا لأن الأمير محمد أعظم خان كان لا يزال يعيش في نيسابور في ذلك الوقت، وكان شير على خان يخشى لقاء السيد به. فسافر السيد في الشهور الأخيرة من عام ١٢٨٥ هـ.ق إلى الحج عن طريق الهند بعد هزيمة محمد أعظم خان بثلاثة شهور^(١).

واستقبل في الهند استقبالا حافلا ولكنه لم يحصل على تصريح بالإقامة لفترة طويلة، ولم يسمح للعلماء الهنود بملاقاته في عدم حضور رجال الدولة. ولم يبق السيد في الهند أكثر من شهر وذهب إلى إسطنبول عن طريق السويس وظل في إسطنبول حتى شوال ١٢٨٦ هـ.ق على أقل تقدير، وذهب إلى مصر خلال شهر من الشهرين الأخيرين من ذلك العام، وظل بها لفترة وجيزة، وفي تلك الفترة تردد على الجامع الأزهر، وأخذ يلتقى ويتباحث مع علماء مصر وطلاب العلم الذين كان أكثرهم من السوريين^(٢)، إلى أن عاد مرة أخرى إلى إسطنبول، فاستقبل باحترام من قبل الصدر الأعظم العثماني أمين عالي باشا، والسياسي العثماني فؤاد باشا.

(١) وفقا لـ "إسناد جديد" غادر قندهار في ٢٥ شعبان وظل في بومباي حتى ١٤ محرم ١٢٨٦ هـ.ق.

(٢) خلال رحلته الأولى هذه إلى مصر التقى الشيخ محمد عبده به وأفاد منه. ويقول بنفسه جاء السيد جمال الدين في أواخر عام ١٢٨٦، ورافقته منذ مطلع محرم عام ١٢٨٧. وأول من أخبرنا بقدومه كان أحد المجاورين في "رواق الشوام" حيث قال لقد جاء مصر عاتم أفغانى عظيم، وأقام في خان الخليلى، فذهبت لزيارته، وتلقيت عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ودعوت الآخرين للاستفادة منه، ولكن مشايخ الأزهر قالوا بعض الأقويال المناهضة له، وظنوا أن هذه العلوم تضل الإنسان. ولما عدت إلى مدينتى تحدثت عن هذا الموضوع مع الشيخ درويش فقال: إن الجاهل أكبر عدو للعالم، والسفيه أكبر عدو للحكيم، وكل من زاد علمه صار أقرب إلى الله. فلا يوجد علم مكروه عند الله، ولا يوجد جهل محبوب عنده، عدا ما يظن أنه علم وهو في الحقيقة ليس علما مثل السحر والشعوذة ما شابه ذلك.

كان السيد في تلك الفترة يرتدى وفقا لتقاليد الأفغان قباءً على صدره. وعباءة على كتفه وعمامة عجاء على رأسه^(١)، ولم يكن على علم بتقاليد الشعب التركي وعاداته ولغته. وبالرغم من ذلك فتن الأمراء والوزراء العثمانيون بفضله وعلمه، وأخذت شهرته تزداد يوما بعد يوم. وانتخب بعد ستة شهور من إقامته عضوا في مجلس المعارف الأعلى، وفتح الطريق في هذا المجلس لتقدم المعارف ونشرها، ولكن الآخرين عزفوا عن هذا الطريق، ونظرا لبعض آراء السيد اعتملت الكراهية في قلب شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي الذي كان له نفوذ كبير في الدولة العثمانية وكانت اقتراحات السيد تهدد مصالحه المالية. وفي رمضان من عام ١٢٨٧ طلب تحسين أفندي مدير دار الفنون من السيد أن يلقي كلمة عن الصناعات والحرف في دار الفنون، وبالرغم من أنه اعتذر في البداية لعدم تمكنه من اللغة التركية إلا أنه أعد خطبة مطولة نتيجة إصرار تحسين أفندي. وشبه في هذا الخطاب الحياة الإنسانية بجسم الإنسان وجعل وظيفة كل فئة من فئات المجتمع المختلفة كوظيفة عضو من أعضاء جسم الإنسان وقال إن جسم الإنسان يحيا بالروح، وروح الكيان الاجتماعي إما النبوة أو الحكمة، والفرق بين النبوة والحكمة أن الأولى هبة سماوية يهبها الله لكل عبد اختصه من عبادته، أما الحكمة فيمكن إدراكها بالتفكير وتأمل المعلومات لذا فالأنبياء معصومون من الخطأ ولكن العلماء ليس من المحتمل فقط أن يقعوا في الخطأ ولكنهم يقعون فيه بالفعل.

الخلاصة هذا هو ما قاله السيد عن النبوة، ولكن فهمي أفندي فسّر ذلك الكلام الحق الذي يتفق عليه كافة علماء الشريعة الإسلامية على أنه باطل بغرض إيذاء السيد، وأشاع بتلك الذريعة أن الخطيب ربما كان يقصد أن النبوة إحدى المهن

(١) يقول ويلفريد بلنت السياسي والكاتب البريطاني الشهير الذي استقبل السيد في منزله في غرة ذي القعدة ١٣٠٠ هـ.ق "عندما كان في لندن منذ عدة شهور كان لا يزال يرتدى زي الشيوخ ولكنه الآن يرتدى زي أهالي إسطنبول ويبدو عليه طيبا".

والحرف أى أنها من صنعة البشر، وحث الوعاظ على توصيل هذا المفهوم للناس والخوض فيه. وهب السيد جمال الدين مدافعا وأدان شيخ الإسلام.

وانقسمت الصحف والمطبوعات فريقين، فريقاً يناصر السيد وفريقاً يؤيد شيخ الإسلام. ولم يستمع السيد لنصح أصحابه وأبدى تشدده وتأجبت الفتنة إلى أن قرر السلطان عبد العزيز أن يغادر السيد إسطنبول لعدة شهور لتهدأ الأمور ثم يعود إليها بعد ذلك وقتما يريد. فغادر السيد إسطنبول مهزوما مظلوما ووصل إلى مصر فى المتمم لشهر ذى الحجة ١٢٨٧ هـ. ق الذى واكب عيد النيروز عام ١٢٥٠ ش.

وكان أهالى مصر بعيدين كل البعد عن العلم والمعرفة يوم وطأ السيد جمال الدين أرض مصر، حقا إن عددا كبيرا قد سافر إلى أوروبا فى عهد محمد على باشا الكبير وإبراهيم باشا، وعادوا إلى وطنهم بعد أن تلقوا العلم بها، ولكن السياسة الخارجية لم تكن تسمح أن يجنى أحد ثمار هذه البعثات أو تستفيد الدولة من هذه العلوم والمعارف.

قام إسماعيل باشا الذى صار خديو مصر عام ١٢٨٠ هـ. ق بإجراء إصلاحات، وفى السنوات الأولى من عهده شُقت الترع ومُدت السكة الحديد وخطوط التلغراف، وشُيد ميناء الدلتا الشهير فى وادى النيل وحُفرت قناة السويس واتخذت خطوات مفيدة فى مجال العلوم والمعارف. وفى عام ١٢٨٣ هـ. ق أسس فى مصر المجلس النيابى، ولكن لم يكن للشعب ولا لأعضاء المجلس نفسه الحق فى التدخل أو القدرة على إبداء رأى فى شئون المملكة. ومن جانب آخر اضطر الخديو إلى مد يده للأجانب نتيجة إسرافه فى العطاء ولسوء تصرفه فى الشئون الاقتصادية بالدولة، وباع أسهم قناة السويس للإنجليز فى مقابل مبلغ زهيد، واستقدم إلى مصر مستشارين من بريطانيا لإصلاح الشئون الاقتصادية المتردية، وأرسل الفرنسيون أيضا وفدا إلى مصر نظرا لأنهم كانوا يشعرون بالخطر على مصالحهم

منذ سنوات طويلة. ولكنهم تحالفوا مع البريطانيين لعجزهم عن تحقيق مصالحهم في مقابل السياسيين البريطانيين، وهىئ المناخ لتحقيق أهداف الاستعمار الأوروبى.

وخلال تلك الأوضاع وفى ذلك الوقت الذى أصيبت فيه شئون الدولة بالشلل كلية وضاق الناس ذرعا بالفقر والفاقة، قدم إلى تلك الديار رجل شجاع وخطيب يدعى السيد جمال الدين الذى كان مطلعاً على الشئون الدينية والاجتماعية.

ولم يكن يعتزم الإقامة فى مصر ولكن الوزير رياض باشا المعجب بعلمه شجعه على الإقامة فى مصر، وحددت له الحكومة المصرية راتباً شهرياً قيمته ألف قرش مصرى (عشرة جنيهات) ومنذ بداية وصول السيد إلى الأراضى المصرية بدأ نشاطه السياسى والعلمى الواسع، ونشر أفكاره التى كانت تخالف الآراء الشائعة بين الناس، والتف حوله طلاب العلم أملاً فى تلقى العلم، ففتح بيته (فى حارة اليهود) للدروس العلمية^(١) وعكف على تأهيلهم فكرياً وسياسياً. كان السيد يتحدث صراحة بلامواربة، ولم يسأم فى دروسه واجتماعاته بالناس الحديث فيما يلفت الفكر إلى النظر فى الشئون العامة ومصالح الدولة ويزيل عن أعينهم أستار الغفلة. وأخذت أحاديثه تنتشر تدريجياً وعلى مهل فى أنحاء مصر إلى أن نشبت الحرب الروسية التركية عام ١٢٩٤هـ ق^(٢).

(١) ورد فى بعض المصادر ومن بينها كتابات تقى زاده (فى صحيفة كاوه، ومردان خوساخته) أن السيد كان يدرس بعد ذلك العلوم الإسلامية المختلفة والفقہ الحنفى وسائر المذاهب الأربعة فى الأزهر، وهذا خطأ. فيقول الشيخ محمد عبده أقرب المقربين له فى سيرة السيد (مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين) إنه لم يدرس فى الجامع الأزهر ليوم واحد، بل كان يذهب أحياناً وفى أغلب أيام الجمعة فقط لزيارته. ويقول سليم العنحورى أيضاً فى شرح ديوان "سحر هاروت" ضمن الحديث عن سيرة السيد إنه اعتاد قضاء النهار فى البيت والذهاب فى الليل متكئاً على عصاه إلى مكان فى الأزبكية يسمى "مقهى البوسطة"، وكان يلتف حوله فى نصف دائرة جماعة منهم عالم اللغة والشاعر وعالم المنطق والطبيب والمؤرخ وعلماء الكيمياء والجغرافيا، وكان يجلس فى وسطهم ويطرحون مسائل دقيقة فيشرحها لهم السيد باللغة العربية واحدة تلو الأخرى، وكان يغادر المقهى قرب الصبح ويعود إلى بيته.

(٢) ٢٤ أبريل ١٨٧٧ م.

وجد الناس في أنفسهم لذة في الاطلاع على ما يكون من شأن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليهم في الحرب مع روسيا. وأتاح تردد الأجانب على مصر واختلاط الأهالي بهم ووصول الصحف والمجلات الأوروبية إلى الدولة المجال للوقوف على العلوم الجديدة. وسرى هذا الشعور إلى بعض الجرائد العربية التي ظلت إلى هذا العهد مقصورة على ما لا يهم، كما ظهرت صحف جديدة ذات اهتمامات خاصة. (١)

وحدث بين العامة وفي الجرائد نوع من الجدل لم يكن معروفا من قبل، وصارت الصحف المصرية تنشر الأحداث وتعلق عليها بحرية، ولم يكن ما ينشر في الجرائد محصورا في حوادث الحرب، بل اجتراً الكثير منها على نشر ما عليه سائر الأمم في سيرتها السياسية والاجتماعية، وزادوا على ذلك نشر ما كان قد بدأ في الحكومة المصرية من سوء الأحوال المالية إلى حد لا يمكن منعه. الخلاصة قضى سلطان الوقت على سلطان "الإرادة القاهرة"....! وفي نفس الوقت أخذ السيد جمال الدين في حمل من يحضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية في موضوعات مختلفة. كما أنه ارتقى بالتأليف والترجمة خلال فترة إقامته بمصر التي دامت لعشر سنوات وأسس أسلوبا جديدا في الكتابة باللغة العربية، وقام على رعاية طلاب نابيين مثل الشيخ ذائع الصيت محمد عبده مفتي الديار المصرية، وخلق جيلاً جديدا من الكتاب والأدباء.

وعلى هذا النحو عرف السيد الشعب بالطريق إلى حياة جديدة ونثر بذور الثورة الفكرية والاجتماعية في الأرض المصرية، وروى هذه البذور بإرشاده، ودعم أصحاب الصحف وتلاميذه، وخلق من هذا الحزب الأدبي حزبا سياسيا عظيما.

(١) من الصحف المهمة في ذلك الوقت نذكر جريدة مصر، جريدة التجارة، جريدة مرآة الشرق، الأهرام و صوت مصر.

رافق السيد المطالبين بالحرية يوم مطالبتهم بعزل إسماعيل باشا، وتوجه
لغيف من المصريين يرافقهم السيد جمال الدين إلى السيد تريكو مندوب الحكومة
الفرنسية ومراسل صحيفة التايمز وطالبوا بتأسيس حزب وطني كبير في مصر
وطالبوا بإجراء إصلاحات وأعربوا أن هذه الإصلاحات لن تتحقق إلا على يد ولي
العهد توفيق باشا. ونقلت الصحف هذا الموضوع وشاع في القاهرة وسائر المدن،
وكانت هذه هي المرة الأولى التي يدور فيها الحديث عن "الحزب الوطني الحر"،
إلى أن يرسل السلطان العثماني قرارا بعزل إسماعيل باشا تلغرافيا، خلال الأيام
الأولى من رجب ١٢٩٦ هـ.ق، وأدرك الخديو أن المقاومة لن تفيد فاستقال وخلف
توفيق باشا والده.

كان الخديو الجديد شابا عفيفا وعطوفا عزوفا عن الإسراف والتبذير، وعقد
أهالي مصر آمالهم على إصلاحاته حيث إنهم كانوا قد رصدوا في ظل إرشاد السيد
جمال الدين وتعاليم الحزب الوطني مؤامرات وفتن الدول الأجنبية. وفي اليوم
الثاني من حكمه أصدر أمرا لشريف باشا بتشكيل الوزارة وأبلغه برغبته في تنفيذ
المطالب الشعبية وإصلاح الشئون المالية والاقتصادية وتنظيم الشئون الإدارية
والقضائية. وفي يوم الخامس من حكمه (١٤ رجب) أمر بتأسيس المجلس النيابي،
وسن الدستور. ولكن مندوبي فرنسا وإنجلترا أسسا في الإسكندرية حزبا يسمى
"مصر الفتاة" حيث كانا يدركان أن هذه الإصلاحات ستعود عليهما بالضرر ولم
يكن في استطاعتهما معارضة تلك الإصلاحات. وكان أكثر أعضاء هذا الحزب من
الشباب اليهود بل لم يكن بينهم مصري خالص بالفعل. وتحدثوا عن الإصلاحات
في اللائحة التي أرسلوها للخديو والمقالات التي كتبوها في صحيفتهم وتظاهروا
بالدفاع عن الحرية والقانون. ولكن بصرف النظر عما إذا كان هذا الأمر حقيقيا أم
غير حقيقي فإن المسلم به أن المندوبين السياسيين الأجانب حين أدركوا هدف
الخديو ورغبته في الإصلاح وتأثره بالمشاعر الوطنية افتعلوا الكثير من المشاكل
والعراقيل وأظهروا على خلاف الواقع أن الإصرار على إجراء تعديلات جديدة

سيضر بالدولة في تلك الظروف التي تعاني فيها من تدهور الشؤون الاقتصادية. وتأثر الخديو الشاب غير المحنك بتلك الوسوس والادعاءات لدرجة أنه عدل عن التفكير في الإصلاحات والوعود التي قطعها على نفسه أمام الناس، وفي مساء المتم لشهر شعبان استدعى الوزراء وأجبر شريف باشا على الاستقالة لإصراره التصديق على لائحة الإصلاحات، وشكل حكومة جديدة تحت إشرافه.

كان قد اتفق على إخفاء سبب استقالة الوزارة، ولكن تم الكشف عن الحقيقة ووقع جدل واسع مما جعل مندوبي الدول الأجنبية ذوي النفوذ يعتقدون أن السيد جمال الدين هو محرك الشعب للمناداة بالحرية وسن القوانين الجديدة، وأوغل الجنرال فيويان القنصل البريطاني صدر الخديو تجاهه، فألقى القبض على السيد وأحد طلابه وخادمه أبي تراب بينما كان عائدا إلى بيته آخر الليل في السادس من رمضان ١٢٩٦ هـ. ق وحمل إلى قسم الشرطة ووضع خالي الوفاض في عربة مغلقة دون السماح له بحمل ملابسه وحمل إلى السكة الحديد^(١) وأرسل إلى السويس تحت رقابة مشددة.

ذهب السيد جمال الدين إلى الهند وأقام في حيدر آباد بالدكن وهناك ألف "رساله نيجيري: رسالة الرد على الدهريين" بالفارسية في رد معتقدات الطبيعيين^(٢). استدعت حكومة الهند السيد من الدكن إلى كلكتا قبيل حملة إنجلترا على مصر، وأبقت عليه طوال فترة الثورة، لحين تسوية موضوع مصر، ثم أطلق سراحه ليذهب أينما شاء. فتوجه السيد إلى أوروبا عن طريق البحر الأحمر ولما

(١) كتب أديب إسحق في "كتاب الدرر" أنه بينما كان سيركب السفينة لم يكن في جيبه قرش، فلما أدرك القنصل الإيراني وعدد من التجار الإيرانيين هذا الأمر عرضوا على السيد مبلغا كبيرا من المال باعتباره قرضا أو هدية، ولكنه لم يأخذ منه شيئا وقال احتفظوا بأموالكم، لأنكم ستحتاجونها أكثر مني. فالأسد سيبحث عن قوته أينما ذهب.

(٢) طبع هذا الكتاب في محرم عام ١٢٩٨ هـ. ق في بومباي، ثم نشرت ترجمته الهندية في كلكتا وترجمته العربية مصر بقلم الشيخ محمد عبده تحت عنوان (الرد على الدهريين) مع مقدمة عن سيرة السيد جمال الدين وقد طبع النص الفارسي في طهران عام ١٣٠٣ ش وطبع مرة أخرى في تبريز عام ١٣٢٧.

وصل إلى بورسعيد كتب خطابات إلى رياض باشا وبعض مشاهير مصر، وحدثهم تفصيلا عن حقيقة الحزب الوطنى وأسباب ما أصابه من فساد وتحريض عثمان باشا للخديو بقوله إن هذا المحفل الذى يرأسه يهدف إلى هدم الدين والدنيا معا، وأخبرهم كذلك بقرار الخديو المتسرع بإبعاده عن مصر، وسعى لإبراء ساحته^(١) وبعث من طرفه أبا تراب عارف إلى رياض باشا ليحمل أمواله وكتبه التى كانت فى مصر وسائر مستحقاته الشهرية، كما أرسل رسالة فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢م (العشر الأوائل من ذى القعدة ١٢٩٩هـ.ق) إلى الشيخ محمد عبده وأخبره أنه سيسافر إلى لندن وطلب منه إرسال الرد على الخطاب إلى إدارة "جريدة الشرق والغرب" أو إلى السيد بلنت فى لندن.

وفى تلك الفترة كان عبده مبعدا عن وطنه بسبب المشاركة فى ثورة الشعب المصرى وكان يعيش فى سوريا. ولا نعلم شيئا عن المراسلات التى تبادلها الأستاذ وتلميذه بعد وصول السيد جمال الدين إلى لندن إلا أن السيد ذهب إلى باريس بعد إقامته لفترة وجيزة فى لندن، كما توجه الشيخ محمد عبده من منفاه سوريا إلى باريس، وأسس كلاهما جمعية تسمى "العروة الوثقى" وصحيفة بنفس الاسم.

وفى نفس الفترة كان الإنجليز منشغلين بثورة محمد أحمد المهدي فى السودان. وكان السيد وخلفه عبده على علاقة بالمهدي، وكانا السبب وراء علو شأنه عند الإنجليز، وعملا على توصيل أخبار مصر والسودان إلى بريطانيا إلى الحد الذى أقنعا فيه الحكومة البريطانية بالجلء عن السودان وتوقيع اتفاقية مع محمد أحمد.^(٢)

كان مدير العروة الوثقى للشئون السياسية السيد جمال الدين ومحررها الشيخ محمد عبده أى أن السيد كان يُملى كافة الموضوعات ويحررها عبده بقلمه.

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده درباره سيد جمال الدين: طهران، ١٣٤٢ ش، لوحة رقم ٣٢ - ٣٨.

(٢) لم توقع هذه الاتفاقية بسبب موت المهدي.

ولكن كما ذكرنا كان السيد قد عُرف لدى السياسيين البريطانيين في أواخر عهد إسماعيل باشا بسبب نشاطه، وأجبر قنصلهم الخديو الجديد على طرد السيد من مصر رغم إيمانه التام به. وكما شاهدنا أن الحكومة الهندية كانت قد تحفظت عليه أثناء ثورة عرابي باشا في كلكتا لم تسمح بوصول أخبار الحرب إليه. ونظرا لأن الإنجليز كانوا يحسبون حسابا لموضوعات العروة الوثقى فقد حاولوا في البداية الحيلولة دون إصدارها، ولكن لما صدرت أوصدوا أمامها أبواب الهند ومصر، ومنعوا الناس من قراءتها، واختلقوا الأسباب والعراقيل كي لا يصدر منها أكثر من ثمانية عشر عددا.^(١)

تعلم السيد أثناء إقامته في باريس شيئا من الفرنسية، ونشر مقالات عن سياسة الشرق، واقتبست الصحف الإنجليزية موضوعاتها ونقلتها. وحظت المقالة التي كتبها في "صحيفة دودبا"^(٢) في الرد على خطاب العالم الفرنسي رينان بأهمية وشهرة واسعة.^(٣)

بعد إغلاق العروة الوثقى ظل السيد في باريس لعدة شهور. وفي ٢٥ شعبان ١٣٠٢ هـ.ق استقال جلاستون من الوزارة البريطانية، وعين راندلف تشرشل وزيرا للهند. ودعى ويلفريد بلنت السيد في تلك الفترة إلى لندن ليتباحث مع تشرشل عن الوحدة بين العالم الإسلامي وإنجلترا، فوصل إلى لندن في ١٠ شوال

(١) منذ ١٥ جمادى الأولى حتى ٢٦ ذى الحجة ١٣٥١ هـ.ق.

(٢) Journal de Débats.

(٣) ألقى أرنست رينان محاضرة في قاعة جامعة السربون بباريس في ٢٩ مارس ١٨٨٣، وقال خلالها إن الدين الإسلامي يتعارض مع العلم. ونشر نص محاضراته في صحيفة "دودبا" بتاريخ ٣٠ مارس، وممن ردوا عليها العالم الثوري التركي كمال نامق، وإمام مسجد لينينجراد بايزيدوف، والأستاذ ماسينيون الفرنسي. كما كتب السيد جمال الدين أيضا رسالة باللغة العربية لمدير الصحيفة ولكن هذه الرسالة لم تطبع حتى الثامن عشر من شهر مايو من ذلك العام، ثم نشرت في ذلك التاريخ محرقة في الغالب حيث لم تكن ترجمة رسالته صحيحة. على كل حال رد رينان في العدد الصادر في التاسع عشر من مايو لتلك الصحيفة على الرسالة وكتب أنه يتفق مع السيد في بعض النقاط التي وردت في رسالته.

ونزل بمنزل بلنت، وظل ضيفا عليه أكثر من ثلاثة شهور، وتباحث في منزله مع تشرشل والسير دراموندولف^(١) الذي صار بعد عدة سنوات وزير إنجلترا المفوض في إيران واللورد سالسبوري^(٢) رئيس وزراء إنجلترا.^(٣) وعاد إلى باريس في بداية عام ١٣٠٣ هـ. ق وعاش بها حتى مطلع جمادى الأولى.

وتعود شهرة السيد جمال الدين الكبيرة في المجال السياسي إلى تلك الفترة التي أمضاها في باريس، لأنها كانت بالنسبة له فرصة مناسبة لبذل مساعيه في سبيل الوحدة الإسلامية، ولفت إليه أنظار محافل الدول الأوروبية المهمة عن طريق تأسيس محفل من رفاقه وأتباعه ونشر المقالات في العروة الوثقى وصحف باريس وعقد مناظرات مع العلماء والسياسيين.

ومن باريس انطلق إلى الشرق وسافر إلى نجد وفي السادس عشر من شعبان ١٣٠٣ هـ. ق وصل إلى بوشهر ونزل في منزل العقيد الحاج أحمد خان المسقطي، وبقي في بوشهر قرابة ثلاثة شهور. والتقى في تلك الفترة بميرزا نصر الله الأصفهاني (ملك المتكلمين) وميرزا آقا فرصة الدولة الشيرازي حيث كانا في بوشهر آنذاك، وفي شهر ذي القعدة وصلت برقية إلى طهران تفيد وصوله، وكان محمد حسن خان اعتماد السلطنة يتولى إدارة تحرير الصحف والتقويم، فرأى أنه سيستفيد من السيد جمال الدين في إدارته، ودعاه إلى طهران باسم الشاه، فتوجه من

(١) السير هنري دراموندولف Sir Henry Drumond Wolff هو ابن الدكتور ولف الذي كان قد سافر إلى إيران في بداية العصر القاجاري للسياحة وبعض المهام السياسية.

(٢) اللورد روبرت سيسيل سالسبوري (١٨٣٠ - ١٩٠٣ م) Lord Robert Cicil Salsbury
(٣) عُيِّن دراموندولف في منصب المندوب البريطاني في مصر، وكان مكلفا بالذهاب إلى إسطنبول قبيل توجهه إلى مصر والتباحث مع السلطان العثماني بخصوص مصر، ووعد السلطان بجلاء القوات البريطانية عن مصر خلال مباحثاته، وتهيئة المجال لعقد اتحاد بين الدول الإسلامية تركيا وإيران وأفغانستان للتصدي للنفوذ الروسي. وتمسك ولف باصطحاب السيد جمال الدين معه إلى إسطنبول بسبب تأثيره على رجال البلاط العثماني الذين كانوا يؤيدون الوحدة الإسلامية ورأى أن وجوده سيعود بالفائدة، ولكنه عدل عن اصطحابه في اللحظة الأخيرة وسافر بمفرده.

طهران إلى شیراز، وفي صفر ١٣٠٤ هـ.ق وصل إلى أصفهان وأحسن الأمير ظل السلطان حاكم أصفهان وفادته. وفي ٢٢ ربيع الأول من ذلك العام وصل إلى طهران وأقام في منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، والتقى عدة مرات بناصر الدين شاه، ولم يسر الشاه بقلائه نظرا لأنه تحدث دون موارد عن تدهور الأوضاع بإيران وضرورة إجراء تنظيمات وإصلاحات فلم يطلبه أو يقابله ثانية. ولكن السيد كان أكثر بصيرة بالفساد وأكثر إدراكا لأوضاع الرعية فأخذ يتحدث عن أهمية القانون ومعرفة الحقوق وحرية الفكر والتعبير وصيانة النفس والمال. واعتبر معارضوه أن الأمر يفوق الاحتمال وأخبروا الشاه في السر والعلانية بما يقوله السيد للناس. وجعله الأسى أكثر إصرارا. فتفتحت عيون وآذان الموتى الغافلين والمحبطين البائسين، وتصاعد الدخان من الرماد. وسرد ولي العهد القصة في مجلس الشاه مع إضافة بعض التفاصيل بالرغم من أن السيد كان ضيفا على الحاج أمين الضرب وفي حماية أمين السلطان، واضطر أمين السلطان إلى تكليف أمين الضرب بطرده من إيران وإرساله إلى روسيا عن طريق شمال إيران، وأخرج السيد من ناحية مازندران حزينا بائسا.

غادر السيد جمال الدين طهران إلى محمود آباد في التاسع من شعبان، وتوجه منها إلى روسيا. ونزل ضيفا على محمد علي خان الكاشي في ولاديففاز. وظل بها حتى وصل أمين الضرب من طهران، وذهب برفقته إلى موسكو في شهر رمضان وأقاما لمدة أسبوعين في منزل ميرزا نعمة الله الأصفهاني (الذي صار قنصل إيران في تلك المدينة فيما بعد). ثم ذهب أمين الضرب إلى باريس وظل السيد في موسكو لفترة من الوقت والتقى بمدير صحيفة (مسكوى) كاتكوف، ونشر سيرته في صحف موسكو وبطرسبورج، ويبدو أنه اتخذ بعض الخطوات في سبيل عقد تحالف بين روسيا والدول الإسلامية ضد إنجلترا وحث الروس للهجوم على الهند وفي ذى القعدة ١٣٠٤ هـ.ق توفي كاتكوف ومضى السيد في ٢٥ من نفس الشهر إلى بطرسبورج وظل بها حوالي سنتين، وتعرف

على بعض رجال السياسة الروس (من بينهم بابافانوف وزير الشؤون الدينية ومخزن أسرار القيصر) وحظى باحترام القيصر وأقنع رجال القيصر بحسن معاملة المسلمين وطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية.

وعندما ذهب ناصر الدين شاه إلى بطرسبورج خلال رحلته الثانية لأوروبا كان السيد في تلك المدينة، وأبدى رغبته في لقاء السيد، ولكنه لم يقابله. وأراد السيد بعد ذلك "القيام بجولات من الغرب للشرق ومن الشرق للغرب لفترة من الوقت، ولكن بعض رجال الحكومة الروسية طلبوا منه أن ينتظر لفترة إلى أن تتضح نتائج رحلة الشاه إلى لندن".^(١) فظل لفترة أخرى في تلك المدينة، ثم سافر إلى ألمانيا، والتقى يوم ٢١ أو ٢٢ ذى الحجة ١٣٠٦ هـ.ق في ميونخ عاصمة بافاريا مع الشاه وأمين السلطان، ودعاه الشاه إلى إيران اعتذاراً عما مضى. ورافق السيد موكبه حتى فيينا عاصمة النمسا ثم عاد ثانية إلى بطرسبورج لإنجاز بعض الأمور مع الروس لصالح أمين السلطان. والتقى بالمسؤولين الروس وتباحث معهم، وبعد عامين من الإقامة في بطرسبورج توجه برغبته إلى إيران ووصل يوم السادس من ربيع الثاني عام ١٣٠٧ هـ.ق إلى دار السكة أي بعد فترة وجيزة من (عودة الشاه من أوروبا)، وفي اليوم السابع ذهب إلى طهران ونزل ثانية في منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، واستقبل في مجلس الشاه بعد شهر (يوم الثلاثاء ١٥ جمادى الأولى).

وفي طهران أخذ كل مظلوم محبط يلجأ إلى السيد، وأخذ السيد يحدث كل ناضج وساذج عن فساد الأوضاع وتدهورها وسوء تدبير الوزير وغفلة الشاه دون موارد، حتى ذهب سيرا على الأقدام إلى مسجد الشاه عبد العظيم وهناك راجت تجارته والتف الناس حوله، واعتكف بمسجد الشاه عبد العظيم لمدة سبعة شهور واعتصم به، "وأخذ ينثر في هذه الأرض القاحلة بذور الثورة" وفي شهر جمادى

(١) مجموعة إسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ١٨٦.

الأولى من عام ١٣٠٨ أُخرج فجأة من المسجد وتعالّت الصيحات بأن "هذا الرجل ليس من السادة بل إنه متسيب، كما أن إسلامه غير مؤكد أو حقيقى... وألحقوا به الأذى فى السوق وقيده عاريا مكشوف العورة إلى جواد وكُلف عدد من الفرسان بحمله على هذا النحو إلى خاتقين والحدود التركية فى الشتاء القارص".^(١)

وفى ختام رسالة السيد جمال الدين التى كتبها إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب من كرمشاه فى ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٠٨ هـ.ق ذكر عقب سرد القصة المحزنة لإبعاده عن طهران وسوء تصرف المسؤولين معه عبارات تعبر عن الرغبة فى الانتقام والتصميم أكثر من ذى قبل على مواصلة المسيرة لتحقيق أهدافه: "... كتبت كل هذا كي تعلم أن كل هذه المصائب حلت بجسدى، ولكن كانت روحى تشعر بالسرور فى كل هذه الأحوال ولا تزال وستظل، وسوف يدرك بعض الإيرانيين بلا شك مدى صمودى من أجل إصلاح أوضاعهم المادية والمعنوية. فما كنت أقوله لم يكن لتمضية الوقت والتسلية، أرجو الله تعالى أن يجعل هذه الحادثة المهيبة سببا من أسباب نصرى وأن يبلغنى هدفى السامى وأن يُسعد القلوب العامرة بالإيمان. آمين... أتمنى ألا يصيب عزيتمكم الوهن أو قوة إيمانكم النقصان، ولكن عليكم بعد هذه الحادثة المهيبة أن تنتظروا على الدوام مشاهدة عجائب القدرة الإلهية فى أعداء الدين والدولة وأن تتمسكوا بإيمانكم أكثر وأن ترقبوا العدل الإلهى بعين اليقين".^(٢)

على كل حال حمل السيد إلى بغداد ومنها إلى البصرة، والتقى فيها بالسيد على أكبر فال اسيرى الشيرازى الذى كان قد انتقد الحكومة على المنبر وأبعد من شيراز، وكتب رسالته العربية الشهيرة للحاج ميرزا حسن المجتهد الشيرازى المقيم فى سامراء، وحثه على التدخل فى الشئون السياسية والثورة ضد النفوذ الأجنبى

(١) خاطرات سياسى ميرزا على خان أمين الدولة، ص ١٥٠.

(٢) مجموعة اسناد ومدارك چاپ تشده، لوحة رقم ص ١٨٩، ١٩١.

واحتكار التبغ. ولكن نظرا لوصول تقرير إلى الحكومة الإيرانية يفيد بأن السيد يخطب في البصرة ويوزع رسائل معادية للشاه؛ كلفت طهران سفير إيران في البلاط العثماني أسد الله خان ديبا ناظم الدولة بأن يطلب من حكومة السلطان إبعاده عن البصرة.

ولكن السيد توجه إلى أوروبا قبيل وصول حكم إبعاده من البلاط العثماني، ذهب بداية إلى برلين عاصمة ألمانيا، وألقى كلمات في مجلس بيسمارك، ونظرا لعدم الاكتراث بكلماته^(١) ذهب إلى لندن للمرة الثالثة وهناك التقى فكريا مع ملكم وطبع في مطبعة "القانون" الرسالة التي كان قد أرسلها من البصرة للحاج ميرزا حسن المجتهد الشيرازي ونشرها.

وأخذ يتحدث بكل صراحة في محافل لندن عن أوضاع إيران المتدهورة وسوء إدارة ناصر الدين شاه والخراب الذي حل بإيران في عهده، وأخذ يحث الإنجليز على خلعه، وظل يكتب في هذا الموضوع مقالات في الصحف الإنجليزية، إلى أن افتتح بنفسه في شهر رجب ١٣٠٩ هـ.ق مجلة شهرية باللغتين العربية والإنجليزية باسم "ضياء الخافقين" وخصص مقالة في كل عدد من النسختين عن إيران بتوقيع "السيد الحسيني"، وهاجم الشاه والحكومة. ومن ذلك كتب في العدد الثاني بتاريخ الفاتح من مارس ١٨٩٢م (شعبان ١٣٠٩ هـ.ق) مقالة خاطب فيها علماء الشيعة وطالب بخلع ناصر الدين شاه من السلطة.^(٢)

وقد وضعت الحكومة البريطانية عراقيل كثيرة أمام طبع هذه الصحيفة إلى أن توقفت.^(٣)

(١) الرسالة المؤرخة بالثالث من جمادى الآخرة ١٣٠٩ هـ.ق الموجهة من آقا محمد الأصفهاني من باريس إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب (مجموعه اسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ١١٤).

(٢) لقد نقل محمد رشيد رضا متن المقاليتين في المجلد الأول من تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٣) يقول عبده إن سفير إيران في لندن طلب منه الامتناع عن الكتابة والحديث ضد الشاه، وعرض عليه مبلغا كبيرا من المال؛ ولكنه رفض وقال: "لا أرضى إلا بأن يقتل الشاه ويقرر =

وفى تلك الفترة وجه السلطان عبد الحميد دعوة للسيد على يد سفيره رستم باشا للذهاب إلى إسطنبول. ورفض في البداية، ولكن أرسل إليه بعض الأشخاص رسائل ومنهم الشيخ أبى الهدى أفندى قاضى قضاة إسطنبول وأقنعوه بالذهاب إلى إسطنبول، وفى أواخر عام ١٣٠٩ هـ.ق ذهب إلى تلك المدينة.

وبعد قدوم السيد جمال الدين إلى الأراضى التركية، خصص له السلطان بناية فى حى "تشان طاش" بالقرب من قصر ييلدیز أملا فى الاستفادة من نشاطه ونفوذه فى الدول الإسلامية، وحدد له راتباً خمسة وسبعين ليرة وشمله برعايته.

وبعد فترة أرسل سفير إيران ناظم الدولة رسالة إلى السلطان العثمانى مفادها إنك جلبته مما يتعارض مع مصالح إيران كما يعتقد الشاه ورد السلطان: "إن رأى فى السيد جمال الدين هو نفس رأى الشاه، ولكننى دعوته وأحضرتة إلى هنا من أجل الحيلولة دون تحريض العرب، ونشر الفساد بينهم الأمر الذى كان الإنجليز يدفعونه إليه. فلتكونوا على يقين من أننى لن أدعه يتحدث أو يكتب شيئاً ضد مصالح إيران".^(١)

وعلى هذا أبقى السلطان العثمانى السيد فى إسطنبول، فجمع حوله عددا من الإيرانيين المشهورين مثل ميرزا آقا خان الكرمانى، والشيخ أحمد روحى، والحاج ميرزا حسن خان خبير الكرمانى، وكتب هؤلاء رسائل معادية للشاه والأتابك لعلماء الشيعة بتوجيه من السيد، ولصقوا منشورات على أبواب بغداد وجدرانها، وأرسل بعض علماء العراق هذه الرسائل والمنشورات للشاه، وطلب الشاه فى رجب عام ١٣١٣ هـ.ق تسليم السيد وأصحابه. فأبعد السلطان العثمانى ميرزا آقا خان والاثنين الآخرين -كما سيرد ذكره فى سيرتهم- إلى طرابوزن ثم سلموا إلى ممثلى إيران عند الحدود، ولكنه امتنع عن تسليم السيد نفسه. ومع كل هذا كان

=بطنه ويوضع فى القبر". وقيل إنه أشيع بعد اغتيال ناصر الدين شاه بأن اغتياله ربما كان بأمر من السيد.

(١) خان ملك ساسانى: سياستگران دوره قاجار، رسالة سفير إيران المؤرخة بالثامن من شهر صفر ١٣١٠.

السلطان على الدوام يشعر بالقلق تجاهه، كما أن رجال الدين وسائر رجال الحاشية الملتفين حوله أخذوا يثيرون ريبة السلطان وخاصة الشيخ أبى الهدى أى نفس الشخص الذى كان يتظاهر فى البداية بصداقته للسيد والذى كتب له خطابات يحثه على الذهاب لإسطنبول، مما زاد من شكوك السلطان فعين جواسيس عليه وراقب أعماله وتصرفاته.

وبعد مقتل ناصر الدين شاه على يد ميرزا الكرمانى واعترافه بأن السيد عاتبه لاستسلامه للظلم؛ أصرت الحكومة الإيرانية بشدة على تسليم الحكومة التركية له، ولكنها امتنعت عن تسليمه رغم كل المحاولات التى بذلت سواء فى طهران وسواء بواسطة علاء الملك سفير إيران المقيم فى إسطنبول، حيث كانت الحكومة العثمانية تقدم حجج مثل عدم ثبوت أن السيد إيرانى أو عدم ثبوت تورطه فى اغتيال الشاه أو ضرورة التأنى إلى حين الكشف عن أتباع السيد وأصدقائه فى الأراضى العثمانية وأخيرا وجود بعض المسائل التى يجب التحقق منها ! إلى أن أُشيع فى شهر رجب ١٣١٤ هـ.ق أن السيد قد أصيب بسرطان فى اللسان وأن جزءا من ذقنه وأسنانه قد استؤصلت^(١) وبالرغم من ذلك كان على قيد الحياة لعدة شهور بعد ذلك، وعانى الفقر نظرا لأن السلطان كان قد أوقف راتبه، ولكن رجال البلاط كانوا قد أشاعوا أن السلطان يشمل به بنعمته وإحسانه. ولم يكن يزوره فى تلك الفترة سوى عدد قليل من أصدقائه إلى أن توفى بنفس المرض أو التسمم بعد العملية الجراحية فى الساعة السابعة وثلاث عشرة دقيقة يوم الثلاثاء الخامس من شوال ١٣١٤ هـ.ق، وحمل جثمانه على أكتاف أربعة من الحماليين دون مراسم ودفن فى حى "بك أوغلى" فى مقبرة تسمى "شيخلر مزار لقى"، وتم تفتيش منزله بعد وفاته بأمر السلطان وحصر تركته^(٢) وصدرت أوامر للصحف التركية بعدم كتابة كلمة عنه.

(١) خان ملك ساسانى: سياستگران دوره قاجار، التقارير الرسمية لسفير إيران علاء الدولة.

(٢) خان ملك ساسانى: سياستگران دوره قاجار تقرير سفير إيران رقم ٧٨ المؤرخ فى ٢٥ رجب ١٣١٤.

على هذا النحو انتهت حياة حافلة لرجل من عظماء التاريخ، كان عمر السيد عند وفاته حوالي ستين عاما. ودارت الشبهات فيما يتعلق بموته حول الشيخ أبى الهدى وقيل إنه أصيب بآلم بسيط فى الحنجرة فزاره طبيب السلطان واشتد به المرض وخلال بضع ساعات تورم فم السيد وحتجرتة ومات.

نعلم أن أبا الهدى كان عدوا لدودا وخائنا للسيد، ووصل حقه وعداؤه إلى أنه كان يؤذى من يحسن إليه. مع كل هذا لم يكن أبو الهدى يستطيع أن يدس السم خلف أسوار قصر بيلديز لرجل مثل السيد جمال الدين دون إملاء من السلطان. والحقيقة كما يقول مؤلف "سياستگران دورة قاجار: السياسيون فى العصر القاجارى" أن السلطان كان قد تعرض لضغط نفسى كبير بعد اغتيال ناصر الدين شاه، فمن ناحية لم يكن يريد أن يسلم السيد كى تظل الأسرار كامنة، ومن ناحية أخرى كان هو نفسه رجلا جباناً سئ الظن يخشى السيد، فلم يكن يسمح له بمغادرة إسطنبول بل منعه من الخروج من منزله أيضاً، فكان كما يقول رجل ألماني "فى سجن من الذهب"، لدرجة أنه فى وقت ما أراد القضاء عليه بيد الإيرانيين أنفسهم ولكن مظفر الدين شاه لم ير صلاحاً فى هذا،^(١) إلى أن شاع أمر مرضه. ولو أخذنا فى الاعتبار أن خبر مرض السيد قد انتشر فى رجب ١٣١٤ هـ.ق، وأن بعض الأشخاص قد زاروا السيد بعد ثلاثة شهور فى يومى الثالث والرابع من شوال (قبل يومين من موته) ووجدوه معافى صحيحاً،^(٢) أفلا يمكن الاقتناع بأن اغتيال السيد كان أفضل وسيلة لتخليص البلاط العثمانى من الصراعات السياسية وتحرير السلطان من آلامه النفسية؟!

كما رأينا أن السيد أمضى حياته الحافلة فى الترحال وقضاها فى ألم ومرارة وحرمان كبير. لقد تعرض لصعاب جمة من قبل الإنجليز وطرد وأبعد بتحريض منهم عدة مرات من الهند وإسطنبول ومصر وإيران.

(١) سياستگران دورة قاجار: تقرير محمود خان علاء الملك سفير إيران فى إسطنبول المؤرخ بالمتهم من محرم ١٣١٤ هـ.ق، ومذكرات مظفر الدين شاه.
(٢) المرجع السابق.

ومنذ بداية أمره كان يسمى نفسه "الغريب في البلدان والطريد عن الأوطان" وعندما لم يكن قد تجاوز الثلاثين ويعيش بكابل كان يشكو من زمانه ومن أن الجميع يولون عنه الأibar .

ونقرأ في مذكراته التي توضح قيمة كتاباته الأدبية: "يُعلم الخلان الأعزاء أن طائفة الإنجليز يعتبرونني روسيا وتعتبرني طائفة المسلمين مجوسيا. ويظن السنة أني رافضي والشيعة أني ناصبي ويظن بعض أخيار المذاهب الأربعة أني وهابي، ويعتقد البعض أني إمامي بابي. ويعتبرني الإلهيون دهريا؛ والمتقون فاسقا بريئا من التقوى؛ والعلماء جاهلا والمؤمنون فاجرا غير مؤمن. لا ينسبني كافر لنفسه ولا يعتبرني مسلم من المسلمين. فأنا طريد من المسجد ومبعد من الدير. صرت حائرا، فبأيهما أنشبت وأيهما أجادل. فلكي أرفض واحدا منهما لا بد من تأييد الآخر، وكى أؤيد معتقدا من معتقدات الأخيار لابد أن أجزم برفض ما هو مغاير له. فلا سبيل للفرار من أيدي هذه الطائفة ولا مجال للقرار كي أنزع تلك الفرقة... جلست في مدينة كابل في أعلى الحصن مكبل اليدين مكسور القدم منتظرا ما سيأتي خلف ستار الغيب وما سيأتي به الفلك راعي السفلة! في يوم الجمعة ١٣ رجب ١٢٨٥هـ^(١).

ذكر كتاب التذاكر وأكثرهم من أهالي الدول العربية شمائله وأحواله على النحو التالي: قوى البنية، قمحي اللون كبير الرأس ذو جبهة عريضة نو عيينين واسعتين جذابتين، عريض الصدر مهيب النظرة يشبه بهيئته وقيافته رجلا من عرب الحجاز، كأنه قد احتفظ بهيئة أجداده الأوائل. كان قصير النظر ولكنه لم يكن يستخدم نظارة، فكان يقرب الورقة من عينه عند القراءة والكتابة.

شعره أسود طويل ومجعد. كان يرتدي قباء وسروالا أسود، وفي الدول العربية كان يلبس عمامة صغيرة بيضاء على غرار علماء إسطنبول وفي إيران كان

(١) إسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ٣.

يلبس عمامة خضراء أو سوداء. كان قليل النوم مقلا في الطعام، يكره الجلوس ويشرب الشاي كثيرا ويدخن التبغ. لم يكن متصلبا أو مقلدا أو متعصبا في أفكاره الدينية، ولكنه كان يؤدي الفرائض ويراعى أصول الدين وفروعه رعاية تامة.

تحلى السيد بقلب سليم وصفات طيبة فكان في العادة حلما صبوراً، ولكنه كان شديد الغضب إذا ما تطاول أحد على شرفه أو دينه وعقيدته فلم يكن يهدأ حتى ينتقم. لم يأبه لمال الدنيا وكان يهب الآخرين كل ما يحصل عليه، ودودا عطوفا مع أصدقائه، متشددا بلا أمان مع أعدائه. يتسرع في الأمور السياسية وغالبا ما كان يندم بسبب هذا التسرع. لم يمارس الأعمال البسيطة المتدنية، وكان يمارس في الغالب الأعمال الجليلة. كان شجاعا للغاية ومقداما، لم يكن يخشى الموت ولم يكن يعرفه بالأساس. يتحدث بصراحة مع الجميع حتى وإن لم يكونوا أهلا لذلك، ولم يكن يهتم بقدرات المستمع. وكان يقول دائما: "أنا أعادى الظالم والمظلوم كليهما، أعادى الظالم لظلمه والمظلوم لرضوخه للظلم وتسببه في جرأة الظالم وتطاوله". كان يتحدث مع ملوك العالم بلا كلفة كالأقران والمقربين، بل إنه كان يهدد بعضهم، ويمن على بعض. قال له السلطان عبد الحميد ذات يوم إن وزير إيران المفوض قد قدم ثلاث مرات للبلط وتحدث بخصوصه فاعتذر عن التدخل في هذه القضية مرتين ولكن في المرة الثالثة وعد بأن يستخدم نفوذه ويطلب من السيد أن يمتنع عن سب شاه إيران. فأجابه السيد إننى عفوت عن شاه إيران امتثالا لأمر الخليفة. عندئذ قال السلطان حقيقة إن الشاه يخشاك كثيرا.^(١)

وكان هدف السيد جمال الدين السياسى الذى لاقى فى سبيل تحقيقه الكثير من المصاعب وتحمل آلاما مبرحة هو دعوة المسلمين للوحدة وهدايتهم لأحكام القرآن والصحة الإسلامية وإنقاذ الدولة الإسلامية الشرقية من النفوذ الغربى وتدخل الاستعمار.^(٢)

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده نقلا عن سليم العنحورى.

(٢) أشك فيما قيل عن أن السيد كان يريد أن يقيم الخلافة الإسلامية وأن يجمع كافة المسلمين =

كان يكره الأوروبيين وخاصة الإنجليز الذين ألحقوا به الأذى، وكان متعصبا في عدائه لهم. ففي عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما وصل إلى مصر نشر مقالات تحت عنوان "البيان في الإنجليز والأفغان" في جريدة مصر التي كان يتولى إدارتها بعض مريديه من السوريين، وكتب بعد مدح الأمة الأفغانية: كفى هذه الأمة في عزة النفس وشدة اليأس أنها لم ترغب في أن تشملها حماية شره واسع البطن مصاب بنهم البقر ومرض الاستسقاء، لم يكفه ابتلاع مائتي مليون نفس وتجرع مياه نهر الكنج والتايمز فهو فاتح فمه لابتلاع بقية العالم وتجرع مياه نهري النيل وجيحون.^(١)

ويقال أيضا إنه قال ذات يوم للشيخ عبد الرشيد التتاري يا بني، قريبا سوف تصلى صلاة الميت على الإمبراطورية الروسية القيصرية، وقريبا سوف تحضر تشييع جثمان الإمبراطورية البريطانية في الهند.^(٢) وكما رأينا فبشارتا السيد تحققتا.

كان السيد جمال الدين ذا تأثير عجيب على الناس وكان المستمعون إليه وأصحابه يفتنون به لهيئته الجذابة واستقلاله الفكري وشخصيته القوية وبلاغة لسانه وفصاحة قلمه وذاكرته القوية وعلمه واطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية وإجادة اللغة العربية إجادة تامة، وصار يتسبب في كل دولة إسلامية يذهب إليها في ثورة سياسية وأدبية إلى الحد الذي "يمكننا أن نعتبره في الواقع نابغة بمعنى الكلمة".^(٣)

=تحت لواء واحد على غرار عهد الخلفاء الراشدين. يقول رشيد رضا لم أطالع مثل هذا الشيء لا في العروة الوثقى ولا في مكان آخر، ولم أسمع عنه من لسان الشيخ محمد عبده الذي كان أقرب الناس إليه. كان السيد يدرك أن هذا الأمر مستحيل، وكان هدفه أن يكون سلطان كل المسلمين القرآن وأساس وحدتهم الدين الإسلامي، وأن يسعى كل حاكم في دولته لحمايتها من الآخرين، لأن موت وحياة كافة المسلمين مرتبط ببعضه ببعض.

-انظر أيضا مقالة "الوحدة الإسلامية" المنشورة في العدد التاسع من صحيفة العروة الوثقى.

(١) سيد محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٢) المرجع السابق

(٣) نقي زاده: صحيفة كاوه، العام الثاني العدد الثالث.

ويقول عنه حسين دانش الأصفهاني المقيم في إسطنبول الذي رآه عن قرب وتعرف عليه: "إن أعجوبة الدهر هذا كان تجليا استثنائيا للقدرة على الخلق حيث أنار للعالم شعلة من البرق بين إعصار، ومضى. ولكن فيما يتعلق بأن التطلع إلى الشهرة والغرور كان له تأثير كبير في هذه الأمور؛ فلا شك مطلقا في أن السيد كان يسعد بمهاجمة من هو أعظم منه ومناصبه من هو أقوى منه العداء....".

أما الحاج محمد حسن أمين الضرب الذي استضاف السيد في رحلته إلى إيران وتعامل معه عن قرب فيعتبره "أمير المؤمنين أو ابن أمير المؤمنين وأنه مالك الرقاب"^(١) ويعتقد أن السيد "يبعث الروح في الموتى.. وأنه رأى عنه أشياء عدة مرات لا يمكن التغاضي عنها"^(٢) ويستحلفه بحق المريدين والمقربين إلى الحضرة الإلهية أن يصفح ويعفو عن روحه الضالة.^(٣)

ويعتقد أحمد كسروي أن "أعمال السيد جمال الدين في إيران ومصر وتركيا لم تحقق نتيجة إيجابية وأن تلاميذه بالغوا في الحديث عنه. لقد نهض السيد لإنجاز عمل كبير ولكنه لم يكن يدرك الطريق إلى ذلك، وفي نفس الوقت لم يكن ينسى نفسه. فلبذل مثل هذه الجهود يكون نكران الذات هو الخطوة الأولى. فلو كان السيد عمل على بث روح اليقظة في الناس وتهذيب أفكارهم بدلا من التقل من هذا البلاط إلى ذلك البلاط لتحقيق نتيجة أفضل".

وفي اعتقادنا أن ذلك "العمل الجليل" أي اتحاد مسلمي العالم كان أمنية تعتمد غالبا على المشاعر، ولم يستطع السيد ولم يكن يستطيع بالطبع أن يحققها، ولكن من الأمور التي لا مجال لنكرانها دوره العظيم في إيقاظ العالم الشرقي وفي الثورة الدستورية في إيران ونثر بذور الحرية بين الناس. وتجلت نتائج جهوده وجهود رفاقه فيما يتعلق بإيران في ثورة الشعب ضد احتكار التبغ (١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.ق)

(١) أخذنا عن رسالته للسيد المؤرخة بغرة محرم ١٣١٠، اسناد ومدارك چاپ، لوحة رقم ١٣٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

واغتيال ناصر الدين شاه على يد ميرزا رضا الكرمانى (١٣١٣ هـ.ق) وأخيرا قيام الثورة الدستورية فى إيران التى طالبت بالحرية.

لقد اعترف بمكانة السيد العلمية والأدبية الكتاب والعلماء العرب الذين كانوا فى الغالب من تلاميذه مثل الشيخ محمد عبده، وأديب إسحاق، والشيخ إبراهيم اليازجى، وجورجى زيدان، ومحمد رشيد رضا، وسليم العنجورى الدمشقى وغيرهم، وأطلقوا عليه زعيما مصلحا، وحكيما مجددا، وقطب دائرة العلوم، وقاضى الدنيا والدين، ونادر الزمان و"آية من آيات الله" وقد اعترف الدكتور شلبى صاموئيل ناشر نظرية داروين فى العالم العربى بفضل السيد وعلمه وفصاحته المتميزة وكان قد استمع لخطب السيد فى الإسكندرية، وقال الشيخ محمد عبده فى رثائه لقد منحنى أبى حياة شاركنى فيها شقيقاى على ومحروس، ولكن السيد منحنى حياة أشارك فيها محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين. كما أورد الشيخ محمد عبده نفسه بعد ذكر محاسن السيد تلك العبارة ونصها: "فإنى لو قلت إن ما آتاه الله من قوة الذهن ووسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم". وهذا الكلام صدر عن رجلٍ هو مفتى الديار المصرية وأستاذ بجامعة الأزهر، وذو مقام رفيع فى الفضل والعلم والأدب العربى. ويضيف مدير مجلة الهلال بعد أن عدد صفاته الأخرى بأنه لم يكن فى الشرق أحد أكثر بلاغة منه. ومن فضلاء إيران صرح ذكاء الملك فروغى عنه قائلا "دخلت على السيد فوجدته بحرا من العلم والفضل وإن من البيان لسحرا وكان واضحا فى كلام السيد..... لم أر عالما مثل السيد قبله أو بعده".^(١)

كان السيد ضليعا فى الكتابة بالعربية، وفى الواقع تذكرنا مقالاته بخطب صدر الإسلام،^(٢) ومع كل ذلك لم يستطع الشيخ محمد عبده أن يمتنع عن ذكر هذه

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان.

(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

الحقيقة وهى أن عبارات السيد، على الرغم من كل الرصانة والبلاغة، لم تخل من اللمعة الأعجمية، ولم تتميز بتناغم العربية الخالصة. (١)

كان السيد جمال الدين عامة قليل الكتابة كثير الكلام. ومؤلفاته عبارة عن "رسالة نيجريه: رسالة على الدهريين" بالفارسية ثم ترجمها محمد عبده للعربية وما نعرفه من مؤلفاته العربية المقالات التى كانت تنشر فى جريدة مصر أحيانا بتوقيعه وأحيانا أخرى باسم مستعار وهو "مهر بن وضاح"، ومقالات صحيفة العروة الوثقى التى كان يعد السيد موضوعاتها ويكتبها محمد عبده، ورسالتان بليغتان إلى ميرزا محمد حسن المجتهد الشيرازى وسائر علماء الشيعة، وأيضا مقالات فى ضياء الخافقين بتوقيع "السيد" أو "السيد الحسينى".

وفيما يتعلق باللغة الفارسية فكان يكتب ويتحدث بلكنة عربية وربما أفغانية، وتكاد كتاباته الفارسية خاصة تجعل الإنسان يشك فى إيرانيته. (٢)

إن الرسالة التى وجهها لناصر الدين شاه والتى نقل نصها ناظم الإسلام فى كتاب (تاريخ بيدارى إيرانى) من الصعب أن تكون نتاج قلب إيرانى أو شخص قضى الثمانية عشر عاما الأوائل من شبابه فى إيران ودرس بالفارسية فى قزوین وأصفهان ومشهد أو فى مكان آخر من إيران.

إن الرسالة المنسوبة إليه والموجهة لأحد أصدقائه والتى وردت فى نفس الكتاب وتتميز بفصاحة لغتها الفارسية عن سائر رسائله؛ تبدو غير أصلية وربما تكون موضوعة وهو الأمر الذى لفت نظر تقى زاده أيضا.

وكتب رسالة موجزة أخرى من لندن للأمير محمد تقى ميرزا ركن الدولة وأوردها هدايت فى "خاطرات وخطرات" ويبدو التأثير فيها باللغة العربية أقل.

لم أطلع "رسالة نيجريه: رسالة الرد على الدهريين" التى ألفها

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

بالفارسية، ولكن لا تتساوى واحدة من رسائله الفارسية التي ذكرتها وبعض المقالات التي قرأتها له مع مؤلفاته العربية الفصيحة والبليغة.

وتعتمد كتاباتي عن حياة السيد جمال الدين على الوثائق والمصادر التي نشرتها جامعة طهران عام ١٣٤٢ وهي مجموعة من الوثائق غير المنشورة التي أهداها الدكتور أصغر مهدوي حفيد الحاج محمد حسن أمين الضرب للجامعة.

ويتضح من متن الكتاب والمقدمة التي حررها ايرج أفشار له أن جزءا مهما من هذه الوثائق هي الخطابات والأوراق والدفاتر والمذكرات والكتب التي كانت تخص السيد جمال الدين والتي تركها في منزل الحاج أمين الضرب خلال رحلتيه إلى إيران عامي ١٣٠٤ و ١٣٠٧ هـ.ق.

ويبدو أنه لا يوجد مجال للشك في صحة هذه الوثائق، ونظرا لعلمنا بأن السيد قد طُرد من إيران عام ١٣٠٨ هـ.ق شبه عار فمن الواضح أنه لم يحمل معه شيئا، ويمكن القول إن الوثائق والكتب التي كان يحتفظ بها حتى ذلك التاريخ تنحصر في نفس الوثائق والكتب التي قُدمت في المجموعة موضع البحث.

بالطبع سوف يدقق الباحثون والعلماء في هذه الوثائق، وسيدونون سيرة هذا الرجل العظيم وحياته المكتظة بالأحداث بأسلوب أكثر دقة وشمولا كما يتمنى من قاموا على نشرها؛ وذلك عن طريق الاستعانة بتلك الوثائق ومقارنتها بالمصادر التي كانت متاحة سابقا والأسانيد التي سيتم الحصول عليها من المحفوظات الأجنبية.

وفي عجالة؛ على الرغم من أن الوثائق التي قدمت في هذه المجموعة تؤكد بعض الموضوعات التي طُرحت في المصادر السابقة عن حياة السيد فإنها للأسف لا توضح كافة تفاصيل حياته وهو الأمر الذي لفت أيضا اهتمام الناشرين.

على سبيل المثال فيما يتعلق بانتماء السيد للحزب الماسوني فكان أديب إسحاق وجورجى زيدان وبعض الكتاب العرب الآخرين قد صرحوا أنه انضم في

مصر إلى حزب إخوان الماسونية وأحرز تقدماً في ذلك الحزب وصار من رؤسائه، ثم أسس جمعية وطنية تابعة للمحفل الفرنسي ودعا مريديه إلى ذلك الحزب وبلغ عدد أعضائه ثلاثمائة.

وقيل أيضاً إن السيد دخل ذات يوم الجمعية وقال متحدث خلال الحوار نحن لن نتدخل في السياسة فتار السيد جمال الدين لهذا الكلام وقال كيف لا يرفع شخص صوته للحصول على حريته وحقوقه المغتصبة في محفل تم تدوين حق الحرية والمساواة والأخوة في برنامجهم، فإن كان الأمر كذلك فلن أعمل في هذا المحفل، ولهذا السبب سحب عضويته. (١)

لم يكن قد تم التأكد من هذا الموضوع، ومع نشر هذه الوثيقة يتضح أنه طلب في الثاني والعشرين من ربيع الآخر ١٢٩٢ هـ.ق (٢٨ مايو ١٨٧٥م) الانضمام إلى المحفل الماسوني في القاهرة (٢) وأنه انتخب لرئاسة فرع المحفل (كوكب الشرق) في جلسة ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٥ هـ.ق (٢٨ مايو ١٨٧٨م) (٣) كما أنه لم يكن قد قطع صلته بالحزب المذكور حتى شهر صفر ١٢٩٦ هـ.ق (فبراير ١٨٧٩م) على الأقل أي حتى شهر قبيل طرده وإبعاده عن مصر. (٤) وحتى في عام ١٣٠١ هـ.ق (أوائل ١٨٨٤م) أي قرابة خمس سنوات بعد طرده من مصر عندما كان يعيش في باريس تقدم بطلب عضوية وانضمام لمحفل باريس وتمت دعوته إلى تلك المدينة للتشاور.

والآن لو فرض أن السيد خلال الشهور الأخيرة من إقامته في مصر (صفر حتى رمضان ١٢٩٦ هـ.ق) قد أجبر على ترك المحفل، فيبدو من المستبعد أنه يكون قد طلب مجدداً بعد عدة سنوات الانضمام إلى نفس الحزب في باريس. (٥)

(١) خاطرات السيد جمال الدين، ترجمة سيد غلام رضا سعيد، عن "فيض الخاطر، طهران، ص ٢٨.

(٢) إسناد چاپ نشده، الوثيقة ٥٧.

(٣) المصدر السابق الوثيقة ٦٢.

(٤) المصدر السابق الوثيقة ٦٣، ٦٩.

(٥) إسناد چاپ نشده، الوثيقة ٧١.

إن هذه الوثائق لم توضح بعد بجلاء إن كان إيرانيا أم أفغانيا ولد في إيران أو أفغانستان، وإن كان إيرانيا لماذا كان يقدم نفسه على أنه أفغانى وكان يصبر على ذلك. فضلا عن هذا لم توضح تلك الوثائق أيضا محل ميلاده والعالم الذى درس على يده حتى حقق تلك المكانة فى اللغة العربية بحيث إن علماء الدول العربية العظماء اعتبروه معلما لهم ومؤسس العربية الحديثة، كما أن هذه المجموعة من الوثائق لا ترشدنا بشكل يقينى إلى حقيقة الأحداث المتعلقة بنشاطه السياسى فى أفغانستان والهند و مصر ورحلته الأولى إلى تركيا.

ولا يوجد فى هذه الوثائق أخبار مطلقا عن حياة السيد حتى عام ١٢٨٢ هـ.ق، ونحن لا نعلم كذلك على وجه اليقين أين وكيف أمضى ثمانية وعشرين عاما من عمره حتى ذلك العام.

كان هذا ما استطعت التوصل إليه من المطالعة والبحث فى المصادر المتاحة عن حياة السيد جمال الدين والأمور السياسية المتعلقة بسيرته. وأعترف أنه لا تزال هناك نقاط غامضة تماما فى حياته وأتمنى أن يقدم ذو الهمة والباحثون عن الحقيقة سيرة عن هذا الرجل العظيم بصورة أكثر دقة وشمولا عن طريق البحث الواقعى فى الوثائق المتاحة وغيرها التى ربما تظهر فى المستقبل: (١)

رسالة السيد جمال الدين التى كتبها من لندن للأمير محمد تقى ميرزا ركن الدولة: - (٢)

صاحب السمو مد ظله على رعوس الأنام كافة. أين أبحث عن الفكرة الطاهرة والهمة العالية والرأى السديد وحب العدل سوى فى وجودكم السامى

(١) أفاد إيرج أفشار فى المقالة التى نشرها فى مجلة مهر (العام العاشر العدد الثالث) أن "مجموعة من الأوروبيين يجرون الآن أبحاثا متخصصة فيما يتعلق بأحوال السيد وأفكاره وتأثيره على المجتمع الإسلامى من الأراضى الأفريقية (مصر والسودان) حتى سواحل نهر الكنج (سوريا وتركيا وإيران وأفغانستان والهند)، ويريدون توضيح علاقة السيد السياسية بالحكومة البريطانية على وجه الخصوص".

(٢) مهد يقلى هدايت: خاطرات وخطرات، ص ٤٣٩.

الشريف؟ لقد تداخلت الأفكار المتوهجة والأنفس الموهوبة معا ووقف العلماء العظام مستعدين ممسكين بالأقلام. لذلك لم يكن هناك وقت أفضل من هذا ولن يكون. لو رغبت في تفصيل ذلك فسوف أقدمه. إن السعادة عقدت ناظرها على الطريق. لو ضاعت هذه الفرصة، سيكون الندم أكثر مما يمكن تصوره. وصاحب السمو مخير.

لقد أدبت ما يمليه على الوفاء لكم والسلام على حضرتكم العلية. جمال الدين الحسيني.

اكتب هذا العنوان على المظروف وسيصلني أينما كنت 24 Portland
London, Road Notting Hill W.

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب بتاريخ ٢٧ مارس:

"سيادة الحاج، إن ما قلته وما أقوله وما فعلته وما أفعله كان جميعه لخير الأمة المحمدية فقط وسيكون لهذا الغرض، وليس للأناية من طرفي دخل فيه، ولو أنكر الإيرانيون أمام العميان والصم الذين لا يرون شيئا ولا يسمعون؛ أتمنى أن تعترف مع نفسك أنني أقول الحقيقة لأن الله تعالى مطلع على سريرتي وتصرفاتي. لهذا قطع أنف الدولة العثمانية عقابا لها بعد ستة شهور من عدائها لي، وقصم ظهرها، ووضع أقدام الإنجليز الثقيلة على حلق الخديوية المصرية بعد أن قسم مملكتها فكادت أنفاسها تنقطع، وقضى على شير على خان وأسرته.

وأقول الآن لو أصرت إيران على جرمها ولم تتراجع عنه، فإن الله تعالى الذي قطع أذنها وأنفها بسبب ذنوبها السالفة سوف يقطع الآن رأسها ويلقى لحمها طعما للنسور والجوارح ولن تبقى لفترة طويلة. إن الله تعالى غير راض عن أعمال الجاهلية والعادات البدائية هذه التي نسبوها إلى عمامة الإسلام والدين.

وها أنا أقولها جهارا وسيشهد العالم أيضا على هذا قريبا. كنت قد كتبت لي أن كل شيء كان مهيا ومعدا بعد وصولي إلى طهران. سيدي العزيز، ما الشيء

الذى صار مهياً ومعداً؟ أنا لا أريد أن أصبح رئيساً للوزراء، لا أريد أن أصبح وزيراً، لا أريد أن أكون من أركان الدولة، لا أريد راتباً، لا أريد عملاً، فليس عندي أبناء، ليس عندي أملاك، ولا أريد أن يكون عندي. إذن ما الشيء الذى كان مهياً ومعداً؟ سيدى العزيز؛ إن العديد من الأشخاص حصلوا على رتبة بيك وباشا عن طريقى، وحصل الكثير من الأشخاص على رواتب كبيرة بسببى، ولكننى كنت على الحال دائماً وسأظل على هذا ليس عندي سوى النصيح والإصلاح، ويعلم الله تعالى أفضل من الجميع؛ مَنْ ذلك الذى أوغر قلب الشاه وإن كان صوفياً أصفهانياً أو طهرانياً غير صوفى، وَمَنْ ذلك الزنيم الذى ارتضى وذلك العُتْل الذى تهاون. وطالما أن الإنسان لا يستطيع كشف الحقائق بجلاء؛ فإن جزاء كل شيء فى يد الله. كنت قد كتبت لى أن صاحب الجلالة الأجل الأفخم قد حقق غاية القدرة، فلو أن فى ذلك منفعة للخلق فهذا مبعث للسرور والرضا.

فإن لم أكن أتطلع بعينى إلى خير كافة عباد الله فالأفضل أن تفقد عينى البصر، ولتشل يدي إن لم تسع فى سبيل سعادة المخلوق، ولتكسر قدمى إن لم تسر فى سبيل نجاة الأمة المحمدية. هذا مذهبى، وهذا مشربى، ولا يحدونى الأمل فى أن يسعى صاحب الجلالة الأجل فى سبيل تحقيق الخير للإيرانيين المساكين البائسين قدر ما حققه من سلطة".^(١)

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسين أمين. بطرسبورج ٣ يولييه.

"....حقاً إن هذه الممالك تلوث الملابس والفم والمعدة بالنجس، ولكن تلك البلاد تلوث عقل وروح ونفس الإنسان الناطقة؛ فيسبب تضارب الآراء الفاسدة وتلاطم الأطماع الفاسدة وفتنة الأخلاق الرذيلة عند الأبالسة يضطر المساكين للكذب والتدليس والتزوير والمكر والخداع وينحرفون عن الطريق المستقيم ويتصرفون على عكس فطرتهم الطاهرة، وإذا نظر السيد الحاج إلى نفسه سيجد

(١) مجموعة إسناد چاپ نشده، اللوحتان، ١٨٢، ١٨٣.

هذه الأمور بالرغم من أنه يطلب الصلاح والفلاح وعلى فطرته أكثر من كافة الإيرانيين الذين رأيتهم.

فلا مفر، ماذا يجب أن نفعل! ولكن من الممكن أن يلتبس على الإنسان نفسه حقيقة الأمر شيئا فشيئا ويعتبر القبح جمالا، نعوذ بالله....كنت قد كتبت لى كى أذهب إلى مشهد وأعلم الناس، حسن جدا ولكن من الصعب جدا الحديث عن الحق وتدريس حقيقة العلم وخاصة لجاهل يعتبر نفسه عليما وأعمى يعد نفسه بصيرا وذلك فى مملكة تعتبر قول الزور فضلا والكذب حكمة والنميمة حرفة؛ وتتباهى بهذه الصفات الشيطانية فى المحافل والمجامع وتمتدح نفسها لذكائها. ومع كل هذا أشك أنك تكون قد عرفتى بعض المعرفة فى تلك الشهور التى تلازمنا فيها فى كل لحظة ليل نهار بالفطنة الفكرية ونور الإيمان وتكون قد أدركت أن ليس لى مقصد فى هذا العالم سواء كنت فى الغرب أو الشرق سوى السعى لإصلاح دنيا المسلمين وآخرتهم، وغاية أملى أن يراق دمي فى هذه السبيل كالشهداء والصالحين، ولكننى مجبر على تصرفاتى ولن أحيد عن الإرادة الإلهية. لنترك تلك المسألة.... عند وصول الموكب الملكى أرسلت بطاقتى إلى كل معارفى على غرار المعمول به فى أوروبا والتقيت كما تعلمون بأمين الدولة ومخير الدولة واعتماد السلطنة، فى الوقت الذى حددوه. وكتبت رسالة إلى أمين السلطان وطلبت فيها أن يحدد موعدا للقاء ووضحت خلال الرسالة أننى أريد أن أنتهز هذه الفرصة لأكشف عن كذب الكذابين بالبرهان الواضح. فأبقى حامل الرسالة ثلاث ساعات، وكان يخرج كل نصف ساعة من حجرته لأمر ما، ويقول لحامل الرسالة سأكتب الآن ردا. وعاد حاملها أخيرا بعد أن أعياه اليأس، وسواء كان السبب كثرة المشاغل أو وساوس الشيطان فلا ينبغي ذكره مهما كان. فيد الله فوق أيدي الجميع! كنت قد كتبتُ إننى سأقوم بجولة من الغرب للشرق ومن الشرق للغرب، ولكن طلب منى بعض رجال الحكومة الروسية البقاء لفترة حتى تتضح نتيجة سفر الشاه إلى لندن ولهذا سأبقى لفترة أخرى فى تلك المدينة....

كان الحاج السيّاح قد كتب خطاباً مجملاً ولا أعرف ماذا فعل معك وماذا قال. ومن المؤكد أن الأمر يتطلب علم الجفر الجامع لفك حروفه والوصول إلى مجملها ليتضح ماذا يريد أن يقول ! لو كان عمر الإنسان ألف سنة لا يجب أن يخاف إلى هذا الحد للحفاظ عليه، فما بالك بما لا يزيد عن سبع وستين سنة، كما أن كله قد مضى.

أواه على حالنا والحياة على هذه الشاكلة! ولكن أتمنى ألا تكون على هذه الحال وتذكر دائماً أن الله قد جعل تمنى الموت علامة على صدق الإيمان".^(١)

(١) مجموعة أسناد ومدارك چاپ نشده، اللوحات ١٨٠، ١٨٦، ١٨٧.

الفصل السابع - المستنيرون الآخرون فى مرحلة اليقظة

١ - ميرزا آقا خان الكرمانى:-

نفى عن إيران شخصان من المنادين بالحرية والمستتيرين الإيرانيين بسبب اتهامهما بالبابية، وقد تأثرا بآراء السيد جمال الدين الأفغانى، وهما الشيخ أحمد روحى وميرزا آقا خان الكرمانى اللذان أثرت جهودهما فى يقظة الإيرانيين إلى حد كبير وخاصة كتابات ميرزا آقا خان.

ولد ميرزا عبد الحسين الشهير بميرزا آقا خان عام ١٢٧٠ هـ.ق، والده ميرزا عبد الرحيم من خانات بردسير بكرمان. تعلم فى كرمان ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة وتعلم قليلا من الإنجليزية والفرنسية وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق وبينما كان عمره اثنين وثلاثين عاما هاجر برفقة الشيخ أحمد روحى بسبب مظالم السلطان عبد الحميد ميرزا ناصر الدولة حاكم كرمان، وتوجه إلى أصفهان ومنها إلى طهران وقام بتدريس القرآن وتفسيره فى تلك المدينة لفترة من الوقت. وتعرف على الحاج ميرزا يحيى الدولت آبادى والشيخ مهدى شريف الكاشانى. ثم سافر إلى الرشت مع رفيق سفره روحى وتوجه منها إلى إسطنبول ١٣٠٥ هـ.ق.

وتعرف الاثنان فى إسطنبول على الحاج ميرزا حسن خان خبير الملك الذى عمل لفترة قنصلا لإيران فى بلاد الشام، ونهض الثلاثة يؤيدون السيد الذى كان قد قدم آنذاك إلى إسطنبول بدعوة من السلطان عبد الحميد، وحرروا الكثير من الرسائل إلى علماء النجف وسامراء وإيران ورجال وأهالى العاصمة والمدن الإيرانية تحوى آراء وأفكار السيد، ودعواهم للوحدة الإسلامية، وسبوا حكومة ناصر الدين شاه الاستبدادية وتصرفات الصدر الأعظم ميرزا على أصغر خان. فذهب ميرزا على أصغر خان لاعتقالهم وإلحاق الأذى بهم، وأرسل التعليمات اللازمة إلى ميرزا محمود خان ديبا علاء الملك سفير إيران فى تركيا، وأظهر علاء الملك للبلاط العثمانى على خلاف الواقع أن هؤلاء الثلاثة متورطون فى

ثورة الأرمن التي كانت قد وقعت خلال العامين الماضيين، وبناء على ذلك أبعدتهم الحكومة العثمانية في أواسط رجب عام ١٣١٣ هـ.ق إلى طرا بوزان تحت الحراسة وألقت بهم في السجن هناك وظلوا على هذه الحال إلى أن اغتال ميرزا رضا الكرمانى ناصر الدين شاه بإطلاق الرصاص عليه عند مسجد الشاه عبد العظيم قبيل أيام من إقامة مراسم الاحتفال بمضى خمسين عاما على حكمه، وكان ميرزا رضا الكرمانى قد قدم من إسطنبول إلى إيران برفقة الشيخ أبى القاسم شقيق روحى باعتباره خادما له.

كان ميرزا رضا هو نفس الرجل الذى تعرض للظلم والإهانة على يد رجال الحكومة فى شیراز، وعندما قدم إلى طهران لم يجد من ينصفه فاضطر للسفر إلى إسطنبول، ويقال إن السيد وجه إليه اللوم ودفعه للانتقام.^(١)

وبعد حادثة اغتيال ناصر الدين شاه ازدادت شكوك الحكومة بخصوص هؤلاء الثلاثة وسلمتهم الحكومة العثمانية عند الحدود إلى المسئولين الإيرانيين بناء على طلب السفير الإيرانى. وكان ميرزا رضا قاتل ناصر الدين شاه لا يزال على قيد الحياة فى طهران بسبب فترة الحداد التى دامت لمدة شهر وذلك حين قطعت رعوس ثلاثتهم فى "باغ شمال" ويقال بمنزل ولى العهد نفسه فى "ششجلان" عصر يوم الرابع أو السادس من شهر صفر ١٣١٤ هـ.ق وذلك بأمر ولى العهد محمد على ميرزا، وأرسلت رعوسهم إلى طهران.

مؤلفات ميرزا آقا خان:-

كان ميرزا آقا خان يشارك فى صحيفة اختر بإسطنبول التى كانت تقرأ فى إيران والهند وكان مديرها السيد محمد طاهر التبريزى، وشارك آقا خان بمقالات كثيرة فى تلك الصحيفة.

(١) خرج فى ٢٦ رجب ١٣١٣ هـ.ق إلى طهران بتوجيه من السيد والتقى فى طريقه بسجناء طرابوزان ووصل طهران فى الثانى من شوال.

ومن مؤلفاته المنشورة "جنگ هفتادودو ملت: اقتتال اثنتین وسبعین فرقة"،
إنشاء الله وماشاء الله، وعلان فی التاريخ: "نامه باستان: الرسالة القديمة"
و"آینیه سکندری: مرآة الإسکندر".

وقد ألف تاریخ مرآة الإسکندر فی إسطنبول، وتجم الثثیر من المصاعب
لتصحیح هذه النسخة میرزا جهانگیر خان الشیرازی الذی تولى بعدها إدارة
صحيفة "صور إسرائیل" وقتل بأمر محمد علی شاه فی "باغشاه" فی الیوم الثانی
لقصف المجلس، ویقع هذا الکتاب فی مجلدين وطبع عامی ۱۳۲۴ - ۱۳۲۶ فی
طهران بفضل علاء الملك الذی تحمل نفقات طبعه.

ویقل من قيمة هذا الکتاب وأهمية الأبحاث غیر الدقیقة فی فقه اللغة التی
طرحها المؤلف خلاله.

والرسالة القديمة هی تاریخ منظوم علی وزن الشاهنامه وعلی غرارها
وأتمها عام ۱۳۱۳ هـ.ق فی السجن بطرابوزان.

وبعد عامین من اغتیل میرزا آقا خان (۱۳۱۶ هـ.ق) نظم الشیخ أحمد أديب
الکرمانی (المتوفی ۱۳۲۹ هـ.ق) ابن الملا حافظ العقيلي تاریخ ظهور الإسلام حتی
جلوس مظفر الدین شاه علی وزن الشاهنامه وأضافها إلی الرسالة وذلك بأمر من
والی کرمان قائد الجيش، وطبعت تحت عنوان "سالارنامه: رسالة القائد" مع حذف
بعض الأشعار التی کان نشرها فی ذلك الوقت یعد أمرا خطیرا.^(۱)

وأشهر أعمال میرزا آقا خان "اقتتال اثنتین وسبعین فرقة" وتعتمد هذه
الرسالة علی "قهوة سورة"^(۲) من تألیف المؤلف الفرنسی برناردن دوسن پییر،
حيث طبق موضوعها علی الإسلام.

(۱) فی مجلدين، شیراز ۱۳۱۶.

(۲) ترجم هذا الکتاب البديع لیون تولستوی إلی الروسية ومحمد جمال علی زاده إلی الفارسیة
(برلین، ۱۳۰۴ ش) ونقله للفارسیة محمد خان بهادر بن الملا أحمد عن الترجمة الروسية
لتولستوی ونشره بالإضافة إلی "اقتتال اثنتین وسبعین فرقة" لمیرزا آقا خان عام ۱۳۴۳ هـ.ق
فی برلین كما ترجمه للسید أحمد کسروی إلی العربية عن ترجمة الکتاب بلغة الاسبرنتو
وأطلق علیه عنوان "قهوة سورة" ونشره فی صیدا.

ولميرزا آقا خان مؤلفات أخرى أيضا لم تطبع، منها رسالة "صد خطابيه: مائة خطبة" ولا يوجد منها سوى اثنتين وأربعين خطبة، وليس لهذه الرسالة قيمة علمية ولكنها كتبت بشغف ومشاعر طاغية وهي لطيفة جدا وشيقة وتعبر عن وطنية المؤلف وكرهه الشديد للعرب.

وهنا ندرج فيما يلي جزءا من المقالة التي وردت في نهاية الرسالة القديمة والمحدوفة من "سالارنامه: رسالة القائد" والتي حصل عليها ناظم الإسلام الكرمانى ونشرها في كتاب تاريخ بقطة الإيرانيين، وذلك بغرض إطلاع القراء على منحى تفكيره وأسلوبه في الكتابة النثرية:

مقالة مفيدة في خاتمة الكتاب: -

"..... ربما يعترض بعض أرباب العلم وأدباء إيران ذوى الإقبال قائلين ما هذا الأسلوب في النظم والشعر الذى يخرج عن دائرة الأدب والتأدب الضرورى للمتملقين على خلاف جمهور شعراء إيران، ويضع جانبا الطريق المستقيم للسلامة أى المداهنة والتملق، إنك تتحدث هكذا بصدق وجد؛ فلتسلك الدرب الذى سلكه السائرون!

أجيب؛ يجب أن نفرق بين الأشجار والثمار، والأحداث والنتائج. فلا يوجد شك في تأثير وإبداع كلام الفصحاء والبلغاء الإيرانيين المتقدمين أو طراوة ولطف أشعارهم. كما أن الحديث عن سخرية ولطف أشعار المتأخرين هو قول يتفق عليه الجميع. ولكن يجب النظر إلى ماهية تأثير أعمال الأدباء والشعراء حتى الآن وإلى ثمار النبتة التى غرسوها في بستان الشعر وإلى محصول البذور التى نثروها! فما قالوه من مبالغات وإغراقات كان نتيجة استقرار الكذب في طبائع الناس. وما نظموه من مدح ومداهنة صارت نتيجة تشجيع الوزراء والملوك على أنواع الرذائل والسفه، وما نظموه في التصوف والعرفان لم يثمر سوى الكسل والتكدي والدروشة. وما قالوه من غزل في الزهرة والبلبل، لم يفرز سوى فساد الأخلاق

وحملهم إلى السذاجة والخمر. وما نظموه من هزل ومطايبات لم يسفر إلا عن انتشار الفسق والفجور ورواج الفحشاء. ولو نظرنا في تاريخ الشعراء المسلمين وممدوحهم سنقول إن أشعار ومدائح أبي نواس وأمثاله هي التي دفعت الخلفاء العباسيين للامتناع عن احتساء القهوة والنوم في الضحى وإلى مفاسد أخرى. وقصائد العنصرى، والروادكى وفرخى وأمثالهم هي التي أفسدت السامانيين والغزنويين وأدت إلى فنائهم، وعرفان وتصوف الشيخ العراقي والمغربى وأمثالهما هي التي أفرزت كل هؤلاء الشحاذين المتخاذلين والكسالى الذين لا يستحون. ومداينة الأنورى وظهير ورشيد وكمال أدت إلى ظهور مثل هؤلاء السلاطين الظالمين غير الأكفاء المغرورين. وأبيات سعدى فى العشق وهمام وأمثالهما هي التي أفسدت أخلاق الشباب. وهزليات ومطايبات سوزنى وسنائى وغيرهما هي التي أدت إلى انتشار الفسق والفجور إلى هذه الدرجة. وطلاسم الخاقانى المملة وأمثاله هي التي دفعت ميرزا مهديخان وصاحب الوصاف إلى الضلال. وثرثرة صبا ورقة شهاب وقآنى هي التي محت اليوم حب الفضيلة وبغض الرذيلة كاية من طبائع عظماء إيران ودفعتهم إلى الرذيلة والدناءة إلى حد بعيد. يقول تعالى: والشعراء يتبعهم الغاؤون^(١).

الشعراء الأوروبيون ينظمون هذه الأجناس الشعرية ولكنهم جعلوا الشعر يخضع لقواعد صحيحة، وجعلوا أشعارهم هذه مسابقة للمنطق. فلم يترتب على شعرهم تأثير عدا تنوير الفكر والقضاء على الخرافات وتبصير الضمائر وتنبيه الغافلين وتربية السفهاء وتأديب الجهلاء وحث النفوس على الفضائل وكف القلوب عن الرذائل والاهتمام بالوطن والأمة. وهذا معنى "إن من الشعر لحكمة". نعم إن النتيجة الحقيقية للشعر هي إثارة القلوب وترقيق النفوس وتشجيع عقول الناس، ولكن يجب أن يدفعهم إلى الفضائل والتقوى والاعتدال لا إلى ارتكاب الأعمال القبيحة والرذائل وما إلى ذلك. إن من يمدحه الأدباء الأوروبيون هو الفردوسى

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٤.

الطوسي فقط فأشعار الشاهنامه على الرغم مما نراه فيها من مبالغات أحيانا فإنها تلقى في نفوس الإيرانيين إلى حد ما حب الانتماء والأمة والشهامة والشجاعة، وتهدف أحيانا إلى تهذيب الأخلاق. أتمنى أن تتضح نتائج الأشعار المتواضعة للعبد الحقير (إشارة إلى نفسه تواضعا) عما قريب أيضا في المجتمع البشري، ويتخذها الفصحاء والبلغاء نموذجا بعد ذلك للاقتداء بشعراء أوروبا، ويعلموا أن الشعر الذي لا يقدم فائدة فلسفية سيكون من قبيل اللغو ويعد من الخرافات والخزعبلات، والسلام.

٢- روى:

الشيخ أحمد روى من زعماء الثورة الفكرية في إيران، وهو الابن الثانى لشيخ العلماء الملا محمد جعفر پيشنماز الكرمانى ولد عام ١٢٧٢ هـ.ق فى كرمان. تعلم على يد والده فى تلك المدينة العربية وشيئا من الفقه وأصول الدين والحديث، وكان إمام صلاة الجماعة فى مسجدى "ميدان القلعة" و"ميرزا جبار" لفترة من الوقت، وكان يعظ الناس ويخطب فيهم.

وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق ذهب برفقة ميرزا آقا خان الكرمانى إلى أصفهان ومنها إلى طهران ثم الرشت ثم هاجر منها إلى إسطنبول عام ١٣٠٥ هـ.ق، وبعد إقامته بها لفترة سافر لأداء فريضة الحج، وعند عودته أقام لبعض الوقت فى حلب ثم عاد إلى إسطنبول وفى تلك الفترة تزوج هو وميرزا آقا خان كريمى ميرزا يحيى نور (صبح أزل). وانضم روى إلى السيد جمال الدين الأفغانى بعد عودته إلى إسطنبول وسعى مع رفاقه الآخرين فى سبيل يقظة الإيرانيين ونشر فكرة الوحدة الإسلامية^(١) وقد أسر كما قرأنا بأمر من الحكومة العثمانية وأبعد إلى طرابوزان ثم حُمل بعد مقتل ناصر الدين شاه إلى تبريز برفقة ميرزا آقا خان

(١) يقال إنه جعل شعاره:

واسمى أحمد روى

أنا داعية للوحدة الإسلامية

الكرمانى وميرزا حسن خان خبير الملك بناء على طلب الصدر الأعظم الإيرانى، وقتل ثلاثتهم هناك. وقال قبيل قتله بساعات لميرزا صالح خان وزير أكرم نائب حكومة أذربيجان: "أتعلم ما هذا القيد الذى ضرب حول أعناقنا؟ لو كنتم تعلمون لصنعتم هذا القيد من الذهب ولأتيتم لزيارته مرة كل يوم!".^(١)

أعماله:-

كان الشيخ أحمد روحى رجلا فاضلا مطلعاً وفناناً موهوباً وينظم الشعر أيضاً. ومن أهم مؤلفاته "هشت بهشت: ثمانى جنان"؛ وهذا الكتاب المفصل فى شرح عقائد الأزليين - وهم من فرق البايّة - وسبب انقسامهم إلى الأزليين والبهائيين وفلسفة البايّة. وفضلاً عما يحتويه من قضايا دينية وجدلية يضم معلومات مفيدة عن تاريخ المرحلة الأولى من البايّة وتراجع عدد من القدماء المنسوبين إليها. ويعد كتاب "هشت بهشت" من المصادر الرئيسة التى اعتمد عليها المستشرق البريطانى إدوارد براون.

٣- ميرزا حبيب الأصفهاني:-

يعد ميرزا حبيب الأصفهاني واحداً من الإيرانيين المستتيرين الموهوبين وكان حسن البيان وواحداً من رجالات القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الهجريين الذين انتهجوا أسلوباً جديداً إلى حد ما ورصينا فى البحث الأدبى.

"وهو من أهالى قرية بن چهار محال من توابع أصفهان. وقام بتحصيل العلم فى أصفهان وطهران، كما درس الأدب والفقه وأصول الدين فى بغداد لمدة أربع سنوات، ثم عاد إلى طهران، وهناك تعرض للإيذاء والاعتقال بزعم أنه قد نظم هجاءً فى حق الصدر الأعظم سيهسالار محمد خان. فهرب عام ١٢٨٣ هـ.ق إلى تركيا^(٢) واحتفى بالحكومة العثمانية فى دار السعادة إسطنبول. وأخذ يقضى وقته

(١) تاريخ بيدارى ايرانيان، ص ١٥٥.

(٢) نفى فى ذلك العام عدد من الأفراد بتهمة الإلحاد وكان منهم ميرزا حبيب الذى فر إلى =

فى المدارس وصار لفترة من الوقت من أعضاء مجلس المعارف ولكنه عزل من هذا العمل نتيجة كيد الأعداء، ثم حظى بعد عام ونصف باهتمام السلطان وعاد إلى عمله. كان ينظم الشعر أحياناً، ولكنه لم يكن يطمع فى العطاء كغيره من الشعراء. وفى بداية أمره كان يتخلص بـ "دستان" ولكنه نظم أكثر أشعاره بعد ذلك بلا تخلص ولم يهتم بهذا الأمر".^(١)

وانضم ميرزا حبيب للشيخ أحمد روحى ورفاقه، وتكاتف مع أولئك الساعين لإيقاظ الإيرانيين فى إطار الثورة فى سبيل الحرية.

وفى عام ١٣١١ مرض قبيل أن يبلغ الستين وتوجه إلى بروسا للعلاج بالمياه المعدنية ثم توفى بعد فترة عام ١٣١٥ ودفن فى مقبرة تشكركه عند سفح جبل "اولوداغ".^(٢)

مؤلفاته:

كان ميرزا حبيب أديباً يجيد العربية ويعرف التركية وتعلم الفرنسية أيضاً فى إسطنبول أثناء تدريسه للفرسية فى تلك المدينة، واستفاد من هذه اللغات الثلاث فى تدوين قواعد اللغة الفارسية وكان أول من أطلق كلمة "دستور" على قواعد اللغة بدلاً من الصرف والنحو.

وفىما يتعلق بكتاب "حاجى بابا" فقد توصل جمال زاده مؤخراً فى أبحاثه إلى أن ميرزا حبيب الأصفهانى قام بترجمة هذا الكتاب بتلك العبارات اللطيفة البليغة

=إسطنبول وآثر البقاء بها. وفى تلك الفترة تولى ميرزا حسين خان سپهسالار السفارة الإيرانية ومنع معاملة ميرزا حبيب باحترام أو تقدير.
(كتاب رحلات حاجى پير زاده: سفرنامه حاجى پير زاده، مخطوط محفوظ بمكتبة المجلس، تحت رقم ٦٩٥، نقلاً عن إيرج افشار، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر).
(١) مقدمة ديوان ميرزا حبيب بقلمه، مكتبة بايزيد، إسطنبول، نقلاً عن خان ملك الساسانى (إيرج افشار، ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد ١٠).
(٢) ياداشت صباح الدين شمس، مجلة يغما العام الرابع عشر، العدد ٤.

المشحونة باللطائف الأدبية، ثم أحضر الأستاذ مجتبى مینوی عند عودته من رحلته إلى تركيا صورة ضوئية لمخطوطات ميرزا حبيب غير المطبوعة الموجودة في مكتبة جامعة إسطنبول وبينها ترجمة حاجي بابا الأصفهاني. ومع ظهور الترجمة نفسها بخط ميرزا حبيب وخاصة المقدمة الموجزة التي حررها المترجم للترجمة والتي سننقلها بنصها لم يعد هناك شك في أن هذا الكتاب قد ترجمه ميرزا حبيب نفسه إلى الفارسية عن الترجمة الفرنسية.^(١)

وها هي المقدمة:

"لقد تُرجم كتاب "حاجي باب في أصفهان" إلى الفرنسية عن اللغة الإنجليزية وقام العبد الحقير حبيب الأصفهاني بنقله إلى الفارسية عن الفرنسية بلغة يفهمها العامة ويعجب بها الخاصة ومصطلحات مشهورة وسائدة، ويعود على المؤلف ما بالكتاب من حسن وقبح وفائدة وضرر، ونسخة "حاجي بابا في لندن" هي نسخة أخرى، تعبر عن تدليس الإنجليز، كما أن الإيرانيين على نفس الحال، بل إن التدليس لدى المسلمين عامة، وإن شاء الله سيترجم هو الآخر، ولن يعاقب المترجم سواء من جانب الشرع أو العرف.

فقد قلت ما قاله القائل^(٢)

لم أقل هذا من عندي

موريه وكتاب حاجي بابا:

ألف جيمس موريه كتاب حاجي بابا بهدف نقد الإيرانيين وكشف أوجه القبح في العادات والتقاليد الإيرانية. وكان جيمس موريه أصلاً من أهالي فرنسا وحاصل على الجنسية البريطانية. ولد عام ١١٩٤ هـ ق (١٧٨٠م) في أزمير واطلع بها على الآداب الشرقية واللغتين التركية والفارسية. وألحقه والده القنصل البريطاني في إسطنبول بالعمل في وزارة الخارجية.

(١) إيرج أفشار: ميرزا حبيب أصفهاني، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر.
(٢) إيرج أفشار: آثار ميرزا حبيب أصفهاني، مجلة يغما، العام السادس عشر، العدد الثاني.

وفى عام ١٢٢٣ هـ.ق موريه مع السير هارفورد جونز السفير البريطانى إلى إيران للعمل سكرتيرا للسفارة، فوصل إلى طهران فى الثامن والعشرين من ذى الحجة من نفس العام.

وظل سكرتيرا للسفارة البريطانية فى إيران لمدة ست سنوات على فترتين (المرّة الأولى منذ ذى الحجة ١٢٢٣ حتى ربيع الأول ١٢٢٤ هـ.ق، والمرّة الثانية منذ جمادى الآخرة ١٢٢٥ هـ.ق حتى ذى القعدة ١٢٣٠ هـ.ق).

وعمل نائبا للسفير فى الفترة التى كان يغيب فيها الأخير عن طهران، وتورط فى عقد معاهدة جلستان المشئومة وتحديد الحدود الجديدة بين إيران وروسيا وكذلك توقيع المعاهدة الأكثر شؤما بين إيران وإنجلترا.

واطلع موريه خلال إقامته فى إيران على أخلاق الإيرانيين وعاداتهم وخاصة القادة ورجال الحكومة، وكذلك خلال رحلته الثانية مع السيد جور أوزلى السفير البريطانى، فقد رافقه ممثل إيران ميرزا أبو الحسن خان وسبعة إيرانيين من الطبقات المختلفة -المشرف والطاهى والحارس والخادم- واختلط بهم عن قرب وتعرف على أحوالهم وأفكارهم عن طريق الحوار والسخرية والجدل مع هذه المجموعة، فهيات هذه الرحلة له الفرصة لجمع موضوعات كثيرة لكتابه وحكاياته.

صدر كتاب حاجى بابا الأصفهانى فى لندن عام ١٨٢٤م (١٢٣٩ هـ.ق) بعد عشر سنوات تقريبا من عودته الأخيرة من إيران، وأثار نشره جدلا فى الأوساط الأدبية: ورأى أكثر من انتقدوا الكتاب أنه كتاب ممل بشكل عام وغير مترابط ومشحون بتكرار مبتذل بالرغم من أنه كتاب جدير بالقراءة ويضم أجزاء طيبة. ولكن فريقا آخر من الأدباء والمفكرين من بينهم الروائى الاسكتلندى الشهير والتر سكوت يعتبرون الكتاب قطعة أدبية جميلة مشحونة بالفولكلور ورأوا أنها تستحق أن تصنف فى مرتبة واحدة مع قصة "جيل بلاس" للاساج.

والحقيقة أن موريه قد حاكى "جيل بلاس" فى بناء القصة وتفاصيلها. فحاجى

بابا يخرج من طبقة العامة مثل بطل قصة لاساج، وتفوق على أقرانه من نفس الطبقة ثقافيا ووقع مثله فريسة للصوص وقطاع الطرق وشاركهم أعمالهم جبرا وتعلم الطب على يد رجل مشعوذ ومارس الطب بمهارة، وعشق النساء وسعى لجمع المال وأخيرا وصل إلى مكانة رفيعة بعد حياة مشحونة بالمتناقضات. كما أن المشاهد وتصادد الأحداث وأسلوب الكتابة تكاد أن تكون واحدة كما أن أسماء الشخصيات في العاملين وصفية ومتشابهة.

على كل حال يعد كتاب حاجي بابا الكتاب الوحيد من بين مؤلفات موريه الذي لفت أنظار القراء ولا يعادله من حيث أسلوب الإنشاء والمهارة في عرض الموضوع أى من كتابيه في الرحلات اللذين طبع الأول منهما عام ١٨١٢ م والثاني بعد ست سنوات والذي يضم شرحا لرحلاته إلى إيران وأرمينية وآسيا الصغرى؛ وينطبق هذا الأمر كذلك على قصته الأخرى المسماة حاجي بابا في لندن التي صدرت بعد أربع سنوات من حاجي بابا الأصفهاني (١٨٢٨م) وتعد في الحقيقة متمما للكتاب الأول أو الجزء الثاني فيه. وبسبب هذا الاختلاف الكبير ظن البعض أنه قد ألف الكتاب الأول بمساعدة أحد الإيرانيين وألف الثاني بدون مساعدة، أو ظنوا أن الكتاب كان قد ألف بالفارسية ثم ترجم إلى الإنجليزية.

كُتب حاجي بابا على هيئة قصة ونجح المؤلف إلى حد كبير في رسم الشخصيات وحياتهم. وقد وصف الكتاب بمهارة وفن فتحلى شاه ذلك الأمير "الذي يبطن التصوف والوجد ويُظهر أنه من أهل الشريعة والكلام، وكذلك وصف الوزير الأعظم (ميرزا شفيع) بهيئته النحيفة وأخلاقه الدنيئة وطمعه وخسته وحب التجميل واهتمامه الشديد بالنساء وحبه لسماع كلمات الإطراء الكاذبة من قبل رجال البلاط وحذره من العلماء، ورسم كذلك صورة لابن بائع الخضر الأصفهاني (الحاجي محمد حسين أمين الدولة) بقبح شكله وغلطة تصرفاته "حيث كان يملا صناديق الشاه بالذهب دون أن ينسى نفسه" وصور السفير الفرنسي (الجنرال جاردان مبعوث نابليون) وميرزا الأحقق (ميرزا أحمد كبير أطباء الشاه) وملك الشعراء

(فتحلى خاب صبا الكاشانى)^(١) وميرزا فيروز (ميرزا أبا الحسن خان، كبير موفدى إيران إلى البلاط البريطانى وهو ابن أخت الحاج إبراهيم خان كلانتر الشيرازى وصهره). وعرض بأسلوب شيق يطابق الواقع تفاصيل ذهاب الشاه سيرا إلى قم، ومعسكره الصيفى فى روضة سلطانية وإجراء مراسم احتفالات عيد النيروز وغير ذلك من المشاهد. وحكاية يوسفى الأرمنى وتخليصه خطيبته مريم من قصر حاكم إيروان قصة حقيقية، وقد ذكر هذا الموضوع صاحب الديوان ميرزا تقى العلى آبادى شرحا وتفصيلا فى نص أدبى كما ذكرها موريه ببعض الاختلافات فى المجلد الثانى من كتابه للرحلات.

ومن الناحية الموضوعية لم يرغب المؤلف بالطبع أن يتحدث فى كتابه عن محاسن وفضائل الإيرانيين ومآثر إيران القديمة، ولكن كان هدفه الأسمى عرض مشاهد محلية واستعراض أخلاق الإيرانيين وعاداتهم من خلال القصة، وبناء على هذا لا يضيرنا أن الكاتب تعرض لمسائل مثيرة للنقد خلال استعراضه لحياة الإيرانيين السياسية والاجتماعية فى كتابيه للرحلات وقصتيه. ولا ننكر أن الدخول غير المشروع والرشوة "كانت من آفات قادة إيران وكبار رجالها" فقد كان فى إيران ولا يزال عظماء "لا يقلون مطلقا عن يزيد" يرتدون لباس الإيمان الظاهرى كما رأى وشاهد المؤلف.

أما الأمر الجدير بالذكر أن المؤلف لم يكن منصفاً وغير مغرض إلى أقصى درجة فى تصوير هذه العيوب والمفاسد، وعبر عن تردى أخلاق بعض الطبقات من الشعب الإيرانى بمبالغة كبيرة عن الواقع. نشر متن حاجى بابا الأسمى عدة مرات فى إنجلترا وترجم لمعظم اللغات، وقد عرفت موضوعاته لا باعتبارها قصة

(١) يسمى ملك الشعراء هذا فى النص الإنجليزى وفى ترجمة شوكة الوزراء "عسكر"، ولد فى كرمان ولكنه يسمى فى ترجمة ميرزا حبيب "فتحلى" وولد فى كاشان، وبين المترجم أن المؤلف ربما لم يرغب فى سرد قصة ذلك الرجل فتحلى خان صبا الكاشانى باسمه صراحة".

لطيفة ولكن باعتبارها دليلا لأخلاق الإيرانيين وعاداتهم. و ظل لسنوات طويلة مرشدا للأوروبيين لصفات الشعب الإيراني وأخلاقه. وكم من الأشخاص الذين - على حد قول براون- غرر بهم لقراءة الكتاب وظنوا أن كافة الإيرانيين يتصفون بتلك الصفات التي طرحها موريه.

وبالطبع لم يكن من الفطنة الطعن في أمة بأسرها بالأخطاء الناتجة عن سذاجة الناس وأسلوب الإدارة المعوج وفقدان وسائل التربية والتعليم وليدة الظروف المحلية والسياسية بشكل عام والتي تتعلق غالبا بالطبقات المتميزة المحدودة، وكذلك اعتبار كافة الأهالي فاسدين وجعلهم محطا للسخرية.

وماذا عسانا أن نقول عن السياسيين والموفدين الرسميين لتلك الدول المتحضرة والمتمدنة الذين دعموا في رجال هذه الأمة الجهلاء الغافلين تلك الصفات الرذيلة عن طريق تقديم الهدايا والوعود الصادقة والكاذبة من أجل تحقيق أهدافهم، والذين جعلوا مصير الأمة معتمدا عن طريق الخلق المتعمد للفساد في الجهاز الحاكم والحصول على الامتيازات غير المشروعة والمشئومة.

وفيما يتعلق بسبب تسمية الكتاب يجب القول إن السير هارفورد جونز بينما كان يغادر إيران متوجها إلى بريطانيا (عام ١٢٢٦ هـ.ق) طلب منه ولي العهد الأمير عباس ميرزا أن يصطحب معه شابين إيرانيين إلى إنجلترا لإتمام الدراسات العليا، كان أحدهما ميرزا بابا أفشار نجل واحد من رجالات عباس ميرزا، والذي أتم دراسته عام ١٢٣٤ هـ.ق في الطب والكيمياء، وعاد إلى تبريز في صفر أو ربيع الأول عام ١٢٣٥ هـ.ق وعمل طبيبا في بلاط ولي العهد وبعدها لدى محمد شاه باسم ميرزا بابا كبير الأطباء.^(١)

ويقال إن الدارسين الإيرانيين لم يشعروا بالرضا بسبب تقصير موريه فيما

(١) ويسمى الآخر محمد كاظم وهو نجل كبير الرسامين لدى ولي العهد، والذي أوفد إلى إنجلترا لدراسة فن التصوير. ومات هذا الشاب بعد ثمانية عشر شهرا من الإقامة في لندن بمرض السل.

يتعلق بشئونهما الدراسية في إنجلترا، وكان ميرزا بابا على وجه الخصوص يحول دون استيلاء موريه على نفقات تعليمهما، لذا كن له العدا، وربما لهذا السبب أطلق اسمه على كتابه أو ربما لأن اسم حاجي بابا يبدو مضحكا من وجهة نظره من حيث التركيب اللفظي.

وكان موريه قد كتب في رسالته التي بعثها من لندن في ديسمبر ١٨٢٣ م (ربيع الأول ١٢٣٩ هـ.ق) أي قبيل نشر حاجي بابا إلى أحد أصدقائه المقيم في إسطنبول شرحا للقصة من قبيل أصلها ومصدرها والسبب في تسميتها، فقال إن أحد موظفي فتحعلي شاه يسمى حاجي بابا قد قدم له هذه المذكرات تذكارا وتقديرا له بينما كان عائدا من إسطنبول، حيث كان قد مرض في مدينة توقات من مدن أرمينية العثمانية فعالجه موريه، وقام بترجمتها إلى الإنجليزية، ومع ذلك فهذا الموضوع مقتعل والواضح أن موريه قد اقتبس عنوان كتابه من اسم حاجي بابا أفشار كما ذكرنا وأن ميزا بابا كبير الأطباء ظل غاضبا بسبب أنه أطلق اسمه بجرأة على كتابه وسخر من العادات الإيرانية.^(١)

حاجي بابا في ترجمة ميرزا حبيب:

يعد الأسلوب النثري الذي كتب به ترجمة ميرزا حبيب من أفضل أساليب النثر في المرحلة الأخيرة فالكتاب عن آخره مكتظ ومزين بأشعار مناسبة للمترجم نفسه وأسائذة الشعر الفارسي وكذلك بالآيات والأحاديث والأمثال والمصطلحات وكأنه قد ألف في الأصل بالفارسية، ووفقا لقول ملك الشعراء بهار "إنه يقلد حينما الجلستان من حيث الرصانة والانسجام واللفظ والنصح ويحاكي أحيانا النثر الأوروبي خلال سرد القصص وإثارة النفوس وخلق الفضول لدى القارئ. فهو بسيط وفني أيضا، يوافق الأسلوب القديم لأسائذة النثر ويساير كذلك الأسلوب الحديث لمؤلف الرواية، وهو في المجمال أحد روائع القرن الثالث عشر

(١) Stuart, Journey etc., p.169؛ (نقلا عن عباس اقبال، مجلة يادگار، العام الأول، العدد الخامس)

الهجرى".^(١) وقد طبع كتاب حاجى بابا الذى ترجمه ميرزا حبيب الأصفهاني عدة مرات فى كلكتا ولاهور وطهران.

كتابان فى قواعد اللغة:

نشر ميرزا حبيب أثناء إقامته فى إسطنبول عدة كتب أخرى من أعماله ومن المتون القديمة، ومن بينها كتاب فى قواعد اللغة الفارسية الذى سبقت الإشارة إليه. وأعد هذا الكتاب خلال تدريسه اللغة الفارسية والنحو والصرف للألماني فارموند وطبعه تحت عنوان "تستور سخن: نحو المقال" عام ١٢٨٩ هـ.ق.^(٢) وصار هذا الكتاب فيما بعد مصدرا ودليلا للآخرين، وكتب عبد العظيم الجرجاني المدرس بالمدرسة العلمية ثلاث مجموعات فى قواعد الفارسية مستعينا به.^(٣)

ويقول المؤلف فى مقدمة "نحو المقال": "لقد عملت لفترة من الوقت معلما للغتين الفارسية والعربية فى الأوقات التى ابتعدت فيها أنا العبد حبيب الأصفهاني عن مقامى بمقتضى القدر السماوى وأقيمت فيها بالأساتذة العلية إسطنبول. وعلمت من خلال التدريس أن المثقفين والأدباء فى تلك الديار مقبلون على اللغة الفارسية بشدة، ولكن لا توجد قواعد ولا نظام سليم لتعلمها. ونظرا لأن المتحدثين بالفارسية لم يقعدوا للغتهم الأم كما أن الدارسين للفارسية لم يفهموا ما قيل فى أصول وقواعد تلك اللغة، فحدثت نفسى فى هذا الموقف قائلا كيف تظل لغة بهذا القدم واللفظ كما أرى بلا تنظيم أو ترتيب؟! فمن هذا المنطلق يعجز الإنسان الذى يرغب فى الكتابة والقراءة. وأعددت كتيباً أولاً: لا يضم قواعد الفارسية فقط بل يشتمل على الأسس الأصلية للفارسية وطريقة استخدام الكلمات المأخوذة عن اللغة العربية. ثانياً: أكثر

(١) سبك شناسى، ج ٣، ط ٢، ص ٣٦٦

(٢) يقول مخبر السلطنة فى (خاطرات وخطرات) ص ١١ "حصلت على نسخة منه تطابق النسخة الألمانية" ويقصد هدايت كتاب فارموند المسمى

Praktisches Handbuch der Neupersischen, Giessen, 1845.

(٣) مخبر السلطنة هدايت: خاطرات وخطرات ص ١١.

الشواهد التي قدمتها لموضوعاته من الأشعار الشهيرة، فكل منها يعد في مقام مثل، ويمكن قولها أثناء الحوار في الوقت المناسب. ثالثاً: قدمت في بعض الموضوعات أمثلة كثيرة لتيسير القراءة السليمة إلى حوار معرفة القواعد السليمة أيضاً. رابعاً: وضحت التغييرات المشهورة والمعروفة في الكلمات العربية التي يستخدمها الناطقون بالفارسية سواء في الحوار أو الكتابة حتى لا يعتقد القراء أن تلك التغييرات خطأ عند الإيرانيين في لغتهم الأم. خامساً: كتبت الموضوعات الفارسية والعربية المرتبطة بذلك معاً، لأن هذه الموضوعات لا يمكن قولها في موضع آخر بالعربية حيث لم يبق من المعنى العربي لهذه التغييرات وجود. سادساً: التزمت في المصطلحات والتعبيرات الصرفية والنحوية بما هو شائع ومعمول به، حتى لا يحدث خلط في هذه القواعد".

ونشر ميرزا حبيب تحت رعاية حسنعلی خان أمير نظام جروسی بعد عدة سنوات من تأليف "نحو المقال" "دبستان پارسی: مدرسة الفارسية" عام ۱۳۰۸ هـ.ق وهو خلاصة واختصار لنحو المقال. وكتب في مقدمته:

"أنا العبد الخجول حبيب الأصفهاني عندما أدركت بعد كتابه كتاب نحو المقال وطباعته أن تلك الطبعة تكاد تنفذ، وأن هذه النسخة تبدو مفصلة إلى حد ما في اعتقاد البعض أردت أن أعد كتباً بنفس اللغة ثانية ليستفيد منه الناطقون بالفارسية عامة ويتعلم منه أطفال الكتاتيب والمدارس الابتدائية قواعد لغتهم. فكتبته مختصراً عن النسخة السابقة ولكنه أكثر شمولاً من حيث المعنى وجعلت به قسماً عربياً، وسميت هذا العمل الذي استغرق مني عدة سنوات باسم "مدرسة الفارسية"^(۱).

بعض أعمال ميرزا حبيب الأخرى:

ومن أعمال ميرزا حبيب الأخرى "غرايب عوايد ملل: غرائب عادات

(۱) مقدمة المؤلف على "دبستان پارسی" إسطنبول، ۱۳۰۸ هـ.ق.

الشعوب^(١) و "بررگ سبز: الورقة الخضراء"^(٢) في أسس تعليم اللغة الفارسية،
 "خط وخطاطان: الخط وخطاطون"^(٣) باللغة التركية، "خلاصة رهنمای فارسی:
 خلاصة المرشد للفرسية"^(٤)، و "رهبر فارسی: المرشد للفرسية"^(٥)، وطباعة ديوان
 "الأطعمة" لأبي إسحاق الحلاج الشيرازي مع شرح للكلمات في نهاية الكتاب^(٦)
 وكذلك "ديوان البسه: ديوان الملابس" لنظام الدين محمود القارئ اليزدي^(٧)
 ومنتخبات لعبيد زاكاني مع مقدمة بالفرنسية لفرته.^(٨)

وقد ترك ميرزا حبيب فضلا عن مؤلفاته المطبوعة المشار إليها الكثير من
 الأشعار والحكايات والأمثال والترجمات والمذكرات غير المطبوعة، وقد أحضر
 الأستاذ مجتبى مینوی كما ذكرنا صورة ضوئية منها عند عودته من رحلته إلى تركيا،
 ومن بينها ترجمة "جيل بلاس" التي طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمنشاهی
 المعروف بـ (كفری) وأدرك الأستاذ مینوی هذا الأمر بمطابقة النسختين.^(٩)

كما ترجم هذا الرجل العالم مسرحية Misanthrope لموليير بعنوان "مردم
 گریز: الهارب" ونشرها بداية في صحيفة اختر ثم نشرها بشكل مستقل بعد ذلك.^(١٠)

(١) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.

(٢) طبعة إسطنبول، ١٣٠٤ هـ.ق.

(٣) طبعة إسطنبول، ١٣٠٥ هـ.ق.

(٤) طبعة إسطنبول، ١٣٠٩ هـ.ق.

(٥) طبعة إسطنبول، ١٣١٠ هـ.ق.

(٦) طبعة إسطنبول، ١٣٠٢ هـ.ق.

(٧) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.

(٨) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.

(٩) إن مجتبى مینوی ثقة وقوله حجة، وإن كانت ترجمة جيل بلاس (ط ١٣٢٢ هـ.ق) أكثر
 جمودا من ترجمة حاجي بابا إلى حد ما إلا أنها تشبه أسلوب ميرزا حبيب النثري ومع كل
 هذا لا أستطيع أن أقنع نفسي أن رجلا فاضلا وعالما مثل الدكتور محمد الكرمنشاهی يسرق
 محصلة مجهود الآخرين دون أي سبب وينسبه إلى نفسه.

(١٠) لقد أشرت إلى هذه الترجمة قبل ذلك تفصيلا عند الحديث عن كتابة المسرحية، وعندى
 نسخة منها، فقدت منها الصفحة الأولى ولا تحتوى تلك النسخة على اسم المؤلف والمترجم،
 ومعلوماتي أنها ترجمة ميرزا حبيب الأصفهانی استنادا إلى قول إيرج أفشار (مجلة يغمما،
 العام الثالث عشر، العدد العاشر).

الحديث التاسع:

سقاية حاجى بابا من باب الاضطرار

"قال حمّار ناصحا: بنى، أنت شاب موهوب وقوى، فصيح وحسن الصوت، بشوش، ساخر. تستطيع أن تشجع الناس على شرب الماء بالصوت الجميل، وتأسر القلوب بالاستهزاء والسخرية. يأتى زوار مشهد للحصول على الأجر والثواب، وهم لا يقصرون فى شىء فى سبيل النجاة من النار وإدراك الجنة. فمن يخرج عليهم من باب الخيرات والمبرات يفز بعطاياهم وصدقاتهم. هيا؛ بع الماء فى ذكرى شفاه كربلاء الظمّانة. وعليك أن تتظاهر بالعمل فى سبيل الله، وفى الواقع إن لم تأخذ المال لا تعطى رشفة ماء لأى شخص.

فبعد ما يشرب الإنسان، قل برياء عبارات ندية؛ هنيئا، العافية، هنيئا مريئا، بالهناء، لتسقيك شفاة كربلاء الظمّانة بالشفاعة، لتشرب كأس الشفاعة من يد العباس ابن على المبتورة! ومنهم بمثل هذه الكلمات فالأمل يؤثر كثيرا على المحزونين، واجعل صوتك عاليا كي يسمعه الجميع، وقل كثيرا من اللطائف حتى يضحك الجميع وانشد كثيرا من الأشعار التى تعجب الجميع وانظر إلى حمق الزوار وسذاجتهم؛ فهم يتكبدون نفقات باهظة من ديارهم البعيدة مع كل هذا الخوف من التراكمة ويأتون للزيارة. فما الأمر الذى لا يمكن فعله مع هؤلاء؟! يمكن خداعهم بسهولة. عقولهم فى عيونهم، وقد غطى عيونهم حجاب قلة العقل، فهم لا يرون ولا يفهمون.

اجعل كل ما تقوله باسم الله والرسول، ولا تفعل غير ذلك. لقد قمت منذ فترة سابقة فى نفس المكان بنفس العمل واشتريت من مال السقاية قافلة البغال التى تراها الآن.

اشتريت قربة جديدة عملا بقول الحمار وزماما من السلاسل وحزاما من الجلد وعقدت على خصرى عددا من الخطافات الصينية وعلقت بها عددا من آنية الشرب منقوشة بـ "قل هو إلهي"، وعددا من الأجراس والجلجل. ووضعت القربة ليومين أو ثلاثة فى الماء ثم ملأتها، ودخلت إلى صحن مرقد الإمام الرضا وجاء دور عرض موهبتى، وكان مطلع كلامى: سلام الله على الحسين ولعنة الله على قاتل الحسين.

اشرب الماء وقل لعنة الله على يزيد واجعل الروح فداءً لمرقد ملك الشهداء

عجبا عندى ماء هنئ، يشفى القلب الظمان؛ يسقط الأسنان، يروى الظمان ويجعل المرتوى ظمانا، تروى به رياض الجنة، وتطفأ به نار جهنم... ولما عملت يومين على النحو الذى نصحنى به الحمار صار أستاذًا لى. فالمعروف فى هذه الأمور أن العلم يأتى من الممارسة والعمل.

ما إن وقع ناظر سقاة مشهد علىّ، جف الماء فى أفواههم فهبوا متنافسين وأرادوا سد نبع فنى بحجة أنه ليس من حقى السقاية هناك، بمعنى ألا يمنحونى الماء من الخزان للسقاية. ولكن وجدوا أن منافسهم ليس ضعيفا فمن الممكن أن يضرب ويمزق قربهم جميعا، فغضوا طرفهم عني. وكان الله كان قد خلقنى للسقاية.

كنت أبيع ماء الخزان ودور السقاية المختلط بالطين كريحه الرائحة على أنه ماء زلال من عيني تسنيم والكوثر. ولا تعلمون كم كنت أحصل من الظمانين. كنت أحصل على ثمن القربة من عشرة أشخاص ثم أبيعها ثانية. كنت أعقد ناظرى دائما على وفود الزوار حديثى الوصول توا والغبار على وجوههم، فكنت أدفع إناء الماء إلى يدهم قائلا بسم الله، فى سبيل الله، حمدا على السلامة من الأمراض والبلاء، ارشفوا جرعة ماء فى ذكرى شفاه صحراء كربلاء الظمّانة. عطروا رءوسكم ووجوهكم بماء ورد مشهد المنورة واجعلوا قربة ماء فى سبيل الله. وكنت أنشد أحيانا أشعارا لميرزا أحمد أيضا بصوت جميل:

رطب حلقك يا ظمآن للرحمة وتذكر فوران حوض الكوثر
واصقل بالماء مرآة القلب ثم اذكر بقلبك العباس بن علي
هذا ليس ماءً بل هو قطرة من الكوثر هذه ليست قرية، فهذه بئر زمزم
وكانت عينه عينا سلسبيلاً وكان مزاجه مزاجاً زنجبيلاً

كنت أعرض على الزوار بهذا النحو المفصل من الكلام والشعر أن أول ثواب هو ثواب شرب الماء، وماء مشهد، الماء الخاص بى وكان إحسان الزوار وإنعامهم على لا حد له. لم تكن قطرة من الماء تذهب هباءً ولا كلمة من أشعارى.

ولما هلت أيام عاشوراء التى تجعل الإيرانيين حمقى بسبب المصيبة والعزاء والبدع التى لا أصل لها، وأردت أن أستعرض فنى فى التجوال بالقرية، وأقيم العزاء فى يوم عاشوراء فى ميدان الديوان الذى يعد مسرحاً للعرض فى أيام محرم وذلك فى حضور الأمير والى خراسان.

فى العام الماضى كان أحد السقاة يسمى "جاوميش" قد فاز على الجميع فى سباق التجوال بالقرية. قالوا يجب الحذر من "جاوميش" فلدیه آلة جارحة ولا يملك قلباً. فلم أهتم. وحن الوقت. جلس الأمير فى شرفة عند بداية الديوان ووقف حوله الأكابر والأعيان. دخلت ملطخاً بالدماء عن أخرى من جراح السيوف؛ عارياً حتى خصرى، على كتفى قرية ضخمة للغاية مليئة بالماء، ووصلت أسفل الغرفة لاهثاً وعلى كتفى حمل ضخمة، وبدأت أنشد الرثاء واستهللتته بمدح الأمير. فسر الأمير وأنعم على بعملة ذهبية وتعجب الناس لإحسانه وتحيروا لما أنا عليه. ولإثبات فضلى، طلبت طفلاً صغيراً وأجلسته على القرية، وقدمت مشهداً آخر، فتعالت صيحات الناس أحسنت أحسنت.

ومن صيحات الاستحسان جرى فى عروقى الكبر وطلبت طفلاً آخر لأجلسه على القرية. فانتهاز جاوميش الفرصة. وقفز هو نفسه على القرية وجلس مع

الأطفال. ولم ألتفت إلى ثقل ما أحمله وتماسكت قليلا، ولكن صدر صوت من فقرات ظهري. انحنى خصري وتحول كتفى إلى اللون الأزرق من صلابة السلاسل، وتمزق جسدى عن آخره.

وضعت القربة على الأرض ولم أشعر بالألم فى حينها ولكن بعد عدة دقائق علمت أن جاوميش قد فعل فعلته، ولم أعد قادرا على حمل القربة. لهذا السبب بعث مستلزمات السقاية وكنت أفضل حالا من وقت قدومى إلى مشهد بالأموال التى جمعتها من السقاية.

كان مستشارى على الحمّار قد ذهب إلى طهران للحصول على أجره ولم أكن أستطيع أن أسأله النصيح. أردت مقاضاة جاوميش وأخذ دية. قالوا لى لا فائدة: إن حادثك تبدو فى الظاهر خدشا ولا يوجد فى الشريعة نص صريح للخدش. أردت اللجوء إلى محامى للمرافعة؛ قالوا إياك أن تلجأ إلى محامى حيث سييطل ذلك دعواك وسيسلبك أيضا ما تملك. وأرادوا أن يضيعوا حقى هباءً، ولم أقبل. على كل حال كُسر ظهري، وبُح صوتى.

المراجع والمصادر

۱- آدمیت، فریدون:

(۱) امیرکبیر و ایران، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۳ ش.

(۲) فکر آزادی و مقدمه نهضت مشروطیت ایران، تهران، ۱۳۳۵ ش

امین الدولة، میرزا علی خان: خاطرات سیاسی - به کوشش حافظ فرمانفرمائیان، تهران، ۱۳۴۱ ش

براون، ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوه، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۸ ش.

پاولولچ، ترایا - ابرانسکی: انقلاب مشروطیت ایران و ریشه های اجتماعی و اقتصادی آن، ترجمهء م. هوشیار، تهران، ۱۳۳۰ ش.

تیموری، ابراهیم: عصر بی خبری باتاریخ امتیازات در ایران، تهران ۱۳۳۲ ش.

خان ملك ساسانی، أحمد: سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ ش.

سایکس، ژنرال سرپرستی: تاریخ ایران، ترجمهء سید محمد تقی فخر داعی، تهران، ۱۳۳۵ ش.

فرهاد معتمد، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران و عثمانی، جلد دوم، تهران.

فوریه دکتر: سه سال در دربار ایران (۱۳۰۶ - ۱۳۰۹) ترجمهء عباس اقبال، تهران، ۱۳۲۶ ش.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطه ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

مکی، حسین: زندگانی میروا تقی خان امیرکبیر، چاپ سوم، تهران، ۱۳۳۷ش.

ملك آرا، عباس میرزا: شرح حال-، به اهتمام عبد الحسین نوائی، تهران، ۱۳۲۵ش

ناظم الإسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، تهران، ۱۳۳۲ش.

هدایت، مهدیقلی، خاطرات و خطرات، تهران، ۱۳۲۹ش.

۲- چاپ و چاپخانه

اقبال، عباس: نخستین روزنامه چاپی در ایران، یادگار، سال ۱، شماره ۳، صفحات ۳۹-۵۲.

براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات و ادبیات ایران، ترجمه محمد عباسی، جلد دوم، تهران ۱۳۳۷ش.

برتلس، ی. ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنین گراد، ۱۹۲۸م (روسی).

تربیت، محمد علی:

(۱) مبدأ تاریخ ایرانشناسی در اروپا، مجله ارمنان، سال ۱۲، شماره ۷، صفحات ۴۴۸-۴۵۶.

(۲) تاریخ مطبعه و مطبوعات ایران، مجله تعلیم و تربیت، سال ۴، صفحات ۶۵۷-۶۶۴ و ۷۲۱-۷۲۴.

(۳) تأسیس مطبعه و آغاز روزنامه نگاری در ایران، باختر، سال ۲، صفحات ۱۹۳-۱۹۸.

تقی زاده، سید حسن: چاپخانه و روزنامه در ایران، "روزنامه کاوه"، سال دوم دوره جدید، شماره ۵، صفحات ۱۱-۱۴.

جواهر کلام، علی: چاپخانه در ایران، نامهء راه (راه نو)، سال ۴،
صفحات ۲۴۳-۲۴۴.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل چاپ، صفحات ۳-۱۵

مینوی، مجتبی، کاروان معرفت، مجلهء یغما، سال ۶، شماره ۸.

۳- روزنامه و روزنامه نویسی

آدمیت، فریدون: امیر کبیر و ایران، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۴ ش.

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان:

(۱) المآثر والآثار، تهران، ۱۳۰۶-۱۳۰۷، باب ۸، ص ۱۵۹.

(۲) منتظم ناصری، جلد سوم، تهران، ۱۳۰۰.

اقبال، عباس:

(۱) نخستین روزنامهء فارسی چاپی در ایران، مجلهء یادگار، سال
۱، شماره ۳، صفحات ۴۹-۵۴.

(۲) تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگار، سال ۱، شماره
۷، صفحات ۶-۱۷.

(۳) براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات و ادبیات ایران در دورهء
مشروطیت، ترجمهء محمد عباسی، جلد دوم، تهران ۱۳۷۷ ش.

برلتس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

نقی زاده، سید حسن: روزنامه نگاری در ایران در قرن سیزدهم،
روزنامهء کاوه، سال ۲ دورهء جدید، شماره ۶ صفحات ۱۳-۱۶.

صدر هاشمی، محمد:

(۱) چندروزنامهء مهم در زمان ناصر الدین شاه، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره ۳ صفحات ۵۱-۶۱ شمارهء ۴، صفحات ۵۱-۵۷.

(۲) تاریخ جراید و مجلات ایران در ۴ جلد، اصفهان، ۱۳۲۷-۱۳۳۲ش.

صفی نیا، رضا: راجع به تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگار، سال ۲، شمارهء ۱، صفحات ۳۱-۳۷.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.
مشیری، علی: اولین روزنامهء ایرانی، مجلهء سخن، سال ۱۴، شمارهء ۷، صفحات ۶۰۹-۶۱۱.

مینوی، مجتبی: کاروان معرفت، مجلهء یغما، سال ۶، شمارهء ۸.

۴- دار الفنون

آدمیت، فریدون: امیرکبیر و ایران، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۴ش.
اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: مرآت البلدان، جلد سوم، ۱۲۹۶هـ.ق.
اقبال، عباس: بعد از صدسال، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۴-۵.
براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات و ادبیات ایران در دورهء مشروطیت، ترجمهء محمد عباس، جلد سوم، تهران، ۱۳۴۱ش.

برتلس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنین گراد، ۱۹۲۸ (روسی).

روزنامهء وقایع اتفاقیه، نمره ۲۹ و ۳۳ مورخ ۴ شوال ۱۲۶۷.

و ۳ سفر ۱۲۶۸ هـ.ق.

سپهر، میرزا محمد تقی: ناسخ التواریخ، جلد قاجاریه، وقایع سال ۱۲۶۸هـ.ق.

هدایت، مهدیقلی، خاطرات و خطرات، تهران ۱۳۲۹ ش.

۵- رضاقلی هدایت:

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: مرآت البلدان، جلد دوم، تهران، ۱۲۹۵ هـ.ق.

اقبال، عباس:

(۱) امیر کبیر و مرحوم هدایت، نشریه وزارت امور خارجه، دوره ۲، شماره ۱، صفحات ۴۱-۴۶.

(۲) امیر کبیر و مرحوم هدایت، مجله یادگار، سال ۴، شماره ۴، صفحات ۹-۱۴.

برتلس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنین گراد، ۱۹۲۸ (روسی).

بیانی، دکتر مهدی: احوال و آثار رضاقلی هدایت معروف به الله باشی، مجله پیام نو، دوره ۶، شماره ۱۲، صفحات ۲۷-۳۳.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل هدایت

هدایت، رضاقلی خان، مجمع الفصحاء، چاپ دوم، جلد ششم، تهران ۱۳۴۰ ش

هدایت، مهدیقلی: خاطرات و خطرات: تهران، ۱۳۲۹ ش

Churchill, Sidnay: a modern contributor to Perian

Literature, Rezā Kuli Khan and his works. JRAs 18, 1886, 196-296; v. ibid 19, 1887, 163-4.

Relation de l'Ambassade au kbarezm (khiv), pub. Trad, ch Schefer. 2 vol.

۶- اعتماد السلطنة

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: يك پرده از اسرار انحطاط ايران يا خوابنامه بامقدمه شهيد نورائي، مشهد، ۱۳۲۴ش.

اقبال، عباس: بعد از صد سال، مجلهء يادگار سال ۵، شمارهء هاي ۴-۵.

برتلس، ي.ا: تاريخ مختصر ادبيات ايران، لنين گراد، ۱۹۲۸ (روسي).

تربيت، محمد علي "دانشندان آذربايجان، تهران، ۱۳۱۴ش، صفحات ۴۳-۴۵.

خان ملك ساساني، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ش.

قزويني، محمد: وفيات معاصرين، مجلهء يادگار، سال ۳، شمارهء ۳، ص ۳۶.

۷- محمد ظاهر ميرزا

جنتي عطائي، ابو القاسم: بنياد نمايش در ايران، تهران ۱۳۳۳ش.

نادر ميرزا: تاريخ تبريز، ۱۳۲۳، صفحات ۲۲۹-۲۳۰.

۸- امين الدوله

امين الدوله، ميرزا علي خان: خاطرات سياسي، تهران، ۱۳۴۱ش.

براون، ادوارد: انقلاب ايران، ترجمهء احمد پژوه، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۸ش

خان ملك ساساني، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران ۱۳۳۸ش

فتحي، نصرت الله: يك سند منتشر نشده مربوط به تاريخ مشروطيت، مجلهء يغماء، سال ۱۵، شمارهء ۴، صفحات ۱۷۶-۱۸۰.

قرزینی، محمد: وفیات معاصرین - امین الدوله، مجله یادگار، سال ۳، شماره ۳.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطه ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.
ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد اول، تهران، ۱۳۲۷ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۹- مستشار الدوله

آدمیت، فریدون: فکر آزادی و مقدمه نهضت مشروطیت، تهران، ۱۳۳۵ش، صفحات ۱۸۲-۱۹۸.

تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱۳ش، صفحات ۳۳۱-۳۳۲.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد یکم، تهران.
ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش، صفحات ۱۷۷-۲۰۴.

۱۰- کوشندگان

طابوف

اعتصام الملك، یوسف: طابوف. مجله بهار، سال یکم، شماره های ۹ و ۱۰، ۱۳۲۹.

افتار، ایرج: شرح حال طابوف و تألیفات او، مجله یغما، سال ۴، شماره ۵، ۱۳۳۰ش

برتلس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ م (روسی).

دولت آبادی، یحیی: حیات یحیی، جلد سوم، تهر، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل طالبوف.

شاه حسینی: ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانه،
سال ۴، شماره ۶، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل طالبوف.

شاه حسینی، ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانه،
سال ۴، شماره ۶، ۱۳۳۰ش.

صفوت، محمد علی: داستان دوستان یا تذکره ادبا وشعراى "آذربایجان"،
قم، ۱۳۱۸ش.

فتحی، نصرت الله: يك سندمنتشر نشده مربوط به تاریخ مشروطیت...
مجله یغما، سال ۱۵، شماره ۴، ۱۳۴۱ش.

قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، مجله یا دگار، سال ۵، شماره های ۴ -
۶، ص ۸۶.

کسروی: احمد: تاریخ مشروطه ایران، پچاهارم، بخش یکم.

یاسمی، غلا مرزا: طالبوف وکتاب احمد، مجله ایرانشهر، برلن، سال ۲
شماره های ۵-۶.

۱۱- حاجی زین العابدین مراغه ای

برتلس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

حاجی زین العابدین مراغی: ترجمهء حال مؤلف، سیاحتنامه ابراهیم بیگ،
جلد سوم، کلکته، ۱۹۰۹م.

صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، جلد اول، ص ۶۴.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

۱۲- میرزا ملکم خان

آدمیت، فریدون: فکر آزادی، تهران، ۱۳۴۰ش.

اعتماد السلطنه: محمد حسن خان: خوابنامه، مشهد، ۱۳۲۴ش.

افشار، ایرج: نثر فارسی معاصر، تهران، ۱۳۳۰ش

اینگورن، ی.ا: سرگذشت اشرف خان حاکم عربستان، کمدی میرزا ملکم خان بولتن اونیورسیتتهء دولتی آسیای میانه، شماره ۱۶، ۱۹۲۷.

برتلس، ی.ا: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

تیموری، ابراهیم: عصر بی خبری یا تاریخ امتیازات در ایران، تهران،

۱۳۳۲

جنتی عطائی أبو القاسم: بنیاد نمایش در ایران، تهران، ۱۳۳۳ش.

خان ملك ساسانی، احمد:

(۱) سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ش

(۲) میرزا ملکم خان کیست؟ روزنامهء شهباز، سال ۱، شمار ۱-۲،

۱۳۲۲ش

ربیع زاده، هاشم: کلیات ملکم، تهران ۱۳۲۵.

محیط طباطبائی، محمد: مجموعهء آثار ملکم، قسمت اول، تهران،

۱۳۲۷ش.

ملکم، برنس ناظم الدوله: مجموعهء نثائر، برلین، ۳۰۰ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۱۳- آخوند زاده - میرزا آقا تبریزی

اقبال، عباس: راجع به تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگار، سال ۲، شماره (نیل مقالهء رضا قلی صفی نیا).

آخوند زاده، میرزا فتحعلی: الفابی جدید و مکتوبات، ۱۹۶۳، باکو.

تربیت محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱۴ش، صفحات ۲-

۷.

جعفر، م: تنقید و موعظه، مجموعهء ادبیات، جلد دوم، باکو، ۱۹۴۷ (آذربایجانی).

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل آخوند زاده.

شریف، آ. آ: مقاله به مناسبت هفتاد و پنجمین سال درگذشت میرزا فتحعلی آخوندوف، خلاصهء اخبار دانشکده خاورشناسی، شماره ۹، مسکو، ۱۹۵۳م. (روسی).

شویتوف، آم. ک نقش آخوندوف در پیشرفت ادبیات متمدنی ایران، خلاصهء اخبار دانشکده خاورشناسی، شماره ۹ مسکو ۱۹۵۳م (روسی).

صفی نیا، رضا: میرزا فتحعلی آخوندزاده، پیام نو، سال ۱، شماره ۵، صفحات ۱-۱۴.

کوچرلو: فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندوف، تفلیس، ۱۹۲۱م (آذربایجانی).

نفیسی، سعید:

(۱) میرزا فتحعلی آخوندوف، مجلهء پیام نوین، سال ۵، شماره ۲.

(۲) جشن صد و پنجاه سالگی ولادت میرزا فتحعلی آخوندوف، مجلهء پیام

نوبین، سال ۵، شماره ۳.

ینی کولوبف، ای: از تاریخ نخستین نمایش ترکی نمایشنامه های میرزا فتحعلی آخوندزاده، مجله فرهنگ و خط شرق، مجلد دوم، باکو، ۱۹۲۸م (روسی).

____، شرح حال آخوندوف به قلم خود او، روزنامه کشکول، شماره های ۴۳-۴۵، تقویم، ۱۸۷۷م.

قاسم زاده، ف. و عارف، م. و میر جلال: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو ۱۹۴۴م. (آذربایجانی).

____، یادى از آخوندزاده، مجله راهنمای کتاب، سال ۵، شماره های ۸-۹.

____، آخوندوف، فرهنگ دایره المعارف روسی تحت نظر وودنسکی، مسکو.

____، تالیفات میرزا فتحعلی آخوندوف، ۳ جلد، باکو ۱۹۵۰-۱۹۵۵ (آذربایجانی).

____، مشخصات آثار میرزا فتحعلی آخوندوف، باکو، ۱۹۱۵م. (روسی).

____، آثار فلسفی و سیاسی میرزا فتحعلی آخوندوف، باکو، ۱۹۴۰م. (روسی).

۱۴- میرزا شفیع - بودنشتدت

آکادمی علوم آذربایجان: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو، ۱۹۴۴ (آذربایجانی).

سید زاده، ا.ا. میرزا شفیع یا بودنشددت؟ باکو، ۱۹۴۰م. (روسی).

قاسم زاده، ف. وجعفر اوف، ج: کتاب ادبیات برای کلاس نهم، باکو ۱۹۵۴ (آذربایجانی).

وکوجرلو، فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندزا تفلیس، ۱۹۲۱م، (آذربایجانی).

میرزا شفیع:

(۱) غزلیات، متن آلمانی، برلن.

(۲) غزلیات، ترجمهء ك.س. پرودان، ۱۹۰۳م (روسی).

(۳) اشعار، ترجمهء م. سید زاده، مجلهء ادبیات، شماره های ۳۶: دسامبر ۱۹۵۲م (آذربایجانی).

ینی کولوپف، ای. ك: شاعر میرزا شفیع، باکو، ۱۹۳۸ (روسی باخلاصه ای زیان فرانسه).

Bodenstedt, Friedrich. Tausend und ein tag in Orient, Berlin, 1850.

Bodenstedt, Friedrich, Die Lieder des Mirza Schaffy mit einem prolog von Friedrich von Bodenstedt. Berlin, 1851.

Dr. Kurt Sundermeyer, Friedrich Bodenstedt und die "Lieder des Mirza Schaffy", Disserlation, Kiel 1930.

۱۵ - سید جمال الدین

آسد آبادی، میرزا لطف الله:

(۱) شرح حال و آثار سید جمال الدین آسدآبادی مشهور به افغانی، جلد اول، برلین ۱۳۰۴ش.

(۲) مقالات جمالیه، تهران، ۱۳۱۲ ش

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: المآثر والآثار، تهران، ۱۳۰۶، ص ۲۲۴.

افشار، ایرج: اسناد جدید درباره سید جمال الدین مجله مهر. سال ۱۰، شماره ۳، ۴ صفحات ۳۳۲-۳۳۷.

امین الدوله، میرزا علی خان: خاطرات سیاسی، تهران، ۱۳۴۱ ش.
براون، ادوارد: تاریخ انقلاب ایران، ترجمه احمد پژوه. چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۷ ش.

تقی زاده، سید حسن:

(۱) سید جمال الدین افغانی (در مردان خود ساخته)، تهران ۱۳۳۰ ش.

(۲) سید جمال الدین. روزنامه کاوه، سال ۲، شماره های ۳ و ۹.

جمالی اسد آبادی، صفات الله: اسناد ومدارك درباره ایرانی الاصل بودن سید جمال الدین اسد آبادی، تهران، بی تاریخ.

خان ملك ساسانی، احمد: سیاستگران دوره قاجار، تهران، ۱۳۳۸ ش.

خسروشاهی، سید هادی: دفاع از سید جمال الدین حسینی اسد آبادی، چاپ دوم، تهران، ۱۳۴۳ ش.

دانشگاه تهران: مجموعه اسناد ومدارك چاپ نشده درباره سید جمال الدین مشهور به - افغانی، تهران، ۱۳۳۲ ش.

رضا، محمد رشید: تاریخ أستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مصر، ۱۳۵۰ هـ.

زیدان، ایراهیم: تعلیم القرائة، جلد خامس.

زیدان، جرجی: مشاهیر الشرق، جلد دوم، قاهره، ۱۹۰۳.

صفائی ملایری، ابراهیم: رهبران مشروطه، جزوه اول، سید جمال الدین افغانی، تهران، ۱۳۴۳ش.

عبد الغفار، قاضی: آثار جمال الدین افغانی. دهلی، ۱۹۴۰م.

قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، مجله یادگار، سال ۳، شماره ۴.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطه ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.

لوشانی، پرویز: سید جمال الدین اسد آبادی مغز متفکر انقلاب و مشروطیت ایران، مجله روشنفکر، شماره مای، ۵۴۸-۵۶۰ (فروردین - تیر ۱۳۴۳ش)

محمود، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران و انگلیس، جلد های چهارم و پنجم، تهران، ۱۳۳۱ش.

مدرس، محمد علی: ریحان الادب، جلد یکم، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۵ش.

مدرسی، چهاردهی، مرتضی: سید جمال الدین اسد آبادی، تهران، ۱۳۴۳ش.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد اول، تهران، ۱۳۲۷ش.

هدایت، مهدیقلی: خاطرات و خطرات، تهران، ۱۳۲۹ش.

۱۶ - روشنفکران دیگر

میرزا آقاخان کرمانی

اسدآبادی، میرزا لطف الله: شرح حال و آثار سید جمال الدین اسد آبادی

معروف به افغانی جلد اول، برلین، ۱۳۰۴ش.

براون، ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوده، چاپ دوم، صفحات ۹۲-۹۴ و ۴۰۷-۴۱۱

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الاسلام، احمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

روحی

اسد آبادی، میرزا لطف الله: شرح حال و آثار سید جمال الدین اسد آبادی معروف به افغانی، برلین، ۱۳۰۴ش.

براون ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوه، چاپ دوم، تهران ۱۳۳۷ش، صفحات ۹۲-۹۴ و ۴۱۰-۴۱۱.

قزوینی، محمد روحی، مجلهء یادگار، سال ۳، شمارهء ۱۰، صفحات ۱۷-۲۱.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۱۷- میرزا حبیب اصفهانی

استوارت، ت.و: مقدمهء بر کتاب حاجی بابا اصفهانی، لندن، ۱۹۵۴م

اقبال، عباس: کتاب حاجی بابا و داستان نخستین محصلین ایرانی در فرنگ، مجلهء یادگار، سال ۱، شمارهء ۵، صفحات ۲۸-۵۰.

افشار: ایرج:

(۱) مترجم حاجی بابا کیست؟ مجلهء جهان نو، سال ۳، ۱۳۳۴ش.

(۲) میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء یغما، سال ۳، شمارهء ۱۰، ۱۳۳۹ش.

۳) آثار میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء یغما، سال ۱۶، شماره ۲، ۱۳۴۲ش.

بهار، محمد تقی ملک الشعراء: سبک شناسی، جلد سوم، چاپ دوم، ص ۳۶۶.

خان ملک ساسانی، احمد: میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء ارمغان، سال ۱۰، صفحات ۱۱۰-۱۲۰ و ۲۶۸-۲۷۲.

شمس، صباح الدین: احتجاجات و سوالات، مجلهء یغما، سال ۱۴، شماره ۴، صفحات ۱۹۰-۱۹۲.

فیلولت: مائردت: مقدمه بر ترجمهء کتاب حاجی بابا اصفهانی، کلکته، ۱۹۰۵م.

مشیری، علی: مطالب جالب و مهم در بارهء کتاب حاجی بابا (قسمت دوم)، مجلهء وحید سال ۲، شماره ۱.

نفیسی، سعید: مترجم کتاب حاجی بابا، مجلهء جهان نو، سال ۳، ۱۳۳۴ش.

تواريخ وأحداث

وفاة كريم خان الزندى فى شیراز. ظهور آغا محمد خان.	١٣ صفر ١١٩٣
حملة آغا محمد خان على بلاد الكرج وفتح مدينة تفليس.	ربيع الأول ١٢١٠
تتويج آغا محمد خان القاجارى	النيروز عام ١٢١٠
حملة آغا محمد خان الثانية على بلاد الكرج	غرة محرم ١٢١١
حملة آغا محمد خان على قلعة شوشى والسيطرة عليها.	ذو القعدة ١٢١١
مقتل آغا محمد خان عند قلعة شوشى.	٢١ ذو الحجة ١٢١١
جلوس فتحعلى شاه.	شوال ١٢١٢
وصول ولى العهد عباس ميرزا إلى تبريز للإقامة بها والقضاء على متمردي أذربيجان.	محرم ١٢١٤
وصول مهدي عليخان حشمت جنگ مبعوث الحاكم البريطانى فى الهند.	أواخر ربيع الأول ١٢١٤
وصول السير جان ملكم السفير الرسمى لحاكم الهند اللورد ولسلى والوفد الممثل لإنجلترا إلى طهران.	جمادى الآخرة ١٢١٥
عقد اتفاقية تجارية وسياسية بين إيران وإنجلترا بتمثيل السير جان ملكم والحاج إبراهيم كلانتر اعتماد الدولة الصدر الأعظم الإيرانى.	١٢ شعبان ١٢١٥، ٥ يناير ١٨٠١م
إرسال الحاج محمد خليل خان القزوينى التاجر	شوال ١٢١٥

البوشهرى إلى الهند سفيرا برفقة ملكم (قتل فى
بومباى فى أواسط ربيع الأول ١٢١٧ - ٢٠ يولية
١٨٠٢).

غرة ذى الحجة ١٢١٥ سمل عيني الحاج إبراهيم خان اعتماد الدولة الصدر
الأعظم الإيرانى بأمر فتحعلى شاه (وكان قد تقلد
الصدارة فى شعبان ١٢٠٩).

رمضان ١٢١٨ محاصرة الجنرال سيسيانوف لمدينة كنجة وبداية
الحرب الإيرانية- الروسية.

غرة شوال ١٢١٨ سيطرة سيسيانوف على كنجة وضمها لروسيا

١٤ صفر ١٢١٩ تحرك ولى العهد من تبريز عازما قتال الروس.

نو الحجة ١٢١٩ مقتل الجنرال سيسيانوف على يد الإيرانيين فى
كنجة.

١١ ربيع الأول ١٢٧٣، احتجاج حاكم الهند على غزو إيران لهراة وإعلان
الحرب على إيران من طرف بريطانيا وقطع
العلاقات بين الدولتين.

٢٤ ربيع الأول ١٢٧٣ توجه أمين الملك من إسطنبول إلى باريس.

٥ ربيع الثانى ١٢٧٣ نزول القوات البريطانية فى بوشهر والاستيلاء على
جزيرة خارك.

٧ رجب ١٢٧٣، ٤ مارس بنياية فرخ خان أمين الملك مبعوث ناصر الدين شاه،
١٨٥٧ والتعهد بالانسحاب من هراة وفقدان إيران حق
السيادة على أفغانستان.

٢٧ ذو القعدة ١٢٧٣	رفع العلم البريطاني في طهران مجددا.
٢٥ محرم ١٢٧٤	وفاة ميرزا عباس فروغى البسطامى.
- ربيع الأول ١٢٧٤	الانتهاء من تأليف (روضة الصفاى ناصرى: روضة الصفاء الناصرية).
٢٠ محرم ١٢٧٥	عزل ميرزا آقا خان نورى اعتماد الدولة من الصدارة.
- ١٢٧٥	تأسيس ما يسمى مجلس الوزارة على نسق الدول الأوروبية. تأسيس دار الشورى الحكومية الكبرى برئاسة ميرزا جعفر خان مشير الدولة. تعيين الأمير عليقى ميرزا وزيرا للعلوم.
٦ ربيع الثانى ١٢٧٦	وفاة ميرزا أبى الحسن يغما الجندقى.
٥ صفر ١٢٧٧	إصدار أول عدد من "روزنامه دولت عليه ايران"
أواخر عام ١٢٧٨	وفاة سيد جعفر خان مشير الدولة.
جمادى الآخرة ١٢٧٩	إعداد كتيب أسس إدارة دار العدل على يد ميرزا حسن خان سپهسالار.
- - ١٢٧٩	بداية دعوة ميرزا حسينعلى بهاء الله فى بغداد.
- - ١٢٨٠	تشغيل أول خطوط التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر (بواسطة الإنجليز).
١٢ شوال ١٢٨١	وفاة ميرزا آقا خان نورى وصدارة ميرزا محمد خان سپهسالار بن أمير خان سردار.
- - ١٢٨٤	وفاة ميرزا محمد خان سپهسالار وصدارة ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

- ١٢٨٥ - - وفاة ميرزا محمد علي سروش الأصفهاني.
- ٢٩ رمضان ١٢٨٧ تعيين ميرزا حسين خان مشير الدولة سيهسالار وزيراً لوزارة العدل والعمل والأوقاف.
- ١٢٨٧ - - مد خطوط التلغراف من الهند لأوروبا عن طريق بوشهر وبندر عباس.
- ١٠ ربيع الآخر ١٢٨٨ وفاة رضا قلي خان الله باشي.
- ٢٩ شعبان ١٢٨٨ صدارة الحاج ميرزا حسين خان مشير الدولة سيهسالار.
- ١٢٨٨ - - قُط شديد بإيران.
- ١٨ جمادى الأولى ١٢٨٩، ٢٥ يولييه ١٨٧٢ منح امتياز استغلال كافة المرافق الحيوية في إيران للبارون جوليوس دو رويتر (ألغى هذا الامتياز في رمضان عام ١٢٩٠).
- ١٢ - ٢٠ شعبان ١٢٨٩ إعداد لائحة إنشاء "البلاط الأعظم" المقترحة من قبل ميرزا حسين خان سيهسالار وتصديق ناصر الدين شاه عليها.
- ٢ شوال ١٢٨٩ افتتاح مجلس شوري الوزراء (نُشر ذلك الخبر للأهالي في العدد الرابع من ذي القعدة في الصحيفة الإيرانية الرسمية).
- ١٢٨٩ - - اقتطاع جزء من سيستان وبلوشستان من إيران بقرار السير فردريك جولد سميث.
- العشر الأواخر من ذي الحجة ١٢٨٩ وفاة الحاج ملاهادي السبزواري.

٩ صفر ١٢٩٠، ٦ أبريل
رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا.
١٨٧٣

٢١ صفر ١٢٩٠
رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا برفقة
ميرزا حسين خان سيهسالار.

١٤ رجب ١٢٩٠
عودة ناصر الدين شاه من أوروبا وعزل سيهسالار
من الصدارة.

٢٠ شوال ١٢٩٠
تعيين سيهسالار وزيرا للشئون الخارجية (ولكن
ظلت مقاليد الأمور في الواقع في يده حتى عام
١٢٩٧هـ.ق).

— — ١٢٩١
وفاة ميرزا نصر الله شهاب الأصفهاني.

١٦ ذى الحجة ١٢٩٢
إصدار صحيفة (اختر) الفارسية في إسطنبول وتولى
آقا محمد طاهر التبريزي إدارتها

— جمادى الآخرة ١٢٩٣
تفويض ميرزا حسين خان سيهسالار لتأجير
مسايد الأسماك في بحر قزوين لاستيفان ليانازوف
الروسي (ألغيت الاتفاقية بعد ثورة أكتوبر في ٢١
شعبان ١٣٣٦ هـ.ق من طرف وزير الاقتصاد مشاور
الممالك).

— — ١٢٩٤
تشكيل لجنة علمية لإعداد "تامة دانشوران" تحت
إشراف عليقلی ميرزا اعتضاد السلطنة، الاستعانة
ببعثة عسكرية من النمسا.

٢٥ - صفر ١٢٩٥، ٢٨
وفاة ميرزا فتحعلي آخوندزاده في مدينة تفليس.
فبراير ١٨٧٨

- ربيع الأول ١٢٩٥ رحلة ناصر الدين شاه الثانية لأوروبا.
- رجب ١٢٩٥ عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثانية لأوروبا.
- محرم ١٢٩٦ توقيع اتفاقية تأسيس فرقة القوزاق تحت إشراف المسؤولين الروس ورئاسة الكولنيل دومانتويتش.
- - ١٢٩٦ وصول المسؤولين النمساويين إلى إيران.
- ربيع الآخر ١٢٩٧ وفاة ميرزا محمد تقى لسان الملك مؤلف ناسخ التواريخ.
- - ١٢٩٧ بداية فتنة الشيخ عبید الله كرد.
- أوائل شوال ١٢٩٧ عزل سيهسالار من الصدارة وإبعاده إلى قزوین.
- ٢٤ شوال ١٢٩٧ وصول الأكراد المتمردین إلى ساوجبلاغ والسيطرة على تلك المدينة.
- ١٦ ذى الحجة ١٢٩٧ وصول سيهسالار إلى ساوجبلاغ للقضاء على الشيخ عبید الله وأتباعه.
- ٢١ ذى الحجة ١٢٩٧ فرار الشيخ عبید الله للأراضي العثمانية.
- ٩ محرم ١٢٩٨ وفاة عليقلی ميرزا اعتضاد السلطنة. تكليف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بإدارة (نامهء دانشوران).
- ١١ ذى الحجة ١٢٩٨ وفاة ميرزا حسن خان سيهسالار فى خراسان.
- صدارة ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.
- ٢٢ محرم ١٢٩٩ عقد اتفاقية بين إيران وروسيا بشأن ترسيم الحدود بين الدولتين فى الجهة الشرقية لبحر قزوین.
- منتصف ربيع الأول ١٢٩٩ وفاة ميرزا محمد إبراهيم نواب بدايع نكار.

- غرة محرم ١٣٠٠ إصدار صحيفة "شرف" (صدرت هذه الصحيفة مرة أخرى في بداية عهد مظفر الدين شاه باسم "شرافت").
- ٢ جمادى الأولى ١٣٠٠ وفاة السلطان مراد ميرزا حسام السلطنة فاتح هراة.
- ١٥ جمادى الأولى ١٣٠١ إصدار صحيفة "العروة الوثقى" في باريس والتي تولى إدارتها السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده.
- ١٠ صفر ١٣٠٣ وفاة نادر ميرزا مؤلف تاريخ تبريز.
- — ١٣٠٣ وصول السيد جمال الدين الأفغانى إلى طهران.
- — ١٣٠٥ وفاة الأمير فرهاد ميرزا.
- ٢٤ صفر ١٣٠٦، ٣٠ إصدار قرار بحرية الملاحة في نهر كارون. أكتوبر ١٨٨٨
- ٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٦، ٣٠ يناير ١٨٨٩ منح امتياز تأسيس البنك الشاهنشاهى للبارون جوليوس دو رويتر. اقترض أربعين ألف ليرة من جورج رويتر من أجل نفقات رحلة الشاه الثالثة لأوروبا.
- ١٢ شعبان ١٣٠٦ الرحلة الثالثة لناصر الدين شاه إلى أوروبا بصحبة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
- ٢٢ ذى القعدة ١٣٠٦ منح امتياز اليناصيب للسيد بوزيك كاردويل سكرتير السفارة الإيرانية في لندن. (وكان ملكم نفسه صاحب الامتياز الفعلى، ثم منحه لشركتين بريطانيتين إلا أن هذا الامتياز ألغى في ١١ ربيع الآخر ١٣٠٧ بسبب صدور فتوى من العلماء بتحريمه ولأسباب أخرى.

- ٢١ ذى الحجة ١٣٠٦ لقاء ناصر الدين شاه بالسيد جمال الدين الأفغانى فى ميونخ ودعوة الشاه له للذهاب إلى إيران.
- ٢٤ صفر ١٣٠٧ عودة ناصر الدين شاه من الرحلة الثالثة لأوروبا ووصوله إلى طهران.
- ٧ ربيع الآخر ١٣٠٧ منح امتياز تعبيد الطريق من طهران إلى سواحل الخليج الفارسى ليحيى خان مشير الدولة شقيق ميرزا حسين خان سيهسالار (انتقل هذا الامتياز إلى مستثمرين بريطانيين فى الرابع عشر من جمادى الآخرة من نفس العام ثم انتقل منهم إلى البنك الملكى (الشاهى) ومنه إلى شركة "لينتش" إلى أن ألغى فى الثانى من ربيع الأول ١٣٤٠ المعادل الحادى عشر من آبان ١٣٠٠ش.
- ٧ ربيع الثانى ١٣٠٧ رحلة السيد جمال الدين الأفغانى الثانية إلى إيران.
- ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٠٧، ٢٠ فبراير ١٨٩٠ إصدار صحيفة القانون فى لندن وتولى ميرزا ملكم خان إدارتها.
- ٢٤ رجب ١٣٠٧ عزل ملكم وإلغاء ألقابه ومناصبه.
- شعبان ١٣٠٧ منح امتياز الملاحة فى أعالي كارون للحاج آقا محمد معين التجار الدهشتى.
- ١١ رمضان ١٣٠٧ منح امتياز تأسيس بنك الرهونات والقروض للروسى جاك بولياكوف ومنح للحكومة الإيرانية بعد ثورة أكتوبر بموجب الفصل التاسع من معاهدة الصداقة بين إيران والاتحاد السوفيتى المؤرخة عام ١٩٢١.
- جمادى الأولى ١٣٠٨ إبعاد السيد جمال الدين الأفغانى من إيران للمرة

الثانية.

- ٢٠ رجب ١٣٠٨ وفاة أبى نصر فتح الله خان الشيبانى.
- ٢٨ رجب ١٣٠٨ منح امتياز احتكار التبغ إلى المايجور تالبوت (ألغى هذا الامتياز بسبب اعتراض العلماء والأهالى فى جمادى الأولى ١٣٠٩).
- ١٨٩٢ - رجب ١٣٠٩، - فبراير إصدار السيد جمال الدين الأفغانى صحيفة "ضياء الخافقين" فى لندن.
- ٢٨ شوال ١٣٠٩، ١٥ مايو ١٨٩٢ الاقتراض من البنك الشاهنشاهى فى مقابل دخل جمارك الجنوب من أجل تسديد التعويض عن إلغاء امتياز التبغ.
- ٣ ذى القعدة ١٣٠٩ وفاة ميرزا حسينعلى بهاء الله.
- ١٣١٠ - - - - - صدارة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
- ١٣١٠ - - - - - إصدار صحيفة "حكمت" فى القاهرة وتولى ميرزا مهديخان زعيم الدولة التبريزى إدارتها.
- ١٠ جمادى الآخرة ١٣١١ إصدار صحيفة جبل المتين فى كلكتا وتولى سيد جلال الدين الكاشانى مؤيد الإسلام إدارتها.
- ١٣١١ - - - - - وفاة محمود خان ملك الشعراء
- ١٨ شوال ١٣١٣ وفاة محمد حسن خان مقدم اعتماد السلطنة.
- ١٨ ذى القعدة ١٣١٣ اغتيال ناصر الدين شاه فى مسجد الشاه عبد العظيم على يد ميرزا رضا الكرماني.
- ٢٤ ذى الحجة ١٣١٣ جلوس مظفر الدين شاه.

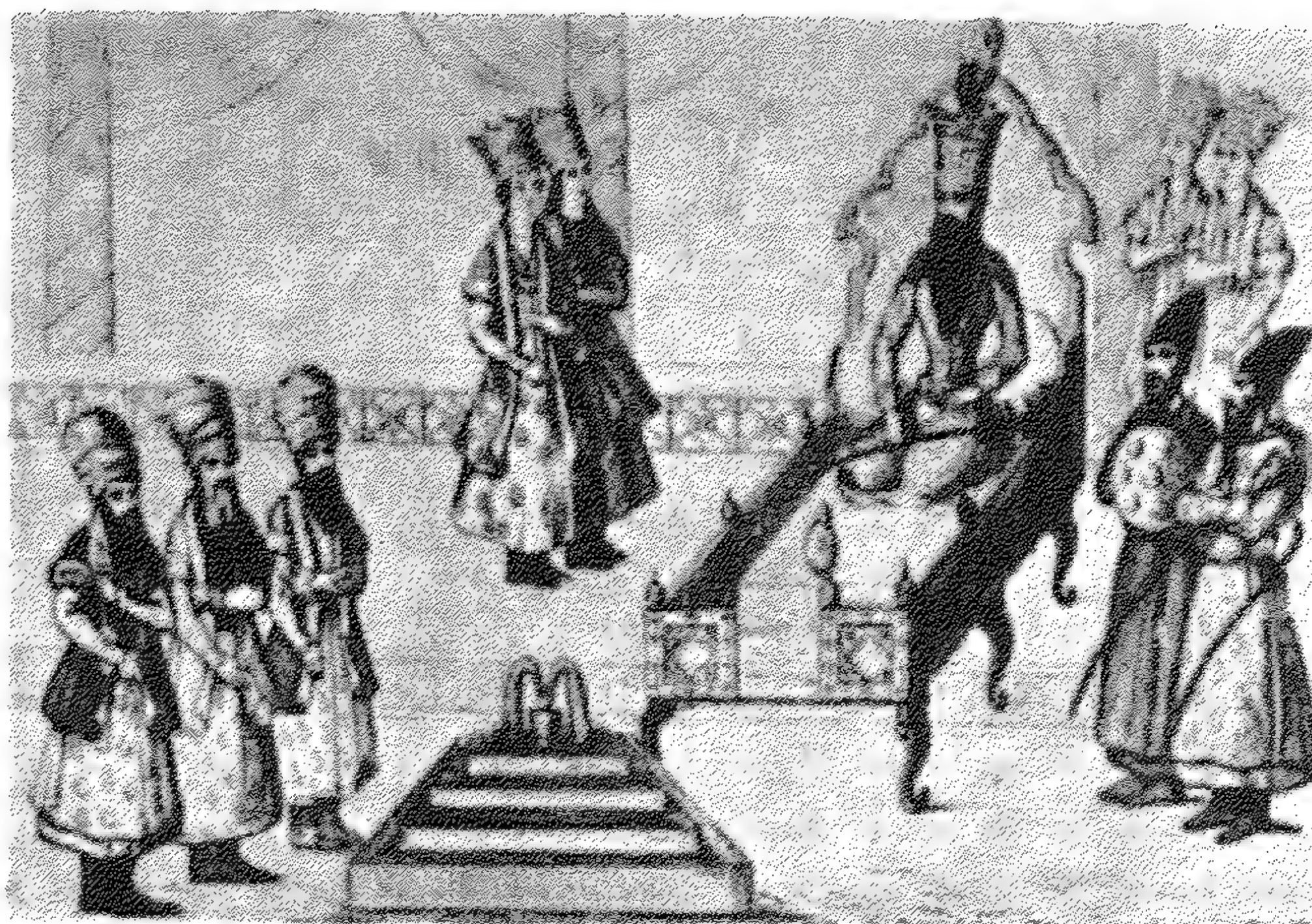
وفاة ميرزا يوسف خان مستشار الدولة.	-- ١٣١٣
إعدام ميرزا آقا خان الكرمانى والشيخ أحمد روحى وميرزا حسن خان خبير الملك بأمر محمد على ميرزا فى تبريز.	٦ صفر ١٣١٤
إعدام ميرزا رضا الكرمانى قاتل ناصر الدين شاه.	٣ ربيع الأول ١٣١٤
وفاة السيد جمال الدين الأفغانى فى إسطنبول.	٥ شوال ١٣١٤
وفاة ميرزا حبيب الأصفهانى.	-- ١٣١٥
وفاة محمد طاهر ميرزا مترجم أعمال الكساندر دوما.	-- ١٣١٦
وفاة حسنعلى خان أمير نظام كروسى فى كرمان.	٥ رمضان ١٣١٧
نهاية المجلد الأول	

ملحق الصور



فتحعلی خان صبا

نمونه خط نشاط اصفهانی



جلوس فتحعلی شاه

فتحعلی شاه



عباس میرزا





نشاط اصفهانی



وصال شیرازی



میرزا ابولقاسم قائم مقام



سروش اصفهانی

از غنایات نبات

نموده خط یغما

۱۳۳۳
 ۱۳۳۴
 ۱۳۳۵
 ۱۳۳۶
 ۱۳۳۷
 ۱۳۳۸
 ۱۳۳۹
 ۱۳۴۰
 ۱۳۴۱
 ۱۳۴۲
 ۱۳۴۳
 ۱۳۴۴
 ۱۳۴۵
 ۱۳۴۶
 ۱۳۴۷
 ۱۳۴۸
 ۱۳۴۹
 ۱۳۵۰
 ۱۳۵۱
 ۱۳۵۲
 ۱۳۵۳
 ۱۳۵۴
 ۱۳۵۵
 ۱۳۵۶
 ۱۳۵۷
 ۱۳۵۸
 ۱۳۵۹
 ۱۳۶۰
 ۱۳۶۱
 ۱۳۶۲
 ۱۳۶۳
 ۱۳۶۴
 ۱۳۶۵
 ۱۳۶۶
 ۱۳۶۷
 ۱۳۶۸
 ۱۳۶۹
 ۱۳۷۰
 ۱۳۷۱
 ۱۳۷۲
 ۱۳۷۳
 ۱۳۷۴
 ۱۳۷۵
 ۱۳۷۶
 ۱۳۷۷
 ۱۳۷۸
 ۱۳۷۹
 ۱۳۸۰
 ۱۳۸۱
 ۱۳۸۲
 ۱۳۸۳
 ۱۳۸۴
 ۱۳۸۵
 ۱۳۸۶
 ۱۳۸۷
 ۱۳۸۸
 ۱۳۸۹
 ۱۳۹۰
 ۱۳۹۱
 ۱۳۹۲
 ۱۳۹۳
 ۱۳۹۴
 ۱۳۹۵
 ۱۳۹۶
 ۱۳۹۷
 ۱۳۹۸
 ۱۳۹۹
 ۱۴۰۰
 ۱۴۰۱
 ۱۴۰۲
 ۱۴۰۳
 ۱۴۰۴
 ۱۴۰۵
 ۱۴۰۶
 ۱۴۰۷
 ۱۴۰۸
 ۱۴۰۹
 ۱۴۱۰
 ۱۴۱۱
 ۱۴۱۲
 ۱۴۱۳
 ۱۴۱۴
 ۱۴۱۵
 ۱۴۱۶
 ۱۴۱۷
 ۱۴۱۸
 ۱۴۱۹
 ۱۴۲۰
 ۱۴۲۱
 ۱۴۲۲
 ۱۴۲۳
 ۱۴۲۴
 ۱۴۲۵
 ۱۴۲۶
 ۱۴۲۷
 ۱۴۲۸
 ۱۴۲۹
 ۱۴۳۰
 ۱۴۳۱
 ۱۴۳۲
 ۱۴۳۳
 ۱۴۳۴
 ۱۴۳۵
 ۱۴۳۶
 ۱۴۳۷
 ۱۴۳۸
 ۱۴۳۹
 ۱۴۴۰
 ۱۴۴۱
 ۱۴۴۲
 ۱۴۴۳
 ۱۴۴۴
 ۱۴۴۵
 ۱۴۴۶
 ۱۴۴۷
 ۱۴۴۸
 ۱۴۴۹
 ۱۴۵۰
 ۱۴۵۱
 ۱۴۵۲
 ۱۴۵۳
 ۱۴۵۴
 ۱۴۵۵
 ۱۴۵۶
 ۱۴۵۷
 ۱۴۵۸
 ۱۴۵۹
 ۱۴۶۰
 ۱۴۶۱
 ۱۴۶۲
 ۱۴۶۳
 ۱۴۶۴
 ۱۴۶۵
 ۱۴۶۶
 ۱۴۶۷
 ۱۴۶۸
 ۱۴۶۹
 ۱۴۷۰
 ۱۴۷۱
 ۱۴۷۲
 ۱۴۷۳
 ۱۴۷۴
 ۱۴۷۵
 ۱۴۷۶
 ۱۴۷۷
 ۱۴۷۸
 ۱۴۷۹
 ۱۴۸۰
 ۱۴۸۱
 ۱۴۸۲
 ۱۴۸۳
 ۱۴۸۴
 ۱۴۸۵
 ۱۴۸۶
 ۱۴۸۷
 ۱۴۸۸
 ۱۴۸۹
 ۱۴۹۰
 ۱۴۹۱
 ۱۴۹۲
 ۱۴۹۳
 ۱۴۹۴
 ۱۴۹۵
 ۱۴۹۶
 ۱۴۹۷
 ۱۴۹۸
 ۱۴۹۹
 ۱۵۰۰
 ۱۵۰۱
 ۱۵۰۲
 ۱۵۰۳
 ۱۵۰۴
 ۱۵۰۵
 ۱۵۰۶
 ۱۵۰۷
 ۱۵۰۸
 ۱۵۰۹
 ۱۵۱۰
 ۱۵۱۱
 ۱۵۱۲
 ۱۵۱۳
 ۱۵۱۴
 ۱۵۱۵
 ۱۵۱۶
 ۱۵۱۷
 ۱۵۱۸
 ۱۵۱۹
 ۱۵۲۰
 ۱۵۲۱
 ۱۵۲۲
 ۱۵۲۳
 ۱۵۲۴
 ۱۵۲۵
 ۱۵۲۶
 ۱۵۲۷
 ۱۵۲۸
 ۱۵۲۹
 ۱۵۳۰
 ۱۵۳۱
 ۱۵۳۲
 ۱۵۳۳
 ۱۵۳۴
 ۱۵۳۵
 ۱۵۳۶
 ۱۵۳۷
 ۱۵۳۸
 ۱۵۳۹
 ۱۵۴۰
 ۱۵۴۱
 ۱۵۴۲
 ۱۵۴۳
 ۱۵۴۴
 ۱۵۴۵
 ۱۵۴۶
 ۱۵۴۷
 ۱۵۴۸
 ۱۵۴۹
 ۱۵۵۰
 ۱۵۵۱
 ۱۵۵۲
 ۱۵۵۳
 ۱۵۵۴
 ۱۵۵۵
 ۱۵۵۶
 ۱۵۵۷
 ۱۵۵۸
 ۱۵۵۹
 ۱۵۶۰
 ۱۵۶۱
 ۱۵۶۲
 ۱۵۶۳
 ۱۵۶۴
 ۱۵۶۵
 ۱۵۶۶
 ۱۵۶۷
 ۱۵۶۸
 ۱۵۶۹
 ۱۵۷۰
 ۱۵۷۱
 ۱۵۷۲
 ۱۵۷۳
 ۱۵۷۴
 ۱۵۷۵
 ۱۵۷۶
 ۱۵۷۷
 ۱۵۷۸
 ۱۵۷۹
 ۱۵۸۰
 ۱۵۸۱
 ۱۵۸۲
 ۱۵۸۳
 ۱۵۸۴
 ۱۵۸۵
 ۱۵۸۶
 ۱۵۸۷
 ۱۵۸۸
 ۱۵۸۹
 ۱۵۹۰
 ۱۵۹۱
 ۱۵۹۲
 ۱۵۹۳
 ۱۵۹۴
 ۱۵۹۵
 ۱۵۹۶
 ۱۵۹۷
 ۱۵۹۸
 ۱۵۹۹
 ۱۶۰۰
 ۱۶۰۱
 ۱۶۰۲
 ۱۶۰۳
 ۱۶۰۴
 ۱۶۰۵
 ۱۶۰۶
 ۱۶۰۷
 ۱۶۰۸
 ۱۶۰۹
 ۱۶۱۰
 ۱۶۱۱
 ۱۶۱۲
 ۱۶۱۳
 ۱۶۱۴
 ۱۶۱۵
 ۱۶۱۶
 ۱۶۱۷
 ۱۶۱۸
 ۱۶۱۹
 ۱۶۲۰
 ۱۶۲۱
 ۱۶۲۲
 ۱۶۲۳
 ۱۶۲۴
 ۱۶۲۵
 ۱۶۲۶
 ۱۶۲۷
 ۱۶۲۸
 ۱۶۲۹
 ۱۶۳۰
 ۱۶۳۱
 ۱۶۳۲
 ۱۶۳۳
 ۱۶۳۴
 ۱۶۳۵
 ۱۶۳۶
 ۱۶۳۷
 ۱۶۳۸
 ۱۶۳۹
 ۱۶۴۰
 ۱۶۴۱
 ۱۶۴۲
 ۱۶۴۳
 ۱۶۴۴
 ۱۶۴۵
 ۱۶۴۶
 ۱۶۴۷



یغما جندقی



قاآنی



محمود خان ملك الشعرا

[illegible][illegible]

۱- **مجلس**
 ۲- **مجلس**
 ۳- **مجلس**
 ۴- **مجلس**
 ۵- **مجلس**
 ۶- **مجلس**
 ۷- **مجلس**
 ۸- **مجلس**
 ۹- **مجلس**
 ۱۰- **مجلس**
 ۱۱- **مجلس**
 ۱۲- **مجلس**
 ۱۳- **مجلس**
 ۱۴- **مجلس**
 ۱۵- **مجلس**
 ۱۶- **مجلس**
 ۱۷- **مجلس**
 ۱۸- **مجلس**
 ۱۹- **مجلس**
 ۲۰- **مجلس**
 ۲۱- **مجلس**
 ۲۲- **مجلس**
 ۲۳- **مجلس**
 ۲۴- **مجلس**
 ۲۵- **مجلس**
 ۲۶- **مجلس**
 ۲۷- **مجلس**
 ۲۸- **مجلس**
 ۲۹- **مجلس**
 ۳۰- **مجلس**
 ۳۱- **مجلس**
 ۳۲- **مجلس**
 ۳۳- **مجلس**
 ۳۴- **مجلس**
 ۳۵- **مجلس**
 ۳۶- **مجلس**
 ۳۷- **مجلس**
 ۳۸- **مجلس**
 ۳۹- **مجلس**
 ۴۰- **مجلس**
 ۴۱- **مجلس**
 ۴۲- **مجلس**
 ۴۳- **مجلس**
 ۴۴- **مجلس**
 ۴۵- **مجلس**
 ۴۶- **مجلس**
 ۴۷- **مجلس**
 ۴۸- **مجلس**
 ۴۹- **مجلس**
 ۵۰- **مجلس**
 ۵۱- **مجلس**
 ۵۲- **مجلس**
 ۵۳- **مجلس**
 ۵۴- **مجلس**
 ۵۵- **مجلس**
 ۵۶- **مجلس**
 ۵۷- **مجلس**
 ۵۸- **مجلس**
 ۵۹- **مجلس**
 ۶۰- **مجلس**
 ۶۱- **مجلس**
 ۶۲- **مجلس**
 ۶۳- **مجلس**
 ۶۴- **مجلس**
 ۶۵- **مجلس**
 ۶۶- **مجلس**
 ۶۷- **مجلس**
 ۶۸- **مجلس**
 ۶۹- **مجلس**
 ۷۰- **مجلس**
 ۷۱- **مجلس**
 ۷۲- **مجلس**
 ۷۳- **مجلس**
 ۷۴- **مجلس**
 ۷۵- **مجلس**
 ۷۶- **مجلس**
 ۷۷- **مجلس**
 ۷۸- **مجلس**
 ۷۹- **مجلس**
 ۸۰- **مجلس**
 ۸۱- **مجلس**
 ۸۲- **مجلس**
 ۸۳- **مجلس**
 ۸۴- **مجلس**
 ۸۵- **مجلس**
 ۸۶- **مجلس**
 ۸۷- **مجلس**
 ۸۸- **مجلس**
 ۸۹- **مجلس**
 ۹۰- **مجلس**
 ۹۱- **مجلس**
 ۹۲- **مجلس**
 ۹۳- **مجلس**
 ۹۴- **مجلس**
 ۹۵- **مجلس**
 ۹۶- **مجلس**
 ۹۷- **مجلس**
 ۹۸- **مجلس**
 ۹۹- **مجلس**
 ۱۰۰- **مجلس**

Handwritten text in Urdu script, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is illegible due to the quality of the scan and the nature of the bleed-through.

10-11-1944

100

نموذج خط محمود خان ملك الشعراء (متن نامه)



فتح الله خان شيباني

سيد علي محمد باب

سيد كاظم رشتي، استاد باب





قرۃ العین

عکسی است که مادام دیولافوا، سیاح فرانسوی، در سال ۱۸۸۱-۱۸۸۲ م از منارالیهها تهیه کرده.
 نقل از مجله «نامه لندن»، دوره دوم، شماره ۴، ص ۱۷۳.



سان الملك سپهر



مجد الملك

فرهاد ميرزا معتمد الدوله





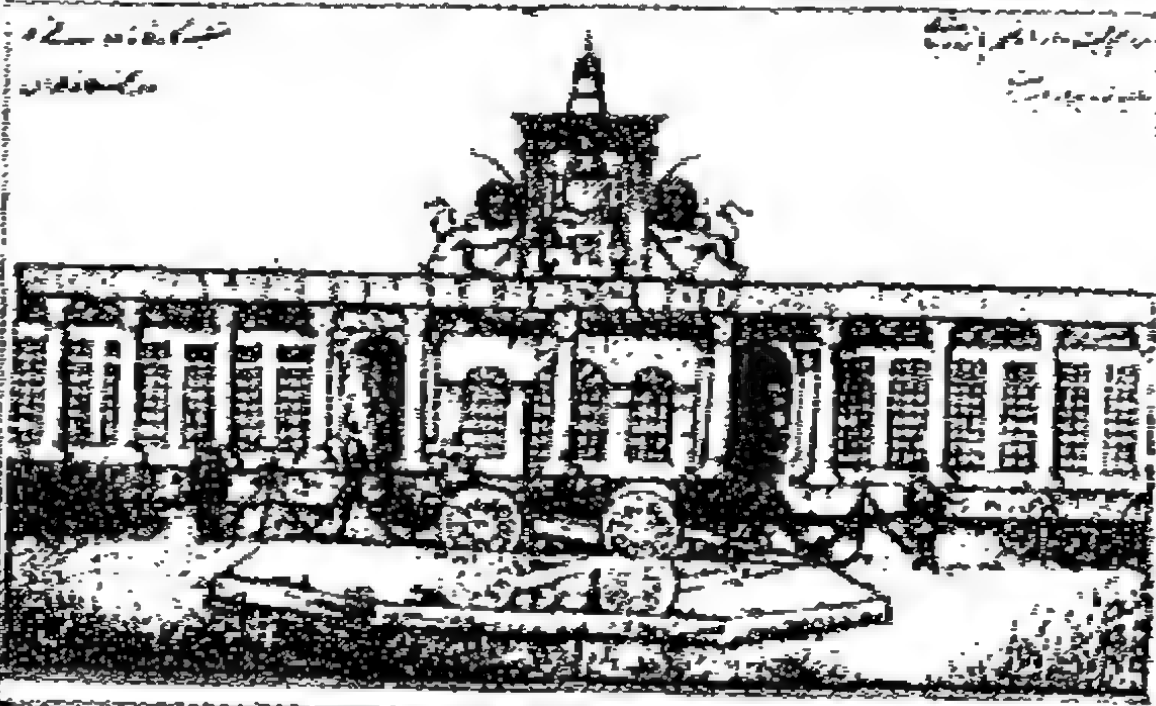
حسنعلی خان امیر نظام گوردسی



حاج ملاهادی سبزواری

روزنامه دولتی ایران

پایان نیمه نخست ششم شهریور ماه مطابق پال انقصد و شاد و سالیان



پایان نیمه نخست ششم شهریور ماه مطابق پال انقصد و شاد و سالیان... (The text continues with a detailed report on the activities and achievements of the government during this period, mentioning various departments and their contributions to the state's development.)

روزنامه دولتی

پایان نیمه نخست ششم شهریور ماه مطابق پال انقصد و شاد و سالیان



کتابخانه دولتی

کتابخانه دولتی... (The text describes the collection and management of books in the national library, highlighting the importance of preserving cultural and historical knowledge for the nation.)

روزنامه دولتی ایران

پایان نیمه نخست ششم شهریور ماه مطابق پال انقصد و شاد و سالیان



اخبار داخله و خارج

اخبار داخله و خارج... (The text provides news from both domestic and international sources, covering political events, social issues, and global developments.)

روزنامه دولتی

پایان نیمه نخست ششم شهریور ماه مطابق پال انقصد و شاد و سالیان

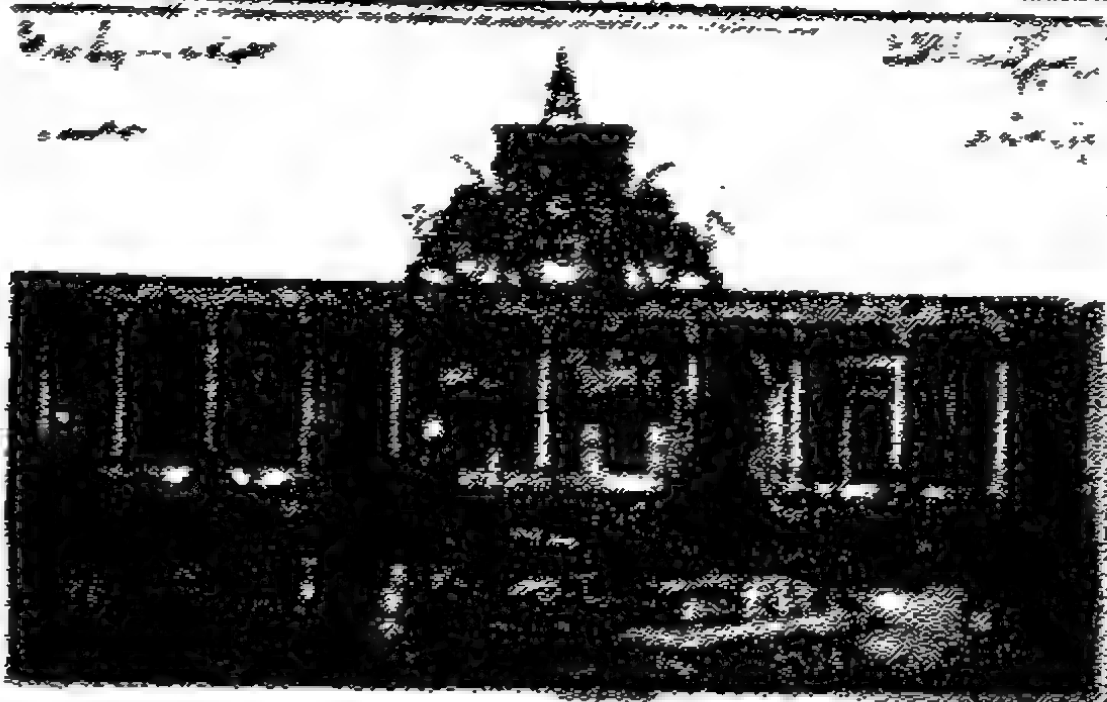


اخبار داخله و خارج

اخبار داخله و خارج... (The text provides news from both domestic and international sources, covering political events, social issues, and global developments.)

روزنامه علمی و ادبی ایران

پانچویں باب و ششم اپنی دنیا و نظائر چال مقصد و شادی و خج و اقبالی

[illegible]

الآیات	المصنف	المزارع
کشته	۱ صر المزار	۳۰
دوشنبه	۲	۳۱
سه شنبه	۳	۱ اوزن باره فرانسه
چهارشنبه	۴	۲
پنجشنبه	۵	۳
جمعه	۶	۴
شنبه	۷	۵
یکشنبه	۸	۶
دوشنبه	۹	۷
سه شنبه	۱۰	۸
چهارشنبه	۱۱	۹
پنجشنبه	۱۲	۱۰
جمعه	۱۳	۱۱
شنبه	۱۴	۱۲
یکشنبه	۱۵	۱۳
دوشنبه	۱۶	۱۴
سه شنبه	۱۷	۱۵
چهارشنبه	۱۸	۱۶
پنجشنبه	۱۹	۱۷
جمعه	۲۰	۱۸
شنبه	۲۱	۱۹
یکشنبه	۲۲	۲۰
دوشنبه	۲۳	۲۱
سه شنبه	۲۴	۲۲
چهارشنبه	۲۵	۲۳
پنجشنبه	۲۶	۲۴
جمعه	۲۷	۲۵
شنبه	۲۸	۲۶
یکشنبه	۲۹	۲۷
دوشنبه	۳۰	۲۸

صفحه‌ای از «روزنامه علمی» دولت علیّه ایران» به زبان فرانسه

صفحه‌ای از مسالمة ایران»

از این امر معلوم می شود که فرشته مشیت
غریب با همان روز و ماه ایران هر یک
روز نامه را می خواند و خود را در آن
طهران نیست مایه های همدار و
در میان ولایات نوزده هزار و بیست و

اشرح

46

五五

لَا

—

20

مجلس شورای اسلامی

[illegible][illegible]

١٦٦

یہ سب سے پہلے دیکھو کہ اس شخص کی عمر کیا ہے؟

۱- در صورتی که به دلیل عدم امکان پرداخت وجه نقد، بابت کالاهای خریداری شده و یا خدمات دریافتی، تسهیلات اعتباری از طرف فروشنده یا ارائه دهنده خدمات، در اختیار مشتری قرار گیرد.

پروفیسر صاحبزادہ

اخلاق



1. Definition
 2. Properties
 3. Examples
 4. Exercises
 5. Conclusion

[illegible]

- عنوان مواصلات -
 بهر اخبار و حوادث و مسائل
 صاحب اختیار و نگارنده
 روزنامه (شماره) در هر
 محل اداری و مطبعه
 Mr. Ali Mohamed
 Khan Khatami
 Rédacteur propriétaire
 du Journal "Savaya"
 Rue Agha Khan
 10

1191 1717

THE LIFE OF HENRY J. HARRIS

میرزا محمد علی خان

روزنامه پيام جمادی الآخر سنه ۱۳۱۶ هجری مطابق ۵ شهر تميم سنه ۱۸۹۸ مسیحی

تقاضای و محاسبات و حقوق مقبول مالی و عارضه
یکه قبل از موارد مسودهای برای اداره وزارت
خارج و امور وکلای مالی دولت و نمایه و کلیه
توسولات و امور و کار قبل از اداره و امور
سید و حفظ و غیره اطلاع دادند که بعد از تمام
توسولات ها روز دوشنبه آید که مقارن روز
دو روز برای اطلاع حضرت اقدس شاد است و است
و امور برای دارند و همان روز بخانه بخانه و دوشنبه
علیه ارباب از مدتی و غیر مدتی در فرستاده ایشان
بروز هر چه دعوت فرمود و هم در آن روز کباب
و مرغ و مرغ و مرغ و مرغ و مرغ و مرغ و مرغ
میان را اطلاع کرد

۱۰۰ - فهرست مکتوبات
 ۱۰۱ - اخبار و روایات
 ۱۰۲ - اخبار و روایات
 ۱۰۳ - اخبار و روایات
 ۱۰۴ - اخبار و روایات
 ۱۰۵ - اخبار و روایات
 ۱۰۶ - اخبار و روایات
 ۱۰۷ - اخبار و روایات
 ۱۰۸ - اخبار و روایات
 ۱۰۹ - اخبار و روایات
 ۱۱۰ - اخبار و روایات

جناب اعلیٰ حضرت
 قلمبر سرمدی اقدسہ اہم سے جاری
 قلم و ہمد سے یاد شدہ مبارک
 ترقیت
 فرمودہ مبارک و مستقیم
 مذکورہ تہذیب و ادب
 تہذیب و ادب
 تہذیب و ادب

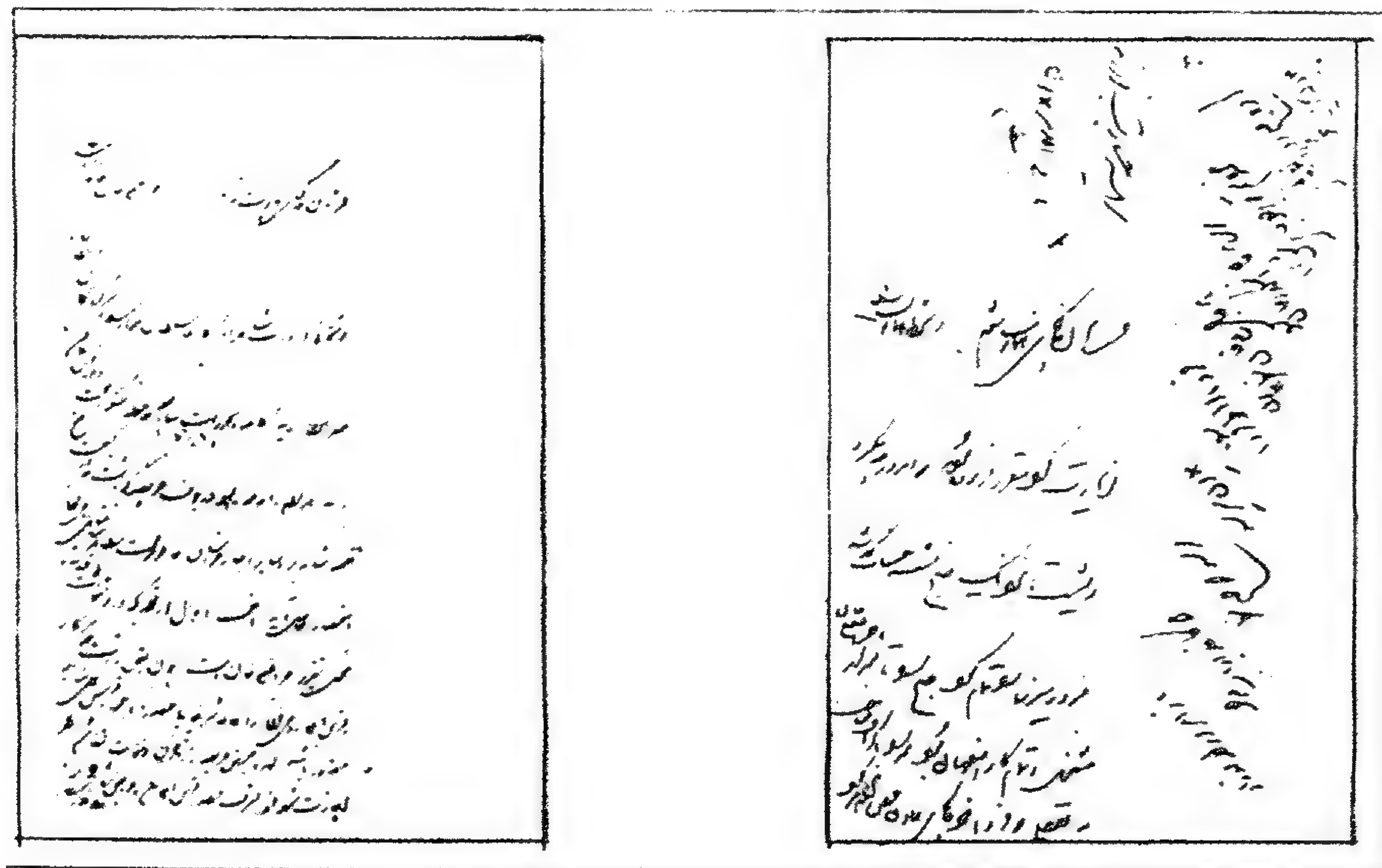
در امر استادن در آن جایی که می شود	سازان و ایام	چون که در آنجا ازین استخوان این و آن
جایی که از آنجا که در پستان پیشین گمان که در آنجا	که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	و از این بسوزد
پیشین اوضاع بر پستان ازین سنج و چاره در آنجا که در آنجا	آنانجا که از آنجا که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
و سنان که در آنجا که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
دست یکبار که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
در این شب و در این شب	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
آنها که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
بهت میسی و از آنجا که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
دار و در این شب و در این شب	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
و سنان که در آنجا که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
اصل و در این شب و در این شب	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا
اطاعت و در این شب و در این شب	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا	ی که بسوزد و بعد از آن که در پستان پیشین گمان که در آنجا

(مضامین استقامت و عبادت و غیر علوم)



اعضاء السلطنة

دو نامه به خط امیر کبیر به ناصر الدین شاه





میرزا تقی خان امیر کبیر



رضاقلیخان هدایت



امین الدوله

اعتماد السلطنه



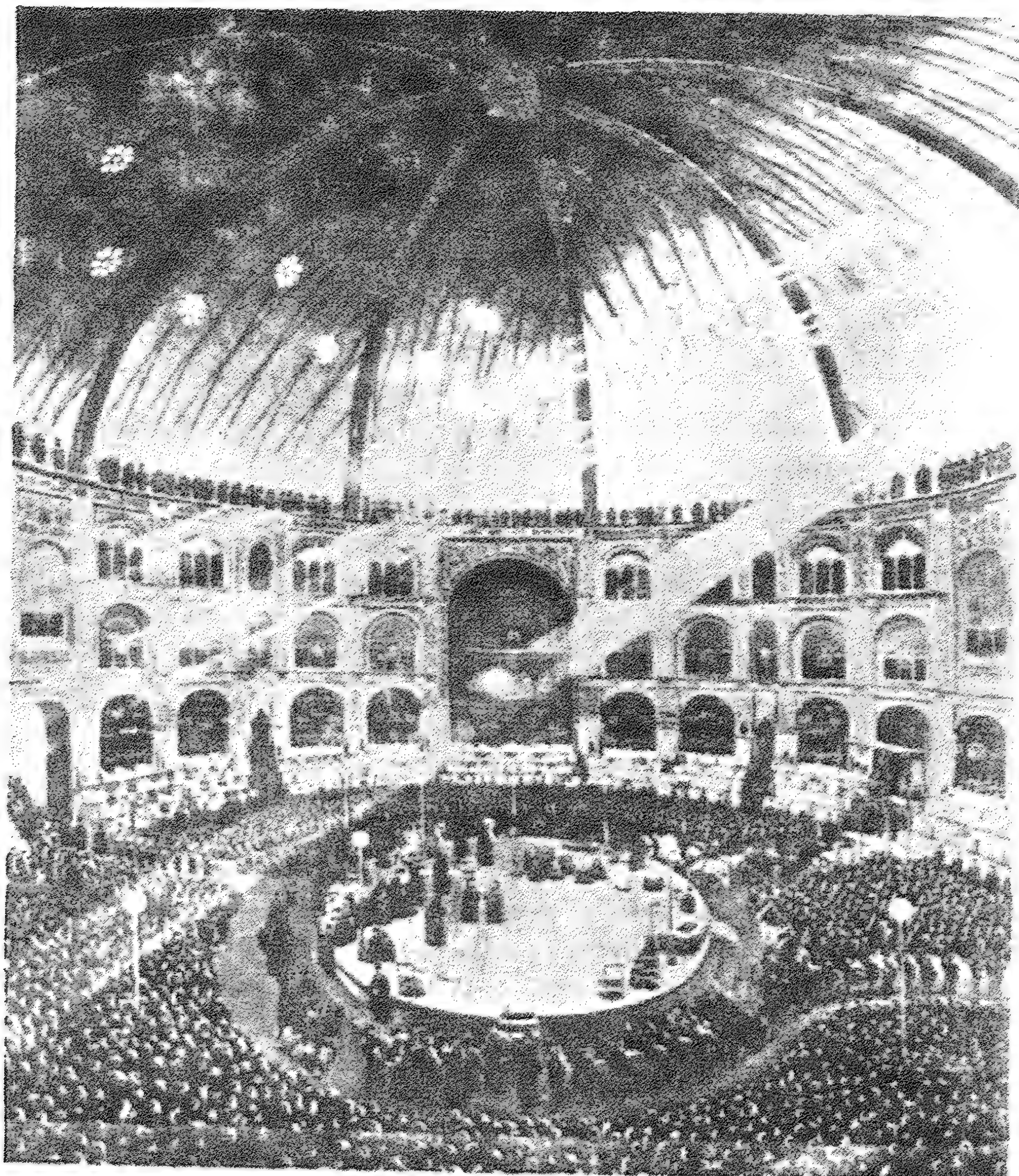
میرزا یوسفخان مستشار الدوله



كمال الملك



تكية دولت ، اثر كمال الملك

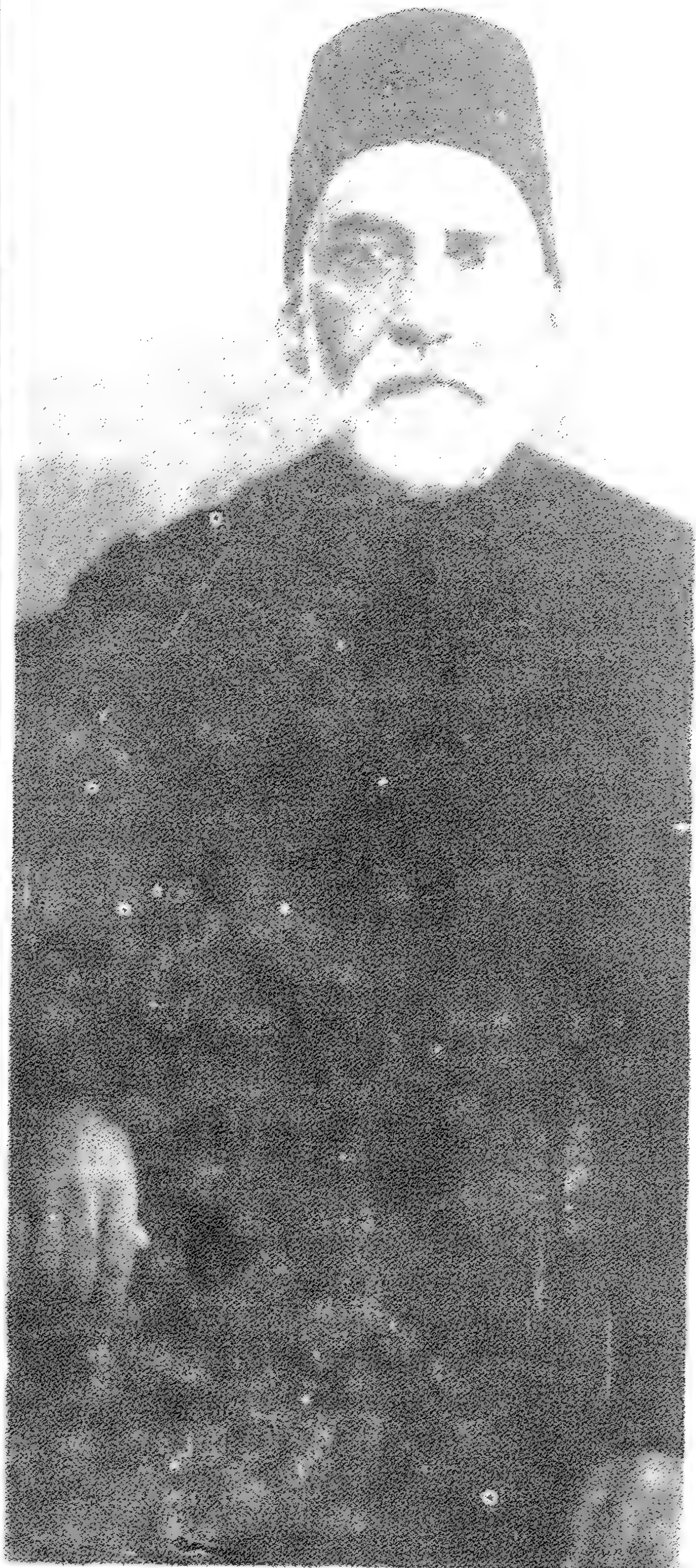




میرزا ملک خان



میرزا فتحعلی آخوندزاده



میرزا عبدالرحیم طالبوف

کتاب بچان بستان افروز

طراز و ترتیب ادبیات و داستان افروز

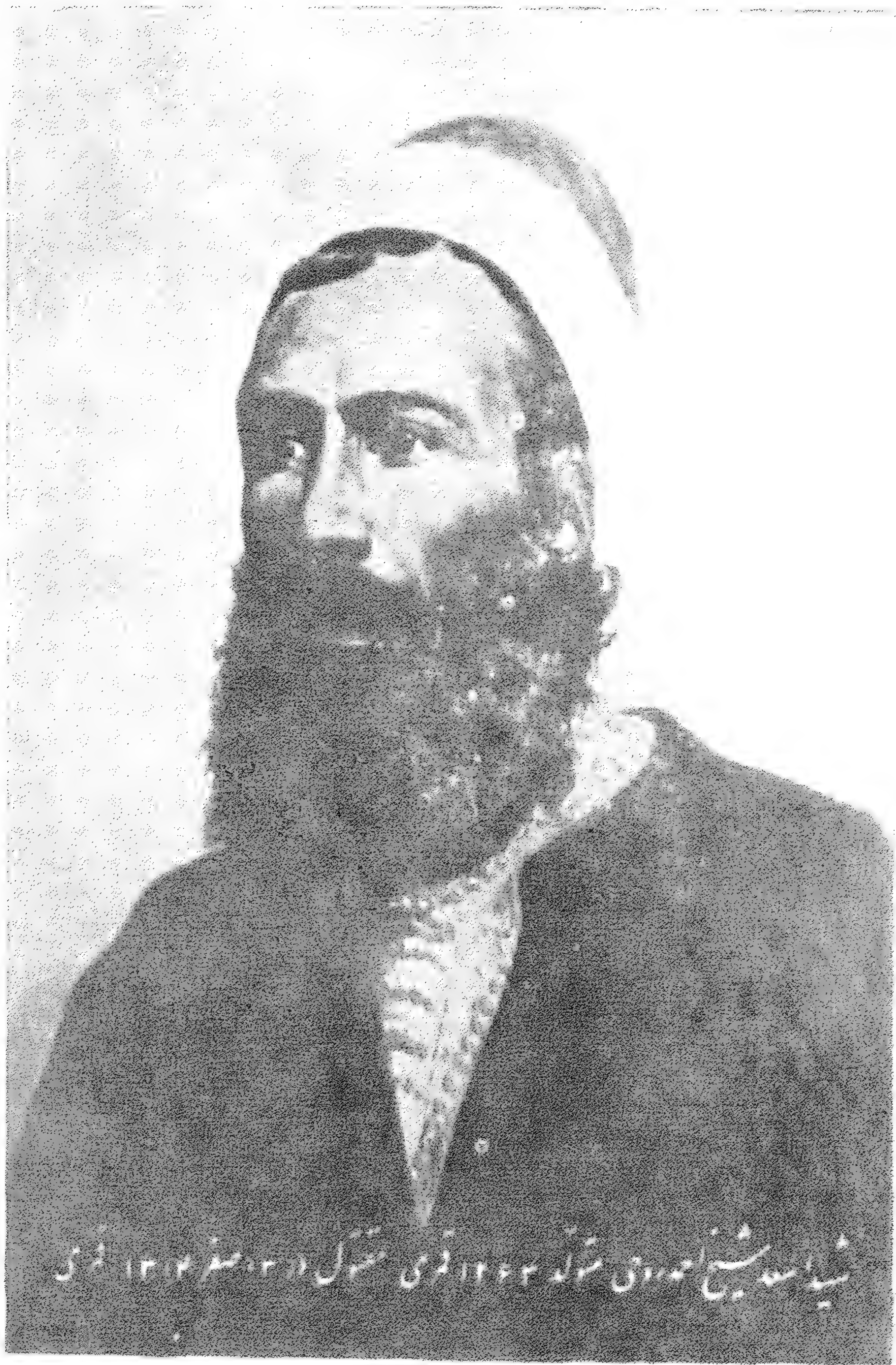
بند و ناپیز عبدالحسین شیربیرز آقاخان کرمانی

ترتیب طراز و ترتیب افروز و ترتیب افروز

سید

میرزا آقاخان کرمانی





شیخ احمد دینی متولد ۱۲۶۳ قمری متوفی ۱۳۴۲ قمری

میرزا حبیب اصفهانی

همش از قرین چنانچه محال از اعمال اصفهان است
 اصفهان در آن تبخیر علم مشغول بود در یاد نیز بقدر جهان تبخیر
 ادب است و همه در آن بر حاشیای مسلمانان در حاشیای نژاد
 از آنجا که بر آنست در حق سبها در محمد خان صدر عظمی که ساطع است
 نقد کردن و از آنست که نژاد عجم در دین کریم در دار الهی
 بهدین سبقت عجمان و انبار در اوقات حوزا در ملکات
 سیر بود و در تمام از عجمی که سبقت انبار در گاهه در نقد
 در مع سبقت ایران میبود و آهسته در سبقت عجمی که سبقت عجمی که سبقت
 در ادب ایل حال بهار و در سبقت تبخیر در آن سبقت انبار در عجمی که سبقت
 از آنجا که سبقت بود در عجمی که سبقت عجمی که سبقت عجمی که سبقت
 از آنجا که سبقت بود در عجمی که سبقت عجمی که سبقت عجمی که سبقت
 از آنجا که سبقت بود در عجمی که سبقت عجمی که سبقت عجمی که سبقت

نمونه خط میرزا حبیب اصفهانی

نمونه خط میرزا حبیب اصفهانی

مفت لایحه در آن که در آن
 لایحه در آن که در آن
 راجع به نام در آن که در آن
 به نام در آن که در آن



میرزا حبیب اصفهانی

المؤلف في سطور:

يحيى آرين بور:

كاتب ومحقق إيراني بارز وشاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أي "العلم" كما هي العادة عند الشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوروبية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجاري البارز عباس ميرزا وينتمي من ناحية أمه إلى الحكيم والفيلسوف الإيراني نصير الدين الطوسي المعروف لمنزلته الفكرية باسم حواجه نصير الدين الطوسي.

المترجمون فى سطور

إيمان محمد إبراهيم عرفة

أستاذ مساعد اللغة الفارسية وآدابها. عُينت معيدًا بقسم اللغات الشرقية ، ثم حصلت على درجة الماجستير فى موضوع "الحياة الثقافية فى بلاط السلطان حسين بيقر" ، ثم حصلت على درجة الدكتوراه فى فكرة القومية فى أدب عبد الرحيم طاليوف.

محمد السباعى محمد السباعى

حصل على الماجستير فى فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة عند كل من محمد إقبال ومحمد عاكف.

وحصل على الدكتوراه فى موضوع "الحياة الفكرية فى عصر رضا شاه بهلوى".

عين بجامعة القاهرة كلية الآداب - بنى سويف ، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة حلوان.

أشرف محمد عبد الوهاب

حاصل على ليسانس الآداب من قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة .

عُين مترجمًا للغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية عن ١٩٥١.

المراجع فى سطور:

السباعى محمد السباعى

- ليسانس الآداب - جامعة القاهرة - قسم اللغات الشرقية - فرع لغات الأمم الإسلامية عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف.
- الماجستير ١٩٦٦ ثم الدكتوراه ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى.
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩م
- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م
- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر جمعية خريجي أقسام اللغات الشرقية لمدة ثلاث أعوام.
- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م.

الإنتاج والأعمال العلمية:

أولاً الكتب:

- ١ - اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ، ١٩٧٥م.
- ٢ - النثر الفارسي منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجارى فى إيران ، ١٩٧٨م.
- ٣ - الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية ، ٢٠٠٠ ، الموسوعة العامة ، مقاتل من الصحراء (المملكة العربية السعودية).
- ٤ - عبد الوهاب عزام، رائدًا ومفكرًا، القاهرة الكتاب المصرى اللبنانى، يناير ٢٠٠٥م.

ثانيًا الترجمات :

- ١ - تاريخ إيران القديم "تأليف حسن بيريا والترجمة بالإشتراك مع د. محمد نور الدين عبد المنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب.

- ٢ - الإسلام في إيران لمؤلفه الروسى بطرشوفسكى ترجمه عن الفارسية
وقدم له، الطبعة الرابعة ، مارس ٢٠٠٥م
- ٣ - "من الفكر الصوفى الإيرانى المعاصر" تأليف صادق عنقا، وتقديم
الترجمة بالاشتراك مع د. إبراهيم الدسوقي شتا.
- ٤ - ترجمات لمواد خاصة بإيران وتركيا وتاريخ آسيا الوسطى فى
الدوريات المختلفة.
- ٥ - ترجمة عدد من أعلام الفكر والتاريخ الإسلامى ورواد الدراسات
الشرقية لليونسكو.
- ٦ - مراجعة المعجم الذهنى "قرهنگ طلائى" - المعجم الفارسى العربى -
تأليف الدكتور النونجى، لونغمان ١٩٩٦م، القاهرة.

التصحيح اللغوى: عايدى جمعة

سهام عبد الوهاب

الإشراف الفنى: حسن كامل

هذه ترجمة للمجلد الأول من كتاب "از صبا تانيم" أى "من صبا حتى نيم"، والذي يقع فى مجلدين يتناولان تاريخ الأدب الفارسى فى مائة وخمسين عامًا، أتبعهما المؤلف يحيى آرين بور بكتاب ثالث تحت عنوان "ازنيم تاروزچكا رما" أى "من نيم حتى عصرنا الحاضر".

وهذه المجلدات الثلاثة هى أهم ما خلف المؤلف، فضلاً عن ترجمة لكتاب "ناصر خسرو راسماعيلان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية، الذى ألفه المستشرق الروسى برتلس.

ويحيى آرين بور من كبار المفكرين والمحققين الإيرانيين والشعراء، والذي اتخذ لنفسه كلمة "دانش" أى العلم تخلصاً له كسائر الشعراء الفرس. ولد فى مدينة تبريز الإيرانية عام 1286 هـ ش، وتوفى فى 1364 هـ ش.

ذكر يحيى آرين بور أن كتابه هذا ليس من قبيل كتب تذاكر الشعراء ولا من قبيل منتخبات أشعار أو آثار السابقين ولا هو كتاب عادى مثل كتب تاريخ الأدب، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية منذ عصر الإحياء أو "العودة الأدبية" حتى بداية الشعر الحديث، ويمثل الكتاب أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية، نظراً لقرب هذه الحقبة من عصرنا، وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت والتى تؤثر دون شك وبشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالية وتلك محاولة غير مسبقة، ولكن لا تخلو من النواقص والإيجابياتها كثيرة.

